تفسير الثعالبي

المسمى

بالجواهر الحسان في تفسير القرآن

للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي

(٧٨٦ - ٨٧٥ هـ)

حقق أصوله على أربع نسخ خطية وعلق عليه وخرّج أحاديثه

الشيخ علي محمّد معوّض
والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

وشارك في تحقيقه

الأستاذ الدكتور عبد الفتاح أبو سنّة

خبير التحقيق بمجمع البحوث الإسلامية
وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
وعضو لجنة المصحف بالأزهر الشريف

الجزء الخامس

دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار إحياء التراث العربي

بيروت حارة حريك شارع دكاش بناية كليوباترا - بملكه

هاتف: 836551 - 836696 - 836766

تلكس: 23644 ص. ب: 11/7957 بيروت - لبنان

فاكس: 2124783422 001

تفسير الثعالبي

الجزء الخامس

تفسيرُ سُورَةِ يٓس

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

إلا أَنَّ فرقة قَالَتْ: إن قوله تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ نزلَتْ في بني سلمة حين أرادوا أن ينتقلوا إلى جوار مسجد النبي ﷺ، وورد في فضل يٓس آثارٌ عديدةٌ، فعن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، أن النبيَّ ﷺ قال: «قَلْبُ القُرْآنِ يٓس لاَ يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللَّهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ إلاَّ غُفِرَ لَهُ، ٱقْرَؤُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ»[١] رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم في «المستدرك»، وهذا لفظ النسائي، وهو عند الباقين مختصرٌ. انتهى من «السِّلاَح».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾.

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يسٓ *والقرآن الحكيم* إنك لمن المرسلين﴾ قد تقدَّم الكلام في الحروف المقَطَّعة، ويختص هذا الموضعُ بأقوالٍ، منها: أن ابن جبير قَالَ: يٓس ٱسْمٌ من أسماء محمد ـ عليه السلام[٢] ـ وقال ابن عباس: معناه: يا إنسانُ، بالحبشية[٣].

وقال أيضاً: هو بلغة طَيِّىءٍ[٤]، وقال قتادةُ: «يٓس» قسم و«الصراط» الطريق، والمعنى: إنك على طريق هدى بيِّن ومَهْيَعِ رشاد[٥]، واختَلَفَ المفسرون في قوله تعالى:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٥).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٤) برقم: (٢٩٠٤٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٤)، كلهم عن ابن عباس، وعزاه السيوطي لابن مردويه عن ابن عباس، وذكره ابن كثير (٣/ ٥٦٣) عن سعيد بن جبير.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٥).

(٥) ينظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ٥).

﴿ما أنذر آباؤهم﴾ فقال عِكْرِمَةُ: «ما» بمعنى: الذي[١]، والتقدير: الشيءُ الذي أُنذِر آباؤهم
٨٥ ب من النارِ/ والعذابِ، ويحتملُ أن تكون «ما» مصدرية على هذا القول، ويكونُ الآباءُ هُمُ الأَقْدَمُونَ على مر الدهرِ.

وقوله: ﴿فهم﴾ مع هذا التأويل بمعنى: فإنّهم، دخلتِ الفاءُ لِقَطْعِ الجملة من الجملة، وقال قتادةُ: «ما» نافيةٌ[٢]، فالآباءُ عَلى هَذا هم الأقْرَبُونَ مِنْهُمْ، وهذه الآيةُ كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] وهذه النِّذَارةُ المنفيةُ: هي نذارة المبَاشَرَة، كما قدَّمنا، و﴿حَقَّ القَوْلُ﴾ معناه: وَجَبَ العذابُ وسبَقَ القضَاءُ بهِ، وهذا فِيمَنْ لم يؤمنْ من قريشٍ كَمَنْ قُتِل بِبَدْرٍ، وغيرِهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً...﴾ الآية.

قال مكي: قيل: هي حقيقةٌ في الآخِرَة إذا دخلوا النار[٣].

وقال ابن عباس وغيره: الآيةُ استعارةٌ لِحالِ الكَفَرَةِ الذين أرادوا النبيَّ ﷺ بسوءٍ، فجعلَ اللّهُ هذهِ مثَلاً لَهُمْ في كَفِّهِ إيّاهُمْ عَنْهُ ومَنْعِهم مِنْ إذَايَتِهِ حينَ بَيَّتُوهُ[٤].

وقالتْ فرقة: الآيةُ مُسْتَعَارَةُ المعانِي مِنْ مَنْعِ اللّه تعالى إيَّاهم مِنَ الإيمَانِ، وَحَوْلِه بَيْنَهم وبَيْنَه، وهذا أرجح الأقوال، و«الغُلُّ»: ما أحاط بالعُنق على معنى التَّثْقِيفِ والتَّضْيِيقِ والتَّعْذِيبِ.

وقوله: ﴿فهي﴾ يحتملُ أنْ تَعُودَ على الأغلالِ، أي: هي عريضة تبلَغُ بحرفِها الأذقَانَ، والذَّقَنُ: مُجْتَمَعُ اللَّحْيَيْنِ، فَيَضْطَرُّ المغلولُ إلى رفع وجههِ نحو السماء، وذلك هو الإقْمَاحُ، وهو نحوُ الإقْنَاعِ في الهيئة.

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٦).
(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٦).
(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٦).
(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٧).

قال قتادة: المقمح: الرافعُ رأسه[١]، ويحتملُ ـ وهو قول الطبري[٢] ـ أنْ تَعُودَ (هي) على الأيْدِي؛ وذلك أن الغُلَّ إنما يكونُ في العُنُقِ مَعَ اليَدَيْنِ، ورُوِي أن في مصحف ابن مسعودٍ[٣] وأبيٍّ «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَيْمَانِهِمْ» وفي بعضها «في أَيْدِيهِمْ»، وأرَى الناسَ عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ الإقْمَاحَ فَجَعَلَ يَدَيْهِ تَحْتَ لَحْيَيْهِ وأَلْصَقَهُمَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ[٤]، **وقرأ** الجمهورُ: «سُدًّا» ـ بِضَمِّ السينِ في الموضعين ـ، **وقرأ** حمزةُ والكسائي وغيرُهما[٥] (سَدًّا) ـ بفتح السين ـ، فقيل: هما بمعنًى، أي: حائلاً يَسُدُّ طَرِيقَهم، وقال عكرمةُ: مَا كَانَ مِمَّا يَفْعَلُه البَشرُ فهو بالضَّمِّ، وما كان خِلْقَةً فهو بالفَتْحِ[٦]، ومعنى الآية: أن طريقَ الهُدَى سُدَّ دُونَهم.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر...﴾ الآية، «إنما» ليست للحصر هنا؛ بل هيَ على جِهة تخصيصِ مَنْ ينفعُه الإنذارُ، «واتباعُ الذكر» هو العملُ بما في كتابِ اللَّه والاقتداءُ به. قال قتادة: الذكر: القرآن[٧].

وقوله: ﴿بالغيب﴾، أي: بالخَلَواتِ عِنْد مَغِيبِ الإنسانِ عَنْ أعينِ البشَرِ. ثم أخبر ـ تعالى ـ بإحيائه المَوْتَى ردًّا على الكفَرةِ، ثم توعَّدَهم بذِكْرِ كُتُبِ الآثار وإحصاءِ كلِّ شَيْءٍ، وكُلِّ مَا يَصْنَعهُ الإنسانُ فَيَدْخُلُ فِيما قَدَّمَ، ويَدْخُلُ فِي آثاره، لكنه سبحانه؛ ذكرَ الأمْرَ من الجهتَينِ؛ ولِيُنَبِّهَ على الآثارِ التي تَبْقَى، وتُذْكَرُ بَعْدَ الإنسانِ من خَيْرٍ وشرٍ.

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٧) عن قتادة، وابن كثير في «تفسيره» (٣/٥٦٤) عن أم زرع.
(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/٤٢٦).
(٣) ينظر: «الكشاف» (٤/٦)، و«المحرر» (٤/٤٤٧).
(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٧).
(٥) وقرأ بها حفص عن عاصم.
وفي قراءة الباقين قال قوم: ما كان من فعل بني آدم فهو السُّد، وما وجد مخلوقاً فهو السَّدُّ. وعكس أبو عمرو.
ينظر: «إعراب القراءات» (٢/٢٢٩)، و«السبعة» (٥٣٩)، و«الحجة» (٦/٣٧)، و«حجة القراءات» (٥٩٦)، و«العنوان» (١٥٩)، و«إتحاف» (٢/٣٩٧).
(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٧).
(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٤٢٩) برقم: (٢٩٠٦٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٤٨٧).
وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وقال جابر بن عبد الله وأبو سعيد: إن هذه الآيةَ نَزَلت في بني سَلَمَةَ[١]؛ على ما تقدم، وقولُ النبي ـ عليه السلام ـ لَهُمْ: «دِيارُكُم تكْتبُ آثاركم»، والإمامُ المبينُ: قال قتادة وابن زيد: هو اللَّوحُ المحْفُوظُ[٢]، وقالت فرقة: أراد صُحُفَ الأعمالِ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (١٧) قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ (٢٠) ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ (٢٧)﴾

١٨٦ أ وقوله تعالى: / ﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية...﴾ الآية، رُوِيَ عَنْ ابن عباس والزهري وعكرمة: أن القريةَ هنا هي أنطاكيّة[٣]، واخْتُلِفَ في هؤلاء المُرْسَلِينَ؛ فقال قتادة وغيره: كانوا من الحواريِّينَ الذين بعثهم عيسى حِين رُفِعَ، وصُلِبَ الذي أُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُهُ، فَتفرَّقَ الحواريُّونَ في الآفاق، فقَصَّ اللَّه ـ تعالى ـ هنا قصَّةَ الذين نَهَضُوا إلى أنْطاكيَّة[٤].

وقالت فرقة: بل هؤلاء أنبياءُ مِن قِبَلِ اللَّهِ عزّ وجلّ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٢٩) برقم: (٢٩٠٧٢) عن جابر، وعن أبي سعيد رقم: (٢٩٠٧٣)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٨) عن ابن عباس وجابر وأبي سعيد، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٥) عنهما، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٨) عن أبي سعيد، وعزاه لعبد الرزاق، والترمذي وحسنه، والبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وعن جابر بن عبد الله، وعزاه لمسلم، وابن مردويه.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٨) عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣١) برقم: (٢٩٠٨٣) عن عكرمة، وعن ابن عباس وغيره رقم (٢٩٠٨٤)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٩) عن ابن عباس، والزهري، وعكرمة، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٦) عنهم، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٩) عن ابن عباس، وعزاه للفريابي، وعن عكرمة، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣١) برقم: (٢٩٠٨٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٤٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

قال * ع[١] *: وهذا يُرَجِّحُهُ قَوْلُ الكَفَرَةِ ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا﴾ فإنها محاورةٌ إنما تقال لمن ادَّعى الرِّسَالَةَ من اللَّه تعالى، والآخرُ مُحْتَمَلٌ، وذَكَرَ المفسرون في قَصَصِ الآيةِ أشياء يَطُولُ ذِكْرُها والصِّحَّةُ فيها غَيْر مُتَيَقَّنَةٍ، فَاخْتَصَرْتُه واللاَّزِمُ مِنَ الآيةِ أنَّ اللَّه تعالى بَعَثَ إلَيْهَا رَسُولَيْنِ، فَدَعَيَا أهلَ القَرْيَةِ إلى عبادةِ اللَّهِ وتوحيدِه، فَكَذَّبُوهُما فَشَدَّدَ اللَّهُ أمرهما بثالثٍ، وقامت الحجةُ على أهلِ القريةِ، وآمن منهم الرجلُ الذي جاءَ يسعى، وقتلوه في آخر أمره وكفروا، وأصابتْهم صيحةٌ مِن السَّماء فَخَمَدُوا، **وقرأ** الجمهور[٢]: «فَعَزَّزْنا» بِشَدِّ الزاي، على معنى: قَوَّيْنا. وشَدَّدْنَا؛ وبهذا فسّره مجاهد وغيره[٣]، وهذه الأمة أنكرت النبوَّاتِ بقولِها: ﴿وما أنزل الرحمٰن من شيء﴾ قال بعضُ المتأولين: لما كَذَّبَ أهْلُ القرية المرسلينَ أسرع فيهم الجُذَامُ.

وقال مقاتل: احْتَبَسَ عنهم المطر؛ فلذلك قالوا: ﴿إنا تطيرنا بكم﴾[٤]، أي: تَشاءَمْنَا بكم، والأظهر أن تَطَيُّرَ هؤلاءِ إنَّما كَانَ بِسَبَبِ ما دخَلَ قَرْيَتَهُمْ من اخْتِلافِ كَلِمَتِهِمْ وافْتِتَان النَّاسِ.

وقوله: ﴿أئن ذكرتم﴾ جوابُه محذوف، أي: تَطَيَّرْتُم، قاله أبو حيان[٥] وغيره، انتهى، وقولُهم ـ عليهم السلام ـ: ﴿طائركم معكم﴾، معناه: حظُّكُمْ وَمَا صَارَ لَكُمْ من خير وشرٍّ مَعَكُمْ أي: من أَفْعَالِكم وَمِنْ تَكَسُّبَاتِكُمْ، ليس هو من أجْلنا، **وقرأ** حمزة والكسائي وابن عامر: «أإِنْ ذُكِّرْتُمْ» بهمزتين[٦]؛ الثانيةُ مكسورةٌ. وقرأ نافعٌ وغيرُه بتسهيل الثانية، وردِّها ياءً: «أَيِنْ ذُكِّرْتُمْ». وأخبر تعالى عن حالِ رجلٍ جَاء من أقصى المدينةِ يَسْعَى؛ سَمِعَ المرسلينَ وفَهِمَ عَن اللَّهِ تعالى، فَدَعَا عَنْد ذلكَ قومَه إلى اتِّباعِهم والإيمان بِهِم، إذ هوَ

---

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٤٩).

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٤٩)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٣١٣)، و**«الدر المصون»** (٥/ ٤٧٧).
وقد قرأ أبو بكر بالتخفيف، وقرأ بها الحسن، وأبو حيوة، وأبان، والمفضل.
ينظر: **«السبعة»** (٥٣٩)، و**«الحجة»** (٦/ ٣٨)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٢٣٠)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٣٠٤)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ١٦٦)، و**«العنوان»** (١٥٩)، و**«حجة القراءات»** (٥٩٧)، و**«شرح شعلة»** (٥٥٧)، و**«إتحاف»** (٢/ ٣٩٨).

(٣) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٤٣١) برقم: (٢٩٠٨٥)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٤٩).

(٤) ذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٤٩)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٩)، ولم يعزه لأحد.

(٥) ينظر: **«البحر المحيط»** (٧/ ٣١٤).

(٦) وقرأها هكذا حفص، وقرأها المفضل مثل قراءة نافع، يعني بتسهيل الهمزة الثانية.
ينظر: **«السبعة»** (٥٤٠)، و**«الحجة»** (٦/ ٣٨)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٢٣٠)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٣٠٦)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ١٦٧)، و**«العنوان»** (١٥٩)، و**«إتحاف»** (٢/ ٣٩٨).

الحقُّ. فَرُوِيَ عن ابن عباس وغيره، أن اسْمَ هذا الرجلِ حبيبٌ، وكان نَجَّاراً[١] وكانَ فِيما قَال وهب بنُ مُنَبِّهٍ: قد تَجَذَّم[٢].

وقيل: كَان فِي غارٍ يَعْبُدُ ربَّهُ فقال: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين...﴾ الآية، وذكر النَّاسُ في أسماءِ الرسلِ: صَادِق، وصَدُوقٌ، وشَلُوم، وغير هذا، واللَّه أعلم بصحَّتِهِ، واخْتَلَفَ المفسِّرونَ في قوله ﴿فاسمعون﴾ فَقَال ابن عباس وغيره: خاطب بها قوْمه[٣]، أي: على جهة المبَالَغَةِ والتَّنْبِيهِ.

وقيل: خَاطَبَ بها الرُّسُلَ على جهة الاسْتِشْهَادِ بهم والاستحْفاظِ للأمْر عندهم.

قال * ع[٤] *: وهنا محذوفٌ تَوَاتَرَتْ به الأحادِيثُ والرِّوَاياتُ وهم أنهم قَتَلُوهُ فَقِيلَ له عند موته: ﴿ادخلِ الجنَّة﴾ فَلَما أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بما رأى من الكرَامَةِ قَالَ: ﴿يَا ليتَ قومي
٨٦ ب يعلمون...﴾ الآية، قيل:/ أراد بذلك الإشْفَاقَ والنصحَ لَهُمْ أي: لَو عِلِمُوا ذلك، لآمنوا باللَّه تعالى، وقيل: أراد أن يَعْلَمُوا ذلك فَيَنْدمُوا على فِعْلِهم به، وبخزيهم ذلك، وهذا موجود في جِبِلَّةِ البشر إذا نَال الشخصُ عزًّا وخَيْراً في أرض غُرْبَةٍ وَدَّ أنْ يَعْلَم ذلك جِيرَانُهُ وأتْرَابهُ الذينَ نَشَأَ فيهمْ، كما قيل: [السريع]

الْعِزُّ مَطْلُوبٌ وَمُلْتَمَسٌ وَأَحَبُّهُ مَا نِيلَ فِي الْوَطَنِ[٥]

قال * ع[٦] *: والتأويلُ الأولُ أشبهُ بهذا العبدِ الصالح؛ وفي ذلك قولُ النبي ﷺ: «نَصَحَ قَوْمَه حَيًّا وَمَيِّتاً»؛ وقَالَ قَتَادةُ: نَصَحَهُم على حالة الغَضَبِ والرِّضَا وَكَذِلكَ لاَ تجِدُ المؤمِنَ إلا ناصحاً للناس[٧].

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٠)، وأخرجه الطبري (١٠/ ٤٣٣) برقم: (٢٩٠٩٤)، وذكره ابن كثير (٣/ ٥٦٨)، والسيوطي (٥/ ٤٩١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٣) برقم: (٢٩٠٩٤)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٨).
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٥) برقم: (٢٩١٠١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥١)، وابن كثير في في «تفسيره» (٣/ ٥٦٨) كلهم عن ابن عباس، وكعب، ووهب.
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥١).
(٥) البيت من شواهد «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥١).
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥١).
(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٦) برقم: (٢٩١٠٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥١)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٨) بنحوه.

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند...﴾ الآية، مخاطبة للنبيّ ﷺ فيها توعُّدٌ لقرَيْشٍ وتَحْذِيرُ أنْ يَنْزلَ بهِمْ مِنَ العَذَابِ مَا نَزَلَ بقومِ حَبيبِ النَّجَّار.

قال مجاهد: لَم يُنْزِلِ اللَّهُ عَليهم من جُنْدٍ أرادَ أنه لم يُرْسِل إليهم رَسُولاً ولاَ اسْتَعْتَبَهُمْ[١]، قال قتادة: وَاللَّهِ، ما عَاتَبَ اللَّهُ قَوْمَهُ بَعْد قَتْلِه حَتَّى أَهْلَكَهُمْ[٢].

وقال ابن مسعود: أراد: لَمْ يَحْتَجْ فِي تَعْذِيبِهِمْ إلى جُنْدٍ، بلْ كَانَتْ صَيْحَةٌ واحِدَةٌ؛ لأنهم كانُوا أيْسَرَ وأهْوَنَ من ذلك[٣]، واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿وما كنا منزلين﴾ فقالت فرقة: «ما» نافيةٌ، وقالت فرقة: «ما» عَطْفٌ عَلَى جندٍ، أي: من جند ومن الذي كنَّا منزلينَ على الأممِ مثلهم قبلَ ذلكَ، و«خامدون» أي: ساكنُونَ موتَى.

وقوله تعالى: ﴿يا حسرة﴾ الحسرةُ التَلَهُّفُ: وذلك أن طِباعَ كُلِّ بَشَرٍ تُوجِبُ عَنْدَ سَمَاعِ حَالِهِمْ وعَذَابِهم على الكُفْرِ وَتَضْيِيعِهِم أمْرَ اللَّهَ، أن يُشْفِقَ وَيَتَحَسَّرَ على العِبَاد، وقال الثَّعْلَبِيُّ: قال الضَّحَّاك: إنها حسرةُ الملائِكَة على العباد في تكذيبِهِمُ الرسل، وقال ابن عباس: حلُّوا مَحَلَّ مَنْ يتَحَسَّرُ عَلَيْهِ، انتهى. **وقرأ** الأعرج[٤] وأبو الزنَاد ومسلم بن جندب: (يا حَسْرَهْ) بالوقفِ على الهاء وهو أبلغ في معنى التَحَسُّرِ والتَّشْفِيقِ وهَزِّ النَفْسِ.

وقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من رسول...﴾ الآية، تمثيلٌ لِفِعْلِ قُرَيْشٍ؛ وإيَّاهم عَنى

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٧) برقم: (٢٩١١١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٧) برقم: (٢٩١١٣)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٩).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٣٧) برقم: (٢٩١١٤)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٦٩).

(٤) وقد استثقلها أبو الفتح، وأطال الكلام حولها.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٠٨، ٢١١)؛ و«مختصر الشواذ» (١٢٥)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣١٨)، و«الدر المصون» (٥/ ٤٨١).

بقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا﴾، وقرأ جمهورُ الناس «لَمَا جَمِيعٌ» ـ بتخفيف الميم ـ، وذلك على زيادة «ما» للتأكيد والمعنى: لَجَمِيعٌ، وقرأ عاصمٌ والحسَنُ وابن جبير[١] (لَمَّا) ـ بشدِّ الميم ـ، قالوا: هي بمنزلة «إلاَّ» و﴿مُحْضَرُونَ﴾ قال قتادة: مُحَشَّرُونَ يوم القيامة[٢].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وآية لهم الأرضُ الميتة أحييناها...﴾ الآية، و﴿آية﴾: معناه وعلامةٌ على الحَشْرِ وبَعْثِ الأجْسَادِ، والضميرُ في (لهم) لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ، والضميرُ في (ثَمَرِهِ) قيل هو عائدٌ على الماءِ الذي تَضَمَّنَه ذكرُ العيونِ، وقيلَ: هو عائدٌ على جميع مَا تَقَدَّمَ مُجْمَلاً: كأنه قال: مِنْ ثَمرِ مَا ذَكَرْنَا «وما» في قوله: ﴿وما عملته أيديهم﴾ قال الطبري[٣]: هي اسمٌ معطوفٌ على الثمر، أي: يقع الأكل مِن الثمرِ، ومما عملتهُ الأيدِي بالغَرْسِ والزِّراعَةِ ونحوِهِ.

وقالت فرقة: هي مصدريةٌ وقيل: هي نافيةٌ، والتقديرُ أنهم يأكلون من ثمره وهُو شَيْءٌ لَمْ تَعْمَلْه أيديهم؛ بل هي نعْمَة مِنَ اللَّهِ تعالى عليهم، والأزواجُ: الأنواع من جميع الأشياء.

وقوله: ﴿ومما لا يعلمون﴾ نظيرُ قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) وقرأ بها ابن عامر، وحمزة، والكسائي.
ينظر: «معاني القراءات» (٢/ ٣٠٥)، و«العنوان» (١٥٩)، و«حجة القراءات»(٥٩٧)، و«إتحاف»» (٢/ ٤٠٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣١٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٣٩) برقم: (٢٩١١٩)، بلفظ: أي هم يوم القيامة، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٢)، والسيوطي في «تفسيره» (٥/ ٤٩٣)، بلفظ: «يوم القيامة»، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٤٠).

وقوله تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ هذه الآياتُ جعلَها اللّهُ عز وجل أدلةً على قدرتِه ووُجوبِ الألوهية له، و﴿نسلخ﴾ معناه نَكْشِطُ ونُقَشِّرُ: فهي اسْتِعارة.

قلت: قال الهروي: قوله تعالى: ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ أي: نخرجه منه إخراجاً لا يَبْقَى من ضَوْءِ النهار معه شيء، انتهى. و﴿مظلمون﴾ داخلون في الظلام، ومُسْتقَرِّ الشَّمْسِ: ـ على ما في الحديث عن النبي ﷺ من طريق أبي ذَرٍّ ـ «بَيْنَ يَدَي العَرْشِ
٨٧ أ تَسْجُدُ فِيه كُلَّ لَيْلَةٍ بَعْدَ غُرُوبِها» وهو في البخاري[١]؛ وفي حديثٍ آخر «أنَّهَا تَسْجُدُ/ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ»[٢] و﴿منازلَ﴾ منصوبٌ عَلى الظَّرفِ وهي المنازِلُ المعروفةُ عندَ العرَب، وهي ثمانيةٌ وعِشرُونَ مَنْزِلَةً يَقْطَع القَمَرُ مِنها كلَّ لَيْلَةٍ مَنْزِلَةً، وعَودَتُه هي استهلالُه رَقِيقاً وحينئذ يُشْبه العُرْجُونَ، وُهو الغُصْنُ مِنَ النَّخْلَةِ الذي فيه شَمَارِيخُ التَّمْرِ، فإنَّه يَنْحَنِي وَيَصْفَرُّ إذا قَدِمَ، ويَجِيءُ أشْبَهَ شَيءٍ بِالهلال؛ قاله الحسَن[٣]، والوُجود يَشْهَدُ له، و﴿القديم﴾ معناه: العَتِيقُ الذي قَدْ مَرَّ عَلَيْهِ زَمَنٌ طَوِيلٌ، وَ﴿يَنْبَغِي﴾ هنا مُسْتَعْمَلَة فيما لا يمكنُ خِلاَفُه؛ لأنها لاَ قُدْرَةَ لَهَا عَلى غَيْرِ ذلك، والـ«فلك» فيما رُوِيَ عنِ ابْنِ عَباسٍ مُتَحَرِّك مُسْتَدِير كَفَلْكَةِ المغزَلِ فِيهِ جَمِيعُ الكَوَاكِبِ[٤] و﴿يسبحون﴾ معناه: يَجْرُونَ وَيَعُومُونَ.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٥) كتاب «التوحيد» باب: وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم برقم: (٧٤٢٤)، (٨/ ٤٠٢) كتاب «التفسير» باب: ﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (٤٨٠٢)، (٦/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، كتاب «بدء الخلق»، باب: صفة الشمس والقمر ﴿بحسبان﴾ (٣١٩٩)، ومسلم (١/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤) ـ الأبي، كتاب «الإيمان» باب: الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان (٢٥٠/ ١٥٩)، وأبو داود (٢/ ٤٣٣)، كتاب «الحروف والقراءات» باب: (١)، (٤٠٠٢) نحوه، والترمذي (٤/ ٤٧٩)، كتاب «الفتن» باب: ما جاء في طلوع الشمس من مغربها (٢١٨٦)، والنسائي في «التفسير» (٢/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥)، تفسير سورة يس (٤٥٠)، والنسائي في **«الكبرى»** (٦/ ٤٣٩) كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ (١١٤٣٠/ ١).
قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ينظر: الحديث السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٤٤٢) برقم: (٢٩١٢٥)، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٥٤)، وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٤٩٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٤٤٣) برقم: (٢٩١٣٧)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٥٤)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٣/ ٥٧٣).

وقوله تعالى: «وآية لهم أنا حملنا ذرياتهم في الفلك» الآية، ذكرَ الذرية لِضَعْفِهم عن السفر، فالنعمةُ فيهم أمْكَنُ، والضمير المتصل بالذريات، هو ضميرُ الجنس، كأنه قال: ذرياتُ جنسِهم أو نوعِهم؛ هذا أصح ما يتجه في هذا.

وأما معنى الآية؛ فقال ابن عباس وجماعةٌ: يريد بالذرياتِ المحمولينَ: أصحابَ نوحٍ في السفينةِ، ويريد بقوله: ﴿من مثله﴾ السفن الموجودةَ في جنسِ بني آدم إلى يوم القيامة، وإيَّاها أرَادَ بقوله: ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾[(١)]، وقال مجاهدٌ وغيرُه: المراد بقوله: «أنا حملنا ذرياتهم في الفلك المشحون»: السفنُ الموجودةُ في بني آدم إلى يوم القيامة، ويريد بقوله: ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ الإبلَ وسائرَ ما يُرْكَبُ؛ فتكون المماثلة في أنه مركوبٌ مُبَلِّغٌ إلى الأقطار فقط، ويعودُ قولهُ: ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ على السفنِ الموجودةِ في الناس[(٢)]، والصريخُ؛ هنا بمعنى المُصْرِخِ المُغِيثِ.

وقوله تعالى: ﴿إلا رحمة منا﴾ قال الكسائيُّ: نصبَ ﴿رحمةً﴾ على الاسْتِثْنَاءِ، كأنه قال: إلاَّ أنْ نَرْحَمَهُمْ.

وقوله: ﴿إلى حين﴾ يريدُ إلى آجالِهم المضروبةِ لهم، ثم ابْتَدَأَ الإخبارَ عَنْ عُتُوِّ قريشٍ بقوله: ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم﴾ قال قتادة ومقاتل: ما بين أيديهم: هو عذابُ الأمم الذي قد سَبَقَهُمْ في الزمن[(٣)]؛ وهذا هو النظرُ الجيدُ: وقال الحسنُ: خُوِّفُوا بما مضَى من ذنوبِهم؛ وبما يأتي منها[(٤)]، قال * ع *: وهذا نحوُ الأولِ في المعنى.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم اللّه . . .﴾ الآية، الضميرُ في قوله

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٥).
(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٥).
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٤٧) برقم: (٢٩١٦٨) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٤)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٥) كلاهما عن قتادة ومقاتل، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٩٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.
(٤) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٥).

﴿لهم﴾ لقريشٍ؛ وسبب الآيةِ أن الكفارَ لمَّا أسلمَ حواشِيهم مِنَ الموالي وغيرِهِمْ، والمستضعفين، قطعوا عنهم نَفَقَاتِهم وصِلاَتِهم، وكان الأمرُ بمكةَ أَوَّلاً فيه بعض الاتِّصَال في وقت نزول آيات المُوَادَعَةِ، فَنَدَبَ أولئك المؤمنونَ قَرَابَاتِهم من الكفارِ، إلى أَنْ يَصِلُوهُمْ ويُنْفِقُوا عليهم، مِمَّا رَزَقَهُم اللَّه؛ فقالوا عند ذلك: ﴿أنطعم من لو يشاء اللَّه أطعمه﴾.

وقالتْ فرقة: سبب الآيةِ أنَّ قريشاً شَحَّتْ بِسَبَبِ أزمةٍ على المساكينِ جميعاً مُؤمن وَغَيْرِ مؤمن، فَنَدَبَهُم النبيُّ ﷺ إلى النَّفَقَةِ على المساكينَ، وقولهُم يَحْتَمِلُ معنيين:

أحدهما: يخرَّج على اختيارٍ لجُهَّالِ العَرَبِ، فَقَد رُوِيَ أن أعْرَابِيًّا كان يرعى إبله فيجعلُ السِّمَانَ في الْخِصْبِ، والمَهَازِيلَ في المَكَانِ الجَدْبِ، فقيل له في ذلك؛ فقال: أَكْرِمُ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ وأهين ما أهانَ اللَّهُ، فيخرَّج قولُ قريشٍ على هذا المعنى، ومن أمثالهم: «كُنْ مَعَ اللَّهِ عَلَى المدبِرِ».

والتأويل الثاني: أن يكونَ كلامُهم بمعنى الاسْتِهْزَاءِ بقول محمد ـ عليه السلام ـ: إنَّ ثَمَّ إلٰهاً هو الرزَّاقُ، فكأنهم قالوا: لِمَ لاَ يَرْزُقُهم إلٰهك الذي تزعم، أي: نحن لا نطعم من لو يشاء هذا الإله الذي زعمْتَ، لأَطْعَمَهُ.

٨٧ ب / وقوله تعالى: ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ من قول الكَفَرَةِ للمؤمنين، أي: في أمركم لنا بالنفقةِ؛ وفي غير ذلكَ من دينكم، ويحتملُ أن يكون من قولِ اللَّهِ تعالى للكفرةِ. وقولهم: ﴿متى هذا الوعد﴾ أي: متى يوم القيامة.

وقيل: أرادوا: متى هذا العذابُ الذي تَتَهَدَّدُنَا به، و﴿ما ينظرون﴾ أي: يَنْتَظِرُونَ، و«ما» نافيةٌ، وهذه الصيحةُ هي صيحةُ القيامةِ؛ وهي النَّفْخَةُ الأولَى، وفي حديثِ أبي هريرةَ[١] أن بَعْدَهَا نَفْخَةَ الصَّعْقِ، ثم نَفْخَةَ الحَشْرِ، وهي التي تَدُومُ؛ فَمَا لها مِنْ فَوَاقٍ، وأصل ﴿يَخِصِّمُون﴾: يَخْتَصِمُونَ، والمعنى: وهم يَتَحَاوَرُونَ ويتراجعونَ الأَقْوَالَ بَيْنَهُمْ، وفي مُصْحَفِ أُبَيِّ بن كَعْبٍ «يختصمون»[٢]، ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾؛ لإعجالِ الأمرِ، بلْ تَفِيضُ أنفسهم؛ حيثُ مَا أَخَذَتْهُم الصيحةُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١١٦) كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح﴾ برقم: (٤٦٠٤)، ومسلم (٤/ ١٨٤٣) كتاب «الفضائل» باب: من فضائل موسى عليه السلام (١٥٩/ ٢٣٧٣).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٢٥)، و«الدر المصون» (٥/ ٤٨٧).

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٥٣ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٥٤﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ هذه نَفْخَةُ البعثِ، والأَجْدَاثُ: القبُور، و﴿ينسلون﴾ أي يَمْشُونَ مُسْرِعِين. وفي قراءة ابن مسعود[١]: «مَنْ أَهَبَّنَا مِنْ مَرْقَدِنَا»، وَرُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وغيرِهِ: أن جميعَ البَشَرِ يَنَامُونَ نَوْمَةً قَبْلَ الحشرِ[٢].

قال * ع[٣] *: وهذا غيرُ صحيحِ الإِسْنَاد، وإنما الوجهُ في قولهم: ﴿مِن مَّرْقَدِنَا﴾: أنها اسْتِعَارَةٌ؛ كَمَا تَقُولُ في قتيلٍ: هذا مرقَدُه إلى يومِ القيامةِ.

وقوله: ﴿هذا ما وعد الرحمٰن﴾ جوَّزَ الزَّجَّاجُ أَنْ يكونَ «هذا» إشارةً إلى المَرْقَدِ، ثم اسْتَأْنَفَ ﴿ما وعد الرحمٰن﴾ ويُضْمِرُ الخبرَ «حق» أو نحوه، وقال الجمهور: ابتداءُ الكلامِ: ﴿هذا ما وعد الرحمٰن﴾ واخْتُلِفَ في هذه المقَالَةِ مَنْ قالَها؟ فقال ابن زيد: هيَ مِنْ قَوْلِ الكفرةِ[٤]، وقال قتادة ومجاهد: هي من قولِ المؤمنينَ للكفارِ[٥].

وقال الفراء: هي مِنْ قَوْلِ الملائكةِ[٦]، وقالت فرقة: هي مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ـ تعالى ـ على جِهَةِ التَّوْبِيخ، وباقي الآية بيِّنٌ.

---

(١) ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢١٤)، و«الكشاف» (٤/ ٢٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٨).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥١) برقم: (٢٩١٨٠)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٤)، والسيوطي في «تفسيره» (٥/ ٤٩٩)، وعزاه لابن الأنباري عن أبيّ بن كعب.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٨).
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥١) برقم: (٢٩١٨٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٤).
(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥١) برقم: (٢٩١٨٤) عن مجاهد، وعن قتادة برقم: (٢٩١٨٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥) عن مجاهد، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٤) عن غير واحد من السلف، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٠)، وعزاه لهناد في «الزهد» وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري عن مجاهد، ولعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.
(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٨)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٤) عن الحسن، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٠)، وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة اليومَ في شغل﴾ قال ابن عباس وغيره: هو افْتِضَاضُ الأبكار[١].

وقال ابن عباس أيضاً: هو سماع الأوتارِ[٢].

وقال مجاهد: معناهُ: نعيمٌ قَدْ شَغَلَهُمْ[٣].

قال * ع[٤] *: وهذا هو القول الصحيح؛ وتعيينُ شَيْءٍ دونَ شَيْءٍ لا قياسَ له.

وقوله سبحانه: ﴿هم وأزواجهم في ظلال﴾ جاءَ في «**صحيح البخاري**» وغيره عَن النبيّ ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّه، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالمَسْجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابًّا في اللَّه، اجتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ فَقَال: إنِّي أخافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ؛ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَىٰ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[٥] انتهى. وهذا الظِّلُّ المذكورُ في الحديث؛ هو في المَحْشَرِ.

قال الشيخ ابن أبي جَمْرَةَ (رضي اللَّه عنه): وظِلاَلُ الآخِرَةِ، ما فيها مُباحٌ؛ بل كلُّها قد تملكت بالأَعْمَالِ التي عملها العاملون الذين هَدَاهُم اللَّه تعالى؛ فليسَ هناك لصعلوكِ الأَعْمَالِ ظلٌّ، انتهى؛ وهو كما قال، فشَمِّرْ عَنْ سَاقِ الجِدِّ؛ إن أردتَ الفوز؛ أيُّها الأخُ والسلام. و﴿الأرائك﴾: السررُ المفروشةُ، قيل: ومِنْ شَرْطِها أنْ تَكُونَ عليها حَجَلَة وإلاَّ

---

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٤٥٢) عن عبد اللَّه بن مسعود برقم: (٢٩١٨٧)، وعن ابن عباس برقم: (٢٩١٨٨)، وعن سعيد بن المسيب برقم: (٢٩١٩١)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٥)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٥٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٥٧٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٠٠)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا في «**صفة الجنة**»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس. ولعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وعبد اللَّه بن أحمد في «**زوائد الزهد**»، وابن المنذر عن ابن مسعود.

(٢) ذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٥٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٣/ ٥٧٥).

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٤٥٢) برقم: (٢٩١٩٢)، بلفظ: «في نعمة»، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٥٨).

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٥٨).

(٥) تقدم تخريجه.

فليستْ بأرِيكةٍ؛ وبذلك قيَّدها ابن عَبَّاسٍ وغيره[1].

وقوله: ﴿ما يدعون﴾ بمنزلةِ ما يَتَمَنَّوْنَ.

١٨٨أ قال أبو عُبَيْدَةَ: العربُ تقولُ: ٱدَّعِ عَلَيَّ ما شِئْتَ/ بمعنى: تَمَنَّ عَلَيَّ.

وقوله: ﴿سلام﴾ قِيلَ: هي صفةٌ، أي: مُسَلَّمٌ لَهم، وخالصٌ، وقِيل: هو مبتدأ، وقيل: هو خبرُ مبتدإٍ.

﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وامتازوا اليوم﴾ فيه حَذْفٌ تقديره؛ ونقول للكفرة، «وامتازوا» معناه: انْفَصِلُوا وانْحَجِزُوا؛ لأن العَالَمَ فِي الموقف إنما هم مختلطون. قُلْتُ: وهَذَا يَحْتَاجُ إلى سَنَدٍ صحيح، وفي الكلام إجمال، ويومُ القيامةِ هو مواطن، ثم خاطَبَهُمْ تعالى لما تَمَيَّزُوا، تَوْبِيخاً وتَوْقِيفاً على عَهْدِهِ إليهم ومخالفتِهم له، وعبادةُ الشيطانِ هي طاعتُهُ والانقياد لإغوائِهِ.

وقوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ إشارةٌ إلى الشرائع؛ إذ بعَثَ اللَّهُ آدم إلى ذريتِه؛ ثمَّ لَمْ تَخْلُ الأرْضُ من شريعةٍ إلى خَتْمِ الرسالةِ بسيدِنا محمدٍ خَاتَمِ النبيِّينَ، و«الجِبِلُّ»: الأمةُ العظيمة، ثم أَخْبَرَ سبحانَهُ نبيَّه محمَّداً ـ عليه السلام ـ أخبَاراً تُشارِكُهُ فيه أُمَّتُه؛ بقوله: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْوَاهِهِم﴾ وذلك أن الكفارَ يَجْحَدُونَ، ويَطْلُبُون شهيداً عليهم من أنفسهم؛ حَسْبَمَا وَرَدَ في الحديث الصحيح؛ فعندَ ذلِك يَخْتِمُ اللَّهُ ـ تعالى ـ على أفواههم، ويأْمُرُ جَوَارِحَهُمْ بالشَّهَادَةِ؛ فَتَشْهَدُ.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٤) عن ابن عباس برقم: (٢٩١٩٩) وعن مجاهد (٢٩٢٠٠)، وعن عكرمة (٢٩٢٠٣)، وعن قتادة (٢٩٢٠٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٥٩)، وزاد نسبته للحسن، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٥).

وقوله سبحانه: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ الضميرُ في «أَعْيُنِهِمْ» لكفارِ قريش، ومعنى الآية: تَبْيِينُ أَنَّهُمْ في قَبْضَةِ القدرة، وبِمَدْرَجِ العَذَابِ.

قالَ الحَسَنُ وقتادة: أراد الأَعْيُنَ حقيقة[١]، والمعنى: لأَعْمَيْنَاهُمْ؛ فلاَ يَرَوْنَ كَيْفَ يَمْشُونَ؛ ويؤيدُ هذا مجانسةُ المَسْخِ لِلْعَمَى الحَقِيقِيِّ.

وقوله: ﴿فاستبقوا الصراط﴾ معناه: على الفَرْضِ والتقدير، كأنَّه قال: ولو شِئْنَا لأَعْمَيْنَاهم، فَأَحْسِبْ أو قَدِّرْ أَنَّهُمْ يَسْتَبِقُونَ الصِّرَاطَ؛ وهو الطريقُ، فَأَنَّى لَهُمْ بالإِبْصَارِ، وَقَدْ أَعْمَيْنَاهُمْ، وعبارةُ الثَّعْلَبِيِّ: وقالَ الحسنُ والسدي: ولو نشاء لَتَرَكْنَاهُمْ عُمْياً يَتَرَدَّدُونَ؛ فَكَيْفَ يُبْصِرُونَ الطريقَ حينئذ، انتهى، وقال ابن عباس: أراد: أَعْيُنَ البَصَائِرِ[٢]؛ والمَعْنَى: لو شِئْنَا لَحَتَمْنَا عَلَيْهِمْ بالكُفْرِ؛ فلم يهتدِ منهم أحدٌ أبداً، وبَيَّنَ تعالى في تنكِيسِه المُعَمَّرِينَ، وأن ذلك مما لا يَقْدِرُ عليه إلا هو سبحانه، وتَنْكِيسُه: تَحَوُّلُ خَلْقِه من القوةِ إلى الضَّعْفِ؛ ومِنَ الفَهْمِ إلى البَلَهِ، ونَحْوُ ذلك.

ثم أَخْبَرَ تعالى عَن حالِ نبيه محمدٍ ـ عليه السلام ـ رَادًّا عَلى مَنْ قَال من الكفرة: إنه شَاعرٌ وإن القرآن شِعْرٌ ـ بقوله: ﴿وما علمناه الشعر...﴾ الآية.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

وقوله تعالى: «لتنذر من كان حياً» أي: حيَّ القَلْبِ والبَصِيرَةِ، ولم يكن مَيِّتاً لكُفْرِهِ؛ وهذه استعارةٌ، قال الضحاك: ﴿من كان حياً﴾ معناه: عاقِلاً[٣]، ﴿ويحق القول﴾ معناه:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٩) عن الحسن برقم: (٢٩٢١٧) وعن قتادة (٢٩٢١٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦١)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٧)، والسيوطي في «تفسيره» (٥/ ٥٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٨) برقم: (٢٩٢١٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦١)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٧٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٥٠٤)، وعزاه السيوطي لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«الأسماء والصفات»**.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦١) برقم: (٢٩٢٣١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٨٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٥٠٦)، وعزاه للبيهقي في **«شعب الإيمان»**.

يُحَتِّمَ العذابُ ويَجِبَ الخُلُودُ.

وقوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا﴾ الآية. مخاطَبَةٌ لقريشٍ أيضاً.

وقوله: ﴿أيدينا﴾ عبارةٌ عَنِ القُدْرةِ، واللَّه تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الجارِحَةِ.

وقوله تعالى: ﴿فهم لها مالكون﴾ تنبيهٌ على النِعْمَةِ.

وقوله: ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ أي: يُحْضَرُونَ لَهُمْ في الآخِرةِ عَلَىٰ معنى التوبيخِ والنِّقْمةِ، وسَمَّى الأصْنَامَ جُنْداً؛ إذْ هُمْ عُدَّةٌ للنِّقْمَة من الكفرة، ثم آنَسَ اللَّهُ نبيَّه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوله: ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ وَتَوَعَّدَ الكَفَرَةَ بقوله: ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة...﴾ الآية، والصحيحُ في سببِ نزولِ الآيةِ هو ما رَوَاهُ ابنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ؛ وقالهُ ابنُ إسْحَاقٍ وغيرهُ أن أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ؛
٨٨ ب جاء بعَظْم/ رَمِيم، فَفَتَّهُ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ وَحِيَالَهُ، وقَالَ: مَنْ يُحْيِي هذا يا محمد[1]؛ ولأبَيٍّ هذاَ مع النَّبِيِّ ﷺ مَقَامَاتٌ ومَقَالاَتٌ إلى أن قَتَلَهُ النبيُّ ﷺ بيدِهِ يومَ أحُدٍ؛ طَعَنَهُ بِحَرْبَةٍ في عنقه.

وقوله: ﴿ونسي خلقه﴾ يَحْتَمِلُ أنْ يكونَ نسيانَ الذُهُولِ، ويحتملُ أنْ يكُونَ نسيانَ التَّرْكِ، والرَّمِيمُ: البالي المُتَفَتِّتُ، وهو الرُّفَاتُ، ثم دلَّهُم سبحانه عَلى الاعْتِبَارِ بالنَّشْأَةِ الأولى، ثم عَقَّبَ تعالى بدليل ثَالِثٍ في إيجادِ النَّارِ في العُودِ الأَخْضَرِ المُرْتَوِي ماءً، وهذا

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٤) برقم: (٢٩٢٤٠) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٢٤٢) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٢٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٨١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٠٧)، وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

هو زِنَادُ العَرَبِ، والنارُ موجودةٌ في كل عودٍ غَيْرَ أَنَّها في المُتَخَلخِلِ المَفْتُوحِ المَسَامِّ أَوْجَدُ، وكذلك هو المَرْخُ والعَفَار، وجمعَ الضميرَ جَمْعَ مَنْ يَعْقِلُ في قوله: ﴿مثلهم﴾؛ من حيث إن السمواتِ والأَرْضَ متضمِّنةٌ مَنْ يَعْقِلُ من الملائِكَةِ والثَّقَلَيْنِ؛ هذا تأويلُ جماعةٍ، وقيل: ﴿مثلهم﴾ عائدٌ على الناسِ، وبَاقِي الآيَةِ بَيِّنٌ.

تفسير سورة «الصافات»

وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ
شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ
۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾.

قوله عز وجل: ﴿والصافات صفاً﴾ الآية، أقْسَمَ تعالى في هذه الآية بأشياءَ مِنْ مخلوقاتِه، قالَ ابنُ مسعودٍ وغيرُه: «الصافات» هي الملائكة تَصُفُّ في السماءِ في عبادةِ اللَّه عز وجل[(١)].

وقالت فرقة: المرادُ: صفوفُ بني آدم في القتال في سبيل اللَّهِ، قال * ع[(٢)] *: واللفظُ يَحْتَمِلُ أنْ يَعُمَّ هذه المذكوراتِ كلَّها، قال مجاهد: «وَالزاجِرات» هي الملائكة تَزْجُرُ السحابَ وغير ذلك من مخلوقاتِ اللَّه تعالى[(٣)]، وقال قتادة: «الزاجرات» هي آيات القرآن[(٤)]، و«التاليات ذِكْراً» معناه: القارئات، قال مجاهد: أراد الملائكة التي تَتْلُو ذِكره[(٥)]،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٧) عن مسروق برقم: (٢٩٢٤٧) وعن عبد اللَّه (٢٩٢٤٨)، وعن قتادة برقم: (٢٩٢٤٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢) عن ابن عباس والحسن وقتادة، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٠)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه من طرق عن ابن مسعود.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٥).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٧) برقم: (٢٩٢٥٢) عن مجاهد وبرقم: (٢٩٢٥٣) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥) عنهما، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٠)، وعزاه لابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة» عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٨) برقم: (٢٩٢٥٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، وابن كثير (٤/ ٢) عن الربيع بن أنس، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٠)، وعزاه لابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٨) برقم: (٢٩٢٥٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥).

وقال قتادة: أراد بني آدم الذين يَتْلُونَ كُتُبَهُ المنزلةَ وتسبيحَه وتكبيرَه ونحوَ ذلك[١]، والمُقْسَمُ عليه: قولهُ: ﴿إن إلٰهكم لواحد﴾.

وقوله: ﴿مَارِد﴾ قال العراقيُّ: مَارِدٌ سُخِطَ عَلَيْهِ، وهكذا ﴿مريد﴾ [الحج: ٣] انتهى؛ وهَذَا لَفْظُهُ، والمَلأ الأعلى: أهلُ السَّمَاءِ الدنيا فما فوقها، وسُمِّيَ الكُلُّ منهم أعلى؛ بالإضَافَةِ إلى ملإِ الأرْضِ الذي هو أسفلُ، والضمير في ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ للشياطين، وقرأ حمزة، وعاصم في رواية حفص: «لا يَسَّمَّعُونَ» ـ بشد السين والميم[٢] ـ، بمعنى: لا يَتَسَمَّعُونَ، فينتفي على قراءة الجمهورِ سَمَاعُهُمْ، وإن كانوا يستمعون؛ وهو المعنى الصحيحُ، ويغضُدُه قولهُ تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ [الشعراء: ٢١٢] ﴿ويقذفون﴾ معناه: يُرْجَمُونَ، والدُّحُورُ: الإصْغار والإهانَةُ، لأن الدَّحْرَ هو الدَّفْعُ بِعُنْفٍ، وقال البخاريُّ: ﴿ويقذفون﴾ يُرْمَوْنَ[٣] و﴿دحوراً﴾ مُطْرَدِين، وقال ابن عباسٍ: «مدحوراً» مَطْرُوداً[٤]، انتهى، والوَاصِبُ: الدائم؛ قاله مجاهد وغيره[٥]، وقال أبو صالح: الواصبُ: المُوجِعُ[٦]، ومنه الوَصَبُ، والمعنى: هذه الحالُ هي الغالبةُ على جميع الشياطين إلا مَنْ شَذَّ فَخَطَفَ خَبَراً أو نَبَأً، ﴿فأتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ فأحرقه، والثَّاقِبُ، النافِذُ بضوئه وشعاعِه المنيرِ؛ قاله قتادة وغيره[٧].

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥).

(٢) وقرأ بها الكسائي.
ينظر: «السبعة» (٥٤٦)، و«الحجة» (٦/ ٥٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٤٤)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣١٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٨٠)، و«العنوان» (١٦١)، و«حجة القراءات» (٦٠٥)، و«شرح شعلة» (٥٦٢)، و«إتحاف» (٢/ ٤٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٤٠٥) كتاب «التفسير» باب: سورة الصافات، معلقاً عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٢) برقم: (٢٩٢٧١) عن مجاهد بلفظ: «مطرودين»، وذكره ابن عطية في «تفسيره»(٤/ ٤٦٦) عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٣) برقم: (٢٩٢٧٦) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٢٧٧) عن ابن عباس وبرقم: (٢٩٢٧٨) عن عكرمة، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٤) برقم: (٢٩٢٨٠)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٧) عن قتادة، والسدي، وابن زيد.

وقوله تعالى: ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا﴾ أي: فلا يُمْكِنُهُمْ أن يقولوا إلا أنَّ خَلْقَ مَنْ سواهُم من الأمَم والملائِكَة، والجنِّ والسَّمواتِ والأرضِ والمشارِق والمغارِبِ
١٨٩ وغير ذلك ـ هو أشَدُّ مِنْ هؤلاءِ المخاطَبِينَ، وبأن الضمير/ في ﴿خَلَقْنَا﴾ يرادُ به ما تقدم ذكره، قال مجاهد وقتادة وغيرهما: ويُؤَيِّدُه ما في مصحف ابن مسعود «أُمْ مَنْ عَدَدْنَا»[١]؛ وكذلك قرأ الأَعْمَشُ[٢].

وقوله تعالى: ﴿إنا خلقناهم من طين﴾ أي: خلقُ أصلِهم وهو آدم ـ عليه السلام ـ، واللاّزِبُ: اللازمُ: يَلْزَمُ ما جاورَهُ ويَلْصَقُ به، وهُوَ الصَّلْصَالُ، ﴿بل عَجِبْتَ﴾ يا محمدُ مِنْ إِعْرَاضِهِم عن الحق، وقرأ حمزةُ والكسائي «بل عَجِبْتُ» ـ بضم التاء ـ[٣]؛ وذلك على أن يكونَ تَعَالَى هو المُتَعَجِّبُ ومعنى ذَلِكَ مِن اللَّه تعالى: أنه صِفَةُ فِعْلٍ، ونحوُه قولهُ ﷺ: «يَعْجَبُ اللَّهُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ» فإنَّما هِي عِبَارَةٌ عَمَّا يُظْهِرُهُ اللَّه ـ تعالى ـ في جَانِبِ المُتَعَجَّبِ مِنْهُ من التعظيمِ أو التحقير حَتَّى يصيرَ الناسُ مُتَعَجِّبِينَ مِنه، قال الثعلبي: قال الحسينُ بن الفضل: التعجبُ من اللَّهِ إنكارُ الشيء، وتعظيمهُ؛ وهو لغة العرب، انتهى.

وقوله: ﴿ويسخرون﴾ أي: وهمْ يَسْخَرُونَ من نُبُوَّتِكَ.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

وقوله: ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ يريدُ بالآية: العلامةَ والدلالة، ورُوِيَ أنَّها نزلت في رُكَانة وَهُوَ رَجُلٌ من المشركينَ مِن أهلِ مكةَ؛ لقيَهُ النبيُّ ﷺ في جَبَلٍ خَالٍ وهُوَ يَرْعَىٰ غَنَماً له؛ وكانَ أقْوَىٰ أهْلِ زَمانِه، فقال له النبيُّ ﷺ: «يَا رُكَانَةُ؛ أَرَأَيْتَ إنْ صَرَعْتُكَ؛ أَتُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ ثَلاثَاً، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْهِ آيَاتٍ مِنْ دُعَاءِ شَجَرَةٍ وإِقْبَالِهَا،

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٤٦٧)، و«البحر المحيط» (٧/٣٣٩).
(٢) يعني: مخففة الميم.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٤٦٧)، و«البحر المحيط» (٧/٣٣٩)، و«الدر المصون» (٥/٤٩٧).
(٣) ينظر: «السبعة» (٥٤٧)، و«الحجة» (٦/٥٣)، و«إعراب القراءات» (٢/٢٤٥)، و«معاني القراءات» (٢/٣١٧)، و«شرح الطيبة» (٥/١٨١)، و«العنوان» (١٦١)، و«حجة القراءات» (٦٠٦)، و«شرح شعلة» (٥٦٢)، و«إتحاف» (٢/٤٠٨).

ونَحْوَ ذَلك مما اخْتَلَفَتْ فيه ألفاظُ الحديثِ، فَلَمَّا فَرَغَ ذلكَ لَم يُؤمِنْ، وجاءَ إلى مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا بني هَاشِم، سَاخِرُوا بِصَاحِبِكُمْ أَهْلَ الأرضِ، فنزلَتْ هذه الآية فيه وفي نُظَرَائِه، و﴿يستسخرون﴾ قَال مجاهد وقتادة: معناه: يَسْخَرُونَ[1]، ثم أمر تعالى نبيَّه أن يُجِيبَ تَقْرِيرَهُمْ وٱسْتِفْهامَهُمْ عَنِ البَعْثِ بـ﴿نَعَمْ﴾، وأن يزيدَهُمْ في الجواب، أَنَّهُمْ معَ البعث في صَغَارٍ وذِلَّةٍ واستكانةٍ، والدَّاخِرُ: الصَّاغِرُ الذليلُ، وقَدْ تَقَدَّمَ بيانهُ غيرَ ما مَرَّةٍ، والزَّجْرَةُ الواحدةُ: هِيَ نَفْخَةُ البَعْثِ، قال العِرَاقِيُّ: الزَّجْرَةُ: الصَّيْحَةُ بِأنْتِهَارٍ، انتهى. و﴿الدِّين﴾: الجزاءُ، وأجمَع المفسِّرُونَ على أن قولَه تعالى: ﴿هذا يَوْمُ الفَصْلِ الذي كُنْتُم به تكذِّبون﴾ لَيْسَ هو من قولِ الكَفَرَةِ وإنما المعنى: يُقَالُ لهم.

وقوله: ﴿وأزواجهم﴾ معناه: أنوَاعُهم وضُرَباؤهم؛ قاله عُمَرُ وَابْنُ عَبَّاسٍ وقتادة[2]، ومعهم ﴿ما كانوا يعبدون * من دون اللَّه﴾ مِنْ آدَمِيٍّ رَضِيَ بذلكَ، ومن صَنَم وَوَثَنٍ؛ توبيخاً لهم وإظهاراً لِسُوءِ حالهم، وقال الحسنُ: ﴿أزواجهم﴾ نساؤهم المشركاتُ: وقاله ابن عباس أيضاً[3].

وقوله تعالى: ﴿فاهدوهم﴾ معناه: قَدِّمُوهم واحملوهم على طريق الجحيم، ثم يأمر اللَّهُ تعالى بوقوفهم ـ على جِهَةِ التَّوْبِيخ لهم ـ والسؤال، قال جمهور المفسرين: يُسْأَلُونَ عن أعمالهم ويُوقَفُونَ على قُبْحِها، وقد تقدَّم قولهُ ﷺ: «لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ...» الحديثَ، قال * ع[4] *: ويَحْتَمِلُ عندي أنْ يكونَ المعنَىٰ علىٰ نحوِ ما فسَّره تعالَىٰ بقولِهِ: ﴿مَالَكُمْ لاَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٧) برقم: (٢٩٣٠٢) عن قتادة وبرقم: (٢٩٣٠٣) عن مجاهد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٧٩) برقم: (٢٩٣١٢) عن عمر بن الخطاب وبرقم: (٢٩٣١٣) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤) عن عمر، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٣)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وابن منيع في مسنده، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» من طرق النعمان بن بشير عن عمر، وللفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس، ولعبد بن حميد، وابن مردويه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩) عن الحسن وابن عباس، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤) عن ابن عباس.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٩).

تَنَاصَرُونَ﴾ أي: إنهم مسؤولونَ عن امْتِنَاعِهِم عن التَّنَاصُرِ؛ وهذا علَىٰ جهة التَّوْبِيخ، **وقرأ** خلق[1] «لا تَتَنَاصَرُونَ». * ت *: قال عِيَاضٌ في «**المدارك**»: كان أبو إِسْحَاقَ الجَبنياني ظَاهِرَ الحُزْنِ، كثيرَ الدَّمْعَةِ يَسْرُدُ الصِّيَامَ، قال ولده أبو الطاهِر: قال لي أبي: إن إنساناً بقي في آية سنةً لَمْ يَتَجَاوَزْهَا، وهِي قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ فقلتُ له: أَنْتَ هُوَ؟

٨٩ ب فَسَكَتَ، فعلمتُ أنَّه/ هو، وكانَ إذا دَخَلَ في الصَّلاَةِ: لَوْ سَقَطَ البيتُ الذي هو فيه، ما التَفَتَ، إقبالاً علَىٰ صَلاَتِهِ، وٱشْتِغَالاً بمناجَاة ربِّهِ، وكانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ تَضْيِيقاً عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ ثم عَلى أَهْلِه، وكان يأكلُ البَقْلَ البَرِّيَّ والجَرَادَ إذا وَجَدَهُ ويَطْحَنُ قُوتَهُ بِيَدِهِ شَعِيراً، ثم يَجْعَلُهُ بِنُخَالَتِهِ دَقِيقاً في قِدْرٍ مع مَا وَجَدَ مِنْ بَقْلٍ بَرِّيٍّ وَغيره، حتَّىٰ إنه رُبَّما رَمَى بِشَيْءٍ مِنْهُ لِكَلْبٍ أو هِرٍّ؛ فَلا يَأْكُلُهُ، وكانَ لِبَاسُهُ يَجْمَعُهُ مِنْ خِرَقِ المَزَابِلِ وَيُرَقِّعُهُ، وَكَانَ يَتَوَطَّأُ الرَّمْلَ، وَفي الشِّتَاءِ يَأْخُذُ قِفَافَ المَعَاصِرِ المُلْقَاةِ على المَزَابِلِ يجعلُها تَحْتَهُ، قال وَلَدُهُ أبو الطَّاهِرِ: وكنَّا إذا بَقِينَا بلا شَيْءٍ نَقْتَاتُه، كُنْتُ أَسْمَعُهُ في اللَّيْلِ يَقُولُ: [البسيط]

مَـالِي تِـلاَدٌ ولاَ ٱسْـتَـطْرَفْـتُ مِـنْ نَـشَـبِ ... وَمَــا أُؤَمِّــلُ غَــيْــرَ الــلَّــهِ مِــنْ أَحَــدِ
إِنَّ الْـقُـنُـوعَ بِـحَـمْـدِ الـلَّـهِ يَـمْـنَـعُـنِـي ... مِــنَ الــتَّــعَــرُّضِ لِــلْــمَــنَّــانَــةِ الــنَّــكِــدِ

انتهى.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ هذه الجماعَةُ التي يقْبِلُ بعضُها على بعضٍ هي جِنٌّ وإنسٌ؛ قاله قتادة[2]، وتَساؤُلُهم هو على معنى التَّقْرِيعِ واللَّوْمِ والتَّسَخُّطِ، والقائلون: ﴿إنكم كنتم تأتوننا﴾ إما أنْ يكونَ الإنسُ يقولونها للشياطينِ؛ وهذا قول مجاهد وابن زيد[3]، وإما أنْ يكونَ ضَعَفَةُ الإنسِ يقولُونَهَا لِلكبراءِ والقادةِ، واضطرَبَ

---

(١) وقع في المطبوعة: «وقرأ خالد»، وهو تحريف، والصواب: خلق، كما أثبتناه.
وينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٤٨١) برقم: (٢٩٣٢٧)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٦٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥١٥)، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٤٨١) برقم: (٢٩٣٢٨) عن مجاهد وبرقم: (٢٩٣٣١) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٦٩) عنهما، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥١٥)، كلاهما عن مجاهد، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

المُتَأَوِّلُونَ في معنى قولهم: ﴿عن اليمين﴾؛ فعبَّر ابنُ زيد وغيرُه عنه بطريقِ الجَنَّةِ[١]، ونحو هذا من العباراتِ التي هي تفسيرٌ بالمَعْنَىٰ، ولا يختصُّ بنَفْسِ اللَّفْظَةِ، والذي يخصُّها مَعَانٍ: منها أن يريدَ باليمين: القوةَ. أي: تحملونَنَا على طريقِ الضَّلاَلَةِ بقوةٍ، ومنها أن يريدَ باليمينِ. اليُمْنَ، أي: تأتوننا من جِهَةِ النصائِحِ والعملِ الذي يُتَيَمَّنُ به، ومن المعاني التي تحتملها الآيةُ؛ أن يريدوا: إنكم كُنتم تجيئُونَنَا من جهة الشَّهَوَاتِ، وأكثرُ ما يَتَمكَّنُ هذا التأويلُ مع إغواء الشياطين، وقيلَ: المعنَىٰ تَحْلِفونَ لنا، فاليمينُ علَىٰ هذا: القَسَمُ، وقد ذَهَبَ بعضُ العلماءِ في ذكرِ إبليسَ جهاتِ بني آدم في قوله: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٧] إلى ما ذكرناه من جهةِ الشهوات. ثم أَخْبَرَ تعالى عن قول الجِنّ المجيبينَ لهؤلاءِ بقولهم: ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾، أي: ليس الأَمْرُ كما ذكرتمْ؛ بل كانَ لكمُ اكتسابُ الكُفرِ؛ وما كانَ لنَا عليكم حُجَّةٌ، وبنحو هذا فَسَّرَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ قولُ الجِنِّ إلى ﴿غاوين﴾[٢]. ثم أَخْبَرَ تعالى بأنهم جميعاً في العذابِ مشتركون، وأنَّ هذا فعلُه بأهل الجُرْم والكُفر.

﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

وقوله سبحانه: ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا اللَّه...﴾ الآية، قُلْتُ: جاء في فضل «لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ» أحاديثُ كثيرةٌ؛ فمنها ما رواه أبو سعيدِ الخُدْرِيُّ عن النبي ﷺ أنه قال: قَالَ مُوسَىٰ: يَا رَبِّ؛ عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ بِهِ، وأَدْعُوكَ بِهِ، قال: قُلْ يَا مُوسَى: «لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ» قال: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: «لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ» قَالَ: إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئاً تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَىٰ، لَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعَ والأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ، و«لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ» في كِفَّةٍ ـ مَالَتْ بِهِنَّ «لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللَّهُ»[٣] ـ رواه النسائي وابن حِبَّانَ في

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٢) برقم: (٢٩٣٣٢)، بلفظ: قال: قالت لهم الجن: ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ حتى بلغ: ﴿قوماً طاغين﴾، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٠).

(٣) أخرجه ابن حبان (١٤/ ١٠٢) كتاب «التاريخ» باب: ذكر سؤال كليم اللَّه ربه أن يعلمه شيئاً يذكره، برقم: (٦٢١٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: أفضل الذكر والدعاء، برقم: (١٠٦٧٠/٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ١٠٢، ١٠٣، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٨)، برقم: (٤٢٠/ ١٣٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٨).

=

١٩٠ أ «صحيحه»، واللفظ لابن حِبَّان، وعنه ﷺ قال: «وقول لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ/ لاَ تَتْرُكُ ذَنْباً وَلاَ يُشْبِهُهَا عَمَلٌ»[١]، رواه الحاكم في «المُسْتَدْرَكِ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ» وقال صحيح الإسْنَاد، انتهى منَ «السِّلاح»، والطائفةُ التي قالَتْ: ﴿أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ هي قريشٌ وإشارتهم بالشاعر إلى النبيِّ ﷺ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بقوله: ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ الذينَ تَقَدَّمُوهُ، ثم أَخْبَرَ تعالَىٰ مخاطباً لهم بقوله: ﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم﴾ الآية.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿إلا عباد اللَّه المخلصين﴾ استثناءٌ مُنْقَطِعٌ وهؤلاءِ المؤمنون.

وقوله: ﴿معلوم﴾ معناه: عندهُمْ.

وقوله: ﴿بيضاء﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ يعودَ على الكأسِ، ويحتملُ أنْ يعودَ على الخَمْرِ، وهو أظهرُ، قال الحسنُ: خَمْرُ الجَنَّةِ أَشَدُّ بياضاً مِنَ اللَّبَنِ[٢]، وفي قراءة ابن مسعود[٣]: «صفراء» فهذا وصفُ الخمرِ وحدَها، والغَوْلُ: اسمٌ عامٌّ في الأذى، وقال ابن عباس وغيره: الغَوْلُ: وَجَعٌ في البطْنِ[٤]، وقال قتادةُ هو صُدَاعٌ في الرَّأْسِ[٥] و﴿ينزفونَ﴾ من

= قال الحاكم: هذا حديث صحيح.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٥): رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٤)، وقال: صحيح.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٢).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٤٤)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٠١)، و«مختصر الشواذ» ص: (١٢٨)، وزاد نسبتها إلى الحسن والضحاك.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٥) برقم: (٢٩٣٤٩) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٣٥٠) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٣٥١) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٢) عنهم، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦) أيضاً عنهم، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٧)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ولهناد، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن مجاهد، ولعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٥) برقم: (٢٩٣٤٨) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٢) عن ابن عباس، وقتادة، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧) عنهما، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٦) أيضاً عنهما، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس، ولعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

قولك: نُزِفَ الرَّجُلُ إذا سَكِرَ، وبإذْهابِ العَقْلِ فَسَّره ابن عباس[١]، وقرأ حمزة والكسائي «يُنْزِفُونَ» بكسرِ الزاي[٢] من «أَنْزَفَ» وله معنيان:

[أحدهما: سَكِر.

والثاني: نَفِدَ شَرَابُه.

وهذا كله مَنْفِيٌّ عَنْ أهلِ الجنَّةِ.

و﴿قاصرات الطرف﴾][٣] قال ابن عباس وغيره معناه على أزواجهن[٤]، أي: لا ينظُرْنَ إلى غيرهم، و﴿عِين﴾: جَمْعُ «عَيْناءَ»، وهي الكَبِيرةُ العَيْنينِ في جَمَالٍ.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ قال ابن جبير والسُّدِّيُّ: شَبَّه ألوانَهُنَّ بِلَوْنِ قِشْرِ البَيْضَةِ الداخليِّ، وهو المكنونُ[٥]، أي المَصُونُ، ورجَّحه الطبريُّ[٦]، وقال الجمهور: شَبَّه أَلْوَانَهُنَّ بَلَوْنِ قِشْرِ البَيْضَةِ من النَّعَام، وهو بياضٌ قَدْ خالَطَتْهُ صُفْرَةٌ حَسَنَةٌ، و﴿مكنون﴾ أي: بالريش، وقال ابن عباس فيما حَكَى الطَّبريُّ: «الْبَيْضُ الْمَكْنُونُ» أَرَادَ به الجَوْهَرَ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٦) برقم: (٢٩٣٥٦) عن ابن عباس وبرقم: (٢٩٣٥٨) عن مجاهد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٢) عن ابن عباس وقتادة، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٤٧)، و«الحجة» (٦/ ٥٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٤٦)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣١٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٨٣)، و«العنوان» (١٦١)، و«حجة القراءات» (٦٠٨)، و«شرح شعلة» (٥٦٢)، و«إتحاف» (٢/ ٤١١).

(٣) سقط في: د.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٧) برقم: (٢٩٣٦٢) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٣٦٣) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٣٦٤) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣) وزاد نسبته لابن زيد وقتادة، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٧)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس، ولعبد بن حميد عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٨) برقم: (٢٩٣٧١) عن سعيد بن جبير وبرقم: (٢٩٣٧٢) عن السدي.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٤٨٩).

المَصُونَ[١]، قال * ع[٢] *: وهذا يَرُدُّهُ لَفْظُ الآيةِ، فلا يَصِحُّ عَنِ ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم...﴾ الآيَةَ، هذا التَّساؤُلُ الذي بَيْنَ أهْلِ الجَنَّةِ هو تساؤُلُ رَاحَةٍ وَتَنَعُّم؛ يَتَذَاكَرُونَ أُمُورَهُمْ في الجَنَّةِ وأَمْرَ الدنيا وحالَ الطَّاعَةِ والإيمَانِ فيها، ثم أَخْبَرَ تعالَىٰ عَنْ قَوْلِ قائِلٍ منهم في قِصَّتِهِ، وهو مثالٌ لِكُلِّ مَنْ لَهُ قَرِينُ سَوْءٍ، فَيُعْطِي هَذَا المثالُ التَّحَفُّظَ مِنْ قُرَنَاءِ السوءِ، قال الثعلبيُّ: قوله: ﴿إني كان لي قرين﴾ قال مجاهد: كان شَيْطَاناً[٣]، انتهى، وقال ابنُ عباس وغيره: كان هذانِ منَ البَشَرِ؛ مُؤمِنٌ وكَافِرٌ[٤]، وقال فُرَاتُ بْنُ ثَعْلَبَةَ البَهْرَانِيُّ في قَصَصِ هَذَيْنِ: إنَّهُمَا كَانَا شَرِيكَيْنِ بثمانيةِ آلاف دينارٍ، فكَانَ أحدُهُمَا مَشْغُولاً بِعِبَادةِ اللَّهِ، وكان الآخرُ كافراً مُقْبِلاً عَلَىٰ مَالِهِ، فَحَلَّ الشَّرِكَةَ مع المؤمِنِ وَبقِيَ وَحْدَه لِتَقْصِيرِ المؤمِنِ في التِّجَارَةِ، وجَعَلَ الكَافِرُ كُلَّمَا اشْتَرَى شَيْئاً من دَارٍ أو جَارِيةٍ أو بستانٍ ونحوِهِ، عرضه عَلى المؤمِنِ وفَخَرَ عليه، فَيَمْضِي المؤمِنُ عندَ ذلكَ، وَيَتَصَدَّقُ بنحوِ ذلك؛ لِيَشْتَرِيَ به من اللَّهِ تعالَىٰ في الجَنَّةِ، فكانَ مِنْ أمرِهِمَا في الآخِرَةِ ما تَضَمَّنَتْهُ هذه[٥] الآية، وحكى السُّهَيْلِيُّ أن هذين الرجلَيْنِ هما المذكورانِ في قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ...﴾ الآية [الكهف: ٣٢] انتهى، و«مَدِينُونَ» معناه: مُجَازَوْنَ مُحَاسَبُونَ؛ قاله ابن عَبَّاس وغيره[٦].

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٨٩) برقم: (٢٩٣٧٥) بلفظ: اللؤلؤ المكنون، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٧)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٣).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٠) برقم: (٢٩٣٧٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٨)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٨)، وعزاه السيوطي للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٠) برقم: (٢٩٣٨٠) عن ابن عباس، وذكره البغوي (٤/ ٢٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، كلاهما عن ابن عباس.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٠) برقم: (٢٩٣٨١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٣)، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥١٩)، وعزاه السيوطي لسعيد بن منصور.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩١) برقم: (٢٩٣٨٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢١)، وعزاه السيوطي لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد، ولعبد بن حميد عن قتادة.

﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قال هل أنتم مطلعون﴾ الآية،/ في الكلام حَذْفٌ، تقديرُه: فقالَ لِهذَا ٩٠ ب الرجلُ حاضِرُوهُ مِنَ الملائِكَةِ: إنَّ قَرِينَكَ هذا في جَهَنَّمَ يُعَذَّبُ فقال عند ذلك: ﴿هل أنتم مطلعون﴾ يخاطِبُ بـ«أَنْتُم» الملائكةَ أو رفقاءَه في الجنةِ أو خَدَمَتَهُ؛ وَكُلُّ هذا حَكَى المَهْدَوِيُّ، وقَرَأ أبو عمرو في رواية حُسَيْنٍ «مُطْلِعُونَ» بسكون الطاء وفتح النون[1]، وقرِىء شاذًا «مُطْلِعُونِ» ـ بسكون الطاء وكسر النون[2] ـ، قال ابن عباس وغيره: ﴿سواء الجحيم﴾ وَسَطُه[3]، فقال له المؤمنُ عند ذلك: ﴿تالله، إنْ كِدْتَ لتردينِ﴾ أي: لَتُهْلِكُنِي بإغْوائِكَ، والرَّدَى: الهلاكُ، وقولُ المؤمِنِ: ﴿أفما نحن بميتين﴾ إلى قوله: ﴿بمعذبين﴾ يحتملُ أن تكونَ مخاطبةً لِرُفَقَائِهِ في الجَنَّةِ، لمَّا رَأَىٰ مَا نَزَلَ بِقَرِينِهِ، ونَظَرَ إلى حالِه في الجنَّةِ وحالِ رُفَقَائِهِ؛ قَدَّرَ النعمةَ قَدْرَهَا، فَقَالَ لهم على جهة التوقيفِ على النِّعْمَةِ: أفما نحن بميِّتين ولا معذَّبين، ويجيء على هذا التأويل قوله: ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ إلى قوله: ﴿العاملون﴾ مُتَّصِلاً بكَلاَمِهِ خِطَاباً لرفقائهِ، ويحتمل قوله: ﴿أفما نحن بميتين﴾ أن تكونَ

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز»(٤/ ٤٧٤).
ووقع في رواية أبي بكر بن مجاهد أن أبا عمرو قرأها مثل قراءة الباقين، غير أنه قرأ: «فأُطْلِع» مبنياً للمجهول.
ينظر: «السبعة» (٥٤٨)، و«الحجة» (٦/ ٥٥ ـ ٥٦)، و«مختصر الشواذ» ص: (١٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٩).

(٢) وقرأ بها أبو البرهسم، وعمار بن عمار.
قال ابن عطية: وردَّ هذه القراءة أبو حاتم وغيره ولحنوها؛ وذلك أنها جمعت بين ياء الإضافة ونون المتكلم، والوجه أن يقال: «مطلعيّ». ووجه القراءة أبو الفتح بن جني، وقال: أنزل الفاعل منزل الفعل المضارع، وأنشد الطبري [الوافر]:

وما أدري وظن كل ظن ... أمسلمني إلى قومي شراحي

وقال الفراء: يريد شراحيل.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢٠)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٤٦)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٠٣).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩١) برقم: (٢٩٣٨٥) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٣٨٧) عن الحسن، وبرقم: (٢٩٣٨٩) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢٨) عن ابن عباس، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨)، والسيوطي في «الدرّ المنثور» (٥/ ٥٢١)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

مخاطبةٌ لقرينِه؛ على جهة التوبيخ، كأنَّه يقول: أين الذي كنتَ تقولُ من أنَّا نموتُ وَلَيْسَ بَعْدَ الموتِ عِقَابٌ ولا عَذَابٌ، ويكونُ قولُه تعالَىٰ: ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ إلى قوله: ﴿العاملون﴾ يحتمل أنْ يَكُونَ من خِطَابِ المُؤْمِنِ لقرينهِ؛ وإليه ذَهَبَ قتادة[1]، ويحتملُ أنْ يَكُونَ من خِطَابِ اللَّه ـ تعالَىٰ ـ لمحمَّد ـ عليه السلام ـ وأُمَّتِه، ويُقَوِّي هذا قَوْلُهُ: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ وهُوَ حَضٌّ عَلَى العَمَلِ؛ والآخِرَةُ لَيْسَتْ بِدَارِ عَمَلٍ.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَـَٔاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

وقولُهُ تَعالَىٰ: ﴿أذلك خَيْرٌ نزلاً أم شجرةُ الزَّقُّوم﴾ المرادُ بالآية: تقريرُ قريش والكفارِ، قال * ع[2] *: وفي بعض البلادِ الجَدْبَةِ المجاورةِ للصَّحَارَى ـ شجرةٌ مُرَّةٌ مَسْمُومَةٌ لَهَا لَبَنٌ، إنْ مَسَّ جِسْمَ أَحَدٍ؛ تَوَرَّمَ وَمَاتَ مِنْهُ في أغلب الأمرِ؛ تُسَمَّى شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، والتَّزَقُّمُ في كَلاَمِ العَرَب: البَلْعُ عَلَى شِدَّةٍ وَجَهْدٍ.

وقوله تعالى: ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ قال قتادة ومجاهد والسُّدِّيُّ: يريد أبا جهل ونظراءه[3]، وقد تقدم بيانُ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿كأنه رءوس الشياطين﴾ اخْتَلَفَ في معناه؛ فقالت فرقة: شَبَّهَ طَلْعَهَا بِثَمَرِ شَجَرَةٍ مَعْرُوفَةٍ يقالُ لَهَا «رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ»، وهي بناحِيَةِ اليَمَنِ، يقال لها: «الأَسْتَنُ»، وقالت فرقة: شَبَّهَ بِرُؤُوسِ صِنْفٍ مِنَ الحيَّاتِ يُقَالُ لها «الشَّيَاطِين»، وهي ذواتُ أعْرَافٍ، وقالت فرقة: شَبَّه بما اسْتَقَر في النُّفُوسِ مِنْ كَرَاهَةِ رؤوس الشياطين وقُبْحِهَا؛ وإنْ كانَتْ لاَ تُرَى؛ لأن الناسَ إذا وصفوا شَيْئاً بِغَايَةِ القُبْحِ قَالوا: كأنَّه شَيْطَانٌ؛ ونَحوُ هذا قولُ امرِىءِ القيس: [الطويل].

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٧٥).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٤) برقم: (٢٩٣٩٩) عن السدي، وبرقم: (٢٩٤٠٠) عن مجاهد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٠) عن مجاهد، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٢)، وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد، ولابن مردويه عن ابن عباس.

أَيَـقْـتُـلُـنِـي وَالـمَـشْـرَفِـيُّ مُـضَـاجِـعِـي ... وَمَـسْـنُـونَـةٌ زُرْقٌ كَـأَنْـيَـابِ أَغْـوَالِ(١)

فإنَّما شَبَّه بما استقر في النفوس من هيئتها، والشَّوْبُ: المِزَاجُ والخَلْطُ؛ قاله ابن عباس وقتادة(٢)، والحميم: السُّخْنُ جِدًّا مِن الماء؛ ونحوِهِ، فيريدُ به ههنا شَرَابَهُمْ الذي هو طِينةُ الخَبَالِ صَدِيدُهُمْ وَمَا يَنماعُ مِنْهُمْ؛ هذا قولُ جماعةٍ من المفسرين.

وقوله تعالى: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ كقوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٤] وقوله سبحانه: ﴿إنهم ألفوا آباءهم...﴾/ الآيةُ، تمثيلٌ لقريشٍ و﴿يهرعون﴾ معناه: يُسْرِعُونَ؛ قاله قتادة وغيره(٣)، وهذا تَكَسُّبُهُمْ للكفرِ وحِرْصُهم عليه.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ يَقْتَضِي الإخبارَ بأنه عذَّبَهُمْ؛ ولذلك حَسُنَ الاستثناءُ في قوله: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ ونِداءُ نُوحٍ تَضَمَّنَ أشياءَ؛ كطَلَبِ النصرة والدعاءِ على قومِهِ وغيرِ ذلك، قال أبو حيان(٤): وقوله: ﴿فلنعم المجيبون﴾ جَوابُ قَسَمٍ كقوله: [من الطويل]

يَـمِـيـنـاً لَـنِـعْـمَ الـسَّـيِّـدَانِ وُجِـدْتُـمَـا(٥) ... .

---

(١) من قصيدة أولها:

أَلاَ عِـمْ صَـبَـاحـاً أيـهـا الـطَّـلَـلُ الـبَـالـي ... وهل يعمن من كان في العصر الخالي

ينظر: «ديوانه» (٣٣)، «معاهد التنصيص» (٢/٧)، «الكامل» (٣/٩٦)، «البحر المحيط» (٧/٣٦٣)، و«الدر المصون» (٥/٥٠٦).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٤٩٥) برقم: (٢٩٤٠٢) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٤٠٤) عن قتادة، و (٢٩٤٠٥) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٧٦) عنهما، وابن كثير في «تفسيره» (٤/١١) عن ابن عباس، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٢٢)، وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٤٩٦) برقم: (٢٩٤١٣) عن قتادة، وبرقم: (٢٩٤١٤) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٧٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٢٣)، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/٣٤٩).

(٥) صدر بيت لزهير بن أبي سلمى وعجزه:

.... عـلـى كـل حـال مـن سَـحـيـلٍ ومُـبْـرَمِ

البيت في «ديوانه» ص: (١٤)، و«الأشباه والنظائر» (٨/٢١٠)، و«جمهرة اللغة» ص: (٥٣٤)، و«خزانة الأدب» (٣/٦)، (٩/٣٨٧)، و«الدرر» (٤/٢٢٧)، و«شرح عمدة الحافظ» ص: (٧٩٢)، و«همع الهوامع» (٢/٤٢)، وبلا نسبة في «خزانة الأدب» (٩/٣٩٠).

والمخصوصُ بالمَدْحِ محذوفٌ، أي: فَلنِعْمَ المجيبُونَ نَحنُ، انتهى.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ قال ابن عبَّاسٍ وقتادة: أَهْلُ الأرض كلُّهُمْ من ذريةِ نوح[1]، وقالت فرقة: إنَّ اللَّه تعالى أَبْقَى ذريةَ نُوح وَمَدَّ نَسْلَه، وليسَ الأَمْرُ بِأَنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا انْحَصَرُوا إلى نَسْلِهِ، بَلْ في الأُمَم مَنْ لاَ يَرْجِعُ إِلَيْه، والأول أشْهَرُ عَنْ عُلَماءِ الأمَّة، وقالوا: نوحٌ هو آدم الأصغر، قال السُّهَيْلِيُّ: ذُكِرَ عَنْ رسول اللَّه ﷺ، أنه قال في قوله - عز وجل -: ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾: [إنَّهم] سامٌ وحَامٌ ويافثُ[2]، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ معناهُ: ثناءً حسَناً جَميلاً باقياً آخِرَ الدَّهْرِ؛ قاله ابن عباس وغيره[3]، و﴿سَلاَمٌ﴾ رفعٌ بالابتداء مُسْتَأنف، سَلَّمَ اللَّهُ به عليه لِيَقْتَدِيَ بذلك البَشَرُ. * ت *: قال أبو عُمَرَ في «التمهيد»: قال سعيد - يعني: ابن عبد الرحمٰن الجُمَحِيَّ -: بلَغَني أنه مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: ﴿سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ في العَالَمِين﴾ لَمْ تَلْدَغْهُ عَقْرَبٌ، ذَكَرَ هذا عندَ قولِ النبيّ ﷺ للأسْلَمِيِّ الذي لَدَغتْهُ عقْرَبٌ: «أمَا لَوْ أَنَّكَ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ»[4]، قَالَ أبو

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٨) برقم: (٢٩٤٢٠) عن قتادة، وبرقم: (٢٩٤٢١) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٤)، كلهم عن ابن عباس، وقتادة، وعزاه السيوطي لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (٥/ ٣٦٥)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الصافات برقم: (٣٢٣٠)، والطبري (١٠/ ٤٩٧) برقم: (٢٩٤١٩)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٤)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن بشير.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٨) برقم: (٢٩٤٢٢) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٤٢٤) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٤/ ٤٧٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولابن المنذر عن ابن عباس.

(٤) هذا الحديث روي من طريق أبي هريرة، وخولة بنت حكيم، وعمرو بن العاص، وسهيل بن أبي صالح عن أبيه.
أما طريق أبو هريرة: أخرجه مسلم (٤/ ٢٨١) «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار»، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم: (٢٧٠٩)، وأبو داود (٢/ ٤٠٦) كتاب «الطب» باب: كيف الرقى، برقم: (٣٨٩٩)، وابن حبان (٧/ ٣٨٦) - الموارد برقم: (٢٣٦٠) ولم يذكر نبأ الأسلمي، =

عُمَرَ: وَرَوَى [ابنُ وَهْبٍ][(١)] هذَا الحديثَ عَنْ مالكٍ يَعْني: حديثَ: «أعوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ» بإسْنَادِهِ مِثْلَ ما في «المُوطَّإِ»، إلا أنَّه قال في آخره: «لَمْ يَضُرَّكَ شَيْءٌ»[(٢)] انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ قال جماعة من العلماء: إنَّ الغَرَقَ عَمَّ جميعَ النَّاسِ، وأسْنَدُوا في ذلك أحَادِيثَ، قَالُوا: وَلَمْ يَكُنِ الناسُ حينئذٍ بهذهِ الكَثْرَةِ؛ لأنَّ عَهْدَ آدم كانَ قريباً، وكانتْ دَعْوَةُ نُوحٍ ونُبُوَّتُهُ قَدْ بَلَغَتْ جميعَهم، لِطُولِ المدَّةِ واللَّبْثِ فِيهم، فَتَمادَوْا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَلَمْ يَقْبَلُوا مَا دَعَاهُمْ إليه من عبادةِ الرحمٰنِ؛ فلذلكَ أغْرَقَ اللَّهُ جميعَهُمْ.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

= والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٥٢) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا خاف شيئاً من الهوام حين يمسي، برقم: (١٠٤٢٤/ ٤)، وأبو يعلى (١٢/ ٤٤) برقم: (٨٤٨/ ٦٦٨٨)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥١) كتاب «الشعر» باب: ما يؤمر به من التعوذ، برقم: (١١)، وأحمد (٢/ ٣٧٥)، وابن ماجه (٢/ ١١٦٢) كتاب «الطب» باب: رقية الحية والعقرب برقم: (٣٥١٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٤٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٨٠).

أما الحديث من طريق خولة بنت حكيم: أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨) كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم: (٥٤/ ٢٧٠٨)، (٥٥/ ٢٧٠٨)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١٤٤) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا نزل منزلاً، برقم: (١٠٣٩٤/ ١ ـ ٢)، والترمذي (٥/ ٤٩٦) كتاب «الدعوات» باب: ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، برقم: (٣٤٣٧)، وابن ماجه (٢/ ١١٧٤)، كتاب «الطب» باب: الفزع والأرق وما يتعوذ منه، برقم: (٣٥٤٧)، وأحمد (٦/ ٣٧٧)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٥٣) كتاب «الحج» باب: ما يقول إذا نزل منزلاً، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٧٨) كتاب «الاستئذان» باب: ما يؤمر به من الكلام في السفر، والدارمي (٢/ ٢٨٩) كتاب «الاستئذان» باب: ما يقول إذا نزل منزلاً، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ١٦٦)، كتاب «المناسك» باب: ما يقول إذا نزل منزلاً، رقم: (٩٢٦١)، وابن حبان (٦/ ٤١٨)، كتاب «الصلاة» باب: ذكر الشيء الذي إذا قال المسافر في منزله أمن الضرر من كل شيء حتى يرتحل منه، برقم: (٢٧٠٠).

ولم تأتِ من هذا الطريق قصة الأسلمي. قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأما طريق عمرو بن العاص: أخرجه أبو داود (٢/ ٤٠٥)، كتاب «الطب» باب: كيف الرقى؟ رقم: (٣٨٩٣) نحو حديث أبي هريرة.

وأما طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه: أخرجه أبو داود (٢/ ٤٠٦) كتاب «الطب» باب: كيف الرقى؟ رقم: (٣٨٩٨).

(١) سقط في: د.

(٢) ينظر: الحديث السابق.

وقوله تعالى: ﴿وإن من شيعته﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ وغيره: الضميرُ عائِدٌ على نوحٍ[١]، والمعنى: في الدينِ والتَّوْحيدِ، وقَال الطبريُّ وغيره عن الفَرَّاءِ: الضميرُ عائِدٌ عَلى محمدٍ، والإِشَارَةُ إِليه.

وقوله: ﴿أئفكا﴾ استفهامٌ بمعنى التقرير، أي: أَكَذِباً ومُحَالاً، ﴿آلهة دُونَ اللَّهِ تريدون﴾.

وقوله: ﴿فما ظنكم﴾ تَوْبِيخٌ وتحذيرٌ وتَوَعُّدٌ.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ رُوِيَ أَنَّ قَوْمَهُ كانَ لهم عِيدٌ يَخْرُجُونَ إليه فَدَعَوْا إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ إلى الخروجِ مَعَهُمْ، فَنَظَرَ حينَئِذٍ، واعتَذَرَ بِالسُّقْم، وأرادَ البَقَاءَ لِيُخَالِفَهُمْ إلى الأَصْنَام، ورُوِيَ أنَّ عِلْمَ النُّجومِ كان عندَهم مَنْظُوراً فِيه مُسْتَعْمَلاً؛ فأوْهَمَهُم هو من تلكَ الجهة، قالت فرقة: وقوله: ﴿إني سقيم﴾ مِنَ المعَارِيضِ الجَائِزَةِ.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ «راغ» معناه: مَالَ.

وقوله: ﴿ألا تأكلون﴾ هو على جِهَةِ الاسْتِهْزَاءِ بِعَبَدَةِ تلكَ الأصْنَام، ثم مَالَ عِنْدَ ذَلِك
٩١ ب إِلَى ضَرْبِ/ تلك الأَصْنام بِفَأْسٍ حَتَّى جَعَلَها جُذَاذاً، واخْتُلِفَ في معنى قوله: ﴿باليمين﴾ فقال ابن عَبَّاس: أراد يُمْنَى يَدَيْهِ[٢]، وَقِيلَ: أرادَ بِقُوَّتِه؛ لأنَّه كانَ يَجْمَعُ يَدَيْهِ معاً بِالفَأْسِ، وقيل: أراد باليمينِ، القَسَمَ في قوله: ﴿وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، والضميرُ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٤٩٩) برقم: (٢٩٤٢٧)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٥) كلهم عن ابن عباس، وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٢) برقم: (٢٩٤٥٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٧٩).

في «أقبلوا» لكُفَّارِ قَوْمِهِ و﴿يَزِفُّون﴾ معناه: يُسْرِعُونَ، واَخْتَلَفَ المتأوِّلُونَ في قوله: ﴿وما تعملون﴾ فَمَذْهَبُ جماعةٍ من المفسرين: أن «ما» مصدرية، والمعنى: أنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وأَعْمَالَكُمْ، وهذه الآيةُ عندهُمْ قَاعِدَةٌ في خَلْقِ اللَّهِ تعالَىٰ أفْعَالَ العِبَادِ؛ وهو مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ(١)، وقالت فرقة: «ما» بمعنى: الَّذِي، و«البنيان» قيل: كانَ في مَوْضِعِ إيقَادِ النَّارِ،

(١) المراد من أفعال العباد: المعنى الحاصل بالمصدر الذي هو متعلق الإيجاد والإيقاع، أعني ما نشاهده من الحركات والسكنات مثلاً، لا المعنى المصدري الذي هو الإيجاد والإيقاع، لأنه من الأمور اللاموجودة واللامعدودة المسماة بالحال كما ذهبت إليه مشايخ الحنفية، واختاره القاضي أبو بكر الباقلاّني، وإمام الحرمين من الأشاعرة؛ أو هو أمر اعتباري عند نفاة الحال، فلا يتعلق به خلق ولا إيجاد وإلا لزم التسلسل، وإطلاق المصدر على المعنى الحاصل بالمصدر، وإن كان مجازاً من قبيل إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، إلا أنه كثير الوقوع، فلا يحتاج إلى قرينة. وتنقسم أفعال العباد إلى: اختيارية، كحركة البطش، وإلى: اضطرارية، كحركة الارتعاش، وإلى أفعال مباشرة، وإلى أفعال متولدة، كحركة المفتاح المتولدة من حركة اليد، ثم إن أفعال العباد منها ما يتعلق بالجوارح، ومنها ما يتعلق بالقلوب، هذا كله بالنسبة للمستيقظ.

وأما أفعال النائم فقد اختلفوا فيها، فقال بعضهم: إنها مقدورة مكتسبة للنائم، والنوم لا يضاد القدرة، وإن كان يضاد العلم وغيره من الإرادات، وقال بعضهم: إنها غير مقدورة له، وأن النوم يضاد القدرة كما يضاد العلم، وبعضهم لا يقطع بكونها مكتسبة، ولا بكونها ضرورية بل كل من الأمرين ممكن.

وقد استدل القائلون بأن أفعال النائم مقدورة له بما يأتي:

«أولاً»: بأن النائم كان قادراً في يقظته، وقدرته باقية، والنوم لا ينافيها، فوجب استصحاب حكمها.

«ثانياً»: بأن النائم إذا انتبه فهو على ما كان عليه في نومه، ولا يتجدد أمر وراء زوال النوم، وهو قادر بعد الانتباه، وزوال النوم غير موجب للاقتدار، ولا وجوده نافياً للقدرة.

«ثالثاً»: قد يوجد من النائم، ما لو وجد منه في حال اليقظة، لكان واقعاً على حسب الداعي والاختيار، والنوم، وإن نافى القصد فلا ينافي القدرة.

«رابعاً»: نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم، وحركة المرتعش، وما ذاك إلا أن حركته مقدورة له، وحركة المرتعش غير مقدورة له.

وقال النافون المقدرة: قولكم: النوم لا ينافي القدرة: دعوى كاذبة؛ فإن النائم منفعل محضاً متأثر صرفاً ولهذا لا يمتنع ممن يؤثر فيه، وقولكم: لم يتجدد له أمر غير زوال النوم، غَيْر مسلم به؛ لأن التجدد: زوال المانع من القدرة، فعاد إلى ما كان عليه؛ كمن أوثق غيره رباطاً، ومنعه من الحركة، فإذا حُلَّ رباطه، تجدد زوال المانع.

والتحقيق: أن حركة النائم ضرورية له غير مكتسبة، وكما فرقنا في حق المستيقظ بين حركة ارتعاشه وحركة تصفيقه، كذلك نجد تفرقة ضرورية بين حركة النائم وحركة المستيقظ

وعلى كل حال فالمثبتون للقدرة وهم المعتزلة وبعض الأشعرية والنافون لها وهم: أبو إسحاق وغيره، والمتوقفون في ذلك هم: جمهور الأشعرية، والقاضي أبو بكر، متفقون على أن أفعال النائم غير داخلة تحت التكليف.

أما أفعال الساهر فاختيارية؛ لأنه وإن كان يفعل الفعل مع غفلته وذهوله، فهو إنما يفعله بقدرته؛ إذ لو كان عاجزاً لما تأتى منه الفعل وله إرادة لكن غافل عنها؛ فالإرادة شيء، والشعور بها شيء آخر. =

وقيل: بَلْ كَان لِلْمَنْجَنِيقِ الذي رُمِي عَنه، واللَّه أعلم.

= فالعبد قد يكون له إرادة وهو ذاهلٌ عن شعوره بها؛ لاشتغال محل التصور منه بأمر آخر منعه من الشعور بالإرادة، فعملت عملها، وهي غير مشعور بها، وإن كان لا بد من الشعور عند كل جزء.
ومع كل فالفعل الاختياري يستلزم الشعور بالفعل في الجملة، وأما الشعور به بالتفصيل فلا يستلزمه.
وأما زائل العقل بجنون أو سكر، فليست أفعاله اضطرارية، كأفعال الملجأ، ولا اختيارية بمنزلة أفعال العاقل العالم بما يفعله، بل هي نوع آخر يشبه الاضطرارية، وأفعاله كفعل الحيوان وفعل الصبي الذي لا تمييز له؛ إذ لكل واحد من هؤلاء داعية إلى الفعل يتصورها، وإرادة يقصد بها، وقدرة ينفذ بها، فهذه أفعال طبيعية، واقعة بالداعي والإرادة والقدرة، وإن كانت الداعية التي فيهم غير داعية العاقل العالم بما يفعله؛ لأنه يتصور ما في الفعل من الغرض، ثم يريده ويفعله، ولهذا لم يكلف أحد من هؤلاء بالفعل، فأفعالهم لا تدخل تحت التكليف، وليست كأفعال الملجأ ولا المكره.
وهي مضافة إليهم مباشرة، وإلى خالق ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم خلقاً.
فهي مفعولة وأفعال لهم.
لا خلاف في أن أفعال العباد اضطرارية، مخلوقة للَّه تعالى، ولا في أن الكلام اللفظي القائم بالنبي ﷺ على تقدير حدوثه مخلوق له تعالى. أما عند أهل السنّة فظاهر، وأما عند المعتزلة، فإما بنفي اختياريته، أو باستثنائه من الكلية. وأما أفعال العباد الاختيارية، فقد اختلفوا في الخالق لها، فقالت الجبرية: الخالق لأفعال العباد الاختيارية هو اللَّه فقط ولا دخل لقدرة العبد في فعله البتة، بل هو مجبورٌ ومقهور، وأن حركته الاختيارية، لا اختيار له فيها، وأنها كحركة الأشجار عند هبوب الرياح، وكحركة الأمواج، وأن العبد كالريشة المعلقة في الهواء.
وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: فعل العبد واقع بقدرة اللَّه، ومخلوق له، وأن قدرة العبد لها دخل في الفعل الاختياري بالكسب والاختيار، وأن اللَّه قد جرت عادته بأن يخلق فعل العبد الاختياري مقارناً لقدرته، وهذا هو الكسب عنده.
وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: أصلُ الفعل واقع بقدرة اللَّه تعالى، وأما وصفه فواقع بقدرة العبد، كما في لطم اليتيم تأديباً وإيذاء، فإن ذات اللطم واقعة بقدرة اللَّه تعالى، وكونه طاعة على الأول ومعصية على الثاني بقدرة العبد. والظاهر أنه لم يرد أن قدرة العبد مستقلة في خلق وصف الفعل، وإلا لزم عليه ما لزم على المعتزلة، بل أراد أن القدرة لها دخل في ذلك الوصف فهو بالنسبة إلى العبد طاعة ومعصية، كذا ذكره المحقق الديواني، وقد ورد على مذهبه: أن هذه الصفات أمورٌ اعتبارية تلزم فعل العبد باعتبار موافقتها للشرع، أو مخالفتها له، فلا وجه لكون وصف الفعل واقعاً بقدرة العبد، وهذا مدفوع بأن كون الفعل طاعة أو معصية إنما هو بالنية والإرادة الجزئية والعزم، وهي مقدورة للعبد وبسببها يكون الفعل طاعة أو معصية، وهذا بعينه ما ذهب إليه الماتريدية.
وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني من أهل السنّة، وكذا النجار من المعتزلة: إن أصل الفعل ووصفه، واقع بمجموع القدرتين، قدرة اللَّه وقدرة العبد، ثم الأستاذ إن أراد: أن قدرة العبد غير مستقلة بالتأثير وأنها إذا انضمت إليها قدرة الله تعالى صارت مستقلة بتوسط هذ الإعانة على ما قدره البعض فقريب من الحق، وإن أراد أن كلاً من القدرتين مستقلة بالتأثير كما اشتهر عنه في مذهبه فباطل، لامتناع مؤثرين على أثر واحد، وإن جوز اجتماعهما كما اشتهر عنه.
وقال صاحب المسايرة وهو الكمال بن الهمام: إن جميع ما يتوقف عليه أفعال الجوارح، والنفوس من =

....

الميل والداعية والاختيار لا تأثير لقدرة العبد فيه، وإنما محل قدرته العزم المصمم، فإذا أوجد العبد ذلك العزم المصمم خلق اللّه له الفعل عقبه، وهذا ينطبق على كلام القاضي أبي بكر الباقلاّني، لأن كون الفعل طاعة أو معصية إنما هو بالنية، والإرادة الجزئية، والعزم عنده «أي عند القاضي».

وقال بعض المحققين من أهل السنّة: اللّه خالق لفعل العبد الاختياري والعبد فاعل له حقيقة. وبيان ذلك أن اللّه خلق قدرة العبد وأذن لها أن تتصرف في المقدور حسب اختيار العبد فيكون الفعل مخلوقاً للّه، لأنه واقع بالقدرة التي خلقها اللّه فيه، وقد جعلها تتصرف في المقدور ويكون الفعل المقدور واقعاً بالقدرة الحادثة، ومضافاً إلى العبد كسباً وفعلاً حقيقة، «ومثال ذلك»: أن العبد لا يملك التصرف في مال سيده، ولو استبد بالتصرف في مال سيده لم ينفذ تصرفه، فإذا أذن له في بيع ماله فباعه نفذ، والبيع في التحقيق معزو إلى السيد من حيث إن سببه إذنه، ولولا إذنه لم ينفذ التصرف، ولكن العبد يؤمر بالتصرف، ويُنْهى ويوبَّخ على المخالفة، فالعبد فعلها حقيقة واللّه خالقه، وخالق ما فعل به من القدرة والإرادة، وخالق فاعليته، والعبد غير مستقل بالإيجاد، لأن قدرته وإرادته جزء سبب أو شرط.

وقال الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي: المختار عندنا أن عند حصول القدرة والداعية المخصوصة يجب الفعل، وعلى هذا التقدير يكون العبد فاعلاً على سبيل الحقيقة، ومع ذلك فتكون الأفعال بأسرها واقعة بقضاء اللّه تعالى وقدره، وذلك أنا لما اعترفنا بأن الفعل واجب الحصول عند مجموع القدرة والداعي؛ فقد اعترفنا بكون العبد فاعلاً وجاعلاً فلا يلزمنا مخالفة ظاهر القرآن، وإذا قلنا بأن المؤثر في الفعل مجموع القدرة والداعي، مع أن هذا المجموع حصل بخلق اللّه تعالى، فقد قلنا بأن الكل بقضاء اللّه تعالى وقدره.

وقال جمهور المعتزلة: فعل العبد واقع بقدرته وحدها على سبيل الاستقلال بلا إيجاب بل باختيار.

وقال إمام الحرمين: فعل العبد واقع بقدرته وإرادته بالإيجاب استقلالاً لا بالاختيار فيكون موافقاً لمذهب الحكماء وهذا ما اشتهر عنه بين القوم، ولكن تحقيق مذهبه أن الخالق لفعل العبد الاختياري هو اللّه تعالى كما صرح به في الإرشاد، حيث قال: «اتفق أئمة السلف قبل ظهور البدع والأهواء على أن الخالق هو اللّه تعالى ولا خالق سواه، وأن الحوادث كلها حدثت بقدرة اللّه تعالى من غير فرق بين ما تتعلق به قدرة العباد، وبين ما لا تتعلق به، فإن تعلق الصفة بشيء لا يستلزم تأثيرها فيه، كالعلم بالعلوم، والإرادة بفعل الغير، فالقدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها، واتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الزيغ على أن العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم».

واحتج أهل الحق القائلون بأن اللّه هو الخالق لأفعال العباد الاختيارية بآيات كثيرة تدل على أن اللّه هو الخالق لأفعال العباد، وأنها داخلة تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه فمنها: قول اللّه تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، [الزمر: ٦٢] وهذا عام لا يخرج عنه شيء من العالم، أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له، واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق، وصفاته سبحانه داخلة في مسمى اسمه، فإن اللّه سبحانه اسم للإلٰه الموصوف بكل صفة كمال، المنزه عن كل صفة نقص ومثال، والعالم قسمان: أعيان وأفعال، وهو الخالق لأعيانه، وما يصدر عنها من الأفعال، كما أنه العالم بتفاصيل ذلك فلا يخرج شيء منه عن علمه، ولا عن قدرته، ولا عن خلقه ومشيئته.

ومنها: قول اللّه تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿أتعبدون ما تنحتون واللّه

....

= خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٥ ـ ٩٦] أي عملكم «فما» مصدرية كما قدره بعضهم والاستدلال بها ظاهر، ولكن ليس بقوي، إذ لا تناسب بين إنكاره عليهم عبادة ما ينحتونه بأيديهم وبين إخبارهم؛ لأن اللَّه خالق لأعمالهم من عبادة تلك الآلهة ونحتها وغير ذلك فالأَوْلى: أن تكون «ما» موصولة، أي: واللَّه خلقكم وخلق آلهتكم التي عملتموها بأيديكم فهي مخلوقة له لا لآلهة شركاء معه، فأخبر أنه خلق معموله، وقد «خلق» عملهم وصنعهم، ولا يقال المراد مادته، فإن مادته غير معمولة لهم، وإنما يصير معمولاً بعد عملهم.
وقال بعضهم: لا مانع من جعل «ما» مصدرية لحصول الطباق مع المصدرية إذ المعنى: إنكم تعبدون منحوتاً تصيرونه بعملكم صنماً، والحال أن اللَّه تعالى خلقكم وخلق عملكم الذي به يصير المنحوت صنماً، فإنهم لم يعبدوا الأصنام من حيث كونها حجارة، وإنما عبدوها من حيث أشكالها، فهم في الحقيقة، إنما عبدوا عملهم، وبذلك تقام عليهم الحجة بأنهم وعملهم مخلوقان للَّه تعالى، فكيف يعبد المخلوق مخلوقاً مثله، مع أن المعبود كسب العابد وعمله.
ولكن ينبغي أن يجعل هذا المصدر بمعنى المعمول أي: المعنى الحاصل بالمصدر ليصح تعلق الخلق به، ثم تحمل الإضافة بمعونة المقام على الاستغراق، لأن المقام مقام التمدح، وإن كان أصل الإضافة للعهد ليتم المقصود إذ على تقدير: ألا تكون الإضافة للاستغراق يجوز أن يكون المراد ببعض المعمولات أمثال السرير بالنسبة إلى النجار فلا يتم المقصود، وهو إثبات أن جميع أفعال العباد ومعمولاتهم مخلوقة له تعالى.
والرد على المعتزلة إذ لا خلاف لهم: في أن أمثال هذا المعمول من الجواهر مخلوقة له تعالى لا مدخل للعبد فيها، وإنما الخلاف فيما يقع بكسب العبد ويسند إليه، مثل الصوم، والصلاة، والزكاة، والأكل، والشرب، والقعود، ونحو ذلك:
قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ، وَسَرابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾، فأخبر سبحانه: أنه هو الذي جعل السرابيل، وهي الدروع والثياب المصنوعة ومادتها لا تسمى سرابيل إلا بعد صنع الآدميين لها، فإذا كانت مجعولة للَّه فهي مخلوقة له بجملتها وصورتها ومادتها وهيئاتها، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وجعل لكم من جُلُودِ الأَنْعَام بيوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيوم إِقَامَتِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠].
فأخبر سبحانه: أن البيوت المصنوعة المستقرة والمتنقلة له، وهي إنما صارت بيوتاً بالصنعة الآدمية، ومنها قوله تعالى ـ حكاية عن خليله إبراهيم أنه قال: ﴿رب اجعلني مُقِيْمَ الصلاة ومن ذُرِّيَتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]، وقوله: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً من النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وقوله: ﴿وجَعَلنا في قلوب الذين اتَّبعوهُ رَأْفَةً ورحمةً، ورُهبَانِيَّةً﴾ [الحديد: ٧]، وقوله: ـ حكاية عن زكريا ـ أنه قال عن ولده: ﴿واجعله رب رضيًّا﴾ [مريم: ٦]. ومن السنة قول النبي ﷺ: «اللَّهم اجعلني لك شكَّاراً، لك ذكَّاراً، لك رهَّاباً، لك مِطْواعاً، مُخْبِتاً إليك، أَوَّاهاً مُنِيباً».
فسأل ربه أن يجعله كذلك، وهذه كلها أفعال اختيارية، واقعة بقدرة اللَّه خلقاً وبقدرة العبد كسباً.
احتج أهل الحق على أن العبد فاعل مختار بالمعقول، والمنقول، أما المعقول: فإن الإنسان لَيُدْرِك إدراكاً حسياً، ويعلم بضرورة العقل وبديهته، علماً لا يخالجه شك، ولا يداخله مرية، أن بين صحيح الأعضاء وبين من لا صحة لأعضائه فرقاً كبيراً، فإن صحيح الأعضاء بفعل القيام والعقود وسائر الحركات مختاراً غير مكره ولا يضطر ولكن سقيم الأعضاء لم يفعله أصلاً، فهذا الفرق يدل على أن العبد فاعل مختار، =

وقوله: ﴿إني ذاهب إلى ربي...﴾ الآية، قالت فرقة: كان قولُهُ هذا بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ النَّارِ، وأنَّه أَشَارَ بِذَهَابِهِ إِلَىٰ هِجْرَتِهِ مِنْ [أَرْضِ][١] بَابِلَ؛ حَيْثُ كَانَتْ مملكةُ نُمْرُودَ، فَخَرَجَ إلى الشَّام، وقالت فِرْقَةٌ: قال هذه المقالةَ قَبْلَ أَنْ يُطْرَحَ فِي النَّارِ؛ وإنما أراد لِقَاءَ اللَّهِ؛ لأَنَّه ظَنَّ أَنَّ النَّارَ سَيَمُوتُ فِيها، وقال: ﴿سيهدين﴾ أي: إلى الجَنَّةِ؛ نَحَا إِلَىٰ هذَا المَعْنَىٰ قتادةُ[٢]، قال * ع[٣] *: وللعارفينَ بهذَا الذَّهَابِ تَمَسُّكٌ واحْتِجَاجٌ في الصَّفَاءِ، وهُو مَحْمَلٌ حَسَنٌ في ﴿إني ذاهب﴾ وحْدَهُ، والتأويلُ الأولُ أظْهرُ في نَمَطِ الآيةِ، بما يأتي بَعْدُ؛ لأنَّ الهدايةَ مَعَهُ تَتَرَتَّبُ، والدُّعَاءُ في الوَلَدِ كذلك، ولاَ يَصِحُّ مَعَ ذَهَابِ المَوْتِ، وباقي الآيةِ تَقَدَّمَ قَصَصُهَا، وأنَّ الراجحَ أنَّ الذَّبِيحَ هُوَ إِسْمَاعِيلُ، وذَكَرَ الطبريُّ[٤] أنَّ ابن عباس قال: الذبيحُ، إسماعيل[٥]، وتَزْعُمُ اليهودُ أنَّهُ إسْحَاقُ، وكَذَبَتِ اليهُودُ، وذُكِرَ أيضاً أنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العزيزِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَجُلاً يهوديًا كانَ أَسْلَمَ وحَسُنَ إسلامُه، فَقَال: الذَّبِيحُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ[٦]، وإن اليهودَ لَتَعْلَمُ ذلكَ، ولكنهمْ يَحْسُدُونَكُمْ مَعْشَرَ العَرَبِ: أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ

= وإن كان الخالق لفعله هو الواحد القهار.
أما المنقول: قال اللّه تعالى: ﴿جزاءً بما كانوا يَعْملون﴾، ﴿لِمَ تقولون ما لا تَفْعَلون﴾ [الصف: ٢]، ﴿وعملوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥].
فقضى سبحانه وتعالى على أننا نعمل ونفعل، فالعبد مختار واللّه خالق، وقال تعالى: ﴿وفاكهةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُوْنَ﴾ [الواقعة: ٢٠] فهذا يدل على أن للإنسان اختياراً؛ لأن أهل الدنيا وأهل الجنة سواء، في أن اللّه تبارك وتعالى خالق أعمال العباد جميعاً.
ينظر: «**أفعال العباد**» لشيخنا عبد الرحمٰن إبراهيم ص: (٢) وما بعدها.

(١) سقط في: د.
(٢) ذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٨٠).
(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٨٠).
(٤) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١٠/ ٥١٣).
(٥) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥١٢) برقم: (٢٩٥٠٩)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٣٢)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٨١).
(٦) ذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٣٢)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٨١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٣٠)، وعزاه لابن إسحاق، عن محمد بن كعب.
والحق أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وهو الذي يدل عليه ظواهر الآيات القرآنية، فلا عجب إن ذهب إليه جمهرة الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأئمة الحديث منهم السادة العلماء: علي، وابن عمر، وأبو هريرة، وأبو الطفيل، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، والحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي، وسعيد بن المسيب، وأبو جعفر محمد الباقر، وأبو صالح، والربيع بن أنس، والكلبي، وأبو عمرو بن العلاء، وأحمد بن حنبل، وغيرهم وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس وفي «**زاد المعاد**» لابن القيم: أنه الصواب عند علماء الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وهذا الرأي هو المشهور عند العرب =

....

= قبل البعثة، وذكره أمية بن أبي الصلت في شعر له.
وقد نقل العلامة ابن القيم عن شيخه الإمام ابن تيمية في هذا كلاماً قوياً حسناً، أحببت نقل خلاصته لما فيه من الحجة الدامغة قال: «ولا خلاف بينهم ـ أي: النسابين ـ أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين، ومن بعدهم.
وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس اللَّه روحه يقول: «هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم»، فإن فيه: «أن اللَّه أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره» وفي لفظ «وحيده»، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده. والذي غرَّ أصحاب هذا القول: أن في التوراة التي بأيديهم: «اذبح ابنك إسحاق» قال: وهذه الزيادة من تحريفهم، وكذبهم، لأنها تُناقض قوله: «اذبح بكرك ووحيدك»، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف، وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويحتازوه لأنفسهم دون العرب ويأبى اللَّه إلا أن يجعل فضله لأهله، وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق؟ واللَّه تعالى قد بشر أم إسحاق به، وبابنه يعقوب فقال تعالى ـ حكاية لقول الملائكة لإبراهيم لما أتوه بالبشرى: ﴿لاَ تَخَفْ إنا أرْسِلْنَا إلى قوم لوط * وامرأَتُهُ قائمةٌ فَضَحِكَتْ فبشرناها بإسحاق ومن وَرَاء إسحاق يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧٠ـ ٧١].
فمحالٌ أن يبشرها بأن يكون لها ولد ثم يأمر بذبحه، ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل في البشارة، فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد، ويدل عليه أيضاً أن اللَّه سبحانه ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات (الآيات: ١٠٣، ١١١].
ثم قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بإسحاقَ نبيًا من الصَّالِحِيْنَ﴾ [الصافات: ١١٢] فهذه بشارة من اللَّه تعالى له: شكراً على صبره على ما أمر به، وهذا ظاهر جداً في أن المبشر به غير الأول، بل هو كالنص فيه.
وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة، ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر اللَّه، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة، دون إسحاق وأمه، ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذي اشترك في بنائه إبراهيم وإسماعيل، وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذي كان على يد إبراهيم وابنه إسماعيل، زماناً ومكاناً، ولو كان الذبح بالشام ـ كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم، لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة.
وأيضاً فإن اللَّه سبحانه وتعالى سمى الذبيح حليماً، لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعةً لربه، ولما ذكر إسحاق سماه عليماً، فقال تعالى: ﴿هل أتاك حديثُ ضَيْفِ إبراهيم المُكْرَمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سَلاَمٌ قومٌ مُنكَرونَ﴾... إلى أن قال: ﴿قالوا لا تخف وبشَّروه بغلام عليم﴾ [الذاريات: ٢٤ـ ٢٨].
وهذا إسحاق بلا ريب، لأنه من امرأته، وهي المبشَّرة، وأما إسماعيل فمن السرية ـ يعني: هاجر ـ وأيضاً فلأنهما بُشِّرَا بِهِ على الكبر، واليأس من الولد، وهذا بخلاف إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك.
وأيضاً فإن سارة امرأة الخليل ﷺ غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة فإنها كانت جارية. فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة فأمر اللَّهُ سبحانه أن يُبعدَ عنها هاجر وابنها، ويسكنها في أرض مكة، لتبرد عن سارة حرارة الغيرة، وهذا من رحمة اللَّه تعالى بها ورأفته وإبعاده الضرر عنها، وجبره=

الآيَاتُ وَالْفَضْلُ وَاللَّهِ في أَبِيكُمْ، والسَّعْيُ في هذه الآيةِ: العَمَلُ والعبادةُ والمَعُونَةُ، قاله ابن عَبَّاسٍ[١] وغيرُهُ، وقال قتادةُ: السَّعْيُ على القَدَمِ يريدُ سَعْياً مُتَمَكِّناً[٢]، وهذا في المعنَىٰ نَحْوُ الأَوَّلِ.

وقوله: ﴿إِنِّي أَرَى في المنام...﴾ الآية، يُحْتَمَلُ أَنْ يكونَ رَأَىٰ ذلِكَ بِعَيْنِهِ؛ ورُؤيا الأنبياءِ وَحْيٌ، وعُيِّنَ لَهُ وقتُ الامْتِثَالِ، ويُحْتَمَلُ أنَّه أُمِرَ في نومِه بِذَبْحِهِ، فَعبَّر عَنْ ذلكَ بقوله: ﴿إِنِّي أرى﴾ أي: أرى ما يوجبُ أَنْ أَذْبَحَكَ، قال ابن العَرَبِيِّ في «أحكامه»[٣]: واعلم أن رُؤيا الأنبياءِ وَحْيٌ فَمَا أُلْقِيَ إليهم، ونَفَثَ بِهِ المَلَكُ في رُوعِهِمْ، وضَرَبَ المثَلَ له عَلَيْهِم ـ فَهُو حَقٌّ؛ ولذلكَ قَالَتْ عَائِشَةُ: وَمَا كُنتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يُنْزِلُ فِيَّ قُرْآنٌ يُتْلَىٰ، ولٰكِنِّي رَجَوْتُ أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا، وَقَدْ بَيَّنَّا حقيقةَ الرُّؤيا، وأن البَارِيَ ـ تعالىٰ ـ يَضْرِبُهَا مثَلاً للناسِ، فمنها أسماءٌ وكُنًى، ومنها رُؤيَا تَخْرُج بِصِفَتِهَا، ومنها رُؤيا تَخْرُجُ بتأويلٍ، وهُوَ كُنْيَتُهَا. ولما اسْتَسْلَمَ إبراهيمُ وولدُه إسماعيلُ ـ عليهما السلام ـ لقضاءِ اللَّهِ، أُعْطِيَ إبراهيمُ ذَبِيحاً فِدَاءً، وقيل له: هذا فداءُ وَلَدِكَ، فامْتَثِلْ فِيه مَا رَأَيْتَ؛ فإنَّه حقيقةُ مَا خاطبناك/ فيه، وهُو كِنَايَةٌ لاَ ٱسْمٌ، وجَعَلَهُ مُصَدِّقاً للرؤيا بمبادَرةِ الامْتِثَال، انتهى. ١٩٢أ

= لها، فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية؟!! بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية فحينئذٍ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة، ويظهر لها بركة الجارية وولدها، وأن اللَّه لا يضيع بيتاً هذه وابنها منهم، وليُرِيَ عباده جَبْرَه بعد الكسر، ولُطْفَهُ بعد الشدة، وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد ـ آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطىء أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين، ومتعبداً لهم إلى يوم القيامة بذلة وانكسار.

ثم أيهما أشد وقعاً على النفس وأعظم بلاء: أن يؤمر إبراهيم بذبح إسحاق وله ولد آخر يجد فيه إبراهيم بعض المعوض عن الابن المذبوح؟ أم يؤمر بذبح ولده ووحيده وبكره الذي رُزِقه على كبر، وأتى بعد طول انتظار وشدة اشتياق ولم يكن هناك بارقة أمل في أن يرزق إبراهيم بولد بعده؟.

إن اللَّه تعالى قد وصف واقعة الذبح هذه بأنها البلاء المبين أي: الابتلاء والاختبار المبين الذي يتميز فيه المخلص من غيره، ولا ينطبق هذا الوصف ولا يتحقق هذا البلاء إلا إذا كان الذبيح هو إسماعيل الابن الوحيد البكر.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٠٦) برقم: (٢٩٤٦٩) بلفظ: العمل، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨١) عن ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٧)، بلفظ: العمل، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨١).

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٦١٧).

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ
﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ
بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ
﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ
فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلما أسلما﴾ أي: أسلما أنفسهمَا، واسْتَسْلَمَا للَّه ـ عز وجل ـ، وقَرَأَ ابن عبَّاس وجماعة: «سَلَّمَا»[١]، والمعنى فَوَّضا إليه في قضائه وقَدَرِهِ ـ سبحانه ـ، فأَسْلَمَ إبراهيمُ ابْنَهُ، وأسْلَمَ الابْنُ نَفْسَهُ، قال بعْضُ البَصْريين[٢]: جوابُ «لما» محذوفٌ تقديره: فلما أَسْلَمَا وَتَلَّهُ للجبينِ، أُجْزِلَ أَجْرُهُما، ونحوُ هذا مِمَّا يَقْتَضِيهِ المعنَىٰ، ﴿وتلّه﴾ معناه: وَضَعَه بقوَّةٍ ومنه الحديثُ في القِدْحِ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في يده[٣]، أي: وضعه بقوَّة، و﴿للجبين﴾ معناه: لتلك الجهةِ وعليها، كما يقولون في المثلِ: [الطويل]

.... وَخَـرَّ صَـرِيـعـاً لِـلْـيَـدَيْـنِ وَلِـلْـفَـمِ

---

(١) وقرأ بها ابن مسعود، والحسن، وحميد، وعلي، ومجاهد، والضحاك، والأعمش، والثوري، وجعفر بن محمد.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٢٨)، و**«المحتسب»** (٢/ ٢٢٢)، و**«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٨١)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٣٥٥)، و**«الدر المصون»** (٥/ ٥١٠).

(٢) في جوابها ثلاثة أوجه:
«أحدها»: ـ وهو الظاهر ـ أنه محذوف، أي: نادته الملائكةُ أَوْ ظَهَرَ صبرهُما أو أَجْزَلْنا لهما أجْرَهما، وقدره بعضهم بَعْدَ الرؤيا أَيْ: كان ما كان مما يَنْطِقُ به الحال والوصفُ مما لا يدرك كُنْهُه. ونقل ابنُ عطيةَ أن التقدير: فلما أَسْلَمَا وَتَلَّهُ قال كقوله:

فَـلَـمَّـا أَجَـزْنـا سَـاحَـةَ الـحَـيِّ وَانْـتَـحَـى ... بِـنَـا بـطـن خَـبْـتٍ ذي قِـفَـافٍ عَـقَـنْـقَـلِ

أي: فَلَمَّا أجزْنَا وانْتحى. ويُعزى هذا لسيبويه، وشيخه الخليل، وفيه نظرٌ من حيث اتحاد الفعلين الجاريين مُجْرى الشرط والجواب إلاَّ أن يقال: جُعِلَ التغايرُ فليس الآية بالعطف على الفعل، وفي البيت يعمل الثاني في ساحة والعطف عليه أيضاً. والظاهر أَنَّ مثلَ هذا لا يكفي في التغايرُ.
ينظر: **«الدر المصون»** (٥/ ٥٠٩ ـ ٥١٠).

(٣) هذا حديث متفق على صحته بلفظ: «أن رسول اللَّه ﷺ: أتي بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن شماله الأشياخ ـ فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء»؟ فقال الغلام: واللَّه يا رسول اللَّه، لا أُوثِرُ بنصيبي مِنْكَ أحداً، قال: فَتَلَّه رسول اللَّه ﷺ في يده» عن سهل بن سعد. =

وكما تقول: سَقَطَ لِشِقِّهِ الأيْسَرِ، والجَبِينانِ: ما اكْتَنَفَ الجَبْهَةَ مِنْ ههنا، ومن ههنا، و«أَنْ» من قوله: ﴿أَنْ يَا إبراهيم﴾ مُفَسِّرَةٌ لاَ مَوْضِعَ لَهَا مِنَ الإعْرَابِ، و﴿صَدَّقْتَ الرؤيا﴾ يحتملُ أنْ يريدَ بقَلْبِكَ أو بِعَمَلِكَ، و«الرؤيا» اسمٌ لِمَا يُرَىٰ مِن قِبَلِ اللَّهِ ـ تعالى ـ، والمَنَامُ والحُلْمُ: اسمٌ لما يُرَىٰ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ؛ ومنه الحديث الصحيح: «الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ، والحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ»، و﴿البلاء﴾: الاخْتِبَارُ، والذِّبْحُ العظيمُ» في قول الجمهور: كَبْشٌ أَبْيَضُ أَعْيَنُ، وَجَدَهُ وَرَاءَهُ مَرْبُوطاً بسَمُرَةٍ، وأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَىٰ أَنَّ هذه القِصَّةَ نُسِخَ فيها العَزْمُ على الفِعْلِ؛ خلافاً للمعتزلة، قال أحمد بن نَصْرٍ الداوودي: وإنْ نَسَخَ اللَّهُ آيَةً قَبْلَ العَمَلِ بِهَا؛ فإنَّما يَنْسَخُها بَعْدَ اعْتِقَادِ قَبُولِها وهُوَ عَمَلٌ انتهى من تفسيره عند قوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَة﴾ [البقرة: ١٠٦]، قال * ع[١] *: ولا خلافَ أَنَّ إبْرَاهِيمَ أَمَرَّ الشَّفْرَةَ عَلَىٰ حَلْقِ ٱبْنِهِ فَلَمْ تَقْطَعْ، والجمهورُ أَنَّ أمْرَ الذَّبْحِ كانَ بِمِنًى، وقال الشَّعْبِيُّ: رَأَيْتُ قَرْنَيْ كَبْشِ إبْرَاهِيمَ مُعَلَّقَتَيْنِ في الكَعْبَةِ[٢]، وَرَوَىٰ عِمْرَانُ بنُ حُصَيْنٍ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «يَا فَاطِمَةُ، قُومِي لأُضْحِيَتِكِ، فَٱشْهَدِيهَا؛ فَإنَّهُ يُغْفَرُ لَكِ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهَا كُلُّ ذَنْبٍ عَمِلْتِيهِ، وَقُولِي: إنَّ صَلاَتِي ونُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ له وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ» قال عِمْرَانُ: قلت: يا رسُولَ اللَّهِ، هَذَا لَكَ وَلأَهْلِ بَيْتِكَ خَاصَّةً، أَمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً؟ قَالَ: «لاَ، بَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً» رواه الحاكم في «**المستدرك**»[٣] انتهى من «**السِّلاَح**».

وقوله تعالى: ﴿وظالم لنفسه﴾ توعُّد لمنْ كَفَرَ من اليهودِ بمحمَّد ـ عليه السلام ـ، و﴿الكتاب المستبين﴾: هو التوراةُ، قال قتادة وابن مَسْعُود: إلْيَاسُ: هو إدريسُ ـ عليه

= والحديث أخرجه البخاري (١٠/ ٨٩) كتاب «الأشربة» باب: هل يستأذن الرجل عن يمينه في الشرب ليعطي الأكبر، رقم: (٥٦٢٠)، (٥/ ١٢٣) كتاب «المظالم» باب: إذا أذن له أو أحله ولم يبين كم هو، (٢٤٥١)، (٦/ ٢٦٧) كتاب «الهبة» باب: الهبة المقبوضة وغير المقبوضة، والمقسومة وغير المقسومة (٢٦٠٥)، ومسلم (٣/ ١٦٠٤) كتاب «الأشربة» باب: استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما، عن يمين المبتدىء (١٢٧/ ٢٠٣٠)، ومالك في «**الموطأ**» (٢/ ٩٢٦، ٩٢٧) كتاب «صفة النبي ﷺ» (١٨)، وأبو داود الطيالسي (١/ ٣٣٢) كتاب «الأشربة» باب: إيثار من على اليمين بالشرب برقم: (١٦٨١)، والبيهقي في «**السنن الكبرى**» (٧/ ٢٨٦) كتاب «الصداق» باب: الأيمن فالأيمن في الشرب، وأحمد (٥/ ٣٣٣)، والطبراني (٦/ ١٧٠) (٥٨٩٠).

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٩١).

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥١٣) برقم: (٢٩٥٢٢)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٨٣).

(٣) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (٤/ ٢٢٢)، كتاب «الأضاحي».

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قال ابن أبي حاتم في «**العلل**» (٢/ ٣٨، ٣٩) برقم: (١٥٩٦) ـ قال: منكر.

السلام ـ[(١)]، وقالت فرقة: هو مِنْ وَلَدِ هَارُونَ، **وقرأ** نافع وابن عامِر: «عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ»، **وقرأ** الباقون: «عَلَىٰ إِلْيَاسِينَ» ـ بألفٍ مكسورةٍ ولام ساكنةٍ[(٢)] ـ، فَوُجِّهَتِ الأولَىٰ؛ علَىٰ أنها بمعنى: «أهْل»، و«ياسِينُ»: اسمُ لإلياسَ، وقيلَ: هو اسم لمحمَّد ـ عليه السلام ـ، ووُجِّهَتِ الثانيةُ علَىٰ أنَّها جَمْعُ «إِلْيَاسِيٍّ»، **وقرأ** ابن مسعود والأعمش: «وإِنَّ إِدْرِيسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَسَلاَمٌ عَلَىٰ إِدْرِيسِينَ»، قال السُّهيليُّ: قال ابن جِنِّيْ: العربُ تتلاعبُ بالأسماءِ الأعجميةِ تلاعباً؛ فـ «ياسين»، و«إلياسُ» و«اليَاسِينُ» شيءٌ واحدٌ، انتهى.

* ت *: وحكى الثعلبيُّ هنا حكايةً عَنْ عَبْدِ العزيزِ بْنِ أبي رواد، عن رجلٍ لَقِيَ إلياسَ في أيَّام مَرْوانَ بن الحَكَم، وأخبَرَهُ بعَدَدِ الأبْدَالِ وعَنِ الخَضِرِ في حكايةٍ طويلةٍ لا ينبغي إنكارُ مثلها؛ فأولياءُ اللَّهِ يُكاشَفُونَ بِعَجَائِبَ، فلا يُحْرَمُ الإنْسَانُ التَّصْدِيقَ بِهَا، جعلنا اللَّه مِنْ زُمْرَةِ أوليائه، انتهى.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

وقوله: ﴿أتدعون بعلاً﴾ معناه: أتعبُدُون، قَال الحسن والضَّحَّاك وابن زيد: بَعْلٌ: اسمُ صَنَم: كانَ لَهُمْ، ويقال له: بَعْلَبَك[(٣)]، وذكر ابنُ إسحاقٍ عن فرقة: أَنَّ بَعْلاً اسْمُ امرأةٍ كَانَتْ أَتَتْهُمْ بضلالةٍ، **وقرأ** حمزة والكسائي وعاصم: «اللَّهَ ربَّكم وربَّ آبائكم»[(٤)] كلُّ ذلك

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٢٠) برقم: (٢٩٥٦٩) عن قتادة وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٣٦) عن ابن مسعود، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٣) والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن ابن مسعود، ولعبد بن حميد عن قتادة.

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٤٨ ـ ٥٤٩)، و«الحجة» (٦/ ٥٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٤٩)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٢٢)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٨٤)، و«العنوان» (١٦٢)، و«حجة القراءات» (٦١٠)، و«شرح شعلة» (٥٦٣)، و«إتحاف» (٢/ ٤١٤).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٢١) برقم: (٢٩٥٧٦) عن الضحاك، وبرقم: (٢٩٥٧٧) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٤) وزاد نسبته للحسن.

(٤) ينظر: «السبعة» (٥٤٩)، و«الحجة» (٦/ ٦٣)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٥١)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٢١)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٨٧)، و«العنوان» (١٦٢)، و«حجة القراءات» (٦١٠)، و«شرح شعلة» (٥٦٤)، و«إتحاف» (٢/ ٤١٥).

بالنَّصبِ بَدَلاً مِن قولِه: ﴿أحسنَ الخالقين﴾ **وقرأ** الباقونَ كلَّ ذلكَ بالرفعِ على القَطْعِ والاستئناف، والضميرُ في ﴿كذَّبوه﴾ عائِدٌ على قومِ إلياسَ، و﴿محضرون﴾ معناه: مَجْمُوعُونَ لعذابِ اللَّهِ.

وقوله تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم﴾ مخاطبةٌ لقريشٍ، ثم وبَّخَهُمْ بقوله: ﴿أفلا تعقلون﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾

٩٢ ب وقوله تعالى: ﴿وإن يونس...﴾ الآية/ هو يونُسُ بن مَتَّى ﷺ، وهُو مِنْ بنِي إسرائيل.

وقوله تعالى: ﴿إذ أبق...﴾ الآية، وذلك أنه لما أَخْبَرَ قَوْمَهُ بوقْتِ مجيءِ العذَابِ، وغَابَ عَنهُمْ، ثم إنَّ قَوْمَهُ لَما رَأَوْا مَخَايِلَ العَذَابِ أنابُوا إلى اللَّهِ، فَقبلَ تَوْبَتَهُمْ، فلَمّا مَضَى وقتُ العَذَابِ، وَلَمْ يُصِبْهُمْ، قال يونسُ: لا أرْجِعُ إليهِمْ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، ورُوِي أنَّه كَانَ في سيرَتِهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا الكَذَّابَ فَأَبقَ إلى الفُلْكِ، أيْ: أَرادَ الهُرُوبَ، ودَخَلَ في البَحْرِ، وعبَّر عَنْ هُرُوبِهِ بالإِباقِ مِنْ حَيْثُ [إنَّه] فَرَّ عَنْ غَيْرِ إذْنِ مولاهُ، فَرُوِيَ عَنِ ابنِ مسعودٍ؛ أنه لَمَّا حَصَلَ في السفينةِ، وأبْعَدَتْ في البحرِ، رَكَدَتْ وَلَمْ تَجْرِ؛ وغيرُها من السُّفُنِ يجري يميناً وشِمالاً، فقال أهلها إنَّ فينا لَصَاحِبَ ذَنْبٍ وَبِهِ يَحْبِسُنَا اللَّهُ تعالَىٰ، فقالُوا: لِنَقْتَرِعْ، فأَخَذُوا لِكُلِّ وَاحِدٍ سَهْماً، وَٱقْتَرَعُوا، فَوَقَعَتِ القُرْعَةُ عَلى يونُسَ، ثَلاثَ مراتٍ، فَطَرَحَ حينَئِذٍ نَفْسَهُ، والْتَقَمَهُ الحُوتُ[1]، ورُوي أَنَّ اللَّهَ تعالى أَوْحَى إلى الحوتِ أني لَمْ أَجْعَلْ يُونُسَ لَكَ رِزْقاً، وإنما جَعَلْتُ بَطْنَكَ لَه حِرْزاً وسِجْناً، فهذا مَعْنَى ﴿فساهَمَ﴾.

والمُدْحَضُ: المغلوبُ في مُحَاجَّةٍ أَوْ مَسَاهَمَةٍ، وعبارةُ ابنِ العَرَبِيِّ في **«الأحكام»**[2]: «وأوْحَى اللَّه تعالَىٰ إلى الحُوتِ: إنا لَمْ نَجْعَلْ يونُسَ لَكَ رِزْقاً، وإنما جعلنا بَطْنَكَ له مَسْجِداً» الحديثَ، انتهى، ولَفْظَةُ «مَسْجِدٍ»: أَحْسَنُ من السِّجْنِ، فَرَحِمَ اللَّهُ عَبداً لَزِمَ الأَدَبَ لا سِيَّمَا مَعَ أنْبِيَائِهِ وأَصْفِيائِهِ، والـ«مُلِيمُ»: الّذِي أَتَى مَا يُلاَمُ عَلَيه؛

---

(١) ذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٤٢) عن ابن عباس ووهب، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨٥) عن ابن مسعود.

(٢) ينظر: **«أحكام القرآن»** (٤/ ١٦٢٢).

وبذلك فَسَّر مجاهدٌ وابنُ زيد[١].

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ قيل: المرادُ: القائلينَ: سُبْحَانَ اللَّهِ في بَطْنِ الحُوتِ؛ قاله ابن جُرَيْجٍ[٢]، وقالتْ فِرْقَةٌ: بَلِ التَّسْبِيحُ هنا الصَّلاَةُ، قال ابن عبَّاس وغَيْره: صَلاَتُهُ في وَقْتِ الرَّخَاءِ نَفَعَتْهُ في وَقْتِ الشِّدَّةِ[٣]؛ وقال هذا جماعةٌ من العلماءِ، وقال الضَّحَّاك بن قَيْسٍ على مِنْبَرِهِ: اذْكُرُوا اللَّهَ؛ عباد اللَّه؛ في الرَّخَاءِ يَذْكُرْكُمْ في الشِّدَّةِ، إن يُونُسَ كانَ عَبْداً لِلَّهِ ذَاكِراً له، فَلَمَّا أصابَتْهُ الشِّدَّةُ نَفَعُه ذلك، قالَ اللَّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾، وإن فرعونَ كانَ طَاغِياً بَاغِياً فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ، قَال: آمَنْتُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذلكَ، فَاذْكُروا اللَّهَ في الرَّخَاءِ يَذْكُرْكُمْ في الشِّدَّةِ[٤]، وقال ابن جُبَيْرٍ: الإشارَةُ بقولِهِ: ﴿من المسبحين﴾ إلى قوله: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥] [الأنبياء: ٨٧].

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فنبذناه بالعراء...﴾ الآية، «العَرَاءُ»: الأرْضُ الفيحاءُ التي لاَ شَجَرَ فيها ولاَ مَعْلَمَ، قال ابن عباس وغيره في قوله: ﴿وهو سقيم﴾: إنَّه كالطفلِ المَنْفُوسِ، بُضْعَةُ لَحمٍ[٦]، وقال بعضهم كاللَّحْمِ النَّيْءِ، إلاَّ أنَّه لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ، فأنْعَشَهُ اللَّهُ في ظِلِّ اليَقْطِينَةِ بِلَبَنِ أُرْوِيَّةٍ [كَانَتْ تُغَادِيه وتُراوِحُهُ، وقيل: بلْ كَانَ يَتَغَذَّىٰ من اليَقْطِينَةِ،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٧) برقم: (٢٩٥٩٦) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٥٩٨) عن ابن زيد بلفظ: مذنب، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٤٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦) عنهما، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٤٢)، وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٨) برقم: (٢٩٦٠٠) عن قتادة، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦) عن ابن عباس، وقتادة، وأبي العالية، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٤٣)، وعزاه لأحمد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٨) برقم: (٢٩٦٠٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٤٣)، وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٩) برقم: (٢٩٦٠٨)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٤٣).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٢٩) برقم: (٢٩٦١٤) عن السدي، ورقم: (٢٩٦١٥) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٨٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢١).

ويجدُ منها ألوانَ الطَّعَام وأنواعَ][١] شهواتِه، قال ابن عبَّاس وأبو هريرة وعمرو بن مَيمُونٍ: اليقطين: القَرْعُ خاصَّة[٢]، وقيل، كُلُّ ما لاَ يَقُومُ على ساقٍ كَالبَقُولِ والقَرْعِ والبطِّيخِ ونحوه مما يَمُوتُ؛ من عَامِهِ، ومشهورُ اللُّغَةِ أنَّ اليقطينَ هو القَرْعُ، فَنَبَتَ لَحْمُ يونُسَ ـ عليه السلام ـ وصَحَّ، وحَسُنَ لَوْنُهُ، لأنَّ وَرَقَ القَرْعِ أنفَعُ شيءٍ لِمَنْ تَسَلَّخَ جِلْدُهُ، وهُوَ يَجْمَعُ خِصَالاً حميدةً، بَرْدُ الظِّلِّ [ولِينُ] المَلْمَسِ، وأنَّ الذُّبَابَ لاَ يقربُها، حكى النَّقَّاشُ أن مَاءَ وَرَقِ القَرْعِ إذا رُشَّ به مَكانٌ، لَمْ يَقْرَبْهُ ذُبَابٌ، ورُوِيَ أنَّهُ كان يوماً نائِماً، فأيْبَسَ اللَّهُ تِلْكَ اليَقْطِينَةَ، وقيل: بَعَث عَلَيها الأَرَضَةَ فَقَطَعَتْ وَرَقَها، فانْتَبَهَ يُونُسُ لِحَرِّ الشَّمْسِ، فَعَزَّ عَلَيْه شَأْنُها، وجَزِعَ له؛ فأوحَى اللَّهُ إلَيْهِ: يا يونُسُ، جَزِعتَ لِيُبْسِ الْيَقْطِينَةِ، وَلَمْ تَجْزَعْ لإهْلاكِ مِائَةِ ألفٍ أو يَزِيدُونَ تَابُوا فَتُبْتُ عَلَيْهِم.

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال الجمهور: إنَّ هذه الرسالةَ هي رِسالتهُ الأولى ذكرَها اللَّهُ في آخر القَصَصِ، وقال قَتَادَةُ وغيره: هذه رسالةٌ أُخرَى بَعْدَ أنْ نُبِذَ بالعراء، وهي إلى أهل «نِينَوَىٰ» من ناحِيَة المَوْصِلِ[٣]، **وقرأ** الجمهور[٤]: «أو يزيدون» فقال ابن عباس: «أو» بمعنى «بل»[٥] ورُوِيَ عَنْه أنه[٦] **قرأ**: «بل يزيدون»/ وقالت فرقة: «أو» هنا بمعنى الواو، **وقرأ** جعفر بن محمد[٧]: «ويزيدون» وقال المُبَرِّدُ، وكثيرٌ مِنَ ١٩٣أ

---

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٥٣٠) برقم: (٢٩٦٢١) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٦٢٢) عن عمرو بن ميمون، وبرقم: (٢٩٦٢٥) عن أبي هريرة بلفظ: الشجرة الدُّبَّاء، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٤٣)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨٧)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٥٤٦)، وعزاه لابن جرير من طريق ابن قسيط عن أبي هريرة، ولابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود.

(٣) ذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨٧) عن ابن عباس، وقتادة.

(٤) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٨٧)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٣٦٠).

(٥) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٥٣١)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨٧)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٢).

(٦) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٨٧).

(٧) ينظر: **«المحتسب»** (٢/ ٢٢٦)، و**«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٨٧)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٣٦٠).

البَصْرِيِّين: قوله: ﴿أو يزيدونَ﴾ المعنى: على نَظَرِ البَشَرِ وحَزْرِهم، أي: من رآهم قال: مائة ألف أو يزيدون، ورَوَىٰ أُبَيُّ بنِ كَعْبٍ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كانوا مائةً وعشرينَ ألفاً.

* ت *: وعبارة أحمد بن نَصْرٍ الدَّاوودِي: وعن أبي بن كَعْب قال: سألتُ النَّبيَّ ﷺ عن الزيادتين: ﴿الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أَوْ يزيدون﴾ قال يزيدون عشرين ألفاً، وأحسبه قال: الحسنى: الجنة، «والزيادة» النظرُ إلى وجهِ اللَّه ـ عز وجل[١] ـ، انتهى، وفي قوله: ﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ مثالٌ لقريشٍ إنْ آمنوا، ومِنْ هنا حَسُنَ انتقالُ القَوْلِ والمحاوَرَةِ إِلَيْهِم بقوله: ﴿فاستفتهم﴾؛ فإنما يعود على ضميرِهم، على ما في المعنى من ذِكْرِهِمْ، والاستفتاءُ: السؤال؛ وهو هنا بمعنى التَّقريعِ والتَّوْبِيخِ في جعلهمُ البَنَاتِ للَّه، تعالى اللَّهُ عَنْ قولِهِمْ، ثم أخبر [اللَّهُ] تعالى عن فرقةٍ منهم بلَغَ بِهَا الإِفْكُ والكَذِبُ إلى أَنْ قالتْ: ولدَ اللَّهُ الملائكةَ؛ لِأَنَّه نَكَحَ في سَرَوَاتِ الجِنِّ، تعالَى اللَّهُ عن قولِهِم، وهذه فرقةٌ، مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ فيما رُوِيَ، **وقرأ** الجمهور[٢]: «أَصْطَفَى البَنَاتِ» بهمزةِ الاسْتِفهامِ عَلَى جهةِ التَّقْرِيعِ[٣] والتوبيخِ.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ الجِنَّةُ هنا: قيل: همُ الملائِكَةُ: لأنها مُسْتَجِنَّةٌ، أي: مُسْتَتِرَةٌ، وقيل: الجِنَّةُ هُمُ الشياطينُ، والضميرُ في ﴿جعلوا﴾ لِفِرْقَةٍ من كفارِ قريشٍ والعَرَبِ، ﴿ولقد علمتِ الجِنَّةُ إنهم لمحضرون﴾ أي: سَتَحْضُرُ أَمْرَ اللَّهِ وثوابَه وعقابَه، ثم نَزَّهَ ـ تعالى ـ نفسَه عما يصِفُهُ الكفرةُ، ومِنْ هَذا استَثْنَىٰ عبادَه المُخْلَصِينَ؛ لأنَّهُمْ يَصِفُونَهُ بِصِفَاتِهِ العُلاَ، وقالت فرقة: اسْتَثْنَاهُمْ من قولِه: ﴿لمحضرون﴾ وعبارةُ الثعلبي:

---

(١) ورد سؤال أبيّ بن كعب عن قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ فقال: يزيدون عشرون ألفاً، وذلك في حديث: أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٥) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الصافات برقم: (٣٢٢٩).
قال الترمذي: هذا حديث غريب.
أما الزيادة الثانية، وهي التي في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ فالحديث: أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥١) برقم: (١٧٦٤٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٤٧) تفسير سورة يونس: آية رقم (٢٦)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والدارقطني، وابن مردويه واللالكائي، والبيهقي في كتاب «الرؤية» عن أُبيّ بن كعب أنه سأل رسول اللَّه ﷺ عن ذلك.
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦١)، و«الدر المصون» (٥/ ٥١٤).
(٣) في د: التقرير.

﴿ولقد علمت الجنة﴾ أي: الملائكة أنَّ قائِلي هذه المقالةِ مِنَ الكفرةِ ﴿لمحضرون﴾ في النَّارِ، وقيل للحسابِ، والأولُ أَوْلَى لأنَّ الإِحْضَارَ مَتَى جَاء في هذه الصُّورة عُنِيَ بِهِ العذابُ ﴿إلا عباد اللَّه المخلصين﴾ فإنَّهُمْ ناجُونَ مِنَ النَّار، انتهى، وفي البخاريِّ ﴿لمحضرون﴾ أي: سَيُحْضَرُونَ للحِسَاب، انتهى.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فإنكم وما تعبدون﴾ بمعنى: قل لهم يا محمد، إنَّكم وأصنامَكم مَا أَنْتُم بمضلِّينَ أَحَداً بسبَبِها وَعَلَيهَا إلاَّ مَنْ قَدْ سَبَقَ عليه القضاءُ؛ فإنَّه يَصْلَى الجَحِيمَ في الآخرةِ ولَيْسَ لَكُمْ إضْلالُ مَنْ هَدَى اللَّهُ تعالى، وقالت فرقة: ﴿عليه﴾ بمعنى: «به» والفَاتِنُ: المُضِلُّ في هذا الموضعِ؛ وكذلك فسَّره ابن عَباس وغيره[(١)]، وحذفت اليَاءُ مِنْ ﴿صَالِ﴾ للإضَافةِ.

ثم حكى ـ سبحانه ـ قولَ الملائِكَةِ ﴿وما مِنّا إلا له مقام معلوم﴾؛ وهذا يؤيِّدُ أَن الجِنَّةَ أرادَ بِها الملائِكةَ، وتقديرُ الكلامِ وما منا مَلَكٌ، وَرَوَتْ عَائِشَةُ ـ رضي اللَّه عنها ـ عَن النبيِّ ﷺ: «أَنَّ السَّمَاءَ مَا فِيها مَوْضِعُ قَدَمٍ إلاَّ وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ وَاقِفٌ يُصَلِّي»، وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ وغيرِه نَحْوُه[(٢)].

﴿والصَّافُّونَ﴾ معناه: الواقِفُونَ صفوفاً، و﴿المُسَبِّحُونَ﴾، يحتملُ أن يريدَ به الصَّلاَةَ، ويحتملُ أنْ يريدَ قَولَ: سبحَانَ اللَّهِ، قال الزَّهْرَاوِيُّ: قيل: إن المسْلِمِينَ إنما اصْطَفُّوا في الصلاةِ؛ مُذْ نَزَلَتْ هذهِ الآيةُ، ولا يصطفُّ أحَدٌ من أهلِ المِلَلِ غَيْرُ المسلمينَ، ثمَّ ذكرَ تعالىٰ مَقَالَةَ بَعْضِ الكفارِ، قال قتادةُ وغيرُه: فإنهم قَبل نُبُوَّةِ نبيِّنا محمد ﷺ، قالوا: لو كَانَ لَنَا كتابٌ أو جاءَنا رسولٌ، لَكُنا عِبَادَ اللَّهِ المخْلَصِينَ، فلما جَاءهم محمَّدٌ كَفرُوا به، فَسَوْفَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٦) برقم: (٢٩٦٦١) عن ابن عباس بنحوه، وبرقم: (٢٩٦٦٤) عن الحسن، وبرقم: (٢٩٦٦٧) عن إبراهيم، وذكره البغوي (٤/ ٤٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٤٨)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٣٩) برقم: (٢٩٦٨٠)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٠)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود.

يَعْلَمُون[١]، وهذا وَعِيدٌ مَحْضٌ، ثم آنَسَ تعالى نبيَّه وأولياءَه بأنَّ القَضَاء قد سَبَق، والكلمةُ قَدْ حَقَّتْ بأنَّ رُسُلَهُ سبحانه هم المنصُورُونَ، على من نَاوَأَهُمْ، وجُنْدُ اللَّهِ هُمُ الغزاةُ.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فتول عنهم﴾ أمْرٌ لنبيِّهِ بالمُوَادَعَةِ، وَوَعْدٌ جَمِيلٌ، و﴿حتَّىٰ حينٍ﴾ قيل هو يومُ بَدْرٍ، وقِيل: يومُ القيامةِ.

وقولهُ تَعَالَىٰ: ﴿وأبْصِرْهُمْ فسوفَ يبصرون﴾ وَعْدٌ للنَّبي ﷺ وَوَعِيدٌ لهُمْ، ثم وبَّخهم على استعجالِ العذَابِ ﴿فإذا نزل﴾ أي: العذابُ، ﴿بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾ والساحةُ الفِنَاء، وسُوءُ الصباحِ: أيضاً مستعملٌ في وُرُودِ[٢]/ الغَارَاتِ، قلْتُ: ومنه قولُ ٩٣ب
النبيِّ ﷺ لَمَّا أَشْرَفَ عَلَىٰ خَيْبَرَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إنَّا إذا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ، فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ»[٣] انتهى،

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) في جـ هنا: انتقل من سورة ص إلى الترقيم في المخطوط برقم: (١) وقد سرنا نحن معه على تسلسل الترقيم.

(٣) هذا حديث صحيح متفق على صحته: أخرجه البخاري (٢/ ١٠٧) كتاب «الأذان» باب: ما يُحْقَنُ بالأذان من الدماء. (٦١٠)، (١/ ٥٧٢) كتاب «الصلاة» باب: ما يذكر في الفخذ (٣٧١)، (٢/ ٥٠٧ ـ ٥٠٨) كتاب «الخوف» باب: التبكير والغلس بالصبح والصلاة عند الإغارة والحرب (٩٤٧)، (٤/ ٤٨٩) كتاب «البيوع» باب: بيع العبد والحيوان بالحيوان نسيئة (٢٢٢٨) طرفاً منه، (٤/ ٤٩٤) كتاب «البيوع» باب: هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها؟ (٢٢٣٥)، (٦/ ٩٨) كتاب «الجهاد والسير» باب: فضل الخدمة في الغزو (٢٨٨٩)، (٦/ ١٠١ ـ ١٠٢) كتاب «الجهاد والسير» باب: من غزا بصبي للخدمة (٢٨٩٣)، (٦/ ١٣٠) كتاب «الجهاد والسير» باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة (٢٩٤٣ ـ ٢٩٤٤ ـ ٢٩٤٥)، (٦/ ١٥٦) كتاب «الجهاد والسير» باب: التكبير عند الحرب (٢٩٩١)، (٦/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) كتاب «الجهاد والسير» باب: ما يقول إذا رجع من الغزو (٣٠٨٥ ـ ٣٠٨٦)، (٦/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤) كتاب «الجهاد والسير» باب: الصلاة إذا قدم من سفر (٣٠٨٧)، (٦/ ٧٣٢) كتاب «المناقب» باب: (٢٨) (٣٦٤٧)، (٧/ ٤٣٦) كتاب «المغازي» باب: أحدٌ جبل يحبُّنا ونحبه (٤٠٨٣ ـ ٤٠٨٤)، (٧/ ٥٣٤) كتاب «المغازي» باب: غزوة خيبر (٤١٩٧ ـ ٤١٩٨ ـ ٤١٩٩ ـ ٤٢٠٠ ـ ٤٢٠١)، (٧/ ٥٤٧) كتاب «المغازي» باب: غزوة خيبر(٤٢١١ ـ ٤٢١٢ ـ ٤٢١٣)، (٩/ ٢٩) كتاب «النكاح» باب: اتخاذ السراري، ومن أعتق جارية ثم تزوجها (٥٠٨٥)، (٩/ ١٣٢) كتاب «النكاح» باب: البناء في السفر (٥١٥٩)، (٩/ ١٤٠) كتاب «النكاح» باب: الوليمة ولو بشاة (٥١٦٩)، (٩/ ٤٤٠) كتاب «الأطعمة» باب: الخبز المرقق، والأكل على الخوان

وقَرَأَ ابن مسعود: «فَبِئْسَ صَبَاحُ»[(١)]، والعزة في قولِهِ: ﴿رَبِّ العزة﴾ هي العزة المَخْلُوقَةُ الكائِنَةُ للأنبياءِ والمؤمِنينَ؛ وكذلك قال الفقهاءُ مِنْ أجْلِ أنَّها مَرْبُوبَةٌ؛ قال محمدُ بن سُحْنُونَ وغيره: مَنْ حَلَفَ بعزَّةِ اللَّهِ، فَإنْ كَانَ أرادَ صِفَتَهُ الذَّاتِيَّةَ، فَهِي يَمينٌ، وإنْ كَانَ أَرَادَ عِزَّتَهُ الَّتِي خَلَقَ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَهي الَّتِي في قَوْلِه: ﴿رَبِّ العِزَّةِ﴾ فَلَيْسَتْ بيَمِينٍ، ورُوِيَ عَن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إذا سَلَّمْتُمْ عَليّ، فَسَلِّمُوا عَلَى المُرْسَلِينَ؛ فإنَّما أنَا أحَدُهُمْ»[(٢)] صلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى آله وعَلَىٰ جميع النبيِّين وسلَّم.

والسفرة (٥٣٨٧)، (٩/ ٤٦٥) كتاب «الأطعمة» باب: الحيس برقم: (٥٤٢٥)، (٩/ ٤٦٦) كتاب «الأطعمة» باب: ذكر الطعام (٥٤٢٨)، (٩/ ٥٧٠) كتاب «الذبائح والصيد» باب: لحوم الحمر الإنسية برقم: (٥٥٢٨)، (١٠/ ٢٦) كتاب «الأضاحي» باب: ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها (٥٩٦٨)، (١٠/ ٥٨٤) كتاب «الأدب» باب: قول الرجل: «جعلني اللّه فداك» (٦١٨٥)، (١١/ ١٧٧) كتاب «الدعوات» باب: التعوذ من غلبة الرجال (٦٣٦٣)، (١١/ ١٨٢) كتاب «الدعوات» باب: الاستعاذة من الجبن والكسل (٦٣٦٩)، (١٣/ ٣١٦) كتاب «الاعتصام بالكتاب والسنة» باب: إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة (٧٣٣٣)، ومسلم (٢/ ١٠٤٣ ـ ١٠٤٤) كتاب «النكاح» باب: فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها(٨٤/ ١٣٦٥)، والنسائي (٦/ ١٣١، ١٣٤) كتاب «النكاح» باب: البناء في السفر (٣٣٨٠)، وأحمد (٣/ ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٦، ٢٠٦، ٢٤٦، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧١)، والبيهقي (٢/ ٢٣٠) كتاب «الصلاة» باب: من زعم أن الفخذ ليست بعورة، وما قيل في السرة والركبة (٩/ ٥٥) كتاب «السير» باب: قسمة الغنيمة في دار الحرب (٩/ ٧٩ ـ ٨٠) كتاب «السير» باب: قتل النساء والصبيان في التبيت والغارة من غير قصد، وما ورد في إباحة التبيت، وابن حبان (١١/ ٥١ ـ ٥٢) كتاب «السير» باب: ذكر البيان على المرء إذا أتى دار الحرب أن لا يشن الغارة حتى يصبح (٤٧٤٧)، ومالك في **«الموطأ»** (٢/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩) كتاب «السير» باب: الخروج وكيفية الجهاد (٤٧٤٦)، والترمذي (٤/ ١٢١) كتاب «السير» باب: في البيات والغارات (١٥٥٠).

(١) ينظر: **«الكشاف»** (٤/ ٦٨)، و**«المحرر الوجيز»** (٤/ ٤٩٠)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٣٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٠/ ٥٤٣) برقم: (٢٩٧٠٤)، وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٢٩٤) ـ ط دار المعرفة، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

تَفسِيرُ سُورَةِ «صٓ»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾

قرأ أُبَيُّ بن كَعْبٍ والحسن وابن أبي إسحاقَ: «صَادِ» ـ بِكَسْرِ الدالِ[1] ـ، والمعنى: مَاثِلِ القرآن بِعَمَلِكَ، وقارِبْهُ بطاعَتِكَ، وكذا فسَّرهُ الحَسَنُ[2]، أي: انظر أينَ عَمَلُكَ منه. وقال الجمهورُ: إنه حَرْفُ مُعْجَم يَدْخُلُه مَا يَدْخل أوائِلَ السور مِنَ الأَقْوَالِ، وَيَخْتَصُّ هذا بأَنْ قَالَ بعضُ الناسِ: معناه: صَدَقَ محمد ﷺ، وقال الضَّحَّاك: معناهُ: صَدَقَ اللَّهُ[3]، وقال محمد بن كَعْب القُرَظِيُّ: هو مِفْتَاحُ أَسْمَاءِ اللَّهِ: صَمَدٌ صَادِقٌ، ونحوُهُ[4].

وقوله: ﴿والقرءان ذي الذكر﴾ قَسَمٌ؛ قال ابن عباسٍ وغيره: معناه: ذي الشَّرَفِ الباقي المُخَلَّدِ[5]،

---

(١) وقرأ بها أبو السمال.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩١)، و«البحر المحيط» (٧/ ٣٦٦)، وزاد نسبتها إلى ابن أبي عبلة، ونصر بن عاصم، وهي في «الدر المصون» (٥/ ٥١٩).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٤) برقم: (٢٩٧٠٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٥) برقم: (٢٩٧١٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٦)، وعزاه لابن جرير.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩١).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٦) برقم: (٢٩٧١٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٧)، وابن عطية في في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٦) كلهم عن ابن عباس.

وقالَ قتادة: ذي التذكرةِ للنَّاسِ والهداية لهم[١]، وقالت فرقةٌ: ذي الذِّكْرِ للأُمَمِ والقَصَصِ والغُيُوبِ، * ت *: ولا مانِعَ [مِنْ] أَنْ يُرَادَ الجميعُ، قال * ع[٢] *: وأما جَوَابُ القَسَم، فَاخْتُلِفَ فيه؛ فقالت فرقة: الجوابُ في قوله: ﴿صٓ﴾؛ إذ هُوَ بمعنى: صَدَقَ اللَّهُ أو صَدَقَ محمَّد ﷺ، وقال الكوفيُّون والزَّجَّاج[٣]: الجَوَابُ في قوله: ﴿إن ذلك لَحَقٌّ تخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: ٦٤]، وقَالَ بَعْضُ البصريِّين ومنهم الأخفَشُ: الجوابُ في قوله: ﴿إِنْ كُلٌّ إلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ [ص: ١٤]، قال * ع[٤] *: وهذانِ القولانِ بَعيدانِ، وقال قتادة[٥] والطبري[٦]: الجواب مقدَّرٌ قَبْلَ «بل»، وهذا هو الصحيحُ، وتقديره: والقرآن، ما الأَمْرُ كما يَزْعُمُونَ، ونَحْوُ هَذَا مِنَ التَّقْدِيرِ، فَتَدَبَّرْهُ، وقال أبو حَيَّان[٧]: الجوابُ: إنك لمن المرسلين، وهو ما أَثْبتَ جَوَاباً للقرآن حينَ أَقْسَمَ بهِ، انتهى، وهو حَسَن، قال أبو حيان: وقوله: ﴿في عزة﴾ هي قراءةُ الجمهور، وعن الكسائي[٨] بالغين المعجمة والراء، أي: في غَفْلَةٍ، انتهى.

والعِزَّةُ هنا: المُعَازَّةُ والمُغَالَبَةُ والشِّقَاقُ ونحوُهُ، أيْ: هم في شِقٍّ، والحَقُّ في شِقٍّ، وكَمْ للتكثير، وهي خَبَرٌ فِيه مثالٌ ووعيدٌ، وهِي في مَوْضِعِ نَصْبٍ بـ﴿أهلكنا﴾.

وقوله: ﴿فنادوا﴾ معناهُ: مُسْتَغِيثين، والمعنى: أنهم فَعلوا ذلك بعد المُعَايَنَةِ، فَلَمْ ينْفعهم ذلك؛ ولم يكُنْ في وَقْتِ نَفْعٍ، و﴿لات﴾ بمعنى: ليس، وٱسْمُهَا مقدَّرٌ عند سِيبَوَيْهِ، تقديره: وَلاَتَ الحِينُ حِينَ مَنَاصٍ، والمَنَاصُ: المَفَرُّ، ناصَ يَنُوصَ: إذا فَرَّ وَفَاتَ، قالَ ابن عَبَّاس: المَعْنَىٰ: ليسَ بِحِينِ نَزْوٍ وَلاَ فِرَارٍ ضَبطَ القوم[٩]، والضميرُ في ﴿عجبوا﴾ لكفارِ قريشٍ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٦) برقم: (٢٩٧١٩)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩١).
(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٣١٩).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩١).
(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٧) عن قتادة، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٢).
(٦) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٥٤٧).
(٧) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٧).
(٨) وقرأ بها حماد بن الزبرقان، وأبو جعفر، والجحدري.
ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٦٧)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٢٠).
(٩) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٤٨) برقم: (٢٩٧٢٥)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٦)، وعزاه السيوطي للطيالسي، وعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن التميمي.

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨﴾

١٩٤أ قوله تعالى: ﴿وانطلق الملأ منهم أن/ امشوا واصبروا على ءالهتكم. . .﴾ الآية، رُوِيَ فِي قَصَصِ هذهِ الآيةِ، أنَّ أشْرَافَ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا عِنْدَ مَرَضِ أبي طالب، وقالوا: إن مِنَ القبيح علينا أن يموتَ أبو طالب، ونُؤْذِيَ محمَّداً بَعْدَهُ، فتقولُ العربُ: تركُوهُ مُدَّةَ عَمِّهِ، فَلَمَّا مَاتَ آذَوْهُ، ولكن لِنذهبْ إلى أبي طالب فَيُنْصِفَنَا مِنْهُ ويَرْبِطَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ رَبطاً، فَنَهَضُوا إليه، فقالوا: يا أبا طالب: إن محمداً يَسُبُّ آلهتَنا، ويُسَفِّهُ آراءنا، ونحنُ لا نُقَارُّهُ عَلَىٰ ذلك، ولكن افْصِلْ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ في حياتِكَ بأن يُقِيمَ في منزلِهِ يَعْبُدُ ربَّهُ الذي يَزْعُمُ ويدعُ آلهتنا وسَبَّها، ولا يَعْرِضُ لأحَدٍ منا بشيْءٍ من هذا، فبعث أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال: يا محمَّدُ، إن قومَكَ قد دَعَوْكَ إلى النَّصَفَةِ، وهِيَ أن تَدَعَهُمْ وتَعْبُدَ رَبَّكَ وَحْدَكَ، فقال: أوَ غَيْرَ ذلكَ يا عَمُّ؟ قال: وما هو؟ قال: يُعْطُونَنِي كَلِمَةً تَدِينُ لَهُمْ بِهَا العَرَبُ، وَتُؤَدِّي إلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ بِهَا العَجَمُ، قَالُوا: وَمَا هِيَ؟! فَإِنَّا نُبَادِرُ إلَيْهَا! قَالَ: «لاَ إلَهَ إلاَّ اللَّهُ»؛ فَنَفَرُوا عِنْدَ ذَلِكَ، وَقَالُوا: مَا يُرْضِيكَ مِنَّا غَيْرُ هٰذَا؟ قال: «واللَّهِ، لَوْ أَعْطَيْتُمُونِي الأَرْضَ ذَهَباً وَمَالاً»[1] وفي روايةِ «لَوْ جَعَلْتُمُ الشَّمْسَ فِي يَمِينِي والقَمَرَ فِي شِمَالِي مَا أَرْضَىٰ مِنْكُمْ غَيْرهَا» فَقَامُوا عِنْدَ ذَلِكَ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ لِبَعْض: ﴿أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾، ويُرَدِّدُونَ هذا المعنَىٰ، وعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ يقولُ: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾، فقوله تعالى: ﴿وانطلق الملأ﴾ عبارةٌ عن خروجِهم عَن أبي طالبٍ وانطلاقِهِمْ من ذلكَ الجَمْعِ، هذا قولُ جماعةٍ من المفسِّرين.

وقوله: ﴿أن امشوا﴾ نَقَلَ الإمامُ الفخرُ[2] أَنَّ «أن» بمعنى: «أي»، انتهى، وقولهم: ﴿إن هذا لشيء يراد﴾ يريدون ظهورَ محمَّدٍ وعلوَّه، أي: يُرادُ مِنَّا الانقيادُ لَه، وأنْ نكونَ له أتْبَاعاً، ويريدونَ بِالمِلَّةِ الآخرةِ مِلَّةَ عِيسَىٰ، قاله ابنُ عبَّاس، وغيره[3]؛ وذلك أنها ملَّةٌ شُهِرَ فيها التثليثُ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/٥٥٣) برقم: (٢٩٧٥٠) وعن السدي برقم: (٢٩٧٥١)، وعن ابن عباس مختصراً، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٢٩٦) ـ ط دار المعرفة، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٦/١٥٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٥٢) برقم: (٢٩٧٤٢) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٤٩)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٤٩٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٥٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

ثم تَوَعَّدَهُم ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ أي: لو ذاقوه، لَتَحَقَّقُوا أَنَّ هذه الرسالة [حقٌّ].

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك...﴾ الآية، عبارةُ الثعلبيّ: ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ يعني: مَفاتيح النبوَّة حتى يُعْطُوا مَنِ ٱخْتَارُوا، نظيرَها ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزُّخْرف: ٣٢].

قوله تعالى: ﴿أم لهم ملك السمٰوات والأرض وما بينهما﴾ يعني: أنَّ ذلكَ للَّهِ تعالى؛ يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ فَلْيَصْعَدُوا فِيمَا يُوَصِّلُهُمْ إلى السمواتِ، فليأتوا منها بالوحي إلَىٰ مَنْ يختارونَ، وهذا أَمْرُ توبيخٍ وتَعْجِيزٍ، انتهى، ونحوه كلامُ * ع[١] *.

ثم وعدَ اللَّهُ نبيَّهُ النَّصْرَ، فقال: ﴿جند ما هنالك مهزوم﴾ أي: مَغْلُوبٌ ممنوعٌ مِنَ الصُّعُودِ إلى السماء، ﴿من الأحزاب﴾ أي: من جملة الأحزابِ، قال * ع[٢] *: وهذا تأويل قَوِيٌّ، وقالت فرقة: الإشارة بـ﴿هنالك﴾ إلى حمايةِ الأَصْنَام وعَضْدِهَا، أي: هؤلاءِ القومُ جندٌ مهزومٌ في هذهِ السبيلِ، وقال مجاهد: الإشارةُ بـ«هنالك» إلى يوم بدر[٣]، وهي من الأمورِ المُغَيَّبَةِ أُخْبِرَ بها عليه السلام.

«وما» في قوله: ﴿جند مَّا﴾ زائدةٌ مؤكِّدةٌ، وفيها تخصيصٌ، وباقي الآية بيِّنٌ.

وقال أبو حَيَّانَ[٤] ﴿جند﴾ خَبَرُ مبتدإٍ محذوفٍ، أي: هُمْ جُنْدٌ وما زَائِدَة أو صِفَة أُرِيدَ بها التعظيمُ على سبيل الهُزْءِ بهم/ أو الاسْتِخْفَافِ؛ لأن الصفة تُسْتَعْمَلُ على هذينِ ٩٤ ب
المعنيينِ، و﴿هنالك﴾ ظرفُ مكانٍ يُشَارُ به إلى البَعِيدِ، في مَوْضِعِ صِفَةٍ لـ﴿جُنْد﴾، أي: كائنٌ هنالك، أو متعلِّقٌ بـ﴿مهزوم﴾، انتهى.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٥).
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٥) برقم: (٢٩٧٦٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٩)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٥) عن مجاهد، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.
(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٠).

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ أي: ينتظرُ، ﴿إلا صيحةً واحدةً﴾ قال قتادة: تَوَعَّدَهُمْ سُبْحَانَهُ بصيحةِ القِيَامَةِ والنفخ في الصُّور[١]، قَالَ الثَّعْلَبِيُّ: وقد رُوِيَ هذا التفسيرُ مرفوعاً، وقالت طائفةٌ: تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ بِصَيْحَةٍ يُهْلَكُونَ بِهَا في الدنيا، ﴿ما لها من فواق﴾ قرأ الجمهورُ - بفتح الفاءِ -، وقرأ حمزةُ والكسائي «فُوَاق» - بِضم الفاء[٢] -، قال ابن عباس: هما بمعنًى، أي: ما لَها من انْقِطَاعٍ وَعَوْدَةٍ، بَلْ هِي مُتَّصِلَةٌ حَتَّىٰ تُهْلِكَهُمْ[٣]، ومنه: فُوَاقُ الحَلْبِ، وهُوَ المُهْلَةُ التي بَيْنَ «الشُّخْبَيْنِ»، وقال ابن زَيْدٍ وغيرُهُ: المعنَىٰ مُخْتَلِفٌ[٤]، فالضَّمُّ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ مَعْنَى فُوَاقِ النَّاقَةِ، والفتحُ بِمَعْنَى الإفَاقَةِ، أيْ: لا يُفِيقُونَ فيها كما يُفِيقُ المَرِيضُ، والمَغْشِيُّ عَلَيْهِ، والْقِطُّ: الحَظُّ والنصيبُ، والْقِطُّ أَيْضاً الصَّكُّ والكتابُ من السُّلْطَانِ بِصِلة، ونحوِهِ، واختلِف في الْقِطِّ هُنَا، ما أرادوا به؟ فقال ابن جُبَيْر: أرادوا به: عَجِّلْ لَنَا نَصِيبَنَا من الخَيْرِ والنَّعِيم في دُنْيَانا[٥]، وقال أبو العالية: أرادوا عَجِّل لنا صُحُفَنَا بأيمانِنا[٦]؛ وذلك لمَّا سَمِعُوا في القرآن أَنَّ الصُّحُفَ تُعْطَىٰ يوم القيامةِ بالأَيْمَانِ والشَّمائِل، وقال ابن عباس وغيره: أرادوا ضِدَّ هَذَا من العذابِ ونحوهِ[٧]، وهذا نظيرُ قولهم ﴿فأمطِرْ

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٥٢)، و«الحجة» (٧/ ٦٦)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٥٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٢٥)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٠)، و«العنوان» (١٦٣)، و«حجة القراءات» (٦١٣)، و«شرح شعلة» (٥٦٤)، و«إتحاف» (٢/ ٤١٩).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٨) برقم: (٢٩٧٧٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٩)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٨) برقم: (٢٩٧٨٢)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٠) برقم: (٢٩٧٨٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٠) عن آخرين، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦) عن أبي العالية، والكلبي.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٩) برقم: (٢٩٧٨٣) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٥٩)، وعزاه للطستي عن ابن عباس.

عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] قال * ع[١] *: وعلى كل تأويل، فكَلاَمُهُم خَرَجَ عَلى جِهَةِ الاسْتِخْفَافِ والهُزْءِ.

﴿واذكر عبدنا دَاوُدَ ذا الأَيْدِ﴾ أَي: فَتَأَسَّ به ولاَ تَلْتَفِتْ إِلَىٰ هؤلاءِ، «والأَيْدِ» القُوَّةُ في الدين والشرعِ والصَّدْعُ به، والـ﴿أواب﴾ الرَّجَّاعُ إلى طَاعةِ اللَّهِ، وقاله مجاهد وابن زيد[٢] وفسَّره السُّدِّيُّ: بالمُسَبِّح[٣]، وتسبيحُ الجِبَالِ هنا حقيقةٌ، و﴿الإِشْرَاقِ﴾: ضياءُ الشَّمْسِ وارتفاعُها، وفي هذين الوَقْتَيْنِ كانت صلاَةُ بنِي إسرائيل، قال الثعلبيُّ: وليس الإِشْرَاقُ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وإنما هو صَفَاؤُها وضوءها، انتهى. قال ابن العربي في «أحكامه»[٤]: قال [ابن عباس][٥]: ما كنتُ أَعْلَمُ صلاةَ الضُّحَىٰ في القرآن حتى سمعتُ اللَّهَ تعالى يقول: ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾[٦] قال ابن العربي[٧]: أما صلاةُ الضُّحَىٰ فَهِي في هٰذِهِ الآيَةِ نافلةٌ مُسْتَحَبَّةٌ، ولا ينبغي أنْ تُصَلَّىٰ حتى تتبينَ الشمسُ طَالعةً قَدْ أَشْرَقَ نُورُهَا، وفي صلاةِ الضحَىٰ أحاديثُ أُصُولُهَا ثلاثةٌ: الأولُ حديثُ أبي ذَرٍّ وغيره عنِ النبيِّ ﷺ؛ أَنَّه قال: «يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلاَمَىٰ مِن ابْنِ آدَمَ صَدَقَةٌ؛ تَسْلِيمُهُ عَلَىٰ مَنْ لَقِيَ صَدَقَةٌ، وأَمْرُهُ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، ونَهْيُهُ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وإمَاطَتُهُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وبُضْعُهُ أَهْلَهُ صَدَقَةٌ، ويجزىء مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَانِ مِنَ الضُّحَىٰ»[٨].

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٦).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦١) برقم: (٢٩٧٩٦) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٨٠٠) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦) عنهما، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٠)، وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٢) برقم: (٢٩٧٩٩) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥١) عن سعيد بن جبير، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦) عن السدي، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٠)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، ولابن جرير عن مجاهد، ولابن أبي حاتم عن عمرو بن شرحبيل.
(٤) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٢٤).
(٥) سقط في: د.
(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٦٢) برقم: (٢٩٨٠٣)، و (٢٩٨٠٤) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥١)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦١)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن عطاء الخرساني عن ابن عباس، ولعبد بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس، ولابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.
(٧) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٢٥).
(٨) تقدم تخريجه.

الثَّانِي: حديثُ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ قَعَدَ فِي مُصَلاَّهُ حِينَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ، حَتَّىٰ يُسَبِّحَ رَكْعَتَيْ الضُّحَىٰ لاَ يَقُولُ إِلاَّ خَيْراً، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ، وإِنْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ البَحْرِ»(١).

الثالثُ: حَدِيثُ أُمِّ هانىء أنّ النبيَّ ﷺ صَلَّىٰ يَوْمَ الفَتْحِ ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ(٢)، انْتَهَى.

١٩٥أ * ت *: وَرَوَى أبو عيسى/ الترمذيُّ وغَيْرُهُ عن أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وعُمْرَةٍ تَامَّةٍ»(٣)، قَالَ الترمذيُّ: حديثٌ حَسَنٌ، انتهى. قال الشَّيْخُ أبو الحَسَنِ بْنُ بَطَّالٍ في شرحه للبُخَارِيِّ: وعن زيدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: سمعتُ عَبدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يقولُ لأبي ذَرٍّ: أَوْصِنِي يَا عَمُّ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي؛ فَقَالَ: «مَنْ صَلَّى الضُّحَىٰ رَكْعَتَيْنِ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ، وَمَنْ صَلَّىٰ أَرْبَعاً، كُتِبَ مِنَ

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٤١١) كتاب «الصلاة» باب: صلاة الضحى برقم: (١٢٨٧)، وأحمد (٣/ ٤٣٩)، والبيهقي (٣/ ٤٩) كتاب «الصلاة» باب: من استحب أن لا يقوم من مصلاه حتى تطلع الشمس.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٦٩) كتاب «الصلاة» باب: الصلاة في الثوب الواحد، حديث (٣٥٧)، ومسلم (١/ ٤٩٨) كتاب «صلاة المسافرين» باب: استحباب صلاة الضحى، حديث (٨٢/ ٣٣٦)، وأبو داود (١/ ٤١٢) كتاب «الصلاة» باب: صلاة الضحى، حديث (١٢٩٠ ـ ١٢٩١)، والنسائي (١/ ١٢٦) كتاب «الطهارة» باب: ذكر الاستتار عند الاغتسال، حديث (٢٢٥)، والترمذي (٥/ ٧٣ ـ ٧٤) كتاب «الاستئذان» باب: ما جاء في مرحباً، حديث (٢٧٣٤)، وابن ماجه (١/ ٤٣٩) كتاب «الصلاة» باب: ما جاء في صلاة الضحى، حديث (١٣٧٩)، ومالك (١/ ١٥٢) كتاب «قصر الصلاة في السفر» باب: صلاة الضحى، حديث (٢٧ ـ ٢٨)، وأحمد (٦/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ ٤٢٣ ـ ٤٢٥)،، وأبو عوانة (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، والدارمي (١/ ٣٣٨ ـ ٣٣٩) كتاب «الصلاة» باب: صلاة الضحى، والحميدي (١/ ١٥٨، ١٦٠) برقم: (٣٣١ ـ ٣٣٢ ـ ٣٣٣)، والبيهقي (٣/ ٤٨) كتاب «الصلاة» باب: ذكر من رواها ثمان ركعات، والبغوي في «**شرح السنة**» (٢/ ٥١٧) ـ بتحقيقنا من طرق عن أم هانىء أن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات، فلم أر صلاة قط أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٢/ ٤٨١) كتاب «الصلاة» باب: ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، من حديث أنس.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وفي الباب من حديث أبي أمامة: أخرجه الطبراني في «**الكبير**» (٨/ ٢٠٩)، وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٠٧) كتاب «الأذكار» باب: ما يفعل بعد صلاة الصبح والمغرب.
قال الهيثمي: إسناده جيد.

العَابِدِينَ، ومَنْ صَلَّىٰ سِتّاً، لَمْ يَلْحَقْهُ ذَلِكَ اليَوْمَ ذَنْبٌ، وَمَنْ صَلَّىٰ ثَمانياً، كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ، ومَنْ صَلَّىٰ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، بَنَىٰ اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ»[١] انتهى.

﴿والطير﴾: عَطْفٌ عَلَى الْجِبَالِ، أي: وسَخَّرْنَا الطيرَ، و﴿محشورة﴾ معناهُ مجموعةً، والضميرُ في «لهُ» قَالَتْ فِرْقَةٌ: هو عائدٌ على اللَّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ فـ ﴿كُلٌّ﴾ على هذا، يُرَادُ بِهِ: دَاوُدُ والجبالُ والطيرُ، وقالت فرقة: هو عائدٌ على داودَ فـ﴿كُلٌّ﴾ على هذا يُرَادُ بِهِ الجبالُ والطيرُ.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وشَدَدْنَا مُلْكَه﴾: عبارةٌ عامَّةٌ لجميعِ مَا وَهَبَه اللَّه تَعالى من قوَّةٍ وجندٍ ونعمةٍ، ﴿وفَصْلَ الخِطَاب﴾ قال ابن عباس وغيره: هو فَصْلُ القَضاءِ بَيْنَ الناسِ بالحقِ وإصابتُه وفَهْمُه[٢]، وقال الشعبي: أرادَ قَوْلَ «أمَّا بَعْدُ» فإنه أوَّلُ مَنْ قَالَها[٣]، قال ع[٤] *: والذي يُعْطِيهِ اللفظُ أنَّه آتاه فَصْلَ الخطابِ، بمعنى أنَّه إذا خَاطَبَ في نَازِلَةٍ، فَصَلَ المَعْنَىٰ وأوْضَحَهُ، لا يأخذُهُ في ذلك حَصَرٌ ولا ضَعْفٌ.

---

(١) ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) كتاب «العيدين» باب: صلاة الضحى، وعزاه إلى البزار.
قال الهيثمي: فيه حسين بن عطاء ضعفه أبو حاتم، وغيره، وذكره ابن حبان في «**الثقات**» وقال: يخطىء ويدلس. ا هـ.
وفي الباب من حديث أبي أمامة: ذكره الهيثمي أيضاً في «**مجمع الزوائد**» (٢/ ٢٤٠)، وعزاه إلى الطبراني في «**الكبير**».
قال الهيثمي: فيه موسى بن يعقوب الزمعي، وثقه ابن معين وابن حبان، وضعفه المديني وغيره، وبقية رجاله ثقات. ا هـ.

(٢) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٦٤) برقم: (٢٩٨١٤) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٨١٥) عن مجاهد، و (٢٩٨١٦) عن السدي، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٩٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٣٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٦٣)، وعزاه للحاكم عن السدي، ولابن أبي حاتم عن ابن عباس، ولابن المنذر، عن مجاهد، ولعبد بن حميد، وابن المنذر، عن أبي عبد الرحمٰن، ولعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٥٦٥) برقم: (٢٩٨٢٦)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٤٩٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٣٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٦٤)، وعزاه لابن جرير عن الشعبي، ولابن أبي حاتم، والديلمي عن أبي موسى الأشعري.

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٤٩٧).

وقوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم...﴾ الآية مخاطبةٌ للنبي ﷺ، واسْتُفْتِحَتْ بالاسْتِفْهَام؛ تَعْجيباً مِنَ القصَّةِ وتفخيماً لها، والخصمُ يُوصَفُ بهِ الواحِدُ والاثْنَانِ والجَمْع، و﴿تسوَّروا﴾ معناه: عَلَوْا سُورَهُ، وهو جَمْعُ «سُورَةٍ» وهي القطعةُ من البناء، وَتَحْتَمِلُ هذه الآيةُ أن يكونَ المُتَسَوِّرُ اثْنَيْنِ فَقَطْ، فَعَبَّرَ عَنْهُما بلَفْظِ الجَمْعِ، ويحتملُ أن يكونَ مَعَ كلِّ واحدٍ منَ الخَصْمَيْنِ جَماعَةٌ، و﴿المحْرَابُ﴾ المَوْضِعُ الأرْفَعُ مِنَ القَصْرِ أو المَسْجِدِ، وهو موضع التعبُّد، وإنما فَزِعَ منهم مِنْ حَيْثُ دَخَلُوا من غير الباب، ودون استئذان، ولا خلافَ بَيْن أهلِ التأويلِ أنَّ هذا الخَصْمَ إنما كانوا ملائكةً بَعَثَهُمْ اللَّهُ ضَرْبَ مَثَلٍ لداودَ، فاختصموا إليه في نازلةٍ قَدْ وَقَعَ هُو في نَحْوِهَا، فأَفْتَاهُمْ بِفُتْيَا هِي وَاقِعَةٌ عليه في نازلته، ولَمَّا شَعَرَ وَفَهِمَ المُرَادَ، خَرَّ رَاكِعاً وأَنَابَ، واسْتَغْفَرَ، وأمَّا نَازِلَتُهُ الَّتي وَقَع فِيها، ففيها للقُصَّاصِ تَطْوِيلٌ، فَلَمْ نَرَ سَوْقَ جَمِيعِ ذلكَ لِعَدَمِ صِحَّتِهِ.

ورُوِيَ فِي ذلكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ما معناه؛ أن دَاوُدَ كَانَ فِي مِحْرَابِهِ يَتَعَبَّدُ؛ إذْ دَخَلَ عَلَيْهِ طَائِرٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، فَمَدَّ يَدَهُ إليه؛ ليأْخُذَهُ، فَزَالَ مُطْمِعاً له مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، حَتَّى اطَّلَعَ عَلَى امْرَأَةٍ لَهَا مَنْظَرٌ وَجَمَالٌ، فَخَطَرَ فِي نَفْسِهِ أَنْ لَوْ كَانَتْ مِنْ نِسَائِهِ، وَسَأَلَ عَنْهَا، فَأُخْبِرَ أَنَّهَا امْرَأَةُ أُورِيَّا، وَكَانَ فِي الجِهَادِ فَبَلَغَهُ أنه اسْتُشْهِدَ فَخَطَبَ المَرْأَةَ، وَتَزَوَّجَها، فَكَانَتْ أُمَّ سُلَيْمَانَ فِيمَا رُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، فَبَعَثَ اللَّهُ الخَصْمَ لِيُفْتِيَ[1]، قَالَتْ فرقةٌ من العلماء: وإنما
٩٥ ب وَقَعَتْ المعَاتَبَةُ عَلَىٰ/ هَمِّهِ، وَلَمْ يَقَعْ مِنه شَيْءٌ سِوَى الهَمِّ، وكانَ لِدَاوُدَ فِيما رُوِيَ تِسْعٌ وتِسْعُونَ امْرَأَةً، وَفي كُتُبِ بَنِي إسرائيل في هذه القصة صُوَرٌ لاَ تَلِيقُ، وقد قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَنْ حَدَّثَ بِما قَالَ هؤلاءِ القُصَّاصُ في أَمْرِ دَاوُدَ، جَلَدْتُهُ حَدَّيْنِ لما ٱرْتَكَبَ مِنْ حُرْمَةِ مَنْ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَهُ[2].

وقوله: ﴿خَصْمَانِ﴾ تقديرُه: نَحْنُ خصمانِ، و﴿بغى﴾ معناه: اعْتَدَىٰ واسْتَطَالَ، ﴿ولا تشطط﴾ معناه: وَلاَ تَتَعَدَّ في حُكْمِكَ، و﴿سواء الصراط﴾ معناه: وَسَطُهُ.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٧٠) عن ابن عباس برقم: (٢٩٨٥٢)، وبرقم: (٢٩٨٥٣) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٥٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٦٤)، وعزاه لابن أبي شيبة في «المصنف»، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.
(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٤٩٩).

وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

وقوله: ﴿إن هذا أخي﴾ [إعرابُ «أخي»][١] عَطْفُ بَيَانٍ، وذلك أن مَا جَرَىٰ من هذه الأشياء صِفةً كالخَلْقِ والخُلُقِ وسَائِرِ الأَوْصَافِ، فَإِنَّه نَعْتٌ مَحْضٌ، والعاملُ فيه هو العاملُ في الموصوفِ، وما كان مِنْهَا مِمَّا لَيْسَ يُوصَفُ بِهِ بَتَّةً، فهو بَدَلٌ والعَامِلُ فيه مُكَرَّرٌ أي: تقديراً يقال: جَاءَنِي أخوك زيدٌ، فالتقديرُ: جَاءَنِي أَخُوكَ، جَاءَنِي زَيْدٌ، ومَا كَانَ مِنْها مِمَّا لاَ يُوصَفُ بِهِ وٱحْتِيجَ إلى أنْ يُبَيَّنَ به، ويَجْرِي مَجْرَى الصِّفَةِ، فَهُوَ عَطْفُ بَيَانٍ.

«والنعجة» في هذه الآيةِ عَبَّرَ بِهَا عَنِ المَرْأَةِ، والنعجةُ في كلام العرب: تقعُ على أنثَىٰ بَقَرِ الوَحْشِ، وعَلَىٰ أُنْثَى الضَّأْنِ، وتُعَبِّرُ العَرَبُ بِهَا عن المَرْأَةِ.

وقوله: ﴿أكفلنيها﴾ أي: رُدَّهَا في كَفَالَتِي، وقال ابنُ كَيْسَانَ: المعنى: ٱجْعَلْهَا كِفْلِي، أي: نَصِيبِي، ﴿وَعَزَّنِي﴾ معناه: غَلَبَنِي، ومنه قول العربِ: «مَنْ عَزَّ بَزَّ» أي: مَنْ غَلَبَ، سَلَبَ، ومَعْنَىٰ قوله: ﴿في الخطاب﴾ أي: كان أَوْجَهَ مِنِّي، فإذَا خَاطَبْتُهُ، كانَ كلامُه أَقْوَىٰ من كلامي، وقُوَّتُهُ أعْظَمَ مِنْ قُوَّتِي.

ويُرْوَىٰ أنّه لَمَّا قَالَ: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتِك﴾، تَبَسّما عند ذلكَ، وَذَهَبَا، وَلَمْ يَرَهُما لحِينه، فَشَعَرَ حينئذ للأمرِ، ويُرْوَىٰ أنَّهُمَا ذَهَبَا نَحْوَ السَّمَاءِ بِمَرْأًى مِنْه.

﴿والخلطاء﴾: الشُّرَكَاءِ في الأَمْلاَكِ، والأُمُورِ، وهذا القَوْلُ مِنْ دَاوُدَ وَعْظٌ لِقَاعِدَةِ حَقٍّ، لِيُحَذِّرَ الخَصْمَ مِنَ الوُقُوعِ في خلافِ الحقِّ.

وقوله تعالى: «إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم»: قال أبو حيان[٢]: ﴿وقليل﴾ خبرٌ مقدَّم، و«مَا» زائِدةٌ تُفِيدُ مَعْنَى التَّعْظِيمِ، انتهى.

وَرَوَى ابْنُ المبارَكِ في «رقائقه» بسندِه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «أشَدُّ الأَعْمَالِ ذِكْرُ اللَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، والإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَمُوَاسَاةُ الأخِ في المالِ»[٣] انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ معناه: شَعَرَ لِلأَمْرِ وَعَلِمَهُ، و﴿فتناه﴾ أي: ابْتَلَيْنَاهُ وامْتَحَنَّاهُ، وقال البخاريُّ: قال ابن عباس: ﴿فتناه﴾ أي: اختَبَرْنَاهُ، وأَسْنَدَ البخاريُّ

---

(١) سقط في: د.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٧٧).

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/ ٣٢٦) من طريق الشافعي عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، وقال: وهذا موضوع على هؤلاء رقم: (١١٦٣).

عن مجاهدٍ قال: سألتُ ابنَ عباسٍ عَنْ سَجْدَةِ «صَ» أين تَسْجُدُ، فَقَالَ: أَوَ مَا تَقْرَأَ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَتِهِ دَاوُدَ وسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤] إلى قوله: ﴿أولئك الذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] فَكَانَ داوُد مِمَّن أُمِرَ نَبِيُّكُمْ أنْ يَقْتَدِيَ بهِ، فَسَجَدَهَا دَاوُدُ؛ فَسَجَدَهَا رسولُ اللَّه ﷺ[(١)]، انتهى، فتأمَّلْهُ وما فيه مَنَ الْفِقْهِ، وقرأ أبو عمرو في رِوَاية علي بن نَصْرٍ: «فَتَنَاهُ» ـ بتخفيفِ التاء والنون ـ على إسنادِ الفعلِ للخَصْمَيْنِ[(٢)]، أي: ٱمْتَحَنَاهُ عَنْ أَمْرِنَا، قال أبو سعيدِ الخُدْرِيُّ: «رأيتُنِي في النوم أكتُبُ سورَة «صَ» فَلَما بَلَغْتُ/ قَوْلَهُ: ﴿وَخَرَّ رَاكِعاً وأناب﴾ سَجَدَ القلمُ، ورَأيتُنِي في مَنام آخَرَ، وشَجَرَةٌ تَقْرَأُ سُورَةَ «صَ» فلما بَلَغَتْ هَذَا، سَجَدَتْ، وَقَالَتْ: اللَّهُمَّ، اكْتُبْ لِي بِهَا أجراً، وَحُطَّ عَنِّي بِهَا وِزْراً، وارْزُقْنِي بِهَا شُكْراً، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَها مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ، فقال النبيُّ ﷺ: وَسَجَدْتَ أَنْتَ يَا أَبَا سَعِيد؟ قُلْتُ: لاَ، قال: أَنْتَ كُنْتَ أَحَقَّ بالسَّجْدَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ، ثم تَلاَ نبيُّ اللَّهِ الآياتِ حتى بَلَغَ: ﴿وأناب﴾، فَسَجَدَ، وقَالَ كَمَا قَالَتِ الشَّجَرَةُ». ١٩٦أ

﴿وأنابَ﴾ مَعْنَاهُ: رَجَعَ، * ت *: وحديثُ سجودِ الشجرةِ رواهُ الترمذيُّ وابن ماجه والحاكمُ وابنُ حِبَّان في «**صحيحَيْهما**»، وقال الحاكم: هو من شَرْطِ الصِّحَّةِ، انتهى من «**السلاح**».

والزُّلْفَى: القُرْبَةُ والمكانةُ الرفيعةُ، والمآبُ: المَرْجِعُ في الآخِرَةِ من آب يَؤُوبُ: إذا رَجَعَ.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ تقديرُ الكلام: وقُلْنَا لَهُ يا داوُدُ، قال * ع[(٣)] *: ولاَ يُقَالُ: خليفةُ اللَّهِ إلا لرسولِه، وأما الخلفاءُ، فكل واحدٍ

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٠٥) كتاب «التفسير» باب: سورة صَ: (٤٨٠٧)، (٤٨٠٦) نحوه، وأخرجه ابن أبي شيبة (١/ ٣٧٠) كتاب «الصلاة» باب: من قال في صَ سجدة وسجد فيها (٤٢٥٥، ٤٢٥٩، ٤٢٦٨) عن ابن عباس نحوه، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٥٧١).

(٢) ينظر: «**السبعة**» (٥٥٣)، و«**الحجة**» (٦/ ٧٠)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٢٧)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٢١)، وذكرها الأخير عن الشنبوذي. وينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٢٣٢).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٠٢).

خَلِيفَةٌ للذي قَبْلَهُ، ومَا يَجِيءُ في الشِّعْرِ مِنْ تَسْمِيَةِ أحدهِم خليفةَ اللَّهِ! فذلك تجوُّزٌ وَغُلُوٌّ؛ أَلا تَرَىٰ أن الصَّحابَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ـ حَرَزُوا هذا المعنى، فقالوا لأبي بَكْرٍ: خليفةُ رسولِ اللَّهِ، وبهذا كَانَ يُدْعَىٰ مدةَ خلافَتِه، فَلَمَّا وَلِيَ عُمَرُ؛ قالُوا: يا خليفةَ خليفةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَطالَ الأمْرُ، وَرأَوْا أنَّهُ في المُسْتَقْبَلِ سَيطُولُ أَكْثَرَ؛ فَدَعَوْهُ أَمِيرَ المُؤمنينَ، وقُصِرَ هَذا الاسْمُ عَلى الخُلَفَاءِ.

وقوله: ﴿فيضلّك﴾ قالَ أبو حيان[١]: منصوبٌ في جوابِ النَّهْيِ، (ص) أبو البقاءِ وقيل: مجزومٌ عَطْفاً عَلَى النَّهْيِ وفُتِحَتِ [اللامُ][٢] لالْتِقَاءِ الساكنين، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿إن الذين يضلون عن سبيلِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وليتذكر أولوا الألباب﴾: اعْتِرَاضٌ فصيحٌ بين الكلامينِ من أمرِ دَاوُدَ وسليمانَ، وهو خطابٌ لنبينا محمدٍ ﷺ، وعِظَةٌ لأمَّتِه، و﴿نَسُوا﴾ في هذه الآية مَعْنَاهُ تَرَكُوا، ثم وقفَ تَعالى عَلى الفَرْقِ عندَه بيْنَ المؤمنينَ العامِلِينَ بالصَّالِحَاتِ وبَيْنِ المفْسِدِينَ الكَفَرَةِ وبَيْنَ المتَّقِينَ والفُجَّارِ، وفي هَذَا التوقيفِ حَضٌّ عَلَى الإيمانِ والتَّقْوَىٰ، وتَرْغِيبٌ في عَمَلِ الصالحات، قَالَ ابنُ العَرَبِيِّ[٣]: نَفَى اللَّهُ تَعَالَى المساواةَ بَيْنَ المؤمِنينَ والكافِرِينَ، وبَيْنَ المتقينَ والفُجَّار؛ فلاَ مُسَاوَاةَ بَيْنَهُمْ في الآخرةِ، كَما قَالهُ المفَسِّرون ولاَ في الدُّنْيَا أيْضاً؛ لأنَّ المؤمنينَ المتقينَ معصومُونَ دَماً ومالاً وعِرْضاً، والـمُفْسِدُونَ فِي الأرض والفُجَّارُ مُبَاحُو الدَّمِ والمالِ والعِرْضِ، فَلاَ وَجْهَ لِتَخْصِيصِ المفسِّرِينَ بِذَلِكَ في الآخرة دون الدُّنْيَا، انتهى من «**الأحكام**»؛ وهذا كما قال، وقوله تعالى في الآية الأخرَىٰ: ﴿سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الجاثية: ٢١] يشهد له، وباقي الآية بَيِّنٌ.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا ءاياته﴾ قال الغَزَّالِيُّ في «**الإحْيَاءِ**»: اعْلَمْ أن القرآن مِنْ أَوَّلِه إلى آخِره تحذيرٌ وتخويفٌ لاَ يَتَفكَّرُ فيه مُتَفكِّرٌ إلا وَيَطُولُ حُزْنُهُ، وَيَعْظُمُ خَوْفُه إنْ كَانَ مُؤمِناً بِمَا فِيه، وَتَرى النَّاسَ يَهْذُونَهُ هَذًّا، يُخْرِجُونَ الحُروفَ مِنْ مَخَارِجِها، وَيَتَنَاظَرُونَ عَلَىٰ خَفْضِها ورَفْعِها وَنَصْبِها، لاَ يَهُمُّهُمْ الالتِفَاتُ إلى مَعانِيها والعملِ

---

(١) ينظر: «**البحر المحيط**» (٧/ ٣٧٨).

(٢) سقط في: د.

(٣) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٦٤٦).

٩٦ب بما فِيها، وَهَلْ/ في العِلم غُرُورٌ يَزِيدُ عَلَىٰ هذا، انتهى من كِتَابِ ذَمِّ الغُرُور.

واختلفَ المتأولونَ في قَصَصِ هذهِ الخيل المَعْرُوضَةِ عَلى سُلَيْمَانَ ـ عَلَيْهِ السلامُ ـ فقال الجُمْهُورُ: إنَّ سُلَيْمَانَ ـ عَلَيْهِ السلام ـ عُرِضَتْ عليه آلافٌ مِنَ الخَيْلِ تَرَكَهَا أَبُوهُ، فأُجْرِيَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ عِشَاءً، فَتَشَاغَلَ بجريها وَمَحَبَّتِهَا، حَتَّىٰ فَاتَهُ وَقْتُ صَلاَةِ العَشِيِّ، فَأَسِفَ لِذَلِكَ؛ وَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الخَيْلَ؛ فَطَفِقَ يَمْسَحُ سُوقَهَا وأَعْنَاقَهَا بالسَّيْفِ، قَالَ الثَّعْلَبِيُّ وغيره، وجَعَل يَنْحَرُهَا تَقَرُّباً إِلَىٰ اللَّهِ تعالى؛ حيثُ اشْتَغَل بِهَا عَنْ طَاعَتِهِ، وكان ذلكَ مُبَاحاً لَهُمْ كما أُبِيحَ لَنا بهيمةُ الأنْعَام، قال * ع[١] *: فَرُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تعالَىٰ أَبْدَلَهُ مِنْهَا أَسْرَعَ منها، وهي الرِّيحُ، قال ابن العربيِّ في «أحكامه»[٢]: و﴿الخير﴾ هنا هي الخيل؛ وكذلكَ قَرأها ابنُ مَسْعُود: «إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْلِ»[٣] انتهى، و«الصَّافِنُ»: الذي يَرْفَعُ إِحْدَىٰ يديه؛ وقَدْ يَفْعَلُ ذلك بِرِجْلِهِ؛ وهي علامةُ الفَرَاهِيَة؛ وأَنْشَدَ الزَّجَّاجُ[٤]: [الكامل]

أَلِفَ الصُّفُونَ فَمَا يَزَالُ كَأَنَّهُ ... مِمَّا يَقُومُ عَلَى الثَّلاَثِ كَسِيرَا[٥]

قالَ بَعْضُ العلَماء: ﴿الخير﴾ هنَا أرادَ به الخَيْلَ، والعَرَبُ تُسَمي الخَيْلَ، الخَيْرَ، وفي مِصْحَفِ ابْن مَسْعُودٍ: «حُبَّ الخَيْلِ» باللام.

والضميرُ في ﴿توارت﴾ للشمسِ، وإن كَانَ لَمْ يَتَقَدَّم لَهَا ذِكْرٌ، لأنَّ المَعْنَىٰ يَقْتَضِيهَا، وأيضاً فَذِكْرُ العَشِيِّ يَتَضَمَّنُهَا، وقالَ بعضُ المفسرينَ ﴿حتى توارت بالحجاب﴾، أي: الخيلُ دَخَلَتْ إِصْطَبْلاَتِهَا، وقال ابنُ عبَّاسٍ والزُّهْرِيُّ: مَسْحُهُ بالسُّوقِ والأَعْنَاقِ لَمْ يَكُنْ بالسَّيْفِ؛ بل بيدِهِ تَكْرِيماً لَها؛ ورَجَّحَهُ الطبريُّ[٦]، وفي البخاري: ﴿فطفق مسحاً﴾ يمسحُ أَعْرَافَ الخَيلِ وعَرَاقِيبَهَا؛ انتهى، وعن بعضِ العلماءِ أَنَّ هذهِ القصةَ لَمْ يَكُنْ فيها فَوْتُ صلاةٍ، وقالوا: عُرِضَ على سليمانَ الخيلُ وهو في الصلاةِ، فأشَارَ إِليهم؛ أي: إني في صلاةٍ،

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥٠٣).
(٢) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/١٦٤٨).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥٠٤).
(٤) ينظر: «معاني القرآن» (٤/٣٣٠).
(٥) البيت بلا نسبة في «الأزهية» ص: (٨٧)، و«أمالي ابن الحاجب» (٢/٦٣٥)، و«شرح شواهد المغني» (٢/٧٢٩)، و«لسان العرب» (١٣/٢٤٨) (صفن)، و«مغني اللبيب» (١/٣١٨)، وينظر: «الكشاف» (٢/٢٨٤)، و«البحر المحيط» (٧/٣٨٨)، و«الدر» (٥/٥٣٤).
(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٥٧٩) برقم: (٢٩٨٩٢) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٦١)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٠٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٣٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٨٠)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

فأزَالُوهَا عَنْهُ حتى أَدْخَلُوها في الإِصْطَبْلاَتِ، فقالَ هو، لَمَّا فَرَغَ من صلاته: إني أَحْبَبْتُ حُبَّ الخيرِ، أي: الذي عِنْدَ اللَّهِ في الآخِرةِ؛ بسببِ ذِكْرِ ربي، كأنه يقول: فَشَغَلَنِي ذلكَ عَنْ رُؤيَةِ الخيلِ، حتى أُدخِلَتْ إِصْطَبْلاَتِهَا، رُدُّوهَا عَلَيَّ، فَطَفِقَ يَمْسَحُ أَعْرَافَهَا وسُوقَهَا، تَكْرِمَةً لها، أي: لأَنَّها معدَّةٌ للجهَادِ، وهذا هو الراجحُ عند الفخر[1]، قال: ولو كانَ مَعْنَىٰ مَسْحِ السُّوقِ والأعناقِ قَطْعَهَا لَكَانَ مَعْنَىٰ قوله: ﴿وَٱمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] قَطْعَهَا * ت *: وهَذَا لا يلزمُ للقرينَةِ في الموضعين، اهـ. قال أبو حَيَّان[2]: و﴿حُبَّ الخَيْرِ﴾ قال الفراء: مفعولٌ به، ﴿وأحببت﴾ مُضَمَّنٌ مَعْنَىٰ آثَرْتُ، وقيلَ: منصوبٌ على المصدرِ التَّشْبِيهِي، أي: حبًّا مِثْلَ حُبِّ الخير، انتهى.

وقوله: ﴿عن ذكر ربي﴾ «عن» عَلَىٰ كُلِّ تَأويلٍ هنا للمُجَاوَزَةِ من شيءٍ إلى شَيْءٍ، وَتَدَبَّرْهُ فإنه مُطَّرِدٌ.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان...﴾ الآية، * ت *: اعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ أن النَاسَ قَدْ أَكْثَرُوا في قَصَصِ هذهِ الآيةِ بما لاَ يُوقَفُ على صِحَّتِه، وحكى الثعلبي في بعض الروايات؛ أَنَّ سليمانَ ـ عليه السلام ـ لَما فُتِنَ، سَقَطَ الخَاتَمُ مِنْ يَدِه، وَكَانَ فِيه مُلْكُهُ، فأعاده إِلَىٰ يده، فَسَقَطَ؛ وأَيْقَنَ بالفتنة، وأَنَّ آصِف بْنَ بَرْخِيًا قال له: يا نبيَّ اللَّهِ، إِنَّكَ
١٩٧ أ مَفْتُونٌ؛ ولذلكَ/ لاَ يَتَمَاسَكُ الخَاتَمُ فِي يَدِكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْماً؛ فَفِرَّ إِلى اللَّهِ تَعَالَىٰ تَائِباً مِنْ ذَنْبِكَ، وَأَنَا أَقُومُ مَقَامَكَ في عَالَمِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ أَنْ يَتُوبَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَيْكَ، فَفَرَّ سُلَيْمَانُ هَارِباً إِلَىٰ رَبِّهِ مُنْفَرِداً لِعِبَادَتِهِ، وأَخَذَ آصِفُ الخَاتَمَ، فَوَضَعَهُ في يدِه، فَثَبَتَ، وقيلَ: إن الجَسَدَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ هُو آصِفُ كَاتِبُ سُلَيْمَانَ، وهو الذي عنده عِلْمٌ مِن الكتَابِ، وأقام آصِفُ في ملكِ سليمانَ وعيالِهِ يَسِيرُ بِسِيرَتِهِ الحَسَنةِ، ويَعْمَلُ بِعَمَلِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يوماً إِلَىٰ أَنْ رَجَعَ سليمانُ إلى منزله تائباً إلى اللَّه تعالَىٰ، ورَدَّ اللَّه تعالَىٰ عليه مُلْكَهُ، فأَقَامَ آصِفُ عن مجلسهِ، وجَلَسَ سليمانُ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ، وأعادَ الخاتَمَ، وقالَ سَعِيدُ بن المسيِّب: إن سليمانَ بنَ دَاوُدَ ـ عليهمَا السلامُ ـ ٱحْتَجَبَ عنِ الناسِ ثلاثةَ أيَّام، فَأَوْحى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ يا سُلَيْمَانُ، ٱحْتَجَبْتَ عنِ الناسِ ثَلاَثَةَ أيَّامٍ، فَلَمْ

---

(١) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٦/ ١٧٩).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٠).

تَنْظُرْ في أُمورِ عِبَادِي، ولم تُنصِفْ مَظْلُوماً مِنْ ظَالِم، وذكر حديثَ الخاتم كما تقدَّم، انتهى، وهذَا الذي نقلناه أَشْبَهُ ما ذُكِرَ، وأَقْرَبُ إِلى الصَّوَابِ؛ واللَّه أعلم، وقال عِيَاضٌ: قوله تعالى: ﴿ولقد فَتَنَّا سليمان﴾ معناه: ابتَلَيْنَاهُ، وابتلاؤه: هُو مَا حُكِيَ في الصحيح أنه قال: «لأَطُوفَنَّ الليلةَ عَلَىٰ مِائَةِ ٱمْرَأَةٍ كُلُّهُنَّ يَأْتِينَ بِفَارِسٍ يُجاهِدُ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَقُلْ: «إنْ شَاءَ اللَّهُ» فلم تَحْمِلْ مِنهُنَّ إلا امرأةٌ جاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ»[1]، الحديث، قال أصحابُ المعانِي: والشِّقُّ هو الجسدُ الذي أُلْقِيَ عَلَىٰ كرسيه حين عُرِضَ عليه؛ وهي كانتْ عقوبتُهُ ومحنته، وقيل: بَلْ مَاتَ، وأُلْقِيَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ مَيْتاً، وأما عَدَمُ استثْنَائِه، فأَحْسَنُ الأجوبةِ عنه، ما رُوِيَ في الحديثِ الصحيح أَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يَقُولَ: «إنْ شَاءَ اللَّهُ»، ولاَ يَصِحُّ مَا نَقَلَهُ الأخباريُون من تَشَبُّه الشيطانِ به وتسَلُّطِهِ عَلَىٰ مُلْكِهِ، وتصرُّفِه في أُمَّتِه؛ لأن الشَّيَاطِينَ لاَ يُسَلَّطُونَ عَلَىٰ مِثْلِ هذا، وقد عُصِمَ الأنبياءُ من مثله، انتهى، * ت *: قالَ ابن العربي: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً﴾ يَعني جسدَه لا أَجْسَادَ الشَّيَاطِينِ؛ كما يقولُه الضعفاءُ، انتهى من «**كتاب تفسير الأفعال**» له، قال ابنُ العربيِّ في «**أحكامه**»: وما ذكره بعضُ المفسِّرينَ مِنْ أن الشيطان أخذَ خاتَمَهُ، وجَلَسَ مجلسَه، وحَكَمَ الخَلْقَ عَلَىٰ لسانِه ـ قولٌ باطلٌ قَطْعاً ـ؛ لأن الشياطينَ لا يَتَصَوَّرُونَ بِصُوَرِ الأَنْبِيَاءِ؛ ولا يُمَكَّنُونَ من ذلك؛ حتَّىٰ يظنَّ الناسُ أَنَّهم مع نبيِّهم في حَقٍّ، وهم مَعَ الشياطينِ في بَاطِلٍ؛ ولو شاءَ ربُّكَ لَوَهَبَ من المعرفةِ [والدِّينِ] لمنْ قَالَ هٰذا القولَ ما يَزَعُهُ عن ذِكْرِهِ، ويَمْنَعُهُ مِن أَنْ يَسْطُرَهُ في دِيوَان من بعده، انتهى.

وقوله: ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد...﴾ الآية، قال * ع[2] *: من المقطوعِ به أَنَّ سُلَيْمَانَ ـ عليه السلامُ ـ إنما قَصَدَ بذلكَ قَصْداً بِرًّا؛ لأن للإنسان أن يرغبَ من فضلِ اللَّهِ فيما لا يَنَالُهُ أحدٌ؛ لا سيما بِحَسَبِ المَكَانَةِ والنبوَّةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤١) كتاب «الجهاد والسير» باب: من طلب الولد للجهاد (٢٨١٩)، (٦/ ٥٢٨) كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: قول اللَّه تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ (٣٤٢٤)، (٩/ ٢٥٠) كتاب «النكاح» باب: قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي (٥٢٤٢)، (١١/ ٥٣٣) كتاب «الأيمان والنذور» باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ؟ (٦٦٣٩)، (١١/ ٦١٠) كتاب «كفارات اليمين» باب: الاستثناء في الأيمان(٦٧٢٠)، (١٣/ ٤٥٥) كتاب «التوحيد» باب: في المشيئة والإرادة (٧٤٦٩)، ومسلم (٣/ ١٢٧٥، ١٢٧٦)، كتاب «الأيمان» (٧٤٦٩) باب: يمين الحالف على نية المستحلف (٢٣/ ١٦٥٤ ـ ٢٥/ ١٦٥٤) والنسائي (٧/ ٢٥، ٢٦) كتاب «الأيمان والنذور»، باب: إذا حلف فقال له رجل إن شاء اللَّه، هل له استثناء؟ (٣٨٣١).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٠٥).

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فسخَّرنا له الرِّيح...﴾ الآيةَ، كَانَ لسليمانَ كُرْسِيٌّ فيه جنودُهُ، وتأتي/ عليه الريحُ الإعصارُ، فَتَنْقُلُهُ من الأرضِ حتى يَحْصُلَ في الهواء، ثم تتولاَّهُ الرُّخاءُ؛ ٩٧ ب
وهي اللَّيِّنَةُ القويَّةُ لا تأتِي فيها دُفَعٌ مُفرِطَةٌ فَتَحمِلُهُ؛ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ، و﴿حيثُ أَصَابَ﴾: معناه: حيثُ أراد؛ قاله وهبٌ وغيره[(١)]، قال * ع[(٢)] *: وَيُشْبِهُ أنَّ (أَصَابَ) مُعَدَّىٰ «صَابَ يَصُوبُ»، أي: حيث وَجَّه جنودَه، وقال الزَّجَّاج[(٣)]: معناه: قصدَ، قلت: وعليه اقْتَصَرَ أبو حيَّان؛ فإنه قال: أصاب: أي قَصَدَ؛ وأنْشَدَ الثعلبيُّ: [المتقارب]

أَصَـابَ الـكَـلامَ فَـلَـمْ يَـسْـتَـطِـعْ فَـأَخْـطَـا ٱلْـجَـوَابَ لَـدَى الـمَـفْـصِـلِ[(٤)]

انتهى.

وقوله: ﴿كُلّ بَنَّاء﴾ بَدَلٌ من ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ و﴿مقرَّنين﴾ معناه: مُوثَقِينَ؛ قد قُرِنَ بعضُهم ببعضٍ، و﴿الأصفاد﴾ القيودُ والأغلالُ، قال الحَسَنُ: والإشارةُ بقوله: ﴿هذا عطاؤنا...﴾ الآية، إلى جميع ما أعطاهُ اللَّه سبحانه مِنَ الملكِ[(٥)]؛ وأمرَه بأن يَمُنَّ عَلى من يشاءُ ويُمْسِك عَمَّنْ يشاء، فكأنه وَقَفَهُ علَىٰ قَدْرِ النِّعمة، ثم أباح له التصرُّفَ فيه بمشيئته؛ وهذا أصح الأقوال وأجمعها لتفسير الآية، وتقدَّمت قصة أَيُّوبَ في سورة الأنبياء.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٤) برقم: (٢٩٩١٧) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٩١٩) عن مجاهد، وبرقم: (٢٩٩٢٠) عن الحسن، و (٢٩٩٢٣) عن وهب بن منبه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة، ولابن المنذر عن الضحاك.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٠٦).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٣٣٣).

(٤) ينظر: البيت في «البحر المحيط» (٧/ ٣٨٢)، و«الدر المصون» (٥/ ٥٣٦) والقرطبي (١٥/ ١٣٤).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٨٥) برقم: (٢٩٩٢٩) عن الحسن، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٨)، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

وقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ...﴾ الآيةَ، النُّصْبُ: المَشَقَّةُ، فيحتمل أن يشير إلى مسّه حين سلَّطَهُ اللَّه علَىٰ إهلاكِ مالِه وولدِه وجِسْمِه؛ حَسْبَما رُوِيَ في ذلك، وقِيلَ: أشار إلى مسِّه إياه في تعرُّضِه لأَهْلِه؛ وطلبهِ منهَا أنْ تُشْرِكَ باللَّه؛ فكأَنَّ أَيُّوبَ تَشَكَّىٰ هذا الفَصْلَ، وكان عليه أشدَّ مِن مَرَضه، وهنا في الآية محذوفٌ تقديرُه: فاسْتَجَابَ له وقَال: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِك﴾ فَرُوِيَ أَن أيوب رَكَضَ الأرض فَنَبَعَتْ له عينُ ماءٍ صافيةٌ باردةٌ؛ فشربَ منها، فذَهَبَ كُلُّ مَرَضٍ في دَاخِلِ جَسَدهِ، ثم اغْتَسَلَ فذهبَ ما كانَ في ظاهِرِ بَدَنِه، ورُوِيَ أن اللَّه تعالى وَهَبَ له أهلَه ومالَه في الدنيا، ورَدَّ من ماتَ منهم، وما هلكَ من ماشيته وحالِه، ثم باركَ له في جميعِ ذلك، ورُوِيَ أن هذا كلَّه وُعِدَ به في الآخِرَة، والأول أكْثَرُ في قول المفسِّرين.

* ت *: وعن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ، إني عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِكَ وابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ ٱسْمٍ هُوَ لَكَ؛ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوِ ٱسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ غَمَّه وَأَبدَلَه مكانَ حُزْنِهِ فَرَحاً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: يَنْبَغي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ؟ قَالَ: أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ»[1]. قال صاحب «**السِّلاَح**»: رواه الحاكم في «**المُسْتَدْرَكِ**»، وابن حِبَّان في «**صحيحه**». * ت *: ورويناهُ من طريقِ النوويِّ عنِ ابن السُّنِّيِّ بسندهِ عَنْ أبي موسى الأشعَرِيِّ، عن النبي ﷺ وفيه: «أنا عَبْدُكَ ٱبْنُ عَبْدِكَ ٱبنُ أَمَتِكَ في قَبْضَتِكَ»، وفيه: «فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إنَّ المَغْبُونَ لَمَنْ غُبِنَ هَؤُلاَءِ الكلماتِ، فَقَالَ:
١٩٨ أ أَجَلْ، فَقُولُوهُنَّ/ وَعَلِّمُوهُنَّ؛ مَنْ قَالَهُنَّ، ٱلْتِمَاسَ مَا فِيهِنَّ أَذْهَبَ اللَّهُ تَعَالَىٰ حُزْنَهُ وَأَطَالَ فَرَحَه»[2] انتهى.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٢)، وابن حبان في «**صحيحه**» (٣/ ٢٥٣) كتاب «الرقائق» باب: الأدعية ذكر الأمر لمن أصابه هم أو حزن أن يسأل اللَّه ذهابه عنه وإبداله إياه فرحاً (٩٧٢)، وابن حبان (٧/ ٤٠٤، ٤٠٥) ـ الموارد باب: ما يقول إذا أصابه هم أو حزن (٢٣٧٢)، وأبو يعلى (٩/ ١٩٨ ـ ١٩٩) (٥٢٩٧/٣٣١)، والحاكم (١/ ٥٠٩) كتاب «الدعاء» والشجري في «**أماليه**» (١/ ٢٩٩)، وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٣٩)، (١٠/ ١٨٩ ـ ١٩٠).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمٰن بن عبد اللَّه عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. ا هـ.
قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٣٩) رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان.
(٢) أخرجه ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**» (٣٣٤).

وقوله: ﴿وذكرى﴾ معناه: موعِظَةٌ وتذكرةٌ يَعْتَبِرُ بها أُولُو العقولِ، وَيَتَأَسَّوْنَ بِصَبْرِهِ في الشدائدِ، ولا يَيْئَسُونَ من رحمة اللَّه علَىٰ حال.

ورُوِي أن أيُوبَ ـ عليه السلام ـ كانت زوجَتُهُ مدَّةَ مَرَضِه تَخْتَلِفُ إلَيْه فيتلقَّاها الشيطانُ في صورة طَبِيبٍ، ومرةً في هيئة نَاصِحٍ؛ وعلى غير ذلك، فيقول لها: لو سَجَدَ هذا المريضُ للصَّنَم الفُلاَنِيِّ لَبَرِىءَ، لَوْ ذَبَحَ عَنَاقاً للصَّنَمِ الفُلاَنِيِّ لَبرِىءَ، ويَعْرِضُ عليها وجوهاً من الكفر، فكَانَتْ هي ربَّما عرضت شَيْئاً من ذلك على أيوب، فيقولُ لها: لقيتِ عَدُوَّ اللَّهِ في طريقك، فلمَّا أَغْضَبَتْهُ بهذا ونحوِهِ؛ حلَفَ عليها لَئِن برىء من مرضِه ليضربنَّها مائةَ سَوْطٍ، فلما بَرِىءَ؛ أَمَرَه اللَّه تعالى أن يأخُذَ ضِغْثاً فيه مائةُ قَضِيبٍ، «والضغثُ»: القبضةُ الكبيرةُ من القضبانِ ونحوِها مَنَ الشجرِ الرَّطْبِ؛ قاله الضَّحَّاكُ[١] وأهلُ اللغة، فيضربُ بهِ ضربةً واحدةً، فَتَبَرُّ يمينُهُ؛ وهذا حكمٌ قد وَرَدَ في شرعِنا عن النبيِّ ﷺ [مِثْلُه في حدِّ الزنا لرجُلٍ زَمِنٍ، فأمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ][٢] بِعِذْقِ نَخْلَةٍ فِيهِ شَمَارِيخُ مِائَةٌ أو نَحْوُهَا، فَضُرِبَ ضَرْبَةً[٣]، ذكر الحديثَ أبو داود، وقال بهذا بعضُ فقهاء الأمة، وَلَيْسَ يرى ذلك مالكُ بنَ أنس وأصحابه، وكذلك جمهورُ العلماء على ترك القول به، وأن الحدودَ والبِرَّ في الأيمانِ لا تقع إلا بتمام عَدَدِ الضَّرَبَاتِ، **وقرأ** الجمهور «أولي الأيدي»[٤] يعني: أولي القوة في طاعةِ اللَّه؛ قاله ابن عباس ومجاهد[٥]، وقالت فرقة: معناه: أولي الأيدي والنِّعَمِ الَّتي أسْدَاها اللَّهُ إليهم من النبوَّة والمكانةِ، ﴿والأبصار﴾ عبارةٌ عن البصائِر، أي: يُبْصِرونَ الحقائِقَ وينظرونَ بنورِ اللَّهِ تعالى، **وقرأ** نافع وحده: «بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ»[٦]، على

---

(١) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٥٩١) برقم: (٢٩٩٥٦)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٥٠٨)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٥٩١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) سقط في: د.

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٦٧) كتاب «الحدود» باب: في إقامة الحد على المريض (٤٤٧٢)، وابن ماجه (٢/ ٨٥٩) كتاب «الحدود» باب: الكبير والمريض يقام عليه الحد (٢٥٧٤)، وأحمد (٥/ ٢٢٢).

(٤) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٥٠٩)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٣٨٥)، و**«الدر المصون»** (٥/ ٥٣٧).

(٥) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٥٩٢) برقم: (٢٩٩٦٠) عن ابن عباس، وبرقم: (٢٩٩٦٣) عن مجاهد، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٦٦)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٥٠٩)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٤٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٥٩٣)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، ولعبد بن حميد عن مجاهد.

(٦) ينظر: **«السبعة»** (٥٥٤)، و**«الحجة»** (٦/ ٧٢)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٣٢٨)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ١٩٢)، و**«العنوان»** (١٦٣)، و**«حجة القراءات»** (٦١٣)، و«شرح شعلة» (٥٦٥)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٢٢).

الإضافة، وقرأ الباقون «بِخَالِصَةٍ» على تنوينِ «خالِصَةٍ» فـ«ذِكْرَىٰ» على هذه القراءةِ بدلٌ من خالِصَةٍ فيحتملُ أنْ يكونَ معنى الآية: أنا أخلصناهم بأن خَلُصَ لهم التذكيرُ بالدارِ الآخرةِ ودعاءِ الناس إليها؛ وهذا قول قتادة[1]، وقيل المعنى: أنا أَخْلَصْنَاهم، بأنْ خَلُصَ لهم ذكرَهم للدارِ الآخرة وخوفُهم لها والعملُ بحسب ذلك؛ وهذا قول مجاهد[2]، وقال ابن زيد: المعنى أنا وَهَبْنَاهُمْ أَفْضَلَ مَا في الدارِ الآخرةِ، وأَخْلَصْناهم به، وأعطيناهم إياه[3]، ويحتمل أن يريدَ بالدارِ دارَ الدنيا على معنى ذكر الثناءِ والتعظيم من الناس.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿هذا ذِكر﴾ يحتملُ معنيَيْنِ:

أحدهما: أن يشيرَ إلى مَدْحِ مَنْ ذُكِرَ وإبقاءِ الشَّرَفِ له، فيَتأيَّدُ بهذا قولُ مَنْ قَال: إن الدارَ يرادُ بها الدنيا.

والثاني: أن يُشيرَ بهذا إلى القرآن، أي: ذكرٌ للعالم.

﴿وجنات﴾ بدل من ﴿حسن مآب﴾ و﴿مفتحة﴾ نَعْتٌ لـ﴿جناتٍ﴾، و﴿الأبواب﴾ مفعولٌ لَمْ يُسَمَّ فاعله، وباقي الآيةِ بيِّن.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٣) برقم: (٢٩٩٦٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٣)، وعزاه لابن المنذر عن الضحاك.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٣) برقم: (٢٩٩٧٠) عن مجاهد، و(٢٩٩٧١) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٣)، وعزاه لابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٤) برقم: (٢٩٩٧٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٣)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

وقوله سبحانه: ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب...﴾ الآية، التقديرُ: الأمرُ/ هذا، ٩٨ ب
ويحتمل أنْ يكونَ التقديرُ: هذا واقعٌ أو نحوَهُ، و«الطغيان» هنا في الكُفْرِ.

وقوله تعالى: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾ قرأ الجمهورُ: «غَسَاق» ـ بتخفيف السين[١] ـ وهو اسم بمعنى السائِل، قال قتادةُ: الغَسَاقُ: ما يَسِيلُ من صديدِ أهلِ النار[٢]، قال * ص *: الغَسَاقُ السَّائِل، وعن أبي عبيدةَ أيضاً: البارِدُ المُنْتِنُ بلُغَةِ التُّرْك[٣]، انتهى، قال الفخرُ[٤]: ﴿هذا فليذوقوه حميم وغساق﴾ فيه وجْهَانِ: الأول على التقديم والتأخير، والتقديرُ: هذا حميمٌ وغساقٌ أي: منه حميمٌ وغساقٌ، انتهى، * ت *: والوجهُ الثاني: أنَّ الآيةَ لَيْسَ فيها تقديمٌ ولا تأخيرٌ وهو واضِح، وقرأ الجمهور ﴿وآخَرُ﴾ بالإفرادِ، ولَهُمْ عذابٌ آخَرُ، ومعنى ﴿مِن شكله﴾ أي: من مِثْلِهِ وضَرْبِهِ، وقرأ أبو عمرو وحدَه: «وأُخَرُ» على الجمعِ[٥]، و﴿أزواج﴾ معناه: أنواع، والمعنى: لهم حميمٌ وغساقٌ، وأغذية أُخَرُ من ضَرْبِ ما ذُكِرَ.

وقوله تعالى: ﴿هذا فوج﴾ هو مِمَّا يُقَالُ لأهْلِ النارِ، إذا سِيقَ عامَّةُ الكفَّارِ والأتباع إليها؛ لأن رؤساءَهم يَدْخلونَ النارَ أولاً، والأظهرُ أنَّ قائلَ ذلكَ لَهُمْ ملائكةُ العذابِ، وهو الذي حكَاه الثعلبيُّ وغَيْرُهُ، ويحتملُ أنْ يكونَ ذلكَ من قولِ بعضِهم لبعض، فيقولُ البعضُ الأخرُ: ﴿لا مرحباً بهم﴾ أي، لا سَعَةَ مَكَانٍ، ولا خَيْرَ يَلْقَوْنَهُ.

وقوله: ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ حكايةٌ لقولِ الأتبَاعِ لرؤسائِهم، أي: أنتم قَدَّمْتُمُوهُ لنا بإغوائِكم وأسلفتم لنا ما أوجب هذا، قال العِرَاقِيُّ: [الرجز]

---

(١) وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص بتشديد السين.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥١٠)، و«السبعة» (٥٥٥)، و«الحجة» (٦/ ٧٨)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٣٠)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٣)، و«العنوان» (١٦٣)، و«حجة القراءات» (٦١٥)، و«شرح شعلة» (٥٦٥)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٣).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٥٩٨) برقم: (٢٩٩٩٠)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة، ولابن أبي شيبة، وهناد، وعبد بن حميد عن أبي رزين، ولهناد عن عطية.

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٩٤)، وعزاه لابن جرير عن عبد اللّه بن بريدة.

(٤) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٦/ ١٩٢).

(٥) ينظر: «السبعة» (٥٥٥)، و«الحجة» (٦/ ٧٨)، و«معاني القراءات» (٥/ ١٩٣)، و«العنوان» (١٦٣)، و«حجة القراءات» (٦١٥)، و«شرح شعلة» (٥٦٦)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٣).

مُـقْـتَـحِـمٌ أَيْ دَاخِـلٌ بِـشِـدَّهْ   مُـجَـاوِزٌ لِـمَـا اقْـتُـحِـمْ بِـالـشِّـدَّهْ

انتهى.

وقوله تعالى: ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا...﴾ الآية، هو حكايةٌ لقول الأتباعِ أيضاً دَعَوْا على رؤسائِهم؛ بأن يكونَ عذابُهُمْ مُضَاعَفاً.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار...﴾ الآية: الضميرُ في ﴿قالوا﴾ لأشْرَافِ الكفارِ ورؤسائِهم، وهذا مطَّرِدٌ في كل أمة، ورُوِيَ أن قائِلي هذه المقالةِ أهْلُ القَلِيبِ؛ كأبِي جَهْلٍ وأُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ وعُتْبَةَ بن رَبيعةِ، ومَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ، وأنَّ الرجالَ الذين يشيرون إليهم هم كَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وبِلاَلٍ وصُهَيْبٍ، ومَنْ جَرَى مجراهم، قاله مجاهد[1] وغيره، والمعنى: كنا في الدنيا نَعُدُّهم أشْرَاراً، **وقرأ** حمزةُ والكسائي وأبو عمرو «اتَّخَذْنَاهُمْ» بِصِلَةِ الألِف[2]، على أن يكونَ ذلك في موضِعِ الصفةِ لرجال، **وقرأ** الباقونَ «أَتَّخَذْنَاهُمْ» بهمزةِ الاسْتِفْهَام، ومعناها: تقريرُ أنفسِهِم على هذا؛ على جهة التوبيخ لها والأسفِ، أي: اتخذناهم سِخْرِيًّا ولم يكونوا كذلك، **وقرأ** نافع وحمزة والكسائي: «سُخْرِيًّا» ـ بضم السين ـ من السُّخْرةِ، والاستخدامِ، **وقرأ** الباقون: «سِخْرِيًّا» ـ بكسر السين[3] ـ، ومعناها المشهورُ من السَّخْرِ الذي هو بمعنى الهُزْءِ، وقولُهُمْ: ﴿أم زاغت﴾ معادلةٌ لما في قولِهِمْ: ﴿ما لنا لا نرى﴾ والتقديرُ في هذه الآيةِ: أمَفْقُودُونَ هم أمْ هُمْ معنا، ولكن زاغَتْ عنهم أبصارنا، فلا نراهم، والزَّيْغُ: المَيْلُ.

١٩٩أ ثـم أخْبَرَ تعالى نبيَّه بقوله:/ ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ والإشارةُ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٦٠٢) برقم: (٣٠٠١٤) وبرقم: (٣٠٠١٥) عن مجاهد، وذكره البغوي (٤/٦٨)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥١٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٥٩٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عساكر عن مجاهد.

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٥٦)، و«الحجة» (٦/٨٢)، و«معاني القراءات» (٢/٣٣١)، و«شرح الطيبة» (٥/١٩٣)، و«العنوان» (١٦٣)، و«حجة القراءات» (٦١٧)، و«شرح شعلة» (٥٦٦)، و«إتحاف» (٢/٤٢٣).

(٣) ينظر: «الحجة» (٦/٨٥)، و«العنوان» (١٦٣)، و«حجة القراءات» (٦١٨)، و«إتحاف» (٢/٤٢٤).

بقوله تعالى: ﴿قل هو نبأ عظيم﴾ إلى التوحيد والمَعَادِ، فهي إلى القرآن وجميعِ ما تَضَمَّنَ، وعِظَمُهُ أنَّ التصديقَ بِهِ نجاةٌ والتكذيب به هَلَكَةٌ، ووبَّخَهُمْ بقوله: ﴿أنتم عنه معرضون﴾، ثم أُمِرَ ـ عليه السلام ـ أن يقولَ محتجًا علَىٰ صِحَّةِ رسالتِه: «﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلى﴾ لولا أنَّ اللَّه أخْبَرَنِي بذلك» والملأ الأعلى أَرَادَ بِهِ: الملائكةَ، واخْتُلِفَ في الشَّيْءِ الذي هُوَ اخْتِصَامُهُمْ فِيهِ؛ فقالت فرقةٌ: ٱخْتِصَامُهُمْ في شأن آدَمَ: كقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] وَيَدُلُّ على ذلك ما يأتي من الآياتِ، وقالت فرقة: بل اختصَامُهم في الكفَّارَاتِ وَغَفْرِ الذُّنُوبِ، ونحوه فإن العَبْدَ إذا فعل حسنَةً، ٱخْتَلَفَتِ الملائكةُ في قَدْرِ ثوابِهِ في ذلك، حتى يَقْضِيَ اللَّهُ بما شاء، وروي في هذا حديثٌ فَسَّرَهُ ابنُ فُورَكَ يتضمَّنُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ له ربُّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ في نومه: «أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَىٰ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: ٱخْتَصَمُوا في الْكَفَّارَاتِ والدَّرَجَاتِ، فَأَمَّا الكَفَّارَاتُ: فَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ في الغَدَوَاتِ البارِدَةِ، ونَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَٱنْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، وأَمَّا الدَّرَجَاتُ: فَإِفْشَاءُ السَّلامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلاَةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» الحديثَ[١] قال ابن العربيِّ في «أحكامِه»: وقَدْ رَوَاهُ الترمذيُّ صحيحاً، وفيه «قال: سَلْ؛ قَالَ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً في قَوْمٍ، فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وأَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَعَمَلاً يُقَرِّبُ إِلَيَّ حُبكَ» قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَٱدْرُسُوهَا، ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا»، انتهى.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾

وقوله: ﴿إن يُوحَىٰ إلَيَّ إلا أَنَّمَا أنا نذير مبين﴾ قال الفراء: إن شئْتَ جَعَلْتَ «أَنَّما» في موضِعِ رفع، كأنَّهُ قَالَ: مَا يُوحَىٰ إليَّ إلا الإِنْذَارُ، أو: ما يُوحَىٰ إِلَيَّ إلا أَنِّي نَذِيرٌ مُبِينٌ، انتهى، وهكذا قال أبو حَيَّان[٢]: «إن» بمعنى: «ما» وباقي الآيةِ بَيِّنٌ مِمَّا تَقَدَّمَ في «البَقَرَةِ» وغيرِها.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٣) عن معاذ بن جبل. وفي الباب من حديث ابن عباس أخرجه الترمذي (٥/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة صٓ (٣٢٣٣ ـ ٣٢٣٤)، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٣٩١).

وقوله تعالى: ﴿بيديَّ﴾ عبارةٌ عن القُدْرَةِ والقُوَّةِ.

وقوله: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾: المعنى: أَحَدَثَ لك الاسْتكبارُ الآن أم كنتَ قديماً مِمَّنْ لا يليق أنْ تُكَلَّفَ مِثْلَ هذا لِعَلُوِّ مَكَانِك؛ وهذا على جهةِ التوبيخ له.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم﴾ الآية، «الرَّجِيمُ» أي: المرجُومُ بالقولِ السَّيِّيءِ، واللعنةُ: الإِبْعَادُ.

وقوله سبحانه: ﴿فالحَقُّ والحَقَّ أقولُ﴾ قال مجاهدٌ: المعنى: فالحقُّ أنا[1]، **وقرأ** الجمهور: «فالْحَقَّ وَالحَقَّ» بِنَصْبِ الاثْنَيْنِ، فأما الثاني، فمنصوبٌ بـ«أقول» وأما الأَوَّل فَيَحْتَمِلُ أنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الإِغْرَاءِ، ويحتملُ أنْ ينتصبَ على القَسَم، على إسقاط حرفِ القَسَم، كأنه قال: فَوَالحَقِّ؛ ثم حَذَفَ الحَرْفَ؛ كَمَا تَقُولُ: اللَّهَ، لأَفْعَلَنَّ، تريدُ واللَّهِ؛ ويقوِّي ذلك قولُه: ﴿لأَملأَنَّ﴾ وقد قال سِيبَوَيْهِ: قلتُ للخَلِيلِ: ما مَعْنَى: «لأَفْعَلَنَّ» إذا
٩٩ ب جاءتْ مبتدأةً؟ فقال: هي بتقديرِ قَسَم مَنويّ، وقالَتْ فرقةٌ: «الحَقَّ» الأول/ منصوبٌ بفعلٍ ومُضمر، **وقرأ** ابن عباس: «فَالحَقُّ وَالْحَقُّ»[2] برفع الاثنين، **وقرأ** عاصمٌ وحمزة: «فَالحَقُّ» بالرفع، وَ«الحَقَّ» ـ بالنصب[3] ـ، وهي قراءةُ مجاهدٍ وغيره[4].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٠٧) برقم: (٣٠٠٣٣)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٧٠)، وابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٥١٦)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٤٤)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٦٠٠)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) وبها قرأ الأعمش ومجاهد.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٣١)، و**«المحرر الوجيز»** (٤/ ٥١٦)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٣٩٣)، و**«الدر المصون»** (٥/ ٥٤٧).

(٣) ينظر: **«السبعة»** (٥٥٧)، و**«الحجة»** (٦/ ٨٧)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٣٣٣)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ١٩٤)، و**«العنوان»** (١٦٤)، و**«حجة القراءات»** (٦١٨)، و**«شرح شعلة»** (٥٦٦)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٢٥).

(٤) وقرأ بها الأعمش وأبان بن تغلب.
ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٤/ ٥١٦)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٣٩٣)، وزاد نسبتها إلى طلحة، وخلف، والعبسي، وحمزة، وعاصم.

ثم أمر تعالى نبيَّه [أنْ] يخبرَهم بأنه ليس بسائلٍ منهم عليه أجراً وأنه ليس ممن يتكَلَّفُ ما لم يُجْعَلْ إليه، ولا يَخْتَلِي بغيرِ ما هُوَ فيه، قال الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّام: نادَىٰ منادِي النبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ، اغفِرْ لِلَّذِينَ لاَ يَدَّعُونَ، ولاَ يَتَكَلَّفُونَ؛ أَلاَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ التَّكَلُّفِ وَصَالِحُو أُمَّتِي».

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾

وقوله: ﴿إن هو﴾ يريدُ القرآن و﴿ذِكْر﴾ بمعنى تَذْكِرَة، ثم توعَّدَهُمْ بقوله: ﴿ولتعلمُنَّ نبأه بعد حين﴾ وهذا على حَذْفٍ تقديرُه: لتعلمنَّ صِدْقَ نَبئه بعد حين، قال ابن زيد: أشار إلى يوم القيامة[1]، وقال قتادة والحَسَن: أشار إلى الآجالِ الَّتي لهم[2]؛ لأن كُلَّ وَاحِدٍ منهم يَعْرِفُ الحَقَائِقَ بَعْدَ مَوْتِهِ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٦٠٩) برقم: (٣٠٠٤١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٧٠) عن عكرمة، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥١٦)، وابن كثير في «تفسيره» عن عكرمة، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٠١)، وعزاه لابن جرير عن ابن زيد.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٦٠٨) برقم: (٣٠٠٣٩) عن قتادة والحسن، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٧٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥١٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٤٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٠١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

تَفسِيرُ سُورَةِ الزُّمَرِ

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

غيرَ ثلاثِ آيات نزلَتْ في شَأْن وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حمزةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِب، وهي ﴿قُلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم...﴾ الآياتِ، وقَالَتْ فرقة: إلى آخر السورة هو مدني، وقيل: فيها مدني سبع آيات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿تنزيلُ الكتاب...﴾ الآية، ﴿تنزيلُ﴾ رفع بالابتداءِ، والخبرُ قوله: ﴿من الله﴾ وقالَتْ فرقَة: ﴿تنزيل﴾ خَبَرُ مبتدإٍ محذوفٍ، تقديرُه: هذا تنزيلٌ، والإِشَارَةُ إلى القرآنِ؛ قاله المفسرون، ويظهرُ لِي أنَّه اسمٌ عامٌّ لجميعِ ما تَنَزَّلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فكأنَّه أخْبَرَ إخباراً مجرَّداً أنَّ الكُتُبَ الهاديةَ الشارِعَة إنما تَنْزِيلُهَا من اللَّه تعالَىٰ، وجَعَلَ هذا الإِخْبَارَ تَقْدِمَةً وتَوْطِئَةً لقوله: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب﴾.

وقوله: ﴿بالحق﴾ معناه: متضمِّناً الحَقَّ، أي: بالحقِّ فيه، وفي أحْكَامِهِ وأخباره، و﴿الدين﴾ هنا يَعُمُّ المُعْتَقَدَاتِ وأعمالَ الجَوَارِحِ، قال قتادة: و﴿الدين الخالص﴾: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»(١).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٦١١) برقم: (٣٠٠٤٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٧١)، وابن عطية (٤/٥١٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٤٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٠٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

وقوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء...﴾ الآية، أي: يقولون مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللَّه زَلْفَىٰ، وفي مصحف ابن مسعودٍ: «قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ»[1] وهي قراءة ابن عبَّاس وغيرِه، وهذه المقالة شائعةٌ في العرب في الجاهلية يقولون في معبوداتِهم مِنَ الأصْنام وغيرها: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللَّه، قال مجاهد: وقد قال ذلك قومٌ من اليهودِ في عُزَيْرٍ، وقومٌ من النصارَىٰ في عيسَىٰ[2].

و﴿زلفى﴾ بمعنى قُرْبَةٍ وتَوْصِلَةٍ، [كأنهم] قَالُوا ليقرِّبونا إلى اللَّه تَقْرِيباً، وكأنَّ هذه الطوائفَ كلَّها تَرَى نُفوسَها أقلَّ من أن تَتَّصِلَ هي باللَّه، فكانت تَرَىٰ أن تَتَّصِلَ بمخلوقاته.

وَ﴿زُلْفَىٰ﴾ عند سيبَوَيْهِ، مَصْدَرٌ في موضع الحال كأنَّه تَنَزَّلَ مَنْزِلَةَ «مُتَزَلِّفِينَ» والعاملُ فيه ﴿يُقَرِّبُونَا﴾، وقرأ الجَحْدرِيُّ[3] «كذَّابٌ كَفَّارٌ» بالمبالَغَةِ فيهما، وهذه المبالغةُ إشارةٌ إلى التَوَغُّلِ في الكُفرِ.

وقوله تعالى: ﴿لو أراد اللَّه أن يتخذ ولداً﴾ معناه: اتِّخَاذُ التشريفِ والتبنِّي؛ وعلى هذا يستقيمُ قولُه تعالى: ﴿لاصطفى/ مما يخلق﴾ وأمَّا الاتخاذُ المعهودُ في الشاهدِ ١٠١/أ
فَمُسْتَحِيلٌ أن يُتَوَهَّمَ في جهة اللَّه تعالى، ولا يستقيمُ عليه معنى قوله: ﴿لاصطفى مما يخلق﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ [مريم: ٩٢] لفظٌ يعمُّ اتخاذَ النسلِ واتخاذَ الاصطِفاء، فأما الأول فمعقولٌ، وأمَّا الثاني فمعروفٌ بخبر الشرع، ومما يدل على أن مَعْنى قوله: ﴿أَنْ يَتَّخِذَ﴾ إنما المقصودُ به اتخاذٌ اصطِفَاءٍ، وَتَبَنٍّ ـ قولُهُ: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ أي: مِنْ موجوداتِه ومُحْدَثَاتِه ـ ثم نَزَّهَ سبحانه نفسَه تنزيهاً مطلقاً عن كلِّ ما لاَ يَلِيقُ بِهِ سبحانه.

وقوله تعالى: ﴿يكوِّر الليل على النهار...﴾ الآية، معناه: يُعِيدُ مِنْ هَذَا على هذا، ومنه كُورُ العِمَامَة التي يَلْتَوِي بعضُها على بعض، فكأن الذي يطولُ مِن النهارِ أو الليلِ

---

(١) وقرأ بها مجاهد وابن جبير.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥١٨)، و«الكشاف» (٤/١١١)، و«البحر المحيط» (٧/٣٩٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٦١١) برقم: (٣٠٠٤٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥١٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٠٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «مختصر الشواذ» (١٣١)، و«المحرر الوجيز» (٤/٥١٨)، وزاد نسبتها إلى أنس بن مالك، ثم قال: ورويت عن الحسن، والأعرج، ويحيى بن يعمر.
وينظر: «البحر المحيط» (٧/٣٩٩)، و«الدر المصون» (٦/٥).

١٢أ يصيرُ مِنه على الآخرِ جُزْءٌ فيستُرُه، وكأن الآخرَ الذي يَقْصُرُ يَلِجُ في الذي[1]/ يَطول، فيستَتِرُ فيه.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها﴾ قيل: «ثُمَّ» هنا: لترتيب الإِخْبَارِ لا لترتيبِ الوُجُودِ[2]، وقيل: قوله: ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾: هو أخذ الذريةَ مِن ظهر آدم، وذلك شيءٌ كان قبل خلق حَوَّاءَ، * ت *: وهذا يحتاج إلى سندٍ قاطعٍ.

وقوله سبحانه: ﴿في ظلماتٍ ثلاثٍ﴾ قالت فرقة: الأُولَىٰ هي ظَهْرُ الأَبِ، ثم رَحِمُ الأمِّ، ثم المَشِيمَةُ في البَطْنِ، وقال مجاهد وغيره: هي المَشِيمَةُ والرَّحِمُ والبَطْنُ[3]، وهذه الآياتُ كلُّها فيها عِبَرٌ وتنبيهٌ على تَوْحِيدِ الخالِقِ الذّي لاَ يَسْتَحِقُّ العبادةَ غَيْرُهُ وتوهينٌ لأمرِ الأصنام.

وقوله سبحانه: ﴿إن تكفروا فإن اللّه غني عنكم...﴾ الآية، قال ابنُ عباس: هذه

---

(١) من هنا انتقلنا بالترقيم من على المخطوط من النسخة (د).

(٢) في (ثُمَّ) هذه أوجه:

«أحدها»: أنها على بابها من الترتيب بمُهْلَةٍ، وذلك أنه يُرْوَى أنه تعالى أَخْرَجَنَا من ظهر آدم كالذَّرِ ثم خَلَقَ حَوَّاءَ بعد ذلك بزمان.

«الثاني»: أنها على بابها أيضاً، ولكن لِمُدْرَكٍ آخر وهو أن يُعْطَفَ بها ما بعدها على ما فُهِمَ من الصفة في قوله «وَاحِدَةٍ»؛ إِذِ التقديرُ من نفسٍ وَحَدَتْ أي: انفردت ثم جُعِلَ منها زوجُها.

«الثالث»: إنها للترتيب في الإِخْبَارِ لا في الزمان الوجودي؛ كأنه قيل: كان مِنْ أَمرِها قبل ذلك أَنْ جَعَلَ منها زوجَها.

ينظر: «الدر المصون» (٦/ ٥ ـ ٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦١٥) برقم: (٣٠٠٦٩) عن عكرمة، و (٣٠٠٧١) عن ابن عباس، و (٣٠٠٧٢) عن مجاهد، وبرقم: (٣٠٠٧٣) عن قتادة، وبرقم: (٣٠٠٧٤) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة، ولعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

هذه الآيةُ مخاطبَةٌ للكفارِ[١]، قال ❊ ع[٢] ❊: وتحتملُ أن تكونَ مخاطبةً لجميع الناس، لأن اللَّهَ سبحانه غنيٌّ عَن جميعِ الناسِ، وهم فقراءُ إليه، واخْتَلَفَ المتأولونَ مِن أهْلِ السنةِ في تأويل قوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ فقالت فرقة: «الرِّضا» بمعنى الإرادَةِ، والكلامُ ظاهرُه العمومُ، ومعناه الخصوصُ فيمن قَضَى اللَّهُ له بالإيمان، وحتَّمَهُ له، فعبادُه عَلَىٰ هذا ملائكتُهُ ومؤمنو الإِنْسِ والجِنِّ، وهذا يتركَّبُ عَلَىٰ قول ابن عباس[٣]، وقالت فرقة: الكلامُ عُمومٌ صحيحٌ، والكُفْرُ يقعُ مِمَّنْ يَقَعُ بإرادةِ اللَّهِ تعالَىٰ، إلا أنه بَعْدَ وُقُوعِهِ لاَ يَرْضَاهُ دِيناً لهم، ومعنى لا يرضاه: لا يشكرُه لهُمْ، ولا يُثِيبُهم بهِ خَيْراً، فالرضا: على هذا هو صفةُ فِعْلٍ بمعنى القَبُولِ، ونحوِه، وتأمَّلِ الإِرَادَةَ فإنما هي حقيقةٌ فيما لَمْ يَقَعْ بَعْدُ، والرِّضا، فإنما هُو حقيقةٌ فِيمَا قَدْ وَقَعَ، واعْتَبِرْ هذا في/ آيات القرآن تجِدْهُ، وإنْ كانت ٢ ب
العربُ قد تستعمل في أشعارها على جهة التجوُّز هذا بَدَلَ هذا.

وقوله تعالى: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ عمومٌ، والشكرُ الحقيقيُّ في ضِمْنِهِ الإيمانُ، قال النوويُّ: وَرُوِّينا في «**سُنَنِ أبي دَاوُدَ**» عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «من قال: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبّاً وبِالإِسْلاَمِ دِيناً وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»[٤] انتهى.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه...﴾ الآية: ﴿الإنسان﴾ هنا: الكافرُ، وهذه الآيةُ بَيَّنَ تعالَىٰ بها عَلَى الكُفَّارِ، أنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ يَلْجَؤونَ إِليه في حالِ الضروراتِ، و﴿خوَّله﴾ معناه مَلكه وحكَّمَه فيها ابتداءً من اللَّهِ لاَ مُجَازَاةً، ولا يقالُ في الجزاء «خَوَّلَ».

(١) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١٠/ ٦١٧) برقم: (٣٠٠٧٩)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٦٠٤)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «**الأسماء والصفات**».

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٤/ ٥٢١).

(٣) ذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢١).

(٤) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (١/ ٥١٨) كتاب «الدعاء». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقوله تعالى: ﴿نسي ما كان يدعو إليه﴾ قالت فرقة: «ما» مصدريةٌ، والمعنى: نسِيَ دعاءَه إليه في حالِ الضَّرُورَةِ، وَرَجَعَ إِلَىٰ كُفْرِهِ، وقالت فرقة: «ما» بمعْنَى الذي، والمرادُ بها اللَّه تعالى، أي: نسي اللَّه، وعبارة الثعلبي: قوله: ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ أي: تَرَكَ عبادَةَ اللَّه تعالى والتضرُّعَ إليهِ من قَبْلُ في حال الضُّرِّ انتهى» وباقي الآية بيِّنٌ.

وقوله تعالى: «أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ» بتخفيف الميم، هي قراءة نافع وابنِ كَثِيرٍ وحمزة[١]، والهَمْزةُ للتقرير والاستفهام، وكأنه يقولُ: أهذا القَانتُ خَيْرٌ أم هذا المذكورُ الذي يتمتَّعُ بكُفْرِهِ قليلاً، وهو من أَصْحَاب النار، وقرأ الباقونَ: «أَمَّنْ» بتشديدِ الميم، والمعنى: أهذا الكافرُ خَيْرٌ أَمَّنْ هُو قَانِتٌ؟ والقانتُ: المطِيعُ؛ وبهذا فسَّره ابنُ عبَّاس ـ رضي اللَّه عنهما[٢] ـ، والقُنُوتُ في الكلام يَقَعُ عَلى القِراءةِ وَعَلى طُولِ القيام في الصلاةِ؛ وبهذا
/ فسَّره ابنُ عُمَرَ ـ رَضِي اللَّه عنهما[٣] ـ قال الفَخْرُ[٤]: قيل: إن المرادَ بقوله: ﴿أمن هو ١٣
قانت آناء الليل﴾: عُثْمَانُ بْنُ عفَّانَ؛ لأنه كَان يُحْيِي الليل، والصحيحُ أنها عامَّةٌ في كلِ من اتَّصَفَ بهذه الصِّفَةِ، وفي هذه الآية تنبيهٌ على فضلِ قيام الليلِ، انتهى، ورُوِيَ عن ابن عبَّاسٍ؛ أنَّه قالَ: «مَنْ أحبَّ أنْ يُهَوِّنَ اللَّهُ عليه الوقوفَ يوم القيامةِ، فَلْيَرَهُ اللَّهُ في سَوَادِ اللَّيْلِ سَاجِداً وقائِماً»[٥]، * ت * قال الشيخ عبدُ الحَقِّ في «العَاقِبَةِ»: وعن قَبِيصَةَ بْنِ سُفْيَانَ قال: رأيتُ سُفْيانَ الثَّوْرِيَّ في المنام بعد موته؛ فقلتُ له: ما فعل اللَّه بك؟ فقال: [الطويل]

نَظَرْتُ إِلَىٰ رَبِّي عِيَاناً فَقَالَ لِي ... هَنِيئاً رِضَائي عَنْكَ يَا بْنَ سَعِيدِ
لَقَدْ كُنْتَ قَوَّاماً إِذَا اللَّيْلُ قَدْ دَجَا ... بِعَبْرَةِ مَحْزُونٍ وَقَلْبِ عَمِيدِ
فَدُونَكَ فَاخْتَرْ أَيَّ قَصْرٍ تُرِيدُهُ ... وَزُرْنِي فَإِنِّي مِنْكَ غَيْرُ بَعِيدِ[٦]

وكَانَ شُعْبَة بن الحَجَّاج، ومِسْعَرُ بْن كِدَام، رجلَيْنِ فَاضِلَيْنِ، وكانَا مِنْ ثِقَاتِ المُحَدِّثينَ وحُفَّاظِهِم، وكان شُعْبَةُ أَكْبَرَ فَمَاتَا، قال أبو أحمد اليَزِيدِيُّ، فرَأَيتُهما في النَّوْمِ،

---

(١) ينظر: «الحجة» (٦/ ٩٢)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٣٥)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٦)، و«العنوان» (١٦٥)، و«حجة القراءات» (٦٢٠)، و«شرح شعلة» (٥٦٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٤٢٨).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢١) برقم: (٣٠٠٨٨) عن ابن عباس وبرقم: (٣٠٠٨٩) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧).
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢١) برقم: (٣٠٠٨٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣)
(٤) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٦/ ٢١٩).
(٥) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣).
(٦) ينظر: الأبيات في «العاقبة» (١٣٧).

وكنتُ إِلَىٰ شُعْبَةَ أَمْيَلَ مِنِّي إِلَىٰ مِسْعَرٍ، فقلتُ: يا أبا بِسْطَامَ؛ ما فَعَلَ اللّهُ بك؟ فقال: وَفَّقَكَ اللّه يا بُنَيَّ، ٱحْفَظْ ما أَقُولُ:

حَبَانِي إِلٰهِي فِي الْجِنَانِ بِقُبَّةٍ ... لَهَا أَلْفُ بَابٍ مِنْ لُجَيْنٍ وَجَوْهَرَا
وَقَالَ لِيَ الْجَبَّارُ: يَا شُعْبَةُ الَّذِي ... تَبَحَّرَ فِي جَمْعِ الْعُلُومِ وَأَكْثَرَا
تَمَتَّعْ بِقُرْبِي إِنَّنِي عَنْكَ ذُو رِضاً ... وَعَنْ عَبْدِيَ الْقَوَّامِ فِي اللَّيْلِ مِسْعَرَا
كَفَىٰ مِسْعَراً عِزًّا بِأَنْ سَيَزُورُنِي ... وَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِي وَيَدْنُو لِيَنْظُرَا
وَهٰذَا فِعَالِي بِالَّذِينَ تَنَسَّكُوا ... وَلَمْ يَأْلَفُوا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ مُنْكَرَا[1]

انتهى. «والآناء»: الساعاتُ واحدها/ «إِنًى»؛ كـ«مِعًى» ويقال: «إِنْيٌ» ـ بكسر الهمزة ٣ ب
وسكون النون ـ، و«أَنًى» على وزن «قَفاً».

وقوله سبحانه: ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ قال ابْنُ الجوزيِّ في «**المُنْتَخَبِ**»: يقولُ اللّه تعالى: «لاَ أَجْمَعُ عَلَىٰ عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَلاَ أَمْنَيْنِ؛ مَنْ خَافَنِي في الدُّنْيَا، أَمَّنْتُهُ في الآخِرَةِ، وَمَنْ أَمِنَنِي في الدُّنْيَا خَوَّفْتُهُ في الآخِرَةِ»، يَا أَخِي؛ امتطى القَوْمُ مَطَايَا الدُّجَىٰ عَلَىٰ مَرْكَبِ السَّهَرِ، فَمَا حَلُّوا وَلاَ حَلُّوا رِحَالَهُمْ حَتَّى السَّحَرْ، دَرَسُوا القُرآن فَغَرَسُوا بِأَيْدِي الْفِكْرِ أَزْكَى الشَّجَرْ، وَمَالُوا إِلى النُّفُوسِ بِاللَّوْمِ؛ فَلاَ تَسْأَلْ عَمَّا شَجَرْ، رَجَعُوا بِنَيْلِ القَبُولِ مِنْ ذَلِكَ السَّفَرْ، وَوَقَفُوا عَلَىٰ كَنْزِ النَّجَاةِ وَمَا عِنْدَكَ خَبَرْ، فإذا جاء النَّهَارُ قَدَّمُوا طَعَامَ الجُوعِ، وَقَالُوا لِلنَّفْسِ: هَذَا الَّذِي حَضَرْ، حَذَوْا عزَمَاتٍ طَاحَتِ الأَرْضُ بَيْنَهَا، فَصَارَ سُرَاهُمْ فِي ظُهُورِ العَزَائِمْ، تَرَاهُمْ نُجومَ اللَّيْلِ مَا يَبْتَغُونَهُ عَلَىٰ عَاتِقِ الشِّعْرَىٰ وَهَامِ النَّعَائِمْ، مَالَتْ بِالقَوْمِ رِيحُ السَّحَرِ مَيْلَ الشَّجَرِ بِالأَغْصَانْ، وَهَزَّ الخَوْفُ أَفْنَانَ القُلُوبِ فَٱنْتَشَرَتِ الأَفْنَان، فَالقَلْبُ يَخْشَعُ واللِّسَانُ يَضْرَعُ وَالعَيْنُ تَدْمَعُ وَالوَقْتُ بُسْتَانْ، خَلْوَتُهُمْ بِالحَبِيبِ تَشْغَلُهُمْ عَنْ نُعْمٍ وَنَعْمَانْ، سُرُورُهُمْ أَسَاوِرُهُمْ وَالخُشُوعُ تِيجانْ، خُضُوعُهُمْ حُلاَهُمْ وَمَاءُ دَمْعِهِمْ دُرٌّ وَمَرْجَانْ، بَاعُوا الْحِرْصَ بِالقَنَاعَةِ فَمَا مُلكُ أَنُوشِرْوَان، فَإِذَا وَرَدُوا القِيَامَةَ تَلَقَّاهُمْ بَشَرٌ: لَوْلاَكُمْ مَا طَابَ الجِنَانْ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانْ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْهُمْ يَا نَائِمُ كَيَقْظَانْ، كَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ
أَيْنَ الشُّجَاعُ مِنَ الجَبَانْ، مَا لِلْمَوَاعِظِ فِيكَ نُجحٌ، مَوْضِعُ القَلْبِ/ بِاللَّهْوِ مِنْكَ مَلآنْ، ١٤
يَا أَخِي، قِفْ عَلَىٰ بَابِ النَّجَاحِ وَلٰكِنْ وُقُوفَ لَهْفَانْ، وَٱرْكَبْ سُفُنَ الصَّلاَحِ، فَهٰذَا المَوْتُ طُوفَانْ، إِخْوَانِي، إِنَّمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَاحِلْ؛ وَمَرْكَبُ العُمْرِ قَدْ قَارَبَ السَّاحِلْ، فَٱنْتَبِهْ لِنَفْسِكَ وَٱزْدَجِرْ يَا غَافِلْ، يَا هَذَا، أَنْتَ مُقِيمٌ فِيٍّ مُنَاخِ الرَّاحِلِينَ؛ وَيْحَكَ ٱغْتَنِمْ أَيَّامَ القُدْرَةِ قَبْلَ

---

(١) ينظر: الأبيات في «**العاقبة**» (١٣٨).

صَيْحَةِ ٱلانتِزَاعِ، فما أقْرَب مَا يُنْتَظَرُ، وَمَا أَقَلَّ المُكْثَ فِيمَا يَزُولُ وَيَتَغَيَّرُ. انتهى.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قل يا عباد الذين ءامنوا اتقوا ربكم﴾ يُرْوَى أنَّ هذهِ الآيَةَ نزلتْ في جَعْفَرِ بن أبي طالب وأصحابِهِ، حِينَ عزموا على الهجرة إِلَىٰ أرض الحبشة[1]، ووعد سبحانه بقوله: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ فقولهُ: ﴿في هذه الدنيا﴾ متعلق بـ﴿أَحْسَنُوا﴾، والمعنَىٰ: إنَّ الذين يُحْسِنُونَ في الدنيا لَهُمْ حَسَنَةٌ في الآخِرَة، وهي الجنةُ والنعيمُ؛ قاله مقاتلٌ[2] ويحتملُ أنْ يريدَ: أن الذينَ يُحْسِنُونَ لهُم حسَنَةٌ في الدنيا، وهي العافيةُ والظهورُ وولايةُ اللّهِ تعالى؛ قاله السُّدِّيُّ[3]، والأَوَّلُ أرجح أن الحسَنَةَ هِي في الآخِرَة.

وقوله سبحانه: ﴿وأرض اللّه واسعةٌ﴾ حَضٌّ عَلى الهجرةِ، ثم وَعَدَ تعالى على الصَّبْرِ على المكارِهِ، والخروج مِنَ الوَطَنِ ونُصْرَةِ الدينِ وجميعِ الطاعات ـ بِتَوْفِيَةِ الأجورِ بغير حِسَابٍ، وهذا يحْتَمِلُ معنيين:

أحدهما: أن الصابرَ يُؤْتَىٰ أَجْرَهُ وَلاَ يحاسَبُ على نعيمٍ ولا يُتَابَعُ بذنوبٍ، ويكونُ في جملة الذين يدخلون الجنةَ بغير حساب.

والثاني من المعنيين: أن أجورَ الصابرينَ تُوَفَّىٰ بغَيْرِ حَصْرٍ وَلا عَدٍّ، بلْ جُزَافاً، وهذه استعارةٌ للكثرةِ التي لا تحصى؛ وإلى هذا التأويلِ ذَهَبَ جمهورُ المفسرينَ، حتى قال قتادةُ:
٤ ب لَيْسَ ثَمَّ واللّهِ/ مِكْيَالٌ ولا ميزان[4]، وفي الحديث أنَّهُ لما نزلت ﴿واللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٤)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣).
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٢) برقم: (٣٠٠٩٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٣).
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٢) برقم: (٣٠٠٩٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٤) عن علي رضي اللّه عنه، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٥)، وعزاه لعبد بن حميد.

يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ، زِدْ أُمَّتِي»، فَنَزَلَتْ بَعْدَ ذلِكَ ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَه أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] فقال: «اللَّهُمَّ زِدْ أُمَّتِي» حتى نزلَتْ: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، قال: «رَضِيتُ يَا رَبِّ».

وقوله تعالى: ﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ من المعلوم أنه ـ عليه السلام ـ معصومٌ من العِصْيَانِ، وإنما الخطابُ بالآيَةِ لأُمَّتِهِ يَعُمُّهُمْ حكمُهُ، ويحفُّهم وعيدُهُ.

وقوله: ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ هذه صيغةُ أَمْرٍ عَلَىٰ جِهَةِ التهْدِيدِ، وهذا في القرآنِ كثيرٌ، و«الظُّلَّة» ما غَشِيَ وعَمَّ كالسَّحَابَةِ وَسَقْفِ البيت، ونحوِه.

[وقوله سبحانه: ﴿ذلك يخوف اللّه به عباده﴾ يريد: جميعَ العَالَمِ].

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت...﴾ الآية، قال ابن زيد: إن سببَ نزولها زيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وَسَلْمَانُ الفَارِسِيُّ وأبو ذَرٍّ الغِفَارِيُّ، والإشارةُ إليهم[(١)].

* ت *: سُلَيْمَانُ إنما أسلم بالمدينةِ، فَيَلْزَمُ عَلَىٰ هذا التأويلِ أن تكونَ الآيةُ مدنيةً، وقال ابن إِسْحَاق: الإِشَارةُ بِها إلى عَبْدِ الرحمنِ بْنِ عَوْفٍ، وسَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، والزُّبَيْرِ، وذلك أنه لما أسْلم أبو بَكْرٍ سَمِعُوا ذلك؛ فَجَاؤُوهُ، فقالوا: أَأَسْلَمْتَ؟ قال: نَعَمْ؛ وذَكَّرَهُمْ باللّه سبحانه، فآمَنُوا بأجمعهم، فنزلَتْ فيهم هذه الآية، وهي على كلِّ حالٍ عامَّةٌ في الناس إلى يوم القيامة يتناولُهُمْ حُكْمُهَا، و﴿الطاغوت﴾: كلُّ ما عُبِدَ من دون اللّه.

وقوله سبحانه: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾: كَلاَمٌ عامٌّ في جميع الأقوال، والمَقْصِدُ الثناءُ على هؤلاءِ في نفوذِ بصائرهم، وقوام نَظَرِهِم، حتى إنهم إذا سمعوا قولاً مَيَّزوه واتبعوا أحْسَنه، قال أبو حيَّان[(٢)]: ﴿الذين يستمعون﴾ صفةٌ/ لـ﴿عِبَادِ﴾، ١٥
وقيلَ: الوَقْفُ على عباد، ﴿والَّذِينَ﴾ مبتدأٌ خبرُهُ ﴿أولئك﴾ وَمَا بَعْدَهُ، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٢٥) برقم: (٣٠١٠٨)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٧٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٢٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٧)، وعزاه لابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٠٤).

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ [من في النار﴾ قالت فرقةٌ: معنى الآيةِ: أَفَمَنْ حَقَّتْ عَلَيْه كلمةُ العَذَابِ فَأَنْتَ تُنقِذهُ]، لكنَّه زَادَ الهَمْزَةَ الثانيةَ؛ تَوْكِيداً، وأظْهرَ الضميرَ تَشْهيراً لهؤلاءِ القَومِ وإظهاراً لِخِسَّةِ منازِلِهم.

وقوله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف...﴾ الآية مُعَادَلَةٌ وتَخْصِيصٌ على التقوَىٰ، وعَادَلَتْ ﴿غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ ما تَقَدَّمَ مِنَ الظُّلَلِ فَوْقَهُمْ وَتَحْتَهُمْ، والأحاديثُ الصحيحةُ في هذا البابِ كثيرةٌ، ثُمَّ وَقَفَ تَعالَىٰ نبيَّه ـ عليه السلام ـ وأُمَّتَهُ على مُعْتَبَرٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فقال: ﴿ألم تر أن اللّه أنزل من السماء ماء...﴾ الآيَةَ، قال الطبريُّ[1]: الإشارةُ إلى ماءِ المطرِ ونَبْعِ العيونِ منه، ﴿وسلكه﴾ معناه: أَجْرَاهُ وأَدْخَلَهُ في الأرضِ، و﴿يهيج﴾ معناه: يَيْبَسُ، وهاجَ الزَّرْعُ والنباتُ: إذَا يَبِسَ، والحُطَامُ: اليابِسُ المُتَفَتِّتُ، ومعنىٰ ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أي: للبَعْثِ من القبورِ وإحياءِ الموتَىٰ؛ على قياسِ هذا المِثَالِ المذكورِ.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أفمن شرح اللّه صدره للإسلام...﴾ الآيةَ، رُوِيَ أنَّ هذهِ الآيَةَ نزلَتْ في عَلِيٍّ وحمزةَ، وأبي لَهَبٍ وابنه؛ وهمَا اللذان كَانا من القَاسِيَةِ قلوبُهُمْ[2]، وفي الكلام محذوفٌ يدلُّ عليه الظاهِرُ؛ تقديره: أفمن شَرَحَ اللّه صدره كالقاسِي القَلْبِ المُعْرِضِ عن أمرِ اللّه، وشَرْحُ الصدرِ: استعارةٌ لتحصيلهِ للنظر الجَيِّدِ والإيمانِ باللّه، والنُّورُ: هدايةُ اللّه تعالَىٰ، وهي أشبهُ شَيْءٍ بالضَّوْءِ، قال ابن مسعود: قلنا يا رَسُولَ اللّهِ! كَيْفَ ٱنْشِرَاحُ الصَّدْرِ؟ قال: إذا دَخَلَ النُّورُ القَلْبَ، ٱنْشَرَحَ وَانْفَسَحَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّه، وَمَا عَلاَمَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: الإنَابَةُ إلَى دَارِ/ الخُلُودِ، والتَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُورِ، والتَّأَهُّبُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ[3]، والقسوةُ: شِدَّةُ القَلْب، وهي مأخوذةٌ من قَسْوَةِ الحَجَرِ، شَبَّهَ قَلْبَ الكافرِ بهِ في ٥ ب

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/٦٢٦).
(٢) ذكره ابن عطية فِيَ «تفسيره» (٤/٥٢٧).
(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٠٩)، وعزاه إلى ابن مردويه.

صَلاَبَتِهِ وقِلَّةِ ٱنْفِعَالِهِ، للوَعْظِ، وَرَوَى الترمذيُّ عن ابن عُمَرَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لاَ تُكْثِرُوا الكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ القَلْبُ القَاسِي»[١]، قال الترمذيُّ: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. انتهى وقال مالكُ بن دِينَارٍ: مَا ضُرِبَ عَبْدٌ [بعقوبةٍ] أَعْظَمَ من قَسْوَةِ قلبِهِ، قال ابن هِشَام: قوله تعالى: ﴿فويل للقاسية قلوبُهم من ذكر اللَّه﴾ «من» هنا: مرادِفَةٌ «عَنْ»، وقيل: هي للتعليلِ، أي: مِنْ أجْلِ ذكر اللَّه؛ لأنه إذا ذُكِرَ اللَّه، قَسَتْ قلوبُهُمْ؛ عياذاً باللَّه، وقيل: هي للابتداءِ، انتهى من **«المغني»**.

قال الفَخْرُ[٢]: ٱعْلَمْ أَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ سببٌ لحصولِ النُّورِ والهدايةِ وزيادةِ ٱلاطْمِئْنَانِ في النفوس الطاهرة الروحانية، وقد يُوجِبُ القَسْوَةَ والبُعْدَ عنِ الحَقِّ في النفوسِ الخبيثة الشيطانية، فإذا عَرَفْتَ هذا، فنقول: إنَّ رأسَ الأدْوِيَةِ التي تفيدُ الصحةَ الروحانيةَ ورُتْبَتَها هو ذِكْرُ اللَّهِ، فإذا اتفق لبعضِ النفوسِ أنْ صَارَ ذِكْرُ اللَّهِ سبباً لازْدِيادِ مَرَضِها، كانَ مَرَضُ تلكَ النفوسِ مَرَضاً لا يُرْجَىٰ زوالُهُ، ولا يُتَوَقَّعُ علاجُهُ، وكانَتْ في نِهَايَةِ الشَّرِّ والرَّدَاءَةِ، فلهذا المعنَىٰ قال تعالَىٰ: ﴿فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر اللَّه أولئك في ضلال مبين﴾ وهذا كَلاَمٌ كَامِلٍ مُحقِّقٍ، انتهى.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿اللَّه نزل أحسن الحديث﴾ يريد القرآن، وروي عَنِ ابْنِ عبَّاس أن سببَ هذه الآيةِ أنَّ قَوْماً من الصحابةِ قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنَا بِأَحَادِيثَ حِسَانٍ، / وَأَخْبِرْنَا بِأَخْبَارِ الدَّهْرِ، فنزلَت الآية[٣]. ١٦ أ

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٧)، كتاب «الزهد» باب: منه برقم: (٢٤١١)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (٤/ ٢٤٥) باب: في حفظ اللسان (٤٩٥١) من طريق عبد اللَّه بن عمر، وأخرجه مالك مرسلاً، قال: إنه بلغه أن عيسى ابن مريم كان يقول: «لا تكثروا الكلام...» الحديث نحوه.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد اللَّه بن حاطب.

(٢) ينظر: **«تفسير الفخر الرازي»** (٢٦/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١٠/ ٦٢٩) برقم: (٣٠١٢٥)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٥٢٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٦٠٩)، وعزاه لابن جرير.

وقوله: ﴿متشابهاً﴾ معناه مُسْتَوِياً لا تَنَاقُضَ فيه ولا تَدَافُعَ، بل يُشْبِهُ بَعْضُهُ بعضاً في رَصْفِ اللَّفظِ، ووَثَاقَةِ البراهينِ، وشَرَفِ المعاني؛ إذْ هِيَ اليَقِينُ في العقائدِ في اللَّهِ وصفاته وأفعالِهِ وشرعِهِ، و﴿مثاني﴾ معناه: مَوْضِعُ تَثْنِيَةٍ للقَصَصِ والأقضيةِ والمَوَاعِظِ تُثَنَّىٰ فيهِ ولاَ تُمَلُّ مَع ذلك ولا يَعْرِضُهَا ما يَعْرِضُ الحديثَ المُعَادَ، وقال ابن عباس، ثَنَّىٰ فِيه الأَمْرَ مِرَاراً[١]، ولا ينصرفُ ﴿مَثَانِي﴾ لأنه جمعٌ لا نَظِيرَ له في الواحد.

وقوله تعالى: ﴿تقشعرُ منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ عبارة عَنْ قفِّ شَعْرِ الإنسانِ عندَما يُدَاخِلُهُ خَوْفٌ ولِينُ قَلْبٍ عند سماعِ موعظةٍ أو زَجْرِ قرآن ونحوِهِ، وهذه علامةُ وقوعِ المعنى المُخْشِعِ في قلبِ السامعِ، وفي الحديث؛ أَنَّ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ قرأ عند النبيِّ ﷺ، فَرَقَّتِ الْقُلُوبُ؛ فَقَالَ النبي ﷺ: «اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ؛ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ»[٢] وقال العبَّاسُ بن عبد المُطَّلِبِ: قال النبيُّ ﷺ: «مَنِ اقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تعالى، تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَتَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ اليَابِسَةِ وَرَقُهَا»، وَقَالَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ: «كان أَصْحَابُ النبيِّ ﷺ تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وتقشعرُ جلودُهم عند سماعِ القرآن، قيل لها: إن أقواماً اليومَ إذا سَمِعوا القرآن خَرَّ أحدُهم مَغْشِياً عليه، فقالت: أعوذُ باللَّهِ من الشيطانِ»[٣]، وعن ابن عمر نحوُه، وقال ابن سيرين: بينَنَا وبين هؤلاء الذين يُصْرَعُونَ عند قراءة القرآن أن يُجْعَلَ أَحَدُهم عَلى حَائِطٍ [مَادًّا] رِجْلَيْهِ، ثُمَّ يُقرأُ عَلَيْه القرآن كلُّه/، فإن رَمَىٰ بِنَفْسِهِ، فهو صَادِقٌ[٤]. ٦ ب

* ت *: وهذا كله تغليظٌ على المُرَائِينَ والمتصنِّعين، ولا خلاف أعلمهُ بين أربابِ القلوبِ وأئمَّةِ التصوُّفِ أن المُتَصَنِّعَ عندهم بهذه الأمور مَمْقُوتٌ، وأما مَنْ غَلَبَه الحالُ لِضَعْفِهِ وقَوِيَ الواردُ عليه حتَّىٰ أذْهَبَهُ عَنْ حِسِّه؛ فهو إن شاء اللَّهُ مِن السادةِ الأخْيارِ والأولياء الأبرار، وقَد وَقَعَ ذلك لكثير من الأخْيارِ يَطُولُ تَعْدَادُهم؛ كابن وهب وأحمد بن مُعَتِّبٍ المالكيَّيْنِ، ذكرهما عياض في «مداركه»، وأنهما ماتا من ذلك؛ وكذلك مالك بن دينار مات

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/٦٢٨) برقم: (٣٠١٢١)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦١٠) بنحوه، وعزاه لابن مردويه.

(٢) القضاعي في «مسند الشهاب»، (٦٩٢) وذكره الهندي في «كنز العمال» (٢/١٠٢) (٣٣٤١)، والعجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس» (١/١٦٨) (٤٤٠).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٧٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦١٠)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وابن عساكر عن عبد اللَّه بن عروة بن الزبير عن جدته أسماء.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٧٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٢٨).

مِنْ ذلك؛ ذكره عبد الحَقِّ في «**العاقبة**»، وغيرهم ممن لا يَحصَىٰ كثرةً، ومن كلام عزِّ الدين بن عَبْدِ السَّلام ـ رحمه اللَّه ـ في قواعده الصُّغرَىٰ قال: وقَدْ يَصِيحُ بَعْضُهُمْ لِغَلَبَةِ الحَالِ عَلَيْهِ، وَإِلْجَائِهَا إِيَّاهُ إِلى الصِّيَاحِ، وهو في ذلك مَعْذُورٌ، ومَنْ صَاحَ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَمُتَصَنِّعٌ لَيْسَ مِنَ القَوْمِ في شَيْءٍ، وكذلِكَ من أظهر شيئاً من الأحوال رياءً أو تسميعاً، فإنه ملحَقٌ بالفجَّار دونَ الأبْرَارِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هدى اللَّه﴾ يحتملُ أنْ يشيرَ إلى القرآن ويحتملُ أنْ يشير إلى الخَشْيَةِ وٱقْشِعْرَارِ الجُلُودِ، أيْ: ذلك أَمَارَةُ هدَى اللَّهِ.

قال الغَزَّالِيُّ في «**الإحياء**»: والمُسْتَحَبُّ من التالِي للقرآن أن يَتأثر قلبهُ بآثار مختلفةٍ بحسْبِ اخْتِلاَفِ الآيات، فيكون له بحسَبِ كُلِّ فهم حالٌ يَتَّصِفُ به قلبُهُ من الحُزْن والخَوْفِ والرجاءِ وغَيْرِ ذلك، ومَهْمَا تَمَّتْ معرفتُهُ كانَتِ الخَشْيَةُ أَغْلَبَ الأحْوَالِ عَلَىٰ قلبهِ، انتهى، قال الشيخ الوليُّ عبد اللَّه بن أبي جَمْرَةَ: وكان النبيُّ ﷺ في قيامِهِ يَكْسُوهُ من كل آية يقْرَؤُهَا حَالٌ يُنَاسِبُ مَعْنَىٰ تلكَ الآية، وكذلك يَنْبَغِي أن تَكُونَ تلاوةُ/ القرآن وألاَّ يكونَ تاليه ١٧ أ
كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً، انتهى.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب. . .﴾ الآيَةَ، تقريرٌ بمعنى التَّعْجِيبِ، والمعنى: أَفَمَنْ يَتَّقِي بوجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ كَالمُنَعَّمِينَ في الجنةِ، قال مجاهد[1]: ﴿يتقي بوجهه﴾، أي: يُجَرُّ على وَجْهه في النَّارِ.

وقالَتْ فِرْقَةٌ: ذلك لِمَا رُوِيَ أنَّ الكافرَ يُلْقَىٰ في النارِ مكتُوفاً مربوطةً يداه إِلَىٰ رِجْلَيْهِ مَعَ عُنُقِهِ، ويُكَبُّ على وجهِه، فليس له شَيْءٌ يَتَّقِي به إلا وَجْهَهُ، وقالت فرقَة: المعنى في ذلك صفةُ كَثْرَةِ مَا يَنَالُهُمْ من العذابِ يتَّقِيهِ بِكَلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ بِوَجْهِهِ الذي هُوَ أشْرَفُ جوارحِهِ، وهذا المعنى أَبْيَنُ بلاغةً، ثم مَثَّلَ لقريشٍ بالأمم الذين مِنْ قبلهم، وما نالَهُمْ مِنَ

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٦٣٠) برقم: (٣٠١٢٧)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١١)، وعزاه السيوطي للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

العذابِ في الدنيا المتَّصِلِ بعذابِ الآخرةِ الذي هو أكبر، ونَفَى اللَّهُ سبحانه عن القرآن العِوَجَ؛ لأنَّهُ لا اخْتِلاَفَ فيه، ولا تناقُضَ، ولا مَغْمَزَ بِوَجْهٍ.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مثَلاً رَجُلاً فيه شركاء متشاكسون...﴾ الآية، هَذا مَثَلٌ ضربَه اللَّهُ سبحانه في التوحيدِ، فَمَثَّلَ تَعَالَىٰ الكافرَ العابِدَ للأوثانِ والشياطين بِعَبْدٍ لرِجَالٍ عِدَّةٍ؛ في أَخْلاَقِهِم شَكَاسَةٌ وَعَدَمُ مُسَامَحَةٍ؛ فهم لذلك يُعَذِّبُونَ ذلك العَبْدَ بتضايقهم في أوقاتهم، ويضايِقُون العبدَ في كثْرَةِ العَمَلِ؛ فهو أبَداً في نَصَبٍ منهم وعناءٍ، فكذلك عَابِدُ الأوْثَانِ الذي يَعْتَقِدُ أَنَّ ضُرَّهُ ونَفعَهُ عِنْدَهَا؛ هو معذَّبُ الفِكْرِ بِهَا وبحراسَةِ حَالِهِ مِنْهَا، ومَتَىٰ تَوَهَّمَ أنه أرْضَىٰ صَنَماً بالذبحِ له في زعمِه، تَفَكَّر فيما يصنعُ مَعَ الآخرِ؛ فهو أبداً تَعِبٌ في
٧ ب ضلالٍ، وكذلك هو المُصَانِعُ للنَّاس المُمْتَحَنُ بخدمةِ الملوكِ،/ ومَثَّلَ تعالى المُؤْمِنَ باللَّهِ وحدَهُ؛ بعَبْدٍ لرجُلٍ واحدٍ يُكَلِّفُه شُغْلَهُ؛ فهو يعمله عَلَىٰ تُؤَدَةٍ وقَدْ سَاسَ مَوْلاَهُ، فالمولى يَغْفِر زَلَّتهُ ويشكُرُه على إجادةِ عَمَلِهِ، و﴿مثلاً﴾ مفعول بـ﴿ضرب﴾ و﴿رجلاً﴾ نَصْبٌ على البَدَلِ و﴿متشاكسون﴾ معناه: لا سَمْحَ في أخلاقِهِم؛ بل فيها لَجَاجٌ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو «سالماً»[1] أي: سالماً من الشَّرْكَة، ثم وَقَفَ تعالى الكفارَ بقوله: ﴿هل يستويان مثلاً﴾ ونَصْبُ ﴿مثلاً﴾ على التمييز؛ وهذا التوقيفُ لا يجيبُ عَنْهُ أحدٌ إلاَّ بأنهما لا يستويان؛ فلذلك عَامَلَتْهُمُ العِبَارَةُ الوجيزةُ عَلَىٰ أنهم قد أجابوا، فقال: ﴿الحمد للَّه﴾ أي: على ظهور الحجَّةِ عليكم من أقوالِكم، وباقي الآية بيِّن.

والاخْتِصَامُ في الآية قيلَ: عَامٌّ في المؤمنين والكَافِرين، قال * ع[2] *: ومعنى الآيةِ عندي: أن اللَّه تعالى تَوَعَّدَهُم بأنهم سيَتَخاصَمُونَ يَوْمَ القيامةِ في معنَىٰ ردِّهم في وجهِ الشريعةِ وتكذيبِهِمْ لرسول اللَّه ﷺ، وَرَوَى الترمذيُّ من حديث عبد اللَّه بن الزُّبَيْرِ قال: «لما نَزَلَتْ: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزُّبَيْرُ: يا رَسُولَ اللَّهِ: أَتُكَرَّرُ

---

(١) ينظر: «السبعة» (٥٦٢)، و«الحجة» (٦/ ٩٤)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٣٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٧)، و«العنوان» (١٦٥)، و«حجة القراءات» (٦٢٢)، و«شرح شعلة» (٥٦٧)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٩).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٠).

عَلَيْنَا الخُصُومَةُ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا في الدُّنْيَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: إنَّ الأَمْرَ إِذَنْ لَشَدِيدٌ»[١] انتهى.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب على اللَّه...﴾ الآية، الإشارةُ بهذا الكذبِ إلى قولهم: «إن للَّه صاحبةً وولداً» وقولِهِمْ: هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ، افتراءَ على اللَّه، ونحوَ ذلك، وكذَّبُوا أيضاً بالصِّدْقِ، وذلك تكذيبُهم بما جاءَ به محمدٌ ﷺ، ثم توعَّدَهم سبحانه تَوَعُّداً فيه احتقارُهم بقوله: ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ **وقرأ** ابن مسعود: «والَّذِينَ جَاءُوا/ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقُوا بِهِ»[٢] والصدقُ هنا القرآن والشَّرْعُ بجُمْلَتِهِ؛ وقالتْ فرقةٌ «الذي» ١٨أ
يراد بِهِ: «الذين»، وحُذِفَتِ النونُ، قال * ع *: وهذا غيرُ جَيِّدٍ وَتَرْكِيبُ «جاء» عليه يَرُدُّ ذلك، بل «الذي» ههنا هي للجنس، والآيةُ مُعَادِلَة لقولِهِ: ﴿فمن أظلم﴾. قال قتادة وغَيْرُهُ: الذي جاء بالصِّدْقِ هو محمَّدُ ـ عليه السلام ـ والَّذي صَدَّقَ به هُمُ المؤمنونَ[٣]؛ وهذا أَصْوَبُ الأقْوالِ، وذَهَبَ قومٌ إلى أن الذي صدَّقَ به أبو بكرٍ، وقيل: عليٌّ وتَعْمِيمُ اللفظ أَصْوَبُ.

وقولهُ سبحانه: ﴿أولئك هم المتقون﴾ قال ابن عبَّاس: اتَّقَوُا الشِّرْكَ[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٠) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الزمر (٣٢٣٦)، والحاكم (٢/ ٤٣٥) كتاب «التفسير»، والحميدي (١/ ٣٣ ـ ٣٤) (٦٢)، وأحمد (١/ ١٦٤، ١٦٧)، وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٦١٣ ـ ٦١٤)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن منيع، وابن مردويه، وأبو نعيم في **«الحلية»**، والبيهقي في **«البعث والنشور»**.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٢) ينظر: **«الكشاف»** (٤/ ١٢٨)، و**«المحرر الوجيز»** (٤/ ٥٣١)، و**«البحر المحيط»** (٧/ ٤١١).

(٣) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١١/ ٥) برقم: (٣٠١٤٥) عن قتادة، وبرقم: (٣٠١٤٦) عن ابن زيد وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ٧٩)، وابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٥٣١)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٥٣)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٦١٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) أخرجه الطبري في **«تفسيره»** (١١/ ٦) برقم: (٣٠١٥٠)، وذكره ابن عطية في **«تفسيره»** (٤/ ٥٣٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٥٣)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٦١٥)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في **«الأسماء والصفات»**.

وقوله تعالى: ﴿ليكفر﴾ يحتملُ أن يَتَعَلَّقَ بقوله: ﴿المحسنين﴾ أي: الذين أحسنوا، لكَيْ يُكَفِّرَ؛ وقاله ابن زيد[1]، ويحتملُ أن يتعلَّقَ بفعلٍ مُضمَرٍ مَقْطُوعٍ مما قَبْلَهُ؛ تقديرُه: يَسَّرَهُمُ اللَّهُ لذلكَ؛ لِيُكَفِّرَ، لأنَّ التَّكْفِيرَ لاَ يكونُ إلا بَعْدَ التَّيْسِيرِ لِلْخَيْرِ.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أليس اللَّه بكافٍ عبده﴾ تقويَةٌ لنفسِ النبيِّ ﷺ، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: «عباده»[2] يريد الأنبياءَ، وأنتَ يا محمدُ أحدُهُمْ، فيدخلُ في ذلكَ المُؤْمِنُونَ المطيعُونَ والمتوكِّلُونَ على اللَّه سُبْحَانَهُ.

وقوله سبحانه: ﴿ويخوفونك بالذين مِنْ دُونِهِ﴾ أيْ: بالذين يَعْبُدُونَ، وباقي الآية بَيِّنٌ، وقد تقدَّم تفسيرُ نظيرِهِ.

وقوله تعالى: ﴿فمن اهتدى فلنفسه﴾، أيْ: فلنفسه عَمِلَ وَسَعَىٰ، ومَنْ ضَلَّ فَعَلَيْهَا جَنَىٰ، ثم نبَّه تَعالَىٰ على آية مِنْ آياته الكبرى، تدلُّ الناظِرَ على الوحدانيَّةِ، وأنَّ ذلك لا شِرْكَةَ فيه لِصَنَمٍ، وهي حالةُ التَّوَفِّي، وذلكَ أنَّ ما تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعالَىٰ على الكَمَالِ، فهو الذي يَمُوتُ، وما تَوَفَّاهُ تَوفِّياً غَيرَ مُكَمَّلٍ فهو الذي يكونُ في النَّوْمِ، قال ابن زيدٍ: النومُ وفاةٌ

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٢).

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٦٢)، و«الحجة» (٦/ ٩٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٣٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ١٩٨)، و«العنوان» (١٦٥)، و«حجة القراءات» (٦٢٢)، و«شرح شعلة» (٥٦٧)، و«إتحاف» (٢/ ٤٢٩).

والموتُ وفاة(١)/ وكثَّرَ الناسُ في هذه الآية، وفي الفَرْقِ بَيْنَ النَّفْسِ والرُّوحِ، وَفَرَقَ قَوْمٌ بَيْنَ ٨ ب
نَفْسِ التمييزِ ونفس التخيُّل؛ إلى غير ذلك مِن الأقوال التي هي غَلَبَةُ ظَنٍّ، وحقيقةُ الأمرِ في هذا هي مما ٱستأثرَ اللَّه به وَغَيَّبَهُ عن عِبَادِهِ في قوله: ﴿قل الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[الإسراء: ٨٥]، ويكفيكَ أن في هذه الآية ﴿يتوفَّى الأنفس﴾، وفي الحديثِ الصحيحِ: إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْنَا حِينَ شَاءَ(٢). وفي حديث بلالٍ في الوَادي؛ فقد نطقتِ الشريعةُ بقَبْضِ الرُّوحِ والنَّفس، وقد قال تعالى: ﴿قلِ الرُّوحُ مِنْ أَمرِ رَبِّي﴾ والظاهرُ أَنَّ الخَوْضَ في هذا كُلِّهِ عَنَاءٌ، وإنْ كَان قَد تعرَّضَ للقَوْلِ في هذا ونحوه أئمةٌ، ذَكَرَ الثعلبيُّ عن ابن عباس؛ أنه قال: «في ابن آدم نَفْسٌ ورُوحٌ بَيْنَهُمَا مِثْلُ شُعَاعِ الشَّمْسِ، فالنَّفْسُ هِيَ الَّتي بها العَقْلُ والتمييزُ، والرُّوحُ هي التي بها النَّفَسُ والتَّحَرُّكُ، فإذا نام العَبْدُ قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَىٰ نَفْسَهُ ولم يَقْبِضْ رُوحَه»(٣)، وجاءَ في آدابِ النَّوم وأذكار النائِم أحاديثُ صحيحةٌ؛ ينبغي للعبدِ ألاَّ يُخْلِيَ نفسَه مِنها، وقد رَوَىٰ جابرُ بن عبد اللَّه عن النبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «إِذا أَوَى الرَّجُلُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، ٱبْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ، فيقُولُ المَلَكُ: ٱخْتِمْ بِخَيْرٍ، ويقُولُ الشَّيْطَانُ: ٱخْتِمْ بِشَرٍّ، فَإِنْ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَىٰ، ثُمَّ نَامَ؛ بَاتَ المَلَكُ يَكْلَؤُهُ، فَإِنِ ٱسْتَيْقَظَ؛ قال المَلكُ افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ الشَّيْطَانُ: ٱفْتَحْ بِشَرٍّ، فإِنْ قَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ إِلَيَّ نَفْسِي، وَلَمْ يُمِتْهَا في مَنَامِهَا، الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ، وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ
أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ/ إِلاَّ ٩ أ
بِإِذْنِهِ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ، فَإِن وَقَعَ مِنْ سَرِيرِهِ، فَمَاتَ، دَخَلَ الجَنَّةَ»(٤)، رواه

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٠) برقم: (٣٠١٦٣)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٧٩ ـ ٨٠) كتاب «مواقيت الصلاة» باب: الأذان بعد ذهاب الوقت برقم: (٥٩٥)، (١٣/ ٤٥٥) كتاب «التوحيد» باب: في المشيئة والإرادة (٧٤٧١)، وأحمد (٥/ ٣٠٧)، والبيهقي (١/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤) كتاب «الصلاة» باب: الأذان والإقامة للفئة، (٢/ ٢١٦) كتاب «الصلاة» باب: لا تفريط على من نام عن صلاة أو نسيها، وأبو داود (١/ ١٧٤) كتاب «الصلاة» باب: من نام عن صلاة أو نسيها (٤٣٩)، والنسائي (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦) كتاب «الإمامة» باب: الجماع للفائت من الصلاة برقم: (٨٤٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٤/ ٤٤٨) كتاب «الصلاة» باب: ذكر خبر أوهم غير المتبحر في صناعة العلم: أن الصلاة الفائتة لا تؤدى عند طلوع الشمس حتى تبيض، (١٥٧٩)، وذكره البغوي في «شرح السنة» (٢/ ٨٦) كتاب «الصلاة» باب: الأذان للفائتة والإقامة لها (٤٣٩).
كلهم عن أبي قتادة عن أبيه، إلا أن بعضهم زاد، وبعضهم رواه مختصراً.

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٦)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٤٨) كتاب «الدعاء»، وابن حبان (٧/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠) ـ الموارد

النسائي، واللفظ له، والحاكمُ في «المستدرك» وابن حِبَّانَ في «صحيحه»، وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط مُسْلِم، وزاد آخره: «الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُحْيِي المَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» انتهى من «السِّلاح»، وفيه عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ قال: مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ: «لا إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، ـ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ أَوْ خَطَايَاهُ ـ شَكَّ مِسْعَرٌ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[1] رواه ابن حِبَّان في «صحيحه»، ورواه النسائي موقوفاً، انتهى، وروى الترمذيُّ عن أبي أُمَامَةَ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «مَنْ أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ طَاهِراً يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى يُدْرِكَهُ النُّعَاسُ، لَمْ يَنْقَلِبْ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ يسأَلُ اللَّهَ شَيْئاً مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»[2]، انتهى، والأجلُ المُسَمَّىٰ

(٣٣٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٣٤٣) كتاب «الزينة والتطيب» باب: آداب الطعام ذكر الشيء الذي إذا قاله المرءُ عند استيقاظه من النوم دخل الجنة بقوله ذلك؛ إن أدركته منيته (٥٥٣٣)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢١٣) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا انتبه من منامه (١٠٦٨٩/ ١)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٦٩)، كتاب «النوافل» باب: الترغيب في كلمات يقولهن حين يأوي إلى فراشه، وما جاء فيمن نام ولم يذكر اللّه تعالى (٨٨١)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٣) كتاب «الأدعية» باب: ما يقول إذا أوى إلى فراشه وإذا انتبه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ا هـ.

وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وهو عنده (٣/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧) برقم: (١٧٩١)، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامي وهو ثقة. ا هـ بتصرف.

(١) أخرجه ابن حبان (٧/ ٣٩٤) ـ الموارد (٢٣٦٥)، وابن حبان (١٢/ ٣٣٨) كتاب «الزينة والتطيب» باب: آداب الطعام، وذكر الشيء الذي يغفر اللّه ذنوب قائله إذا أوى إلى فراشه (٥٥٢٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٧٢٧)، وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» (١/ ٢٦٧)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٦٨) كتاب «النوافل» باب: الترغيب في كلمات يقولهن حين يأوي إلى فراشه وما جاء فيمن نام ولم يذكر اللّه تعالى، برقم: (٨٧٩)، والهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨) (٤١٣٢٣) وفي الباب من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٤٠) كتاب «الدعوات» باب: (٩٣) (٣٥٢٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٤٧) (٧٥٦٨)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٦٣)، كتاب «النوافل» باب: الترغيب في أن ينام الإنسان طاهراً ناوياً للقيام (٨٦٩)، والنووي في «الأذكار» (١٣٤) كتاب «ما يقوله إذا دخل في الصلاة» باب: ما يقرأ في الوتر وما يقوله بعدها (٢٦/ ٢٤٢).

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وللحديث شاهد نحوه من حديث معاذ بن جبل: أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٧٧) كتاب «الدعاء» باب: ما يدعو به إذا انتبه من الليل (٣٨٨١)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٠١)، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ثواب من أوى طاهراً إلى فراشه يذكر اللّه تعالى حتى تغلبه عيناه (١٠٦٤٢/ ٢)، وأبو داود (٢/ ٣٧٠) كتاب «الأدب» باب: في النوم على طهارة(٥٠٤٢)، وأحمد (٥/ ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٤)، وذكره

في هذه الآيةِ: هُوَ عُمْرُ كُلِّ إِنْسَانٍ، والضمائرُ في قوله تعالى: ﴿أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾: للأصنام.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا ذُكِرَ اللَّه وحده اشمأزَّتْ قلوبُ الذين لا يؤمنونَ بالآخرة. .﴾ الآية، قال مجاهدٌ وغيره[(١)] نَزَلَتْ في قراءةِ النبيِّ ﷺ سورة النَّجم عِنْدَ الكَعْبَةِ بِمَحْضَرٍ من الكُفَّارِ، وقرأ ﴿أفرأيتم اللاتَ والعُزَّى. . .﴾ [النجم: ١٩] الآية، وألقى الشيطانُ يَغْنِي في أسْمَاعِ الكفارِ (تلك الغرانِقَةَ العُلَىٰ) عَلَى مَا مَرَّ في سُورَةِ الحَجِ، فَاسْتَبْشَرُوا، واشمأَزَّتْ نُفُوسُهُمْ: معناه: تَقَبَّضَتْ كِبْراً وأَنَفَةً وكَرَاهِيَةً ونُفُوراً.

وقوله/ تعالى: ﴿قل اللهم فاطر السمٰوات. . .﴾ الآية، أَمْرٌ لنبيهِ ـ عليه السلام ـ ٩ ب
بالدعاءِ إليه وَرَدِّ الحُكْم إِلَىٰ عَدْلِهِ، ومعنَىٰ هذا الأَمْرِ تَضمُّنُ الإجابةِ.

وقوله تعالى: ﴿وبدا لهم من اللّه ما لم يكونوا يحتسبون﴾ قال الثعلبيُّ: قال السُّدِّيُّ: ظَنُّوا أشياءَ أَنَّهَا حسناتٌ فبدَتْ سَيِّئاتٍ[(٢)]، قال * ع *: قال سفيانُ الثوريُّ: ويلٌ لأهل الرياءِ مِن هذه الآية[(٣)]، وقال عكرمة بن عَمَّار: جَزع محمَّدُ بْنُ المُنْكَدِرِ عند المَوْتِ، فقيل

المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٦٢) كتاب «النوافل» باب: الترغيب في أن ينام الإنسان طاهراً ناوياً للقيام (٨٦٧).

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨١) عن مجاهد ومقاتل. وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦١٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٢).

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٥).

له: ما هَذَا؟ فقال: أخافُ هذه الآيَةَ ﴿وبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ثم إذا خَوَّلْنَاهُ نعمة منا...﴾ الآية، قال الزَّجَّاجُ[٢]: التَّخْوِيلُ العطاءُ عَنْ غَيْرِ مُجَازَاةٍ، والنِّعْمَةُ هنا عامَّةٌ في المالِ وغيرِه، وتَقْوَى الإشارةُ إلى المالِ بقوله: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ قال قتادة: يريد إنما أُوتيتُهُ علَىٰ علم مِنِّي بوجهِ المَكَاسِبِ والتِّجاراتِ[٣]، ويحتملُ أن يريدَ: علَىٰ عِلْمٍ من اللَّهِ فِيَّ وٱستحقاقِ حُزْتُهُ عندَ اللَّه، ففي هذا التأويلِ اغترارٌ باللَّه، وفي الأول إعْجَابٌ بالنَّفْسِ، ثم قال تعالى: ﴿بل هي فِتنة﴾ أي: ليس الأَمْرُ كما قَال؛ بل هذه الفَعْلَةُ بِهِ فِتْنَةٌ له وٱبتلاءٌ، ثم أَخْبَرَ تعالَىٰ عمَّنْ سَلَفَ من الكَفَرَةِ؛ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا هذه المقالَةَ كَقَارُونَ وغيره، ﴿فما أَغْنَىٰ عنهم ما كانوا يكسبون﴾ مَنَ الأَمْوَالِ، ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ المعاصرينَ لَكَ، يا مُحَمَّدُ، ﴿سيصيبهم سيئاتُ ما كَسَبوا﴾. قال أبو حَيَّان: ﴿فما أغنى﴾ يحتملُ أن تكونَ «ما» نافيةً أو استفهاميةً فيها معنى النّفي، انتهى.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه...﴾ الآية، هذه الآيةُ عامَّةٌ في جميع النَّاسِ إلى يوم القيامةِ، فتَوْبَةُ الكَافِرِ تَمْحُو ذَنْبَهُ،
١١٠ وتوبة العاصي تمحو/ ذنبَهُ؛ علَىٰ ما تقدَّم تفصيلُهُ، واخْتُلِفَ في سبب نزولِ هذه الآيَة، فقال عطاءُ بن يَسَارٍ: نزلَتْ في وَحْشِيٍّ قَاتِلِ حمزةَ[٤]، وقال ابن إسحاق وغيره: نزلَتْ في قوم بمكَّةَ آمنوا، ولم يُهَاجِرُوا وفَتَنَتْهُمْ قُرَيْشٌ، فَٱفْتَتَنُوا، ثم نَدِمُوا وَظَنُّوا أنهم لا تَوْبَةَ لَهم، [فنزلَتِ] الآيَةُ فِيهِم، منهم الوَلِيدُ بْنُ الوَلِيدِ وَهِشَامُ بْنُ العَاصي[٥]؛ وهذا قولُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وأنه كَتَبَهَا بِيدِهِ إلَىٰ هشام بْنِ العَاصِي، الحديثَ، وقالَتْ فرقةٌ: نزلَتْ في قوم كُفَّارٍ مِنْ أَهْلِ الجاهليَّةِ، قالوا: وَمَا يَنْفَعُنَا الإِسْلامَ، وَنَحْنُ قد زَنَيْنَا وَقَتَلْنَا النَّفْسَ، وأَتَيْنَا كُلَّ كَبيرةٍ،

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٢)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٥).
(٢) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٣٥٧).
(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٦).
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٤) برقم: (٣٠١٧٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢١)، وعزاه لابن جرير عن عطاء بن يسار.
(٥) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧) عن قتادة والسدي، وابن أبي إسحاق.

فَنَزَلَتِ الآيةُ فِيهِمْ، وقالَ عليُّ بْنُ أبي طَالِبِ، وابنُ مَسْعُودٍ، وابنُ عُمَرَ: هذِهِ أرْجَى آية في القرآن(١)، ورَوَى ثَوْبَانُ عَنِ النبيِّ ﷺ قال: «مَا أُحِبُّ أَنَّ لي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بِهَذِهِ الآيَةِ(٢) ﴿قُلْ يَا عِبَادِي . . .﴾» ﴿وأسْرَفُوا﴾ معناه أفْرَطُوا، والقَنَطُ أعْظَمُ اليَأْسِ، وقرأ نافعٌ والجمهورُ «تَقْنَطُوا» بفتح النون(٣)، قال أبو حاتم: فيلزمهم أن يقرؤوا «مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا» [الشورى: ٢٨] ـ بكسرها ـ ولم يقرأ بِهِ أحَدٌ، وقرأ أبو عمرو «تَقْنِطُوا» ـ بالكسر(٤) ـ.

وقوله: ﴿إن اللّه يغفر الذنوب جميعاً﴾ عمومٌ بمعنى الخصوصِ؛ لأن الشِّرْكَ لَيْسَ بداخلٍ في الآيةِ إجماعاً، وهي أيضاً في المعاصِي مقيَّدةٌ بالمشيئةِ، ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأ: «إن اللّه يغفرُ الذنوبَ جميعاً ولاَ يُبَالِي»(٥) وقَرَأَ ابنُ مَسْعُودٍ(٦): «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً لِمَنْ يَشَاءُ» ﴿وأنِيبُوا﴾ معناه: ارْجِعُوا.

﴿وَاتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٥) برقم: (٣٠١٨١) عن ابن مسعود وبرقم: (٣١٠٨٤) عن علي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٢٣) باب: في معالجة كل ذنب بالتوبة (٧١٣٧)، والطبري (١١/ ١٦) (٣٠١٨٧)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٣١)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٧).

(٤) وقرأ بها حمزة والكسائي، ويعقوب، وخلف.
ينظر: «العنوان» (١٦٥)، و«إتحاف» (٢/ ٤٣٠).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٤٩) كتاب «التفسير»، والترمذي (٥/ ٣٧٠)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الزمر (٣٢٣٧).
قال الحاكم: هذا حديث غريب عالٍ، ولم أذكر في كتابي هذا عن شهر غير هذا الحديث الواحد. اهـ.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب قال: وشهر بن حوشب يروي عن أم سلمة الأنصارية وأم سلمة الأنصارية هي أسماء بنت يزيد.

(٦) ينظر: «الشواذ» ص: (١٣٢)، و«الكشاف» (٤/ ١٣٥)، وزاد نسبتها إلى ابن عباس.
وينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٧).

وقوله سبحانه: ﴿واتبعوا أحسن﴾ معناه: أن القرآن العزيزَ تضمَّنَ عقائدَ نيرةً وأوامرَ ونواهيَ مَنْجِيَةً وَعِدَاتٍ على الطاعاتِ، والبِرِّ، وتضمَّن أيضاً حدوداً على المعاصِي وَوَعِيداً
١٠ ب على بَعْضِها/ فالأحسنُ للمرءِ أنْ يسلك طَريق الطاعةِ والانتهاءِ عن المعصيةِ والعفوِ في الأمورِ ونحوِ ذلك مِنْ أنْ يسلكَ طريقَ الغَفْلَةِ والمعصيةِ؛ فَيُحَدُّ أو يَقَعَ تَحْتَ الوعيدِ، فهذا المعنَىٰ هو المقصود بـ﴿أَحْسَنَ﴾، وليس المعنى: أنَّ بعضَ القرآن أحْسَنُ مِنْ بَعْضٍ مِنْ حيثُ هو قرآن، * ت *: وَرَوَىٰ أبو بكرِ بْنُ الخَطِيبِ بسنده عن أبي سعيد الخدريِّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: في قولِ اللَّهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ﴾ قال: الحسرةُ أن يرى أهلُ النارِ منازِلَهُمْ من الجنة، قال: فهي الحسرةُ[١]، انتهى.

وقوله: ﴿فرطت في جنبِ اللَّه﴾ أي: في جِهَةِ طاعتهِ وتضييع شريعتِه والإِيمانِ به، وقال مجاهدٌ: ﴿في جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: في أمر اللَّه[٢]، وقولُ الكافِر: ﴿وإنْ كنتُ لمن الساخرين﴾ نَدَامَةٌ على ٱستهزائِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ ـ تَعَالَىٰ ـ، و«كرة» مصدرٌ مِنْ كَرَّ يَكُرُّ، وهذا الكونُ في هذه الآيةِ داخلٌ في التَّمَنِّي، وباقي الآيةِ أنوارُهُ لائحةٌ، وحُجَجُهُ واضحةٌ، ثم خاطبَ تعالَىٰ نبيَّه بِخَبَرِ مَا يَرَاهُ يومَ القيامةِ من حالَةِ الكُفّار، وفي ضِمْنِ هذا الخبرِ وَعِيدٌ بَيِّنٌ لمعاصريه ـ عليه السلام ـ فقال: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على اللَّه وجوههم مسودة﴾ ﴿تَرَى﴾ من رؤيةِ العينِ، وظاهرُ الآية أنَّ وجوههم تَسْوَدُّ حقيقةً.

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وينجي اللَّه الذين اتقوا بمفازتهم...﴾ الآية، ذَكَر تعالَىٰ حَالَةَ المُتَّقِينَ ونجاتهم؛ لِيُعَادِلَ بِذَلِكَ ما تَقَدَّمَ من شَقَاوَةِ الكَافِرِينَ، وفي ذلك تَرْغِيبٌ في حالةِ المتقين؛ لأن الأشياء تَتَبَيَّنُ بِأَضْدَادِها، و«مفازتهم» مصدَرٌ مِن الفَوْزِ، وفي الكلام حَذْفُ مضافٍ، تقديرُهُ: ويُنَجِّي اللَّهُ الذين ٱتَّقَوْا بأسْبَابِ مفازَتِهِمْ، والـ﴿مقاليد﴾: المفاتيح؛ وقاله

---

(١) أخرجه الطبري في (٥/١٧٨) برقم: (١٣١٨٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/٣٨٩) برقم: (١٥٠٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/٩)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/١٩) برقم: (٣٠١٩٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٨٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٣٨).

ابن عباس[١]/ ، «واحدها «مِقْلادٌ» كـ«مِفْتَاحٍ»، وقال عثمان بن عَفَّان: سألتُ النبيَّ ﷺ عن ١١ أ
﴿مقاليد السموات والأرض﴾ فقال: «هِيَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ للَّهِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ يُحْيِي ويُمِيتُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٢].

وقوله تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾ قالت فرقة: المعنَىٰ: ولقد أوحِي إلى كُلِّ نبيٍّ؛ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، * ت *: قد تقدَّمَ غيرُ مَا مَرَّةٍ، بأَنَّ ما وَرَدَ مِن مِثْلِ هذا، فهو محمولٌ على إرادةِ الأمَّةِ لِعِصْمَةِ النبي ﷺ، وإنما المرادُ مَنْ يمكنُ أنْ يَقَعَ ذلكَ مِنْهُ، وخُوطِبَ هو ﷺ تعظيماً للأمرِ، قال * ص *: ﴿ليحبطن﴾ جوابُ القَسَمِ، وجَوابُ الشَّرْطِ محذوفٌ؛ لِدَلاَلَةِ جَوابِ القسمِ عليه، انتهى.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ومَا قَدَروا اللَّه حق قدره﴾ معناهُ وما عَظَّمُوا اللَّه حقَّ عظَمتهِ، ولا وَصَفُوهُ بصفاتِهِ، ولا نَفَوْا عَنْهُ مَا لاَ يليقُ به، قال ابن عبَّاسٍ: نزلتْ هذه الآيةُ في كُفَّارِ قُرَيْشٍ الذينَ كَانَتْ هذهِ الآياتُ كلُّها محاورةً لهم، وردًّا عليهم[٣]، وقالت فرقة: نزلتْ في

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٢) برقم: (٣٠٢٠٥) عن ابن عباس، وبرقم: (٣٠٢٠٦) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٨٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٢٥)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٢٦)، وعزاه إلى أبي يعلى، ويوسف القاضي في «سننه»، وأبي الحسن القطان في «المطولات»، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٤) برقم: (٣٠٢٠٩)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦٢) عن مجاهد.

قومٍ من اليهودِ تَكَلَّمُوا في صفاتِ اللَّه تعالى، فَأَلْحَدُوا وَجَسَّمُوا وَأَتَوْا بِكُلِّ تَخْلِيطٍ.

وقوله تعالى: ﴿والأرض جميعاً قبضته﴾ معناه: في قَبْضَتِهِ، واليمينُ هنا، والقبضةُ عِبارةٌ عَنِ القُدْرَةِ والقُوَّةِ، وما ٱخْتَلَجَ في الصُّدُورِ من غَيْرِ ذَلِكَ بَاطِلٌ، و﴿صعق﴾ في هذه الآية، معناه: خَرَّ مَيِّتاً، و﴿الصُّورُ﴾: القَرنُ، ولا يُتَصَوَّرُ هنا غَيْرُ هذا، ومَنْ يَقُولُ:
١١ ب ﴿الصُّور﴾ جمع صُورَةٍ، فإنما يَتَوجَّهُ قولهُ فِي نَفْخَةِ البَعْثِ، وقد تَقَدَّمَ بَيَانُ نَظِيرِ هٰذِهِ/ الآيةِ في غَيْرِ هذا المَوْضِعِ.

وقوله تعالى: ﴿ثم نفخ فيه أُخرَىٰ﴾ هي نفخةُ البَعْثِ، وفي الحديث: «أَنَّ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أربعين» لاَ يَدْرِي أبو هريرةَ سَنَةً أو شَهْراً أَوْ يَوْماً أَوْ سَاعَةً * ت *: ولفظُ مُسْلِمٍ: عن أبي هريرةَ قال: قال النبيُّ ﷺ وما بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْراً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أربعُونَ يوماً؟ قالَ: أَبَيْتُ الحَدِيثَ، قال صَاحِبُ «التَّذْكِرَةِ»[1]: فقيل: معنى قوله: «أَبَيْتُ» أي: ٱمتنعتُ من بَيَانِ ذلك؛ إِذْ ليس هو مِمَّا تَدْعُو إليه حاجةٌ، وعلَىٰ هذا كانَ عِندَه عِلْمُ ذلك، وقيل: المعنى: أَبَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ[2] النبيَّ ﷺ عَنْ ذٰلِكَ، وعَلَىٰ هذا: فلاَ عِلْمَ عِنْدَهُ، والأَوَّلُ أظْهَرُ، وقد جاءَ أَنَّ مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعِينَ عَاماً، انتهى، وقد تَقَدَّمَ أَنَّ الصحيحَ في المستثنَىٰ في الآيةِ أَنَّهُمُ الشُّهَدَاءُ قَال الشيخُ أبو محمَّدِ بْنُ بُزَيْزَةَ في «شرح الأحكام الصغرَىٰ» لعبد الحَقِّ: الذي تلقيناه من شيوخنا المحققين أن العَوالِمَ التي لاَ تَفْنَىٰ سَبْعَةٌ: العَرْشُ، والكُرْسِيُّ، واللَّوْحُ، وٱلقَلَمُ، والجَنَّةُ، والنَّارُ، والأَرْوَاحُ. انْتَهَىٰ.

﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ معناه: أضاءت وعَظُمَ نُورُهَا، و﴿الأَرض﴾ في هذه الآية: الأرض المُبَدَّلَةُ من الأرْضِ المَعْرُوفَةِ.

وقوله: ﴿بنور ربها﴾ إضَافَةُ مُخلوق[3] إلى خَالِقٍ، و﴿الكتاب﴾ كتابُ حِسَابِ

---

(١) ينظر: «التذكرة» (١/ ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤١٤) كتاب «التفسير» باب: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السمٰوات ومن في الأرض إلا من شاء اللَّه ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (٤٨١٤)، (٨/ ٥٥٨) كتاب «التفسير» باب: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ (٤٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠) كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب: ما بين النفختين (١٤١/ ٢٩٥٥)، (١٤٣/ ٢٩٥٥)، وأخرجه مختصراً مالك (١/ ٢٣٩) كتاب «الجنائز» باب: جامع الجنائز (٤٨)، والنسائي (٤/ ١١١ ـ ١١٢)، كتاب «الجنائز» باب: أرواح المؤمنين برقم: (٢٠٧٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٥)، كتاب «الزهد» باب: ذكر القبر والبلى (٤٢٦٦).

(٣) في د: خلق.

الخلائِقِ، وَوَحَّدَهُ على ٱسْمِ الجِنْسِ؛ لأنَّ كلَّ أحَدٍ له كتابٌ عَلى حِدَةٍ، «وجيء بالنبيئين» أي: لِيَشْهَدُوا عَلَىٰ أممهم، و﴿الشهداء﴾ قيل: هو جمع «شَاهِد» وقيل: هو جمع «شَهِيدٍ» في سبيلِ اللَّهِ، والأولُ أبْيَنُ في معنى التَّوَعُّدِ، والضميرُ في قوله ﴿بينهم﴾/ عائدٌ على العالم ١٢ أ
بِأجْمَعِهِ، إذِ الآيَةُ تدلُّ عليهم، و﴿زمراً﴾ مَعْنَاهُ: جماعاتٍ متفرقةً، واحدتها: زُمْرَة.

وقوله: ﴿فتحت﴾ جوابُ «إذَا»، والكَلاَمُ هنا يَقْتَضِي أن فَتْحَها إنما يكُونَ بَعْدَ مجيئِهم، وفي وُقوفِهِم قَبْل فَتْحِها مَذَلَّةٌ لهُمْ، وهَكَذا هي حالُ السُّجونِ ومَواضِعِ الثِّقَافِ والعَذَابِ؛ بِخلافِ قولِهِ في أهْلِ الجَنَّةِ ﴿وَفُتِحَتْ﴾، فالواو مؤذِنَةٌ بأنهم يَجِدُونَها مَفْتُوحَةً كَمَنَازِلِ الأفْرَاحِ والسُّرُورِ.

وقوله تعالى: ﴿وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم ءايات ربكم...﴾ الآية، في قوله: ﴿منكم﴾ أعْظَمُ في الحُجَّةِ، أي: رُسُلٌ مِنْ جِنْسِكُمْ؛ لا يَصْعُبُ عليكم مَرَامُهم، ولا فَهْمُ أقوالِهِم.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم﴾: لَفْظٌ يعمُّ كُلَّ مَنْ يدخلُ الجنةَ من المؤمنينَ الذين ٱتَّقَوُا الشِّرْكَ، والواو في قوله: ﴿وفتحت﴾ مؤذِنَةٌ بأنها قَدْ فتحت قبل وصولِهم إليها، وقالتْ فِرْقَةٌ: هي زائدةٌ وقالَ قَوْمٌ: أشَارَ إلَيْهِمُ ابن الأنبارِيِّ، وضَعَّفَ قولَهُم: هذه واو الثمانيةِ، وقد تقدَّم الكلامُ عليها، وجَوابُ «إذا» فُتِحَتْ، وعَنِ المُبَرِّدِ: جوابُ «إذا» محذوفٌ، تقديره بعد قوله: ﴿خالدين﴾: سُعِدُوا وسقطَتْ هذه الواوُ في مصحف ابن مسعود، ﴿وسلامٌ عليكم﴾ تحيةٌ، و﴿طبتم﴾ معناه: أعمالاً ومُعْتَقَداً وَمُسْتَقَرًّا وجزَاءً، ﴿وأورثنا الأرض﴾ يُريدُ: أرْضَ الجَنَّةِ، و﴿نتبوَّأُ﴾ معناه: نتخذ أمْكِنَةً ومَسَاكِنَ، ثم وَصَفَ تعالَىٰ حَالَةَ الملائِكَةِ مِنَ العَرْشِ وَحُفُوفَهُمْ به والحفُوفُ الإحْدَاقُ بالشَّيْءِ، وهذه اللفظة مأخوذةٌ من الحِفَافِ، وهو الجانبُ، قال ابن المبارك في **«رقائقه»**: أخبرنا مَعْمَرٌ عن أبي إسحاق/ عن عاصم بن ضَمْرَةَ عن علي؛ أنه تلا هذه الآية: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى ١٢ ب
الجنة زمراً حتى إذا جاءوها﴾ قال: وَجَدُوا عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ شَجَرَةً يخرجُ مِنْ ساقها عَيْنَانِ، فَعَمَدُوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها، فاغْتَسَلُوا بها، فَلَمْ تَشْعَثْ رُؤُوسُهم بَعْدَهَا أبداً، ولم تَتَغَيَّرْ جُلُودُهُمْ بَعْدَهَا أبداً كأنما دُهِنُوا بِالدُّهْنِ، ثم عمدوا إلى الأخرَىٰ، فَشَرِبُوا مِنْهَا،

فَطَهُرَتْ أجوافُهم، وغَسَلَتْ كُلَّ قَذِرٍ فيها، وَتَتَلَقَّاهُمْ عَلَىٰ كلِّ بَابٍ مِنْ أبوابِ الجَنَّةِ ملائكةٌ: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾، ثم تتلقَّاهم الوِلْدَانُ يُطِيفُونَ بهم كما يُطِيفُ وِلْدَانُ الدُّنيا بالحَمِيم، يجيءُ من الغَيْبَةِ يقولونَ: أَبْشِرْ، أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ كَذَا وَكَذَا، وأَعَدَّ اللَّهُ لَكَ كَذَا، ثم يَذْهَبُ الغُلاَمُ مِنْهُمْ إلى الزَّوْجَةِ مِنْ أَزْوَاجِهِ، فيقولُ: قَدْ جَاءَ فُلاَنٌ بِاسْمِهِ الَّذِي كَانَ يَدَّعِي به في الدنيا، فَتَقُولُ لَهُ: أَنْتَ رَأَيْتَهُ؟ فَيَسْتَخِفُّها الفَرَحُ حَتَّىٰ تَقُومَ عَلَىٰ أُسْكُفَّةِ بَابِها، ثم ترجِعُ، فيجيءُ، فَيَنْظُرُ إِلَىٰ تَأْسِيسِ بنيانِهِ من جَنْدَلِ اللؤلؤ أخضَرَ وأَصْفَر وأحمَر؛ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ ثم يجلسُ فينظُرُ؛ فإذا زَرَابِيُّ مبثُوثَةٌ، وأكوابٌ موضوعَةٌ، ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ـ فَلَوْلاَ أَنَّ اللَّه قَدَّرَ ذَلِكَ، لأَذْهَبَ بَصَرَهُ ـ إنَّما هُوَ مِثْلُ البَرْقِ؛ ثم يقول: الحمدُ لِلَّهِ الذِي هَدَانَا لِهذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿يسبّحون بحمد ربهم﴾ قَالَتْ فرقَةٌ معناه: أَنَّ تَسْبِيحَهُمْ يَتَأَتَّىٰ بِحَمْدِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، وقالَتْ فرقةٌ: تسبيحُهُمْ هُوَ بتردِيدِ حَمْدِ اللَّهِ، وتَكْرَارِهِ، قال الثعلبيُّ: مُتَلَذِّذِينَ لاَ مُتَعَبِّدِينَ مُكَلَّفِينَ[١].

وقوله تعالى: ﴿وقيل الحمد للَّه رب العالمين﴾ خَتْمٌ للأمرِ، وقولٌ جَزْمٌ عِنْدَ فصلِ
١١٣ أ القَضَاءِ، أي: أن هذا المَلِكَ/ الحَاكِمَ العادلَ ينبغي أن يُحْمَدَ عِنْدَ نفوذِ حكمه وإكمال قضائِهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَمِنْ هٰذِهِ الآيةِ جُعِلَتْ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ خَاتمةَ المجالِسِ والمُجْتَمَعَاتِ في العِلْم، قال قَتَادَةُ: فَتَحَ اللَّهُ أَوَّلَ الخَلْقِ بالحمدِ، فقال: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] وخَتَمَ القيامَةَ بالحَمْدِ في هذه الآيةِ[٢].

قال * ع[٣] *: وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين﴾ فَاتِحَةَ كتابِهِ؛ فَبِهِ يُبْدَأُ كلُّ أَمْرٍ وَبِهِ يُخْتَمُ، وحَمْدُ اللَّهِ تعالَىٰ وتقديسُهُ ينبغي أن يكونَ مِن المؤمنِ؛ كما قيل: [الطويل]

وَآخِرُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي كُلِّ ضَجْعَةٍ وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هُبُوبِي[٤]

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٤).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٦) برقم: (٣٠٢٦٤)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٢)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٤).
(٤) ينظر: المصدر السابق (٤/ ٥٤٤).

تفسير «سُورَةِ غَافِرٍ»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ

رَوَىٰ أَنَسٌ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الحَوَامِيمُ دِيْبَاجُ القرآن[١]، وَمَعْنَىٰ هذه العبارةِ: أَنَّهَا خَلَتْ مِنَ الأَحْكَامِ وقَصُرَتْ على المَوَاعِظِ والزَّجْرِ وطُرُقِ الآخِرَة مَحضاً، وعن ابن مسعودٍ أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْتَعَ فِي رِيَاضٍ مُونِقَةٍ مِنَ الجَنَّةِ، فَلْيَقْرَإِ الحَوَامِيمَ»[٢].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾: تقدَّم القولُ في الحُرُوفِ المقطَّعةِ، ويَخْتَصُّ هذا المَوْضِعُ بقولٍ آخرَ قاله الضَّحَّاكُ والكسائي؛ أنَّ ﴿حمٓ﴾ هِجَاءُ (حُمَّ) ـ بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحةِ ـ؛ كأنه يقولُ: حُمَّ الأَمْرُ وَوَقَعَ تنزيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ[٣]، وقال ابن عَبَّاسٍ: الٓر، وحمٓ، ونٓ، هي حروفُ الرحمٰن مقطَّعةٌ في سُورٍ[٤]، وسأل أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ عن حم ما هو؟ فقال: بَدْءُ أَسْمَاءٍ، وَفَوَاتِحُ سُوَرٍ، و﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ معناه: ذي/ التَطَوُّلِ والمَنِّ بكلِّ نعمةٍ، فَلاَ خَيْرَ إلاَّ مِنْهُ سبحانَهُ، فَتَرَتَّبَ في هٰذِهِ الآيةِ وعيدٌ بَيْنَ وَعْدَيْنِ، وهكذا رحمتُهُ سبحانه تَغْلِبُ غَضَبَهُ، قال * ع[٥] *: سمعتُ هذه النَّزْعَةَ مِنْ أبي ـ رحمه اللَّه ـ وهُوَ نحوٌ مِنْ قَوْلِ عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنه ـ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[٦] * ت *: هو حديثٌ، والطَّوْلُ: الإِنْعَامُ، وعبارةُ البخاريِّ: الطَّوْلُ: التَّفَضُّلُ، وَحَكَى الثعلبيُّ عَنْ أَهْلِ الإشارَةِ أَنَّه

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٤٣)، وعزاه إلى أبي الشيخ، وأبي نعيم، والديلمي.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥٤٥).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٩٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٤٥).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٣٧) برقم: (٣٠٢٦٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٩٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٤٥).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥٤٦).

(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٤٦).

تعالى: غافرُ الذَّنْبِ فَضْلاً، وقابِلُ التَّوْبِ وَعْداً، شَدِيدُ العقابِ عَدْلاً، لا إِلَهَ إلاَّ هو إليه المصيرُ فَرْداً، وقال ابن عبَّاس: الطَّوْلُ: السَّعَةُ، والغِنى[(١)]، وتقلب الذين كفروا في البلاد: عبارَةٌ عَنْ تَمَتُّعِهِمْ بالمَسَاكِنِ والمَزَارِعِ والأَسْفَارِ وغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وهمَّت كل أمة برسولهم ليأخذوه﴾ أي: لِيُهْلِكُوهُ، كما قال تعالى: ﴿فأخذتهم﴾، والعربُ تقولُ لِلْقَتِيلِ: أُخِذَ، ولِلأَسِيرِ كَذَلِكَ؛ قال قتادة: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ مَعْنَاهُ: لِيَقْتُلُوهُ[(٢)]، و﴿ليدحضوا﴾ معناهُ لِيُزْلِقُوا ويَذْهَبُوا، والمَدْحَضَةُ: المَزَلَّةُ، والمَزْلَقَةُ.

وقوله: ﴿فكيفَ كَانَ عقاب﴾: تَعْجِيبٌ وتعظيمٌ، وليس باسْتفهامٍ عن كيفيَّة وقوع الأَمْرِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: «وكذلك حَقَّتْ كلمات ربك على الذين كفروا» الآية، في مصحفِ ابن مسعودٍ «وَكَذَلِكَ سَبَقَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ»[(٣)] والمعنى: وَكَمَا أَخَذَتْ أولئك المَذْكُورِينَ فَأَهْلَكْتَهُمْ، فكذلك حَقَّتْ كلماتي علىٰ جميعِ الكُفَّارِ، مَنْ تَقَدَّمَ منْهُمْ ومَنْ تَأَخَّرَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ.

وقوله تعالى: ﴿الذين يحملون العرشَ ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به...﴾ الآية، أَخْبَرَ اللَّهُ سبحانَهُ بِخَبَرٍ يتضمَّنُ تَشْرِيفَ المؤمنِينَ، ويُعظِّمُ الرَّجاءَ لهم، وهو
١٤ أ أنَّ الملائِكَةَ الحَامِلِينَ لِلْعَرْشِ والذينَ/ حَوْلَ العَرْشِ؛ وهؤلاءِ أفضلُ الملائِكَةِ يستغْفِرُونَ للمؤمنين، ويسألون اللَّهَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ والجَنَّةَ؛ وهذا معنى قوله تعالى في غير هذه الآية، ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً﴾ [الفرقان: ١٦] أي سأَلَتْهُ الملائكةُ، قال * ع[(٤)] *: وفَسَّرَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٩) برقم: (٣٠٢٧١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٠)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٥)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٠) برقم: (٣٠٢٧٧)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩١) عن ابن عباس، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٧)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٣٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥٤٧).

في هذه الآية المُجْمَلَ الذي في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[الشورى: ٥]؛ لأَنَّ الملائِكَةَ لا تستغفرُ لكافرٍ، وقد يجوز أن يُقَال: إنَّ استغفارَهم لهمُ بمعنى طَلَبِ هدايتِهم، وبلغني أنَّ رجُلاً قال لبعض الصالحين: ٱدْعُ لي، وٱستَغْفِرْ لي، فقالَ لَهُ: تُبْ، وٱتَّبِعْ سَبِيلَ اللَّهِ يَسْتَغْفِرْ لَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، وتلا هذه الآيَةَ، وقال مُطَرِّفُ بْنُ الشِّخِّيرِ: وَجَدْنَا أَنْصَحَ الْعِبَادِ لِلْعِبَادِ المَلاَئِكَةَ، وأَغَشَّ العِبَادِ لِلْعِبَادِ الشَّيَاطِينَ[1]، وتلا هذه الآيَةَ، وروى جابرٌ؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: أُذِنَ لي أن أُحدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمائَةِ سَنَةٍ[2]، قال الداوُوديُّ: وعن هارونَ بْنِ رِيابٍ قال: حملةُ العَرْش ثمانيةٌ يَتَجاوبُونَ بصوْتٍ حَسَنٍ، فأرْبَعَةٌ يقولونَ: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَىٰ حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ، وأَرْبَعَةٌ يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ وبِحَمْدِكَ عَلَىٰ عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ، انتهى. وَرَوَىٰ أبو داودَ عن جَابِرِ بن عبدِ اللَّه، عن النبيِّ ﷺ قال: «أُذِنَ لي أَنْ أُحدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ، أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ [مَسِيرَةَ] سَبْعِمائَةِ عَامٍ»[3]، انتهى، وقد تقدَّم.

وقولهم: ﴿ربَّنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ معناه: وسِعتْ رَحْمَتُكَ وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ.

١٤ ب وقوله: «ومَنْ صَلَحَ من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم»: رُوِيَ عن سعيدِ/ بْنِ جُبَيْرٍ في ذلك: أنَّ الرَّجُلَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قبل قَرَابَتِهِ، فَيَقُولُ: أَيْنَ أَبِي؟ أَيْنَ أُمِّي، أَيْنَ ٱبْنِي، أَيْنَ زَوْجِي، فيلحقونَ بِهِ؛ لِصَلاَحِهِمْ ولتنبيهِ عليهم، وطَلَبِهِ إِيَّاهُمْ، وهٰذِهِ دَعْوَةُ المَلاَئِكَةِ[4].

وقولهم: ﴿وقهم السيئات﴾ معناه: اجْعَلْ لهم وِقَايَةً تقيهمُ السيئاتِ، واللَّفْظُ يحتملُ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٣) برقم: (٣٠٢٨٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٩)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة عن مطرف بن عبد اللَّه بن الشخير.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٤٥) كتاب «السنة» باب: في الجهمية والمعتزلة(٤٧٢٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٩٤ ـ ١٩٥) (٥٣٣٤).
وقال أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٥٨): غريب من حديث محمد عن ابن عباس، لم نكتبه إلا من حديث جعفر عن ابن عجلان، وحديث جابر قد رواه عن محمد غيره.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال «الصحيح».

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٢) برقم: (٣٠٢٨٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٢).

أَنْ يكونَ الدعاءُ في أن يدفعَ اللَّهُ عنهم أنفُسَ السيئاتِ حتَّىٰ لاَ يَنَالَهُمْ عذابٌ مِن أَجْلِهَا، ويحتملُ أَنْ يكونَ الدعاءُ في دَفْعِ العَذَابِ اللاَّحِقِ من السيئاتِ، فيكونُ في اللَّفْظِ على هذا حذْفُ مضافٍ، كأنه قال: وقِهِمْ جَزَاءَ السيِّئاتِ، قال الفَخْرُ[١]: وقوله تعالى: ﴿ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته﴾ يعني: من تَقِ السيئاتِ في الدنيا، فَقَدْ رَحِمْتَهُ في يوم القيامةِ، انتهى، وهذا رَاجِعٌ إلى التأويل الأول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت اللَّه أكبر من مقتكم أنفسكم...﴾ الآية، رُوِي أَنَّ هذه الحالَ تَكُونُ للكُفَّارِ عِنْدَ دخولِهِمُ النَّارَ؛ فإنَّهم إذا دَخَلُوا[٢] فيها مَقَتُوا أَنْفُسَهُمْ وتُنَادِيهِمْ مَلاَئِكَةُ العَذَابِ عَلَىٰ جهة التوبيخ: لَمَقْتُ اللَّهِ إيَّاكُمْ في الدُّنْيَا؛ إذْ كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ إلى الإيمانِ فتكفرونَ، أَكْبَرُ مِنْ مقتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ اليَوْمَ، هذا هو معنى الآية؛ وبه فَسَّر مجاهد وقتادة وابن زيد[٣]، واللامُ في قوله: ﴿لَمقْتُ﴾ يحتملُ أَنْ تكونَ لامَ ابتداءٍ، ويحتملُ أن تكونَ لامَ قَسَمٍ، وهو أصوبُ، و﴿أكبرُ﴾ خبر الابْتِدَاءِ، وٱخْتُلِفَ في مَعْنَى قَوْلِهِم: ﴿أمتنا اثنتين...﴾ الآية، فقال ابن عبَّاس وغيره: أرادوا مَوْتَةَ كَوْنِهِمْ في الأَصْلاَبِ، ثم إحياءَهم في الدنيا، ثم إماتَتَهم الموتَ المعروفَ، ثم إحياءَهم يوم القِيَامَةِ، وهي كالتي في سورة البقرة ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً...﴾[٤] [البقرة: ٢٨]

---

(١) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٧/ ٣٤).
(٢) في د: ادخلوا.
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٣) برقم: (٣٠٢٨٦) عن مجاهد، وبرقم: (٣٠٢٨٧) عن قتادة، وبرقم: (٣٠٢٨٩) عن ابن زيد، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٤٩)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن، ولعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.
(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٤) برقم: (٣٠٢٩٠) عن قتادة، وبرقم: (٣٠٢٩٢) عن ابن عباس، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٣) عن ابن مسعود، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٠)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه عن ابن مسعود، ولابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس، ولعبد بن حميد عن أبي مالك، ولعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة.

الآية، وقال السُّدِّيُّ: أرادوا أنه/ أحيَاهم في الدنيا، ثم أماتهم، ثم أحْياهم في القبر وقتَ ١٥أ
السُّؤال، ثم أماتَهم فيه، ثم أحياهم في الحَشْر[١]، قال ع[٢] *: هذا فيه الإحياءُ ثلاثَ
مِرَارٍ، والأول أثبَتُ، وهذه الآية متَّصلةُ المعنى بالتي قَبْلَهَا، وبَعْدَ قولهم: ﴿فهل إلى
خروج من سبيل﴾ محذوفٌ يَدُلُّ عليه الظاهِرُ، تقديرُهُ. لا إسْعَافَ لِطَلِبَتِكُمْ، أو نَحْوَ هذا
من الرَّدِّ.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ذلكم﴾ يحتملُ أنْ يكونَ إشارةً إلى العذابِ الذي هُمْ فيه، أو إلى مَقْتِهِمْ أنْفُسَهُمْ أو إلى المَنْعِ والزَّجْرِ والإهانةِ.

وقوله تعالى: ﴿ذلكم بأنه إذا دعي اللَّه وحده﴾ معناه بحَالَةِ تَوْحِيدٍ ونَفْيٍ لِمَا سِوَاهُ، كَفَرْتُمْ، وإنْ يُشْرَكْ به اللاَّتَ والعُزَّىٰ وغَيْرُهُمَا، صَدَّقْتُمْ، فالحُكْمُ اليومَ بعذابِكم وتخليدِكم في النارِ لِلَّهِ؛ لا لتلكَ التي كنتم تُشْرِكُونَها معه في الألوهيَّةَ.

وقوله سبحانه: ﴿فادعوا اللَّه مخلصين له الدين...﴾ الآيةُ مخاطَبَةٌ للمؤمنِينَ أصْحَابِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ و«ادعوا» معناه: اعْبُدُوا.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات﴾ يحتملُ أنْ يريدَ بالدرجاتِ صفاتِه العُلَىٰ، وعبَّر بما يَقْرُبُ من أفهامِ السامعينَ، ويحتملُ أنْ يريدَ: رفيعُ الدرجاتِ التي يُعْطِيها للمؤمنينَ، ويتفضَّلُ بها علَىٰ عبادِهِ المُخْلِصِينَ في جَنَّتِهِ، و﴿العرش﴾ هو الجِسْمُ المخلوقُ الأعْظَمُ الذي السمٰواتُ السَّبْعُ والكرسيُّ والأرَضُونَ فيه كالدنانيرِ في الفَلاَةِ من الأرْضِ.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٤٥) برقم: (٣٠٢٩٦)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٣)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٣).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٤٩).

وقوله تعالى: ﴿يلقي الرُّوحَ من أمره على من يشاء من عباده﴾ قال الضَّحَّاك: الرُّوح هنا هُو: الوَحْيُ القُرْآنُ وغيره مما لَمْ يُتْلَ[١] وقال قَتَادَةُ والسُّدِّيُّ: الرُّوحُ: النُّبُوَّةُ[٢] ومكانتُها؛ كما قال تعالى: ﴿رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] وسَمَّىٰ هذا رُوحاً؛ لأنه تَحْيَا
١٥ ب به/ الأمَم والأزمانُ كما يَحْيَا الجَسَدُ برُوحِهِ، ويحتملُ أن يكونَ إلقاءُ الرُّوحِ عامًّا لِكُلِّ ما يُنْعِمُ اللَّهُ بِهِ على عبادِهِ المهتَدِينَ في تفهيمه الإيمانَ والمعقولاتِ الشريفةَ، والمُنْذِرُ بيوم التَّلاقِ على هذا التأويلِ هو اللَّهُ تعالى، قال الزَّجَّاج: الرُّوحُ كُلُّ ما فيهِ حَيَاةُ النَّاسِ، وكُلُّ مُهْتَدٍ حَيٌّ، وكلُّ ضَالٍّ كالمَيتِ.

وقوله: ﴿من أمره﴾ إنْ جعلته جِنساً للأمورِ فـ«مِنْ» للتَّبعيضِ أو لابتداءِ الغَايَةِ، وإنْ جَعَلْتَ الأمْرَ مِنْ معنى الكلامِ فـ«مِنْ» إما لابتداءِ الغايةِ، وإمَّا بمعنى الباءِ، ولا تكونُ للتبعيضِ بَتَّةً، وقرأ الجمهور: «لتنذر» بالتاء على مخاطبةِ النبيِّ ﷺ، **وقرأ** أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وجماعةٌ: «لينذر»[٣] بالياء، ﴿ويوم التلاق﴾ معناه: تلاقِي جميعِ العالمِ بعضِهم بعضاً، وذلك أمرٌ لَمْ يَتَّفِقْ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ.

وقوله: ﴿يوم هم بارزون﴾ معناه في بَرَازٍ من الأَرْضِ يَسْمَعُهُمُ الدَّاعِي ويَنْفُذُهُمُ البَصَرُ.

وقوله تعالى: ﴿لمن الملك اليوم﴾ رُوِيَ أَنَّ اللَّه تعالَىٰ يُقَرِّرُ هٰذَا التقريرَ، ويَسْكُتُ العَالَمُ هَيْبَةً وجَزعاً، فيجيبُ ـ سبحانه ـ هو نفسُهُ بقوله: ﴿للَّه الواحد القهار﴾، ثم يُعْلِمُ اللَّهُ تعالَىٰ أَهْلَ المَوْقِفِ بأنَّ اليَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نفسٍ بما كسبتْ، وَبَاقِي الآيةِ تَكَرَّر مَعْنَاهُ، فانْظُرْهُ في مواضِعه.

ثم أمر اللَّه تعالى نبيَّه ـ عليه السلام ـ بإنْذارِ العَالَم وتحذيرِهِمْ مِنْ يوم القيامةِ وأهوالِه، و«الآزِفَة»: القريبةُ مِنْ أَزِفَ الشيءُ إذا قَرُبَ، و﴿الآزِفة﴾ في الآيةِ: صِفَةٌ لمحذوفٍ قَدْ عُلِمَ واسْتَقَرَّ في النفوس هولُه، والتقديرُ يَوم الساعة الآزفة، أو الطَّامَةُ: الآزِفَةُ، ونحو هذا.

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٤٦) برقم: (٣٠٣٠١) عن الضحاك، وبرقم: (٣٠٣٠٠) عن قتادة، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٥٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٤٧) برقم: (٣٠٣٠٣) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٠).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥٥١)، و«البحر المحيط» (٧/٤٣٧)، و«الدر المصون» (٦/٣٣).

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾ معناه: عندَ الحناجِر، أي/ قد ١٦ أ
صَعِدَتْ من شِدَّةِ الهولِ والجزع، والكَاظِمُ الَّذِي يردُّ غيظَهُ وجزعَهُ في صَدْرِهِ، فمعنى الآية: أنهم يَطْمَعُونَ في رَدِّ ما يجدونه في الحناجر، والحال تغالبهم، و﴿يطاع﴾ في مَوْضِعِ الصفةِ لـ﴿شفيع﴾؛ لأن التقدير: ولا شفيعٍ مطاعٍ، قال أبو حيان[1] ﴿يطاع﴾ في مَوْضِعِ صفة لـ﴿شَفيع﴾، فيحتملُ أنْ يكونَ في موضعِ خَفْضٍ على اللفظِ، أو في موضعِ رفعٍ على الموضِعِ، ثم يحتملُ النَّفيُ أنْ يكونَ مُنسَحِباً على الوصْفِ فقَطْ، فيكونُ ثَمَّ شَفِيعٌ، ولكنَّهُ لا يُطَاعُ، ويحتملُ أن يَنسَحِبَ على الموصوفِ وصفتهِ، أي: لا شفيعَ فيطاعَ، انتهى. وهذا الاحتمالُ الأخير هو الصوابُ، قال * ع[2] *: وهذهِ الآيةُ كُلُّها عندي اعتراضٌ في الكلام بليغٌ.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿سريع الحساب﴾ [غافر: ١٧] وقالتْ فرقة: ﴿يعلم﴾ متصلٌ بقوله: ﴿لا يخفى على اللَّه منهم شيء﴾ [غافر: ١٦] وهذا قولٌ حسنٌ يقوِّيهِ تَناسُبُ المَعْنيينِ، ويُضَعِّفُه بُعْدُ الآيةِ من الآيةِ وكَثْرَةُ الحائِل، والخائنةُ: مصدرٌ كالخِيَانَةِ، ويحتمل أن تكونَ ﴿خائنة﴾ اسمَ فاعِل، أي: يعلم الأعين إذا خانتْ في نظَرِها، قال أبو حَيَّان[3]: والظاهرُ أن: ﴿خائنةَ الأعينِ﴾ من إضافةِ الصفةِ إلى الموصوفِ، أي: الأَعْيُن الخائنة، كقوله: [البسيط]

.... وَإِنْ سَقَيْتِ كِرَامَ النَّاسِ فَاسْقِينَا[4]

أي: الناسَ الكرامَ، وجوَّزُوا أن يكونَ ﴿خائنة﴾ مصدراً، كـ«العافية» أي: يعلم خِيانَةَ الأعينِ، انتهى، وهذه الآيةُ عِبارَةٌ عَن عِلم اللَّهِ ـ تعالى ـ بجميعِ الخفيَّاتِ، فمِنْ ذَلِكَ كَسْرُ

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٣٨).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٢).
(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٣٩).
(٤) عجز بيت لبشامة بن حزن النهشلي وصدره:
إنا محيوك يا سلمى فحيينا ....
ينظر: «خزانة الأدب» (٨/ ٣٠٢)، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ص: (١٠٠)، و«المقاصد النحوية» (٣/ ٣٧٠)، و«البحر» (٧/ ٤٥٧)، و«الدر المصون» (٦/ ١٣٦)، والشاهد في قوله: «كرام الناس» حيث أضاف الصفة إلى الموصوف.

الجُفُونِ والغَمْزُ بالعَيْنِ، أو النظرةُ التي تُفْهِمُ معنًى؛ ومنه قولُ النبي ﷺ [لأصحابِه في شَأْنِ رَجُلٍ ارْتَدَّ ثُمَّ جاء لِيُسْلِمَ: «هَلاَّ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْكُمْ حِينَ تَلَكَّأْتُ عَنْهُ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ؟ فقالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا؟ فقال ﷺ][1]: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»[2]،
١٦ ب وفي بعضِ الكتبِ المنزَّلةِ مِنْ قَوْلِ اللَّه عزَّ وجلَّ/: أَنَا مِرْصَادُ الْهِمَمِ أَنَا العَالِمُ بِمَجَالِ الْفِكْرِ وَكَسْرِ الجُفُونِ، وقال مجاهدٌ: «خائنة الأعين»: مُسَارَقَةُ النظرِ إلى مَا لاَ يَجُوزُ[3]، ثم قَوَّى تعالى هذا الإخبارَ بقولِهِ: ﴿وما تخفي الصدور﴾ مما لَمْ يَظْهَر على عينٍ ولا غَيْرِهَا، وأسند أبو بكر بن الخَطِيبِ عن مولى أُمِّ مَعْبَدٍ الخُزَاعِيَّةِ عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «اللهمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ، وَعَمَلِي مِنَ الرِّيَاءِ، وَلِسَانِي مِنَ الكَذِبِ، وعَيْنِي مِنَ الخِيَانَةِ؛ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»[4]، انتهى. قال القُشَيْرِيُّ في: «**التحبير**» وَمَنْ عَلِمَ اطِّلاَعَ الحقِّ ـ تعالى عليه ـ يكونُ مُرَاقِباً لربِّهِ؛ وعلامتُه أنْ يكونَ مُحَاسِباً لِنَفْسِهِ، وَمَنْ لم تَصِحَّ محاسبتُهُ، لم تصحَّ مراقبتُهُ، وسُئِلَ بعضُهُمْ عَمَّا يَسْتَعِينُ به العبدُ على حفظِ البصر، فقال: يَسْتَعِينُ عليه بعلمِه أنَّ نظرَ اللَّه إليه سَابِقٌ على نظرِهِ إلى مَا ينظرُ إليه، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿واللَّه يقضي بالحق﴾ أي: يجازي الحسنةَ بعَشْرٍ والسيئةَ بمثلِها، ويُنْصِفُ المظلومَ من الظالم؛ إلى غير ذلك من أقضية الحقِّ والعدلِ، والأصْنامُ لا تقضي بشَيْءٍ، ولا تُنَفِّذُ أمراً، و﴿يدعون﴾ معناه: يَعْبُدُونَ.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا ٱقْتُلُوٓا أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا نِسَآءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه النسائي (٧/ ١٠٥) كتاب «تحريم الدم» باب: الحكم في المرتد برقم: (٤٠٦٧)، والحاكم (٢/ ٥٤)، والدارقطني (٣/ ٥٩)، والبيهقي (٨/ ٢٠٢) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٣) أخرجه الطبري في «**تفسيره**» (١١/ ٥٠) برقم: (٣٠٣١٧)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ٩٥)، وابن عطية في «**تفسيره**» (٤/ ٥٥٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٦٥٣)، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٥/ ٢٦٨)، وذكره الهندي في «**كنز العمال**» (٢/ ١٨٤) (٣٦٦٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٣٤٩)، وعزاه إلى الحكيم الترمذي.

وقوله سبحانه: ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم اللّه بذنوبهم وما كان لهم من اللّه من واق﴾ الضميرُ في: ﴿يسيروا﴾ لكفارِ قُرَيْش، والآثارُ في الأرضِ هي المبانِي والمآثِرُ والصِّيتُ الدُّنْيَوِيُّ، وذُنُوبُهُمْ كانَتْ تكذيبَ الأنبياءِ، والواقي السَّاترُ المانعُ؛ مأخوذٌ مِن الوِقَايةِ، وباقي الآيةِ بيِّن، وخصَّ تعالى هَامَانَ وقَارُونَ بالذِّكْرِ تَنْبِيهاً على مكانِهِما من الكُفْرِ؛
١٧ أ ولكَوْنِهِمَا أشهَر رِجَالِ فرعونَ./ وقيل: إن قارونَ هذا لَيْسَ بقارون بني إسرائيل، وقيلَ: هو ذلكَ، ولكنَّه كانَ منقطعاً إلى فرعونَ خادماً له مُسْتَغْنِياً معه.

وقوله: ﴿ساحر﴾ أي: في أمرِ العَصَا، و﴿كذاب﴾ في قوله: إني رسولُ اللّهِ، ثم أخبرَ تعالى عنهم أنهم لما جَاءَهُمْ موسى بالنبوّة والحقِّ من عند اللّهِ؛ قال هؤلاءِ الثَّلاثَةُ وأَجْمَعَ رَأْيُهم علَىٰ أَنْ يُقَتَّلَ أَبْنَاءُ بني إسرائيلَ أَتْبَاعِ مُوسَىٰ، وشُبَّانُهُمْ وَأَهْلُ القُوَّةِ مِنْهُمْ، وأن يُسْتَحْيَا النساءُ لِلْخِدْمَةِ وَالاسْتِرْقَاقِ، وهذا رجوعٌ منهم إلى نحو القتل الأولِ الذي كان قَبْلَ ميلادِ موسَىٰ، ولكنَّ هذا الأخيرَ لم تَتِمَّ لهم فيه عزمةٌ، ولاَ أعانَهُمُ اللّه تَعَالَىٰ على شَيْءٍ منه، قال قتادة: هذا قَتْلٌ غيرُ الأولِ الذي [كانَ] حَذَرَ المولودِ[1]، وسَمَّوْا مَنْ ذَكَرْنَا مِنْ بني إسرائيلَ أَبْنَاءَ؛ كما تقولُ لأَنْجَادِ القبيلةِ أو المدينةِ وأَهْلِ الظُّهُورِ فِيها: هؤلاءِ أبناءُ فُلانَةٍ.

وقوله تعالى: ﴿وما كَيْدُ الكَافِرِينَ إلا في ضَلاَلٍ﴾ عبارةٌ وَجِيزَةٌ تُعْطي قوَّتُها أنَّ هؤلاءِ الثلاثةَ لَمْ يُقْدِرْهُمُ اللّهُ تعالى على قتلِ أحدٍ مِنْ بني إسرائيل، ولاَ نَجَحَتْ لهم فيهم سِعَايَةٌ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٥٢) برقم: (٣٠٣٢١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٩٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٧٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٥٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد.

سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وقال فرعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ موسى. . .﴾ الآيَةَ، الظاهرُ مِنْ أمرِ فِرْعَوْنَ أنه لمَّا بَهَرَتْهُمْ آيات مُوسَىٰ ـ عليه السلام ـ ٱنْهَدَّ رُكْنُهُ، وٱضْطَرَبَتْ معتقداتُ أَصْحَابِهِ، ولم يَفْقِدْ مِنْهُمْ من يجاذبُهُ الْخِلاَفُ في أمْرِه، وذلك بَيِّنٌ مِنْ غَيرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ قِصَّتهما، وفي هذه الآية علَىٰ ذلك دَلِيلاَنِ:

أحدُهما: قوله: ﴿ذروني﴾؛ فليست هذه مِنْ ألفاظِ الجَبَابِرَةِ المتمكِّنِينَ مِنْ إنفاذ أوامِرِهِمْ.

والدليل الثاني: مَقَالَةُ المُؤْمِنِ وَمَا صَدَعَ به، وإنَّ مكاشَفَتَهُ لِفِرْعَوْنَ أكْثَرُ مِنْ مُسَاتَرَتِهِ،
١٧ ب وحُكْمُه بِنُبُوَّةِ موسَىٰ أظْهَرُ/ من تَوْرِيَتِهِ في أَمْرِهِ، وأَمَّا فِرْعَوْنُ فإنما نَحا إلى المَخْرَقَةِ والتَمْويه والاضطرابِ، ومن ذلك قوله: ﴿ذروني أقتل موسى وليدع ربه﴾ أي: إني لا أبالي بربِّ مُوسَىٰ، ثم رجَعَ إلى قومِه يُرِيهم النَّصِيحَةَ والحماية لهم، فقالَ: ﴿إني أَخافُ أن يبدِّل دينكم﴾ والدين: السلطانُ؛ ومنه قولُ زُهَيْرٍ: [البسيط]

لَئِنْ حَلَلْتَ بِحَيٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ فِي دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ[(١)]

وقرأ حمزةُ والكسائي وعاصم: «أَوْ أَنْ يُظْهِرَ» **وقرأ** الباقون: «وَأَنْ يُظْهِرَ»[(٢)]؛ فعلَى القراءةِ الأولى: خافَ فِرْعَوْنُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ، وعلى الثانيَةِ: خَافَ الأَمْرَيْنِ معاً، ولَمَّا سَمِعَ موسَىٰ مقالةَ فِرْعَوْنَ دَعَا، وقال: ﴿إني عذت بربي وربكم. . .﴾ الآيَةَ، ثم حكَى اللَّهُ سبحانه مقالةَ رَجُلٍ مُؤْمِنٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ؛ شرَّفَه بالذكرِ وخلَّدَ ثَنَاءَه في الأُمَمِ غَابِرَ الدَّهْرِ، قال * ع[(٣)] *: سمعتُ أبي ـ رحمه اللَّه ـ يقول: سمعتُ أَبا الفضلِ ابْنَ الجَوْهَرِيِّ على المنبر يقول؛ وَقَدْ سُئِلَ أن يتكلَّمَ في شيءٍ من فضَائِلِ الصحابةِ، فأَطْرَقَ قليلاً، ثُمَّ رَفَع رأسَهُ، وأنشد: [الطويل]

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٥).

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٦٩)، و«الحجة» (٦/ ١٠٧)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٦٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٤٤)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢٠٥)، و«العنوان» (١٦٧)، و«حجة القراءات» (٦٢٩)، و«شرح شعلة» (٥٧٠)، و«إتحاف» (٢/ ٤٣٦).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٥).

عَنِ الـمَـرْءِ لاَ تَـسْـأَلْ وَسَـلْ عَـنْ قَـرِيـنِـهِ فَـكُـلُّ قَـرِيـنٍ بِـالـمُـقَـارَنِ مُـقْـتَـدِ[1]

مَاذَا تُرِيدُ من قوم قَرَنَهُمُ اللَّهُ بنبيِّه، وخصَّهم بمشاهدةِ وَحْيِهِ، وقَدْ أَثْنَى اللَّهُ تعالَىٰ على رَجُلٍ مُؤْمِنٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، كَتَمَ إيمانَهُ وأَسَرَّهُ، فجعلَه تعالَىٰ في كتابهِ، وأَثْبَتَ ذِكْرَهُ في المصاحِفِ، لكلام قَالَه في مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْكُفرِ، وأَيْنَ هُوَ مِنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رضي اللَّه عنه ـ؛ إِذْ جَرَّدَ سَيْفَهُ بمكَّةَ، وقال: واللَّهِ، لاَ أَعْبُدُ اللَّهَ سِرًّا بَعْدَ اليَوْم، قال مقاتل: كان هذا المؤمنُ ابْنَ عَمِّ فِرْعَوْنَ[2]، قال الفَخْرُ[3]: قيل: إنَّه كانَ ابْنَ عَمٍّ لِفِرْعَوْنَ، وكـانَ جَـارِياً مَجْرَىٰ وَلِيِّ العهدِ لـه، ومَجْرَىٰ صاحبِ السِّرِّ لَه، وقيلَ: كانَ قِبْطِيًّا مِنْ قوم / فرعونَ، وقيل: إنه كانَ من بني إسرائيل، والقولُ الأولُ أَقْرَبُ؛ لأن لَفْظَ الآلِ يقعُ على ١٨ أ
القَرَابَةِ والعشيرةِ، انتهى.

قال الثعلبيُّ: قال ابنُ عباس وأَكْثَرُ العُلَمَاءِ: كانَ اسمُهُ «حَزْقِيلَ»[4]، وقيل: حَزِيقَال، وقيل: غير هذا، انتهى.

وقوله: ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ قال أبو عُبَيْدَةَ وغَيْره: ﴿بعض﴾ هنا بمعنى: «كل»[5]، وقال الزَّجَّاج: هو إِلْزَامُ الحُجَّةِ بِأَيْسَرِ ما في الأمرِ[6]، وليسَ فيه نَفْيُ إصَابَةِ الكُلِّ، قال * ع[7] *: ويظهرُ لي أَنَّ المعنَىٰ: يُصِبْكُمُ القَسْمُ الواحدُ مما يَعِدُ بِهِ، [لأنَّه ـ عليه السلام ـ وَعَدَهُمْ إنْ آمَنُوا بالنَّعِيم، وإنْ كَفَرُوا بالعذابِ الأَلِيم، فإن كانَ صادِقاً، فالعذابُ بَعْضُ مَا وَعَدَ بِهِ][8]، وقولُ المؤمِنِ: ﴿يا قومِ لكم الملكُ اليوم ظاهرين في الأرض﴾ اسْتِنْزَالٌ لهم وَوَعْظٌ.

وقوله: ﴿في الأرضِ﴾ يريدُ أَرْضَ مِصْرَ، وهذه الأقوالُ تَقْتَضِي زَوالَ هَيْبَةِ فرعونَ؛

(١) البيت ذكره الخطابي في «العزلة» ص: (٦٩).
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٥٦).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٤) برقم: (٣٠٣٢٣) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٧٧).
(٣) ينظر: «الفخر الرازي» (٢٧/ ٥٠).
(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٦) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٥)، وعزاه لابن المنذر.
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٦)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٦).
(٦) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٥٦).
(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٥٦).
(٨) سقط في: د.

ولذلكَ اسْتَكَانَ هُوَ، وَرَاجَعَ بقوله: ﴿ما أريكم إلا ما أَرَىٰ﴾ واخْتَلَفَ الناسُ مِنَ المُرَادِ بقوله تعالى: ﴿وقال الذي ءامن﴾، فقالَ الجمهورُ: هو المُؤمِنُ المَذْكُورُ؛ قَصَّ اللَّهُ تَعَالَىٰ أقاويله إلى آخر الآيات، وقالتِ فرقةٌ: بلْ كَلاَمُ ذلك المُؤمِنِ قد تَمَّ؛ وإنما أراد تعالى: ﴿بِالَّذِي آمَنَ﴾ موسَى ـ عليه السلام ـ مُحْتَجِّينَ بقوَّةِ كَلاَمِهِ، وذكرِ عذابِ الآخرةِ وغير ذلك؛ ولم يَكُنْ كَلاَمُ الأوَّلِ إلا بملاينةٍ لهم.

وقوله: ﴿مثل يوم الأحْزَاب﴾ أي: مثلَ يَوْم منْ أَيَّامِهِمْ؛ لأنَّ عذابَهُمْ لم يكُنْ في عَصْرٍ واحِدٍ، والمرادُ بالأحزابِ المُتَحَزِّبُونَ على الأنبياءِ، و﴿مثل﴾ الثاني: بدلٌ مِن الأوَّل، والدَّأْبُ: العادةُ، «ويوم التنادي» معناه: يَوْمَ يُنَادِي قَوْمٌ قَوْماً، ويناديهمُ الآخرُونَ؛ واخْتُلِفَ في التنادِي المُشَارِ إِلَيْهِ، فقال قتادةُ: هو نِدَاءُ أَهْلِ الجَنَّةِ أَهْلَ النارِ، ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حقًّا[1]﴾ [الأعراف: ٤٤] وقيل: هو النداءُ الذي يَتَضَمَّنُهُ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا
١٨ ب كُلَّ أُناسٍ بِإِمَامِهِم﴾ [الإسراء: ٧١] قال * ع[2] *: ويحتملُ/ أَنْ يكُونَ المُرَادُ التَّذْكِيرَ بِكُلِّ نِدَاءٍ في القِيَامَةِ فيه مَشَقَّةٌ على الكُفَّار والعُصَاةِ؛ وذلك كثِيرٌ. **وقرأ** ابن عبَّاس والضَّحَّاك وأبو صَالِحٍ: «يوم التَنَادِّ» بشدِّ الدال[3]؛ وهذا معنًى آخرُ لَيْسَ من النداءِ، بل هُو مِنْ: نَدَّ البعيرُ: إذا هَرَبَ؛ وبهذا المعنى فسَّر ابنُ عبَّاسٍ والسُّدِّيُّ هذه[4] الآيَةَ، وَرَوَتْ هذه الفِرْقَةُ، في هذا المعنَىٰ حَدِيثاً أنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ إذا طَوَى السَّمَوَاتِ نَزَلَتْ مَلاَئِكَةُ كُلِّ سَمَاءٍ، فكانَتْ صَفًّا بَعْدَ صَفٍّ مستديرةً بالأرضِ التي عليها الناسُ لِلْحِسَابِ؛ فَإذَا رَأَى الخَلْقُ هولَ القيامةِ، وأخْرَجَتْ جَهَنَّمُ عنقاً إلى أصحابها، فَرَّ الكُفَّارُ ونَدُّوا مدْبِرينَ إلى كل جهةٍ، فتردُّهم الملائِكَةُ إِلَى المَحْشَرِ؛ لا عَاصِمَ لَهُمْ، والعاصمُ: المُنجِي.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٥٦) برقم: (٣٠٣٣١)، (٣٠٣٣٢) عن قتادة، (٣٠٣٣٣) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٥٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٤/٥٥٨).

(٣) وقرأ بها الكلبي.
ينظر: «المحتسب» (٢/٢٤٣)، و«الشواذ» ص: (١٣٣)، و«المحرر الوجيز» (٤/٥٥٨)، و«البحر المحيط» (٧/٤٤٤)، وزاد نسبتها إلى ابن مقسم، والزعفراني. وهي في «الدر المصون» (٦/٣٩).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٥٧) برقم: (٣٠٣٣٥) عن الضحاك، (٣٠٣٣٦) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/٩٧)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٥٦)، وعزاه لابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن الضحاك.

قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ
ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ
﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ
عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ
ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ
ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

وقوله: ﴿ولقد جاءكم يوسُفُ...﴾ الآية، قالت فرقةٌ منهمُ الطبريُّ[١]: يوسفُ المذكورُ هنا هو يوسفُ بنُ يَعْقُوبَ ـ عليهما السلام ـ ورُوِيَ عن وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ؛ أن فرعونَ مُوسَىٰ هُو فِرْعَوْنُ يُوسُفَ عُمِّرَ إِلَىٰ زَمَنِ مُوسَىٰ[٢]، وَرَوَىٰ أَشْهَبُ عَنْ مالِكٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ عَمَّرَ أَرْبَعَمِائَةِ سَنَةٍ وأَرْبَعِينَ سَنَةً، وقالَتْ فرقةٌ: بل هُو فِرْعَونٌ آخر.

وقوله: ﴿كبر مقتاً﴾ أي: كَبُرَ مَقْتاً جِدَالُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، فَٱخْتَصَرَ ذِكْرَ الْجِدَالِ؛ لدلالة تقدُّمِ ذِكْرِهِ عليه، وقرأ أبو عَمْرٍو وَحْدَهُ: «عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ» بالتنوينِ، وقرأ الباقونَ بغير تنوينٍ[٣]، وفي مصحف ابن مسعود[٤]: «عَلَىٰ قَلْبِ [كُلِّ][٥] مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ»، ثم إن فرعونَ لما أَعْيَتْهُ الْحِيَلُ في مُقَاوَمَةِ مُوسَىٰ، نحا إلى المَخْرَقَةِ، ونادَىٰ هَامَانَ وزيرَهُ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ صرحاً؛ فَيُرْوَىٰ أنه طَبَخَ الآجُرَّ لهذا الصَّرحِ، ولم يُطْبَخْ قبلَهُ، وبناه ارتفاعَ أربعمائةِ ذراعٍ، فبعثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ فَمَسَحَهُ/ بجَناحِهِ، فكسَرَهُ ثَلاَثَ كِسَرٍ، تَفَرَّقَتِ اثنتانِ، ووقَعَتْ ثالثةٌ في ١٩ أ
البَحْرِ، ﴿والأسبابُ﴾ الطُّرُقُ؛ قاله السُّدِّيُّ[٦]،

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/٥٨).

(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٥٩).

(٣) وقرأ بها: ابن ذكوان عن ابن عامر.
ينظر: «إعراب القراءات» (٢/٢٦٨)، و«حجة القراءات» (٦٣٠)، و«السبعة» (٥٧٠)، و«الحجة» (٦/١٠٩)، و«معاني القراءات» (٢/٣٤٦)، و«شرح الطيبة» (٥/٢٠٦)، و«العنوان» (١٦٧)، و«شرح شعلة» (٥٧١)، و«إتحاف» (٢/٤٣٧).

(٤) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٣)، و«المحرر الوجيز» (٤/٥٥٩).

(٥) سقط في: د.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/٦٠) برقم: (٣٠٣٤٢) عن أبي صالح، و (٣٠٣٤٣) عن السدي، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/٥٦٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٨٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٥٧)، وعزاه لعبد بن حميد عن أبي صالح.

وقال قتادةُ: أرادَ الأبوابَ[(١)]، وقيل عَنَى لعلَّه يَجِدُ مَعَ قُرْبِه مِنَ السَّمَاءِ سَبَباً يَتَعَلَّقُ به.

وقرأ حمزة والكسائي وعاصم: «وَصُدَّ عنِ السَّبِيلِ» ـ بضم الصاد وفتح الدالِ ـ، عطفاً على ﴿زين﴾، والباقونَ ـ بفَتْحِ الصاد[(٢)] ـ والتَّبَابُ: الخسرانُ؛ ومنه ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] وبه فَسَرها مجاهدٌ وقتادة[(٣)]، ثم وعظهمُ الذي آمن، فَدَعا إلى آتِّبَاعِ أَمْرِ اللَّهِ.

وقوله: ﴿اتبعون أهدكم﴾ يقوِّي أنَّ المتكلمَ مُوسَىٰ، وإنْ كان الآخرُ يُحْتَملُ أنْ يقولَ ذلك، أي: اتبعوني في اتباع موسى، ثم زَهَّدَهُمْ في الدنيا، وأنَّهَا شَيْءٌ يُتَمَتَّعُ بِهِ قليلاً، ورَغَّبَ في الآخرةِ، إذْ هي دَارُ الاستِقْرَارِ، قال الغَزَّالِيُّ في «الإِحْياءِ»: مَنْ أَرَادَ أَنْ يدخلَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ، فليستَغْرِقْ أوقَاته في التلاوةِ والذكرِ والتفكُّرِ في حسن المآبِ، ومَنْ أرادَ أن تَرْجُحَ كفَّةُ حَسَنَاتِهِ وتَثْقُلَ موازينُ خَيْرَاتِهِ، فليستوعبْ في الطاعةِ أكْثَرَ أوقاتِهِ، فإنْ خَلَطَ عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً، فأمْرُهُ في خَطَر، لكنَّ الرجاءَ غَيْرُ منقَطِعٍ، والعفوُ من كَرَمِ اللَّهِ منتَظَرٌ، انتهى.

﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٠) برقم: (٣٠٣٤٤)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٦٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد.

(٢) ينظر: «السبعة» (٥٧٠)، و«الحجة» (٦/ ١١١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٧٠)، و«العنوان» (١٦٧)، و«حجة القراءات» (٦٣٢)، و«إتحاف» (٢/ ٤٣٧).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦١) برقم: (٣٠٣٤٧) عن ابن عباس، وبرقم: (٣٠٣٤٨) عن مجاهد، و(٣٠٣٤٩) عن قتادة، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٦٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة، ولابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة...﴾ الآية، قد تقدَّمَ ذِكْرُ الخِلاَفِ، هل هذهِ المقالاتُ لموسَىٰ أو لمؤمنِ آل فرعون، والدعاءُ إلى النجاةِ هو الدعاءُ إلى سبَبِها؛ وهو توحيدُ اللَّهِ تعالى وطاعته، وباقي الآية بيِّنٌ.

وقوله: ﴿أن ما تدعونني﴾ المعنى: وإنَّ الذي تدعونَني إليه من عبادةِ غيرِ اللَّهِ لَيْسَ له دعوة، أي: قَدْرٌ وَحَقٌّ يجب أنْ يُدْعَىٰ أحدٌ إليه ثم توعَّدَهم بأنَّهم سَيَذْكُرُونَ قولَه عند حُلُولِ/ العذابِ بهم، والضميرُ في ﴿وقاه﴾ يحتملُ أنْ يعودَ على موسَىٰ، أو على مؤمنِ ١٩ ب
آل فرعون؛ علَى ما تقدَّم من الخلاف.

وقال القائلون بأنه مؤمن آل فرعون: إن ذلك المؤمنَ نجا مع مُوسَىٰ ـ عليه السلام ـ في البَحْرِ، وَفَرَّ في جملةِ مَنْ فَرَّ معه مِنَ المتَّبِعينَ.

وقوله تعالى في آل فرعون: ﴿النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا...﴾ الآية، قوله: ﴿النار﴾ رَفْعٌ على البَدَلِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿سُوءُ﴾ وقيلَ رفعٌ بالابتداءِ، وخَبَرُهُ ﴿يعرضون﴾ قالت فرقةٌ: هذا الغُدُوُّ والعَشِيُّ هو في الدنيا، أي: في كل غُدُوٍّ وَعَشِيٍّ من أيام الدنيا يُعْرَضُ آلُ فِرْعَوْنَ على النَّارِ، قال القرطبيُّ في «التذكرة»[1]: وهذا هو عذابُ القَبْرِ في البَرْزَخِ، انتهى؛ وكذا قال الإمام الفخر[2]، ورُوِيَ في ذلك أنَّ أرواحَهُمْ في أجوافِ طَيْرٍ سُودٍ تَرُوحُ بِهِمْ وَتَغْدُو إلى النارِ؛ وقالَهُ الأوزاعِيُّ[3] ـ عافانا اللَّه من عذابه ـ، وخرَّج البخاريُّ ومسلمٌ عن

---

(١) ينظر: «التذكرة» (١/ ١٩١).
(٢) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٧/ ٦٤).
(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٦) برقم: (٣٠٣٧٠) عن الأوزاعي، وبرقم: (٣٠٣٦٨) عن الهذيل بن شرحبيل (٣٠٣٦٩) عن السدي، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٩٩)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٦٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٥٩)، وعزاه لابن أبي شيبة، وهناد، وعبد بن حميد عن هذيل بن شرحبيل، ولعبد بن حميد عن الضحاك، ولعبد الرزاق، وابن أبي حاتم عن ابن مسعود.

ابْنِ عمر؛ أنَّ النبي ﷺ قَالَ: «إنَّ أَحدَكُمْ إذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ إنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وإنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يقالُ لَهُ: هذا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[1]، انتهى.

وقوله [تعالى] ﴿ويوم [تقوم الساعة][2]﴾ أي: وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُقَالُ: ﴿أَدْخِلُوا آل فرعون أَشَدَّ العَذَابِ﴾ وآل فرعون: أَتْبَاعُهُ وأَهْلُ دينهِ، والضميرُ في قوله: ﴿يتحاجُّون﴾ لجميع كفارِ الأُمَمِ، وهذا ابتداءُ قصص لا يَخْتَصُّ بآل فرعونَ، والعامِلُ في: «إذ» فَعْلٌ مضمرٌ، تقديره: اذْكُرْ، ثم قال جميعُ مَنْ في النارِ لِخَزَنَتِهَا: ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾؛ فراجَعَتْهُمُ الخَزَنَةُ علَىٰ مَعْنَى التَّوبيخِ والتقرير: ﴿أولم تك تأتيكم رسلكم
بالبينات﴾، فأَقَرَّ الكُفَّارُ عند ذلك، و﴿قالوا/ بلى﴾، أي: قَدْ كَانَ ذلك، فقالَ لهم الخَزَنَةُ ١٢٠ أ
عِنْدَ ذلك: ادعوا أنتم إذن، وهذا على معنى الهُزْءِ بهم.

وقوله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ قيل: هو من قول الخَزَنَةِ، وقيل: هو من قول اللَّه تعالى إخباراً منه لمحمَّدٍ ـ عليه السلام ـ، ثم أخبَرَ تعالى أنه ينصر رسلَه والمؤمنينَ في الدنيا والآخرةِ، ونصرُ المؤمِنينَ داخلٌ في نَصْرِ الرُّسُلِ، وأَيْضاً، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ للمؤمنينَ الفضلاءِ وُدًّا، وَوَهَبَهُمْ نَصْراً إذا ظُلِمُوا، وَحَضَّتِ الشريعةُ على نَصْرِهِمْ؛ ومنه قوله ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ أَخِيهِ فِي عِرْضِهِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ»[3]،

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٨٦) كتاب «الجنائز» باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي (١٣٧٩)، (٦/ ٣٦٦) كتاب «بدء الخلق» باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٠)، (١١/ ٣٦٩) كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت (٦٥١٥)، ومسلم (٤/ ٢١٩٩) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٦٥ ـ ٦٦/ ٢٨٦٦)، وابن حبان (٧/ ٤٠٠ ـ ٤٠١)، كتاب «الجنائز» باب: ذكر الإخبار بأن أهل القبور تعرض عليهم مقاعدهم التي يسكنونها في كل يوم مرتين (٣١٣٠)، ومالك (١/ ٢٣٩) كتاب «الجنائز» باب: جامع الجنائز (٤٧)، وأحمد (٢/ ١١٣، ١١٦)، والترمذي (٣/ ٣٧٥) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في عذاب القبر (١٠٧٢)، والترمذي (٤/ ١٠٧) كتاب «الجنائز» باب: وضع الجريدة على القبر (٢٠٧٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٧) كتاب «الزهد» باب: ذكر القبر والبلى (٤١٧٠)، والطيالسي (١/ ١٥٣) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في حسن الظن بالله والكشف لكل إنسان عن مصيره (٧٣٦).
قال أبو عيسى: وهذا حديث حسن صحيح.

(٢) في د: ويوم القيامة.

(٣) أخرجه البيهقي (٨/ ١٦٨) كتاب «قتال أهل البغي» باب: ما جاء في الشفاعة والذب عن عرض أخيه المسلم من الأجر، وأحمد (٦/ ٤٥٠)، والترمذي (٤/ ٣٢٧) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في الذب عن عرض المسلم برقم: (١٩٣١)، وذكره المنذري في **«الترغيب والترهيب»** (٣/ ٥٠١) كتاب «الأدب وغيره» باب: **الترهيب من الغيبة والبهت وبيانهما، والترغيب في ردهما** برقم: (٤١٩٤) عن أبي الدرداء

وقوله ـ عليه السلام ـ: «مَنْ حَمَىٰ مُؤْمِناً مِنْ مُنَافِقٍ يَغْتَابُهُ، بَعَثَ اللَّهُ مَلَكاً يَحْمِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

وقوله تعالى: ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ يريدُ يَوْمَ القيامةِ، قال الزَّجَّاج(٢)، و﴿الأشهادُ﴾: جَمْعُ شَاهِدٍ، وقال الطبري(٣): جمع شَهِيدٍ، كَشريفٍ وأشْرَافٍ، و﴿يومَ لا ينفع﴾ بَدَلٌ من الأوَّلِ، والمَعْذِرَةُ، مَصْدَرٌ، كالعُذْرِ، ثم أخبرَ تَعَالَىٰ بقصَّةِ موسَىٰ وما آتاه منَ النُّبوَّةِ، تأنيساً لمحمَّدٍ، وضَرْبَ أُسْوَةٍ وتذكيراً بما كانتِ العربُ تَعرفُه مِنْ أمرِ موسى، فبيَّنَ ذلكَ أن محمداً لَيْسَ ببِدْعٍ من الرسل، والهُدَى: النُّبُوَّةُ والحكمةُ؛ التوراةُ تَعُمُّ جميعَ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ قال الطبريُّ(٤): ﴿الإِبكارُ﴾: من طلوع الفَجْرِ إلى طلُوعِ الشَّمْسِ، وقيلَ: مِنْ طلوعِ الشمْسِ إلى ارْتِفَاعِ الضُّحَىٰ، وقال الحَسَنُ: ﴿بالعَشِيِّ﴾ يريدُ صلاةَ العَصْرِ، ﴿والإبكارِ﴾ يريدُ صلاةَ الصُّبحِ(٥).

وقوله تعالى: ﴿إن في صدورهم إلاَّ كِبْر﴾ [أي: ليسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ، بَلْ في صُدُورِهِمْ كِبْر](٦)/ وأَنَفَةٌ عليك، ثُمَّ نَفَىٰ أنْ يكونُوا يبلغُون آمالهم بِحَسَبِ ذلكَ الكِبْرِ، ثم أمَرَهُ تعالى ٢٠ب
بالاسْتِعَاذَةِ باللَّهِ في كل أمْرِه مِنْ كُلِّ مُسْتَعَاذٍ مِنْه.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾: فيه توبيخٌ لهؤلاءِ

كلهم بنحوه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٧) كتاب «الأدب» باب: من رد عن مسلم غيبته برقم: (٤٨٨٣)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٧٧) برقم: (١١٩٥).
(٢) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٣٧٦).
(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٧٠).
(٤) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٧١).
(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٠١)، وابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٦١)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.
(٦) سقط في: د.

الكفرةِ المتكبِّرينَ، كأنه قال: مخلوقاتُ اللّهِ أَكْبَرُ وأَجَلُّ قَدْراً مِنْ خَلْقِ البَشَرِ، فما لأحدٍ منْهم يَتَكَبَّرُ على خالقِه، ويحتملُ أنْ يكونَ الكلامُ في مَعْنَى البَعْثِ، وأنَّ الذي خلقَ السمواتِ والأرْضَ قادِرٌ على خَلْقِ الناسِ تَارَةً أُخْرَىٰ، والخَلْقُ هنا: مَصْدَرٌ مضافٌ إلى المفعولِ، ﴿والذين ءامنوا وعملوا الصالحات﴾ يعادلهم قولُهُ: ﴿ولا المسيء﴾ وهو اسمُ جِنْسٍ يَعُمُّ المسيئينَ.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ آيةُ تَفَضُّلٍ ونِعْمَةٍ وَوَعْدٍ لأمَّةِ محمَّدٍ ﷺ بالإجابَةِ عنْدَ الدُّعَاءِ؛ قال النوويُّ: ورُوِّينا في «**كتاب الترمذيِّ**» عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللّهَ تَعَالَىٰ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللّهِ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ [عَنْهُ] مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، فقالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إذَنْ نُكْثِرَ، قَالَ: اللّهُ أَكْثَرُ»[١]: قَالَ الترمذيُّ: حَدِيثٌ حسنٌ صحيحٌ، وَرَوَاهُ الحاكمُ في «**المستدرك**» من رواية أبي سعيد الخُدَرِيِّ، وزاد فيه: «أَو يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَهَا»[٢]، انتهى، قال ابنُ عَطَاءِ اللّهِ: لاَ يَكُنْ تَأَخُّرُ أَمَدِ العَطَاءِ مَعَ الإلْحَاحِ في الدُّعَاءِ مُوجباً لِيَأْسِكَ؛ فهُو ضَمِنَ لَكَ الإِجَابَةَ فِيمَا يختارُ لك لاَ فِيمَا تختَارُ لنفسِكَ، وفي الوَقْتِ الذي يُرِيدُ لاَ في الوَقْتِ الذي تُرِيدُ، انتهى، وعن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللّهِ ـ عَزَّ
١٢١ وَجَلَّ ـ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ/ عَبْدِي بِي، وأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي» رواه الجماعةُ إلاَّ أبا داود[٣]: واللفظ لِمُسْلِمٍ، انتهى من «**السِّلاَح**»، وقالت فرقة: معنى ﴿ادعوني﴾: اُعْبُدُونِي، و﴿أستجب﴾ معناه: بِالنَّصْرِ والثوابِ؛ ويدلُّ على هذا قوله: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي...﴾

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٦٦) كتاب «الدعوات» باب: في انتظار الفرج وغير ذلك، برقم: (٣٥٧٣).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٣) كتاب «الدعاء»، وأحمد (٣/ ١٨).
قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد، إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٥) كتاب «التوحيد» باب: قول اللّه تعالى: ﴿ويحذركم اللّه نفسه﴾، وقوله عز وجل: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ برقم: (٧٤٠٥)، وطرفاه في (٧٥٠٥، ٧٥٣٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١) كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» باب: الحث على ذكر اللّه تعالى، برقم: (٢/ ٢٥٧٦)، (٤/ ٢٠٦٨) (٢١/ ٢٦٧٥)، والترمذي (٥/ ٥٨١) كتاب «الدعوات» باب: في حسن الظن باللّه عز وجل، برقم: (٣٦٠٣)، وأحمد (٢/ ٢٥١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الآية، * ت *: وهذا التأويلُ غَيْرُ صحيحٍ، والأولُ هو الصَّوَابُ ـ إن شاء اللَّه ـ؛ للحَدِيثِ الصحيحِ؛ فَقَدْ رَوَى النعمانُ بنُ بَشِيرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ». وقرأ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[1] رواه أبو داودَ والترمذي والنسائي وابنُ ماجه والحاكم وَابن حِبَّان في «صَحيحيهما»؛ وقال الترمذيُّ، ـ واللفظ له ـ: حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ، وقال الحاكم: صحيحُ الإسناد، انتهى من «السِّلاَح» والدَّاخِرُ، الصَّاغِرُ الذَّلِيلُ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿اللَّه الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه...﴾ الآياتِ، هذا تنبيهٌ على آياتِ اللَّهِ وعِبَرِهِ، متَىٰ تأمَّلَهَا العَاقِلُ أَدَّتْهُ إلى توحيدِ اللَّه سبحانه، والإقرارِ برُبُوبيَّتِهِ، و﴿تؤفكون﴾ معناه: تُصْرَفُونَ عن طريقِ النظرِ والهُدَى، ﴿كذلك يؤفك﴾ أي: على هذه الهيئةِ وبهذهِ الصفةِ صَرَفَ اللَّه تعالى الكُفَّارَ الجاحدينَ بآياتِ اللَّهِ مِنَ الأُمَمِ المتقدِّمةِ عن طريق الهُدَىٰ.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة المؤمن، برقم: (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٨)، كتاب «الدعاء» باب: فضل الدعاء، برقم: (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦، ٢٧٧)، والطيالسي (١/ ٢٥٣) كتاب «الأذكار والدعوات» باب: ما جاء في فضل الدعاء وآدابه، برقم: (١٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩١) كتاب «الدعاء»، وابن حبان (٨/ ٣٢) ـ الموارد باب: ما جاء في فضل الدعاء، برقم: (٢٣٩٦).
قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد رواه شعبة، وجرير عن منصور عن ذر.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم مِنْ تُرَابٍ ثم من نُطْفَةٍ ثم مِنْ عَلَقَةٍ ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل﴾ الآية، تنبيهٌ على الوُحْدَانِيَّةِ بالعِبْرة في ابن آدم وتدريج خَلْقِهِ.

٢١ ب وقوله سبحانه: ﴿ومنكم من يتوفى من قبل﴾ عبارة/ تُرَدِّدُ في الأَدْرَاج المذكورةِ، فمن الناسِ مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ طِفلاً وآخرون قَبْلَ الأَشُدِّ، وآخرون قبلَ الشيخوخةِ، ﴿ولتبلغوا أجلاً مسمًّى﴾، أي: ليبلغَ كلُّ واحدٍ أجلاً مُسَمًّى لا يتعدَّاهُ، و﴿لعلكم تعقلون﴾ الحقائقَ إذا نَظَرْتم في هذا وتَدَبَّرْتُم حكمةَ اللَّه تعالَىٰ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات اللَّه...﴾ الآيَةُ في الكُفَّارِ المُجَادِلِينَ في رِسَالَةِ نبيِّنا محمَّد ـ عليه السلام ـ ﴿ويسحبون﴾ معناه يُجَرُّونَ، والسَّحْبُ: الجَرُّ، والحَمِيمُ الذائبُ الشديدُ الحَرِّ من النَّارِ، و﴿يسجرون﴾: قال مجاهد[1]: معناه تُوَقَدُ النَّارُ بِهِم، والعَرَبُ تَقُول؛ سَجَرْتُ التَّنُّورَ: إذا مَلأْتَهُ نَاراً، وَقَالَ السُّدِّيُّ: يُسْجَرُونَ: يَحْرَقُونَ[2]، ثم أَخْبَرَ تعالى؛ أنهم يُقَالُ لهم: أين الأَصْنَامُ التي كُنْتُم تَعْبُدونَ في الدنيا؟ فيقولون: ضَلُّوا، أي: تلفوا لنا وغابوا، ثُمَّ تَضْطَرِبُ أَقْوَالُهُمْ وَيَفْزَعُونَ إلى الكَذِبِ، فيقولونَ: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا من قبل شَيْئاً﴾ ثم يقال لهؤلاءِ الكفَّارِ المعذبين: ﴿ذلكم﴾: العذابُ الذي أنتم فيه ﴿بما كنتم تفرحون﴾ في الدنيا بالمعاصي والكفرِ، ﴿وتمرحون﴾ قال مجاهد: معناه: الأَشَرُ والبَطَرُ[3].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٧٨) برقم: (٣٠٤٠١)، وذكره البغوي» (٤/ ١٠٥)، وزاد نسبته لمقاتل، وابن عطية (٤/ ٥٦٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٠)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٧٨) برقم: (٣٠٤٠٢)، وذكره ابن عطية (٤/ ٥٦٩).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٧٩) برقم: (٣٠٤٠٥)، وذكره البغوي (٤/ ١٠٥)، وابن عطية (٤/ ٥٧٠)، =

وقوله تعالى: ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ معناه: يقالُ لَهُمْ قبل هذهِ المحاورةِ في أول الأمْرِ: ادْخُلوا؛ لأنَّ هذه المخاطبةَ إنما هي بعدَ دُخولهم، ثم آنَسَ تعالى نبيَّه، وَوَعَدَهُ بقولِهِ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وعد اللَّه حق﴾ أي: في نصرك وإظهار أمرك؛ فإنَّ ذلك أَمْرٌ إما أنْ تَرَىٰ بَعْضَهُ في حياتِكَ، فَتَقَرَّ عَيْنُكَ به، وإما أنْ تَموتَ قَبْلَ ذلك، فإلَىٰ أمرنا وتَعْذِيبِنَا يَصِيرُونَ ويَرْجِعُونَ.

قال أبو حيَّان[1]: و«ما» في «إِمَّا» زائدةٌ لتأكِيدِ معنى الشَّرْطِ، انتهى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

وقوله تعالى/: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم ١٢٢
نقصص عليك﴾ هذِه الآيةُ رَدٌّ علَى العربِ الذينَ استبعدوا أن يبعثَ اللَّهُ بشراً رَسُولاً.

وقوله تعالى: ﴿فإذا جاء أمر اللَّه قضي بالحق...﴾ الآية، يحتمل أن يريدَ بأمر اللَّه القيامة، فتكونَ الآيةُ تَوَعُّداً لهم بالآخرةِ، ويحتمل أن يريدَ بأمر اللَّهِ إرسالَ رَسُولٍ وبَعْثَةَ نبيٍّ قَضَىٰ ذلكَ وأَنْفَذَهُ بِالحَقِّ؛ وخَسِرَ كُلُّ مُبْطِلٍ. * ت *: والأول أَبْيَنُ.

وقوله تعالى: ﴿اللَّه الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها...﴾ الآية، هذه آياتٌ فيها عِبَرٌ وتعديدُ نِعَمٍ، و﴿الأنعام﴾: الأزواجُ الثمانيةُ، و﴿منها﴾ الأولَىٰ للتبعيضِ، وقال الطبري[2] في هذه الآية: الأنعامُ تَعُمُّ الإبلَ والبَقَرَ والغَنَمَ والخَيْلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ، وغَيْرَ ذلك مما يُنْتَفَعُ به من البهائمِ، فـ﴿منها﴾ في الموضعين علَىٰ هذا للتَّبْعِيضِ.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا

= والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٠)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٥٦).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٨٠).

بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون...﴾ الآية، هذا احتجاجٌ على قريشٍ بما أظهر سبحانه في الأمم السالفةِ من نِقمَاتِهِ في الكفارِ الذين كانوا أَكْثَرَ منهم، وأشَدَّ قُوَّةً قال أبو حيان[1]: ﴿فما أغنى﴾ «مَا» نافيةٌ أو استفهامية بمعنى النفي، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ الآية، الضميرُ في (جاءتهم) عائدٌ على الأمم المذكورةِ، واخْتَلَفَ المفسِّرونَ في الضميرِ في ﴿فرحوا﴾ على مَنْ يَعُودُ؟ فقال مجاهدٌ وغيره: هو عائد على الأمم المذكُورِينَ[2]، أي: فَرِحُوا بما عِنْدَهُمْ من الْعِلْم في ظَنِّهِمْ ومُعْتَقَدِهِمْ من أنهم لا يُبْعَثُونَ ولا يحاسَبُونَ، قال ابن زيد: واغترُّوا بعلمِهِم بالدنيا
٢٢ ب والمعاش، وظنوا أنه لا آخرة؛ فَفَرِحُوا[3]/ وهذا كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحياة الدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧] وقالت فرقة: الضميرُ في ﴿فرحوا﴾ عائدٌ على الرُّسُلِ، وفي هذا التأويلِ حَذْفٌ وتقديره: فلما جَاءتهم رسُلُهم بالبيناتِ، كذَّبُوهُمْ فَفَرِحَ الرُّسُلُ بما عندَهم من العلم باللَّهِ والثقةِ به، وبأنه سينصُرُهُمْ، والضمير في ﴿بهم﴾ عائدٌ على الكفارِ بلا خِلافٍ، ثم حَكَىٰ سبحانَهُ حالةَ بَعْضِهِمْ مِمَّنْ آمَنَ بَعْدَ تَلَبُّسِ العذابِ بهِم، فَلَمْ يَنْفَعْهم ذلك؛ وفي ذكر هذا حضٌّ على المبادرة.

و﴿سُنَّتَ﴾ نصبٌ على المصدرِ، * ت *: وقيل: المعنى: احْذَرُوا سُنَّةَ اللَّهِ، كقوله: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس: ١٣] قَالَ الفَخْرُ، وقوله: ﴿هُنَالِكَ﴾: اسْمُ مَكَانٍ مُسْتَعَارٌ للزَّمَانِ، أي: وخَسِرُوا وقتَ رؤية البأس، انتهى، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٥٧).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٨٢) برقم: (٣٠٤١٣)، وذكره البغوي (٤/ ١٠٦)، وابن عطية (٤/ ٥٧١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.
(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٤/ ٥٧١).

تفسير سُورَةِ فصلت

وهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

رُوِيَ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ لِيحْتَجَّ عَلَيْهِ، وَيُبَيِّنَ لَهُ أَمْرَ مُخَالَفَتِهِ لِقَوْمِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ عُتْبَةُ مِنْ كَلامِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ»: ﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ إِلَى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [السجدة: ١٣] فَأُرْعِدَ الشَّيْخُ، وَقَفَّ شَعْرُهُ، وأَمْسَكَ عَلَىٰ فَمِ النبيِّ ﷺ، وَنَاشَدَهُ بِالرَّحِمِ أَنْ يُمْسِكَ[1]، وقَالَ حِينَ فَارَقَهُ: وَاللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئاً مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، وَلاَ هُوَ بِالكَهَانَةِ، وَلاَ هُوَ بِالسِّحْرِ، ولَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّ صَاعِقَةَ العَذَابِ عَلَىٰ رَأْسِي، و﴿الرحمٰن الرحيم﴾: صِفَتَا رَجَاءٍ ورحمةٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، و﴿فُصِّلَتْ﴾ معناهُ بُيِّنَتْ ﴿آياته﴾ أي: فُسِّرَتْ معانيه،/ فَفُصِّلَ بين حلاله وحرامه، ووَعْدِهِ ووَعِيدِهِ، ٢٣ أ
وقيل: فُصِّلَتْ في التنزيلِ، أي: نزل نجوماً، ولم ينزلْ مرةً واحدةً، وقيل: فُصِّلَتْ بالمواقف وأنواعِ أَوَاخِرِ الآيِ، ولم يكن يرجعُ إلى قافية ونَحْوِها؛ كالسَّجْعِ والشِّعْرِ.

وقوله تعالى: ﴿لقوم يعلمون﴾ قالت فرقة: يعلمون الأشياء، ويعقلون الدلائل، فكأنَّ القرآن فُصِّلَتْ آياته لهؤلاء؛ إذ هم أهل الانتفاع بها، فَخُصُّوا بالذكر؛ تشريفاً، وقالت فرقة:

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٣)، وعزاه إلى ابن إسحاق، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل»، وابن عساكر.

﴿يعلمون﴾: متعلِّقٌ في المعنى بقوله: ﴿عربيًا﴾ أي: لقوم يعلمون ألفاظه، ويتحقَّقون أنَّها لم يخرجْ شيْءٌ منها عن كلام العرب، وَكأَنَّ الآيَةَ عَلَىٰ هذا التأويلِ رَادَّةٌ علَىٰ مَنْ زَعَمَ أَنَّ في كتابِ اللَّهِ ما لَيْسَ في كلامِ العَرَبِ، والتأويلُ الأوَّلُ أَبْيَنُ وأَشْرَفُ مَعْنًى وبَيِّنٌ أنَّه ليس في القرآن إِلاَّ ما هو مِنْ كَلاَمِ العَرَبِ، إِمَّا مِنْ أَصْلِ لغتِها، وإِمَّا مِمَّا عرَّبته من لغة غيرها، ثم ذُكِرَ في القرآن وهو مُعَرَّبٌ مُسْتَعْمَلٌ.

وقوله تعالى: ﴿فهم لا يسمعون﴾ نفي لسماعهم النافِعِ الذي يُعْتَدُّ به، ثم حكَىٰ عنهم مقالتهم التي باعدوا فيها كُلَّ المباعدة، وأرادوا أن يُؤْيِسُوهُ من قبولهم ما جاء به، وهي: ﴿قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ وأَكِنَّةٌ: جمع كِنَانٍ، والوَقْر: الثِّقَلُ في الأذن الذي يمنع السمع.

وقوله تعالى: ﴿وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة...﴾ الآية: قال الحسن: المراد بالزكاة: زكاة المال[١]، وقال ابن عباس والجمهور: الزكاة في هذه الآية: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ التَّوْحِيدُ[٢]؛ كما قال موسَىٰ لفرعَوْنَ: ﴿هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨] ويُرَجِّحُ هذا التأويل أَنَّ الآيَةَ مَكِّيَّةٌ، وزكاة المال إنما نزلَتْ بالمدينة؛ وإِنَّما هذه زكاة القلب والبدن، أي: تطهيره من المعاصي؛ وقاله مجاهد والربيع[٣]، وقال الضَّحَّاكُ ومقاتلُ: معنى الزكاة هنا: النفقة في الطاعة[٤]، و﴿غير ممنون﴾ قال ابن عباس: معناه: غَيْر منقوصٍ[٥]، ٢٣ ب
وقالت فرقة: معناه: غَيْر مَقْطُوعٍ؛ يقال: مَنَنْتُ الحَبْلَ: إذا قَطَعْتَهُ، وقال مجاهد: معناه: غير محسوب[٦]، قال * ع[٧] *: ويظهر في الآية أَنَّهُ وصفه بعدم المَنِّ والأَذَىٰ من حيث هو من جهة اللَّه تعالى، فهو شريفٌ لا مَنَّ فيه، وأُعْطِيَاتُ البشر هي التي يدخلها المَنُّ، والأنداد: الأشباهُ والأَمثَالُ، وهي إشارةٌ إِلَىٰ كُلِّ ما عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّه.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٨٦) برقم: (٣٠٤٢٤) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/١٠٧) آية رقم: (٧)، وذكره ابن عطية (٥/٤).

(٢) أخرجه الطبري (١١/٨٦) برقم: (٣٠٤٢٢)، وذكره البغوي (٤/١٠٧)، وابن عطية (٥/٥)، وابن كثير (٤/٩٢) ط الحلبي، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/٦٧٥)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«الأسماء والصفات»**.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/٥).

(٤) ذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/١٠٨)، وابن عطية (٥/٥).

(٥) أخرجه الطبري (١١/٨٦) برقم: (٣٠٤٢٧)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/١٠٨)، وابن عطية (٥/٥).

(٦) أخرجه الطبري (١١/٨٦) برقم: (٣٠٤٢٨)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/١٠٨) آية رقم: (٨)، وابن عطية (٥/٥).

(٧) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/٥).

وقوله تعالى: ﴿وبارك فيها﴾ أي: جعلها منبتَّةً للطَّيِّبات والأطعمة، وجعلها طهوراً إلى غير ذلك من وجوه البركة، وفي قراءةِ ابن مسعود: «وَقَسَّمَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا»[1] واخْتُلِفَ في معنى قوله: ﴿أقواتها﴾ فقال السُّدِّيُّ: هي أقواتُ البَشَرِ وأرزاقُهُمْ، وأضافها إلى الأرض، من حيثُ هي فيها وَعَنْهَا[2]، وقال قتادة: هي أقواتُ الأرض: من الجبال، والأنهار، والأشجار، والصُّخُور، والمعادن، والأشياءِ التي بها قِوَامُ الأَرْضِ ومَصَالِحُها[3]، وروى ابنُ عباس في هذا حديثاً مرفوعاً، فشبَّهها بالقُوتِ الذي به قِوَامُ الحيوان، وقال مجاهَدٌ أراد أقواتَهَا من المَطَرِ والمياه، وقال الضَّحَّاكُ وغيره: أراد بقوله: ﴿أقواتها﴾: خصائصها التي قَسَّمها في البلاد من المَلْبُوسِ والمطعوم[4]، فجعل في بَلَدٍ وفي قُطْرٍ ما ليس في الآخِرِ، لِيَحْتَاجَ بعضُهم إلَىٰ بعضٍ، ويُتَقَوَّت مِنْ هذه في هذه، وهذا قريبٌ من الأَوَّلِ.

وقوله تعالى: ﴿في أربعة أيام﴾ يريد: باليومين الأولين، **وقرأ** الجمهور: «سَوَاءً» بالنصب على الحال[5]، أي: سَوَاءً هي وما ٱنقضَىٰ فيها، **وقرأ** أبو جعفر بن القَعْقَاع: «سَوَاءٌ»[6] ـ بالرفع ـ، أي: هِيَ سَوَاءٌ، **وقرأ** الحسن[7]: «سَوَاءٍ» بالخفض على نعت الأيَّام، واخْتُلِفَ في معنى: «للسائلين»: فقال قتادة معناه: سواءٌ لِمَنْ سَأَلَ وٱسْتَفْهَمَ/ عن الأمْرِ ٢٤أ وحقيقةِ وُقُوعِهِ، وأراد العِبْرَةَ فيه، فإنَّه يجده[8]، كما قال تعالى، وقال ابن زيد وجماعة: معناه: مستوٍ مُهَيَّأً أمر هذه المخلوقات ونَفْعُهَا للمحتاجِينَ إِلَيْهَا من البشر، فعَبَّر عنهم بـ﴿السائلين﴾ بمعنى «الطالبين»؛ لِأَنَّهُ من شَأْنهم، ولاَ بُدَّ طَلَب ما ينتفعون به، فهم في حُكْم مَنْ سَأَلَ هذه الأشياء، إِذ هُمْ أهل حاجة إليها، ولفظة «سواء» تجري مَجْرَى عَدْل وزَوْر، في أنْ تَرِدَ على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث.

---

(١) ينظر: **«الكشاف»** (٤/١٨٨)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/٦).

(٢) أخرجه الطبري (١١/٨٩) برقم: (٣٠٤٣٦)، وذكره ابن عطية (٥/٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/٨٩) برقم: (٣٠٤٣٨ ـ ٣٠٤٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/٦).

(٤) أخرجه الطبري (١١/٩٠) برقم: (٣٠٤٤٦)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/١٠٨) آية رقم: (١٠)، وابن عطية (٥/٦).

(٥) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/٦)، و**«البحر المحيط»** (٧/٤٦٥)، و**«الدر المصون»** (٦/٥٧).

(٦) وذُكرت عن يعقوب.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٣٤)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/٦)، و**«البحر المحيط»** (٧/٤٦٥).

(٧) وقرأ بها عيسى، وابن أبي إسحاق، وعمرو بن عبيد، وزيد بن علي، ويعقوب.
ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/٦)، و**«البحر المحيط»** (٧/٤٦٥)، و**«الدر المصون»** (٦/٧٥).

(٨) أخرجه الطبري (١١/٩١) برقم: (٣٠٤٤٨ ـ ٣٠٤٤٩)، وذكره ابن عطية (٥/٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/٦٧٧)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.

وقوله سبحانه: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ معناه: بقدرته واختراعه إلى خلق السماء وإيجادها.

وقوله تعالى: ﴿وهي دخان﴾ رُوِيَ: أنها كانت جسماً رخْواً؛ كالدُّخَانِ أوِ البُخَارِ، ورُوِيَ: أنَّه ممَّا أَمَرَهُ اللَّه تَعالَىٰ أنْ يَصْعَدَ مِنَ الماء، وهنا محذوفٌ، تقديرهُ: فأوجَدَهَا، وأتقنها، وأكمل أمرهَا، وحينئذٍ قال لها وللأرضِ ائتيا بمعنى ائتيا أمري وإرادتي فيكما، وقرأ ابن عباس: «آتِيَا»[١] بمعنى: أعطيا مِنْ أنفُسِكُمَا من الطاعة ما أردتُهُ منكما[٢]، والإشارة بهذا كلّه إلَىٰ تسخيرهما وما قَدَّرَهُ اللَّه من أعمالهما.

وقوله: ﴿أو كرهاً﴾ فيه محذوف تقديره أَئْتِيَا طَوْعاً وإلاَّ أتيتما كرهاً.

وقوله سبحانه: ﴿قالتا﴾ أراد الفرقتَيْنِ جعل السمواتِ سماءً والأرضِينَ أرْضاً، واَخْتُلِفَ في هذه المقالةِ مِنَ السَّمٰوَاتِ والأرضِ، هَلْ هُوَ نُطْقٌ حقيقة أو هو مجازٌ؟ لما ظهر عليها من التذلُّل والخضوعِ والانقيادِ الذي يتنزل منزلة النُّطقِ، قال * ع[٣] *: والقول الأَوَّل: أنَّه نُطْقٌ حقيقة ـ أَحْسَنُ؛ لأنه لا شَيْءَ يدفعه ـ، وأَنَّ العبرة به أَتَمُّ والقدرة فيه أظهرُ.

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فقضاهن﴾ معناه: فَصَنَعَهُنَّ وأَوْجَدَهُنَّ، ومنه قول أبي ذُؤَيْبٍ:

[الكامل]

٢٤ ب وَعَلَيْهِمَا/ مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[٤]

---

(١) وقرأ بها سعيد بن جبير، ومجاهد.
ينظر: «المحتسب» (٢/٢٤٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/٧)، و«البحر المحيط» (٧/٤٦٦)، و«الدر المصون» (٦/٥٨).

(٢) أخرجه الطبري (١١/٩٢) برقم: (٣٠٤٥٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/١٠٩) آية رقم (١١)، وابن عطية (٥/٧).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٧).

(٤) وهو لأبي ذؤيب «في سرّ صناعة الإعراب» (٢/٧٦٠)، و«شرح أشعار الهذليين» (١/٣٩)، و«شرح المفصل» (٣/٥٩)، و«لسان العرب» (٨/٣١) (تبع)، (٨/٢٠٩) (صنع)، (١٥/١٨٦) (قضى)، و«المعاني الكبير» ص: (١٠٣٩)، وبلا نسبة في «شرح المفصل» (٣/٥٨).

وقوله تعالى: ﴿وأوحىٰ في كل سماء أمرها﴾ قال مجاهد وقتادة: أوحَىٰ إلى سُكَّانِهَا وَعَمَرَتِها من الملائكة وإليها هي في نَفْسِهَا ـ ما شاء تعالَىٰ ـ مِنَ الأُمُورِ التي بها قوامها وصلاحها[1].

وقوله: ﴿ذلك﴾ إشارة إلَى جَمِيعِ ما ذكر، أي: أَوْجَدَهُ بِقُدْرَتِهِ، وأحكمه بِعِلْمِهِ.

وقوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا﴾ يعني: قريشاً، والعرب الذين دَعوتَهُم إلى عبادة اللَّه تعالى عن هذه الآيات البَيِّنَات ﴿فقل أنذرتكم صاعقةً مثلَ صاعقةِ عاد وثمود﴾ وقرأ النَّخَعِيُّ وغيره: ﴿صَعْقَة﴾ فيهما[2]، وهذه قراءة بَيِّنَةُ المعنى؛ لأنَّ الصعقة الهلاكُ الوَحيُّ، وأمَّا الأولَىٰ فهي تشبيهٌ بالصاعقةِ، وهي الوقعة الشديدة من صوت الرعد، فشُبِّهَتْ هنا وقعةُ العذاب بها؛ لأنَّ عاداً لم تُعَذَّبْ إلاَّ بِرِيحٍ، وإِنَّما هذا تشبيهٌ واستعارةٌ، وعبارةُ الثعلبيِّ: ﴿صاعقةٌ﴾ أي: واقعةٌ وعقوبةٌ مِثْلُ صاعقةِ عَادٍ وثَمُودَ، انتهى، قال * ع[3] *: وَخَصَّ عاداً وثَمُودَ بالذِّكْر؛ لوقوفِ قُرَيْشٍ علَىٰ بلادها في اليمن وفي الحِجْرِ في طريق الشام، قال الثعلبيُّ: و﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ يعني: قبلهم وبعدهم، وقامت الحُجَّةُ عليهم في أَنَّ الرسالة والنذارة عمتهم خبراً ومباشرة، وقال * ع[4] *: قوله: ﴿ومن خلفهم﴾ أي: جاءهم رسول بعد اكتمال أعمارهم وبعد تَقَدُّمِ وجودهم في الزَّمَنِ، فلذلك قال: ﴿ومن خلفهم﴾ ولا يتوجه أنْ يجعل ﴿ومنْ خلفهم﴾ عبارة عَمَّا أتى بعدهم؛ لأنَّ ذلك لا يلحقهم منه تقصير.

* ت *: وما تقدم للثعلبيِّ وغيره أَحْسَنُ؛ لأَنَّ مقصد الآية اتصال النذارة بهم وبمن قبلهم وبمن بعدهم؛ إذ ما من أُمَّةٍ إلاَّ وفيها نذير، وكما قال تعالى: ﴿رُسُلَنَا تَتْرا. . .﴾ [المؤمنون: ٤٤] وأيضاً فإنَّه جمع في اللفظ عاداً وثَمود وبالضرورة أنَّ/ الرسولَ الذي ١٢٥أ
أُرْسِلَ إلَىٰ ثمودَ هو بَعْدَ عادٍ، فليس لِرَدِّ * ع *: وَجْهٌ؛ فتأمله.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٩٢ ـ ٩٣) برقم: (٣٠٤٥٥ ـ ٣٠٤٥٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٩٣) ولم يعزه لأحد، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٧٨)، وعزاه إلى عبد بن حميد، والفريابي عن مجاهد، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٢) وقرأ بها: ابن الزبير، والسلمي، وابن محيصن.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٨)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٦٨)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٩).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٨).

(٤) ينظر: المصدر السابق.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً...﴾ الآية، تقدَّم قَصَصُ هؤلاء، **وقرأ** نافع، وأبو عمرو، وابن كثير: ﴿نَحْسَاتٍ﴾ ـ بسكون الحاء[1] ـ، وهي جمعُ «نَحْس» **وقرأ** الباقون: ﴿نَحِسَاتٍ﴾ ـ بكسر الحاء ـ جمع «نَحِسٍ» علَىٰ وزن حَذِرٍ، والمعنَىٰ في هذه اللفظة: مشائِمُ من النَّحْسِ المعروفِ، قاله مجاهد وغيره[2]، وقال ابن عبَّاس: ﴿نحسات﴾ معناه مُتَتَابِعَاتٍ[3]، وقيل: معناه: شديدة، أي: شديدة البَرْدِ.

وقوله تعالى: ﴿فهدَيْنَاهُمْ﴾ معناه: بَيَّنَّا لهم؛ قاله ابن عَبَّاس وغيره، وهذا كما هي الآن شريعةُ الإسلامِ مُبَيَّنَةٌ لليهودِ والنصارَى المُخْتَلِطِينَ بنا، ولكنهم يعرضون ويشتغلون بالضِّدِّ، فذلك ٱستحبابُ العَمَىٰ على الهُدَىٰ، و﴿العذاب الهون﴾ هو الذي معه هَوَانٌ وإذلالٌ؛ قال أبو حَيَّان[4]: «الهون» مصْدَرٌ بمعنى «الهَوَانِ»، وُصِفَ به العذاب، انتهى، و﴿أعداء اللّٰه﴾ هم الكفار المخالفون لأمر اللّٰه سبحانه، و﴿يوزعون﴾ معناه: يُكَفُّ أَوَّلُهُمْ حَبْساً على آخرهم؛ قاله قتادة، والسُّدِّيُّ[5]، وأهل اللغة، وهذا وصف حال من أحوال الكفرة في بعض أوقات القيامة، وذلك عند وصولهم إلى جَهَنَّمَ، فإنَّه سبحانه يستقرهم عند ذلك على أنفسهم، ويسألون سؤالَ توبيخ عن كُفْرهم فيجحدُونَ، ويحسبون أَنْ لا شاهِدَ

---

(١) ينظر: «**السبعة**» (٥٧٦)، و«**الحجة**» (٦/ ١١٦)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٧٥)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٣٥١)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٢١٠)، و«**العنوان**» (١٦٩)، و«**حجة القراءات**» (٦٣٥)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٢)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٤٢).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٩٦) برقم: (٣٠٤٦٨)، (٣٠٤٧٠) عن مجاهد، (٣٠٤٧١) عن السدي، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٥/ ٩).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٩٥) برقم: (٣٠٤٦٧)، وذكره ابن عطية في «**تفسيره**» (٥/ ٩)، وابن كثير (٤/ ٩٥) ولم يعزه لأحد.

(٤) ينظر: «**البحر المحيط**» (٧/ ٤٧١).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٩٨ ـ ٩٩) برقم: (٣٠٤٨٣ ـ ٣٠٤٨٤)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١١٢) آية رقم (١٩)، وابن عطية (٥/ ١٠).

عليهم، ويطلبون شهيداً عليهم من أنفسهم، وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ الْعَبْدَ ـ يَعْنِي الكَافِرَ ـ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَيْسَ وَعَدْتَنِي أَلاَّ تَظْلِمَنِي؟ قَالَ: فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ، قَالَ: فَإِنِّي لاَ أَقْبَلُ عَلَيَّ شَاهِداً إِلاَّ مِنْ نَفْسِي، قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ، وَتَتَكَلَّمُ أَرْكَانُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، قَالَ: فَيَقُولُ لَهُنَّ: بُعْداً لَكُنَّ، وَسُحْقاً، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُدَافِعُ»[١]/ الحديث، قال أبو حيان[٢]: ﴿حتى إذا ٢٥ ب
ما جاءوها﴾: «ما» بعد «إذا» زائدة للتوكيد، انتهى.

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون﴾ يحتمل أنْ يكون من كلام الجلود، ويحتمل أنْ يكون من كلام اللّه عز وجل، وجمهور الناس على أنَّ المراد بالجلود الجلودُ المعروفةُ، وأمّا معنى الآية فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد وما كنتم تَتَصَاونُونَ وتَحجِزُونَ أَنْفُسَكُمْ عن المعاصي والكُفر؛ خوفَ أنْ يشهد، أو لِأَجْلِ ﴿أنْ يشهد عليكم سمعكم...﴾ الآية، وهذا هو مَنْحَىٰ مجاهد[٣]، والمعنى الثاني أنْ يريد: وما يمكنكم ولاَ يَسَعُكُمْ الاخْتفاءُ عن أَعْضَائِكُمْ، والاستتارُ عنها بكُفرِكُمْ ومعاصيكم، وهذا هو مَنْحَى السُّدِّيِّ[٤]، وعن ابن مسعود قال: «إِنِّي لمستترٌ بأستارِ الكعبةِ، إِذْ دَخَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ: قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ أَوْ ثَقَفِيَّانِ وقُرَشِيٌّ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلوبِهِمْ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ، فَتَحَدَّثُوا بِحَدِيثٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَتَرَى اللَّهَ يَسْمَعُ مَا قُلْنَا؟ فَقَالَ الآخَرُ: يَسْمَعُ إِذَا رفَعْنَا، وَلا يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّهُ يَسْمَعُهُ كُلَّهُ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَنَزَلَتْ هذه الآيةُ: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾، وقرأ حتى بلغ: ﴿وَإِن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾»[٥].

(١) ينظر: «الدر المنثور» (٥/ ٣٥).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٧١).
(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ١١).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٠) برقم: (٣٠٤٩٣)، وابن عطية (٥/ ١١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٠).
(٥) أخرجه البخاري مختصراً (٨/ ٤٢٤) كتاب «التفسير» باب: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن اللّه لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ (٤٨١٦)، (٨/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥)=

قال الشيخ أبو محمَّدِ بْنُ أبي زَيْدٍ في آخر: «مُخْتَصَرِ المُدَوَّنَةِ» له: واعلم أنَّ [الأجساد التي أطاعت أو عصت، هي التي تُبْعَثُ يومَ القيامة لِتُجَازَىٰ، والجلودُ التي كانَتْ في الدنيا، والألسنةُ][1]، والأيْدِي، والأرجُلُ هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على مَنْ تشهَدُ، انتهى.

قال القرطبيُّ في «تذكرته»[2]: واعلم أَنَّ عند أهل السنة أَنَّ تلك الأجسادَ الدُّنْيَوِيَّةَ تُعَادُ بأعيانها وأعراضِهَا بلا خلافٍ بينهم في ذلك، انتهى، ومعنى ﴿أرداكم﴾: أهلككم، والرَّدَى: الهَلاَكُ؛ وفي صحيح «البخاريِّ» و«مسلم» عن جابر قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ

٢٦ أ قبل وفاته بثلاثٍ: «لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[3] وذكره ابن أبي الدنيا في «كتابِ حسن الظنِّ بالله عز وجلَّ»، وزاد فيه: «فَإِنَّ قَوْماً قَدْ أَرْدَاهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ انتهى، ونقله أيضاً صاحب «التذكرة».

وقوله تعالى: ﴿فإن يصبروا﴾ مخاطبةٌ للنبيِّ ﷺ والمعنى: فإِنْ يصبروا أَوْ لا يَصْبِرُوا، واقتصر لدلالة الظاهِرِ علَىٰ ما ترك.

وقوله تعالى: ﴿وإن يستعتبوا﴾ معناه: وإِنْ طَلَبُوا العُتْبَىٰ، وهي الرضَا فما هم مِمَّنْ يُعْطَاها ويَسْتَوْجِبُهَا؛ قال أبو حَيَّان[4]: قراءة الجمهور: «وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا» مبنيًا للفاعل[5]، و: ﴿مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ مبنيًا للمفعول، أي: وإِنْ يعتذروا فما هم من المَعْذُورِينَ، انتهى.

= كتاب «التفسير» باب: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ (٤٨١٧)، (١٣/ ٥٠٤) كتاب «التوحيد» باب: قول الله تعالى: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون﴾ (٧٥٢١)، ومسلم (٤/ ٢١٤١) كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» باب: (٥/ ٢٧٧٥)، وابن حبان (٢/ ١١٦) كتاب «البر والإحسان» باب: الإخلاص وأعمال السر (٣٩٠)، والحميدي (١/ ٤٧) (٨٧)، والترمذي (٥/ ٣٧٥) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة حم السجدة، (٣٢٤٨ ـ ٣٢٤٩)، وأحمد (١/ ٣٨١، ٤٠٨، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٤٣).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) سقط من: د.

(٢) ينظر: «التذكرة» (١/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٤) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، حديث (٨١/ ٢٨٧٧) من حديث جابر.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٧٢).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٧٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٦٤).

ثم وصف تعالى حالهم في الدنيا وما أصابهم به حِينَ أعرضوا، فَخَتَّمَ عليهم، فقال: ﴿وقَيَّضْنَا لهم قرناء﴾، أي: يَسَّرْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ سَوْءٍ من الشياطين وغُوَاةِ الإِنْسِ.

وقوله: ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم﴾ أي: عَلَّمُوهم، وقَرَّروا لهم في نفوسهم معتقداتِ سوءٍ في الأمور التي تقدَّمتهم من أمر الرسُلِ والنُّبُوَّاتِ، ومَدْح عبادةِ الأصنام، واتِّباع فعل الآباء، إلى غير ذلك مِمَّا يُقَال: إنَّه بين أيدِيهِمْ، وذلك كلُّ ما تقدَّمهم في الزَّمَنِ، واتَّصَلَ إليهم أثره أو خَبَرُهُ، وكذلك أعطَوهُمْ معتقداتِ سوءٍ فيما خَلْفهم، وهو كلُّ ما يأتي بَعْدَهُمْ من القيامة والبعث ونَحْوِ ذلك ﴿وحق عليهم القول﴾ أي: سبق عليهم القضاءُ الحَتْمُ، وأَمَرَ اللَّهُ بتَعْذِيبِهِمْ في جملةِ أُمَمٍ مُعَذَّبِينَ، كُفَّارٍ من الجنِّ والإِنس.

وقالت فرقة: «في» بمعنى «مع»، أي: مع أمم، قال * ع[١] *: والمعنى/ يتأدى ٢٦ ب
بالحرفين، ولا نحتاج أنْ نجعل حرفاً بمعنى حَرْفٍ، إذ قد أبى ذلك رؤساءُ البَصْرِيِّينَ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن...﴾ الآية: حكاية لما فعله بعض كفار قريش، كأبي جَهْلٍ وغيره، لما خافوا استمالَةَ القُلُوبِ بالقُرْآنِ، قالوا: متَىٰ قرأ محمد فَٱلْغطوا بالصَّفِيرِ والصِّيَاحِ وإنشادِ الشِّعْرِ؛ حتى يَخْفَىٰ صَوْتُهُ، فهذا الفعلُ منهم هو اللغو، وقال أبو العالية: أرادوا: قَعُوا فيه وعَيِّبوه، وقولهم: ﴿لعلكم تغلبون﴾ أي: تطمسون أمر محمد، وتُمِيتُون ذكره، وتَصْرِفُون عنه القلوبَ، فهذه الغاية التي تمنوها، ويأبى اللَّه إلاَّ أنْ يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقوله تعالى: ﴿فلنذيقنَّ الذين كفروا عذاباً شديداً...﴾ الآية، قوله: ﴿فلنذيقنَّ﴾: الفاء دخلَتْ على لام القسم، وهي آيَةُ وعيدٍ لقريشٍ، والعذابُ الشديدُ: هو عذابُ الدنيا في بَدْرٍ وغيرها، والجزاء بأسوإِ أعمالهم هو عذابُ الآخرة.

* ت *: حَدَّثَ أبو عُمَرَ في «كتاب التمهيد» قال: حدَّثنا أحمد بن قَاسِمٍ، قال: حدَّثنا محمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، قال: حدَّثنا إبراهيمُ بْنُ موسَى بْنِ جَمِيلٍ، قال: حدَّثنا

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٢).

عبد اللَّه بن محمَّد بن أبي الدنيا، قال: حدثنا العَتَكِيُّ. قال: حدثنا خالد أبو يزيد الرَّقِّيُّ عن يحيى المَدَنِيِّ، عن سالِم بْنِ عبد اللَّه عن أبيه قال: خرجْتُ مرةً، فمرزْتُ بِقَبْرٍ مِنْ قُبُورِ الجاهِلِيَّةِ، فإذا رجلٌ قد خرج من القَبْرِ، يَتَأَجَّجُ ناراً، في عُنُقِهِ سلسلةٌ، ومعي إدَاوَةٌ مِنْ مَاءٍ، فَلَمَّا رآني قال: يَا عَبْدَ اللَّهِ، ٱسْقِنِي، قال: فَقُلْتُ: عَرَّفَنِي، فَدَعَانِي بِٱسْمِي، أو كلمة تقولها العَرَبُ: يا عَبْدِ اللَّهِ، إذْ خَرَجَ عَلَىٰ أَثَرِهِ رَجُلٌ من القَبْرِ، فقال: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لاَ تَسْقِهِ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ، ثُمَّ أَخَذَ السِّلْسِلَةَ فَٱجْتَذَبَهُ، فَأَدْخَلَهُ القَبْرَ. قال: ثم أَضَافَنِي اللَّيْلَ إِلَىٰ بَيْتِ عَجُوزٍ، إِلَىٰ
١٢٧ جَانِبِهَا قَبْرٌ، فسمعتُ مِنَ القَبْرِ صَوْتاً يَقُولُ:/ بَوْلٌ وَمَا بَوْلٌ، شَنٌّ وَمَا شَنٌّ، فقلتُ للعَجُوزِ: ما هٰذَا؟ قالَتْ: كَانَ زَوْجاً لِي، وكان إذَا بَالَ لَمْ يَتَّقِ البَوْلَ، وكُنْتُ أَقُولُ لَهُ: وَيْحَكَ! إنَّ الجَمَلَ إِذَا بَالَ تَفَاجَّ، وكان يَأْبَىٰ، فهو يُنَادِي من يَوْم مَاتَ: بَوْلٌ وَمَا بَوْلٌ، قلتُ: فما الشَّنُّ؟ قالت: جاء رجلٌ عطشانُ فقال: ٱسْقِنِي! فقال: دُونَكَ الشَّنَّ، فإذا لَيْسَ فيه شَيْءٌ؛ فخَرَّ الرَّجُلُ مَيْتاً، فهُو ينادي مُنْذُ مات: شَنٌّ وَمَا شَنٌّ، فلما قَدِمْتُ علَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أخبرتُهُ، فنهَىٰ: أَنْ يُسَافِرَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ. قال أبو عمر: هذا الحديث في إسناده مجهولُونَ، ولم نُورِدْهُ لِلاحتجاجِ به؛ ولكنْ لِلاعتبار، وما لم يكنْ حكم، فقد تسامح الناسُ في روايته عن الضعفاء، انتهى من ترجمة عبد الرحمن بن حَرْمَلَةَ، وكلامه على قول النبي ﷺ: «الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالاثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلاثَةً لَمْ يَهُمَّ بِهِمْ»(١) وقد ذكرنا الحكاية الأولى عن الوَائِلِيِّ في سورة ﴿اقرأ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ بغير هذا السند، وأَنَّ الرجُلَ الأَوَّلَ هو أبو جَهْلٍ، انتهى، ثم ذكر تعالَىٰ مقالة كُفَّارِ يومِ القيامة إذا دَخَلُوا النار؛ فإنَّهم يَرَوْنَ عظيمَ ما حَلَّ بِهِمْ وسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ، فَتَجُولُ أَفكارهم فيمن كان سبب غوايتهم ومبادي ضلالتهم، فيعظم غيظهم وَحَنَقُهُمْ عليه، وَيَوَدُّونَ أَنْ يَحْصُلَ في أشدِّ عذابٍ، فحينئذٍ يقولُونَ: ﴿ربنا أرنا اللذين أضلانا﴾ وظاهر اللفظ يقتضِي أَنَّ الذي في قولهم: ﴿اللذين﴾ إنما هو لِلْجِنْسِ، أي: أَرنا كلَّ مُغْوٍ من الجنِّ والإِنْسِ، وهذا قول جماعة من المفسرين.

وقيل: طلبوا ولد آدم الذي سَنَّ القَتْلَ والمعصية من البَشَرِ، وإبليسَ الأبالسة من
٢٧ ب الجِنِّ، وهذا قولٌ لا يخفَىٰ ضعفه، والأَوَّلُ هو/ القويُّ، وقولهم: ﴿نجعلهُمَا تحت أقدامنا﴾ يريدون في أسفل طبقة في النار؛ وهي أشدُّ عذاباً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟

---

(١) أخرجه مالك (٢/ ٩٧٨) كتاب «الاستئذان» باب: ما جاء في الوحدة في السفر للرجال والنساء (٣٦)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢١٨).
قال الهيثمي: رواه البزار وفيه عبد الرحمٰن بن أبي الزناد وهو ضعيف.

وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا﴾ قال سفيان بن عبد اللّه الثَّقَفِيُّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَخْبِرْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: «قُلْ: رَبِّيَ اللّهُ ثُمَّ ٱسْتَقِمْ»[١].

* ت *: هذا الحديث خَرَّجه مسلم في «صحيحه»، قال صاحب «المُفْهِم»: جوابه ﷺ من جوامع الكَلِم، وكأنَّهُ مُنْتَزَعٌ من قول اللّه تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا...﴾ الآية، وتلخيصه: اعْتَدَلُوا على طاعته قولاً وفعلاً وعقداً، انتهى من «**شرح الأربعين حديثاً**» لابْنِ الفَاكِهَانِيِّ، قال * ع[٢] *: واخْتَلَفَ النَّاسُ في مقتضَىٰ قوله: ﴿ثم استقاموا﴾ فذهب الحَسَنُ وجماعةٌ إِلَىٰ أَنَّ معناه: ٱسْتَقَامُوا بالطاعاتِ وٱجتنابِ المعاصِي، وتلا عُمَرُ ـ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ـ هذه الآية على المِنْبَرِ، ثم قال: استقاموا ـ واللّهِ ـ بطاعتهِ، ولم يروغوا روغانَ الثَّعَالِبِ، قال * ع[٣] *: فذهب ـ رحمه اللّه ـ إلى حَمْلِ الناس على الأَتَمِّ الأفضَلِ، وإِلاَّ فيلزم على هذا التأويل من دليل الخطاب أَلاَّ تتنزل الملائكةُ عِنْدَ الموت على غير مستقيم على الطاعَةِ، وذهب أبو بكرٍ ـ رضي اللّه عنه ـ وجماعةٌ معه إلى أَنَّ المعنَىٰ: ثم: استقامُوا علَىٰ قولهم: رَبُّنَا اللّهُ، فلم يختلَّ توحيدُهُمْ، ولا ٱضطَرَبَ إيمانهم، قال * ع[٤] *: وفي الحديث الصحيح: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه، دَخَلَ الجَنَّةَ»[٥]

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٢) ـ الأبي كتاب «الإيمان» باب: جامع أوصاف الإسلام (٦٢/ ٣٨)، والترمذي (٤/ ٦٠٧) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في حفظ اللسان (٢٤١٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤) كتاب «الفتن» باب: كف اللسان في الفتنة (٣٩٧٢)، والدارمي (٢/ ٢٩٨) كتاب «الرقاق» باب: في حفظ اللسان، وابن حبان (٨/ ٢٣٧) ـ الموارد (٢٥٤٣)، وأخرجه الحاكم (٤/ ٣١٣)، والطبراني (٧/ ٧٨) (٦٣٩٦)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (١/ ٦٥)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٩/ ٢٣٤) (٤٨٧٧).
وأخرجه ابن حبان (٣/ ٢٢١ ـ ٢٢٢) كتاب «الرقائق» باب الأدعية: ذكر ما يجب على المرء من سؤال الباري تعالى الثبات والاستقامة على ما يقربه إليه بفضل اللّه علينا بذلك (٩٤٢)، بلفظ: «قل آمنت باللّه...» الحديث، وأحمد (٣/ ٤١٣).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن سفيان بن عبد اللّه الثقفي.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤).

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤).

(٥) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (١/ ٣٥١، ٥٠٠)، وأبو داود (٢/ ٢٠٧) كتاب «الجنائز» باب: في التلقين برقم: (٣١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٤٧) من حديث معاذ بن جبل. =

وهذا هو الْمُعْتَقَدُ إن شاء اللَّه، وذلك أَنَّ العصاة من أُمَّةِ محمَّد وغيرها فرقتان: فأَمَّا مَنْ
٢٨ أ غفر اللَّه له، وترك تعذيبه، فلا محالة أَنَّه مِمَّن/ تتنزَّل عليهم الملائكة بالبشارة، وهو إِنَّما استقام على توحيده فَقَطْ، وأَمَّا مَنْ قَضَى اللَّهُ بِتَعْذِيبِهِ مُدَّةً، ثم [يأمر] بإدخاله الجَنَّةَ، فلا محالة أَنَّه يلقَىٰ جميعَ ذلك عند مَوْتِهِ وَيَعْلَمُهُ، وليس يَصِحُّ أَنْ تكون حاله كحالة الكافر واليائِسِ مِنْ رحمة اللَّه، وإذا كان هذا فقَدْ حَصَلَتْ له بشارة بأَلاَّ يخاف الخُلُودَ، ولا يحزنَ منه، ويدخلَ فيمن يقال لهم: ﴿أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ ومع هذا كله فلا يختلف في أَنَّ المُوَحِّدَ المستقيمَ عَلَى الطَّاعَةِ أَتَمُّ حالاً وأَكمل بشارةً، وهو مقصد أمير المؤمنين عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ، وبالجملة، فكُلَّما كان المرءُ أَشَدَّ ٱستعداداً، كان أَسْرَعَ فوزاً بفَضْلِ اللَّه تعالَىٰ؛ قال الثعلبيُّ: قوله تعالى: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ أي: عند الموت ﴿أَلاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا﴾ قال وَكِيعٌ: والبُشْرَىٰ في ثلاثة مَوَاطِنَ: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، وفي البخاريِّ: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: عند الموت[١]، انتهى، قال ابن العربيِّ في «أحكامه»[٢]: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ قال المُفَسِّرُونَ: عند الموت، وأنا أقول: كُلَّ يَوْمٍ، وأَوْكَدُ الأيام: يومُ الموت، وحِينَ القَبْرِ، ويَوْمُ الفزع الأكبر، وفي ذلك آثار بَيَّنَّاها في موضعها، انتهى، قال * ع[٣] *: قوله تعالى: ﴿أن لا تخافوا ولا تحزنوا﴾: أَمَنَةٌ عامَّةٌ في كُلِّ هَمٍّ مستأنفٍ، وتسليةٌ تامَّةٌ عن كُلِّ فَائِتٍ مَاضٍ، وقال مجاهدٌ: المعنَىٰ: لا تخافُونَ ما تَقْدُمُونَ عليه، ولا تحزنوا عَلَىٰ ما خلَّفتم من دنياكم.

= قال الحاكم (١/ ٣٥١): هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقد كنت أمليت حكاية أبي زرعة وآخر كلامه كان سياقه هذا الحديث.

قال ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ٢١١) كتاب «الجنائز»، أعله ابن القطان بصالح بن أبي عريب، وأنه لا يعرف، وتعقب بأنه روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في «الثقات».

وفي الباب من حديث أبي هريرة: أخرجه ابن حبان (٢/ ٤٦٣) ـ الموارد (٩١٧) نحوه، وابن حبان (٧/ ٢٧٢) كتاب «الجنائز» باب: فصل في المحتضر، ذكر العلة التي من أجلها أمر بهذا الأمر (٣٠٠٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٣٨٧) كتاب «الجنائز» باب: تلقنة المريض (٦٠٤٥) نحوه.

وأخرجه مختصراً: مسلم (٢/ ٦٣١) كتاب «الجنائز» باب: تلقين الموتى لا إله إلاَّ اللَّه (٢/ ٩١٧)، وأبو يعلى (١١/ ٤٤) (٣٤٤/ ٦١٨٤)، وابن ماجه (١/ ٤٦٤) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في تلقين الميت لا إله إلاّ اللَّه (١٤٤٤)، والبيهقي (٣/ ٣٨٣) كتاب «الجنائز» باب: ما يستحب من تلقين الميت إذا حضر، وابن الجارود في «المنتقى» (١٣٦)، (٥١٣).

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٤١٨) كتاب «التفسير» باب: سورة حمۤ السجدة.
(٢) ينظر: «الأحكام» (٤/ ١٦٦١).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥).

* ت *: وذكر أبو نُعَيم عن ثابتٍ البُنَانيِّ أنَّه قرأ: حم السجدةِ حَتَّىٰ بلغ: ﴿إن الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا تتنزل عليهم/ الملائكة﴾، فوقف، وقال: بلغنا أنَّ العَبْدَ المؤمن حين ٢٨ ب يُبْعَثُ من قبره يتلقَّاه المَلَكَانِ اللَّذانِ كانا معه في الدنيا، فيقولانِ له: لاَ تَخَفْ، ولا تَحْزَنْ، وأبشر بالجنة التي كنت تُوْعَدُ، قال: فَأَمَّنَ اللّه خوفَه، وأَقَرَّ عينه، الحديث[1]. انتهى. قال ابن المبارك في «رقائقه»: سمعتُ سفيانَ يَقُولُ في قوله تعالى: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾: أي عند الموت ﴿ألاَّ تخافوا﴾: ما أمامكم ﴿ولا تحزنوا﴾: على ما خلفتم من ضَيْعَاتِكُمْ ﴿وأبشروا بالجَنَّة التي كنتم توعدون﴾ قال: يُبَشَّرُ[2] بثلاث بشاراتٍ: عند الموت، وإذا خرج من القبر، وإذا فَزِعَ، ﴿نَحْنُ أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ قال: كانوا معهم، قال ابن المبارك: وأخبرنا رَجُلٌ عن منصورٍ، عن مجاهدٍ في قوله تعالَىٰ: ﴿نحن أولياؤُكُمْ في الحياة الدنيا﴾ قال: قُرَنَاؤُهُمْ يلقونهم يوم القيامة، فيقولون: لا نفارقُكُمْ حتَّىٰ تدخلوا الجنة، اهـ.

وقوله تعالى: ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ المتكلم بـ﴿نحن أولياؤكم﴾ هم الملائكة القائلون: ﴿لا تخافوا ولا تحزنوا﴾ أي: يقولون للمؤمنين عند الموت وعند مشاهدة الحق: نحن كُنَّا أولياءَكُمْ في الدنيا، ونحن هُمْ أولياؤكم في الآخرة؛ قال السُّدِّيُّ: المعنى: نحن حَفَظَتُكم في الدنيا، وأولياؤكم في الآخرة[3]، والضمير في قوله: ﴿فيها﴾ عائدٌ على الآخرة، و﴿تدَّعون﴾ معناه: تَطْلُبُونَ؛ قال الفَخْرُ[4]: ومعنى كونِهِمْ أولياءَ للمؤمنين، إشارةٌ إلى أَنَّ للملائكة تأثيراتٍ في الأرواح [البشريَّةِ، بالإلهاماتِ والمُكَاشَفَاتِ اليقينيَّةِ والمناجاتِ الخفيَّةِ؛ كما أَنَّ للشياطينِ تَأْثيراتٍ في الأرواحِ][5] بإلقاء الوَسَاوِسِ، وبالجملة، فَكَوْنُ الملائكةِ أولياءَ للأرواح الطَّيِّبَةِ الطاهرةِ، حاصِلٌ من جهاتٍ كثيرةٍ معلومةٍ لأرباب المكاشفاتِ والمشاهَدَاتِ، فَهُمْ يَقُولُونَ: كما أَنَّ تلك الولاياتِ حاصلةٌ في الدنيا، فهي تكونُ باقيةً في الآخرة؛ فإنَّ تلك العلائِقَ ذاتِيَّةٌ/ لازمة، غير مائلة إلى ٢٩ أ الزوال؛ بل تصير بعد الموت أَقْوَىٰ وأَبقَىٰ؛ وذلك لأَنَّ جوهر النفْسِ من جنس الملائكة، وهي كالشُّعْلَةِ بالنسبة إلى الشمس والقطرة بالنسبة إلى البحر، وإِنَّما التَّعَلُّقَاتُ الجَسَدَانِيَّةُ

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٣)، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٢) في د: يبشرهم.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٠٩) برقم: (٣٠٥٣٨)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٤)، وابن عطية (٥/ ١٥).
(٤) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (١٤/ ١٠٦).
(٥) سقط في: د.

والتدبيراتُ البدنيَّةُ هي الحائلة بَيْنَهَا وبين الملائكة، فإذا زالَتْ تلك العلائِقُ، فقد زَالَ الْغِطَاءُ، واتَّصَلَ الأثر بالمؤثر، والقطرةُ بالبَحْرِ، والشعلةُ بالشمْسِ، انتهى.

* ت *: وقد نقل الثعلبيُّ من كلام أرباب المعاني هنا كلاماً كثيراً حَسَناً جِدًّا، موقظاً لأربابِ الهِمَم، فَٱنْظُرْهُ إنْ شِئْتَ، وروى ابن المبارك في «رقائقه» بسنده عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قال: «إِذَا فَنِيَتْ أَيَّامُ الدُّنيَا عَنْ هَذَا الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ مَنْ يَتَوَفَّاهَا، قَالَ: فَقَالَ صَاحِبَاهُ اللَّذَانِ يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ: إِنَّ هَذَا قَدْ كَانَ لَنَا أَخاً وَصَاحِباً، وَقَدْ حَانَ الْيَوْمَ مِنْهُ فِرَاقٌ، فَأْذَنُوا لَنَا، أَوْ قَالَ: دَعُونَا نُثْنِ عَلَىٰ أَخِينَا، فَيُقَالُ: أَثْنِيَا عَلَيْهِ، فَيَقُولاَنِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً، وَرَضِيَ عَنْكَ، وَغَفَرَ لَكَ، وأَدْخَلَكَ الجَنَّةَ؛ فَنِعْمَ الأَخُ كُنْتَ والصَّاحِبُ؛ مَا كَانَ أَيْسَرَ مُؤْنَتَكَ، وَأَحْسَنَ مَعُونَتَكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ، مَا كَانَتْ خَطَايَاكَ تَمنَعُنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَىٰ رَبِّنَا، فَنُسَبِّحَ بِحَمْدِهِ، وَنُقَدِّسَ لَهُ، وَنَسْجُدَ لَهُ، وَيَقُولُ الَّذِي يَتَوَفَّىٰ نَفْسَهُ: ٱخْرُجْ أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ إِلَىٰ خَيْرِ يَوْم مَرَّ عَلَيْكَ، فَنِعْمَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ، ٱخْرُجْ إِلَى الرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ وَجَنَّاتِ النَّعِيمِ وَرَبٌّ عَلَيْكَ غَيْرِ غَضْبَانَ، وَإِذَا فَنِيَتْ أَيَّامُ الدُّنْيَا عَنِ الْعَبْدِ الْكَافِرِ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ مَنْ يَتَوَفَّاهَا، فَيَقُولُ صَاحِبَاهُ اللَّذَانِ كَانَا يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ عَمَلَهُ: إِنَّ هَذَا قَدْ
٢٩ ب كَانَ لَنَا صَاحِباً، وَقَدْ حَانَ مِنْهُ فِرَاقٌ/، فَأْذَنُوا لَنَا، وَدَعُونَا نُثْنِ عَلَىٰ صَاحِبِنَا، فَيُقَالُ: أَثْنِيَا عَلَيْهِ فَيَقُولاَنِ: لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ عَلَيْهِ، وَلاَ غَفَرَ لَهُ، وَأَدْخَلَهُ النَّارَ فَبِئْسَ الصَّاحِبُ؛ مَا كَانَ أَشَدَّ مُؤْنَتَهُ، وَمَا كَانَ يُعِينُ عَلَىٰ نَفْسِهِ؛ إِنْ كَانَتْ خَطَايَاهُ وَذُنُوبُهُ لَتَمْنَعُنَا أَنْ نَصْعَدَ إِلَىٰ رَبِّنَا فَنُسَبِّحَ لَهُ، وَنُقَدِّسَ لَهُ، وَنَسْجُدَ لَهُ، وَيَقُولُ الَّذِي يَتَوَفَّىٰ نَفْسَهُ: ٱخْرُجْ أَيُّهَا الرُّوحُ الخَبِيثُ إِلَىٰ شَرِّ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ، فَبِئْسَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ، ٱخْرُجْ إِلَى الحَمِيمِ وَتَصْلِيَةِ الجَحِيمِ وَرَبٌّ عَلَيْكَ غَضْبَانُ»[1]، انتهى.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى اللَّه...﴾ الآية ابتداءُ توصيةٍ لنبيِّه ـ عليه السلام ـ، وهو لفظ يَعُمُّ كلَّ مَنْ دعا قديماً وحديثاً إلى اللَّه عزَّ وجلَّ من الأنبياء والمؤمنين، والمعنى: لا أَحَدَ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ هذه حالُهُ، وإلى العمومِ ذهب الحسن

(١) أخرجه نعيم بن حماد في «زوائد الزهد» (٤٠ ـ ٤١) باب: ما يبشر به الميت عند الموت، وثناء الملكين عليه.

ومقاتلٌ وجماعةٌ[١]، وقيل: إنَّ الآية نزلَتْ في المُؤَذِّنينَ، وهذا ضعيفٌ؛ لأَنَّ الآية مَكِّيَّةٌ، والأذانُ شُرِعَ بالمدينةِ، قال أبو حَيّان[٢]: ﴿ولا السيئة﴾ «لا» زائدة للتوكيدِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ آية جَمَعَتْ مكارمَ الأخلاقِ وأنواعَ الحِلْم، والمعنى: ٱدْفَعْ ما يعرض لك مع الناس في مخالطتهم بالفعلة أو بالسيرة التي هي أَحْسَنُ، قال ابن عبَّاس: أمره اللّه تعالَىٰ في هذه الآية بالصَّبْر عند الغَضَبِ، وَالحِلْم عند الجَهْل، والعَفْوِ عِنْدَ الإِسَاءَةِ، فإذا فعل المؤمنُونَ ذلك، عَصَمَهُمُ اللّه من الشيطان، وخضع لهم عَدُوُّهم، ﴿كأنه ولي حميم﴾[٣] البخاريُّ: «وليٌّ حميم» أي: قريب، انتهى،، وفسَّر مجاهدٌ وعطاءٌ هذه الآية بالسَّلاَمِ عند اللِّقاء[٤]، قال * ع[٥] *: ولا شَكَّ أنَّ السلام هو مبدأُ الدَّفْعِ بالتي هي أحسن، وهو جزء منه، والضمير في قوله: ﴿يلقاها﴾ عائد على هذه الخُلُقِ التي يقتضيها قوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾، وقالت فرقة:/ المراد: وما يُلَقَّى «لاَ ١٣٠أ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»، وهذا تفسير لا يقتضيه اللفظ.

وقوله سبحانه: ﴿إلا الذين صبروا﴾: مدح بليغ للصابرين، وذلك بَيِّنٌ للمتأمِّلِ؛ لأنَّ الصَّبْرَ على الطاعات وعنِ الشهوات جامع لخصَالِ الْخَيْر كلِّها، والحظُّ العظيمُ: يَحْتَمِلُ أن يريد من العقل والفضلِ؛ فتكونَ الآية مدحاً لِلْمُتَّصِفِ بذلك، ويحتمل أن يريد: ذو حظ عظيم من الجنة وثواب الآخرة، فتكونَ الآية وعداً، وبالجنة فسر قتادةُ الحَظَّ هنا[٦].

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا

(١) أخرجه الطبري (١١/١٠٩ ـ ١١٠) برقم: (٣٠٥٣٩) عن الحسن، و (٣٠٥٤٠) عن قتادة بنحوه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/١١٤) عن الحسن، وابن عطية (٥/١٥).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٧/٤٧٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/١١١) برقم: (٣٠٥٤٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/١١٥)، وابن عطية في «تفسيره» (٥/١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٨٥)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١١/١١١) برقم: (٣٠٥٤٥ ـ ٣٠٥٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٨٥)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/١٦).

(٦) أخرجه الطبري (١١/١١٢) برقم: (٣٠٥٤٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/١١٥)، وابن عطية (٥/١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٨٥)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.

يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾ «إمَّا»: شرطٌ وجوابُ الشرطِ قوله: ﴿فاستعذ﴾ والنَّزْغُ: فِعْلُ الشيطانِ في قَلْبٍ أو يدٍ من إلقاءِ غَضَبٍ، أو حقدٍ، أو بطشٍ في اليد.

فمن الغضب هذه الآية، ومن الحقد قوله: ﴿نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، ومن البَطْشِ قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «لاَ يُشِرْ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ؛ لاَ يَنْزَغُ الشَّيْطَانُ فِي يَدِهِ فَيُلْقِيَهُ فِي حُفْرَةٍ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»[١]. ومن دعاء الشيخ الوليِّ العارف بالله سبحانه، محمَّد بن مَسَرَّة القُرْطُبِيِّ: اللَّهُمَّ، لاَ تَجْعَلْ صدري للشيطان مَرَاغاً، ولا تُصَيِّرْ قلبي له مجالاً، ولا تَجْعَلْنِي، مِمَّنِ استفزَّهُ بصوته، وأجلب عليه بخيله ورَجْلِهِ، وكُنْ لي من حبائله مُنْجِياً، ومن مصائده مُنْقِذاً، ومن غَوَايَتِهِ مُبْعِداً، اللهم إنَّه وَسْوَسَ في القلب، وألقى في النَّفْس ما لا يطيقُ اللِسانُ ذِكْرَهُ، ولا تستطيعُ النَّفْس نشره مِمَّا نَزَّهَك عنه عُلُوُّ عِزِّكَ، وسُمُوُّ مجدك، فَأَزِلْ يا سيِّدِي ما سَطَرَ، وأَمْحُ ما زَوَّرَ بوَابِلِ من سحائِبِ عَظَمَتِكَ وطُوفَانٍ مِنْ بِحَارِ نُصْرَتِكَ، وأَسْلُلْ عليه سيفَ إبعادك، وأرْشُقْهُ بسهام إقصائِكَ، وأحرِقْهُ بنار
٣٠ ب / أنتقامِكَ، واجعل خَلاَصِي منه زائداً في حُزْنِهِ، وَمُؤَكِّداً لأسفه، ثم قال رحمه الله: اعلم أنَّه ربما كان العبد في خَلْوَتِهِ مشتغلاً بتلاوته، ويجدُ في نفسه من الوسوسة ما يحولُ بينه وبين رَبِّه، حتى لا يَجِدَ لطعم الذِّكْرِ حلاوةً، ويجدَ في قلبه قساوةً، وربما اعتراه ذلك مع الاجتهاد في قراءته؛ وعِلَّةُ ذلك أَنَّ الذِّكْرَ ذِكْرَانِ: ذكرُ خَوْفٍ ورهبةٍ، وذِكْرُ أَمْنٍ وغفلةٍ، فإذا كان [الذِّكْرُ بالخَوْفِ والرهبة، خَنَسَ الشيطانُ، ولم يحتملِ الحَمْلَةَ، وأذهب الوسوسة؛ لأنَّ الذكر إذا كان][٢] باجتماع القلب وصِدْقِ النية، لم يكُنْ للشيطانِ قُوَّةٌ عند ذلك، وانقطعَتْ علائقُ حِيَلِهِ؛ وإِنَّما قُوَّتُهُ ووسوستُهُ مع الغَفْلَة، وإذا كان [الذِّكْرُ بالأَمْنِ والغَفْلَةِ لَمْ تفارقْهُ الوَسْوَسَةُ، وإِنِ أستدام العَبْدُ الذِّكْرَ والقراءةَ؛ لأَنَّ على قلب الغافلِ غشاوةً؛ ولا يجد][٣] صاحبها لطعم الذكرِ حلاوةً، فَتَحَفَّظْ على دينك من هذا العَدُوِّ، وليس لك أن تزيله عن

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦) كتاب «الفتن» باب: قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا» (٧٠٧٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٠) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم (١٦/ ٢٦١٧)، وأحمد (٢/ ٣١٧).

(٢) سقط في: د.

(٣) سقط في: د.

مرتبته، ولا أَنْ تزيحَهُ عن وطنه، وإنما أُبيحَ لك مجاهدته، فاستعنْ باللَّه يُعِنْك، وثِقْ باللَّه؛ فإنَّهُ لا يَخْذُلُكَ؛ قال تعالَىٰ: ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، انتهى من تصنيفه ـ رحمه اللَّه ـ.

وندب سبحانه في الآية المتقدمة إلى الأخذ بمكارم الأخلاق، ووعد على ذلك، وعَلِمَ سبحانه أَنَّ خِلْقَةَ البشر تغلب أحياناً وتَثُورُ بِهِمْ سَوْرَةُ الغضب ونَزْغُ الشيطان؛ فَدَلَّهُمْ في هذه الآية على ما يُذْهِبُ ذلك، وهي الاستعاذة به عزَّ وجلَّ، ثم عَدَّدَ سبحانه آياته؛ ليعتبر فيها، فقال: ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر﴾، ثم قال تعالى: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾: وإنْ كانت لكم فيهما منافع؛ لأَنَّ النفع منهما إنَّما هو بتسخير اللَّهِ إيَّاهما، فهو الذي ينبغي أَنْ يُسْجَدَ له، والضمير في ﴿خلقهن﴾ قيل: هو عائد على الآيات المتقدم ذكرُهَا، وقيل: عائد على الشمس والقمر، والاثنان جمع، وأيضاً جمع ما لاَ يَعْقِلُ يُؤنَّثُ/ ، فلذلك قال: ﴿خلقهن﴾ ومن حيث يقال: شُمُوسٌ وأقمار؛ لاِختلافهما بالأَيَّامِ ساغ أنْ يعود الضميرُ مجموعاً، وقيل: هو عائد على الأربعة المذكورة. ٣١ أ

* ت *: ومن كتاب «**المستغيثين باللَّه**» لأبي القاسم بن بَشْكَوَال حَدَّثَ بسنده إلى أَنس بن مالك، قال: تقرأ «حم السجدة»، وتَسْجُدُ عند السجدة، وتَدْعُو؛ فإنَّه يُسْتَجَابُ لك، قال الراوي: وَجَرَّبْتُهُ فوجدته مُسْتَجاباً، انتهى،، ثم خاطب جل وعلا نَبِيَّهُ ـ عليه السلام ـ بما يتضمَّن وعيدهم وحقارَة أمرهم، وأَنَّهُ سبحانه غَنِيٌّ عن عبادتهم بقوله: ﴿فإن استكبروا...﴾ الآية، وقوله: ﴿فالذين﴾ يعني بهم الملائكة هم صَافُّونَ يسبحون، و﴿عند﴾ هنا ليست بظرف مكان؛ وإنَّما هي بمعنى المنزلة والقربةِ؛ [كما تقول: زَيْدٌ عِنْدَ الْمَلِكِ جليلٌ، ويُرْوَىٰ أَنَّ تَسبيحَ الملائكة قد صار لهم كالنَّفْسِ لبني آدم، ﴿ولا يسئمون﴾ معناه: لا][(١)] يَملُّون، ثم ذكر تعالى آيةً منصوبةً؛ ليعتبر بها في أمر البعث من القبور، ويستدِلَّ بما شُوهِدَ من هذه علَىٰ ما لم يُشَاهَدْ، فقال: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة...﴾ الآية، وخشوع الأرض هو ما يظهر عليها من استكانة وشَعَثٍ بالجَدْبِ، فهي عابسةٌ كما الخاشِعُ عَابِسٌ يكاد يَبْكِي، واْهتزازُ الأرض: هو تَخَلْخُلُ أَجْزَائِهَا وَتَشَقُّقُهَا للنبات، ورُبُوُّهَا: هو انتفاخها بالماء وعُلُوُّ سطحِها به، وعبارة البخاريِّ: اهتزت بالنبات، ورَبَت: ارتفعَت اهـ، ثم ذكر تعالَىٰ بالأمر الذي ينبغي أنْ يُقَاسَ على هذه الآية، والعبرة، وذلك إحياء الموتى، فقال: ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾ والشيء في اللغة: الموجود.

---

(١) سقط في: د.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين يلحدون في ءاياتنا لا يخفون علينا...﴾ الآية، آيةُ وعيدٍ،

٣١ ب والإلحاد: المَيْلُ، وهو هنا ميل عن الحَقِّ؛/ ومنه لَحدُ المَيِّتِ؛ لأنَّه في جانب، يقال: لَحَدَ الرَّجُلُ، وألحد بمَعْنًى.

وٱخْتُلِفَ في إلحادهم هذا: ما هو؟ فقال قتادة وغيره: هو إلحاد بالتكذيب[(١)]، وقال مجاهد وغيره[(٢)]: هو بالمُكَاءِ والصفير واللغو الذي ذهبوا إليه، وقال ابن عباس: إلحادهم: وَضْعُهُمْ للكلاَمِ غَيْرَ موضعه، ولفظة[(٣)] الإلحاد تَعُمُّ هذا كُلَّه، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ وعيدٌ في صيغة الأمر؛ بإجماع من أهل العلم.

وقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بالذكر...﴾ الآية: يريد بـ﴿الذين كفروا﴾ قريشاً، و﴿الذكر﴾: القرآن؛ بإجماع.

واختُلِفَ في الخبر عنهم: أين هو؟ فقالت فرقة: هو في قوله: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ [فصلت: ٤٤]، ورُدَّ بكثرة الحائل، وأنَّ هنالك قوماً قد ذكروا بحسن رد قوله: «أولئك ينادون عليهم»، وقالت فرقة: الخبر مُضمَرٌ، تقديره: إنَّ الذين كفروا بالذكر لما جاءهم، هَلَكُوا أو ضَلُّوا، وقيل: الخبر في قوله: ﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ وهذا ضعيف لا يتجه، وقال عمرو بن عُبَيْدٍ: معناه في التفسير: إنَّ الذين كفروا بالذِّكْرِ لما جاءهم كفروا به، وإنه لكتاب عزيز؛ قال * ع[(٤)] *: والذي يَحْسُنُ في هذا هو إضمار الخبر، ولكِنَّهُ عند قوم في غير هذا الموضع الذي قدَّره هؤلاء فيه؛ وإِنَّما هو بعد ﴿حكيم حميد﴾، وهو أَشَدُّ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١١٥) برقم: (٣٠٥٦٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٦)، وابن عطية (٥/ ١٨)، وابن كثير (٤/ ١٠٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١١٥) برقم: (٣٠٥٦١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٦)، وابن عطية (٥/ ١٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١١٥) برقم: (٣٠٥٦٥)، وابن عطية (٥/ ١٨)، وابن كثير (٤/ ١٠٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٧)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٧/ ١٩).

إظهاراً لِمَذَمَّةِ الكُفَّارِ به؛ وذلك لأنَّ قوله: ﴿وإنه لكتاب﴾ داخل في صفة الذكر المُكَذَّبِ بِهِ؛ فلم يتم ذكر المُخْبَر عنه إلاَّ بعد استيفاء وصفِهِ، ووصفَ اللّه تعالى الكتابَ بالعِزَّةِ؛ لأنه بصحة معانيه مُمْتَنِعٌ الطَّعْنُ فيه والإزراء عليه، وهو محفوظ من اللّه تعالى؛ قال ابن عباس: معناه: كريمٌ على اللّه تعالى[1].

٣٢ أ وقوله تعالى: ﴿لا يأتيه/ الباطل﴾ قال قتادة والسُّدِّيُّ: يريد: الشيطان[2]، وظاهر اللفظَ يَعُمُّ الشيطان، وأنْ يجيء أمْرٌ يُبْطِلُ منه شَيْئاً.

وقوله: ﴿من بين يديه﴾ معناه: ليس فيما تقدم من الكتب ما يُبْطِلُ شَيْئاً منه.

وقوله: ﴿ولا من خلفه﴾ أي: ليس يأتي بعده من نَظَرِ ناظر وفِكْرَةِ عاقل ما يبطل شيئاً منه، والمراد باللفظة عل الجملة: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات.

وقوله: ﴿تنزيل﴾ خبر مبتدإٍ، أي: هو تنزيلٌ.

وقوله تعالى: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾: يحتمل معنيين:

أحدهما: أنْ يكون تسليةً للنبيِّ ﷺ عن مقالات، قومه وما يلقَاهُ من المكروه منهم.

والثاني: أنْ يكون المعنَىٰ: ما يقال لك من الوحي، وتُخَاطَبُ به من جهة اللّه تعالى إلاَّ ما قد قيل للرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً...﴾ الآية، الأَعْجَمِيُّ: هو الذي لا يفصح، عربيًا كان أو غير عربيٍّ، والعَجَمِيُّ: الذي ليس من العرب، فصيحاً كان أو غيرَ فصيحٍ، والمعنى: ولو جعلنا هذا القرآن أعجميًا، لا يبين لقالوا واعترضوا: لولا بينت

---

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٦)، وابن عطية (٥/ ١٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١١٧) برقم: (٣٠٥٧١ ـ ٣٠٥٧٢)، وذكره البغوي (٤/ ١١٦)، وابن عطية (٥/ ١٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٨٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن الضريس.

آياته، وهذه الآية نزلت بسبب تخليطٍ كان من قريش في أقوالهم من أجل حروف وقعت في القرآن، وهي مِمَّا عُرِّبَ من كلام العجم؛ كسِجِّينٍ وإِسْتَبْرَق ونحوه، **وقرأ** الجمهور: ﴿ءأعجمي وعربي﴾ على الاستفهام وهمزة ممدودة قبل الألف، وقَرَأَ حمزةُ والكسائيُّ وحَفْصٌ: «أَأَعْجَمِيٌّ» بهمزتين[١]، وكأنهم يُنْكِرُونَ ذلك، ويقولون: أأعجمي وعربي مُخْتَلِطٌ؟ هذا لا يحسن [ثم قال تعالى][٢]: ﴿قل هو﴾ يعني القرآن ﴿للذين آمنوا هدى
٣٢ ب وشفاء﴾ واختلف الناس في قوله: ﴿وهو عليهم/ عمى﴾ فقالت فرقة: يريد بـ«هو» القرآن، وقالت فرقة يريد بـ«هو» الوَقْرَ، وهذه كلُّها استعاراتٌ، والمعنى: أَنَّهم كالأعمى وصاحب الوقر؛ وهو الثِّقْلُ في الأذن، المانِعُ من السمع؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ يحتمل معنيين، وكلاهما مَقُولٌ للمفسِّرين:

أحدهما: أنَّها استعارة لِقِلَّة فِهمهم، شَبَّهَهُمْ بالرجل ينادَىٰ على بُعْدٍ، يَسْمَعُ منه الصوت، ولا يفهمُ تفاصيلَهُ ولا معانيه، وهذا تأويلُ مجاهد[٣].

والآخر: أنَّ الكلام على الحقيقة، وأنَّ معناه: أَنَّهم يوم القيامة يُنَادَوْنَ بكفرهم وقبيح أعمالهم من بعد؛ حتى يَسْمَعَ ذلك أهلُ الموقف؛ ليُفْضَحُوا على رؤوس الخلائق، ويكونَ أعظمَ لتوبيخهم؛ وهذا تأويل الضَّحَّاكِ[٤].

قال أبو حَيَّان[٥]: ﴿عمًى﴾ ـ بفتح الميم ـ مصدر عَمِيَ، انتهى.

ثم ضرب الله تعالى أمر موسَىٰ مثلاً للنبي ـ عليه السلام ـ ولقريش، أي: فَعَلَ أولئك كأفعال هؤلاء، حين جاءهم مِثْلُ ما جاء هؤلاءِ، والكلمةُ السابقةُ هي حَتْمُ اللَّهِ تعالى بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة، والضمير في قوله: ﴿لفي شكٍّ منه﴾ يحتمل أنْ يعودَ على موسى، أو على كتابه.

وقوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه...﴾ الآية: نصيحةٌ بليغةٌ لِلْعَالَمِ، وتحذيرٌ وترجيَةٌ.

---

(١) بل قراءة عاصم بالهمزتين، إنما هي من رواية أبي بكر عنه، لامن رواية حفص، وقرأ الأخير بالمد كقراءة الباقين.
ينظر: «**السبعة**» (٥٧٦)، و«**الحجة**» (٦/ ١١٩)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٧٨)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٥٢)، و«**العنوان**» (١٦٩)، و«**حجة القراءات**» (٦٣٧)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٤٤).

(٢) سقط في: د.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٠) برقم: (٣٠٥٨٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١)، وابن كثير (٤/ ١٠٣).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٠) برقم: (٣٠٥٩٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١).

(٥) ينظر: «**البحر المحيط**» (٧/ ٤٨١).

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إليه يرد علم الساعة...﴾ الآية، المعنى: إنَّ علم الساعة ووقتَ مجيئها يَرُدُّهُ كُلُّ مؤمِنٍ متكلِّم فيه إلى الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم أين شركائي...﴾ الآية، التقدير: واذكر يوم يناديهم، والضمير في ﴿ينادِيهم﴾ الأظهر والأسبق فيه للفهم: أنَّه يريد الكفارَ عَبَدَةَ الأوثان، ويحتمل
١٣٣ أ أنْ يريد كُلَّ مَنْ عُبِدَ من دون الله من إنسانٍ وغَيْرِهِ، وفي هذا ضَعفٌ، وأَمَّا الضمير/ في قوله: ﴿وضلَّ عنهم﴾ فلا احتمالَ لِعَوْدَتِهِ إلاَّ على الكفار، و﴿ءاذنَّاك﴾ قال ابن عباس وغيره: معناه: أعلمناك ما مِنَّا مَنْ يشهدُ، ولا مَنْ شَهِدَ بأنَّ لك شريكاً ﴿وضل عنهم﴾ أي: نَسُوا ما كانوا يقولُونَ في الدنيا، ويَدْعُونَ من الآلهة والأصنام، ويحتمل أن يريد: وضَلَّ عنهم الأصنام، أي: تلفت، فلم يجدوا منها نَصْراً، وتلاشَىٰ لهم أمْرُهَا.

وقوله: ﴿وظنوا﴾ يحتمل أنْ يكونَ متَّصِلاً بما قبله، ويكون الوقْفُ عليه، ويكون قوله: ﴿ما لهم مِنْ محيص﴾ استئنافاً، نفَى أنْ يكُونَ لهم مَلْجَأٌ أو موضِعَ رَوَغَانٍ، تقول: حَاصَ الرَّجُلُ: إذَا رَاغَ لِطَلَبِ النجاةِ مِنْ شَيْءٍ؛ ومنه الحديثُ: «فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ»[(١)]، ويكونَ الظَّنُّ على هذا التأويل على بابه، أي: ظَنُّوا أنَّ هذه المقالة ﴿ما مِنَّا من شهيد﴾ مَنْجَاةٌ لهم، أو أمر يموِّهون به، ويحتمل أنْ يكون الوقف في قوله: ﴿من قبل﴾، ويكون ﴿وظنوا﴾ متصلاً بقوله: ﴿ما لهم من محيص﴾ أي: ظنوا ذلك، ويكون الظن على هذا التأويل بمعنى اليقين، وقد تقدَّم البحثُ في إطلاق الظن على اليقين.

* ت *: وهذا التأويلُ هو الظاهرُ، والأوّلُ بعيدٌ جدًّا.

وقوله تعالى: ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ هذه آياتٌ نزلَتْ في كُفَّارٍ، قيل: في

---

(١) أخرجه البخاري (١/٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤) كتاب «بدء الوحي» باب: (٦) (٧)، (٨/٦٢ ـ ٦٣)، كتاب «التفسير» باب: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله﴾ (٤٥٥٣).

الوليد بن المُغِيرَةِ، وقيل: في عُتْبَةَ بنِ رَبِيعَةَ، وجُلُّ الآية يُعْطِي أَنَّها نزلَتْ في كُفَّارٍ، وإنْ كان أَوَّلُها يتضمن خُلُقاً ربما شارك فيها بَعْضُ المؤمنين.

و﴿دعاء الخير﴾ إضافته إضافة المصدر إلى المفعول، وفي مصحف ابن مسعود[١]: «مِنْ دُعَاءٍ بِالْخَيْرِ» والخيرُ في هذه الآية المالُ والصحَّةُ، وبذلك تليق الآية بالكفَّار.

٣٣ ب وقوله تعالى: ﴿ليقولن هذا لي﴾ أي: بعملي وبما سعيت/ ولا يرى أَنَّ النِّعَمَ إنَّما هي فَضْلٌ من اللَّهِ تعالَىٰ؛ قال * ص *: ﴿ليقولن﴾ قال أبو البقاءِ: هو جَوَابُ الشَّرْطِ، والفاء محذوفةٌ، وقيل: هو جوابُ قَسَم محذوفٍ، قال * ص *: قُلْتُ: هذا هو الحَقُّ، والأَوَّلُ غلَطٌ؛ لأنَّ القَسَمَ قد تقدَّم في قوله: ﴿ولئن﴾ فالجواب له، ولأَنَّ حذف الفاء في الجواب لا يجوزُ، انتهى، وفي تغليط الصَّفَاقُسِيِّ لأبي البقاء نظر.

وقوله: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ قولٌ بَيِّنٌ فيه الجَحْدُ والكُفْر، ثم يقول هذا الكافر: ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾: كما تقولُونَ: «إن لي عنده للحسنى» أي: حالاً ترضيني من مال، وبنين، وغيرِ ذلك، قال * ع[٢] *: والأمانيُّ على اللَّه تعالى، وتركُ الجِدِّ في الطاعةِ مذمومٌ لكُلِّ أحد؛ فقد قال عليه السلام: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنِ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَى اللَّهِ»[٣].

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأىٰ بجانبه...﴾ الآية، ذَكَرَ سبحانه الخُلُقَ الذميمة من الإنسان جملةً، وهي في الكافر بَيِّنَةٌ متمكِّنة، وأَمَّا المُؤْمِنُ، ففي الأغلب يَشْكُرُ على النعمة، وكثيراً ما يصبر عند الشدة، و﴿نَأَىٰ﴾ معناه: بَعُدَ ولم يَمِلْ إلَىٰ شُكْرٍ ولا طَاعَةٍ.

وقوله: ﴿فذو دعاءٍ عريضٍ﴾ أي: وطويلٍ أيضاً، وعبارةُ الثعلبيِّ: ﴿عريض﴾ أي:

---

(١) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٥)، و«الكشاف» (٤/ ٢٠٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢)، و«البحر المحيط» (٧/ ٤٨٢)، و«الدر المصون» (٦/ ٧١).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢).

(٣) تقدم.

كثير، والعربُ تستعملُ الطُّولَ والعَرْضَ كليهما في الكَثرة من الكلام، انتهى.

ثم أمر تعالى نبيَّهُ أنْ يوقِّف قريشاً على هذا الاحتجاج، وموضع تغريرهم بأنفسهِم، فقال: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند اللَّه﴾، وخالفتموه ألستم على هلكة؟ فمن أَضَلُّ مِمَّنْ يبقى عَلَىٰ مِثْلِ هذا الغَرَرِ مَعَ اللَّهِ؛ وهذا هو الشِّقَاقُ؛ ثم وعد تعالى/ نَبِيَّهُ ـ عليه السلام ـ ١٣٤ أ بأَنَّهُ سَيُرِي الكُفَّارَ آياته، واْخْتُلِفَ في معنى قوله سبحانه: ﴿في الآفاق وفي أنفسهم﴾ فقال المِنْهَالُ والسُّدِّيُّ وجماعةٌ: هو وَعْدٌ بما يفتحه اللَّه علَىٰ رسوله من الأقطارِ حَوْلَ مَكَّةَ، وفي غيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَرْضِ؛ كخَيْبَرَ ونحوها ﴿وفي أنفسهم﴾: أراد به فَتْحَ مَكَّةَ[١]؛ قال * ع[٢] *: وهذا تأويلٌ حَسَنٌ، يتضمَّن الإعلام بِغَيْبٍ ظَهَرَ بَعْدَ ذلك، وقال قتادةُ والضَّحَّاكُ ﴿سنريهم آياتِنَا في الآفاق﴾: هو ما أصاب الأُمَمَ المُكَذِّبَةَ في أقطار الأرض قديماً[٣]، ﴿وفي أنفسهم﴾: يوم بدر، والتأويلُ الأَوَّلُ أرْجَحُ، واللَّه أعلم، والضمير في قوله تعالى: ﴿أنه الحق﴾ عائد على الشرع والقرآن فبإظهار اللَّهِ نَبِيَّهُ وفتحِ البلاد عليه يتبيَّن لهم أنَّه الحَقُّ.

وقوله: ﴿بربك﴾ قال أبو حَيَّان[٤]: الباء زائدة، وهو فاعل ﴿يَكْفِ﴾ أي: أو لَمْ يَكْفِهِمْ رَبُّكَ، انتهى، وباقي الآية بَيِّنٌ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٢٥) برقم: (٣٠٦٠٤) عن السدي، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣)، وابن كثير (٤/ ١٠٥).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣).

(٣) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٨) عن مجاهد، والحسن، والسدي، والكلبي، وابن عطية (٥/ ١١٨).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٨٣).

تفسير سورة الشورى

وهي مكية

وقال مُقَاتِلٌ: فيها مدني [قوله تعالى: ﴿ذلك الذي يبشر اللّه عباده﴾ إلى ﴿الصدور﴾][١].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ قال الثعلبيُّ: قال ابن عباس: إنَّ ﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ هذه الحروف بأعيانِهَا نزلَتْ في كُلِّ كُتُبِ اللّهِ المُنَزَّلَةِ علَى كُلِّ نَبِيٍّ أُنزِلَ عليه كتاب؛ ولذلك قال تعالى: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾[٢]، **وقرأ** الجمهور: ﴿يُوحِي﴾ بإسناد الفعل إلى اللّه تعالى، **وقرأ** ابن كثير وحده: «يوحَى» ـ بفتح الحاء ـ على بناء الفعل لِلْمَفْعُولِ[٣]، والتقدير: يُوحِي إليكَ القرآنَ.

٣٤ ب وقوله تعالى: ﴿وإلى الذين من قبلك﴾: يريدُ من الأنبياءِ الذين نَزَلَ عليهم/ الكتابُ، **وقرأ** نافع والكسائيُّ «يَتَفَطَّرْنَ»، **وقرأ** أبو عمرو، وعاصم: «يَنْفَطِرْنَ»[٤] والمعنى فيهما: يتصدَّعْنَ ويتشقَّقْنَ، خضوعاً وخشيةً من اللّه تعالى، وتعظيماً وطاعةً.

---

(١) سقط في: د.

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥).

(٣) ينظر: «**السبعة**» (٥٨٠)، و«**الحجة**» (٦/ ١٢٦)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٨١)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٥٥)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٢١٢)، و«**العنوان**» (١٧٠)، و«**حجة القراءات**» (٦٣٩)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٤)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٤٨).

(٤) يعني من رواية أبي بكر، وأما رواية حفص فمثل الباقين.
ينظر: «**السبعة**» (٥٨٠)، و«**الحجة**» (٦/ ١٢٧)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٨٣)، و«**العنوان**» (١٧٠)، و«**حجة القراءات**» (٦٤٠)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٤٨).

وقوله: ﴿من فوقهن﴾ أي: من أعلاهن، وقال الأخفشُ، عليُّ بْنُ سُلَيْمَان: الضمير في ﴿من فوقهنَّ﴾ للكُفَّار، أي: من فوق الجماعاتِ الكافرةِ والفِرَقِ المُلْحِدَةِ مِنْ أجْلِ أقوالها تَكادُ السَّمٰواتُ يتفطَّرْنَ، فهذه الآية على هذا كالتي في «كهيعص»: ﴿تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ [مريم: ٩٠] الآية، وقالت فرقة: معناه: من فوق الأرضين، إِذْ قد جَرَىٰ ذِكْرُ الأرض.

وقوله تعالى: ﴿ويستَغْفِرُونَ لمن في الأرض﴾ قالَتْ فرقةٌ: هذا منسوخٌ بقوله تعالى: ﴿ويستغفرون للذِين آمنوا﴾ [غافر: ٧] قال * ع[١] *: وهذا قولٌ ضعيفٌ، لأَنَّ النَّسْخ في الأخبار لاَ يُتَصَوَّرُ، وقال السُّدِّيُّ ما معناه: إنَّ ظاهر الآية العمومُ، ومعناها الخصوصُ في المؤمنين، فكأنَّه قال: ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين[٢]، وقالت فرقة: بل هِيَ علَىٰ عمومها: لكنَّ استغفارَ الملائكة ليس بطَلَبِ غفرانٍ للكفرة مَعَ بقائهم على كُفْرهم، وإِنَّما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية التي تُؤَدِّي إلى الغفران لهم، وتأويل السُّدِّيِّ أرجحُ.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَالظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء اللّه حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل﴾ هذه آية تسليةٍ للنبيِّ ﷺ ووعيد للكافرين، والمعنى: ليس عليك إلاَّ البلاغ فقطْ، فلا تَهْتَمَّ بعدم إيمان قريشٍ وغيرهم، اللّه هو الحفيظُ عليهم كُفْرَهُمْ المُحْصِي لأعمالهم، المُجَازِي عليها، وأَنْتَ لَسْتَ بوكيلٍ عليهم، وما في هذه الألفاظِ مِنْ موادَعَةٍ فمنسوخٌ؛ قال
١٣٥ أ الإمام الفَخْرُ في شرحه لأسماء الله/ الحسنى، عند كلامه على اسمه سبحانه «الحفيظ»: قال بعضهم: ما من عبد حَفِظَ جوارِحَه إلاَّ حَفِظَ اللّه عليه قَلْبَهُ، وما من عبد حَفِظَ اللّهُ عليه قلبه إلاَّ جعله حُجَّةً على عباده، انتهى، ثم قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً [المعنى: وكما قضينا أمرك هكذا، وأمضيناه في هذه السورةِ كذلك أوحينا إليك قرآناً عربيًّا][٣] مبيناً لهم، لا يحتاجُونَ إِلَىٰ آخَرَ سِوَاهُ؛ إِذْ فَهْمُهُ مُتَأَتٍّ لَهُمْ، ولم نكلِّفْكَ إلاَّ إنذار مَنْ ذكر، و﴿أم القرى﴾ هي مكة، و﴿يوم الجمع﴾ هو يوم القيامة، أي: تخوفهم إيَّاهُ.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٦).
(٢) أخرجه الطبري (١١/١٢٩) برقم: (٣٠٦١٥).
(٣) سقط في: د.

وقوله: ﴿فريق﴾ مرتفِعٌ على خبر الابتداء المُضْمَرِ؛ كأنَّه قال: هُمْ فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السَّعِيرِ، ثم قَوَّىٰ تعالى تسليةَ نَبِيِّه بأَنْ عَرَّفَه أَنَّ الأمر موقوفٌ على مشيئة اللَّه من إِيمانهم أو كُفْرهم، وأنَّه لو أراد كونهم أُمَّةً واحدةً على دينٍ واحدٍ، لجمعهم عليه؛ ولكِنَّه سبحانه يدخل مَنْ سبقَتْ له السعادةُ عنده في رحمته، ويُيَسِّره في الدنيا لعمل أهل السعادة، وأنَّ الظالمين بالكفر المُيَسَّرينَ لعمل الشقاوة ما لهم من ولي ولا نصير، قال عبدُ الحَقِّ ـ رحمه اللَّه ـ في «**العاقبة**»: وقد علمتَ (رحمك اللَّه) أَنَّ الناس يوم القيامة صنفان:

صنف مُقَرَّبٌ مُصَانٌ.

وآخر مُبْعَدٌ مُهَانٌ.

صنف نُصِبَت لهم الأَسِرَّة والحِجَال؛ والأرائكُ والكِلاَل؛ وجُمِعَتْ لَهُمُ الرغائبُ والآمالُ.

وآخَرُونَ أُعِدَّتْ لهم الأراقمُ والصِّلاَلِ؛ والمقامعُ والأغلالِ؛ وضروبُ الأهوال والأَنْكَال، وأنتَ لا تعلم من أيِّهما أنتَ؛ ولا في أيِّ الفريقَيْن كُنْتَ: [الكامل]

نَزَلُوا بِمَكَّةَ في قَبَائِلِ نَوْفَلِ ... وَنَزَلْتُ بِالْبَيْدَاءِ أَبْعَدَ مَنْزِلِ
وَتَقَلَّبُوا فَرِحِينَ تَحْتَ ظِلاَلِهَا ... وَطُرِحْتُ بِالصَّحْرَاءِ غَيْرَ مُظَلَّلِ
٣٥ ب وَسُقُوا مِنَ الصَّافِي الْمُعَتَّقِ رِيُّهُمْ ... وَسُقِيتُ دَمْعَةَ/ وَالِهٍ مُتَمَلْمِلِ

بكى سفيانُ الثوريُّ ـ رحمه اللَّه ـ ليلةً إِلى الصَّبَاحِ، فقيل له: أبكاؤك هذا على الذنوب؟ فأخذ تِبْنَةً من الأرض، وقال: الذنوبُ أَهْوَنُ من هذا؛ إِنَّما أَبْكِي؛ خوفَ الخاتمةِ، وبَكَى سفيان، وغير سفيان، وَإِنَّهُ لَلأَمْر يُبْكَىٰ عليه؛ وَيصرف الاهتمام كلّه إِليه.

وقد قيل: لا تَكُفَّ دَمْعَك؛ حَتَّىٰ تَرَىٰ في المعاد رَبْعَك.

وقيل: يابْنَ آدم، الأقلام عليك تَجْرِي؛ وأَنْتَ في غفلة لا تَدْرِي، يابْنَ آدمَ دَع التنافُسَ في هذه الدار؛ حتى تَرَىٰ ما فَعَلَتْ في أمرِكَ الأَقْدَار، سمع بعض الصالحينَ مُنْشِداً ينشد: [الطويل]

أَيَا رَاهِبَي نَجْرَانَ مَا فَعَلَتْ هِنْد ... .

فبكَىٰ ليلةً إِلى الصباح، فَسُئِلَ عن ذلك فقال: قلتُ في نفسي: ما فعلَتِ الأقدار فيّ؛ وماذا جَرَتْ به عَلَيّ؟ انتهى.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٩ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝١٠ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝١٢﴾

وقوله تعالى: ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فاللَّه هو الولي...﴾ الآية، قوله: ﴿أم اتخذوا﴾: كلامٌ مقطوعٌ مِمَّا قَبْلَهُ، وليست بمعادلةٍ، ولكنَّ الكلام كأنَّه أَضْرَبَ عن حُجَّةٍ لهم أو مقالةٍ مُقَرَّرَةٍ، فقال: ﴿بل اتخذوا﴾ هذا مشهورُ قولِ النَّحْوِيِّينَ في مِثْلِ هذا، وذهب بعضهم إلى أَنَّ «أم» هذه هي بمنزلة ألف الاستفهام دون تقدير إِضرابٍ، ثم أثبت الحكم بأَنَّه عز وجل هو الوليُّ الذي تنفع ولايته.

وقوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى اللَّه...﴾ الآية، المعنى: قل لهم يا محمَّد: وما اختلفتم فيه، أَيُّها الناس، مِنْ تكذيبٍ وتصديقٍ، وإِيمانٍ وكفرٍ، وغَيْرِ ذلك فالحُكْمُ فيه والمجازاةُ عنه لَيْسَتْ إِلَيَّ ولا بيدي؛ وإِنَّما ذلك إلى اللَّه تعالى، الذي صفاته ما ذُكِرَ من إِحياء الموتى والقدرة على كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ يريد: زوجَ الإِنسان الأنثى، وبهذه
١٣٦أ / النعمة اتفق الذرء، وليست الأزواج ههنا الأنواع.

وقوله: ﴿ومن الأنعام أزواجاً﴾ الظاهر أيضاً فيه والمُتَّسِقُ أَنَّهُ يريد إِناث الذُّكْرَان، ويحتمل أنْ يريد الأنواع، والأوَّل أظهر.

وقوله: ﴿يذرؤكم﴾ أي: يخلقكم نسلاً بعد نَسْلٍ، وقرناً بعد قَرْنٍ؛ قاله مجاهد والناس، فلفظة «ذرأ» تزيد على لفظة «خلق» معنى آخرَ ليس في «خلق»، وهو توالي طبقات على مَرِّ الزمان.

وقوله: ﴿فيه﴾ الضمير عائد على الجَعْلِ يتضمَّنه قوله: ﴿جعل لكم﴾ وهذا كما تقول: كَلَّمْتُ زَيْداً كلاماً أكرمته فيه، وقال القُتَبِيُّ: الضمير للتزوِيجِ، ولفظة «في» مشتركة على معانٍ، وإِنْ كان أصلها الوعاء، وإِليه يردها النظر في كل وجه.

وقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ الكاف مؤكِّدة للتشبيه، فنفي التشبيه أوكَدُ مَا يكُونُ؛ وذلك أَنَّك تقول: زيدٌ كعمرو، وزيْدٌ مِثْلُ عمرو، فإِذا أردتَ المبالغة التامَّة قلتَ: زيدٌ كَمِثْلِ عَمْرٍو، وجرتِ الآية في هذا الموضع على عُرْفِ كلامِ العَرَبِ، وعلى هذا المعنى

شواهِدُ كثيرة، وذهب الطَّبَرِيُّ[١] وغيره إلى أنَّ المعنى: ليس كهو شيء، وقالوا: لفظة ﴿مثل﴾ في الآية توكيدٌ، وواقعةٌ موقع «هو»، و«المقاليد»: المفاتيحُ؛ قاله ابن عبَّاس وغيره[٢]، وقال مجاهدٌ هذا أصلها بالفارِسيَّةِ[٣]، وهي ههنا ٱستعارةٌ لوقوعِ كُلِّ أمرٍ تَحْتَ قدرته سبحانه، وقال السُّدِّيُّ: المقاليدُ: الخزائن[٤]، وفي اللفظ على هذا حذفُ مضافٍ، قال قتادة: مَنْ ملك مقاليد خزائن، فالخزائن في مِلْكِهِ[٥].

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً...﴾ الآية، المعنى: شرع لكم وبيَّن مِنَ المعتقدات والتوحيدِ ما وَصَّىٰ به نوحاً قَبْلُ.

وقوله: ﴿والذي﴾ عطف على ﴿ما﴾، وكذلك ما ذكر بَعْدُ مِنْ إقامة الدِّينِ مشروعٌ ٱتفقتِ النُّبُوَّاتُ فِيهِ؛ وذلك في المعتقَدَاتِ، وأَمَّا الأحكامُ بانفرادها فَهِيَ في الشرائع مختلفةٌ، وهي المرادُ في قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة: ٤٨] وإقامة الدين هو توحيدُ اللَّهِ ورَفْضُ سِوَاهُ.

وقوله تعالى: ﴿ولا تتفرقوا﴾: نَهْيٌ عن المُهْلَكِ مِنْ تفرُّق الأنحاء والمذاهب، والخيرُ كُلُّه في الأُلْفَةِ واجتماع الكلمة، ثم قال تعالى لنبيِّه ـ عليه السلام ـ: ﴿كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه﴾: من توحيد اللَّه ورَفْضِ الأوثان؛ قال قتادة: كَبُرَ عليهم «لا إله إلا اللَّه» وأبى اللَّه إلاَّ نَصْرها[٦]، ثم سَلاَّه تعالَىٰ عنهم بقوله: ﴿اللَّه يجتبي إليه من يشاء...﴾ الآية،

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ١٣٣).
(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٢٩).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٣، ١٣٤) برقم: (٣٠٦٣٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٤) برقم: (٣٠٦٣٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٥) برقم: (٣٠٦٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).

أي: يختار ويصطفي؛ قاله مجاهد وغيره[1] و﴿ينيب﴾ يرجع عنِ الكُفْرِ ويحرص على الخير ويطلبه.

﴿وما تفرقوا﴾ يعني: أوائل اليهود والنصارى ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾.

وقوله: ﴿بغياً بينهم﴾ أي: بَغَىٰ بعضُهم على بَعْضٍ، وأدَّاهم ذلك إلى اختلاف الرأْي وافتراقِ الكلمةِ، والكلمة السابقة قال المفسرون: هي حتمه تعالى القضاءَ بأَنَّ مجازاتهم إنَّما تقع في الآخرة، ولولا ذلك لَفَصَلَ بينهم في الدنيا، وغَلَّبَ المُحِقَّ على المُبْطِلِ.

وقوله تعالى: ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب﴾ إشارة إلى معاصري نَبِيِّنا محمد ـ عليه السلام ـ من اليهود والنصارى.

وقيل: هو إشارة إلى العرب؛ والكتاب على هذا هو القرآن، والضمير في قوله: ﴿لفي شك منه﴾ يحتمل أنْ يعودَ على الكتاب، أو على محمد، أو على الأجل المُسَمَّىٰ، أي: في شَكٍّ من البعث؛ على قول مَنْ رأى أَنَّ الإشارة إلى العرب، ووَصَف الشَّكّ بـ﴿مُريبٍ﴾؛ مبالغة فيه، واللام في قوله تعالى: ﴿فلذلك فادع﴾ قالت فرقة: هي بمنزلة «إلى»؛ كأنه قال: فإلى ما وَصَّى به الأنبياءَ من التوحيدِ فَٱدْعُ، وقالت فرقة: بل هي بمعنى «من أجل» كأنه قال: من أجلِ أَنَّ الأمر كذا وكذا، ولكونه كذا فَٱدْعُ أَنْتَ إلى ربك، وبَلِّغْ ما أُرْسِلْتَ به، وقال الفخر[2]: يعني فلأجلِ ذلك التفرُّقِ، ولأجْلِ ما حَدَثَ من الاختلافاتِ الكثيرةِ في الدينِ فادع إلى الاتفاقِ على المِلَّةِ الحنيفيَّة، واستقِمْ عليها وعلى الدعوة إليها؛ كما أمرك اللَّه، ولا تَتَّبِعْ أهواءهم الباطلة، انتهى، وخوطب ـ عليه السلام ـ بالاستقامة، وهو قد كان مستقيماً بمعنى: دُمْ على ٱستقامتك، وهكذا الشَّأْنُ في كُلِّ مأمورٍ بشيءٍ هو مُتَلَبِّسٌ به، إنَّما معناه الدوام، وهذه الآية ونحوها كانت نُصْبَ عَيْنَيِ النبيِّ ـ عليه السلام ـ، وكانت شديدة الموقع من نفسه، أعني قوله تعالى: ﴿واستقم كما أمرت﴾، لأنَّها جملة تحتها جميعُ الطاعاتِ وتكاليفُ النبوَّة، وفي هذا المعنَىٰ ـ قال عليه السلام ـ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُها»، فَقِيلَ لَهُ: لِمَ ذَلِكَ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لأَنَّ فِيهَا: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[3] [هود: ١١٢] وهذا الخطابُ له ـ عليه السلام ـ بحَسَبِ قُوَّتِهِ في أمْرِ اللَّه عز وجل، وقال: هو لأُمَّتِهِ بحسب ضعفهم: استقيموا ولن تُحْصُوا.

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٩).
(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (١٤/ ١٣٦).
(٣) تقدم.

وقوله تعالى: ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ يعني: قُرَيْشاً.

* ت *: وفَرَضَ الفَخْرُ هذه القَضِيَّةَ في أهْلِ الكتاب، وذكر ما وقع من اليهود ومحاجَّتهم في دفع الحقِّ وجَحْدِ الرسالة، وعلى هذا فالضمير في: ﴿أَهْوَاءهم﴾ عائدٌ عليهم، واللَّه أعلم. اهـ.

ثم أَمَرَهُ تعالَىٰ أَنْ يَقُولَ: ﴿آمنت بما أنزل اللَّه من كتاب﴾، وهو أَمْرٌ يَعُمُّ سائِرَ أمته.

وقوله: ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ قالت فرقة: اللام في ﴿لِأَعْدِلَ﴾ بمعنى: أنْ أعدل بينكم، وقالت فرقة: المعنى وَأُمِرْتُ بما أُمِرْتُ به من التبليغ والشَّرْعِ؛ لِكَيْ أعدلَ بينكم.

وقوله: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾ إلى آخر الآية ـ ما فيه من مُوَادَعَةٍ منسوخٌ بآية السَّيْفِ.

وقوله: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ أي: لا جدال، ولا مناظرةَ؛ قد وَضَحَ الحق، وأنتم تعاندون، وفي قوله: ﴿اللَّه يجمع بيننا﴾: وعيدٌ بَيِّنٌ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والذين يحاجون في اللَّه...﴾ الآية، قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في طائفة من بني إسرائيل هَمَّتْ بردِّ الناس عن الإسلام وإضلالهم[(١)]، وقيل: نزلت في قريشٍ؛ لأنَّها كانت أبداً تحاول هذا المعنى، و﴿يحاجون في اللَّه﴾ معناه: في دين اللَّه أو توحيدِ اللَّه، أي: يحاجُّون فيه بالإبطال والإلحاد وما أشبهه، والضمير في ﴿له﴾ يحتمل أنْ يعودَ على اللَّه تبارك وتعالى، ويحتمل أنْ يعودَ على الدِّينِ والشرع، ويحتمل أنْ يعودَ على النبي ـ عليه السلام ـ و﴿داحضة﴾ معناه: زاهقة، والدَّحْضُ الزَّهقُ، وباقي الآية بَيِّن.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/١٣٨ ـ ١٣٩) برقم: (٣٠٦٤٩، ٣٠٦٥١)، وذكره ابن عطية (٥/٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٩٦ ـ ٦٩٧)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد نحوه.

وقوله سبحانه: ﴿اللَّه الذي أنزل الكتاب بالحق﴾ معناه: مضمناً الحق، أي: بالحق في أحكامه، وأوامره، ونواهيه، وأخباره، ﴿والميزان﴾ هنا: العدل؛ قاله ابن عباس ومجاهد[١]، والناس، وحكى الثعلبيُّ عن مجاهد؛ أنَّهُ قال: هو هنا الميزان الذي بأيدي الناس[٢]، قال * ع[٣] *: ولا شَكَّ أنَّه داخل في العدل وجزء منه.

وقوله تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ وعيدٌ للمشركين، وجاء لفظ ﴿قريب﴾ مُذَكَّراً من حيث تأنيث السَّاعَةِ ـ غيرُ حقيقيٍّ ـ، وإذْ هي بمعنى الوقت.

* ت *: ينبغي للمؤمن العاقل أنْ يتدبَّر هذه الآيةَ ونظائرها، ويقدِّر في نفسه أنَّه المقصود بها: [البسيط]

لاَهٍ بِـدُنْـيَـاهُ وَالأَيَّـامُ تَـنْـعَـاهُ وَالْـقَـبْـرُ غَـايَـتُـهُ وَالـلَّـحْـدُ مَـأْوَاهُ
يَـلْـهُـو فَـلَـوْ كَـانَ يَـدْرِي مَـا أُعِـدَّ لَـهُ إِذَنْ لأَحْـزَنَـهُ مَـا كَـانَ أَلْـهَـاهُ

قال الغزَّاليُّ في **«الإحياء»** قال أبو زكريَّا التَّيْمِيُّ: بينما سليمانُ بنُ عبد الملك في المسجد الحرام؛ إذ أُوتِيَ بحَجَرٍ منقوشٍ، فَطَلَبَ مَنْ يَقْرَؤُهُ، فأوتي بوهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، فإذا فيه: ابنَ آدمَ، إنك لو رأيْتَ قُرْبَ ما بَقِيَ من أَجَلِك، لَزَهِدْتَ في طول أملك؛ وَلَرَغِبْتَ في الزيادةِ مِنْ عَمَلِك، وَلَقَصَّرْتَ مِنْ حِرْصِكَ وحِيَلِكَ، وإنما يلقاك غداً نَدَمُك؛ لو قد زَلَّتْ بك قَدَمُك، وأسلمك أَهْلُكَ وَحَشَمُك، فَفَارَقَكَ الوَلَدُ والقَرِيب؛ وَرَفَضَكَ الوَالِدُ والنَّسِيب، فلا أَنْتَ إلى دُنْيَاك عائد؛ ولا في حَسَنَاتِك زَائِد، فَاْعْمَلْ ليومِ القيامهْ، قبل الحسرة والندامهْ.

فبكَىٰ سليمان بكاءً شديداً، انتهى،، وباقي الآية بيِّن.

ثم رَجَّى تبارك وتعالى عباده بقوله: ﴿اللَّه لطيف بعباده﴾ و﴿لطيفٌ﴾ هنا بمعنى رفيق مُتَحَفٌ، والعباد هنا المؤمنون.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا

(١) أخرجه الطبري (١١/١٣٩) برقم: (٣٠٦٥٥) عن مجاهد، وذكره البغوي (٤/١٢٣) عن قتادة، ومجاهد، ومقاتل، وابن عطية (٥/٣١)، وابن كثير (٤/١١١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٦٩٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/٣١).
(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/٣١)

كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ معناه: إرادة مُسْتَعِدٌ عاملٍ، لا إِرادةُ مُتَمَنٍّ مُسَوِّفٍ، والحَرْثُ في هذه الآية: عبارةٌ عن السَّعْيِ والتكسُّبِ والإِعْدَاد.

وقوله تعالى: ﴿نزد له في حرثه﴾ وَعْدٌ مُتَنَجِّزٌ؛ قال الفَخْرُ[1]: وفي تفسير قوله: ﴿نَزد له في حرثه﴾ قولان:

الأَوَّلُ: نزد له في توفيقه وإِعانته، وتسهيلِ سبيل الخَيْرَاتِ والطاعاتِ عليه، وقال مقاتل: نزد له في حَرْثِهِ بتضعيفِ الثواب؛ قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٠] انتهى، وقوله: ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها﴾ معناه: ما شئنا منها ولمن شئنا، فَرُبَّ مُمْتَحَنٍ مُضَيَّقٌ عليه حريصٌ علَىٰ حَرْثِ الدنيا، مريدٌ له، لا يَحُسُّ بغيره، نعوذُ باللَّهِ مِنْ ذلك! وهذا الذي لا يعقل غيرَ الدنيا هو الذي نفى أَنْ يكون له نصيبٌ في الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللَّه﴾ «أم» هذه منقطعةٌ لا معادلةٌ، وهي بتقدير «بل»، وألف الاستفهام، والشركاء في هذه الآية يحتمل أَنْ يكونَ المراد بهم الشياطين والمُغْوِينَ من أسلافهم، ويكون الضمير في ﴿لهم﴾ للكفار المعاصرين لمحمد ـ عليه السلام ـ فالاشتراك ههنا هو في الكفر والغواية، وليس بشركة الإِشراك باللَّه ـ ويحتمل أَنْ يكون المراد بالشركاء: الأصنام والأوثان؛ على معنى: أم لهم أصنام جعلوها شركاءَ للَّه في أُلُوهِيَّتِهِ، ويكون الضمير في ﴿شرعوا﴾ لهؤلاء المعاصرين من الكفار ولآبائهم، والضمير في ﴿لهم﴾ للأصنام الشركاء، و﴿شرعوا﴾ معناه: أثبتوا، ونهجوا، ورسموا و﴿الدين﴾ هنا: العوائدُ والأحكامُ والسِّيرَةُ، ويَدْخُلُ في ذلك أيضاً المُعْتَقَدَاتُ السُّوء؛ لأَنَّهُم في جميع ذلك وضعوا أوضاعاً فاسدة، وكلمة الفصل هي ما سبق من قضاء اللَّه تعالى بأَنَّهُ يُؤَخِّرُ عقابهم للدار الآخرة، والقضاء بينهم هو عذابهم في الدنيا ومجازاتهم.

وقوله تعالى: ﴿ترى الظالمين﴾ هي رؤية بَصَرٍ، و﴿مشفقين﴾ حال، وليس لهم في هذا الإِشفاق مدح؛ لأنهم إِنَّما أشفقوا حين نزل بهم، وليسوا كالمؤمنين الذين هم في الدنيا مُشْفِقُون من أمر الساعة، كما تقدم، وهو واقع بهم.

---

(١) ينظر: «الفخر الرازي» (١٤/ ١٤٠).

أبو حيان[١]: ضمير ﴿هو﴾ عائد على العذاب، أو على ما كسبوا بحذف مضاف، أي: وبال ما كسبوا، انتهى، والروضات: المواضع المونقة النَّضِرة.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ذلك الذي يبشر اللَّه عباده﴾ إشارة إلى قوله تعالىٰ في الآية الأخرى: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من اللَّه فضلاً كبيراً﴾ [الأحزاب: ٤٧].

وقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ اختلف الناسُ في معناه فقال ابن عباس وغيره: هي آية مَكِّيَّةٌ نزلت في صدر الإسلام، ومعناها: استكفاف شَرِّ الكفار ودفع أذاهم، أي: ما أسألكم على القرآن إلاَّ أَنْ تَوَدُّوني لقرابةٍ بيني وبينكم؛ فَتَكُفُّوا عَنِّي أذاكم[٢]، قال ابن عباس، وابن إسحاق، وقتادة: ولم يكن في قريش بطن إلاَّ وللنَّبِيِّ ﷺ فيه نسب أو صِهْرٌ[٣]، فالآية على هذا فيها استعطافٌ مَّا، ودفع أذًى، وطلبُ سلامة منهم، وذلك كله منسوخ بآية السيف، ويحتمل هذا التأويل أنْ يكون معنى الكلام استدعاء نصرهم، أي: لا أسألكم غرامة ولا شيئاً إلاَّ أَنْ تَوَدُّوني لقرابتي منكم، وأنْ تكونوا أولى بي من غيركم، قال * ع[٤] *: وقُرَيْشٌ كُلُّها عندي قُرْبَىٰ، وإنْ كانت تتفاضل، وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ مَاتَ شَهِيداً، وَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ بُغْضِهِم، لَمْ يَشَمَّ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»[٥]، وقال ابن عَبَّاس أيضاً: ما يقتضي أَنَّ الآية مَدَنِيَّةٌ، وأَنَّ

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٧/ ٤٩٣).
(٢) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٣٣).
(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٤٢٦) كتاب «التفسير» باب: إلا المودة في القربى (٤٨١٨) عن ابن عباس، والترمذي (٥/ ٣٧٧) كتاب «التفسير» باب: ومن سورة حم عسق (٣٢٥١)، وابن جرير في «تفسيره» (١١/ ١٤٢) (٣٠٦٦٢ ـ ٣٠٦٦٣)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٢٥) عن ابن عباس جميعهم، وابن عطية (٥/ ٣٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩٩)، وعزاه إلى مسلم وابن مردويه، وعبد بن حميد، وأحمد عن ابن عباس.
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤).
(٥) ينظر: القرطبي (١٦/ ٢٣) تفسير سورة الشورى.

الأنصار جَمَعَتْ لرسُولِ اللَّه ﷺ مالاً وساقَتْهُ إليه، فَرَدَّهُ عليهم، وَنَزَلَتِ الآيةُ في ذلك[١]، وقيلَ غَيْرُ هٰذَا، وعلَىٰ كُلِّ قولٍ، فَٱلاِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ، و﴿إلاَّ﴾ بمعنى «لَكِنْ» و﴿يقترف﴾ معناه: يَكْتَسِب، ورَجُلٌ قُرَفَةٌ إذا كان محتالاً كسوباً و﴿غفور﴾ معناه: ساترٌ عُيُوبَ عباده، و﴿شكور﴾ معناه: مُجازٍ على الدقيقة من الخير، لا يضيع عنده لعاملٍ عَمَلٌ.

وقوله تعالى: ﴿أم يقولون افترى على اللَّه كذباً﴾ «أم» هذه مقطوعةٌ مضمنة إضراباً عن كلام متقدِّم، وتقريراً على هذه المقالة منهم.

وقوله تعالى: ﴿فإن يشإ اللَّه يختم على قلبك﴾ معناه؛ في قول قتادة وفرقة من
٣٦ ب المفسرين: ينسيك/ القرآن[٢]، والمراد الرَّدُّ على مقالة الكُفَّار، وبيانُ إِبْطَالِهَا، كأَنَّهُ يَقُولُ: وكيف يَصِحُّ أنْ تكون مفترياً، وأنت من اللَّه بمرأى ومَسْمَعٍ؟ هو قَادِرٌ لو شاء أَنْ يختم على قلبك؛ فلا تَعْقِلُ، ولا تنطق، ولا يستمرُّ افتراؤك؛ فمقصدُ اللفظ: هذا المعنى، وحُذِفَ ما يَدُلُّ عليه الظاهر؛ اختصاراً واقتصاراً، وقال مجاهد: المعنى: فإن يشإِ اللَّه يختمْ على قلبك بالصبر لأذى الكفار، ويربطْ عليك بالجَلَدِ[٣]، فهذا تأويل لا يتضمَّن الردَّ على مقالتهم؛ قال أبو حَيَّان: وذكر القُشَيْرِيُّ أنَّ الخطاب للكفار، أي: يختم على قلبك أَيُّهَا القائلُ؛ فيكون انتقالاً من الغيبة للخطاب، ﴿ويَمْحُ﴾: استئنافُ إِخبارٍ؛ لا داخل في الجواب، وتسقط الواو من اللفظ؛ لالتقاء الساكنين، ومن المصحف؛ حملاً على اللفظ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ويمح﴾ فعل مستقبل، خبر من اللَّه تعالى أَنَّهُ يمحو الباطل، ولا بُدَّ إمَّا في الدنيا وإمَّا في الآخرة، وهذا بحسب نازلة نازلة، وكتب ﴿يمح﴾ في المصحف بحاء مرسلة، كما كتبوا: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ﴾ [الإسراء: ١١] إلى غير ذلك مِمَّا ذهبوا فيه إلى الحذف والاختصار.

وقوله: ﴿بكلماته﴾ معناه: بما سبق في قديم علمه وإرادته من كون الأشياء، فالكلمات: المعاني القائمة القديمة التي لا تبديلَ لها، ثم ذكر تعالى النعمة في تَفَضُّلِهِ بقبول التوبة من عباده، وقبول التوبة فيما يستأنف العبد من زمانه وأعماله ـ مقطوعٌ به بهذه الآية، وأمَّا ما سلف من أعماله فينقسم، فأمَّا التوبة من الكفر فَمَاحِيَةٌ كُلَّ ما تَقَدَّمَهَا من مظالم العباد

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٦) برقم (٣٠٦٩١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤) والسيوطي (٥/ ٧٠٣) وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥).

الفائتة وغير ذلك، وأمَّا التوبة من المعاصي فلأهل السُّنَّةِ فيها قولان: هل تُذْهِب المعاصي
السالفةَ للعبد بينه وبين خالقه؟ فقالت فرقة: هي مُذْهِبَةٌ لها، وقالت فرقة: هي في مشيئة
اللَّه تعالى،/ وأجمعوا أنَّها لا تُذْهِبُ مظالم العباد، وحقيقةُ التوبة: الإِقلاعُ عن المعاصِي، ١٣٧أ
والإِقبالُ، والرجوعُ إِلى الطاعات، ويلزمها النَّدَمُ عَلَىٰ ما فَاتَ؛ والعَزْمُ على ملازمة
الخَيْرَات.

وقال سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ: التوبة: العَزْمُ على ترك الذنوب؛ والإِقبالُ بالقَلْبِ على عَلاَّم الغيوب، وقال يحيى بن مُعَاذٍ: التائبُ: مَنْ كَسَرَ شَبَابَهُ عَلَىٰ رأسه، وكَسَرَ الدنيا على رأسِ الشيطان، [ولزم الفِطام][١] حتى أتاه الحِمَام[٢].

وقوله تعالى: ﴿عن عباده﴾ بمعنى مِنْ عباده، وكأنه قال: التوبة الصادرة عن عباده، **وقرأ** الجمهور: «يَفْعَلُونَ» بالياء على الغَيْبَة، **وقرأ** حمزة والكسائيُّ: «تَفْعَلُونَ» بالتاء على المخاطبة[٣]، وفي الآية توعُّد.

وقوله تعالى: «ويستجيب» قال الزَّجَّاجُ وغيره: معناه: يجيبُ، والعَرَبُ تَقُولُ: أجابَ وأسْتَجَابَ بمعنًى، و﴿الذين﴾ على هذا التأويل: مفعول «يستجيب»، وروي هذا المعنى عن معاذِ بن جَبَلٍ، ونحوه عن ابن عباس[٤]، وقالت فرقة: المعنى: ويستدعي الذين آمنوا الإِجابة من ربهم بالأعمال الصالحات، ودَلَّ قوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ على أنَّ المعنى: فيجيبهم، و﴿الذين﴾ على هذا القول فَاعِلُ ﴿يَسْتَجِيبُ﴾، وقالتْ فرقة: المعنى: ويجيبُ المؤمنونَ رَبَّهم، فـ﴿الذِينَ﴾ فاعلٌ بمعنى: يجيبُونَ دَعْوَةَ شَرْعِهِ ورسالتِهِ، والزيادة من فضله هي تضعيفُ الحسنات، ورُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «هِيَ قَبُولُ الشَّفَاعَاتِ في المُذْنِبِينَ، والرِّضْوَانُ».

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

---

(١) سقط في: د.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥).

(٣) وقرأ بها حفص عن عاصم.
ينظر: «السبعة» (٥٨٠)، و«الحجة» (٦/ ١٢٨)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٨٣)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٥٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢١٢)، و«العنوان» (١٧٠)، و«حجة القراءات» (٦٤١)، و«إتحاف» (٢/ ٤٥٠).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥).

وقوله تعالى: ﴿ولو بسط اللَّه الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ قال عمرو بن حُرَيْثٍ وغيره: إنَّها نزلت؛ لأَنَّ قوماً من أهل الصفَّة
٣٧ ب طلبوا من رسول اللَّه ﷺ أنْ يُغْنِيَهُمُ/ اللَّه، ويبسطَ لهم الأموالَ والأرزاق، فأعلمهم اللَّه تعالى أنَّه لو جاء الرِّزْقُ على ٱختيار البَشَر وٱقتراحهم، لكان سَبَبَ بغيهم وإفسادهم؛ ولكنَّه عز وجل أعلمُ بالمَصْلَحَةِ في كُلِّ أحدٍ: ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾: بمصالحهم، فهو ينزل لهم من الرزق القَدْرَ الذي بِهِ صَلاَحُهُمْ؛ فرُبَّ إنْسَانٍ لاَ يَصْلُحُ، وتَنْكَفُّ عاديته إلاَّ بالفقر.

* ت *: وقد ذكرنا في هذا المختصر أحاديثَ كثيرةً مختارةً في فضل الفقراء الصابرين ـ ما فيه كفايةٌ لمن وُفِّق، وقد روى ابن المبارك في «**رقائقه**» عن سعيد بن المُسَيِّبِ قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِجُلَسَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قال: هُمُ الخَائِفُونَ، الخَاضِعُونَ، المُتَوَاضِعُونَ، الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيراً، قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهُمْ أَوَّلُ النَّاسِ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ؟ قال: لا، قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ يَدْخُلُ الجَنَّةَ؟ قال: الفُقَرَاءُ يَسْبِقُونَ النَّاسَ إِلَى الجَنَّةِ، فَتَخْرُجُ إِلَيْهِمْ مِنْهَا مَلاَئِكَةٌ، فَيَقُولُونَ: ٱرْجِعُوا إِلَى الْحِسَابِ، فَيَقُولُونَ: عَلاَمَ نُحَاسَبُ، وَاللَّهِ مَا أُفِيضَتْ عَلَيْنَا الأَمْوَالُ في الدُّنْيَا فَنَقْبِضَ فِيهَا وَنَبْسُطَ، وَمَا كُنَّا أُمَرَاءَ نَعْدِلُ وَنَجُورُ؛ وَلَكِنَّا جَاءَنَا أَمْرُ اللَّهِ فَعَبَدْنَاهُ حَتَّى أَتَانَا اليَقِينُ»[(١)] انتهى.

وقوله عز وجل: ﴿وهو الذي ينزل الغيث مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا...﴾ الآية، تعديدُ نِعَمِ اللَّه تعالى الدَّالَّةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ، وأنَّه المولى الذي يستحقُّ أنْ يُعْبَدُ دونَ ما سواه من الأنداد، **وقرأ** الجمهور: «قَنَطُوا» بفتح النون، **وقرأ** الأعمش: «قَنِطُوا» بكسرها، وهما لغتان[(٢)]، ورُوِيَ أنَّ عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ قيل له: أجدبت الأرض، وقَنِطَ النَّاس، فقال: مُطِرُوا إِذَنْ، بمعنى أنَّ الفرج عند الشِّدَّةِ.

١٣٨ وقوله تعالى/ ﴿وينشر رحمته﴾ قيل: أراد بالرحمة: المطر، وقيل: أراد بالرحمة هنا: الشمْسَ، فذلك تعديد نعمة غير الأولى، وذلك أنَّ المطر إذا أَلَمَّ بعد القنط حَسُنَ موقعُهُ، فإذا دَامَ سُئِمَ، فتجيء الشمْسُ بعده عظيمةَ المَوْقِعِ.

(١) أخرجه أبو نعيم بن حماد في «**زوائده**» على الزهد (٨٠) (٢٨٣).
(٢) وقرأ بها يحيى بن وثاب.
ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٦)، و«**البحر المحيط**» (٧/ ٤٩٥)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٨١).

وقوله تعالى: ﴿وهُوَ الوَلِيُّ الحميد﴾ أي: مَنْ هذه أفعاله هو الذي ينفع إذا وَالَىٰ، وتُحْمَدُ أفعاله ونعمه، قال القُشَيْرِيُّ: اسمه تعالى: «الولي»، أي: هو المتولِّي لأحوال عباده، وقيل: هو من الوالي، وهو الناصر، فأولياءُ اللَّه أنصار دينه، وأشياعُ طاعته، والوليُّ: في ـ صفة العبد ـ مَنْ يُوَاظِبُ على طاعة رَبِّه، ومِنْ علاماتِ مَنْ يكونُ الحَقُّ سبحانه وَلِيَّهُ ـ أنْ يصونه، ويكفِيَهُ في جميع الأحوال، ويُؤَمِّنَهُ، فيغارَ على قلبه أنْ يتعلَّقَ بمخلوقٍ في دفع شَرٍّ أو جَلْبِ نَفْعٍ؛ بل يكونُ سبحانه هو القائِمَ عَلَىٰ قلبه في كُلِّ نَفَسٍ، فيحقِّق آماله عند إشاراته، ويعجِّلَ مَآرِبَهُ عند خَطَرَاتِهِ، ومن أماراتِ ولايته لِعَبْدِهِ: أنْ يُدِيمَ توفيقَهُ حَتَّىٰ لو أرادَ سُوءاً، أو قصد محظوراً ـ عَصَمَهُ عن ٱرتكابه، أو لو جنح إلى تقصير في طاعة، أَبَىٰ إلاَّ توفيقاً وتأييداً، وهذا من أماراتِ السعادَةِ، وعَكْسُ هذا مِنْ أماراتِ الشقاوة،، ومن أمارات ولايته أيضاً أنْ يرزقه مَوَدَّةً في قُلُوب أوليائه، انتهى من «**التحبير**».

ثم ذكر تعالى الآية الكُبْرَىٰ الدَّالَّةَ على الصَّانِعِ، وذلك خَلْقُ السمٰواتِ والأرضِ.

وقوله [تعالى]: ﴿وما بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دابَّةٍ﴾ يتخرَّجُ علَىٰ وجوهٍ: منها: أنْ يريدَ إِحْدَاهُمَا، وهو ما بَثَّ في الأرض دونَ السمٰوات، ومنها: أنْ يكون تعالى قد خلق في السمٰوات وبَثَّ دوابَّ لا نعلَمُهَا نَحْنُ، ومنها: أنْ يريد الحيواناتِ التي تُوجَدُ في السحاب، وقد تَقَعُ أحياناً كالضفادع/ ونحوها؛ فَإنَّ السَّحَابَ داخل في اسم السماء. ٣٨ ب

وقوله تعالى: ﴿وهو على جمعهم﴾ يريد: يومَ القيامة عند الحشر من القبور.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ **قرأ** جمهور القُرَّاء: «فَبِمَا» بفاء، وكذلك هي في جُلِّ المصاحف، **وقرأ** نافع وابن عامر: «بِمَا» دون فاء[1]، قال أبو علي الفارسيُّ: أصاب من قوله: ﴿وما أصابكم﴾ يحتمل أنْ يكون في موضع جَزْم، وتكون «ما» شرطيةً، وعلَىٰ هذا لا يجوزُ حَذْفُ الفاءِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، وجَوَّزَ حَذْفَهَا أبو الحَسَنِ الأَخْفَشُ، وبعضُ

(١) وقراءة الجمهور أجود في العربية، لأن الفاء مجازاة جواب الشرط، والمعنى: ما يصيبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم.
ينظر: «**حجة القراءات**» (٦٤٢)، و«**السبعة**» (٥٨١)، و«**الحجة**» (٦/ ١٢٨)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٥٦)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٢١٤)، و«**العنوان**» (١٧٠)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٤)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٥٠).

البغداديِّينَ؛ على أَنَّها مُرَادَةٌ في المعنى، ويحتمل أنْ يكون «أصاب» صلة لـ«مَا»، وتكون «ما» بمعنى «الذي»، وعلى هذا يتجه حذفُ الفاء وثبوتها، لكن معنى الكلام مع ثبوتها التلازم، أي: لولا كَسْبُكُمْ ما أصابتكم مصيبة، والمصيبة إنَّما هي بكسب الأيدي، ومعنى الكلام مع حذفها يجوز أن يكون التلازم، ويجوز أنْ يُعَرَّىٰ منه، قال * ع[١] *: وأَمَّا في هذه الآية، فالتلازم مُطَّرِدٌ مع الثبوت والحذف، وأمَّا معنى الآية، فاختلف الناسُ فيه، فقالت فرقة: هو إِخبار من اللَّه تعالى بأَنَّ الرزايا والمصائبَ في الدنيا إِنَّما هي مجازات من اللَّه تعالى على ذنوب المرء وخطاياه، وأنَّ اللَّه تعالى يعفو عن كثير، فلا يعاقب عليه بمصيبة، وقال النبي ﷺ: «لاَ يُصِيبُ ابْنَ آدَمَ خَدْشُ عُودٍ، أَوْ عَثْرَةُ قَدَمٍ، وَلاَ اخْتِلاَجُ عِرْقٍ إِلاَّ بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو عَنْهُ أَكْثَرُ»[٢]، وقال مُرَّةُ الهَمدَانِيُّ: رأيتُ عَلَىٰ ظهرِ كَفِّ شُرَيْحٍ قُرْحَةً، فقلتُ: ما هذا؟ فقال: هذا بما كَسَبَتْ يَدَيَّ، ويعفو [اللَّه][٣] عن كثير، وقيل لأبي سليمانَ
١٣٩ الدَّارَانِيِّ: ما بالُ الفضلاء لا يَلُومُونَ مَنْ أساءَ/ إِليهم؟ فقال: لأَنَّهُمْ يعلَمُونَ أَنَّ اللَّه تعالى هو الذي ٱبْتَلاَهُمْ بذنوبهم، ورَوَىٰ عليُّ بْنُ أبي طَالِبٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ عُقُوبَةٍ، أَوْ بَلاَءٍ في الدُّنْيَا ـ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُثَنِّيَ عَلَيْكُمُ الْعُقُوبَةَ في الآخِرَةِ، وَمَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ في الدُّنْيَا، فَاللَّهُ أَحْلَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِيهِ بَعْدَ عَفْوِهِ»[٤] وقال الحَسَنُ: معنى الآية في الحُدُودِ، أي: ما أصابكم من حَدٍّ من حُدُودِ اللَّه، فبما كسبَتْ أيديكم، ويعفو اللَّه عن كثير، فيستره على العبد حتى لا يُحَدَّ عليه، ثم أَخبر تعالَىٰ عن قُصُورِ ٱبْنِ آدَمَ وَضَعْفِهِ، وأنَّه في قبضة القدرة لا يعجز طَلَب رَبِّه، ولا يُمْكِنُه الفِرَارُ منه، و«الجواري»: جمع جارية وهي السفينةُ، و﴿الأعلام﴾: الجبال، وباقي الآية بَيِّنٌ، فيه الموعظةُ وتشريفُ الصَّبَّارِ الشَّكُورِ.

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «**شعب الإيمان**» (٧/ ١٥٣) (٩٨١٥) عن قتادة، وذكره الهندي في «**كنز العمال**» (٣/ ٣٤١) (٦٨٤٩)، وعزاه إلى سعيد بن منصور.

(٣) سقط في: د.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٨٥)، وأبو يعلى (١/ ٣٥٢) (١٩٣/ ٤٥٣)، وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٧/ ١٠٧).

قال الهيثمي: رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه أزهر بن راشد وهو ضعيف. وله شاهد من طريق آخر منه: أخرجه الترمذي (٥/ ١٦) كتاب «الإيمان» باب: ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن (٢٦٢٦)، وابن ماجه (٢/ ٨٦٨) كتاب «الحدود» باب: الحد كفارة (٢٦٠٤)، وأحمد (١/ ٩٩، ١٥٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٥).

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾: أَوْبَقْتُ الرَّجُلَ: إذا أَنْشَبْتَهُ في أَمْرٍ يَهْلِكُ فِيهِ، وهو في السفُنِ تغريقها و﴿بما كسبوا﴾ أي: بذنوب رُكَّابِها، وقرأ نافع، وابن عامر: «وَيَعْلَمُ» بالرفع؛ على القطع والاستئناف، وقرأ الباقون والجمهور: «وَيَعْلَمَ» بالنصب[(١)]؛ على تقدير «أنْ»، و«المَحِيصُ»: المَنْجَىٰ، وموضعُ الرَّوَغَانِ.

ثم وعَظَ سبحانه عبادَهُ، وحَقَّر عندهم أمر الدنيا وشأنها، ورَغَّبَهُمْ فيما عنده من النعيم والمنزلة الرفيعة لديه، وعَظَّم قَدْرَ ذلك في قوله: ﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا [وزينتها] وما عند اللَّه خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكَّلون﴾ وقرأ الجمهور[(٢)]: ﴿كَبَائِرَ﴾ على الجمع؛ قال الحسن: هي كُلُّ ما تُوُعِّدَ فيه بالنار[(٣)]، وقد تقدَّم ما ذَكَرَهُ / الناس في الكبائر في سورة النساء وغيرها، ﴿والفواحش﴾: قال السُّدِّيُّ[(٤)]: الزنا، وقال مقاتل: مُوجِبَاتُ الحدود[(٥)]. ٣٩ ب

وقوله تعالى: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ حَضٌّ على كسر الغضب والتدرُّب في إطفائه؛ إذ هو جمرةٌ من جَهَنَّمَ، وبَابٌ مِنْ أبوابها، وقال رجلٌ للنَّبِيِّ ﷺ: «أَوْصِنِي، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، قَالَ: زِدْنِي، قَال: لاَ تَغْضَبْ، قَالَ: زِدنِي، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ»[(٦)]، ومَنْ جاهد

---

(١) ينظر: «السبعة» (٥٨١)، و«الحجة» (٦/ ١٣٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٨٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٥٧)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢١٤)، و«العنوان» (١٧٠)، و«حجة القراءات» (٦٤٣)، و«إتحاف» (٢/ ٤٥٠).

(٢) وقد قرأ حمزة والكسائي بالإفراد «كبير».
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩)، و«السبعة» (٥٨١)، و«الحجة» (٦/ ١٣٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٨٦)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٥٨)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢١٥)، و«العنوان» (١٧٠)، و«حجة القراءات» (٦٤٣)، و«شرح شعلة» (٥٧٤)، و«إتحاف» (٢/ ٤٥١).

(٣) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٥٤) برقم: (٣٠٧٢٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٢٩)، وابن عطية (٥/ ٣٩).

(٥) أخرجه البغوي (٤/ ١٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩).

(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٣٥) كتاب «الأدب» باب: الحذر من الغضب (٦١١٦)، والبيهقي (١٠/ ١٠٥) كتاب «آداب القاضي» باب: لا يقضي وهو غضبان، نحوه من حديث أبي هريرة، والترمذي (٤/ ٣٧١) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في كثرة الغضب (٢٠٢٠)، نحو حديث البخاري والبيهقي عنه. =

هذا العَارِضَ مِنْ نَفْسِهِ حتَّىٰ غَلَبَهُ، فقدْ كُفِيَ هَمًّا عظيماً في دنياه وآخرته.

* ت *: وروىٰ مالكٌ في «المُوَطَّإِ» أَنَّ رجُلاً أتى النبيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي كَلِمَاتٍ أَعِيشُ بِهِنَّ وَلاَ تُكْثِرْ عَلَيَّ فَأَنْسَىٰ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لاَ تَغْضَبْ»[1] قال أبو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ البَرِّ: أراد: عَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي بكلماتٍ قليلةٍ؛ لئلاَّ أَنسَىٰ إِنْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ، ثم أسند أبو عُمَرَ من طُرُقٍ عن الأحنفِ بن قَيْسٍ عن عَمِّه جَارِيَةَ بْنِ قُدَامَةَ، أنَّه قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لي قَوْلاً يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ، وأَقْلِلْ لِي؛ لَعَلِّي أَعْقِلُهُ، قَال: «لاَ تَغْضَبْ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِراراً، كُلُّها يُرَجِّعُ إِليه رسُولُ اللَّه: لاَ تَغْضَبْ»، انتهَىٰ[2] من «التمهيد»، وأسند أبو عُمَرَ في «التمهيد» أيضاً عن عبد اللَّه بن أبي الهُذَيْلِ قال: لما رأىٰ يحيَىٰ أَنَّ عيسَىٰ مُفَارِقُهُ قال له: أَوْصِنِي، قَالَ: لا تَغْضَبْ، قال: لاَ أَسْتَطِيعُ، قال: لا تَقْتَنِ مَالاً، قال عَسَى. انتهى. وروى ابن المبارك في «رقائقه» بسنده عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ عَنْ أَعْرَاضِ المُسْلِمِينَ أقال اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ عَنْهُمْ، وَقَاهُ اللَّهُ عَذَابَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3]، قال ابن المُبَارَكِ: وأخبرنا/ ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ، عن خالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتعالَىٰ يَقُولُ: «مَنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي في مَلإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَمَنْ ذَكَرَنِي حِينَ يَغْضَبُ ذَكَرْتُهُ حِينَ أَغْضَبُ فَلَمْ أَمْحَقْهُ فِيمَنْ أَمْحَقُ[4]» انتهى. ٤٠ أ

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾

= قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
وفي الباب من حديث جارية بن قدامة التيمي رضي اللَّه عنه: أنه قال: يا رسول اللَّه ﷺ قل لي قولاً ينفعني اللَّه به، وأقلل لعلي لا أغفله، قال: «لا تغضب...» الحديث.
أخرجه ابن حبان (١٢/ ٥٠٢) كتاب «الحظر والإباحة» باب: الاستماع المكروه وسوء الظن والغضب والفحش، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ذم النفس عن الخروج إلى ما لا يرضي اللَّه ـ جلّ وعلا ـ بالغضب (٥٦٨٩ ـ ٥٦٩٠)، وأحمد (٣/ ٤٨٤)، (٥/ ٣٤)، والحاكم (٣/ ٦١٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٣٧) (٢٣٠٩)، والطبراني (٢/ ٢٦٢) (٢٠٩٤) (٢١٠٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٠٨) (١١١٠).

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٦) كتاب «حسن الخلق» باب: ما جاء في الغضب (١١).
(٢) أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ٢٤٦)، وانظر الحديث قبل السابق.
(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٥٧) (٧٤٥)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (٣/ ٣٥٤) (٦٩٠٢)، وعزاه إلى الديلمي.
(٤) تقدم تخريج هذا الحديث مسنداً.

وقوله تعالى: ﴿والذين استجابوا﴾ مَدْحٌ لكلِّ مَنْ آمَنَ باللَّهِ، وقَبِلَ شَرْعَهُ، ومَدَحَ اللَّهُ تعالى القَوْمَ الذين أَمْرُهُمْ شورَىٰ بينهم؛ لأنَّ في ذلك اجتماعَ الكلمة، والتَّحابَّ، واتصالَ الأيْدِي، والتَّعَاضُدَ على الخير، وفي الحديث: «مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ قَطُّ إلاَّ هُدُوا لِأَحْسَنِ، مَا بِحَضْرَتِهِمْ»[١].

وقوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ معناه: في سبيل اللَّه، وبِرَسْمِ الشَّرْعِ؛ وقال ابن زيد قوله تعالى: ﴿والذين استجابوا لربهم. . .﴾ الآية، نزلت في الأنصار[٢]، والظاهر أَنَّ اللَّه تعالى مدح كلَّ مَنِ اتَّصَفَ بهذه الصفةِ كائناً مَنْ كَانَ، وهل حَصَلَ الأنصارُ في هذه الصفة إلا بعد سَبْقِ المهاجرين إليها ـ رضي اللَّهُ عَنْ جميعهم بِمَنِّه وكرمهِ ـ.

وقوله عز وجل: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾: مدح سبحانه في هذه الآية قوماً بالانتصار مِمَّنْ بَغَى عليهم، ورجح ذلك قوم من العلماء وقالوا: الانتصار بالواجب تغيير منكر، قال الثعلبيُّ: قال إبراهيم [النَّخَعِيُّ] في هذه الآية: كانوا يكرهون أَنْ يُسْتَذَلُّوا، فإذا قدروا عفوا، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ قيل: سُمِّي الجزاء باسم الابتداء، وإن لم يكن سيئة، لتشابههما في الصورة، قال * ع[٣] *: وإنْ أخذنا السيِّئة هنا بمعنى المصيبة في حَقِّ البشر، أي: يسوء هذا هذا ويسوءه الآخر ـ فلسنا نحتاج إلى أنْ نقول: سمى ٤٠ ب
العقوبة باسم الذنب؛ بل الفعل الأوَّلِ والآخر سيئة، قال الفخر: اعلم أَنَّهُ تعالى/ لما قال: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ أردفه بما يَدُلُّ على أَنَّ ذلك الانتصار يجب أَنْ يكون مُقَيَّداً بالمثل؛ فإنَّ النقصان حَيْفٌ، والزيادة ظلم، والمساواة هو العدل؛ فلهذا السبب قال تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ انتهى؛ وَيَدُلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ ونحوه من الآي، واللام في قوله: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ لام التقاء القسم.

وقوله: ﴿من سبيل﴾ يريد: من سبيل حرج ولا سبيل حكم، وهذا إبلاغ في إباحة الانتصار، والخلاف فيه: هل هو بين المؤمن والمُشْرِكِ، أو بين المؤمنين؟.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨١) باب: المشورة (٢٥٣) نحوه، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٠٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٥٤) برقم: (٣٠٧٢٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٠).

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس...﴾ الآية، المعنى: إنما سبيل الحكم والإثم على الذين يظلمون الناس، روى التِّرمِذِيُّ عن كعب بن عُجْرَةَ قال: قال لي النَّبِيُّ ﷺ: «أُعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبُ مِنْ أُمَرَاءِ يَكُونُونَ، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وأَعَانَهُمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ، فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلاَ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْض، يَا كَعْبُ، الصَّلاَةُ بُرْهَانٌ، والصَّبْرُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، والصَّدَقَةُ تُطْفِيءُ الخطيئة كما يُطْفِيءُ الماءُ النَّارَ، يا كَعْبُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ». قال أبو عيسَىٰ: هذا حديثٌ حسنٌ، وخرَّجه أيضاً في «كتاب الفتن» وصحَّحه[1]، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿إنما السبيل﴾ إلى قوله: ﴿أَلِيمٌ﴾: اعتراضٌ بَيْنَ الكلامَيْنِ، ثم عاد في قوله: ﴿ولمن صبر﴾ إلى الكلام الأول، كأنَّه قال: ولمنِ انتصر بعد ظلمه فأُولَئِكَ ما عليهم من سبيل، ﴿ولمن صبر وغفر...﴾ الآية، واللام في قوله: ﴿ولمن صبر﴾ يصِحُّ أنْ تكون لام قَسَمٍ، ويصح أنْ تكون لام الابتداء، و﴿عزم الأمور﴾: مُحْكَمُهَا ومُتْقَنُهَا، والحميدُ العاقبةِ منها، فمَنْ رأى أنَّ هذه الآية/ هي فيما بين المؤمنين والمشركين، وأنَّ الصبر ١٤١أ
للمشركين كان أفضل قال: إنَّ الآية نسخت بآية السيف، ومَنْ رأى أنَّ الآية بين المؤمنين، قال: هي مُحْكَمَةٌ، والصبر والغفران أفضل إجماعاً، وقال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، نَادَىٰ مُنَادٍ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ فَلْيَقُمْ، فَيَقُومُ عَنَقٌ مِنَ النَّاسِ كَبِيرٌ، فَيُقَالُ: مَا أَجْرُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ الَّذِينَ عَفَوْنَا عَمَّنْ ظَلَمَنَا في الدُّنْيَا»[2].

وقوله تعالى: ﴿ومن يضلل اللَّه فما له من ولي من بعده﴾ تحقير لأمر الكَفَرَةِ، أي: فلا يُبَالي بهم أحدٌ من المؤمنين؛ لأنَّهم صائرون إلى ما لا فلاحَ لهم معه، ثم وصف تعالى

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٥) كتاب «الفتن» باب: (٧٢) (٢٢٥٩)، والنسائي (٧/ ١٦٠ ـ ١٦١) كتاب «البيعة» باب: من لم يعن أميراً على الظلم (٤٢٠٨)، وابن حبان (٥/ ١٤١) (١٥٦٩)، وأحمد (٣/ ٣٩٩) كلهم نحوه.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه من حديث مِسْعَرٍ إلا من هذا الوجه.

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٢٦٥).

لنبيِّه حالهم في القيامة عند رؤيتهم العذاب، وقولهم: ﴿هل إلى مرد من سبيل﴾ ومرادهم: الرَّدُّ إلى الدنيا، والرؤية هنا رؤيةُ عَيْنٍ، والضميرُ في قوله: ﴿عليها﴾ عائدٌ على النار، وإنْ لم يتقدَّم لها ذِكْرٌ من حيثُ دَلَّ عليها قوله: ﴿رأوا العذاب﴾.

وقوله: ﴿من الذل﴾ يتعلق بـ﴿خاشعين﴾.

وقوله تعالى: ﴿ينظرون من طرف خفي﴾ قال قتادة والسُّدِّيُّ[1]: المعنى: يسارقون النَّظَرَ؛ لما كانوا فيه من الهَمِّ وسوء الحال لا يستطيعون النَّظَرَ بجميع العَيْنِ؛ وإنَّما ينظرون ببعضها؛ قال الثعلبيُّ: قال يونس: ﴿مِنْ﴾ بمعنى الباء، ينظرون بطرف خَفِيٍّ، أي: ضعيف؛ من أجل الذُّلِّ والخوف، ونحوُه عن الأخفش، انتهى، وفي البخاريِّ ﴿من طرف خفي﴾، أي: ذليل.

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين ءامنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة...﴾ الآية، وقول ﴿الذين آمنوا﴾ هو في يوم القيامة عند ما عاينوا حال الكفار وسوء مُنْقَلَبِهِمْ.

وقوله تعالى: ﴿أَلا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾ يحتمل أنْ يكون من قول المؤمنين/ يومئذ، حكاه اللّٰه عنهم، ويحتمل أَنْ يكون استئنافاً من قول اللّٰه عز وجل ٤١ ب
وأخباره لنبيه محمد ـ عليه السلام ـ.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون اللّٰه...﴾ الآية، إنحاء على الأصنام والأوثان التي أظهر الكفار ولايتها، واعتقدَتْ ذلك دِيناً، ثم أَمَرَ تعالى نبيَّه أنْ يأمرهم بالاستجابة لدعوة اللّٰه وشريعته من قبل إتيان يوم القيامة الذي لا يُرَدُّ أحد بعده إلى عمل، قال * ع[2] *: في الآية الأخرَىٰ في سورة «آلم غلبت الروم»: ويحتمل أن يريد: لا يَرُدُّه رَادٌّ حتى لا يقع، وهذا ظاهر بحسب اللفظ، و«النكير»: مصدر بمعنى الإنكار؛

(١) أخرجه الطبري (١١/١٥٩) برقم: (٣٠٧٣٨ ـ ٣٠٧٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/٤١).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٤٢).

قال الثعلبيُّ: ﴿ما لكم من ملجإ﴾: أي مَعْقِل، ﴿وما لكم من نكير﴾ أي: من إنكارٍ على ما ينزل بكم من العذاب بغير ما بكم، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا...﴾ الآية تسلية للنَّبيِّ ﷺ، والإنسان هنا اسم جنس، وجَمَعَ الضمير في قوله: ﴿تصبهم﴾ وهو عائد على لفظ الإنسان من حيث هو اسم جنس.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿للَّه ملك السمٰوات والأرض يخلق ما يشاء...﴾ الآية، هذه آية اعتبار دَالٌّ على القُدْرَةِ والمُلْكِ المحيط بالجميع، وأَنَّ مشيئته تعالى نافذة في جميع خلقه وفي كُلِّ أمرهم، وهذا لا مدخل لصنم فيه، فإنَّ الذي يخلق ما يشاء هو اللَّه تبارك وتعالى، وهو الذي يقسم الخلق؛ فيهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الأولاد الذكور، ﴿أو يزوجهم﴾ أي: ينوعهم ذكراناً وإناثاً، وقال محمد ابن الحَنَفِيَّة: يريد بقوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ التَّوْءَمَ، أي: يجعل في بطن زوجاً من الذُّرِّيَّة ذكراً وأنثىٰ[1]، و«العقيم»: الذي لا
٤٢ أ يُولَدُ له، وهذا كله مُدَبَّرٌ بالعلم والقدرة/ وبدأ في هذه الآية بذكر الإناث؛ تأنيساً بِهِنَّ لِيُهْتَمَّ بصونهنَّ والإحسانِ إليهنَّ، وقال النبيُّ ـ عليه السلام ـ: «مَنِ ٱبْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ»[2]، وقال واثلةُ بْنُ الأَسْقَعِ: مِنْ يُمْنِ المَرْأَةِ تبكيرُها بالأنثَىٰ قبل الذكر[3]؛ لأنَّ اللَّه تعالى بدأ بِذِكْرِ الإناث؛ حكاه عنه الثعلبيُّ قال: وقال

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٢) كتاب «الزكاة» باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة، والقليل من الصدقة (١٤١٨)، (١٠/ ٤٤٠) كتاب «الأدب» باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٢٧) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: فضل الإحسان إلى البنات (١٤٧/ ٢٦٢٩)، والترمذي (٤/ ٣١٩) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في النفقة على البنات والأخوات (١٩١٣)، وابن حبان (٧/ ٢٠١) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في الصبر وثواب الأعمال، ذكر الاستتار من النار ـ نعوذ باللَّه منها ـ للمسلم إذا ابتلي بالبنات فأحسن صحبتهن (٢٩٣٩)، وأحمد (٦/ ٣٣)، والبيهقي (٧/ ٤٧٨) كتاب «النفقات» باب: النفقة على الأولاد.

قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣).

إسحاق بن بِشرٍ: نزلَتْ هذه الآيةُ في الأَنبياء[١]، ثم عَمَّتْ فـ﴿يَهَبُ لمن يشاء إناثاً﴾ يعني: لوطاً ـ عليه السلام ـ، و﴿يهب لمن يشاء الذكور﴾ يعني إبراهيم ـ عليه السلام ـ، ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ يعني: نبِيَّنَا محمَّداً ـ عليه السلام ـ، ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ يعني: يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّاء ـ عليهما السلام ـ.

وقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً...﴾ الآية، نزلَتْ بسبب خَوْضٍ كان للكفار في معنى تكليم اللّه موسَىٰ ونحو ذلك، ذهَبَ قريشٌ واليهودُ في ذلك إلى تجسيم ونحوه، فنزلت الآية مُبَيِّنَةً صورةَ تكليم اللّه عبادَهُ، كيف هو، فَبَيَّنَ اللّه تعالى أَنَّهُ لا يكُونُ لِأَحَدٍ مِنَ الأنبياءِ، ولا ينبغِي له، ولا يمكنُ فيه أنْ يُكَلِّمه اللّه إلاَّ بأَنْ يوحي إليه أحَدَ وجوه الوَحْيِ من الإلهام؛ قال مجاهد: أوِ النَّفْثِ في القَلْبِ[٢]، أو وَحْيٍ في منام، قال النَّخَعِيّ: وكانَ من الأنبياء مَنْ يُخَطّ له في الأرض ونحو هذا، أو بأنْ يُسْمِعَهُ كلامه دون أن يعرف هو للمتكلِّم جهةً ولا حَيِّزاً كموسَىٰ ـ عليه السلام ـ، وهذا معنى ﴿مِنْ وراءِ حِجَابٍ﴾ أي: من خفاء عن المُكَلِّم لا يحدُّه ولا يتسوَّر بذهنه عليه، وليس كالحجابِ في الشاهد، أو بأنْ يرسِلَ إليه مَلَكاً يُشَافِهُهُ بوحْي اللّه/ عز وجل، قال الفخر[٣]: قوله: ﴿فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ أي: فيوحي ذلك المَلَكُ بإذن اللّه ما يشاءُ اللّه انتهى، **وقرأ** جمهور القُرَّاءِ والناس: «أَوْ يُرْسِلَ» بالنصب «فَيُوحي» بالنصب أيضاً، **وقرأ** نافع، وابن عامر، وابن عباس، وأهل المدينة: «أَوْ يُرْسِلُ» بالرفع فيوحي ـ بسكون الياء[٤] ـ، وقوله: ﴿أو من وراء حجاب﴾ «مِنْ» متعلِّقَةٌ بفعْلٍ يَدُلُّ ظاهر الكلام عليه، تقديره: أو يكلِّمه من وراء حجاب، وفي هذه الآيةِ دليلٌ على أَنَّ الرسالة من أنواع التكليم، وأَنَّ مَنْ حَلَفَ: لا يُكَلِّم فلاناً، وهو لم ينوِ المشافهة، ثم أرسل رسولاً حَنِثَ.

٤٢ب

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا...﴾ الآية، المعنى: وبهذه الطرق، ومن هذا الجنس أوحينا إليك، أي: بالرسول، و«الرُّوحُ» في هذه الآية: القرآن

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٤٣).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/٤٣).

(٣) ينظر: «مفاتيح الغيب» (٢٧/١٦٣).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٤٣)، و«البحر المحيط» (٧/٥٠٤)، و«الدر المصون» (٦/٨٨).

آن وهدى الشريعة، سَمَّاه رُوحاً من حيث يُحْيي به البَشَرَ والعَالَم؛ كَما يُحْيِي الجسدَ بالروح، فهذا على جهة التشبيه.

وقوله تعالى: ﴿من أمرنا﴾ أي: واحد من أُمورنا، ويحتمل أَنْ يكون الأمر بمعنى الكلام، و﴿مِن﴾ لابتداء الغاية.

وقوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ توقيفٌ علَىٰ مِقْدَارِ النعمةِ، والضميرُ في ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ عائدٌ على الكتابِ، و﴿نهدي﴾ بمعنى: نُرْشِدُ، **وقرأ** جمهور الناس: «وإِنَّكَ لَتَهْدِي» ـ بفتح التاء وكسر الدال ـ، **وقرأ** حَوْشَبٌ: «لَتُهْدَىٰ» ـ بضم التاء وفتح الدال ـ، **وقرأ** عاصم: «لَتُهْدِي» ـ بضم التاء وكسر الدال ـ.

وقوله: ﴿صراط اللَّه﴾ يعني: صراط شرع اللَّه، ثم استفتح سبحانه القَوْلَ في الإخبار بصيرورة الأمور إليه سبحانه؛ مبالغةً وتحقيقاً وتثبيتاً، فقال: ﴿ألا إلى اللَّه تصير الأمور﴾
١٤٣ قال الشيخُ/ العارفُ باللَّه أبو الحسن الشاذليُّ رحمه اللَّه: إِنْ أردتَ أَنْ تغلب الشَّرَّ كُلَّه، وتلحق الخيرَ كُلَّه، ولا يَسْبِقَكَ سَابِق، وإِنْ عمل ما عمل ـ فقل: يا مَنْ له الخَيْرُ كُلُّه، أسألك الخيرَ كُلَّه، وأعوذ بك من الشَّرِّ كُلِّه، فإِنَّك أنت اللَّه الغَنِيُّ الغفُورُ الرَّحِيم، أَسْأَلُكَ بالهادِي محمد ﷺ إِلَىٰ صراطٍ مستقيم، صراطِ اللَّهِ الذي له ما في السَّمٰوَاتِ وما في الأرض، أَلاَ إِلى اللَّه تصيرُ الأمور، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مَغْفِرَةً تَشْرَحُ بها صَدْرِي، وتَضَعُ بها وِزْرِي، وترفعُ بها ذِكْرِي، وتُيَسِّرَ بها أمري، وتُنَزِّهُ بها فكري، وتُقَدِّسَ بها سِرِّي، وتكشفَ بها ضُرِّي، وترفَعَ بها قَدْرِي؛ إِنَّك على كُلِّ شَيْءٍ قدير، اهـ.

* قلت *: قوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب﴾: هذا بَيِّنٌ، وقوله: ﴿ولا الإيمان﴾: فيه تأويلات: قيل معناه: ولا شرائع الإِيمان ومعالمَه؛ قال أبو العالية: يعني: الدعوةَ إِلى الإِيمان، وقال الحسين بن الفَضْل: يعني أهل الإِيمان، مَنْ يؤمن ومَنْ لا يؤمن، وقال ابن خُزَيْمَةَ: الإِيمان هنا الصلاة؛ دليله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال ابن أبي الجَعْدِ وغيره: احترق مُصْحَفٌ فلم يبقَ منه إِلاَّ: ﴿أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ وغَرِقَ مصحفٌ فامحى كُلُّه إِلاَّ قولَه: ﴿أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ نقله الثعلبيُّ وغيره[1]، انتهى.

قال العبد الفقير إِلى اللَّه تعالى، عبدُ الرحمن بْنُ محمَّدِ بن مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبيُّ، لَطَفَ اللَّه به في الدَّارَيْنِ: قد يَسَّر اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ في تحرير هذا المختَصَر، وقد أودعتُهُ بحمد اللَّه

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٤).

جزيلاً من الدُّرر، قد استوعبتُ فيه بحمد اللَّه مُهِمَّاتِ ابْنِ عطيَّةَ، وزدته فوائدَ جليلةً من غيره، وليس الخَبَرُ كالْعِيَانِ، تَوَخَّيْتُ فيه بحمد/ اللَّه الصَّوَاب؛ وجعلته ذخيرةً عند اللَّه لِيَوْمِ ٤٣ ب
المآبِ، لا يَسْتَغْنِي عنه المُنْتَهِي؛ وفيه كفايةٌ للْمُبْتِدي، يستغني[1] به عن المُطَوَّلاَت؛ إِذْ قد حَصَّل منها لُبَابَهَا؛ وكَشَفَ عن الحقائقِ حِجَابَهَا.

{ التَّعْرِيفُ بِرِحْلَةِ المُؤَلِّفِ }

رحلْتُ في طَلَبِ العِلْم في أواخرِ القَرْنِ الثَّامِنِ، ودخلْتُ بِجَايَةَ في أوائل القرن التاسع، فلقيتُ بها الأئمةَ المُقْتَدَىٰ بهم، أَصحابَ سيِّدِي عبد الرحمنِ الوغليسيِّ متوافرِين، فحضَرْتُ مجالسَهُمْ، وكانَتْ عُمْدَةُ قراءتي بها على سيدي [علي بن][2] عثمان المَانْجِلاَتِيِّ ـ رحمه اللَّه ـ بمَسْجِدِ عَيْنِ البَرْبَرِ، ثم ارتحلْتُ إِلى تُونُسَ، فلقيت بها سيدي عيسى الغبريني والأُبِّيَّ، والبرزليَّ، وغيرهم، وأخذْتُ عنهم، ثم ارتحلْتُ إِلى المشرق، فلقيتُ بِمِصْرَ الشيْخَ وَلِيَّ الدِّينِ العِرَاقِي، فأخذْتُ عنه علوماً جَمَّةً مُعْظَمُهَا عِلْمُ الحديث، وفتح اللَّه لي فيه فتحاً عظيماً، وكتب لي وأَجَازَنِي جميعَ ما حضَرْتُهُ عليه، وأطلق في غيره، ثم لقيتُ بمَكَّةَ بعض المحدِّثين، ثم رجعتُ[3] إلى الديار المصرية وإِلى تُونُسَ، وشاركْتُ مَنْ بها، ولقيت بها شيخَنَا أبا عبد اللَّه محمَّدَ بْنَ مَرْزُوقٍ قادماً لإِرادة الحَجِّ، فأخذتُ عنه كثيراً، وأجازني [التدريسَ] في أنواع الفُنُونِ الإِسلاميَّةِ، وحَرَّضَنِي على إِتمام تقييدٍ وضعتُه على ابن الحاجِبِ الفرعيِّ.

قلت: ولما فرغْتُ من تحرير هذا المختَصَرِ وافَقَ قدومَ شيخِنَا أبي عبد اللَّهِ محمد بن مرزوقٍ علينا في سَفْرَةٍ سافرها من تِلْمِسَانَ متوجِّهاً إِلى تُونُسَ، ليصلح/ بَيْنَ سلطانها وبين ٤٤ أ
صَاحِبِ تِلْمِسَانَ، فأوقفته على هذا الكتاب، فنظر فيه وأمعن النظر، فَسُرَّ به سروراً كثيراً ودعا لنا بخير، واللَّه الموفِّق بفَضْلِه.

---

(١) في د: يستعين.
(٢) سقط في: د.
(٣) في د: رجعنا.

تَفسِيرُ سُورَةِ الزُّخرُفِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾

﴿حمٓ * والكتابِ المبين﴾ ﴿والكتاب﴾: خُفِضَ بواو القَسَم، والضمير في ﴿جعلناه﴾ عائدٌ على الكتابِ، ﴿وإنَّه﴾ عطف على ﴿جعلناه﴾، وهذا الإِخبارُ الثَّانِي وَاقِعٌ أيضاً تحتَ القَسَم، و﴿أمّ الكتاب﴾: اللوح المحفوظ، وهذا فيه تشريفٌ للقرآن، وترفيع، واخْتَلَفَ المُتَأَوِّلُونَ: كيف هو في أُمِّ الكتاب؟ فقال قتادة وغيره: القرآن بأجمعه فيه منسوخ، ومنه كان جبريل ينزل، وهنالك هو عَلِيٌّ حكيم[١]، وقال جمهور الناس: إِنَّما في اللوح المحفوظ ذِكْرُهُ ودرجته ومكانته من العُلُوِّ والحكمة.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

وقوله سبحانه: ﴿أفنضرب﴾ بمعنى: أفنترك؛ تقول العرب: أَضْرَبْتُ عن كذا وضَرَبْتُ: إذا أَعْرَضْت عنه وتركْتهُ، و﴿الذكر﴾ هو: الدعاء إلى اللّه، والتذكير بعذابه، والتخويف من عقابه، وقال أبو صالح: الذِّكْرُ هنا أراد به العذاب نفسه[٢]، وقال الضَّحَّاكُ ومجاهد: الذكر القرآن[٣].

وقوله: ﴿صَفْحاً﴾: يحتمل أَنْ يكون بمعنى العفو والغفر للذنوب، فكأَنَّهُ يقول: أفنترك تذكيركم وتخويفكم عفواً عنكم، وغفراً لإِجرامكم؛ من أجل أَنْ كنتم قوماً مسرفين، أي: هذا لا يصلح؛ وهذا قول ابن عباس ومجاهد[٤] ويحتمل قوله: ﴿صفحاً﴾ أَنْ يكون

---

(١) ذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٤٥).
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) ينظر: المصدر السابق.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٦٧) برقم: (٣٠٧٧٠ ـ ٣٠٧٧١) عن قتادة نحوه، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٤).

بمعنى مغفولاً عنه، أي: نتركه يَمُرُّ لا تؤخذون/ بقبوله ولا بتدبُّره، فكأَنَّ المعنى: أفنترككم سُدًى، وهذا هو مَنْحَىٰ قتادةَ وغيره، **وقرأ** نافع وحمزة والكسائي: «إِنْ كُنْتُمْ» بكسر الهمزة[1]، وهو جزاءٌ دَلَّ ما تقدَّمه على جوابه، **وقرأ** الباقون بفتحها بمعنى: من أجل أَنْ، والإِسراف في الآية هو كُفْرُهُمْ. ٤٤ ب

«وكم أرسلنا من نبيء في الأولين» أي: في الأُمَمِ الماضية، كقوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ وغيرهم.

«وما يأتيهم من نبيء إلا كانوا به يستهزءون» أي: كما يستهزىء قومك بك، وهذه الآية تسلية للنَّبِيِّ ﷺ، وتهديد بأَنْ يصيبَ قريشاً ما أصاب مَنْ هو أَشَدُّ بَطْشاً منهم.

﴿ومضىٰ مثل الأولين﴾ أي: سلف أمرهم وسُنَّتُهُم، وصاروا عبرةً غَابِرَ الدَّهْرِ، أنشد صاحبُ «**عنوان الدِّرَايَةِ**» لشيخه أبي عبد اللَّه التَّمِيميِّ: [البسيط]

يَـا وَيْـحَ مَـنْ غَـرَّهُ دَهْـرٌ فَـسُـرَّ بِـهِ ... لَـمْ يَـخْـلُـصِ الصَّـفْـوُ إِلاَّ شِـيـبَ بِـالْـكَـدَرِ
هُـوَ الْـحِـمَـامُ فَـلاَ تُـبْـعِـدْ زِيَـارَتَـهُ ... وَلاَ تَـقُـلْ لَـيْـتَـنِـي مِـنْـهُ عَـلَـىٰ حَـذَرِ
انْـظُـرْ لِـمَـنْ بَـادَ تَـنْـظُـرْ آيَـةً عَـجَـبـاً ... وَعِـبْـرَةً لِأُولِـي الأَلْـبَـابِ وَالْـعِـبَـرِ
أَيْـنَ الأُلَـىٰ جَـنَّـبُـوا خَـيْـلاً مُـسَـوَّمَـةً ... وَشَـيَّـدُوا إِرَمـاً خَـوْفـاً مِـنَ الْـقَـدَرِ
لَـمْ تُـغْـنِـهِـمْ خَـيْـلُـهُـمْ يَـوْمـاً وَإِنْ كَـثُـرَتْ ... وَلَـمْ تُـفِـدْ إِرَمٌ لِـلْـحَـادِثِ الـنُّـكُـرِ
بَـادُوا فَـعَـادُوا حَـدِيـثـاً إِنَّ ذَا عَـجَـبٌ ... مَـا أَوْضَـحَ الـرُّشْـدَ لَـوْلاَ سَـيِّـئُ الـنَّـظَـرِ
تَـنَـافَسَ الـنَّـاسُ فِي الـدُّنْـيَـا وَقَـدْ عَـلِـمُـوا ... أَنَّ الْـمُـقَـامَ بِـهَـا كَـالـلَّـمْـحِ بِـالْـبَـصَـرِ

انتهى.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ

(١) ينظر: «**السبعة**» (٥٨٤)، و«**الحجة**» (٦/ ١٣٨)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٩٢)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٦١)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٢١٧)، و«**العنوان**» (١٧١)، و«**حجة القراءات**» (٦٤٤)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٥٣).

﴿ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز
٤٥ أ العليم﴾: الآيةُ ابتداءُ احتجاجٍ علَىٰ قُرَيْشٍ/ يوجبُ عليهم التناقُضَ من حيث أَقَرّوا بالخَالِقِ، وعَبَدُوا غيره، وجاءتِ العبارةُ عنِ اللّه بـ﴿العزيز العليم﴾؛ ليكونَ ذلك تَوْطِئَةً لما عَدَّدَ سبحانه من أوصافه التي ابتدأَ الإِخبار بها، وقَطَعَهَا من الكلام الذي حَكَىٰ معناه عن قُرَيْشٍ.

وقوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون﴾ الآية، هذه أوصافُ فِعْلٍ، وهي نِعَمٌ من اللّه سبحانه على البَشَرِ، تقوم بها الحُجَّةُ على كُلِّ مُشْرِكٍ.

وقوله: ﴿الذي جعل لكم﴾ ليس هو مِنْ قَوْلِ المسؤولين، بل هو ابتداء إِخبارٍ من اللّه تعالى.

وقوله سبحانه: ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ قيل: معناه: بقدر في الكفاية للصلاح لا إِكثار فَيَفْسُدَ، ولا قِلّة فيقصر؛ بل غيثاً مُغِيثاً، وقيل: ﴿بقَدَرٍ﴾ أي: بقضاء وحَتْمٍ، وقالت فرقة: معناه: بتقديرٍ وتحريرٍ، أي: قدر ماء معلوماً، ثم اختلف قائلُو هذه المقالَة فقال بعضهم: ينزل في كلِّ عام ماءً قَدْراً واحداً، لا يَفْضُلُ عامٌ عاماً، لكن يكثر مرَّةً ههنا ومرة ههنا، وقال بعضهم: بل ينزل تقديراً مَّا في عَامٍ، وينزل في آخرَ تقديراً مَّا، وينزل في آخر تقديراً آخرَ بِحَسَبِ ما سَبَقَ به قضاؤه لا إِله إلا هو.

قُلْتُ: وبعض هذه الأقوالِ لا تُقَالُ من جهة الرأْيِ، بل لا بُدَّ لها من سَنَدٍ، و﴿أنشرنا﴾ معناه: أَحْيَيْنَا؛ يقال: نُشِرَ المَيِّتُ وأَنْشَرَهُ اللّهُ، والأزواجُ هنا الأنواعُ من كل شيْءٍ، و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنَ الفُلْكِ وَالأنعام﴾ للتبعيض، والضمير في ﴿ظهوره﴾ عائدٌ
٤٥ ب علىٰ/ النوعِ المركوبِ الذي وقَعَتْ عليه «ما»، وقد، بَيَّنَتْ آية أخرَىٰ ما يقال عند ركوب الفُلْكِ، وهو: «بِسْمِ اللّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» [هود: ٤١] وإِنما هذه خاصَّةٌ فيما يُرْكَبُ من الحيوان، وإِنْ قَدَّرنا أَنَّ ذِكْر النعمة هو بالقَلْبِ، والتذكُّر بدء الراكِبِ بـ﴿سُبْحَانَ الذي سخر لنا هذا﴾، وهو يرى نعمة اللّه في ذلك وفي سواه و﴿مُقْرِنِينَ﴾ أي: مطيقين، وقال أبو حيّان ﴿مُقْرنين﴾: خبر كان، ومعناه غالبين ضابطين، انتهى، وهو بمعنى الأوَّل، ﴿وإِنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ أَمْرٌ بالإِقرار بالبعث.

* ت *: وعن حمزة بن عمرو الأسلميِّ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَىٰ ظَهْرِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ، فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَسَمُّوا اللَّهَ» رواه ابن حِبَّان في «**صحيحه**»[(١)]، انتهى من «**السلاح**»، وينبغي لمن مَلَّكَهُ اللَّه شيئاً من هذا الحيوان أَنْ يَرْفُقَ به ويُحْسِنَ إليه؛ لينالَ بذلك رضا اللَّه تعالى، قال القُشَيْرِيُّ في «**التحبير**»: وينبغي لِلْعَبْدِ أنْ يكونَ مُعَظِّماً لِرَبِّه، نَفَّاعاً لخلقه، خيراً في قومه، مُشْفِقاً علَىٰ عباده؛ فَإِنَّ رأس المعرفة تعظيمُ أمر اللَّه سبحانه، والشفقَةُ على خَلْقِ اللَّه، انتهى، ورَوَىٰ مالكٌ في «**المُوطَّإ**» عن النبيِّ ﷺ؛ أَنَّه قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ إِذِ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْراً فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، فَخَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَىٰ مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرَاً؟!/ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[(٢)]. ٤٦ أ
قال أبو عُمَرَ في «**التمهيد**»: وكذا في الإساءة إلى الحيوان إِثْمٌ، وقد رَوَىٰ مالكٌ، عن نافع، عن ابنِ عمر؛ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا، ولاَ هِيَ أَطْلَقَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[(٣)]، ثم أسند أبو عُمَرَ؛ «أَنَّ النبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطاً مِنْ

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٤)، وابن حبان (٤/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣) كتاب «الصلاة» باب: شروط الصلاة، ذكر البيان بأن قوله ﷺ: «فإنها خُلقت من الشياطين» لفظة أطلقها على المجاوزة لا على الحقيقة برقم: (١٧٠٣)، والطبراني (٣/ ١٧٠٦) (٢٩٩٣).
قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ١٣٤): رواه أحمد والطبراني في «**الكبير**» و«**الأوسط**» ورجالهما رجال الصحيح غير محمد بن حمزة، وهو ثقة.
(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٣٦) كتاب «المظالم» باب: الآبار التي على الطريق إذا لم يتأذَّ بها (٢٤٦٦)، ومسلم (٤/ ١٧٦١) كتاب «السلام» باب: فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (١٥٣/ ٢٢٤٤).
(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٠٩) كتاب «بدء الخلق» باب: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء، وخمس من الدواب فواسق يُقتلن في الحرم (٣٣١٨)، ومسلم (٤/ ١٧٦٠) كتاب «السلام» باب: تحريم قتل الهرة (١٥١/ ٢٢٤٢)، و (٤/ ٢٠٢٢) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: تحريم تعذيب الهرة ونحوها (١٢٣/ ٢٢٤٢)، (١٣٤/ ٢٢٤٢)، وابن حبان (٢/ ٣٠٥) كتاب «البر والإحسان» باب: فصل من البر والإحسان، ذكر استحباب الإحسان إلى ذوات الأربع رجاء النجاة من العقبى به (٥٤٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٥) (٣٧٩)، والدارمي (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) كتاب «**الرقاق**» باب: دخلت امرأة النار في هرة، البيهقي (٥/ ٢١٤) كتاب «الحج» باب: كراهية قتل النملة للمحرم وغير المحرم، وكذلك ما لا ضرر فيه مما لا يؤكل، (٨/ ١٣) كتاب «النفقات» باب: نفقة الدواب، وأحمد (٢/ ١٥٩، ١٨٨).
وفي الباب من حديث أبي هريرة: أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٣) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: تحريم تعذيب الهرة ونحوها، من الحيوان الذي لا يؤذى برقم: (١٣٥/ ٢٦١٩)، وأحمد (٢/ ٢٦١، ٢٦٩، ٢٨٦، ٣١٧، ٤٢٤، ٤٥٧، ٤٦٧، ٤٧٩، ٥٠١، ٥٠٧، ٥١٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢١) كتاب=

حِيطَانِ الأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أُتِيَ فَجُرْجِرَ، وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ، فَسَكَنَ، فَقَالَ: مَنْ صَاحِبُ الجَمَلِ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ في هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ؛ إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ»[1] ومعنى ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، أي: قَطَرَتْ دموعُهما قطراً ضعيفاً، والسَّرَاةُ الظَّهْرُ، «والذِّفْرَىٰ»: ما وراءَ الأذنَيْن عن يمين النُّقْرَةِ وشِمَالِهَا، انتهى.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ أيْ: جَعَلَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ والعربِ للَّه جزءاً، أي: نصيباً وحَظًّا، وهو قولُ العَرَبِ: «الملائكة بنات اللَّه»؛ هذا قول كثير من المتأولين، وقال قتادة: المراد بالجُزْءِ: الأَصنامُ وغيرها[2] فـ﴿جُزْءاً﴾ معناه: نِدًّا.

* ت *: وباقي الآية يُرَجِّحُ تأويلَ الأكثرِ.

وقوله: ﴿أم اتخذ﴾: إضرابٌ وتقريرٌ وتوبيخٌ؛ إِذِ المحمود المحبوبُ من الأولاد قد خَوَّلَهُ اللَّه بني آدم، فكيفَ يَتَّخِذُ هو لنفسه النصيب الأدنى، وباقي الآية بَيِّنٌ مِمَّا ذُكِرَ في «سورة النحل» وغيرها.

ثم زاد سبحانه في توبيخهم وإفساد رأيهم بقوله: ﴿أَو من ينشأ في الحلية﴾ التقدير: أو مَنْ يُنَشَّأُ في الْحِلْيَةِ هو الذي خَصَصْتُم به اللَّه عز وجل، والحِلْيَةُ: الْحَليُ من الذهب/ والفضة والأحجار، و﴿ينشأ﴾ معناه: ينبت وَيَكْبُر، و﴿الخصام﴾: المحاجَّة ٤٦ ب
ومجاذبة المحاورة، وقَلَّ ما تجد امرأة إلاَّ تُفْسِدُ الكلام وتخلط المعاني، وفي مصحف ابن مسعود[3]: «وَهُوَ في الكَلاَمِ غَيْرُ مُبِينٍ» والتقدير: غير مُبِينٍ غَرَضاً أو منزعاً ونحو هذا،

«الزهد» باب: ذكر التوبة برقم: (٤٢٥٦)، وابن حبان (١٢/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩) كتاب «الحظر والإباحة» باب: فصل فيما يتعلق بالدواب، ذكر الخبر الدال على أن المسيء إلى ذوات الأربع قد يتوقع له دخول النار في القيامة بفعله ذلك، برقم: (٥٦٢١).

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ١٧٢) برقم: (٣٠٧٨٩ ـ ٣٠٧٩٠) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨ ـ ٤٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧١٧)، وعزاه إلى ابن حميد، وعبد الرزاق، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٩).

وقال ابن زيد: المراد بـ﴿مَنْ ينشأ في الحلية﴾: الأصنامُ والأوثان، لأنَّهم كانوا يجعلون الحَلْيَ علَىٰ كثير منها، ويتخذون كثيراً منها من الذهب والفضة[١]، **وقرأ** أكثر السبعة: «وجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ إناثاً» **وقرأ** الحَرَمِيَّانِ وابنُ عَامِرٍ: «عِنْدَ الرَّحْمٰنِ إِناثاً» وهذه القراءة أَدَلُّ على رفع المنزلة[٢].

وقوله تعالى: «أَأُشْهِدُوا خَلْقَهُمْ» معناه أَأُحْضِرُوا خَلْقَهُمْ، وفي قوله تعالى: ﴿ستكتب شهادتهم ويسئلون﴾ وعيدٌ مُفْصِحٌ، وأسند ابن المبارك عن سليمان بن راشِدٍ؛ أنه بلغه أَنَّ آمْرَأً لا يشهدُ شهادةً في الدنيا إلاَّ شَهِدَ بها يومَ القيامة على رؤوس الأشهاد، ولا يمتدح عبداً في الدنيا إلاَّ امتدحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، قال القرطبيُّ في «**تذكرته**»: وهذا صحيح؛ يَدُلُّ على صِحَّتِهِ قوله تعالى: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾ وقوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [قٓ: ١٨] انتهى.

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وقالوا لو شاء الرحمٰن ما عبدناهم...﴾ الآية، أي: ما عبدنا الأصنام.

* ت *: وقال قتادة وغيره: يعني: ما عبدنا الملائكة[٣]، وجعل الكفارُ إِمهالَ اللَّه لهم دليلاً على رضاه عنهم، وأنَّ ذلك كالأمرِ به، ثم نفى سبحانه علمهم بهذا، وليس عندهم كتاب مُنَزَّلٌ يقتضي ذلك؛ وإِنَّما هم يَظُنُّونَ ويحدسون/ ويُخَمِّنُون، وهذا هو ١٤٧أ
الخَرْصُ والتخرُّص، والأُمَّة هنا بمعنى الملَّة والديانة، والآية على هذا تُعِيبُ عليهم التقليد،

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٤٧) برقم: (٣٠٨٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٩).
(٢) ينظر: «**السبعة**» (٥٨٥)، و«**الحجة**» (٦/ ١٤٠)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٢٩٥)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٦٢)، و«**شرح الطيبة**» (٥/ ٢١٨)، و«**العنوان**» (١٧١)، و«**حجة القراءات**» (٦٤٧)، و«**شرح شعلة**» (٥٧٦)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٥٤).
(٣) ذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٣٦) آية رقم: (٢٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٧١٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

وذكر الطبريُّ[١] عن قوم أنَّ الأمَّة الطريقة، ثم ضرب اللَّه المثل لنبيِّه محمد ـ عليه السلام ـ وجعل له الأُسْوَةَ فيمن مضى من النذر والرسل؛ وذلك أنَّ المُتْرَفِينَ من قومهم، وهم أهل التنعُّم والمال، قد قابلوهم بِمِثْلِ هذه المقالةِ، وفي قوله عز وجل: ﴿فانتقَمْنَا منهم...﴾ الآية: وعيدٌ لقريشٍ، وضَرْبُ مَثَلٍ لهم بِمَنْ سَلَفَ من الأمم المُعَذَّبَةِ المُكَذِّبَةِ لأنبيائها.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ المعنى: واذكر إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾ أي: فافعل أنتَ فِعْلَهُ، وتَجَلَّدْ جَلَدَهُ، و﴿بَرَآءٌ﴾: صفة تجري على الوَاحِدِ والاثْنَيْنِ والجَمْعِ؛ كَعَدْلٍ وَزَوْرٍ، وقرأ ابن مسعود: «بَرِيءٌ»[٢].

وقوله: «إلا الذي فطرني» قالت فرقة: الاستثناء مُتَّصِلٌ، وكانوا يعرفون اللَّه ويُعَظِّمُونه، إلاَّ أَنَّهم كانوا يشركون معه أصنامهم، فكأَنَّ إبراهيم قَالَ لهم: أنا لا أوافقكم إلاَّ على عبادة اللَّه الذي فطرني، وقالت فرقة: الاستثناء مُنْقَطِعٌ، والمعنى: لكنَّ الذي فطرني هو معبودي الهادي المُنْجي من العذاب، وفي هذا استدعاءٌ لهم، وترغيبٌ في طاعةِ اللَّه، وتطميع في رحمته.

والضمير في قوله: ﴿وجعلها كلمة...﴾ الآية، قالت: فرقة: هو عائد على كلمته بالتوحيد في قوله: ﴿إنني براء﴾ وقال مجاهد وغيره: المراد بالكلمة: لا إله إلا اللَّه[٣]، وعاد عليها الضمير، وإِنْ كان لم يجر لها ذكر؛ لأنَّ اللفظ يتضمَّنها، والعَقِبُ: الذُّرِّيَّةُ، ووَلَدُ الوَلَدِ ما امتدَّ فرعهم.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/١٧٦).

(٢) وقرأ بها الأعمش.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٦)، و«المحرر الوجيز» (٥/٥١)، و«البحر المحيط» (٨/١٣)، و«الدر المصون» (٦/٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/١٧٩) برقم: (٣٠٨١٨ ـ ٣٠٨١٩)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/١٣٧)، وابن عطية (٥/٥٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٧٢٠)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

٤٧ ب وقوله:/ ﴿بل متعت هؤلاء﴾ يعني قريشاً ﴿حتى جاءهم الحق ورسول﴾، وذلك هو شرع الإسلام، والرسول [هو] محمد ﷺ و﴿مبين﴾ أي: يبين لهم الأحكام، والمعنى في الآية: بل أمهلتُ هؤلاءِ وَمَتَّعْتُهُمْ بالنعمة ﴿ولما جاءهم الحق﴾ يعني القرآن ﴿قالوا هذا سحر﴾.

﴿وقالوا﴾ يعني قريشاً: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ يعني: من إحدى القريتين، وهما مَكَّةُ والطَّائِفُ، ورجل مَكَّةَ هو الوَلِيدُ بْنُ المُغِيرَةِ في قول ابن عباس وغيره(١)، وقال مجاهد: هو عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ(٢)، وقيل غير هذا، ورجل الطائف: قال قتادة: هو عُرْوَةُ بْنُ مسعود(٣)، وقيل غير هذا، قال * ع(٤) *: وإنَّما قصدوا إلى من عظم ذكره بِالسِّنِّ، وإلاَّ فرسول اللَّه ﷺ كان أعظمَ من هؤلاء؛ إذ كان المُسَمَّىٰ عندهم «الأمين»، ثم وَبَّخَهُم سبحانه بقوله: ﴿أهم يقسمون رحمت ربك﴾ و«الرحمة» اسم عامٌّ يشمل النُّبُوَّةَ وغيرها، وفي قوله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾ تزهيدٌ في السعايات، وعون على التَّوَكُّلِ على اللَّه عز وجل؛ ولِلَّه دَرُّ القائل: [الرجز]

[كَـمْ جَـاهِـلٍ يَـمْـلِـكُ دُوراً وَقُـرَىٰ ... وَعَـالِـمٍ يَـسْـكُـنُ بَـيْـتـاً بِـالْـكِـرَا](٥)

لَـمَّـا سَـمِـعْـنَـا قَـوْلَـهُ سُـبْـحَـانَـهُ ... نَـحْـنُ قَـسَـمْـنَـا بَـيْـنَـهُـمْ زَالَ الـمِـرَا(٦)

وروى ابن المبارك في «رقائقه» بسنده عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً أَرْضَاهُ بِمَا قَسَمَ لَهُ، وَبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَإِذَا لَمْ يُرِدْ بِهِ خَيْراً، لَمْ يُرْضِهِ بِمَا قَسَمَ لَهُ، وَلَمْ يُبَارِكْ لَهُ فِيهِ»(٧) انتهى، و﴿سخريًّا﴾ بمعنى التسخير، ولا مدخل لمعنى الهزء في هذه الآية.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٨١) برقم: (٣٠٨٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٢١)، وعزاه إلى ابن مردويه، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٨١) برقم: (٣٠٨٣٠)، وذكره البغوي (٤/ ١٣٧)، وابن عطية (٥/ ٥٢)، وابن كثير (٤/ ١٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٢١)، وعزاه إلى ابن عساكر.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٨١) برقم: (٣٠٨٣١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٣٧)، وابن عطية (٥/ ٥٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٢١)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٣).

(٥) سقط في: د.

(٦) ذكر بعضه ابن عطية في «المحرر» (٥/ ٥٣).

(٧) ذكره السيوطي في «الجامع الكبير» (١١١٧)، وعزاه للديلمي عن أبي هريرة.

وقوله تعالى: ﴿ورحمت ربك خير مما يجمعون﴾ قال قتادة والسُّدِّيُّ: يعني الجنة[١]، قال * ع[٢] *: ولا شَكَّ أَنَّ الجنة هي الغاية، ورحمة اللَّه في الدنيا بالهداية
١٤٨ أ والإِيمان خير من/ كُلِّ مال، وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا، وتزهيد فيها، ثم استمرَّ القولُ في تحقيرها بقوله سبحانه: ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة...﴾ الآية؛ وذلك أَنَّ معنى الآية أَنَّ اللَّه سبحانه أبقى على عباده، وأنعم عليهم بمراعاة بقاء الخير والإيمان، وشاء حفظه على طائفة منهم بَقِيَّةَ الدهر، ولولا كراهيةُ أنْ يكونَ الناسُ كُفَّاراً كُلُّهم، وأَهْلَ حُبٍّ في الدنيا وتجرُّدٍ لها ـ لوسَّعَ اللَّه على الكفار غايةَ التوسعة، ومَكَّنَهم من الدنيا؛ وذلك لحقارتها عنده سبحانه، وأنها لا قَدْرَ لها ولا وزنَ؛ لفنائها وذَهَابِ رسومها، فقوله: ﴿أمَّة واحدة﴾ معناه في الكُفْرِ؛ قاله ابن عباس وغيره[٣]، ومن هذا المعنى قوله ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَىٰ كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[٤] وروى ابن المبارك في **«رقائقه»** بسنده عن عَلْقَمَةَ عن عبد اللَّه قال: «اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَأَثَّرَ الحَصِيرُ في جَنْبِهِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ، جَعَلْتُ أَمْسَحُ عَنْهُ، وَأَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ آذَنْتَنِي قَبْلَ أَنْ تَنَامَ عَلَىٰ هَذَا الحَصِيرِ، فَأَبْسُطَ لَكَ عَلَيْهِ شَيْئاً يَقِيكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا لِي ولِلدُّنْيَا، وَمَا لِلدُّنْيَا وَمَا لِي مَا أَنَا وَالدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ في فَيْءٍ أَوْ ظِلِّ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[٥] انتهىٰ، وقد خَرَّجه التِّرمذيُّ، وقال: حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ، و﴿سقفاً﴾ جمع

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٤) برقم: (٣٠٨٤١ ـ ٣٠٨٤٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٣)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٢٢)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٥٣).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٤) برقم: (٣٠٨٤٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٣)، وابن كثير (٤/ ١٢٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٢٢)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وابن المنذر عن ابن عباس، ولعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة، وابن المنذر عن مجاهد.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٦٠) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في هوان الدنيا على اللَّه عز وجل (٢٣٢٠)، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٣/ ٢٥٣).
قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩) كتاب «الزهد» باب: (٤٤) (٢٣٧٧)، وأحمد (١/ ٣٩١، ٤٤١)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦) كتاب «الزهد» باب: مثل الدنيا (٤١٠٩)، وأخرجه في **«دلائل النبوة»** (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٣١١) (١٠٤١٥)، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٤/ ٢٣٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال أبو نعيم: غريب من عمرو وإبراهيم، تفرد به المسعودي، ورواه المعافي بن عمران، ووكيع بن الجراح، ويزيد بن هارون عن المسعودي مثله، وحدث به جرير عن الأعمش عن إبراهيم، وهو غريب. =

سَقْف، والمعارج: الأدراج التي يُطْلَعُ عليها؛ قاله ابن عباس وغيره[١]، و﴿يظهرون﴾ معناه: يعلون؛ ومنه حديث عائشةَ ـ رضي اللّه عنها ـ والشمس في حجرتها لم تظهر/ بعد، ٤٨ ب والسُّرُرُ: جمع سرير، والزُّخْرُفُ: قال ابن عَبَّاس، والحسن، وقتادة والسُّدِّيُّ: هو الذهب[٢]، وقالت فرقة: الزُّخْرُفُ: التزاويق والنَّقْش ونحوه؛ وشاهده: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها﴾ [يونس: ٢٤] **وقرأ** الجمهور: ﴿وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَا﴾ ـ بتخفيف الميم ـ من «لما»؛ فـ«إِنْ» مُخَفَّفَةٌ من الثقيلة، واللام في «لما» داخلةٌ؛ لتَفْصِلَ بين النفي والإيجاب، **وقرأ** عاصم، وحمزة، وهشام بخلافٍ عنه ـ بتشديد الميم ـ من «لمَّا»[٣]؛ فـ«إِنْ» نافيةٌ بمعنى [«مَا»، و«لَمَّا» بمعنى][٤] «إلاَّ»، أي: وما كُلُّ ذلك إلاَّ متاعُ الحياة الدنيا، وفي قوله سبحانه: ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ وعْدٌ كريمٌ، وتحريضٌ على لزوم التقوَىٰ، إِذْ في

= وفي الباب من حديث ابن عباس نحوه: أخرجه ابن حبان (٨/ ٢٠٩) ـ الموارد (٢٥٢٦)، وابن حبان (١٤/ ٢٦٥) كتاب «التاريخ» باب: صفته ﷺ وأخباره، ذكر ما مثل المصطفى ﷺ نفسه والدنيا بمثل ما مثل به (٦٣٥٢)، وأحمد (١/ ٣٠١)، والحاكم (٤/ ٣٠٩، ٣١٠) والطبراني (١١/ ٣٢٧) (١١٨٩٨)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٣١٢) (١٠٤/٧).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ا هـ.

قال الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (١٠/ ٣٢٩): ورجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة. ا هـ.

وفي الباب من حديث ابن عمر: أن رسول اللّه ﷺ أتى فاطمة رضي اللّه عنها فوجد على بابها ستراً. . . إلى أن قال: «وما أنا والدنيا وما أنا والرقم. . .» الحديث. أخرجه البخاري (٥/ ٢٧٠) كتاب «الهبة» باب: هدية ما يكره لبسها (٢٦١٣)، وأبو داود (٢/ ٤٧٠) كتاب «اللباس» باب: في اتخاذ الستور (٤١٤٩)، وأحمد (٢/ ٢١)، وابن حبان في **«صحيحه»** (١٤/ ٢٦٧) كتاب «التاريخ» باب: صفته ﷺ وأخباره، وذكر ما مثل به المصطفى ﷺ نفسه والدنيا بمثل ما مثل به. (٦٣٥٣)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٣١٢) (١٠٤١٦).

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٦) برقم: (٣٠٨٥٠، ٣٠٨٥٤) عن ابن عباس، و (٣٠٨٥١) عن قتادة، و (٣٠٨٥٢) عن السدي، و (٣٠٨٥٣) عن قتادة، و (٣٠٨٥٥) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٤)، وابن كثير (٤/ ١٢٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٢٢)، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٦ ـ ١٨٧) برقم: (٣٠٨٥٨، ٣٠٨٦٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٤)، وابن كثير (٤/ ١٢٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٢٢)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٣) ينظر: **«السبعة»** (٥٨٦)، و**«الحجة»** (٦/ ١٤٩)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٢٩٧)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٣٦٤)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ٢٢٠)، و**«العنوان»** (١٧١)، و**«حجة القراءات»** (٦٤٩)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٥٦).

(٤) سقط في: د.

الآخرة هو التباينُ الحقيقيُّ في المنازل؛ قال الفخر[١]: بَيَّنَ تعالَىٰ أَنَّ كُلَّ ذلك متاع الحياة الدنيا، وأَمَّا الآخرة فهي باقيةٌ دائمةٌ، وهي عند اللَّه وفي حُكْمِهِ للمتَّقِينَ المُعْرِضِينَ عَنْ حُبِّ الدنيا، المقبلين عَلَىٰ حُبِّ المَوْلَى، انتهى.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن﴾ الآية، وعَشَا يَعْشُو معناه: قَلَّ الإبصارُ منه، ويقال أيضاً: عَشِيَ الرجلُ يَعْشَىٰ: إذا فَسَدَ بَصَرُه، فلم يَرَ، أو لَمْ يَرَ إلاَّ قليلاً، فالمعنى في الآية: ومَنْ يَقِلَّ بَصَرُهُ في شرع اللَّه، ويغمضُ جفونه عن النَّظَرِ في ذِكْرِ الرحْمٰنِ، أي: فيما ذكَّر به عباده، أي: فيما أنزله من كتابه، وأوحاه إلى نَبِيِّه.

وقوله: ﴿نُقَيِّض له شيطاناً﴾ أي: نُيَسِّرْ له، ونُعِدَّ، وهذا هو العقاب على الكفر بالحتم وعدمِ الفلاحِ، وهذا كما يقال: إِنَّ اللَّه تعالى يُعَاقِبُ على المعصية بالتزيُّد في المعاصي، ويجازي على الحسنة بالتزيُّد من الحَسَنَاتِ، وقد روي هذا المعنى مرفوعاً. قال * ص *: ﴿ومن يَعْشُ﴾ الجمهور بضم الشين[٢]، أي: يَتَعَامَ ويتجاهَلْ، فـ﴿مَنْ﴾
١٤٩ شرطيةٌ، و﴿يَعْشُ﴾ مجزومٌ بها، و﴿نقيِّضْ﴾/ جواب ﴿مَنْ﴾، انتهى، والضمير في قوله: ﴿وإنهم﴾ عائد على الشياطين، وفيما بعده عائد على الكُفَّارِ، وقرأ نافع وغيره[٣]: «حَتَّى إِذَا جَاءَانَا»؛ على التثنية، يريد: العاشي والقرين؛ قاله قتادة وغيره[٤]، وقرأ أبو عمرو وغيره: «جَاءَنا» يريد العاشي وحدَه[٥]، وفاعل ﴿قال﴾ هو العَاشِي، قال الفَخْرُ[٦]: ورُوِيَ أَنَّ الكافر

---

(١) ينظر: «الرازي» (٢٧/ ١٨٢).
(٢) ينظر: «الدر المصون» (٦/ ٩٨).
(٣) وقرأ بها ابن كثير وابن عامر، وأبو بكر.
ينظر: «السبعة» (٥٨٦)، و«الحجة» (٦/ ١٥٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٢٩٧)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٦٥)، و«شرح الطيبة» (٢/ ٢٢٢)، و«العنوان» (١٧١)، و«حجة القراءات» (٦٥٠)، و«شرح شعلة» (٥٧٧)، و«إتحاف» (٢/ ٤٥٦).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ١٨٩) برقم: (٣٠٨٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٥).
(٥) ينظر: مصادر القراءة السابقة.
(٦) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٧/ ١٨٣).

إذا بُعِثَ يوم القيامة من قبره أَخَذَ شَيْطَانٌ بيده، فلم يُفَارِقْهُ حَتَّىٰ يصيِّرهما اللَّه إِلَى النار، فذلك حيث يقول: ﴿يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ انتهى.

وقوله: ﴿بعد المشرقين﴾ يحتمل مَعَانِيَ:

أحدها: أن يريد بُعْدَ المشرق من المغرب، فَسَمَّاهما مَشْرِقَيْنِ؛ كما يقال القَمَرَانِ، والعُمَرَانِ.

والثاني: أنْ يريد مشرق الشمس في أطول يوم، ومشرقها في أقصر يوم.

والثالث: أنْ يريد بعد المشرقَيْنِ من المغربين، فاكتفى بذكر المشرقين.

قلت: واستبعد الفَخْرُ التأويل الثاني قال: لأَنَّ المقصودَ من قوله: ﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ المبالغةُ في حصول البُعْدِ، وهذه المبالغة إنَّما تحصل عند ذكر بُعْدٍ لا يمكن وُجودُ بُعْدٍ أزيدَ منه، والبُعْدُ بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ليس كذلك، فَيَبْعُدُ حَمْلُ اللَّفْظِ عليه؛ قال: والأَكْثَرُونَ عَلَى التأويل الأَوَّلِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ولن ينفعكم اليوم...﴾ الآية، حكايةٌ عن مقالة تُقَالُ لهم يوم القيامة، وهي مقالة مُوحِشَةٌ فيها زيادةُ تعذيبٍ لهم ويأسٍ من كل خير، وفاعل ﴿ينفعكم﴾ الاشتراك، ويجوز أنْ يكون فاعل ﴿ينفعكم﴾ التَّبَرِّي الذي يدل عليه قوله: ﴿يا ليت﴾.

وقوله سبحانه: ﴿أفأنت تسمع الصم...﴾ الآية، خطاب لِلنَّبِيِّ ﷺ وباقي الآية
/ تكرَّر معناه غيرَ ما مَرَّةٍ. ٤٩ ب

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ أي: بما جاءك من عند اللَّه من الوحي الْمتلوِّ وغيره.

وقوله: ﴿وإنه لذكر لك﴾ يحتمل أنْ يريد: وإِنَّهُ لشرف في الدنيا لكَ ولِقَوْمِكَ يعني: قُرَيْشاً؛ قاله ابن عباس وغيره[1]، ويحتمل أنْ يريد: وإنَّه لتذكرة وموعظة، فـ«القومُ» علَىٰ هذا أُمَّتُهُ بأجمعها، وهذا قول الحسن بن أبي الحسن[2].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ١٩١) برقم: (٣٠٨٧٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٧)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**»، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في «**شعب الإيمان**».
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٧).

وقوله: ﴿وسوف تسئلون﴾ قال ابن عباس وغيره: معناه: عن أوامر القرآن ونواهيه[١]، وقال الحسن: معناه: عن شكر النعمة فيه[٢]، واللفظ يحتمل هذا كلَّه ويعمُّه.

وقوله تعالى: ﴿واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا...﴾ الآية، قال ابن زيد، والزُّهْرِيُّ: أما إنَّ النبي ﷺ لم يَسْأَلِ الرُّسُلَ ليلةَ الإسْراءِ عن هذا؛ لأنَّهُ كان أَثْبَتَ يقيناً مِنْ ذلك، ولم يكُنْ في شَكٍّ، وقال ابنُ عَبَّاسٍ وغيره: أراد: وَٱسْأَلْ أَتْبَاعَ مَنْ أرسلنا وحَمَلَةَ شرائعهم[٣]، وفي قراءة ابن مسعود وأُبَيٍّ: «واسْئَلِ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ»[٤].

* ت *: قال عِيَاضٌ: قوله تعالى: «واسئل من أرسلنا من قبلك...» الآية: الخطابُ مواجهةٌ للنبيِّ ﷺ، والمراد المشركون؛ قاله القُتَبِيُّ، ثم قال عِيَاضٌ: والمراد بهذا، الإعلامُ بأَنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لم يأذنْ في عبادة غيره لأحد؛ رَدًّا على مُشْرِكي العرب وغيرهم في قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] انتهى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا...﴾ الآية، ضَرْبُ مثلٍ وأسوةٍ للنبيِّ ﷺ بموسَىٰ ـ عليه السلام ـ ولِكُفَّارِ قريشٍ بقوم فرعونَ.

٥٠ أ وقوله: ﴿وأخذناهم بالعذاب﴾ أي: كالطوفان والجراد والقُمَّلِ والضفادع،/ وغير ذلك ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي: يتوبون ويرجعون عن كفرهم، وقالوا لما عاينوا العذاب لموسى: ﴿يأيه السَّاحِرُ﴾ [أي]: العَالِمُ، وإنَّما قالوا هذا على جهة التعظيم والتوقير؛ لِأَنَّ عِلْمَ السحر عندهم كان علماً عظيماً، وقيل: إنَّما قالوا ذلك على جهة الاستهزاء، والأَوَّلُ أرجَحُ، وقولهم: ﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون﴾ أي: إن نَفَعَتْنَا دَعْوَتُكَ.

---

(١) ينظر: المصدر السابق.
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ١٩٢) برقم: (٣٠٨٨٧) عن ابن زيد نحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٧).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٧).

وقوله: ﴿أليس لي ملك مصر...﴾ الآية: مِصْرُ من بحر الإسكندريَّة إلى أُسْوَان بطول النيل، والأنهار التي أشار إليها هي الخُلْجَانُ الكِبَارُ الخارجةُ من النِّيل.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

وقوله: ﴿أم أنا خير﴾ قال سِيبَوَيْهِ: «أَمْ» هذه المعادلةُ، والمعنى: أفأنتم لا تبصرون؟ أم تبصرون، وقالت فرقة: «أم» بمعنى «بل»، **وقرأ** بعض الناس[(١)]: «أَمَا أَنَا خَيْرٌ» حكاه الفَرَّاءُ، وفي مصحف أُبَيِّ بن كعب[(٢)]: «أَمْ أَنا خَيْرٌ أَمْ هَذَا» و﴿مهين﴾ معناه: ضعيف، ﴿ولا يكاد يبين﴾ إشارةٌ إلى ما بقي في لسان موسَىٰ من أَثَرِ الجَمْرَة، وكانت أحدثَتْ في لسانه عُقْدَةً، فَلَمَّا دعا في أَنْ تُحَلَّ لِيُفْقَهَ قولُهُ، أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ، لكِنَّهُ بقي أثرٌ كان البيانُ يقع معه، فَعَيَّرَهُ فرعونُ به.

وقوله: ﴿ولا يكاد يبين﴾ يقتضى أَنَّه كان يُبِين.

وقوله: ﴿فلولا ألقي عليه﴾: يريد من السماء، على معنى التكرمة، **وقرأ** الجمهور: «أَسَاوِرَةٌ» وقرأ حفص عن عاصم: «أَسْوِرَةٌ»[(٣)] وهو ما يجعل في الذِّرَاعِ من الحلي، وكانت عادة الرجال يومئذ لُبْسَ ذلك والتَّزَيُّنَ به.

* ت *: وذكر بعض المفسرين عن مجاهد أَنَّهم كانوا إذا سَوَّدُوا رجلاً سَوَّرُوهُ بِسِوَارٍ، وَطَوَّقُوهُ بِطَوْقٍ من ذهب؛ علامةً لسيادته، فقال فرعون: هلا/ ألقى رَبُّ موسَىٰ ٥٠ ب
على موسَىٰ أساورةً من ذهب، أو جاء معه الملائكةُ مقترنين مُتَتَابعين، يُقَارِنُ بعضُهُمْ بَعْضاً، يمشون معه شاهدين له، انتهى، وقال * ع[(٤)] *: قوله: ﴿مقترنين﴾: أي: يحمونه، ويشهدون له، ويقيمون حُجَّتَهُ.

* ت *: وما تقدَّم لغيره أحسنُ، ولا يُشَكُّ أَنَّ فرعونَ شَاهَدَ مِنْ حماية اللَّه لموسَىٰ

---

(١) ينظر: «الكشاف» (٤/ ٢٥٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٣).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٩).
(٣) ينظر: «الحجة» (٦/ ١٥١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٠٠)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٦٦)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢٢٢)، و«العنوان» (١٧١)، و«حجة القراءات» (٦٥١)، و«شرح شعلة» (٥٧٧)، و«إتحاف» (٢/ ٤٥٧).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٦٠).

أموراً لم يَبْقَ معه شَكٌّ في أنَّ اللَّه قَدْ مَنَعَهُ منه.

وقوله سبحانه: ﴿ءاسفونا﴾ معناه: أغضبونا بلاَ خِلاَفٍ.

وقوله: ﴿فجعلناهم سَلَفاً﴾ «السلف»: الفارط المُتَقَدِّمُ، أي: جعلناهم متقدِّمين في الهلاك؛ لِيَتَّعِظَ بهم مَنْ بعدهم إلى يوم القيامة، وقال البخاريُّ: قال قتادةُ: ﴿مثلاً للآخرين﴾ عِظَةً[١]، انتهى.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً...﴾ الآية، روي عن ابن عباس وغيره في تفسيرها؛ أَنَّهُ لما نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية، وكَوْنُ عيسَىٰ من غير فَحْلٍ ـ قالت قريشٌ: ما يريد محمدٌ من ذكر عيسَىٰ إلاَّ أَنْ نعبده نَحْنُ كما عَبَدَتِ النصارَىٰ عيسَىٰ، فهذا كان صدودُهُمْ[٢].

وقوله تعالى: ﴿وقالوا آآلهتنا خير أم...﴾ هذا ابتداء معنى ثان، وذلك أَنَّهُ لما نزل: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] الآية، قال [ابن] الزِّبَعْرَى ونظراؤه: يا محمد، آآلهتنا خير أم عيسَىٰ؟ فنحن نرضَىٰ أَنْ تكُونَ آلهتنا مع عِيسَىٰ؛ إِذْ هُوَ خَيْرٌ منها، وإِذْ قد عُبِدَ، فهو من الحَصَبِ إذَنْ، فقال اللَّه تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً﴾ ومغالطةً، ونَسُوا أَنَّ عيسَىٰ لم يُعْبَدْ برضاً منه، وقالت فرقةٌ: المراد بـ﴿هُوَ﴾
٥١ أ محمَّد ﷺ وهو قولُ قتادة[٣]، وفي مصحف [أُبَيٍّ]: «خَيْرٌ أَمْ هَذَا»[٤] فالإشارة إلى/ نبيِّنا محمد ـ عليه السلام ـ، وقال ابن زيد وغيره: المراد بـ﴿هو﴾ عيسى[٥]، وهذا هو الراجح، ثم أخبر تعالى عنهم أَنَّهم أهلُ خصام ولَدَدٍ، وأخبر عن عيسى بقوله: ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه﴾ أي: بالنبوَّة والمنزلة العاليةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٢٨) كتاب «التفسير» باب: سورة الزخرف، معلقاً، ووصله الفريابي عن مجاهد، وزاد لمن بعدهم، والحديث: أخرجه الطبري (١١/ ٢٠٠) برقم: (٣٠٩١٧) عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٠٠) برقم: (٣٠٩١٧ ـ ٣٠٩١٨ ـ ٣٠٩١٩) عن مجاهد وقتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٠).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٦١).

(٤) تقدمت.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٢٠٢) برقم: (٣٠٩٣٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦١).

* ت *: ورُوِّينا في «جامع الترمذيّ» عن أبي أُمَامَةَ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إلاَّ أُوتُوا الجَدَلَ، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾»[(١)] قال أبو عيسَىٰ: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ، انتهى.

وقوله: ﴿وجعلناه مثلاً﴾ أي: عبرةً وآية ﴿لبني إسرائيل﴾ والمعنى: لا تستغربوا أَنْ يُخْلَقَ عيسَىٰ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ؛ فَإِنَّ القُدْرَةَ تقتضي ذلك، وأكثر منه.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

وقوله: ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾ معناه: لجعلنا بدلاً منكم، أي: لو شاء اللَّهُ لَجَعَلَ بَدَلاً من بني آدم ملائكةً يسكُنُونَ الأَرْضَ، ويخلفون بني آدم فيها، وقال ابن عباس ومجاهد: يخلف بعضهم بعضاً[(٢)]، والضمير في قوله: ﴿وإنه لعلم﴾ قال ابن عَبَّاس وغيره: الإشارة به إلى عيسى[(٣)]، وقالت فرقة: إلى محمد، وقال قتادة وغيره: إلى القرآن[(٤)].

* ت *: وَكَذَا نقل أبو حيَّان[(٥)] هذه الأقوالَ الثلاثة، ولو قيل: إِنَّه ضميرُ الأمر والشَّأن؛ استعظاماً واستهوالاً لِأَمْرِ الآخِرَةِ ما بَعُدَ، بل هو المتبادَرُ إلى الذِّهْنِ، يَدُلُّ عليه: ﴿فلا تَمْتَرُنَّ بها﴾، واللَّه أعلم،، وقرأ ابن عباس[(٦)]، وجماعة: «لَعَلَمٌ» ـ بفتح العين

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الزخرف (٣٢٥٣)، وابن ماجه (١/ ١٩) المقدمة: باب: (٧) (٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١١٢)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٣٣) (٨٠٦٧).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار، وحجاج ثقة مُقارِب الحديث، وأبو غالب اسمه: حَزَوَّر. ا هـ.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ا هـ.
قال الذهبي: صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤٢٨) كتاب «التفسير» باب: سورة الزخرف، معلقاً وهو موصول عند عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، والطبري (١١/ ٢٠٤) (٣٠٩٤٤) عن ابن عباس، (٣٠٩٤٧) عن قتادة، وابن عطية (٥/ ٦١).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٦١).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٠٥) برقم: (٣٠٩٦١) عن قتادة، والحسن، وذكره ابن عطية (٥/ ٦١).

(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٦).

(٦) وقرأ بها أبو هريرة، وقتادة، والضحاك، ومجاهد، وأبو نضرة، ومالك بن دينار.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٣٦)، و«الكشاف» (٤/ ٢٦١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٦١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٦)، و«الدر المصون» (٦/ ١٠٦).

واللام ـ، أي: أمارة، **وقرأ** عِكْرِمَةُ[١]: «لَلْعِلْمُ» بلامين الأولى مفتوحة، **وقرأ** أُبيٌّ: «لَذِكْرٌ لِلسَّاعَةِ»[٢] فمن قال: إنَّ الإِشارة إلى عيسى حَسَنٌ مع تأويله «عِلْم» و«عَلَم»، أي: هو
٥١ ب إشعارٌ بالساعة، وشَرْطٌ/ من أشراطها، يعني: خروجه في آخر الزمان، وكذلك مَنْ قال: الإِشارة إلى النبي ﷺ، أي: هو آخر الأنبياء، وقد قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ» يعني السبابة والوُسْطَىٰ، ومَنْ قال: الإِشارة إلى القرآن حَسُنَ قوله مع قراءة الجمهور، أي: يعلمكم بها وبأهوالها.

وقوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾: إشارة [إلى] الشرع.

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ يعني: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وغير ذلك، وباقي الآية تكرَّر معناه.

وقوله: ﴿هذا صراط مستقيم﴾ حكايةٌ عن عيسَىٰ ـ عليه السلام ـ، إذْ أشار إلى شرعه.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿هل ينظرون﴾ يعني: قريشاً، والمعنى: ينتظرون و﴿بغتة﴾ معناه: فجأة، ثم وَصَفَ سُبْحَانَه بَعْضَ حالِ القيامة، فقال: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو﴾، وذلك لهولِ مطلعها والخوف المُطِيفِ بالناس فيها؛ يتعادى ويتباغضُ كُلُّ خليل كان في الدنيا على غير تُقًى؛ لأنَّه يرى أنَّ الضَّرَرَ دخل عليه من قِبَلِ خليله، وأَمَّا المُتَّقُونَ فَيَرَوْنَ أَنَّ النفْعَ دخَلَ من بعضهم على بعض، هذا معنى كلام عليٍّ ـ رضي اللّه عنه ـ وخَرَّجَ البَزَّارُ عن ابن عَبَّاس قال: «قيل: يا رَسُولَ اللّهِ، أَيُّ جُلَسَائِنَا خَيْرٌ؟ قَالَ: مَنْ ذَكَّرَكُمْ باللّهِ رُؤْيَتُهُ، وَزَادَكُمْ في عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُمْ باللّهِ عَمَلُهُ»[٣] اهـ، فمِنْ مِثْلِ هؤلاء تصلُحُ الأُخُوَّةُ

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٦١)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٢٦)، و«**الدر المصون**» (٦/ ١٠٦).
(٢) ينظر: «**الكشاف**» (٤/ ٢٦١)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٦١).
(٣) أخرجه أبو يعلى (٤/ ٣٢٦) (٢٤٣٧) من حديث ابن عباس، وذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (١٠/ ٨١)، وقال: رواه البزار عن شيخه علي بن حرب ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.
وذكره الحافظ في «**المطالب العالية**» (٣٢٣٣)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي يعلى.

الحقيقية، واللَّه المستعانُ، ومن كلام الشيخ أبي مَدْيَنَ ـ رضي اللَّه عنه ـ: دليلُ تخليطِكَ صُحْبَتُكَ للمخلِّطين، ودليلُ ٱنقطاعِكَ صُحْبَتُكَ لِلْمُنْقَطِعِين، وقال ابن عطاء اللَّه في **«التنوير»**: قَلَّ ما تَصْفُو لَكَ الطَّاعَات، أو تَسْلَمُ/ من المخالَفَات، مع الدخول في الأسباب، ٥٢ أ
لاِستلزامها لمعاشرة الأضداد؛ ومخالطة أَهْلِ الغَفْلة والبِعَاد، وأَكْثَرُ ما يعينك على الطاعات رؤيةُ المُطِيعين، وأَكْثَرُ ما يُدْخِلُكَ في الذَّنْبِ رؤيةُ المُذْنِبين، كما قال ـ عليه السلام ـ: «المَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(١) والنفس من شأنها التَّشَبُّهُ والمحاكَاةُ بصفَاتِ مَنْ قارَنَهَا، فصحبةُ الغافلين مُعِينَةٌ لها علَىٰ وجود الغَفْلَةِ، انتهى،، وفي **«الحِكَم الفارقيَّة»**: مَنْ ناسب شَيْئاً انجذب إليه؛ وظَهَرَ وَصْفُهُ عليه، وفي **«سماعِ العُتْبِيَّة»** قال مالك: لا تصحبْ فاجراً؛ لئلاَّ تتعلمَ من فجوره، قال ابن رُشْدٍ: لا ينبغي أنْ يصحب إلاَّ مَنْ يُقْتَدَى به في دينه وخيره؛ لأَنَّ قرينَ السوء يُرْدِي؛ قال الحكيم: [الطويل]

[إذَا كُنْتَ في قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... وَلاَ تَصْحَبِ الأَرْدَىٰ فَتَرْدَىٰ مَعَ الرَّدِي]
عَنِ الْمَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ... فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

انتهى.

* ت *: وحديث: «المَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ» أخرجه أبو داود، وأبو بكر بن الخطيب وغيرهما، وفي **«المُوَطَّإِ»** من حديث معاذ بن جبل، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: قال اللَّه تبارك وتعالى: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ والمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ»(٢) قال أبو عمر: إسناده صحيحٌ عن أبي إدريس الخولانيِّ عن معاذ، وقد رواه جماعة عن معاذٍ، ثم أسند أبو عمر من طريق أبي مسلم الخولاني، عن معاذ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «المُتَحَابُّونَ في اللَّه عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ في ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ»(٣)، قال أبو مسلم: فخرجت فلقيتُ عُبَادَةَ بنَ الصَّامِتِ، فذكرتُ له حديث

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٨٩) كتاب «الزهد» باب: (٤٥) (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/ ٣٠٣)، والحاكم (٤/ ١٧١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحاكم: حديث أبي الحباب صحيح إن شاء اللَّه تعالى ولم يخرجاه. ا هـ.
قال الذهبي: صحيح إن شاء اللَّه.
قال أبو نعيم في **«الحلية»** (٣/ ١٦٥): غريب من حديث سعيد وصفوان تفرد به عنه فيما قيل محمد بن إبراهيم الأسلمي.

(٢) أخرجه مالك (٢/ ٩٥٣ ـ ٩٥٤) كتاب «الشعر» باب: ما جاء في المتحابين في اللَّه (١٦)، وأحمد (٥/ ٢٤٧).

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٢٠)، وأحمد (٥/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٥٢ ب / مُعَاذٍ، فقال: وَأنا سمعتُ رسول اللّه ﷺ يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ: قَالَ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فيَّ،، والمُتَحَابُّونَ في اللّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ في ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ»[1] انتهى من «التمهيد».

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٦٩ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ۝٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٧١ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٣﴾

وقوله تعالى: ﴿يا عبادي﴾ المعنى: يقال لهم، أي: للمتقين، وذكر الطبريُّ[2] عن المعتمر عن أبيه أنه قال: سمعت أَنَّ الناس حين يُبْعَثُونَ ليس منهم أَحَدٌ إلاَّ فَزِعَ، فينادي منادٍ: يا عبادي، لا خوفٌ عليكم اليوم، ولا أنتم تحزنون، فيرجوها الناسُ كُلُّهم، فَيُتْبِعُها: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ قال: فَيَيْئَسُ منها جميعُ الكُفَّار.

وقوله: ﴿الذين آمنوا﴾ نعت للعباد، و﴿تحبرون﴾ معناه: تنعمون وتُسَرُّونَ، و«الحبرة»: السرور، و«الأكواب»: ضَرْبٌ من الأواني؛ كالأباريق، إلاَّ أنها لا آذانَ لها ولا مَقَابِضَ.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝٧٧﴾

وقوله تعالى: ﴿إن المجرمين﴾ يعني: الكُفَّارَ، و«المُبْلِسُ»: المُبْعَدُ اليائسُ من الخير؛ قاله قتادة وغيره[3]، وقولهم: ﴿ليقض علينا ربك﴾ أي: لِيُمِتْنَا رَبُّك؛ فنستريحَ، فالقضاء في هذه الآية: الموتُ؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، ورُوِيَ في تفسير هذه الآية عن ابن عباس؛ أَنَّ مالكاً يقيم بعد سؤالهم ألف سنة، ثم حينئذ

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ١٦٩)، وأحمد (٥/ ٢٣٩)، وابن حبان (٨/ ١٩١) (٢٥١٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٣١).
قال الحاكم: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ا هـ. ووافقه الذهبي.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٢): رواه عبد اللّه بن أحمد، والطبراني باختصار، والبزار بعد حديث عبادة فقط، ورجال عبد اللّه، والطبراني وثقوا.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٢) برقم: (٣٠٩٨٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٤).

يقول لهم: ﴿إنكم ماكثون﴾[١].

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لقد جئناكم﴾ يحتملُ أنْ يكونَ مِنْ تَمَامِ قول مالِكٍ لهم، ويحتمل أنْ يكون من قول اللّٰه تعالى لقريشٍ، فيكونُ فيه تخويفٌ فصيحٌ بمعنى: انظروا كيف يكون حالكم؟!.

٥٣ أ وقوله تعالى: ﴿أم/ أبرموا أمراً﴾ أي: أحكموا أمراً في المكر بالنبيِّ ﷺ ﴿فإنا مبرمون﴾ أي: مُحْكِمُون أمراً في نَصْرِهِ ومجازاتهم، والمراد بـ«الرسل» هنا: الحَفَظَةُ من الملائكة يكتبون أعمال العباد، وتَعُدُّ للجزاء يوم القيامة.

«واختُلِفَ في قوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمٰن ولد فأنا أول العابدين﴾ فقال مجاهد: المعنى إِنْ كان للّٰه ولد في قولكم، فأنا أَوَّل مَنْ عَبَدَ اللّٰه وَوَحَّدَهُ وكَذَّبكم[٢]، وقال ابن زيد وغيره: «إن»: نافية بمعنى «ما»؛ فكأنَّه قال: قل ما كان للرحمن ولد[٣]، وهنا هو الوقف على هذا التأويل، ثم يبتدىء قوله: ﴿فأنا أول العابدين﴾ قال أبو حاتم قالت فرقةٌ: العابِدُونَ في الآية: مِنْ عَبِدَ الرجلُ: إذا أَنِفَ وأنكر، والمعنى: إنْ كان للرحمن ولد في قولكم، فأنا أَوَّلُ الآنفين المُنْكِرِينَ لذلك، **وقرأ** أبو عبد الرحمن: «فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِدِينَ» قال أبو حاتم: العَبِدُ ـ بكسر الباء ـ: الشَّدِيدُ الغضب، وقال أبو عُبَيْدَةَ: معناه: أول الجاحدين[٤]، والعَرَبُ تقولُ: عَبَدَنِي حَقِّي، أي: جَحَدَنِي، وباقي الآية تنزيه للّٰه سبحانه، ووعيد للكافرين، و﴿يومهم الذي يوعدون﴾ هو يوم القيامة، هذا قول الجمهور، وقال عِكْرَمَةُ وغيره: هو يوم بَدْرٍ[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٣) برقم: (٣٠٩٩١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٥) برقم: (٣١٠٠٦)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٦٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٣٥)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٥) برقم: (٣١٠٠٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٥).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٦).

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٦).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

وقوله جَلَّتْ عظمته: ﴿وهو الذي في السماء إله...﴾ الآية، آيةُ تعظيم وإخبارٍ بأُلوهيَّتِهِ سبحانه، أي: هو النافذ أَمْرُهُ في كُلِّ شيء، **وقرأ** عمر بن الخَطَّاب، وأُبَيٌّ، وابنِ مسعود، وغيرهم[(١)]: «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ اللَّهُ وَفي الأَرْضِ اللَّهُ» وباقي الآية بَيِّنٌ، ثم [أَعْلَمَ سبحانه] أَنَّ مَنْ عُبِدَ من دون اللّه لا يملك شفاعةً يَوْمَ القيامة، إلاَّ مَنْ شَهِدَ بالحق،
٥٣ ب وهم الملائكة، وعيسى/ وعُزَيْرٌ؛ فإنَّهُمْ يملكون الشفاعة؛ بأنْ يُمَلِّكُها اللّه إيَّاهم؛ إذ هم مِمَّنْ شَهِدَ بالحقِّ، وهم يعلمونه، فالاستثناء على هذا التأويل مُتَّصِلٌ، وهو تأويل قتادة[(٢)]، وقال مجاهد وغيره: الاستثناء في المشفوع فيهم[(٣)]، فكأنَّه قال: لا يشفع هؤلاءِ الملائكةُ، وعيسى، وعُزَيْرٌ إلاَّ فيمن شَهِدَ بالحق، أي: بالتوحيد فآمن على عِلْم وبَصِيرةٍ، فالاستثناء على هذا التأويل مُنْفَصِلٌ، كأنَّه قال: لكن مَنْ شَهِدَ بالحَقِّ؛ فيشفع فيهم هؤلاءِ، والتأويل الأَوَّلُ أصوب، **وقرأ** الجمهور: «وَقِيلَهُ» بالنصب[(٤)]، وهو مصدر؛ كالقَوْلِ، والضَّميرُ فيه لِنَبِيِّنا محمَّد ﷺ، واخْتُلِفَ في الناصب له، فقالت فرقة: هو معطوف على قوله: ﴿سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُم﴾ ولفظ البخاريِّ ﴿وقِيلَهُ يَا رَبِّ﴾: تفسيرُهُ: أيحسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهم ونَجْوَاهُمْ [و] لا نَسْمَعُ قِيلَهُ يا رَبِّ، انتهى،، وقيل: العامل فيه ﴿يكتبون﴾ ونزل قوله تعالى: ﴿وقيله يا رب﴾ بمنزلة شَكْوَىٰ محمَّد ـ عليه السلام ـ واستغاثَتِهِ مِنْ كُفْرِهِمْ وعُتُوِّهم، **وقرأ** حمزةُ وعاصمٌ: «وَقِيلِهِ» بالخفض[(٥)]؛ عطفاً على الساعة.

---

(١) وقرأ بها علي ويحيى بن يعمر، واليماني.
ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٣٧)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٦٦)، وزاد نسبتها إلى جابر بن زيد، وأبي الشيخ، والحكم بن أبي العاصي، وبلال بن أبي بردة، وابن السميفع. وزاد أبو حيان (٨/ ٢٩): عمر بن عبد العزيز، وحميد، وابن مقسم، وهي في «**الدر المصون**» (٦/ ١٠٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢١٨) برقم: (٣١٠١٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٦٦).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٦).

(٤) وقرأ برفعه الأعرج، وأبو قلابة، ومجاهد.
ينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٢٥٨)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٦٧)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٣٠)، وزاد نسبتها إلى الحسن، وقتادة، ومسلم بن جندب.
وينظر: «**الدر المصون**» (٦/ ١١٠)، وقراءة السبعة ستأتي.

(٥) وقرأ الباقون بالنصب. قال السمين، وأما قراءة النصب ففيها ثمانية أوجه: =

وقوله سبحانه: ﴿فاصفح عنهم﴾: مُوَادَعَةٌ منسوخةٌ ﴿وقل سلام﴾ تقديره: أَمْرِي سلامٌ، أيْ: مسالمة ﴿فسوف تعلمون﴾.

= **«أحدها»**: أنه منصوب على محل «السَّاعَةِ»؛ كأنه قيل: إنه يَعْلَمُ السَّاعَةَ ويَعْلَمُ قِيلَهُ كذا.
«الثاني»: أنه معطوفٌ على «سِرَّهُمَ وَنَجوَاهُمْ»، أي: لا يعلَمُ سرَّهم وَنَجْواهم ولا يعلم قيله.
«الثالث»: عطف على مفعول «يَكْتُبُونَ» المحذوف، أي: يكتبونَ ويكتبونَ قيلَهُ كذا أيضاً.
«الرابع»: أنه عطف على مفعول «يَعْلَمُونَ» المحذوف، أي: يعلمون ذلك ويعلمون قيلَهُ.
«الخامس»: أنه مَصْدَرٌ أي: قَالَ قيلَهُ.
«السادس»: أن ينتصب بإِضْمَارِ فِعْلٍ، أي: اللَّه يَعْلَمُ قِيلَ بِرَسُولِهِ وهو محمد ﷺ.
«السابع»: أن ينتصب على محل «بِالْحَقِّ»، أي: شَهِدَ بالحَقِّ وبقيله.
«الثامن»: أن ينتصب على حذف حرف القَسَمِ كقوله:

.... فَـذَاكَ أَمَـانَـةُ الـلَّـهِ الـثَّـرِيـدُ

ينظر: **«الدر المصون»** (٦/ ١٠٩ ـ ١١٠)، و**«السبعة»** (٥٨٩)، و**«الحجة»** (٦/ ١٥٩)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٣٠٤)، و**«معاني القراءات»** (٢/ ٣٦٩)، و**«شرح الطيبة»** (٥/ ٢٢٧)، و**«العنوان»** (١٧٢)، و**«حجة القراءات»** (٦٥٥)، و**«شرح شعلة»** (٥٧٩)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٦٠).

تفسيرُ سُورَةِ الدُّخَانِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾

﴿حمٓ * والكِتَابِ المُبِينِ * إنا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مباركَةٍ...﴾ الآية، قوله: ﴿والكتاب المبين﴾ قَسَمٌ أقسم اللَّه تعالى به، وقوله: ﴿إنا أنزلناه﴾ يحتمل أنْ يقعَ القَسَمُ عليه، ويحتملُ أَنْ يكون وصفاً للكتاب، ويكون الذي وقع القَسَمُ عليه ﴿إنا كنا منذرين﴾،
٥٤ أ / واخْتُلِفَ في تعيين الليلة المباركة، فقال قتادَةُ، والحسن، وابن زيد: هي ليلة القَدْرِ[١]، ومعنى هذا النزول أنَّ ابتداء نزوله كان في ليلة القَدْرِ؛ وهذا قول الجمهور،، وقال عِكْرِمَةَ: الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان[٢]، قال القُرْطُبِيُّ: والصحيح أَنَّ الليلةَ التي يُفْرَقُ فِيهَا كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم، ليلةُ القَدْرِ مِنْ شَهْرِ رمضانَ، وهي الليلة المباركة، انتهى من «**التذكرة**»، ونحوُهُ لابن العربيِّ.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧﴾

وقوله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ معناه يُفْصَلُ من غيره وَيَتَخَلَّصُ، فعن عِكْرِمَةَ أَنَّ اللَّه تعالَىٰ يَفْصِلُ ذلك للملائكة في ليلة النصف من شعبان[٣]، وفي بعض

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٢٠) برقم: (٣١٠٢٦، ٣١٠٢٨) عن قتادة، وابن زيد، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٤٨) عنهما، وابن عطية (٥/ ٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٧٣٨)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٢٣) برقم: (٣١٠٣٩).

الأحاديث عن النبي ﷺ؛ أنَّهُ قال: «تُقْطَعُ الآجَالُ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى شَعْبَانَ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْكِحُ وَيُولَدُ لَهُ، وَلَقَدْ خَرَجَ ٱسْمُهُ فِي المَوْتَىٰ[١]» وقال قتادة، والحسن، ومجاهد: يُفْصَلُ في ليلة القدر كُلُّ ما في العام المُقْبِلِ، من الأقدار، والأرزاقِ، والآجال، وغير ذلك، و﴿أمراً﴾ نُصِبَ على المصدر[٢].

وقوله: ﴿إنا كنا مرسلين﴾ يحتمل أنْ يريدَ الرُّسُلَ والأَشْيَاءَ، ويحتمل أَنْ يريدَ الرحمة التي ذكر بَعْدُ، واختلف الناس في «الدخان» الذي أمر اللّه تعالى بارتقابه، فقالت فرقة؛ منها عليٌّ، وابن عباس، وابن عمر، والحَسَنُ بْنُ أبي الحَسَنِ، وأبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ: هو دُخَانٌ يجيء قَبْلَ يوم القيامة، يُصِيبُ المؤمنَ منه مِثْلُ الزكام، ويَنْضَجُ رُؤُوسَ المنافِقِينَ والكافِرِينَ، حتى تكونَ كأنَّها مَضْلِيَّةٌ حنيذة[٣]، وقالت فرقة، منها ابن مسعود: هذا الدخان قد رأته قريشٌ حين دعا عليهم النبيُّ ﷺ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ، فكان الرجُلُ يَرَىٰ من الجُوعِ دُخَاناً
بينه وبين السماء[٤]؛ وما/ يأتي من الآيات يُؤَيِّدُ هذا التأويلَ، وقولهم: ﴿إنا مؤمنون﴾ كان ٥٤ ب
ذلك منهم مِنْ غَيْرِ حقيقةٍ، ثم قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لهم الذكرى﴾ أي: من أين لهم التَّذَكُّرُ وَالاتعاظُ بعد حُلُولِ العذاب؟ ﴿وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ﴾ يعني: محمداً ﷺ فـ﴿تولَّوا عنه﴾، أي: أعرضوا ﴿وقالوا: معلَّم مجنونٌ﴾.

وقوله: ﴿إنكم عائدون﴾ أي: إلى الكفر، واختلف في يوم البَطْشَةِ الكُبْرَىٰ، فقالتْ فرقةٌ: هو يوم القيامة، وقال ابن مسعود وغيره: هو يوم بدر[٥].

﴿أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ

(١) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٢/ ١١٥) (٢٢٢٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٦٩٤) (٤٢٧٨٠) وكلاهما عزاه إلى ابن زنجويه.
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٢٢) برقم: (٣١٠٣٥) عن مجاهد، (٣١٠٣٦ ـ ٣١٠٣٧) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٤٨)، وابن عطية (٥/ ٦٨)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن نصر، والبيهقي عن قتادة.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٦٩).
(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٤٤)، وعزاه إلى البيهقي في «دلائل النبوة».
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٠) برقم: (٣١٠٧٠) عن ابن مسعود، (٣١٠٧١) عن مسروق، (٣١٠٧٢) عن ابن مسعود، (٣١٠٧٣ ـ ٣١٠٧٤) عن مجاهد، (٣١٠٧٥) عن أبي العالية، (٣١٠٧٦) عن ابن عباس، (٣١٠٧٩) عن أبي بن كعب، (٣١٠٨٠) عن الضحاك، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٤٥)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه.

تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾

وقوله: ﴿أن أدوا﴾ مأخوذ من الأداء، كأنَّه يقول: أنِ ادْفَعُوا إِلَيَّ، وأعطوني، ومَكِّنُوني من بني إِسرائيل، وَإِيَّاهم أراد بقوله: ﴿عباد اللَّه﴾، وقال ابن عباس: المعنى: اتبعوني إلى ما أدعوكم إِليه من الحَقِّ[1]، فعباد اللَّه على هذا مُنَادًى مضافٌ، والمؤدَّىٰ هي الطاعة، والظاهر من شرع موسَىٰ ـ عليه السلام ـ أَنَّهُ بُعِثَ إِلَىٰ دعاء فرعونَ إِلَى الإِيمَان، وأَنْ يرسل بني إسرائيل، فلمَّا أبى أَنْ يُؤمن ثبتت المكافحة في أَنْ يرسل بني إِسرائيل، وقوله بعد: ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ كالنَّصِّ في أنَّه آخر الأمرِ، إِنَّما يطلب إِرسال بني إِسرائيل فقط.

وقوله: ﴿وأن لا تعلوا على اللَّه...﴾ الآية: المعنى: كانت رسالته، وقوله: ﴿أن أدوا﴾ ﴿وأن لا تعلوا على اللَّه﴾ أيْ: على شرعِ اللَّه، وَعَبَّرَ بالعُلُوِّ عن الطغيان والعُتُوِّ، و﴿أن ترجمون﴾ معناه: الرجم بالحجارة المُؤَدِّي إلى القتل؛ قاله قتادة وغيره[2]، وقيل: أراد الرجم بالقول، والأول أظهر؛ لأنَّه الذي عاذَ منه، ولم يَعُذْ من الآخر.

* قلت *: وعن ابن عمر قال: قال النبيُّ ﷺ: «مَنِ ٱسْتَعَاذَ باللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ
٥٥ أ سَأَلَكُمْ باللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ ٱسْتَجَارَ باللَّهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ بِمَعْرُوفٍ/ فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَٱدْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»[3]، رواه أبو داود، والنسائيُّ، والحاكم، وابن حِبَّانَ في «صحيحيهما»، واللفظ للنَّسَائِيِّ، وقال الحاكم: صحيحٌ على شَرْطِ الشيخَيْنِ ـ يعني البخاريَّ ومسلماً ـ اهـ من «السلاح».

وقوله: ﴿فاعتزلون﴾ متاركَةٌ صريحةٌ، قال قتادة: أراد خَلُّوا سَبِيلِي.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٧٠).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٣) برقم: (٣١٠٩٨ ـ ٣١٠٩٩) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥١) عنه، وابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٧١)، وابن كثير (٤/ ١٤١).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٥٢٤) كتاب «الزكاة» باب: عطية من سأل باللَّه عز وجل (١٦٧٢)، (٢/ ٧٥٠) كتاب «الأدب» باب: في الرجل يستعيذ من الرجل (٥١٠٩)، وأحمد (٢/ ٦٨، ١٢٧)، والنسائي (٥/ ٨٢) كتاب «الزكاة» باب: من سأل باللَّه عز وجل (٢٥٦٧)، والحاكم (١/ ٤١٢)، وابن حبان (٨/ ١٩٩) كتاب «الزكاة» باب: المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة والثناء والشكر، ذكر الأمر بالمكافأة لمن صنع إليه معروف (٣٤٠٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٥٦).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، قد تابع عمار بن زريق على إقامة هذا الإسناد: أبو عوانة، وجرير بن عبد اللَّه الحميد، وعبد العزيز بن مسلم القملي عن الأعمش.

وقوله: ﴿فدعا ربه﴾ قبله محذوفٌ، تقديرُهُ: فما أجابوه لِمَا طُلِبَ منهم.

وقوله: ﴿فأسر﴾ قبله محذوفٌ، أي: قَالَ اللَّهُ له فَأَسْرِ بِعبادِي، قال ابن العربيِّ في «أحكامه»[(١)]: السُّرَىٰ: سَيْرُ الليل، و«الإِدْلاَجُ» سَيْرُ السَّحرِ، و«التَّأْوِيبُ»: سير النهار، ويقال: سَرَىٰ وأَسْرَىٰ، انتهى.

واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿واترك البحر رَهْواً﴾ متى قالها لموسى؟ فقالت فرقة: هو كلامٌ مُتَّصِلٌ بما قبله، وقال قتادةُ وغيره: خُوطِبَ به بعد ما جاز البحر[(٢)]، وذلك أَنَّهُ هَمَّ أَنْ يضرب البَحْر؛ ليلتئم؛ خَشْيَةَ أَنْ يدخل فرعونُ وجنودُهُ وراءَهُ، و﴿رَهْواً﴾ معناه: ساكناً كما جُزْتَهُ، قاله ابن عباس[(٣)]، وهذا القول هو الذي تؤيِّده اللغةُ؛ ومنه قول القُطَامِيِّ: [البسيط]

يَـمْـشِـيـنَ رَهْـواً فَـلاَ الأَعْـجَـازُ خَـاذِلَـةٌ ... وَلاَ الـصُّـدُورُ عَـلَـى الأَعْـجَـازِ تَـتَّـكِـلُ[(٤)]

ومنه: [البسيط]

وَأُمَّــةٌ خَــرَجَــتْ رَهْــواً إِلَــىٰ عِــيــدِ ... .

أي: خرجوا في سُكُونٍ وَتمَهُّلٍ.

فقيل لموسَىٰ ـ عليه السلام ـ: اتْرُكِ البَحْرَ سَاكِناً على حاله من الانفراق؛ ليقضي اللَّه أمراً كان مفعولاً.

﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾

---

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٩١).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٤) برقم: (٣١١٠١ ـ ٣١١٠٢) عن قتادة نحوه، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٥١)، وابن عطية (٥/ ٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥) برقم: (٣١١٠٣، ٣١١٠٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٢)، وابن كثير (٤/ ١٤١).

(٤) البيت في «ديوانه» ص: (٤)، وينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٣١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٧٢)، و«الدر المصون» (٦/ ١١٥)، في «المحرر»: «يمشون».

وقوله تعالى: ﴿كم تركوا﴾ «كم» للتكثير، أي: كَمْ تَرَكَ هؤلاءِ المُغْتَرُّونَ من كثرة
٥٥ ب الجنَّات والعيونِ، فَرُوِيَ أَنَّ الجناتِ كَانَتْ مُتَّصِلَةً/ ضِفَّتَيِ النيلِ جميعاً من رشيد إلى أُسْوَانَ، وأمَّا العيونُ فيحتملُ أَنَّه أراد الخُلْجَانَ، فشبهها بالعيون، ويحتمل أَنَّها كانت ونَضِبَتْ، ذكر الطُّرْطُوشِيُّ في «**سِرَاجِ الملوك**» له، قال: قال أبو عبد اللَّه بن حَمْدُونَ: كنت مع المُتَوَكِّلِ لما خرج إلى دمشقَ، فركِبَ يوماً إِلَىٰ رُصَافَةِ هشام بن عبد الملك، فنظر إلى قُصُورِها، ثم خرج، فنظر إلى دَيْرٍ هناك قديم حَسَنِ البناءِ بين مزارعَ وأشجارٍ، فدخله، فبينما هو يطوفُ به إذ بَصُرَ برُقْعَةٍ قد أُلْصِقَتْ في صدره؛ فأمر بقلعها، فإذا فيها مكتوبٌ هذه الأبياتُ: [الطويل]

أَيَا مَنْزِلاً بِالدَّيْرِ أَصْبَحَ خَالِياً ... تَلاَعَبُ فِيهِ شَمْأَلٌ وَدَبُورُ
كَأَنَّكَ لَمْ يَسْكُنْكَ بِيضٌ أَوَانِسٌ ... وَلَمْ تَتَبَخْتَرْ في قِبَابِكَ حُورُ
وَأَبْنَاءُ أَمْلاَكٍ غَوَاشِمُ سَادَةٌ ... صَغِيرُهُمُو عِنْدَ الأَنَامِ كَبِيرُ
إِذَا لَبِسُوا أَدْرَاعَهُمْ فَعَوَابِسٌ ... وَإِنْ لَبِسُوا تِيجَانَهُمْ فَبُدُورُ
عَلَىٰ أَنَّهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ ضَرَاغِمٌ ... وَأَنَّهُمُو يَوْمَ النَّوَالِ بُحُورُ
لَيَالِي هِشَامٌ بِالرُّصَافَةِ قَاطِنٌ ... وَفِيكَ ٱبْنُهُ يَا دَيْرُ وَهْوَ أَمِيرُ
إِذِ الْعَيْشُ غَضٌّ وَالخِلاَفَةُ لَذَّةٌ ... وَأَنْتَ طَرُوبٌ وَالزَّمَانُ غَرِيرُ
وَرَوْضُكَ مُرْتَادٌ وَنَوْرُكَ مُزْهِرٌ ... وَعَيْشُ بَنِي مَرْوَانَ فِيكَ نَضِيرُ
بَلَىٰ فَسَقَاكَ الْغَيْثُ صَوْبَ سَحَائِبٍ ... عَلَيْكَ لَهَا بَعْدَ الرَّوَاحِ بُكُورُ
تَذَكَّرْتُ قَوْمِي فِيكُمَا فَبَكَيْتُهُمْ ... بِشَجْوٍ وَمِثْلِي بِالْبُكَاءِ جَدِيرُ
فَعَزَّيْتُ نَفْسِي وَهْيَ نَفْسٌ إِذَا جَرَىٰ ... لَهَا ذِكْرُ قَوْمِي ـ أَنَّةٌ وَزَفِيرُ
لَعَلَّ زَمَاناً جَارَ يَوْماً عَلَيْهِمُو ... لَهُمْ بِالَّذِي تَهْوَى النُّفُوسُ ـ يَدُورُ
فَيَفْرَحَ مَحْزُونٌ وَيَنْعَمَ بَائِسٌ ... وَيُطْلَقَ مِنْ ضِيقِ الوَثَاقِ أَسِيرُ
٥٦ أ رُوَيْدَكَ إِنَّ/ الدَّهْرَ يَتْبَعُهُ غَدٌ ... وَإِنَّ صُرُوفَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

فلما قرأها المتوكِّل، ٱرتاع، ثم دعا صاحب الدَّيْرِ، فسأله عَمَّن كتبها، فقال: لا عِلْمَ لي به، وانصرف، انتهى، وفي هذا وشبهه عِبْرَة لأولي البصائر المستَيْقِظِينَ، ، اللهم، لا تجعلْنَا مِمَّنْ ٱغْتَرَّ بزَخَارِفِ هذه الدارِ!!.

[من الطويل]

أَلاَ إِنَّمـا الـدُّنْـيَـا كَـأَحْـلاَمِ نَـائِـمٍ وَمَـا خَـيْـرُ عَـيْـشٍ لاَ يَـكُـونُ بِـدَائِـمِ

وقرأ جمهور الناس: «ومَقَامٍ» - بفتح الميم -[١]؛ قال ابن عباس وغيره: أراد المنابر[٢].

وعلى قراءة ضم الميم[٣] قال قتادة: أراد: المواضِعَ الحِسَانَ من المساكِنِ وغيرِهَا[٤]، والقولُ بالمنابرِ بعيدٌ جدًّا، و«النَّعْمَةُ» - بفتح النون -: غَضَارَةُ العيشِ ولَذَاذَةُ الحياة، «والنِّعْمَةُ» - بكسر النون -: أَعَمُّ من هذا كُلِّه، وقد تكون الأمراضُ والمصائبُ نِعَماً، ولا يقال فيها: «نَعْمَةٌ» - بالفتح -، **وقرأ** الجمهور: «فاكهين»[٥] ومعناه: فَرِحينَ مسرورين ﴿كذلك وأورثناها قوماً آخرين﴾ أي: بعد القِبْطِ، وقال قتادة: هم بنو إسرائيل[٦]، وفيه ضعف، وقد ذكر الثعلبيُّ عن الحَسَنِ؛ أَنَّ بني إسرائيل رَجَعُوا إِلَىٰ مِصْرَ بعد هلاك فِرْعَوْنَ[٧]، واختلف المتأوِّلون في معنى قوله تعالى: ﴿فما بكَتْ عليهم السماءُ والأَرْضُ﴾، فقال ابن عباس وغيره: وذلك أَنَّ الرجُلَ المؤمنَ إذا مَاتَ، بَكَىٰ عليه من الأرض موضِعُ عباداتِهِ أربعين صَبَاحاً، وبَكَىٰ عليه من السماءِ مَوْضِعُ صُعُودِ عمله، قالوا: ولم يكن في قوم فرعونَ مَنْ هذه حَالُهُ، فَتَبْكِي عليهِمُ السماءُ والأَرْضُ[٨]، قال ❊ ع[٩] ❊: والمعنى الجَيِّدُ في الآية: أَنَّها استعارةٌ فصيحةٌ تَتَضمَّن تحقير أمرهم، وأنَّه لم يتغير لأجل هلاكهم شيء، ومثله قوله ﷺ: «لاَ يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ»، وفي الحديثِ عن النبيِّ ﷺ/ أَنَّهُ قال: «مَا مَاتَ ٥٦ ب

---

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٧٢)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٣٦)، و**«الدر المصون»** (٦/ ١١٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٦) برقم: (٣١١١٥ - ٣١١١٦) عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٢)، وابن كثير (٤/ ١٤١) عن مجاهد، وسعيد بن جبير، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٤٧)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) وقرأ بها ابن هرمز، وقتادة، وابن السميفع، ونافع في رواية خارجة.
ينظر: **«البحر المحيط»** (٨/ ٣٦)، و**«الدر المصون»** (٦/ ١١٥).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٦) برقم: (٣١١١٧) عن قتادة نحوه، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ١٥١)، وابن عطية (٥/ ٧٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٤٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٧٣)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٣٦)، و**«الدر المصون»** (٦/ ١١٥).

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ١٣٩) برقم: (٣١١١٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٣).

(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ٧٣).

(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٧ - ٢٣٨) برقم: (٣١١٢٢، ٣١١٢٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٣)، وابن كثير (٤/ ١٤٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٥/ ٧٤٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في **«شعب الإيمان»**.

(٩) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٧٣).

مُؤْمِنٌ في غُرْبَةٍ غَابَتْ عَنْهُ فِيهَا بَوَاكِيهِ، إلاَّ بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ والأَرْضُ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَة، وَقَالَ: إِنَّهُمَا لاَ يَبْكِيَانِ عَلَىٰ كَافِرٍ»[1] قال الداووديُّ. وعن مجاهد: ما مات مؤمنٌ إلاَّ بكَتْ عليه السماءُ والأرضُ، وقال: أفي هذا عجبٌ؟! وما للأرضِ لا تَبْكِي عَلَىٰ عبدٍ كانَ يَعْمُرُها بالرُّكُوعِ والسجودِ، وما للسماء لا تَبْكِي علَىٰ عبدٍ كان لتسبيحِهِ وتكبيرِهِ فيها دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ؟![2] انتهى.

وروى ابن المبارك في «رقائقه» قال: أخبرنا الأوْزاعيُّ قال: حدَّثني عطاءٌ الخُرَاسَانِيُّ، قال: مَا مِنْ عَبْدٍ يسجد للّهِ سَجْدَةً في بُقْعَةٍ من بِقَاعِ الأرضِ، إلاَّ شَهِدَتْ له يَوْمَ القيامةِ، وبَكَتْ عليه يَوْمَ يَمُوتُ، انتهى، وروى ابن المبارك أَيْضاً عن أبي عُبَيْدٍ صاحبِ سليمانَ «أَنَّ العبد المؤمن إذا مات تنادَتْ بِقَاعُ الأرضِ: عَبْدُ اللَّهِ المُؤْمِنُ مَاتَ قَالَ: فَتَبْكِي عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ، فيقولُ الرحْمٰنُ تبارَكَ وَتعالَىٰ: مَا يُبْكِيكُمَا عَلَىٰ عَبْدِي؟ فَيَقُولاَنِ: يَا رَبَّنَا، لَمْ يَمْشِ عَلَىٰ نَاحِيَةٍ مِنَّا قَطُّ إلاَّ وَهُوَ يَذْكُرُكَ» .اهـ.

و﴿منظرين﴾ أي: مُؤَخَّرِينَ ﴿والعذاب المهين﴾: هو ذبح الأبناءِ، والتَّسْخِيرُ، وغَيْرُ ذلك.

وقوله: ﴿على علم﴾ أي: على شَيْءٍ قد سَبَقَ عندنا فِيهِمْ، وثَبَتَ في علمنا أَنَّه سَيَنْفُذُ، ويحتملُ أنْ يكون معناه: على علم لهم وفضائلَ فيهم على العالمين، أي: عَالِمِي زمانهم؛ بدليل أَنَّ أُمَّةَ محمد خير أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للناس ﴿وآتيناهم من الآيات﴾: لفظ جامع لما أجرى اللّه من الآيات على يدي موسى، ولما أنعم به على بني إسرائيل، والبلاء في هذا الموضع: الاختبارُ والامتحانُ؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾
١٥٧ أ [الأنبياء: ٣٥] الآية، و﴿مُبِين﴾ بمعنى: بَيِّنٌ/ ثم ذَكَرَ تعالَىٰ قريشاً على جهة الإنكار لقولهم وإنكارهم للبَعْثِ، فقال: ﴿إنَّ هؤلاء ليقولُونَ * إن هي﴾ أي: ما هي ﴿إلا موتتنا الأولَىٰ وما نحن بِمُنْشَرِينَ﴾ أي: بمبعوثين، وقولُ قُرَيْشٍ: ﴿فأتوا بآبائنا﴾ مُخَاطَبَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ طلبوا منه أَنْ يُحْيَيَ اللّهُ لَهُمْ بَعْضَ آبائِهِمْ، وَسَمَّوْا له قُصَيًّا وغيره، كي يسألوهم عَمَّا رأَوْا في آخرَتِهم.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١١/ ٢٣٨) برقم: (٣١١٢٩)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٤٨)، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٣٨) برقم: (٣١١٢٥، ٣١١٢٨) عن مجاهد، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٤٢).

﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أهم خير أم قوم تبع...﴾ الآية، آيةُ تقريرٍ ووعيدٍ، و﴿تُبَّع﴾: مَلِكٌ حِمْيَرِيٌّ، وكان يقال لكل ملك منهم: «تُبَّع» إلاَّ أَنَّ المُشَارَ إِليه في هذه الآية رَجُلٌ صالحٌ؛ رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ من طريق سَهْلِ بنِ سَعْدٍ «أَنَّ تُبَّعاً هَذَا أَسْلَمَ وَآمَنَ بِاللَّهِ»[١]، وقد ذكره ابن إسْحَاقَ في السيرة، قال السُّهَيْلِيُّ: وبَعْدَ ما غزا تُبَّعٌ المدينة، وأراد خَرَابَهَا أُخْبِرَ بِأَنَّها مُهَاجَرُ نَبِيٍّ ٱسْمُهُ أَحْمَدُ، فانصرف عَنْهَا، وقال فيه شعراً وأودعه عند أهلها، فكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر، إلى أَنْ هاجر إليهم النبي ـ عليه السلام ـ فَأَدَّوْهُ إليه، ويقال: إنَّ الكتاب والشعر [كانا] عند أبي أيوبَ الأنصاريِّ [ومنه]: [من المتقارب]

شَهِدتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمْ
فَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَى عُمْرِهِ لَكُنْتُ وَزِيراً لَهُ وَٱبْنَ عَمّْ[٢]

وذكر الزَّجَّاجُ[٣]، وابن أبي الدنيا: أَنَّه حُفِرَ قَبْرٌ بـ«صنعاء» في الإسلام، فَوُجِدَ فيه امرأتانِ صحيحتان، وعند رأسهما لَوْحٌ من فِضَّةٍ مكتوبٌ فيه بالذَّهَبِ: هذا قَبْرُ حُبَّىٰ ولَمِيسَ، ويُرْوَىٰ: وتُماضِرَ ٱبْنَتَيْ تُبَّع، ماتتا وهما تَشْهَدَانِ أَنْ لاَ إِلٰه إلاَّ اللَّه، ولا تُشْرِكَانِ به شَيْئاً، وعلَىٰ ذلك مَاتَ الصَّالِحُونَ قَبْلَهُمَا، انتهى، و﴿يوم الفصل﴾: هو يَوْمُ القيامة/ وهذا هو الإِخْبَارُ بِالبَعْثِ، و«المَوْلَىٰ» في هذه الآية: يَعُمُّ جميعَ المَوَالِي. ٥٧ ب

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إن شجرت الزقوم * طعام الأثيم﴾ رُوِيَ عن ابن زيد؛ أَنَّ الأثيم

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٧٤٩)، وعزاه إلى الطبراني، وابن مردويه.

(٢) وبعدها:

وجَاهَدتُ بِالسَّيْفِ أَعْدَاءَه وفَرَّجتُ عَن صَدْرِهِ كُلَّ هَم

ينظر: «الروض الأنف» (١/ ٣٥).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٤/ ٤٢٧).

المشار إِليه أَبُو جَهْلٍ، ثم هي بالمعنى تتنَاوَلُ كُلَّ أثيم، وهو كُلُّ فاجر، رُوِيَ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ، جَمَعَ أبو جَهْلٍ عَجْوَةً وَزُبْداً، وقال لأصحابه: تَزَقَّمُوا، فهذا هو الزَّقُّومُ، وهو طَعَامِي الذي حَدَّثَ به محمَّدٌ، قال ❊ ع[1] ❊: وإِنَّما قصد بذلك ضَرْباً من المغالطة والتلبيس عَلَى الجَهَلَةِ.

وقوله سبحانه: ﴿كالمهل﴾ قال ابن عباس، وابن عمر[2]: «المُهْلُ»: دُرْدِيُّ الزَّيْتِ وعَكَرُهُ، وقال ابن مَسْعُودٍ وغيره[3]: «المُهْلُ»: ما ذاب مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، والمعنى: أَنَّ هذه الشجَرَةَ إذا طَعِمَهَا الكافِرُ في جَهَنَّم، صارَتْ في جوفه تَفْعَلُ كما يفعل المُهْلُ المُذَابُ من الإِحراق والإفساد، ، و﴿الحميم﴾: الماءُ السُّخْنُ الذي يتطايَرُ من غليانه.

وقوله: ﴿خذوه...﴾ الآية، أي: يقال يومئذ للملائكة: خذوه، يعني الأثيم ﴿فاعتلوه﴾ و«العَتْلُ»: السَّوْقُ بعُنْفٍ وإِهانةٍ، ودَفْعٌ قَوِيٌّ مُتَّصِلٌ، كما يُسَاقُ أبداً مرتكبُ الجرائمِ، و«السَّوَاء»: الوَسَط، وقيل: المُعْظَمُ، وذلك متلازِمٌ.

وقوله تعالى: ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ مُخَاطَبَةٌ على معنى التَّقْرِيعِ.

﴿إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ۝٥١ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٥٢ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ۝٥٤﴾

وقوله سبحانه: ﴿إن هذا ما كنتم به تمترون﴾: عبارة عن قولٍ يُقَالُ للكَفَرَةِ، ثم ذكر تعالى حالة المُتَّقِينَ، فقال: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ أي: مأمون، «والسُّنْدُسُ»: رقيقُ الحَرِيرِ، و«الإِسْتَبْرَقُ»: خَشِنُهُ.

وقوله: ﴿متقابلين﴾: وَصْفٌ لمجالسِ أهل الجَنَّةِ، لأَنَّ بعضهم لا يستدبر بعضاً في المجالس، وقرأ الجمهور: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ وقرأ ابن مسعود: «بعِيسٍ عِينٍ» وهو
٥٨ أ جمع «عَيْسَاءَ»، وهي البيضاء[4]/ ؛ وكذلك هي من النُّوقِ، وروى أبو قِرْصَافَةَ عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «إِخْرَاجُ القُمَامَةِ مِنَ المَسْجِدِ مُهُورُ الحُورِ العِينِ» قال الثعلبيُّ: قال مجاهد: يَحَارُ

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٧٦).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) برقم: (٣١١٥٢، ٣١١٥٥) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٦).
(٣) أخرجه الطبري (٨/ ٢١٨) برقم: (٢٣٠٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٧٦).
(٤) ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٣٨)، و**«المحتسب»** (٢/ ٢٦١)، و**«الكشاف»** (٤/ ٢٨٣)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٧٨).

فِيهِنَّ الطَّرْفُ من بياضهنَّ وصفاء لونهنَّ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ من وراء ثيابِهِنَّ، ويَرَى الناظر وَجْهَهُ في كعب إِحداهُنَّ كالمرآة من رِقَّةِ الجِلد وصفاء اللون[1]، انتهى.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾ أي: يدعون الخَدَمَةَ والمتصرِّفين.

قال أبو حيان[2]: ﴿إلاَّ الموتة﴾: استثناء مُنْقَطِعٌ، أي: لكن الموتة الأولَىٰ ذَاقُوهَا، انتهى، ، والضمير في ﴿يَسَّرناه﴾ عائدٌ على القرآن ﴿بلسانك﴾ أي: بِلُغَة العرب؛ قال الوَاحِدِيُّ: ﴿لعلَّهم يتذكرون﴾: أي: يَتَّعِظُون، انتهى، وفي قوله تعالى: ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾ وَعْدٌ للنبي ﷺ ووعيدٌ للكافرين.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٢٤٨) برقم: (٣١١٧٦)، عن ابن نجيح عن مجاهد، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/١٥٥).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/٤١).

تَفْسِيرُ سُورَةِ الجَاثِيَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿حمٓ * تنزيل الكتاب من اللَّه العزيز الحكيم * إن في السمٰوات والأرض لآياتٍ للمؤمنين﴾ قال أبو حيَّان[1]: أجاز الفَخْرُ الرَّازي في ﴿العزيز الحكيم﴾ أنْ يكونا صفتينِ لـ«اللَّه»، وهو الراجح، أو لـ«الكتاب»؛ ورُدَّ بأنَّه لا يجوز أنْ يكونا صفتين للكتاب من وجوهٍ، انتهى.

وذكر تبارَكَ وتعالَىٰ هنا الآياتِ الَّتِي في السمٰوَاتِ والأرضِ مُجْمَلَةً غَيْرَ مُفَصَّلَةٍ، فكأنَّها إحالةٌ على غوامِضَ تُثِيرُها الفِكَر، ويُخْبِرُ بكثير منها الشَّرْعُ؛ فلذلك جعلها للمؤمنين، ثم
٥٨ ب ذكر سبحانه خلق البشر والحيوان، وكأنَّه أَغْمَضَ؛ فجعله/ للموقنين الذين لهم نظر يُؤَدِّيهم إلى اليقين، ثم ذكر اختلاف الليل والنهار، والعِبْرَة بالمطرِ والرياحِ، فجعل ذلك لقوم يعقلون؛ إذ كُلُّ عاقلٍ يُحَصِّلُ هذه ويفهم قَدْرَهَا.

قال * ع[2] *: وإنْ كان هذا النَّظَرُ لَيْسَ بلازِمٍ وَلاَ بُدَّ، فإن اللفظ يعطيه، والرزق المُنَزَّلُ من السماء هو: المَاءُ، وسَمَّاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ رِزْقاً بمآلِهِ، لأَنَّ جَمِيعَ ما يَرْتَزِقُ، فَعَنِ الماءِ هُوَ.

وقوله: ﴿نتلوها عليك بالحق﴾ أي: بالصدق والإعلام بحقائق الأمور في أنفسها.

وقال جلَّتْ عظمته: ﴿فبأي حديث بعد اللَّه وءاياته يؤمنون﴾ آية تقريعٍ وتوبيخٍ، وفيها

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/٤٣).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٧٩).

قُوَّةُ تهديدٍ، والأَفَّاكُ: الكَذَّابُ الذي يقَعُ منه الإفكُ مِرَاراً، والأَثِيمُ: بناءُ مُبَالَغَةٍ، اسمُ فاعِلٍ من أَثِمَ يأثَمُ، ورُوِيَ أَنَّ سبب الآية أبو جَهْلٍ، وقيل: النَّضْرُ بنُ الحَارِثِ، والصواب أَنَّها عامَّةٌ فيهما وفي غيرهما، وأَنَّها تَعُمُّ كُلَّ مَنْ دخل تحت الأوصافِ المذكورة إِلَىٰ يوم القيامة و﴿يُصِرُّ﴾ معناه: يَثْبُتُ على عقيدته من الكُفْرِ.

وقوله: ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أي: مُؤْلِم.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً﴾ أي: أُخْبِرَ بشَيْءٍ من آياتنا، فعلم نَفْسَ الخبر لا المعنى الذي تضمَّنه الخَبَرُ، ولو عَلِمَ المعانِيَ الَّتِي تَضَمَّنَهَا أخبارُ الشَّرْعِ، وعَرَفَ حقائِقَهَا ـ لكان مؤمناً.

* ت *: وفي هذا نظر؛ لأَنَّه ينحو إلى القَوْلِ بأَنَّ الكفر لا يُتَصَوَّرُ عناداً مَحْضاً، وقد تَقَدَّمَ اختيارُهُ ـ رحمه اللَّه ـ لذلك في غير هذا المَحَلِّ، فَقِفْ عليه، وخَشْيَةُ الإِطالة منَعَتْنِي مِنْ تَكْرَارِهِ هنا.

﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣﴾

وقوله سبحانه: ﴿هذا هدى﴾ إشارة إلى القرآن.

١٥٩أ وقوله: ﴿لهم عذاب﴾ بمنزلة قولك: لهم حَظٌّ، فَمِنْ هذه الجهةِ/ ومِنْ جِهَةِ تَغَايُرِ اللفظَيْنِ حَسُنَ قوله: ﴿عذاب من رجز﴾، إذ الرِّجْزُ هو العذابُ.

وقوله: ﴿لتجري الفُلْكُ فيه بأمره﴾ أَقامَ القُدْرَةَ والإِذْنَ مُنَابَ أَنْ يَأْمُرَ البَحْرَ والنَّاسَ بذلك، وقرأ مَسْلَمَةُ بْنُ مُحَارِبٍ[1]: «جَمِيعاً مِنةُ» بضم التاء، وقرأ أيضاً: «جَمِيعاً مَنُّهُ» [بفتح الميم وشد النون والهاء][2] وقرأ ابن عباس: «مِنَّةً» بالنصب على المصدر[3].

(١) أما الأولى فذكرها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٨٢)، وأما القراءة الثانية عنه، فقد ذكرها ابن عطية أيضاً، وكذلك ابن خالويه في «مختصر الشواذ» ص: (١٣٩)، وابن جني في «المحتسب» (٢/ ٢٦٢)، والزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٢٨٨).

(٢) سقط في: د.

(٣) وقرأ بها عبيد بن عمير، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص، والجحدري. =

وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ قال الغَزَّاليُّ في «الإحياء»: الْفِكْرُ والذِّكْرُ أعلَىٰ مقامَاتِ الصالحين، وقال ـ رحمه اللَّه ـ: اعلم أَنَّ الناظرين بِأنوار البصيرة عَلِمُوا أنْ لا نجاةَ إِلاَّ في لقاء اللَّه عزَّ وجلَّ، وأنَّه لا سبيل إِلى اللقاء إِلاَّ بأَنْ يَمُوتَ العبد مُحِبًا للَّه تعالَىٰ، وعارِفاً به، وأنَّ المحبَّةَ والأُنْسَ لا يتحصَّلانِ إِلاَّ بدوام ذِكْرِ المحبوب، وأَنَّ المعرفة لا تحصل إِلاَّ بدوام الفِكْرِ، ولن يتيسَّر دوامُ الذِّكْرِ والفِكْرِ إِلاَّ بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقَدْرِ البُلْغَةِ والضَّرُورَةِ، ثم قال: والقرآنُ جامعٌ لفَضْلِ الذِّكْرِ والفِكْرِ والدُّعَاءِ مَهْمَا كان بِتَدَبُّرٍ، انتهى.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قل للذين ءامنوا يغفروا...﴾ الآية، قال أَكْثَرُ النَّاسِ: هذه الآيةُ منسوخةٌ بآية القتال، وقالَتْ فرقةٌ: بل هي مُحْكَمَةٌ؛ قال * ع[1] *: الآية تتضمَّن الغُفْرَانَ عُمُوماً، فينبغي أَنْ يقال: إنَّ الأمور العظام، كالقتل والكُفْرِ مُجَاهَرَةً ونحو ذلك ـ قد نَسَخَتْ غفرانَهُ، آيةُ السَّيْفِ والجِزْيَةِ، وما أحكمه الشَّرْعُ لا محالة، وأَنَّ الأُمورَ الحقيرةَ كالجَفَاءِ في القول ونحوِ ذلك تحتملُ أَنْ تبقَىٰ مُحْكَمَةً، وأنْ يكونَ العفْوُ عنها أقربَ إِلى التقوى.

٥٩ ب وقوله ﴿أيام اللَّه﴾ قالت فرقة: معناه: أيام إنعامه، ونَصْرِهِ، وتنعيمه/ في الجنة، وغَيْرُ ذلك، وقال مجاهد: ﴿أيام اللَّه﴾: أيامُ نِقَمِهِ وعَذَابِهِ[2]، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله سبحانه: ﴿فما ٱختلفوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءهم العِلْمُ بغياً بينهم...﴾ الآيةُ، قَدْ تَقَدَّم بيان نظيرها في سورة يُونُسَ وغيرها.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ

= ينظر: «الشواذ» ص: (١٣٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٦٢)، و«الكشاف» (٤/ ٢٨٨)، و«المحرر» (٥/ ٨٢).

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٨/ ٨٢).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٣).

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر...﴾ الآيَةَ: «الشريعةُ» لُغَةً: مَوْرِدُ المياه، وهي في الدين من ذلك؛ لأنَّ الناس يَرِدُونَ الدينَ ابتغاءَ رحمةِ اللَّهِ والتقرُّبِ منه، و«الأمر» وَاحدُ الأمور، ويحتمل أنْ يكون وَاحِدَ الأَوَامِرِ، و﴿الذين لا يعلمون﴾ هم: الكُفَّارُ، وفي قوله تعالى: ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض واللَّه ولي المتقين﴾ تحقيرٌ للكفرة من حيث خروجهم عن ولاية اللَّه تعالى.

* ت *: وقد قال ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: «أَجِيبُوهُمْ فَقُولُوا: اللَّهُ مَوْلانَا، وَلاَ مَوْلَىٰ لَكُمْ»[1]، وذلك أنَّ قريشاً قالوا للصحابة: لنا العُزَّىٰ، ولاَ عُزَّىٰ لَكُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿هذا بصائر للناس﴾ يريد: القرآن، وهو جمع «بَصِيرَةٍ»، وهو المُعْتَقَدُ الوثيقُ في الشيء، كأنَّه من إِبْصَارِ القَلْبِ؛ قال أبو حَيَّان: وقُرِىءَ: «هذه» أي: هذه الآيات، انتهى.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ قيل: إنَّ الآية نزلَتْ بسبب ٱفتخارٍ كان للكُفَّارِ على المؤمنين، قالوا: لَئِنْ كَانَتْ آخِرَةٌ، كما تزعمون، لَنُفَضَّلَنَّ عليكم فيها، كما فُضِّلْنَا في الدُّنْيَا.

و﴿اجترحوا﴾ معناه: اكتسبوا، وهذه الآية متناولة بلفظها حالَ العُصَاةِ من حال أهل التقوى، وهي موقف للعارفين يَبْكُونَ عنده، ورُوِيَ عن الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ، أَنَّهُ كانَ يُرَدِّدُهَا ليلةً حتَّى أَصْبَحَ[2]، وكذلك عن الفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ[3]، وكان يقول لنفسه: لَيْتَ/ شِعْرِي! ١٦٠ أ
مِنْ أيِّ الفَرِيقَيْنِ أَنْتَ؟ وقال الثعلبيُّ: كانت هذه الآية تُسَمَّى مَبْكَاةَ العابدين[4]، قال * ع[5] *: وأَمَّا لفظها فيعطي أنَّه اجتراحُ الكُفْرِ، بدليل معادلته بالإيمان، ويحتمل أنْ تكون

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٥).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٥).
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٥).
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٨٥)

المعادلة بَيْنَ الاِجْتراحِ وَعَمَلِ الصالحات، ويكونَ الإِيمانُ في الفريقَيْنِ، ولهذا بكى الخائفون - رضي اللَّه عنهم -.

* ت *: وروى ابن المبارك في «رقائقه» بسنده؛ أَن تَمِيماً الدَّارِيَّ - رضي اللَّه عنه - باتَ ليلةً إلى الصَّبَاحِ، يَرْكَعُ وَيَسْجُدُ، وَيُرَدِّدُ هذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ الآية، ويبكي - رضي اللَّه عنه -، انتهى.

وقوله: ﴿ساء ما يحكمون﴾: «ما» مصدريةٌ، والتقدير: ساء الحُكْمُ حُكْمُهُم.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه...﴾ الآية: تسليةٌ للنَّبِيِّ ﷺ أي: لا تَهْتَمَّ بأمر الكَفَرَةِ من أجل إعراضهم عن الإِيمان، وقوله: ﴿إلٰهه هَوَاهُ﴾ إشارة إلى الأصنام؛ إذ كانوا يعبدون ما يَهْوَوْنَ من الحجارة، وقال قتادة: المعنى: لا يَهْوَى شيئاً إلا رَكِبَهُ، لا يخاف اللَّه[1]؛ فهذا كما يقال: الهَوَىٰ إلٰهٌ مَعْبُودٌ، وهذه الآية وإنْ كانت نزلَتْ في هَوَى الكُفر؛ فهي مُتَنَاوِلَةٌ جميعَ هوى النفس الأَمَّارَةِ؛ قال النبيُّ ﷺ: «وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّىٰ عَلَى اللَّهِ»[2]، وقال سَهْلٌ التُّسْتَرِيُّ: هَوَاكَ دَاؤُكَ؛ فَإِنْ خَالَفْتَهُ فَدَوَاؤُك،، وقال وهْبٌ: إذا عَرَضَ لك أمران، وشككْتَ في خَيْرِهِمَا، فَانْظُرْ أَبْعَدَهُمَا مِنْ هَوَاكَ فَأْتِهِ؛ ومن الحكمة في هذا قول القائل: [الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهَوَىٰ قَادَكَ الْهَوَىٰ   إِلَىٰ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ

٦٠ ب قال الشيخ ابن أبي جَمْرَةَ: قولُهُ/ ﷺ: «فَيُقَالُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ» «شيئاً» يعم جَمِيعَ الأشياء، مُدْرَكَةً كانَتْ أو غَيْرَ مُدْرَكَةٍ، فالمُدْرَكُ: كالشمس والقمر، وَغَيْرُ المُدْرَكِ، مِثْلُ: الملائكة والهَوَىٰ؛ لقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿أفرأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ﴾، وما أشبه ذلك، انتهى، قال القُشَيْرِيُّ في «رسالته»: وحُكِيَ عن أبي عمران الواسطيِّ قال: ٱنكسرَتْ بنا السفينةُ، فَبَقِيتُ أنا وٱمْرَأَتِي على لَوْحٍ، وقد وَلَدَتْ في تِلْكَ الحَالِ صَبِيَّة، فصَاحَتْ بي، وقالت: يَقْتُلُنِي العَطَشُ، فقلْتُ: هو ذَا يَرَىٰ حالَنَا، فرفعتُ رَأْسِي، فإذا رجُلٌ في الهواء جالِسٌ في يده سِلْسِلَةٌ من ذَهَبٍ، وفيها كُوزٌ من ياقُوتٍ أَحْمَرَ، فقال: هَاكَ،

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/١٥٩، ١٦٠) آية رقم: (٢١).
(٢) تقدم.

ٱشْرَبَا، قال: فأخذتُ الكُوزَ فَشَرِبْنَا منه، فإذا هو أطيبُ مِنَ المِسْكِ، وأبردُ مِنَ الثَّلْجِ، وأحلَىٰ من العَسَلِ، فقلت: مَنْ أَنْتَ ـ رَحِمَكَ اللَّه؟ ـ فقال: عبدٌ لمولاكَ، فقلْتُ له: بِمَ وَصَلْتَ إِلَىٰ هذا؟ فقال: تركْتُ هَوَايَ لِمَرْضَاتِهِ، فأجلَسَنِي في الهواء، ثُمَّ غَابَ عَنِّي، ولم أره، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿على علم﴾ قال ابن عباس[1]: المعنى: على عِلْم من اللَّه تعالى سَابِقٍ، وقالت فرقة: أي: على عِلْم من هذا الضَّالِّ بتَرْكِهِ للحَقِّ وإعراضِهِ عنه، فتكُونُ الآية علَىٰ هذا التأويل من آيات العِنَادِ؛ من نحو قوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ استعاراتٌ كُلُّهَا.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ فِيهِ حَذْفُ مضافٍ، تقديره: مِنْ بعدِ إضلالِ اللَّهِ إيَّاه، واخْتُلِفَ في معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ ونَحْيَا﴾ فقالت فرقة: المعنى: يَمُوتُ الآباء، ويحيا الأبناء، وقالت فرقة: المَعْنَىٰ: نَحْيَا ونَمُوتُ،/ فوقع في اللفظ تقديم وتأخير، وقولهم: ٦١ أ
﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ أي: طولُ الزمانِ.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا ٱئْتُوا بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات﴾ يعني: قريشاً، ﴿ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا﴾ أي: يا محمَّد، أَحْيِ لنا قُصَيًّا حَتَّىٰ نَسْأَلَهُ، إِلَىٰ غَيْرِ ذلك من هذا النحو، فنزلت الآية في ذلك، ومعنى ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي: في قولكُمْ أَنَّا نُبْعَثُ بعد الموت.

ثم أمر اللَّه تعالى نَبِيَّه أنْ يخبرَهم بالحال السابقة في علم اللَّه التي لا تُبَدَّلُ بأَنَّه يحيي الخلق ثم يميتهم... إلى آخر الآية، وباقي الآية بَيِّنٌ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٢٦٢) برقم: (٣١٢٠٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٨٦)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٥/ ٧٥٨)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، واللالكائي في «**السنة**»، والبيهقي في «**الأسماء والصفات**».

و﴿المبطلون﴾: الداخلون في الباطل.

وقوله سبحانه: ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ هذا وصفُ حالِ القيامة وهولها، والأُمَّةُ: الجماعة العظيمة من الناس، وقال مجاهد[١]: الأُمَّةُ: الواحد من الناس؛ قال * ع[٢] *: وهذا قلق في اللغة، وإنْ قيل في إبراهيمَ «أُمَّة» وفي قُسِّ بْنِ سَاعِدَةَ، فذلك تَجوُّزٌ على جهة التشريف والتشبيه، و﴿جاثية﴾ معناه: على الرُّكَب؛ قاله مجاهد وغيره[٣]، وهي هَيْئَة المُذْنِبِ الخَائِفِ، وقال سُلَيْمَانُ: في القيامة ساعَةٌ قَدْرُ عَشْرِ سنين، يَخِرُّ الجميعُ فيها جُثَاةً على الرُّكَبِ.

وقوله: ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ قالت فرقة: معناه: إلى كتابها المُنَزَّلِ عليها، فَتُحَاكَمُ إليه، هل وافقته أو خالفته؟ وقالت فرقة: أراد إلَىٰ كتابها الذي كتبته الحَفَظَةُ علَىٰ كل واحد من الأُمَّةِ.

وقوله سبحانه: ﴿هذا كتابنا﴾ يحتمل أنْ تكون الإشارة إلى الكتب المُنَزَّلَةِ، أو إلى اللوح المحفوظ أو إلى كُتُبِ الحَفَظَةِ؛ وقال ابن قُتَيْبَةَ: إلى القرآن.

وقوله سبحانه: ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ قال الحَسَنُ: هو كُتُبُ الحَفَظَةِ
٦١ ب على بني آدمَ[٤]، وروى ابن عباس وغيره حديثاً؛ أَنَّ اللَّه تعالى يَأْمُرُ/ بِعَرْضِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فَيُنْقَلُ مِنَ الصُّحُفِ الَّتِي كَانَتْ تَرْفَعُ الحَفَظَةَ ـ كُلُّ مَا هُوَ مُعَدٌّ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ ثَوَابٌ أَوْ عِقَابٌ، وَيُلْغَى البَاقِي؛ فَهَذَا هُوَ النَّسْخُ من أَصْلٍ.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿فأما الذين ءامنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ أي: في جَنَّتِهِ.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٨٨).
(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٨٨).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٦٥) برقم: (٣١٢١٣) عن مجاهد، (٣١٢١٤) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ٨٨)، وابن كثير (٤/ ١٥٢).
(٤) ذكره البغوي (٤/ ١٦١) آية رقم: (٢٩)، وابن عطية (٥/ ٨٩).

﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن﴾ أي: فيقال لهم: ﴿أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ وقرأ حمزة وحده: «وَالسَّاعَةَ»[1] ـ بالنصب ـ؛ عطفاً على قوله: ﴿وعد الله﴾، وقرأ ابن مسعود[2]: «وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا»، وباقي الآية بيِّن.

وقوله سبحانه: ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا...﴾ الآية، حكايةُ حالِ يوم القيامة ﴿وحاق﴾ معناه: نزل وأحاطَ، وهي مُسْتَعْمَلَة في المَكْرُوهِ، وفي قوله: ﴿ما كانوا﴾ حذفُ مضافٍ، تقديره: جزاءَ ما كانوا به يستهزئُون.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ معناه: نترككم كما تركتم لقاءَ يومكم هذا، و﴿آيات الله﴾ هنا: لفظ جامعٌ لآيات القرآن وللأدِلَّةِ التي نَصَبَهَا اللَّهُ تعالَىٰ، للنَّظَرِ، ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي: لا يُطْلَبُ منهم مراجعةٌ إلَىٰ عملٍ صَالِحٍ.

وقوله سبحانه: ﴿فلله الحمْدُ رَبِّ السَمٰوَاتِ وربِّ الأَرْضِ...﴾ إلى آخر السورة ـ تحميدٌ للَّه عزَّ وجلَّ، وتحقيقٌ لأُلُوهِيَّتِهِ، وفي ذلك كَسْرٌ لأمرِ الأصنامِ وسائرِ ما تعبده الكَفَرَةُ، و﴿الكبرياءُ﴾: بناءُ مبالغةٍ.

---

(١) وعلى قراءة الباقين فيها ثلاثة أوجه: الابتداء، وما بعدها من الجملة المنفية خبرها.
«الثاني»: العطف على محل اسم «إن»؛ لأنه قبل دخولها مرفوع بالابتداء.
«الثالث»: أنه عطف على محل «إن» واسمها معاً، لأن بعضهم ـ كالفارسي والزمخشري ـ يرون: أن لـ «إن» واسمها موضعاً، وهو الرفع بالابتداء.
ينظر: «الدر المصون» (٦/ ١٣٢)، و«السبعة» (٥٩٥)، و«الحجة» (٦/ ١٧٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣١٥)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٧٧)، و«شرح الطيبة» (٥/ ٢٣٥)، و«العنوان» (١٧٤)، و«حجة القراءات» (٦٦٢)، و«شرح شعلة» (٥٨٢)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٤٦٨).
(٢) وينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٨٩).

تَفسِيرُ سُورَةِ الأَحْقَافِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ

إلاَّ آيتين، وهما قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به. . .﴾ الآية، وقوله سبحانه: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم﴾ الآيَةَ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٦٢ أ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ/

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿حمٓ * تنزيل الكتاب﴾ يعني: القرآن.

وقوله سبحانه: ﴿ما خلقنا السمٰواتِ والأرضَ وما بينهما إلا بالحَقِّ وأجلٍ مسمًّى والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾: هذه الآية موعظة، وزَجْرٌ، المعنى: فانتبهوا أَيُّهَا الناسُ، وٱنْظُرُوا ما يُرَادُ بكم ولِمَ خُلِقْتُمْ، «والأَجَلُ المُسَمَّىٰ»: هو يَوْمُ القيامةِ.

وقوله: ﴿قل أرأيتم ما تدعون﴾ [معناه[1]:] ما تَعْبُدُونَ، ثم وقفهم على السَّمٰوَاتِ؛ هَلْ لهم فيها شِرْكٌ، ثم استدعَىٰ منهم كتاباً مُنَزَّلاً قبل القرآن يتضمَّن عبادَةَ الأَصْنَام، قال ابن العربيِّ في «أحكامه»[2]: هذه الآية مِنْ أَشْرَفِ آية في القرآن؛ فإنَّها استوفَتِ الدَّلالَةَ على الشرائع عَقْلِيِّهَا وسَمْعِيِّها؛ لقوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ في السَّمٰوَاتِ﴾ فهذا بيانٌ لأدِلَّة العَقْلِ المتعلِّقة بالتوحيدِ، وحُدُوثِ العالم، وانفراد الباري تعالَىٰ بالقدرة والعِلْم والوجُودِ والخَلْقِ، ثم قال: ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾: على ما تقولون، وهذا بيان لأدلَّة السَّمْعِ؛ فإنَّ مدرك الحق إنما يكون بدليل العقل أو بدليل الشرع، حسبما بَيَّنَّاهُ من مراتب الأدِلَّة في كتب الأصول،

---

(١) سقط في: د.
(٢) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٦٩٦).

ثم قال: ﴿أو أثارة من علم﴾ يعني: أو عِلْم يؤثَرُ، أي: يُرْوَىٰ ويُنْقَلُ، وإنْ لم يكن مكتوباً، انتهى.

وقوله: ﴿أو إثارةٍ﴾ معناه: أو بَقِيَّةٍ قديمةٍ من عِلْم أحد العلماءِ، تقتضي عبادة الأصنام، و«الأثارة» البَقِيَّةُ من الشيء، وقال الحسنُ: المَعْنَىٰ: من عِلْم تستَخْرِجُونَهُ فتثيرونه[1]، وقال مجاهدٌ: المعنَىٰ: هل مِنْ أَحَدٍ يأثر علماً في ذلك[2]، وقالَ القرطبيُّ: هو الإسناد؛ ومنه/ قول الأَعْشَىٰ: من [السريع] ٦٢ ب

إنَّ الَّـــذِي فِـــيـــهِ تَـــمَـــارَيْـــتُـــمَـــا بُـــيِّـــنَ لِـــلـــسَّـــامِـــعِ وَالآثِـــرِ[3]

أي: وللمُسْنِدِ عن غيره، وقال ابن عباس[4]: الأثارة: الخَطُّ في التراب، وذلك شيْءٌ كانَتِ العَرَبُ تفعله، والضمير في قوله: ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ هو للأصنام في قول جماعة، ويحتمل أنْ يكون لِعَبَدَتِها.

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء﴾ وَصْفُ ما يكون يومَ القيامةِ بَيْنَ الكُفَّار وأصنامهم من التَّبَرِّي والمُنَاكَرَةِ، وقد بُيِّنَ ذلك في غير هذه الآية.

﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ أي: آيات القرآن، ﴿قال الذين كفروا للحقّ﴾ يعني: القرآن ﴿هذا سحر مبين﴾ أي: يُفَرِّقُ بين المرءِ وَبَنِيهِ.

وقوله سبحانه: ﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من اللَّه شيئاً﴾ المعنى: إنِ افتريته،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٧٧٢) برقم: (٣١٢٢٨)، وذكره ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٩٢)، وابن كثير (٤/ ١٥٤).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٢).

(٣) البيت في «ديوانه» (٩٢)، «اللسان» (أثر)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٩٢)، والآثر: الذي يحفظ الأثر، أي: الرواية.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٧٢) برقم: (٣١٢٢٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٩٢)، وابن كثير (٤/ ١٥٤)، والسيوطي (٦/ ٤)، وعزاه إلى ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والفريابي، وعبد بن حميد.

فاللَّه حَسْبِي في ذلك، وهو كان يعاقبني ولا يُمْهِلُنِي، ثم رجَعَ القَوْلُ إلى الاستسلام إلى اللَّه، والاستنصارِ به عليهم، وانتظارِ ما يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ بما يُفِيضُونَ فيه مِنَ البَاطِلِ ومُرَادَّةِ الحَقِّ، وذلك يقتضي مُعَاقَبَتَهُمْ؛ ففي اللفظ تهديد، والضمير في ﴿به﴾ عائدٌ على اللَّه عزَّ وجَلَّ.

وقوله سبحانه: ﴿وهو الغفورُ الرَّحِيم﴾ تَرجيةٌ واستدعاءٌ إلى التوبة، ثم أمره عزَّ وجلَّ أنْ يحتجَّ عليهم بأنَّه لم يكن بِدْعاً من الرسل، والبِدْعُ والبَدِيعُ من الأشياءِ ما لم يُرَ مِثْلُهُ، المعنَىٰ: قد جاء قَبْلِي غيري؛ قاله ابن عَبَّاس وغيره[1].

* ت *: ولفظ البخاريِّ: وقال ابن عباس: ﴿بِدْعاً من الرسل﴾ أي: لَسْتُ بأوَّلِ الرُّسُلِ[2]، واختلف الناسُ في قوله: ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ فقال ابن عباس
١٦٣ أ وجماعةٌ: كان هذا في صَدْرِ الإسْلاَمِ، ثم بعد ذلك عَرَّفَهُ/ اللَّه عزَّ وجلَّ بأنَّه قد غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّرَ، وبأَنَّ المؤمنين لهم من اللَّه فضلٌ كبيرٌ، وهو الجَنَّةُ، وبأَنَّ الكافرين في نار جَهَنَّمَ[3]؛ والحديثُ الصَّحِيحُ الذي وقع في جنازة عُثْمانَ بنِ مَظْعُونٍ يُؤَيِّدُ هذا[4]، وقالت فرقة: معنى الآية: وما أدري ما يُفْعَلُ بي ولا بكم من الأوامر والنواهي، وقيل غير هذا.

وقوله: ﴿إن أتبع إلا ما يوحَىٰ إليَّ﴾ معناه: الاستسلامُ والتَّبَرِّي من عِلْمِ المُغَيَّبَاتِ، والوقوفُ مع النذارةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَـٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٣٩) كتاب «التفسير» باب: سورة الأحقاف تعليقاً، وقال ابن حجر: وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وللطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله، والطبري (١١/ ٢٧٥) (٣١٢٢٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٩٣)
(٢) انظر السابق.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٤).
(٤) ينظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٠٥)، كتاب «المناقب» باب: فضل عثمان بن مظعون رضي اللَّه عنه.

وقوله عز وجل: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند اللَّه وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل...﴾ الآية، جوابُ هذا التوقيفِ محذوفٌ، تقديره: أَلَيْسَ قد ظلمتم؟! ودَلَّ على هذا المُقَدَّرِ قولُهُ تعالَىٰ: ﴿إن اللَّه لا يهدي القوم الظالمين﴾ قال مجاهد وغيره: هذه الآية مدنية[1]، والشاهد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ، وقد قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: فِيَّ نَزَلَتْ، وقال مَسْرُوقُ بْنُ الأَجْدَعِ والجمهورُ: الشاهدُ موسَى بْنُ عِمْرَانَ ـ عليه السلامُ ـ، والآية مكية[2]، ورَجَّحَه الطَّبَرِيُّ[3].

وقوله: ﴿على مثله﴾ يريد بالمثلِ التوراةَ، والضمير عائد في هذا التأويل على القرآن، أي: جاء شاهد من بني إسرائيل بمثله أَنَّه من عند اللَّه سبحانه.

وقوله: ﴿فآمن﴾، على هذا التأويل، يعني به تصديقَ موسَىٰ وتبشيرَهُ بِنَبِيِّنا محمَّدٍ ﷺ.

وقوله سبحانه: ﴿ومن قبله﴾ أي: مِنْ قَبْلِ القرآنِ ﴿كتاب موسى﴾ يعني: التوراة ﴿وهذا كتاب﴾ يعني القرآن ﴿مصدق﴾ للتوراة التي تَضَمَّنَتْ خبره، وفي مصحف ابن مسعود[4]: «مُصَدِّقٌ/ لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» و﴿الذين ظلموا﴾ هم: الكفار، وعَبَّرَ عن المؤمنين ٢٣ب
بالمحسنين؛ ليناسِبَ لفظ «الإِحسان» في مقابلة «الظلم».

ثم أخبر تعالى عن حُسْنِ [حال] المستقيمين، وذهب كَثِيرٌ من الناس إلى أَنَّ المعنى: ثم استقاموا بالطاعات والأعمال الصالحات، وقال أبو بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ المعنى: ثم استقاموا بالدَّوَامِ على الإيمان[5]؛ قال * ع[6] *: وهذا أَعَمُّ رجاءً وأَوْسَعُ، وإن كان في الجملة المؤمنة من يُعَذَّبُ وَيَنْفُذُ عليه الوعيد، فهو مِمَّنْ يَخْلُدُ في الجَنَّةِ، وينتفي عنه الخوفُ والحُزْنُ الحَالُّ بالكَفَرَةِ.

وقوله تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ قد جعل اللَّه سبحانه الأعمالَ أَمَارَاتٍ علَىٰ ما سَيَصِيرُ إليه العَبْدُ، لا أَنَّهَا توجب على اللَّه شيئاً.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٤).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٤).
(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٢٨١).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٥).
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٩٦).
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٦).

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ووصينا الإنسان﴾ يريد: النوع، أي: هكذا مَضَتْ شرائِعِي وكُتُبي، فَهِيَ وَصِيَّةٌ من اللَّه في عباده، وبِرُّ الوالدَيْنِ واجبٌ، وعُقُوقُهُمَا كبيرةٌ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «كُلُّ شَيْءٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ إلاَّ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إلاَّ اللَّه، وَدَعْوَةَ الْوَالِدَيْنِ»[1] قال * ع[2] *: ولن يَدْعُوَا في الغالب إلاَّ إذا ظلمَهُمَا الوَلَدُ، فهذا يَدْخُلُ في عُمُوم قوله ـ عليه السلام ـ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»[3] ثم عَدَّدَ سُبْحَانَهُ عَلَى الأَبْنَاءِ مِنَنَ الأُمَّهَاتِ.

وقوله تعالى: ﴿حملته أمه كرهاً﴾ قال مجاهد، والحسن، وقتادة: حملته مَشَقَّةً، ووضعته مَشَقَّةً، قال أبو حَيَّان[4]: ﴿وحمله﴾ علىٰ حَذْفِ مضافٍ، أي: مدَّة حمله، انتهى.

١٦٤أ وقوله: ﴿ثلاثون شهراً﴾ يقتضى أَنَّ مُدَّة/ الحمل والرَّضَاع هي هذه المُدَّةُ، وفي البقرة: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فيترتب من هذا أَنَّ أَقَلَّ مُدَّةِ الحَمْلِ سِتَّةُ أَشهر، وأقلَّ ما يَرْضَعُ الطفلُ عَامٌ وتسعةُ أَشْهُرٍ، وإكمال الحولَيْنِ هو لمن أراد أَنْ يُتِمَّ الرضاعة، وهذا في أمد الحَمْلِ، هو مذهب مالك وجماعة من الصحابة، وأقوى الأقوال في بلوغ الأَشُدِّ ستةٌ وثلاثُونَ سنَةً، قال * ع[5] *: وإنَّما ذكر تعالى الأربعين؛ لأَنَّها حَدٌّ للإنسان في فلاحه ونَجَابَتِهِ، وفي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجُرُّ يَدَهُ عَلَىٰ وَجْهِ مَنْ زادَ عَلَى الأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَتُبْ، فَيَقُولُ: بِأَبِي، وَجْهٌ لاَ يُفْلِحُ».

* ت *: وحَدَّثَ أبو بَكْرٍ ابْنُ الخَطِيبِ في «تاريخ بَغْدَادَ» بسنده المُتَّصِلِ عن أنسٍ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِذَا بَلَغَ العَبْدُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، أَمَّنَهُ اللَّهُ مِنَ البَلاَيَا الثَّلاَثِ: الجُنُونِ، وَالجُذَامِ، وَالْبَرَصِ، فَإِذَا بَلَغَ خَمْسِينَ سَنَةً خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُ الحِسَابَ، فَإِذَا بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً رَزَقَهُ

(١) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٤٣٣١٨)، وعزاه إلى ابن النجار في «التاريخ».
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٦).
(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣) من طريق أنس.
(٤) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٦١).
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٩٧).

اللَّهُ الإِنَابَةَ لِمَا يُحِبُّ، فَإِذَا بَلَغَ سَبْعِينَ سَنَةً غَفَرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَشُفِّعَ في أَهْلِ بَيْتِهِ، وَنَادَاهُ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: هَذَا أَسِيرُ اللَّهِ في أَرْضِهِ»[1] انتهى، وهذا ـ والله أعلم ـ في العبد المُقْبِلِ على آخرته، المشتغل بطاعة ربه.

وقوله: ﴿رب أوزعني﴾ معناه: ادفع عني الموانع، وأَجِزْنِي من القواطع؛ لأجل أنْ أشكرَ نعمتك، ويحتمل أنْ يكون ﴿أَوْزِعْنِي﴾ بمعنى: اجعل حَظِّي ونصيبي، وهذا من التوزيع.

* ت *: وقال الثعلبيُّ وغيره ﴿أوزِعْنِي﴾: معناه: ألهمني، وعبارة الفَخْر[2]: قال ابن عباس ﴿أوزعني﴾: معناه: ألهمني[3]، قال صَاحِبُ «الصِّحَاح» آسْتَوْزَعْتُ/ اللَّهَ ٦٤ ب
فَأَوْزَعَنِي، أي: استَلْهَمْتُهُ فأَلْهَمَنِي، انتهى، قال ابن عباس ﴿نعمتك﴾: في التوحيد

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٨٩)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (١٥/ ٦٧٠) (٤٢٦٦٢)، وعزاه إلى الديلمي عن أنس، قال ابن حجر في «القول المسدد» في الذب عن مسند الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي ذرة عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من معمر يعمر في الإسلام أربعين سنة، إلا صرف الله عنه أنواعاً من البلاء: الجنون، والجذام، والبرص، فإذا بلغ خمسين سنة لين الله عليه الحساب، فإذا بلغ ستين رزقه الله الإنابة إليه بما يحب، فإذا بلغ سبعين أحبه الله، وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين قبل الله حسناته، وتجاوز عن سيئاته، فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر، وسمي أسير الله في أرضه، وشفع لأهل بيته». ورواه أحمد أيضاً موقوفاً على أنس:
قال: حدثنا أبو النضر، ثنا الفرج، ثنا محمد بن عامر، عن محمد بن عبيد الله، عن جعفر بن عمرو، عن أنس بن مالك قال: إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أمنه الله من أنواع من البلاء: من الجنون، والجذام، والبرص، وإذا بلغ الخمسين لين الله عز وجل عليه حسابه، وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه عليه، وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء، فإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته، ومحا عنه سيئاته، فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي: أسير الله في الأرض، وشفع في أهله. وعلة الحديث المرفوع يوسف بن أبي ذرة، وفي ترجمته أورده ابن حبان في «تاريخ الضعفاء» وقال: يروي المناكير التي لا أصل لها من كلام رسول الله ﷺ، لا يحل الاحتجاج به بحال. روي عن جعفر بن عمرو عن أنس ذاك الحديث، وأورد ابن الجوزي في «الموضوعات» هذا الحديث من الطريقين: المرفوع والموقوف، وقال: هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، وأعل الحديث الموقوف بالفرج بن فضالة، وحكى أقوال الأئمة في تضعيفه، قال: وأما محمد بن عامر فقال ابن حبان: يقلب الأخبار ويروي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم. وأما محمد بن عبيد الله فهو العرزمي، قال أحمد: ترك الناس حديثه. قلت: وقد خلط فيه الفرج بن فضالة فحدث به هكذا وقلب إسناده مرة أخرى فجعله من حديث ابن عمر مرفوعاً أيضاً، رواه أحمد أيضاً.
ينظر: «القول المسدد» (٧ ـ ٨).

(٢) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٨/ ١٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٤) برقم: (٣١٢٦٢، ٣١٢٦٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٩٧).

و﴿صالحاً ترضاه﴾: الصلواتِ، والإصلاحُ في الذُّرِّيَّةِ: كونُهم أَهْلَ طاعة وخيرٍ[(١)]، وهذه الآية معناها: أَنْ هٰكَذَا ينبغي للإِنسان أنْ يَكُونَ، فهي وَصِيَّةُ اللَّه تعالى للإِنسان في كُلِّ الشرائع، وقولُ مَنْ قال: إِنَّها في أبي بكر وأبويه ـ ضعيف؛ لأَنَّ هذه الآية نزلت بمَكَّةَ بلاَ خِلاَفٍ، وأبو قُحَافَةَ أَسْلَمَ عامَ الفتح، وفي قوله تعالى: «أولئك الذين يتقبل عنهم...» الآية: دليلٌ على أَنَّ الإِشارة بقوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾ إنما أراد بها الجِنْسَ.

وقوله: ﴿في أصحاب الجنة﴾ يريد: الذين سبقت لهم رحمةُ اللَّه، قال أبو حَيَّان[(٢)] ﴿في أصحاب الجنة﴾ قيل: ﴿في﴾ على بابها، أي: في جملتهم؛ كما تقول: أَكْرَمَنِي الأَمِيرُ في نَاسٍ، أي: في جملةِ مَنْ أَكْرَم، وقيل: ﴿في﴾ بمعنى مع، انتهى.

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿والذي قال لوالدَيْهِ﴾ قال الثعلبيُّ: معناه: إِذ دَعَوَاهُ إِلى الإِيمان[(٣)]، ﴿أُفٍّ لكما...﴾ الآية، انتهى، و﴿الذي﴾ يعني به الجِنْس عَلَىٰ حَدِّ العموم في التي قبلها في قوله: ﴿ووصينا الإنسان﴾؛ هذا قول الحسن وجماعة[(٤)]، ويشبه أَنَّ لها سبباً من رَجُلٍ قال ذلك لأبويه، فلما فرغ من ذكر المُوَفَّقِ، عَقَّبَ بذكر هذا العَاقِّ، وقد أنكرتِ عائِشَةُ أَنْ تكونَ الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بَكْر، وقالت: مَا نَزَلَ في آلِ أبي بَكْرٍ مِنَ القُرْآنِ غَيْرُ بَرَاءَتِي[(٥)].

* ت *: ولا يُعْتَرَضُ عليها بقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٤٠]، ولا بقوله: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ﴾ [النور: ٢٢] كما بَيَّنَّا ذلك في غير هذه الآية، قال * ع[(٦)] *:

(١) ذكره ابن كثير ولم يعزه إلى أحد.
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/٦١).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/٩٨).
(٤) ينظر: المصدر السابق.
(٥) أخرجه الحاكم(٤/٤٨١)، والنسائي في «التفسير» (٥١١)، والخطابي في «غريب الحديث» (٢/٥١٧) من طريق محمد بن زياد عن عائشة. وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي فقال: محمد لم يسمع من عائشة.
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٩٩).

والأَصوبُ أنْ تكونَ الآية عامَّةً في أَهل هذه الصفات، والدليلُ القاطعُ على ذلك: قوله تعالى: ﴿أولئك الذين/ حق عليهم القول في أمم﴾ وكان عبدُ الرحمن بن أبي بكر ـ رضي ٦٥ أ
اللّه عنه ـ من أفاضل الصحابة، ومن أبطال المسلمين، ومِمَّنْ له في الإسلام غَنَاءٌ يومَ اليمامة وغيره، و﴿أفٍّ﴾ بالتنوين قراءة نافع وغيره[1]، والتنوينُ في ذلك عَلاَمَةُ تنكيرٍ؛ كما تَسْتَطْعِمُ رَجُلاً حَدِيثاً غَيْرَ مُعَيَّنٍ فتقول: «إِيهٍ» منونةً، وإِنْ كان حديثاً مُشَاراً إِليه قلت: «إِيهِ» بغير تنوين.

وقوله: ﴿أتعدانني أن أخرج﴾ المعنى: أَنْ أُخْرَجَ مِنَ القَبْرِ إِلى الحَشْرِ، وهذا منه استفهامٌ بمعنى الهُزْءِ والاِستبعاد. ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ معناه: هَلَكَتْ ومَضَتْ، ولم يخرجْ منهم أحد، ﴿وهما يستغيثان اللّه﴾ يعني: الوالدَيْنِ يقُولاَنِ له: ﴿ويلك آمن﴾.

وقوله: ﴿ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: ما هذا القول الذي يتضمَّنُ البَعْثَ من القبور إلاَّ شيءٌ سَطَرَهُ الأَوَّلُون في كتبهم، يعني: الشرائعَ، وظاهر ألفاظ هذه الآية أَنَّها نزلَتْ في مُشَارٍ إِليه، قال: وقِيلَ له، فنعى اللّه إِلينا أقواله؛ تحذيراً من الوقوع في مثلها.

وقوله: ﴿أولئك﴾ ظاهره أَنَّها إِشارة إِلَىٰ جنسٍ، و﴿حق عليهم القول﴾ أي: قول اللّه: إِنَّهُ يُعَذِّبُهُم؛ قال أبو حَيَّان[2] ﴿في أمم﴾ أي: في جملة أُمَمٍ فـ«في» على بابها، وقيل: ﴿في﴾ بمعنى مع، وقد تقدم ذلك، انتهى.

وقوله: ﴿قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ يقتضى أَنَّ الجِنَّ يموتون، وهكذا فَهِمَ الآية قتادة[3]، وقد جاء حديثٌ يقتضي ذلك.

وقوله سبحانه: ﴿ولكل درجات﴾ يعني: المحسنين والمُسِيئِين، قال ابن زيد: ودرجات المحسنين تذهبُ/ عُلْواً، ودرجاتُ المسيئين تذهب سُفْلاً[4]، وباقي الآية بَيِّنٌ في ٦٥ ب
أَنَّ كُلَّ امرىءٍ يجتني ثَمَرَةَ عَمَلِهِ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ، ولا يُظْلَمُ في مجازاته.

---

(١) وقرأ بها حفص.
ينظر: «السبعة» (٥٩٧)، و«الحجة» (٦/ ١٨٥)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣١٧)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٤٧١).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٦٢).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٨) برقم: (٣١٢٧٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٠٠).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٢٨٨) برقم: (٣١٢٧٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٠٠).

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار...﴾ الآية، المعنى: واذكر يومَ يُعْرَضُ، وهذا العرض هو بالمباشرة ﴿أذهبتم﴾ أي: يقال لهم: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ و«الطَّيِّبَاتُ» هنا: المَلاذُّ، وهذه الآية، وإنْ كانت في الكُفَّار، فهي رادعة لأُولي النُّهَىٰ من المؤمنين عن الشهوات واستعمالِ الطَّيِّبَاتِ؛ ومن ذلك قولُ عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنه ـ: أَتَظُنُّونَ أَنَّا لا نَعْرِفُ طَيِّبَ الطَّعَام؟ ذلك لُبَابُ البُرِّ بِصِغَارِ المِعْزَىٰ، ولكنِّي رأيتُ اللَّه تعالى نَعَىٰ عَلَىٰ قوم أَنَّهم أَذْهَبُوا طَيِّبَاتِهِمْ في حياتِهِمُ الدنيا، ذكَرَ هذا في كلامِهِ مع الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ[١]، وقال أيضاً نحو هذا لخالد بن الوَلِيدِ حينَ دَخَلَ الشَّامَ، فَقُدِّمَ إليه طعام طَيِّبٌ، فقال عمر: هذا لنا، فما لفقراءِ المسلمينَ الَّذِينَ ماتوا ولم يَشْبَعُوا من خُبْزِ الشَّعِيرِ؟ فقال خالدٌ: لَهُمُ الجَنَّةُ، فبكَىٰ عُمَرُ، وقال: لَئِنْ كَانَ حَظُّنَا في الحُطَامِ، وذَهَبُوا بالجَنَّةِ ـ فَقَدْ بَانُوا بَوْناً بَعِيداً[٢]، وقال جابرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: اشتريت لحماً بدرهم، فرآني عمر، فقال: أَوَكُلَّمَا اشْتَهَىٰ أَحَدُكم شَيْئاً اشتراه فأكَلَهُ؟! أما تخشَىٰ أنْ تكون من أهل هذه الآية، وتلا: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ في حياتكم الدنيا﴾[٣] * ت *: والآثار في هذا المعنى كثيرةٌ جدًّا، فمنها ما رواه أبو داود في سُنَنِهِ، عن عبد اللَّه بن بُرَيْدَةَ أَنَّ رجُلاً من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ، رَحَلَ إلى فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، وهو بِمَصْرَ، فَقَدِمَ عليه، فقال: أَمَا إنِّي لم آتِكَ زَائِراً/ ولكنْ سَمِعْتُ ١٦٦أ
أَنا وأَنْتَ حَدِيثاً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَجَوْتُ أَنْ يكونَ عندَكَ منْهُ عِلْمٌ، قال: ما هو؟ قال: كذا وكذا، قال: فمالي أَرَاكَ شَعْثاً وأَنْتَ أَمِيرُ الأَرْضِ؟! قال: إنَّ رسول اللَّه ﷺ، كان ينهَىٰ عن كثيرٍ من الإرفَاهِ[٤]، قال: فمالي لا أرَىٰ عَلَيْكَ حِذَاءً؟ قال: كان رسول اللَّه ﷺ، يأمرنا أَنْ نَحْتَفِيَ أحياناً، وروَىٰ أبو داوُدَ عَنْ أَبي أُمَامَةَ قال: ذكر أصحاب النبي ﷺ، يوماً عنده الدنيا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «أَلاَ تَسْمَعُونَ أَنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ؟ إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٠١).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٠١).
(٣) ينظر: المصدر السابق.
(٤) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٧٤) كتاب «الترجل» باب: (١) (٤١٦٠).

الإِيمَانِ، إِن الْبَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ»[١] قال أبو داوُدَ: يعني: التَّقَحُّلَ، وفسر أبو عمر بن عبد البَرِّ: «البَذَاذَةَ» بِرَثُّ الْهَيْئَةِ، ذكر ذلك في «التمهيد»، وكذلك فَسَّرَهَا غيره، انتهى،، وروى ابن المبارك في «رقائقه» من طريق الحسن عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ خَرَجَ في أَصْحَابِهِ إِلَى بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَقَالَ: «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنْهُ مِمَّا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: هَؤُلاَءِ خَيْرٌ مِنْكُمْ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِخْوانُنَا، أَسْلَمْنَا كَمَا أَسْلَمُوا، وَهَاجَرْنَا كَمَا هَاجَرُوا، وَجَاهَدْنَا كَمَا جَاهَدُوا، وَأَتوا عَلَىٰ آجَالِهِمْ فَمَضَوْا فِيهَا وَبَقِينا في آجالِنَا، فَمَا يَجْعَلُهُمْ خَيْراً مِنَّا؟! قال: هَؤُلاَءِ خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَأْكُلُوا مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَخَرَجُوا وَأَنا الشَّهِيدُ عَلَيْهِمْ، وإِنَّكُمْ قَدْ أَكَلْتُمْ مِنْ أُجورِكُمْ، وَلاَ أَدْرِي مَا تُحْدِثُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قال: فَلَمَّا سَمِعَهَا الْقَوْمُ عَقَلُوهَا وَانْتَفَعُوا بِهَا، وَقَالُوا: إِنَّا لَمُحاسَبُونَ بِمَا/ أَصَبْنَا مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنهُ لَمُنْتَقَصٌ بِهِ مِنْ أُجُورِنَا»[٢] انتهى،، ومنها حديثُ ٦٦ ب
ثَوْبَانَ في «سنن أَبِي دَاوُدَ»: قال ثَوْبَانُ: كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ كَانَ آخِرُ عَهْدِهِ بِإِنْسَانٍ مِنْ أَهْلِهِ فَاطِمَةَ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهَا فَاطِمَةَ، فَقَدِمَ مِنْ غَزَاةٍ، وَقَدْ عَلَّقَتْ مِسْحاً أَوْ سِتْراً عَلَىٰ بَابِهَا، وَحَلَّتِ الحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ قُلْبَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ، فَلَمْ يَدْخُلْ، فَظَنَّتْ أَنَّما مَنَعَهُ أَنْ يَدْخُلَ مَا رَأَىٰ؛ فَهَتَكَتِ السِّتْرَ، وَفَكَّتِ القُلْبَيْنِ عَنِ الصَّبِيَّيْنِ وَقَطَعَتْهُمَا عَنْهُمَا، فَانْطَلَقَا إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَبْكِيَانِ، فَأَخَذَهُمَا مِنهُمَا، وَقَالَ: يَا ثَوْبَانُ، اذْهَبْ بِهِمَا إِلَى آلِ فُلاَنٍ؛ إِنَّ هَؤُلاَءِ أَهْلِي أَكْرَهُ أَنْ يَأْكُلُوا طَيِّبَاتِهِمْ في حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، يَا ثَوْبَانُ، اشْتَرِ لِفَاطِمَةَ قِلاَدَةً مِنْ عَصَبٍ وَسِوَارَيْنِ مِنْ عَاجٍ» انتهى[٣]، * ص *: قرأ الجمهور: «أَذْهَبْتُمْ» على الخبر، أي: فيقال لهم: أذهبتم طَيِّبَاتكم، وابن كثير بهمزة بعدها مَدَّة مُطَوَّلَةً، وابن عامر بهمزتين حَقَّقهما ابن ذَكْوَانَ، ولَيَّنَ الثانيةَ هشامٌ وابن كثير في روايةٍ[٤]، والاستفهامُ هنا على معنى التوبيخ والتقريرِ، فهو خبر في المعنىٰ، ولهذا حَسُنَتِ الفاء في قوله: ﴿فَالْيَوْمَ﴾، ولو كان استفهاماً مَحْضاً لما دخلَتِ الفاء، انتهى، و﴿عذاب الهون﴾ هو الذي اقترن به هوانٌ، فالهُونُ والهَوَانُ بمعنى.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٧٤) كتاب «الترجل» باب: (١) (٤١٦١)، والحميدي (١/ ١٧٣) (٣٥٧)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٩) كتاب «الزهد» باب: من لا يؤبه له(٤١١٨)، والحاكم (١/ ٩).

(٢) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٧١) برقم: (٤٩٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧) كتاب «الترجل» باب: ما جاء في الانتفاع بالعاج، (٤٢١٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣)، وعزاه إلى أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٤) ينظر: «الحجة» (٦/ ١٨٨)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٢٠)، و«معاني القراءات» (٢/ ٣٨١)، و«العنوان» (١٧٥)، و«حجة القراءات» (٦٦٥)، و«إتحاف» (٢/ ٤٧٢).

ثم أمر تعالى نبيَّه بذكر هود وقومه عادٍ؛ على جهة المثال لقريش، وقد تقدَّم قَصَص عادٍ مُسْتَوفًى في «سورة الأعراف»، فلينظر هناك، والصحيحُ من الأقوال أنَّ بلادَ عادٍ كانت باليمن، ولهم كانَتْ إِرَمُ ذاتُ العمادِ، و﴿الأحقافُ﴾: جَمْعُ «حِقْفٍ» وهو الجبل المستطيل
٦٧ أ المُعْوَجُّ/ من الرَّمْلِ.

وقوله سبحانه: ﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا اللَّه إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ ﴿خَلَتْ﴾ معناه: مَضَتْ إلى الأرض الخَلاَءِ، و﴿النذر﴾ جمع نَذِيرٍ، وقولهم: ﴿لتأفكنا﴾ معناه: لِتَصْرِفَنَا، وقولهم: ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ تصميم منهم على التكذيب، وتعجيزٌ له في زعمهم.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿قال إنما العلم عند اللَّه...﴾ الآية، المعنى: قال لهم هود: إنَّ هذا الوعيد ليس من قِبَلِي، وإنما الأمر فيه إلى اللَّه، وعِلْمُ وقته عنده، وإنَّما عَلَيَّ أَنْ أُبَلِّغَ فقطْ، والضميرُ في ﴿رَأَوْهُ﴾ يحتمل أنْ يعودَ على العذاب، ويحتمل أنْ يعودَ على الشيء المرئيِّ الطالِعِ عليهم، وهو الذي فَسَّرَهُ قوله: ﴿عارضاً﴾ و«العَارِض»: هو ما يَعْرِضُ في الجَوِّ من السحاب المُمْطِرِ؛ قال ابن العربيِّ في «أحكامه» عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]: كُلُّ شيءٍ عَرَضَ، فقد مَنَعَ، ويقال لِمَا عَرَضَ في السماء من السحاب: «عارِضٌ»؛ لأنَّه مَنَعَ من رؤيتها ومن رؤية البدر والكواكب، انتهى، ورُوِيَ في معنى قوله: ﴿مستقبل أوديتهم﴾؛ أَنَّ هؤلاء القومَ كانوا قد قَحَطُوا مُدَّةً، فطلع هذا العارض من جهة كانوا يُمْطَرُونَ بها أبداً، جاءهم من قِبَلِ وادٍ لهم يسمونه المُغِيثَ، قال ابن عباس: ففرحوا به، وقالوا: هذا عارضٌ مُمْطِرُنا، وقد كذب هودٌ فيما
٦٧ ب أوعد به، فقال لهم هُودٌ ـ عليه السلام ـ: ليس الأمر كما رأيتم، بل هو ما/ استعجلتم به في قولكم: ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ [الأحقاف: ٢٢]، ثم قال: ﴿ريح فيها عذاب أليم﴾ وفي قراءة ابن مسعود[1]: «مُمْطِرُنَا قَالَ هُودٌ: بَلْ هُوَ رِيحٌ» بإظهار المُقَدَّرِ و﴿تدمِّر﴾ معناه:

---

(١) ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٦٥)، و«الكشاف» (٤/ ٣٠٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٢).

تُهْلِكُ، و«والدمار»: الهلاك، وقوله: ﴿كل شيء﴾ ظاهره العموم، ومعناه الخُصُوصُ في كُلِّ ما أُمِرَتْ بتدميره، وروي أَنَّ هذه الريح رمتهم أجمعين في البَحْرِ.

ثم خاطب جلّ وعلا قريشاً على جهة الموعظة بقوله: ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ فـ«مَا» بمعنى «الذي»، و«إن» نافية وقعتْ مكان «مَا» لمختلف اللفظ، ومعنى الآية: ولقد أعطيناهُمْ من القُوَّةِ والغِنَىٰ والبَسْطِ في الأموال والأجسام ـ ما لم نُعْطِكُمْ، ونالهم بسَبَبِ كُفْرِهِمْ هذا العَذَابُ؛ فأنتم أحرَىٰ بذلك؛ إذا تماديتم في كفركم، وقالت فرقة: «إِنْ» شرطية، والجواب محذوف، تقديره: في الذي إِنْ مَكَّنَّاكم فيه طغيتم، وهذا تَنَطُّعٌ في التأويل، و«ما» نافية في قوله: ﴿فما أغنى عنهم﴾؛ ويقوّي ذلك دخولُ «مِنْ» في قوله: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾، وقالت فرقةٌ: بل هي استفهامٌ؛ على جهة التقرير؛ و﴿من شيء﴾ ـ على هذا ـ تأكيدٌ؛ وهذا على غير مذهب سيبَوَيْهِ في دخول «مِنْ» في الجواب.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى...﴾ الآية، مخاطبة لقريشٍ على جهة التمثيلِ ﴿وصرفنا الآيات﴾ يعني: لهذه القرى.

وقوله سبحانه: ﴿فلولا نصرهم...﴾ الآية، يعني: فهلا نَصَرَتْهُمْ أصنامُهُمْ، «بل ضَلُّوا عنهم» أي: انتلفوا عنهم وقت/ الحاجة ﴿وذلك إفكهم﴾ إشارةٌ إلى قولهم في ١٦٨أ
الأصنامِ: إنها آلهةٌ.

وقوله: ﴿وما كانوا يفترون﴾ يحتمل أَنْ تكون «ما» مصدريةً، فلا تحتاج إلى عائد، ويحتمل أَنْ تكون بمعنى «الذي» فهناك عائد محذوف، تقديره: يَفْتَرُونَهُ.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنِّ...﴾ الآية، ابتداءُ وَصْفِ قِصَّةِ الجنِّ ووفادتهم على النبيِّ ﷺ، وقد اختلفتِ الرُّوَاةُ هنا: هَلْ هذا الجنُّ هُمُ الوَفْدُ أوِ

المُتَجَسِّسُونَ؟ واختلفتِ الرواياتُ أيضاً عنِ ابنِ مَسْعُودٍ وغيرهِ في هذا الباب.

والتحرير في هذا أَنَّ النبيَّ ﷺ جاءه نَفَرٌ من الجِنِّ دون أَنْ يَشْعُرَ بهم، وهم المتجسِّسون المتفرِّقون من أَجْلِ رَجْمِ الشُّهُبِ الذي حَلَّ[1] بِهِمْ، وهؤلاءِ هُمُ المرادُ بقوله تعالَىٰ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ...﴾ [الجن: ١] الآية، ثم بعد ذلك وفد عليه وَفْدُهُمْ؛ حَسْبَمَا وَرَدَ في ذلك من الآثار[2].

وقوله: ﴿نفراً﴾ يقتضي أَنَّ المصروفين كانوا رجالاً لا أنثى فيهم، والنَّفَرُ والرَّهْطُ هم: القوم الذين لا أُنْثَىٰ فيهم.

وقوله تعالى: ﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ فيه تَأَدُّبٌ مع العلم، وتعليم كيف يُتَعَلَّمُ ﴿فلما قضي﴾ أي: فرغ من تلاوة القرآنِ واستماع الجن، قال جابر بن عبد اللّه وغيرُه: إنَّ النبي ﷺ لَمَّا قَرَأَعليهم سورة «الرحمٰن» فكان إذَا قال: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٣] قالوا: لا بِشَيْءٍ مِنْ آلائك نُكَذِّبُ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، ولَمَّا وَلَّتْ هذه الجملة
٦٨ ب تفرَّقَتْ/ على البلاد مُنْذِرَةً لِلْجِنِّ، وقولهم: ﴿إنا سمعنا كتاباً﴾ يَعْنُونَ: القرآن.

* ت *: وقولهم: ﴿مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ يحتمل أَنَّهُمْ لم يعلموا بِعِيسَى؛ قاله ابن عباس[3]، أَوْ أَنَّهم على دِينِ اليهودِ، قاله عطاء[4]؛ نقل هذا الثعلبيُّ، ويحتمل ما تَقَدَّمَ ذِكْره

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨) كتاب «التفسير» باب: سورة ﴿قل أوحي إلي﴾ (٤٩٢١)، ومسلم (٢/ ٤٠٣) ـ النووي، كتاب «الصلاة» باب: الجهر بالقراءة في الصبح (١٤٩، ٤٤٩)، والترمذي (٥/ ٤٢٦) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الجن (٣٣٢٣)، وأحمد (١/ ٢٥٢).

(٢) أخرجها البخاري (٧/ ٢٠٨) كتاب «مناقب الأنصار» باب: ذكر الجن، وقول اللّه تعالى: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ (٣٨٦٠).
وعن عامر أنه سأل علقمة: «هل كان ابن مسعود شهد مع رسول اللّه ﷺ ليلة الجن؟...» الحديث.
أخرجه مسلم (٢/ ٤٠٤) ـ النووي، كتاب «الصلاة» باب: الجهر بالقراءة في الصبح (١٥٠/ ٤٥٠)، وأبو داود (١/ ٦٩) كتاب «الطهارة» باب: الوضوء بالنبيذ (٨٥) نحوه، والترمذي (١/ ٢٩) كتاب «الطهارة» باب: ما جاء في كراهية ما يستنجى به (١٨) نحوه، (٥/ ٣٨٢) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الأحقاف (٣٢٥٨) نحوه.
وروي من حديث ابن عباس: أخرجه مسلم (٢/ ٤٠٥) ـ النووي، كتاب «الصلاة» باب: الجهر بالقراءة في الصبح (١٥١/ ٤٥٠)، وأخرجه أحمد (١/ ٣٩٨)، وابن ماجه (١/ ١٣٥)، كتاب «الطهارة وسننها» باب: الوضوء بالنبيذ (٣٨٤) نحوه، وأبو داود (١/ ٦٩) كتاب «الطهارة» باب: الوضوء بالنبيذ (٨٤) مختصراً نحوه.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٠٦).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ١٠٥).

في غير هذا، وأنَّهم ذكروا المُتَّفَقَ عليه، انتهى.

﴿مُصَدِّقاً لما بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وهي التوراة والإنجيل، وداعي اللّه هو محمَّدٌ ﷺ ﴿وآمِنُوا بِهِ﴾ أي: باللّه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ...﴾ الآية.

* ت *: وذكر الثعلبيُّ خلافاً في مُؤمني الجِنِّ، هل يُثَابُونَ على الطاعةِ ويدخُلُونَ الجَنَّة، أو يُجَارُونَ من النار فقطْ؟ اللّه أعلم بذلك، قال الفخر: والصحيحُ أَنَّهم في حُكْمِ بني آدم يستحِقُّون الثوابَ على الطاعة، والعقابَ على المعصية، وهو قول مالك، وابن أبي لَيْلَىٰ؛ قال الضَّحَّاكُ: يدخلون الجنة، ويأكلون ويشربون[1]، انتهى، وقد تَقَدَّمَ ما نقلناه عن البخاريِّ في سورة الأنعام؛ أَنَّهُمْ يُثَابُونَ.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ...﴾ الآية: يحتملُ أَنْ يكون مِنْ تمام كلام المُنْذِرِين، ويحتمل أَنْ يكونَ من كلام اللّه عزَّ وجلَّ، و«المُعْجِزُ»: الذاهبُ في الأرض الذي يُعْجِزُ طالِبَهُ؛ فلا يَقْدِرُ عليه.

وقوله سبحانه: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوا﴾ الضمير لقريش؛ وذلك أَنَّهم أنكروا البعث وعَوْدَ الأجساد، وهُمْ مع ذلك معترِفُونَ بأَنَّ اللّه تعالى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ، فَأُقِيمَتْ عليهم الحُجَّةُ مِنْ أقوالهم * ص *: قال أبو حَيَّان[2]: والباء في قوله: ﴿بِقَادِرٍ﴾ زائدةٌ، انتهى.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ المعنى: واذكرْ يومَ، وهذا وعيدٌ لكفَّار قريشٍ وغيرهم،/ وهذا عَرْضُ مباشرةٍ. ٦٩ أ

وقوله: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ أي: يقال لهم: أليس هذا بالحق؟ ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ فصدَّقوا بذلك حيث لا ينفعهم التصديقُ، فَرُوِيَ عن الحَسَنِ؛ أنه قال: إِنَّهم لَيُعَذَّبُونَ في النارِ، وهم راضون بذلك لأنفسهم يعترفون أَنَّهُ العَدْلُ[3].

واخْتُلِفَ في تعيين أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، ولا محالةَ أَنَّ لكل نبيٍّ ورسولٍ عَزْماً وصَبْراً.

---

(١) ينظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٧٥).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٦٦).
(٣) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ١٠٧).

وقوله: ﴿وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ معناه: ولا تستعجلْ لهم عذاباً؛ فإنَّهم إليه صائرون، ولا تَسْتَطِلْ تعميرَهُمْ في هذه النِّعْمَةِ؛ فَإِنَّهم يوم يَرَوْنَ العذاب كأنهم لَم يَلْبَثُوا في الدنيا إلاَّ ساعةً لاِحتقارهم ذلك؛ لأَنَّ المنقضيَ من الزمان يصير عَدَماً.

* ت *: وإذا علمتَ ـ أَيُّها الأخُ ـ أَنَّ الدنيا أضغاثُ أحْلاَم، كان من الحزم اشتغالُكَ الآنَ بتَحْصِيلِ الزادِ لِلْمَعَاد، وحِفْظِ الحَواسِّ، ومراعاةِ الأنفاس، ومراقبة مَوْلاَك، فَاتَّخِذْهُ صاحباً، وذَرِ الناس جانباً؛ قال أبو حامد الغَزَّالِيُّ ـ رحمه اللَّه ـ: اعلم أَنَّ صاحبك الذي لا تفارقُهُ في حَضَرِكَ وسَفَرِكَ، ونَوْمِكَ ويَقَظَتِكَ، بل في حياتك، وموتك ـ هو رَبُّك، ومولاك، وسَيِّدُك، وخالقك، ومهما ذكرتَهُ فهو جَلِيسُكَ؛ إذ قال تعالى: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي»، ومهما آنْكَسَرَ قلبُكَ حُزْناً عَلَىٰ تَقْصِيرِكَ في حق دِينِكَ، فهو صَاحِبُكَ ومُلاَزِمُكَ؛ إذْ قال: «أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبهمْ مِنْ أَجْلِي»[1] فلو عرفته يا أخي حَقَّ معرفتِهِ لاَتَّخذْتَهُ
٦٩ ب صَاحِباً، وتركْتَ النَّاسَ جانباً، فإنْ لم تَقدِرْ/ عَلَىٰ ذلك في جميع أوقاتك، فَإِيَّاكَ أَنْ تُخْلِيَ لَيلَكَ ونهارَكَ عَنْ وَقْتٍ تخلُو فيه بمولاَكَ، وتَلَذَّذْ بمناجاتِهِ، وعند ذلك فعليكَ بآدَابِ الصُّحْبَةِ مع اللَّه تعالَىٰ، وآدابُهَا: إطراقُ الطَّرْفِ، وجَمْعُ الهَمِّ، ودَوَامُ الصَّمْتِ، وسُكُونُ الجَوَارِحِ، ومُبَادَرَةُ الأَمْرِ، واجتنابُ النَّهْيِ، وقِلَّةُ الاِعتراضِ عَلَى الْقَدَرِ، ودَوَامُ الذِّكْرِ باللسان، ومُلاَزَمَةُ الفِكْر، وإيثارُ الحَقِّ، واليَأْسُ من الخَلْقِ، والخضوعُ تحت الهيبَةِ، والانْكِسَارُ تحت الحياء، والسُّكُونُ عن حِيَلِ الكَسْب ثِقَةً بالضَّمَان، والتَوَكُّلُ عَلَىٰ فَضْل اللَّه معرفةً بحسن اختياره؛ وهذا كله ينبغي أَنْ يكون شعارَكَ، في جميع لَيْلِكَ ونَهَارِك، فإنَّهُ آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك، والخلق كُلُّهم يفارقُونَكَ في بَعْضِ أوقاتك»، انتهى من «**بداية الهداية**».

وقوله: ﴿بَلاَغٌ﴾ يحتمل معانيَ:

أحدُهَا: أَنْ يكون خبر مبتدإ محذوفٍ، أي: هذا إنذارٌ وتبليغٌ.

ويحتمل أنْ يريد: كأنْ لم يلبثوا إلاَّ ساعةً كانَتْ بلاغَهُمْ، وهذا كما تَقُولُ: متاعٌ قليلٌ، وقيل غَيْرُ هذا، **وقرأ** أبو مِجْلَزٍ وغيره[2]: ﴿بَلِّغْ﴾ على الأمر، **وقرأ** الحسنُ بْنُ أبي

(١) ينظر: «**إتحاف السادة المتقين**» للزبيدي (٦٣).
(٢) وقرأ بها أبو سراج الهذلي.
ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٤٠)، و«**المحتسب**» (٢/٢٦٨)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/١٠٨)، و«**البحر المحيط**» (٨/٦٨)، و«**الدر المصون**» (٦/١٤٥).

الحَسَنِ: ﴿بَلاَغٍ﴾ بالخفضِ نعتاً لـ﴿نَهَارٍ﴾[(١)].

وقوله سبحانه: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وقُرِىءَ شَاذاً[(٢)]: ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ﴾ ببناء الفعل للفاعل، وفي هذه الآية وعيدٌ مَحْضٌ، وإِنذارٌ بَيِّنٌ؛ وذلك أَنَّ اللَّه عز وجل جعل الحسنة بعشر أمثالها والسيئةَ بمثلها، وغفر الصغائر باجتنابِ الكبائرِ، ووعد الغفرانَ على التوبة، فلن يهلك على اللَّه إِلاَّ هالَكَ؛ كما قال ﷺ، قال الثعلبيُّ: يقال: إِن قوله تعالى:
١٧٠أ ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾ أَرْجَىٰ آية في كتاب اللَّه/ عزَّ وجلَّ للمؤمنين.

---

(١) وقرأ بها عيسى.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/١٠٨)، و«البحر المحيط» (٨/٦٨)، و«الدر المصون» (٦/١٤٥).

(٢) قرأ بها ابن محيصن، وروي عنه كسر اللام. قال أبو الفتح: وأما «يهلَك» بفتح الياء واللام جميعاً فشاذة، ومرغوب عنها، لأن الماضي هَلَك، فعل مفتوحة العين، ولا يأتي يَفْعَل، بفتح العين فيهما جميعاً إلا الشاذ.
ينظر: «المحتسب» (٢/٢٦٨)، و«مختصر الشواذ» ص: (١٤١)، و«المحرر الوجيز» (٥/١٠٨)، و«البحر المحيط» (٨/٦٨)، و«الدر المصون» (٦/١٤٥).

تفسير سورة محمد

وهي مدنيّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾

قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿الذين كفروا﴾: إشارةٌ إِلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ الذين أَخرَجُوا النبيَّ ﷺ.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ...﴾ الآية: إشارةٌ إلى الأنصار الذين آووا، ونصروا، وفي الطائفتين نزلتِ الآيتان؛ قاله ابن عباس ومجاهد[1]، ثم هي بَعْدُ تعمّ كُلَّ مَنْ دخل تحت ألفاظها.

وقوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أيْ: أَتْلَفَهَا، ولم يجعلْ لها نَفْعاً.

* ت *: وقد ذكَرْنا في سورة «الصف» أنَّ اسم محمد ﷺ لم يَتَسَمَّ به أحدٌ قبله إلاَّ قَوْمٌ قليلُون، رجاءَ أنْ تكونَ النُّبُوَّةُ في أبنائهم، واللَّهُ أَعْلَمُ حيثُ يَجْعَلُ رسالاته، قال ابن القَطَّانِ: وعن خَلِيفَةَ وَالِدِ أَبِي سُوَيْدٍ قال: سأَلْتُ محمَّدَ بْنَ عَدِيِّ بن أبي رَبِيعَةَ: كيف سَمَّاكَ أبوك محمَّداً؟ قال: سأَلْتُ أبي عَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْهُ، فقال لي: كُنْتَ رَابِعَ أربعةٍ من بني غَنْمٍ أنا فيهم، وسفيانُ بْنُ مُجَاشِعِ بْنِ جَرِيرٍ، وأُمَامَةُ بْنُ هِنْدِ بْنِ خِنْدِف. ويزيدُ بْنُ رَبِيعَةَ، فخرَجْنا في سَفْرَةٍ نُرِيدُ ابنَ جَفْنَةَ مَلِكَ غَسَّانَ، فلما شارفنا الشام، نزلنا على غَدِيرٍ فيه شجراتٌ، وقُرْبَهُ شَخْصٌ نائمٌ، فتحدَّثْنا فٱستمعَ كلاَمَنَا، فَأَشْرَفَ علَيْنَا، فقال: إنَّ هذه لُغَةٌ، ما هي لغة هذه البلاد، فقلنا: نَحْنُ قومٌ من مُضَرَ، فقال: مِنْ أَيِّ المُضَرِيِّينَ؟ قلنا: من خِنْدِفَ، قال: إنَّهُ يُبْعَثُ فيكم خاتَمُ النبيِّين، فَسَارِعُوا إِلَيْه، وخُذُوا بحظِّكُمْ منه تَرْشُدُوا، قلنا: ما ٱسْمُه؟ قال: محمَّد، فَرَجَعْنَا، فَوُلِدَ لِكُلِّ واحدٍ مِنَّا ابْنٌ سَمَّاه محمَّداً، وذكره

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٤) برقم: (٣١٣٣٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٧٧) عن ابن عباس، وابن عطية (٥/ ١٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩)، وعزاه إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه.

المدائنيُّ،/ انتهى. ٧٠ ب

وقوله تعالى في المؤمنين: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قال قتادة: معناه: حالهم[١]، وقال ابن عباس: شأنهم[٢].

وتحريرُ التفسيرِ في اللفظة أنَّها بمعنى الفِكْرِ والموضع الذي فيه نظرُ الإِنْسَانِ، وهو القلب، فإذا صَلُحَ ذلك منه، فقد صَلُحَ حالُهُ، فكأَنَّ اللفظةَ مُشِيرَةٌ إلى صلاح عقيدتهم، وغيرُ ذلك من الحال تَابعٌ، فقولك: خَطَرَ في بالي كذا، وقولك: أَصْلَحَ اللَّهُ بَالَكَ: المرادُ بهما واحدٌ؛ ذكره المُبَرِّدُ،، والبَالُ: مصدر كالحال والشأن، ولا يُسْتَعْمَلُ منه فِعْلٌ، وكذلك عُرْفُهُ لا يُثَنَّىٰ ولا يُجْمَعُ، وقد جاء مجموعاً شاذًّا في قولهم: «بَالاَتٌ».

و﴿الباطل﴾ هنا: الشيطانُ، وكُلُّ ما يأمر به؛ قاله مجاهد[٣]، و﴿الحَقُّ﴾ هنا: الشَّرْعُ ومحمَّد ـ عليه السلام ـ.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ﴾: الإشارة إلى الأتباع المذكورين من الفريقَيْنِ.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ...﴾ الآية: قال أَكْثَرُ العلماءِ: إنَّ هذه الآية وآيةَ السَّيْفِ، وهي قوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] مُحْكَمَتَانِ، فقوله هنا: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ بمثابة قوله هنالك: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُّمُوهُمْ﴾، وصرَّح هنا بذكر المَنِّ والفداء، ولم يُصَرِّحْ به هنالك، فهذه مُبَيِّنَةٌ لِتِلْكَ، وهذا هو القولُ القويُّ، وقوله: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر بمعنى

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٥) برقم: (٣١٣٣٧ ـ ٣١٣٣٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٠٩)، وابن كثير (٤/ ١٧٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٤) برقم: (٣١٣٣٥) بمعناه، (٣١٣٣٦) عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٥/ ١٠٩)، وابن كثير (٤/ ١٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٥) برقم: (٣١٣٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

الفِعْل، أي: فاضربوا رقابهم وعَيَّنَ مِنْ أنواع القَتْلِ أَشْهَرَهُ، والمراد: ٱقْتُلُوهُمْ بأَيِّ وجه أمكَنَ؛ وفي «صحيح مسلم» عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَداً»(١).

١٧١ أ وفي «**صحيح البخاري**» عنهُ ﷺ قال: «مَا اغْبَرَّتْ/ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَتَمَسَّهُ النَّارُ»(٢) انتهى.

والإِثخان في القوم أنْ يكثر فيهم القتلَىٰ والجرحَىٰ، ومعنى: ﴿فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾ أي: بمن لم يُقْتَلْ، ولم يترتَّب فيه إلاَّ الأسْرُ، ومَنًّا وفِدَاءً: مصدران منصوبانِ بفعلَيْن مُضْمَرَيْنِ.

وقوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ معناه: حتى تذهبَ الحربُ وتزولَ أثقالُهَا، والأوزار: الأثقال؛ ومنه قول عَمْرِو بنِ مَعْدِ يكرِبَ: [من المتقارب]

وَأَعْـــدَدْتُ لِـــلْـــحَـــرْبِ أَوْزَارَهَـــا ... رِمَـــاحـــاً طِـــوَالاً وَخَـــيْـــلاً ذُكُـــورَا(٣)

واختلف المتأولون في الغاية التي عندها تضع الحربُ أوزارها، فقال قتادة: حتى يُسَلِّمَ الجميعُ(٤)، وقال حُذَّاقُ أهل النظر: حتى تغلبوهم وتَقْتُلُوهُمْ، وقال مجاهد: حتى ينزلَ عيسى ابْنُ مَرْيَمَ(٥)، قال * ع(٦) *: وظاهر اللفظ أَنَّهُ استعارةٌ يُرَادُ بها التزامُ الأَمْرِ أبداً؛ وذلك أَنَّ الحربَ بين المؤمنين والكافرين لا تضع أوزارها، فجاء هذا كما تقول: أنا أفعل كذا وكذا إِلَىٰ يَوْمِ القيامةِ، وإِنَّما تريد أَنَّك تفعله دائماً.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٠٥) كتاب «الإمارة» باب: من قتل كافراً ثم سدد، حديث (١٣٠/ ١٨٩١)، وأحمد (٢/ ٣٩٧)، والبيهقي (٩/ ١٦٥) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٣٥) كتاب «الجهاد والسير» باب: من اغبرت قدماه في سبيل الله، وقول الله عز وجل: ﴿ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول ـ إلى قوله ـ إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [التوبة: ١٢٠] (٢٨١١)، والبيهقي (٩/ ١٦٢) كتاب «السير» باب: فضل المشي في سبيل الله.

(٣) البيت للأعشى ميمون بن قيس، وهو في «**ديوانه**» (٧١)، «**مشاهد الإنصاف**» (١/ ٢٥١)، «**التهذيب**» (١٣/ ٢٤٤) (وزر)، «**اللسان**» (وزر)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٧٥) منسوباً لعمرو بن معدي كرب، وقال: أنشده ابن عطية لعمرو هذا، وأنشده الزمخشري للأعشى. ينظر: «**الكشاف**» (٤/ ٣١٧)، و«**الدر المصون**» (٦/ ١٤٧).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٨) برقم: (٣١٣٥٤ ـ ٣١٣٥٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١١١)، وذكره ابن كثير(٤/ ١٧٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢١)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٨) برقم: (٣١٣٥٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ١١١)، وابن كثير (٤/ ١٨٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢١)، وعزاه إلى الفريابي، وعبد بن حميد.

(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١١١).

﴿وَلَوْ يشَاء اللَّهُ لاَنْتَصَرَ مِنهُمْ﴾ أي: بعذابٍ مِنْ عنده، ولكن أراد سبحانه ٱختبارَ المؤمنين، وأنْ يَبْلُوَ بعضَ الناس ببعضٍ، **وقرأ** الجمهور: ﴿قَاتَلُوا﴾ **وقرأ** عاصم بخلاف عنه: ﴿قَتَلُوا﴾ ـ بفتح القاف والتاء ـ، **وقرأ** أبو عمرو وحَفْصٌ: ﴿قُتِلُوا﴾ ـ بضم القاف وكسر التاء[١] ـ، قال قتادة: نزلَتْ هذه الآيةُ فيمَنْ قُتِلَ يوم أُحُدٍ من المؤمنين[٢].

وقوله سبحانه: ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ أي: إلى طريقِ الجَنَّةِ.

* ت *: ذكر الشيخ أبو نُعَيْمٍ الحافظُ أنَّ مَيْسَرَةَ الخادمَ قال: غزونا في بعض الغَزَوَاتِ، فإذا فتًى إلى جانبي، وإذا هو مُقَنَّعٌ بالحديد، فَحَمَلَ على/ المَيْمَنَةِ، فَثَنَاها، ثُمَّ ٧١ ب
على المَيْسَرَةِ حتى ثَنَاهَا، وحَمَلَ عَلَى القَلْبِ حتى ثناه، ثم أنشأ يقول: [الرجز]

أَحْسِنْ بِمَوْلاَكَ سَعِيدُ ظَنَّا ... هَذا الَّذِي كُنْتَ لَهُ تَمَنَّى
تَنَحَّ يَا حُورَ الْجِنَانِ عَنَّا ... مَالَكِ قَاتَلْنَا وَلاَ قُتِلْنَا
لَكِنْ إِلَىٰ سَيِّدِكُنَّ ٱشْتَقْنَا ... قَدْ عَلِمَ السِّرَّ وَمَا أَعْلَنَّا

قال: فحمل، فقاتل، فَقَتَلَ منهم عدداً، ثم رَجَعَ إلى مَصَافِّهِ، فتكالَبَ عليه العَدُوُّ، فإذا هو ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ قد حمل على الناس، وأنشأ يقول: [الرجز]

قَدْ كُنْتُ أَرْجُو وَرَجَائِي لَمْ يَخِبْ ... أَلاَّ يَضِيعَ الْيَوْمَ كَدِّي وَالطَّلَبْ
يَا مَنْ مَلاَ تِلْكَ الْقُصُورَ بِاللُّعَبْ ... لَوْلاَكَ مَا طَابَتْ وَلا طَابَ الطَّرَبْ

ثم حَمَلَ ـ رضي اللَّه عنه ـ فقاتل، فَقَتَلَ منهم عَدَداً، ثم رجع إلى مَصَافِّه، فتكالَبَ عليه العَدُوُّ فحَمَلَ ـ رضي اللَّه عنه ـ في المرة الثالثة، وأنشأ يقول: [الرجز]

يَا لُعْبَةَ الخُلْدِ قِفِي ثُمَّ ٱسْمَعِي ... مَالَكِ قَاتَلْنَا فَكُفِّي وَٱرْجِعِي
ثُمَّ ٱرْجِعِي إِلَى الْجِنَانِ وَأَسْرِعِي ... لاَ تَطْمَعِي لاَ تَطْمَعِي لاَ تَطْمَعِي

فقاتل ـ رضي اللَّه عنه ـ حتَّىٰ قُتِلَ،، انتهى من ابن عَبَّاد شارح «**الحِكَم**».

---

(١) ينظر: «**السبعة**» (٦٠٠)، و«**الحجة**» (٦/ ١٩٠)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٣٢٣)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٨٥)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ٧)، و«**العنوان**» (١٧٦)، و«**حجة القراءات**» (٦٦٦)، و«**شرح شعلة**» (٥٨٥)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٠٩) برقم: (٣١٣٥٨ ـ ٣١٣٥٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١١١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٣)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ قال أبو سعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وقتادة، ومجاهد[١]: معناه: بَيَّنَهَا لهم، أي: جعلهم يعرفون منازلهم منها، وفي نحو هذا المعنى قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «لأَحَدُكُمْ بِمَنْزِلِهِ في الجَنَّةِ أَعْرَفُ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ في الدُّنْيَا»[٢] قال القرطبيُّ في «التذكرة»: وعلَىٰ هذا القولِ أكثرُ المفسِّرين قال: وقيل: إنَّ هذا التعريفَ إلى المنازِلِ هو بالدليلِ، وهو المَلَكُ المُوَكَّلُ بِعَمَلِ العَبْدِ، يمشي بين يَدَيْهِ، انتهى، وقالت فرقة: معناه: سَمَّاها لهم، ورَسَمَهَا
١٧٢ كُلُّ منزل باسم صاحبه، فهذا نحو من التعريف، وقالت فرقة: معناه/ شَرَّفَهَا لهم ورفعها وعلاَّها، وهذا من الأَعْرَافِ التي هي الجبال، ومنه أعرافُ الخَيْلِ، وقال مُؤَرِّجٌ وغيره: معناه: طَيَّبَهَا؛ مأخوذٌ من العَرْفِ، ومنه طَعَامٌ مُعَرَّفٌ، أي: مُطَيَّبٌ، وعَرَّفْتُ القِدْرَ: طَيَّبْتُها بالمِلْحِ والتَّابِلِ، قال أبو حيَّان[٣]: «وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» البال: الفِكْرُ ولا يُثَنَّى ولا يُجْمَعُ، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ أي: دينَ اللَّه ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ بخلق القوَّةِ لكم وغَيْرِ ذلك من المعاون، ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ أي: في مواطن الحَرْبِ، وقيل: على الصراط في القيامة.

وقوله: ﴿فَتَعْساً لَهُمْ﴾ معناه: عِثَاراً وهَلاَكاً لهم، وهي لفظة تقالُ للعَاثِرِ، إذا أُرِيدَ به الشَّرُّ؛ قال ابن السِّكِّيتِ: التَّعْسُ: أَنْ يَخِرَّ على وجهه.

وقوله تعالى: ﴿كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ يريد: القرآن ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال * ع[٤] *: ولا خلافَ أَنَّ الكافر له حَفَظَةٌ يكتبون سَيِّئاتِهِ، واختلف الناسُ في حَسَنَاتِهِمْ، فقالت فرقة: هي مُلْغَاةٌ يثابُونَ عليها بِنِعَمِ الدنيا فقطْ، وقالت فرقة: هي مُحْصَاةٌ من أجل ثواب الدنيا، ومن أجل أَنَّهُ قد يُسْلِمُ فينضافُ ذلك إلى حسناته في الإسلام، وهذا أحدُ التأويلَيْنِ في قوله ﷺ لِحَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ: «أَسْلَمْتَ عَلَىٰ مَا سَلَفَ لَكَ مِنْ خَيْرٍ»[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٣٠٩ ـ ٣١٠) برقم: (٣١٣٦٠، ٣١٣٦٢)، وذكره ابن عطية (٥/١١١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢٣)، وعزاه إلى عبد بن حميد عن مجاهد، وقتادة.

(٢) أخرجه البخاري (١١/٤٠٣) كتاب «الرقاق» باب: القصاص يوم القيامة، وهي الحاقة، لأن فيها الثواب، وحَواقَّ الأمور، برقم: (٦٥٣٥).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/٧٠).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/١١٢).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ٤٨٠) كتاب «البيوع» باب: شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه (٢٢٢٠)، (٥/ ٢٠٠) كتاب «العتق» باب: عتق المشرك (٢٥٣٨)، (٣/ ٣٥٤) كتاب «الزكاة» باب: من تصدق في الشرك ثم أسلم (١٤٣٦)، (١٠/٤٣٨) كتاب «الأدب» باب: من وصل رحمه في الشرك ثم أسلم =

﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا في الأَرْضِ﴾: توقيف لقريش، وتوبيخٌ وَ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يريدُ: ثمودَ وقَوْمَ شُعَيْبٍ وغيرهم، والدمار: الإفساد، وهَدْمُ البناء، وإذهابُ العُمْرَانِ، والضميرُ في قوله: ﴿أَمْثَالُهَا﴾ يَصِحُّ أَنْ يعودَ على العَاقِبَةِ، ويَصِحُّ أَنْ يعود على الفَعْلَةِ التي يتضمَّنها قوله: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، المَوْلَى: الناصِرُ المُوَالِي، قال قتادة: نزلَتْ هذه/ الآيةُ يَوْمَ أُحُدٍ[1]، ومنها انتزع النبيُّ ﷺ رَدَّهُ على أبي ٧٢ ب
سُفْيَانَ حينَ قال: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَىٰ لَكُمْ»[2].

وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾ أي: أكلاً مجرَّداً عن الفِكْرِ والنظر، وهذا كما تقول: الجاهلُ يعيشُ كما تعيشُ البهيمةُ، والمعنى: يعيشُ عَدِيمَ الفَهْمِ والنَّظَرِ في العَوَاقِبِ.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ يعني: مَكَّة ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ معناه: وَقْتَ الهِجْرَةِ، ويقال: إنَّ هذه الآيةَ نزلَتْ إثْرَ خُروجِ النَّبِيِّ ﷺ من مَكَّةَ،

= (٥٩٩٢)، ومسلم (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨) ـ الأبي، كتاب «الإيمان» باب: بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده (١٩٤/ ١٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٠٢، ٤٣٤)، والبيهقي (٩/ ١٢٣) كتاب «السير» باب: ترك أخذ المشركين بما أصابوا، وابن حبان (٢/ ٣٧ ـ ٣٨) كتاب «البر والإحسان» باب: ما جاء في الطاعات وثوابها، ذكر إطلاق اسم الخير على الأفعال الصالحة إذا كانت من غير المسلمين (٣٢٩)، والحميدي (١/ ٢٥٣) (٥٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢١٠) (٣٠٧٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤)، كتاب «الجامع» باب: حديث النبي ﷺ (١٩٦٨٥).

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١١٣).

(٢) تقدم.

وقيل غَيْرُ هذا[١].

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ...﴾ الآية، توقيفٌ وتقريرٌ، وهي معادلةٌ بين هذَيْن الفريقَيْن، واللفظ عامٌّ لأهل هاتين الصفتين غابرَ الدَّهرِ، و﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ أي: على يقين وطريق واضحةٍ وعقيدة نَيِّرَةٍ بَيِّنَةٍ.

وقوله سبحانه: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ...﴾ الآية، قال النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ وغيره ﴿مَثَلُ﴾ معناه: صفةٌ؛ كأنَّهُ قال: صفة الجنة: ما تسمَعُونَ فيها كذا وكذا.

وقوله: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ معناه: غيرُ مُتَغَيِّرٍ؛ قاله ابن عباس وقتادة[٢]، وسواءٌ أنتن أو لم يُنْتِنْ.

وقوله في اللبن: ﴿لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾: نَفْيٌ لجميعِ وجوهِ الفَسَادِ فيه.

وقوله: ﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ جمعتْ طِيبَ الطَّعْمِ وَزَوالَ الآفاتِ من الصُّدَاعِ وغيره، وتصفيةُ العَسَلِ مُذْهِبَةٌ لمومه وَضَرَره.

* ت *: ورُوِّينَا في «**كتاب التِّرمِذِيّ**» عن حَكِيم بن مُعَاوِيَةَ عنِ أبيه عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ في الجَنَّةِ بَحْرَ المَاءِ، وَبَحْرَ الْعَسَلِ، وَبَحْرَ اللَّبَنِ، وَبَحْرَ الخَمْرِ، ثُمَّ تَشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ»[٣] قال أبو عيسَىٰ: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ، انتهى.

١٧٣ أ وقوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: من هذه الأنواع/ لكنها بعيدة الشبه؛ تلك لا عَيْبَ فيها ولا تَعَبَ.

وقوله: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ معناه: وتنعيمٌ أعطته المغفرةُ وَسَبَّبَتْهُ، وإلاَّ فالمغفرة إِنَّما هي قبل دخول الجَنَّةِ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣١٣) برقم: (٣١٣٧٢)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٤)، وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣١٣ ـ ٣١٤) برقم: (٣١٣٧٣ ـ ٣١٣٧٤) بمثله ومعناه، وذكره ابن عطية (٥/ ١١٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٥)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة بمعناه.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٩٩) كتاب «صفة الجنة» باب: ما جاء في صفة أنها الجنة (٢٥٧١)، وأحمد (٥/ ٥)، والبيهقي في «**البعث والنشور**» (٢٦٤)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٢٥)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن مردويه.
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وقوله سبحانه: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ في النَّارِ...﴾ الآية، قبله محذوفٌ، تقديره: أَسُكَّانُ هذه، أو تقديره: أهؤلاءِ المتقون كَمَنْ هو خالد في النار.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ﴾ يعني بذلك: المنافقين ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفاً﴾؛ عَلَى جِهَةِ الاسْتِخْفَاف، ومنهم مَنْ يقوله جهالةً ونسياناً، و﴿آنِفاً﴾ معناه: مبتدئاً، كأنَّه قال: ما القولُ الذي ٱئْتَنَفَهُ الآنَ قَبْلَ ٱنفصالِنَا عَنْهُ، والمفسِّرون يقولون: ﴿آنِفاً﴾ معناه: الساعةَ الماضيةَ، وهذا تفسيرٌ بالمعنى.

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿آنِفاً﴾ أي: الآنَ، وأصله الابتداء، قال أبو حَيَّان[١]: ﴿آنِفاً﴾ بالمدِّ والقَصْرِ: اسمُ فاعِل، والمُسْتَعْمَلُ من فعله: ٱئْتَنَفْتُ، ومعنى: ﴿آنفاً﴾ مبتدئاً، فهو منصوبٌ على الحال، وأعربه الزَّمَخْشَرِيُّ ظَرْفاً، أي: الساعةَ، قال أبو حَيَّان[٢]: ولا أعلم أحداً من النحاة عَدَّه مِنَ الظُّرُوفِ، انتهى، وقال العِرَاقِيُّ: ﴿آنفاً﴾ أي: الساعة.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ أي: زادهم اللّه هدى، ويحتمل: زادهم استهزاءُ المنافقين هُدًى، قال الثعلبيُّ: وقيل: زَادَهُمْ ما قال النبيُّ ﷺ هُدًى؛ قال * ع[٣] *: الفاعل في ﴿وَآتَاهُمْ﴾ يتصرَّفُ القولُ فيه بحسب التأويلاتِ المذكورةِ، وأقواها أنَّ الفاعِلَ اللّهُ تعالى، ﴿وآتاهم﴾ معناه: أعطَاهُمْ، أي: جعلهم مُتَّقِينَ.

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ يريد: المنافقين، والمعنى: فهل يَنْتَظِرُونَ؟ و﴿بَغْتَةً﴾
٧٣ ب معناه/ فجأة.

وقوله: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: فينبغي الاستعدادُ والخوفُ منها، والذي جاء من

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٧٩).
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١١٥).

أشراط الساعة: محمدٌ ﷺ؛ لأنَّه آخر الأنبياء، وقال ـ عليه السلام ـ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»(١) والأحاديثُ كثيرةٌ في هذا الباب.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ...﴾ الآية: إضرابٌ عن أمرِ هؤلاء المنافقين، وذكر الأَهَمِّ من الأمر، والمعنى: دُمْ علَىٰ عِلْمِكَ، وهذا هو القانونُ في كُلِّ مَنْ أُمِرَ بشيْءٍ هو مُتَلَبِّسٌ به، وكُلُّ واحدٍ مِنَ الأُمَّةِ داخلٌ في هذا الخِطَابِ، وعن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصاً، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ تُفْضِيَ إِلَى العَرْشِ مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ»(٢)، رواه الترمذي والنسائيُّ، وقال

---

(١) يروى هذا الحديث عن جمع من الصحابة، منهم: أنس بن مالك، وجابر بن عبد اللَّه، وأبو هريرة، وسهل بن سعد.
فأما حديث أنس رضي اللَّه عنه: أخرجه البخاري (١١/ ٣٥٥) كتاب «الرقاق» باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (٦٥٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٢٦٨)، كتاب «الفتن وأشراط الساعة» باب: قرب الساعة (١٣٣ ـ ١٣٤/ ٢٩٥١)، والترمذي (٤/ ٤٩٦) كتاب «الفتن» باب: ما جاء في قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين ـ يعني السبابة والوسطى ـ» (٢٢١٤)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (٦/ ٢٨١)، وأحمد (٣/ ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٣١، ١٩٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣٧، ٢٧٤)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
أما طريق جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه: أخرجه مسلم (٣/ ٤١٨) ـ النووي كتاب «الجمعة» باب: تخفيف الصلاة والخطبة(٤٣/ ٨٦٧)، والنسائي (٣/ ١٨٨) كتاب «الخطبة» باب: كيف الخطبة (١٥٧٨)، وابن ماجه (١/ ١٧) «المقدمة» باب: (٧) (٤٥)، وابن حبان (١/ ١٨٦) المقدمة: باب: الاعتصام بالسنة (١٠)، وأبو يعلى (٤/ ٨٥) (٣٤٦/ ٢١١١)، وابن خزيمة (٣/ ١٤٣) كتاب «جماع أبواب الآذان والخطبة في الجمعة» باب: صفة خطبة النبي ﷺ وبدؤه فيها بحمد اللَّه والثناء عليه (١٧٨٥)، والبيهقي (٣/ ٢٠٦)، كتاب «الجمعة» باب: رفع الصوت في الخطبة (٩/ ٢١٣)، كتاب «الجمعة» باب: كيف يستحب أن تكون الجمعة، وأحمد (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١).
وفي الباب من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (١١/ ٣٥٥)، كتاب «الرقاق» باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (٦٥٠٥)، وابن ماجه (٢/ ١٣٤)، كتاب «الفتن» باب: أشراط الساعة (٤٠٤٠)، وابن حبان (١٥/ ١٣ ـ ١٤)، كتاب «التاريخ» باب: إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث (٦٦٤١).
أما من طريق سهل بن سعد الساعدي: أخرجه البخاري (١١/ ٣٥٥) كتاب «الرقاق» باب: قول النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» (٦٥٠٣)، (٩/ ٣٤٨)، كتاب «الطلاق» باب: اللعان (٥٣٠٢)، وأحمد (٤/ ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٧٥)، كتاب «الدعوات» باب: دعاء أم سلمة (٣٥٩٠)، والنسائي (٦/ ٢٠٨) ـ «**الكبرى**»، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: أفضل الذكر وأفضل الدعاء (١٠٦٦٩/ ٣)، والمنذري في «**الترغيب والترهيب**» (٢/ ٣٩٢) (٢٢٥٥) كلهم قال: «... أبواب السماء...»، وليس أبواب الجنة.
وأخرجه الخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١١/ ٣٩٤) (٦٢٧١) نحوه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

الترمذيُّ واللفظ له: حديث حسن غريب، انتهى من «السلاح».

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ أي: لِتَسْتَنَّ أُمَّتُكَ بِسُنَّتِكَ.

* ت *: هذا لفظ الثعلبيِّ، وهو حَسَنٌ، وقال عِيَاضٌ: قال مَكِّيٌّ: مخاطبةُ النبيِّ ﷺ ههنا هي مخاطبةٌ لأُمَّتِهِ، انتهى.

قال * ع[١] *: وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «مَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ»[٢] وبوَّب البخاريُّ ـ رحمه اللَّه ـ العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ...﴾ الآية: وواجبٌ على كل مؤمن أنْ يستغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ فإِنَّها صَدَقَةٌ، وقال الطبريُّ وغيره[٣]: ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مُتَصَرَّفَكُمْ في يقظتكم ﴿ومَثْوَاكُمْ﴾ منامكم، وقال ابن عباس: ﴿متقلبكم﴾ تَصَرُّفُكُمْ في حياتكم الدنيا ﴿ومثواكم﴾: إِقامتكم في قبوركم، وفي آخرتكم[٤].

وقوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ...﴾ الآية: هذا ابتداءُ وَصْفِ حالِ المؤمنينَ؛ عَلىٰ جهة المَدْحِ لهم، ووصفِ حالِ المنافقين؛ على جهة الذَّمِّ؛ وذلك أَنَّ المؤمنين كان حرصهم على الدين يبعثهم على تَمَنِّي ظهور الإِسلام وتمنِّي قتال العدوِّ، وكانوا يأنسونَ بالوحي، ويستوحشون/ إذا أبطأ، وكان المنافقون على العكس من ١٧٤ أ
ذلك.

وقوله: ﴿مُحْكَمَةٌ﴾ معناه: لا يقعُ فيها نسخ، وأَمَّا الإِحكام الذي هو الإِتقان، فالقرآن كلُّه سواءٌ فيه، والمرض الذي في قلوب المنافقين هو فَسَادُ مُعْتَقَدِهِمْ، ونظر الخائف المولَّه قريبٌ من نظر المَغْشِيِّ عليه، وَخَسَّسَهُمْ هذا الوصف والتشبيه.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ﴾ «أَوْلَىٰ»: وزنها أَفْعَلُ، من وَلِيَكَ الشَّيْءُ يَلِيكَ، والمشهورُ من ٱستعمالِ أَوْلَىٰ أَنَّك تقول: هذا أَوْلَىٰ بك من هذا، أي: أَحَقُّ، وقد تَسْتَعْمِلُ العرب «أَوْلَىٰ لكِ» فقطْ على جهة الاختصار، لما معها من القول على جهة الزَّجْرِ والتَّوَعُّدِ،

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١١٦).

(٢) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٣) كتاب «التوبة» باب: الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات.
قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه من لم أعرفهم.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٣١٨).

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٨٣) برقم: (١٩)، وابن عطية (٥/ ١١٦).

فتقول: أَوْلَىٰ لَكَ يا فُلاَنُ، وهذه الآية من هذا الباب؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [القيامة: ٣٤] وقالت فرقة: ﴿أولى﴾ رُفِعَ بالابتداء، و﴿طاعة﴾ خبره، قال ع[١] *: وهذا هو المشهورُ مِنِ استعمال «أَوْلَىٰ»، وقيل غير هذا، قال أبو حيَّان[٢]: قال صاحب «الصِّحَاحِ»: ﴿أَوْلَى لَكَ﴾: تهديدٌ ووعيدٌ، قال أبو حَيَّان[٣]: والأكثر على أَنَّه اسم مُشْتَقٌّ من الوَلْي، وهو القُرْبُ، وقال الجُرْجَانِيُّ: هو مأخوذ من الوَيْلِ، فَقُلِبَ، فوزنه «أَفْلَعْ»، انتهى.

﴿فإذا عَزَمَ الأَمْرُ﴾: ناقضوا وعصَوْا، قال البخاريُّ: قال مجاهد: ﴿عَزَمَ الأَمْرُ﴾ جَدَّ الأَمْرُ[٤]. انتهى.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ مخاطبةٌ لهؤلاءِ الذينَ في قلوبهم مرضٌ، والمعنى: فهل عَسَىٰ أَنْ تفعلُوا إِنْ تولَّيتم غيرَ أَنْ تُفْسِدُوا في الأرض، وتُقَطِّعُوا أرحامكم، ومعنى ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: إِنْ أعرضتم عن الحَقِّ، وقيل المعنى: إِنْ توليتم أمور الناس من الولاية، وعلى هذا قيل: إِنَّها نزلَتْ في بني هاشِمٍ، وبني أُمَيَّةَ ذكره الثعلبيُّ.

* ت *: وهو عندي بعيدٌ لقوله: ﴿أولئك الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ فتعيَّن التأويل / الأَوَّل، والله أعلم. ٧٤ ب

وفي البخاريِّ عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»[٥]

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١١٧).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٨١).
(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٨١).
(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٤٤٢) كتاب «التفسير» باب: سورة محمد ﷺ معلقاً بصيغة الجزم، ووصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عنه.
(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٢٨) كتاب «الأدب» باب: إثم القاطع (٥٩٨٤)، ومسلم (٤/ ١٩٨١)، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٨ ـ ١٩/ ٢٥٥٦)، وأبو داود (١/ ٥٣٠)، كتاب «الزكاة» باب: في صلة الرحم (١٦٩٦)، والترمذي (٤/ ٣١٦)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في صلة الرحم (١٩٠٩)، والبيهقي (٧/ ٢٧)، كتاب «الصدقات» باب: الرجل يقسم صدقته على قرابته وجيرانه، إذا كانوا من أهل السهمان، كما جاء في صلة الرحم وحق الجار، وأحمد (٤/ ٨٠، ٨٣، ٨٤)، وابن حبان (٢/ ١٩٩)، كتاب «البر والإحسان» باب: صلة الرحم وقطعها، ذكر نفي دخول الجنة عن قاطع رحمه (٤٥٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٦٩ ـ ١٧٠)، كتاب «الجامع» باب: صلة

يعني: قاطعَ رحِم، وفيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ ـ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[١] . اهـ، وفي «**صحيح مسلم**» عن عائشة قالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ»[٢] وفي رواية: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»[٣] وفي طريق: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَيُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٤] وخرَّجه البخاريُّ من طريق أبي هريرة[٥]؛ على ما تقدَّم، وخرَّج البخاريُّ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[٦]» وفي رواية: قال اللَّه «مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ»[٧] انتهى.

ورَوَىٰ أبو داودَ في «**سُنَنِهِ**» عن عبد الرحمن بن عَوْفٍ قال: سمعتُ رسُول اللَّهِ ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمٰنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ شَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»[٨]. انتهى.

الرحم (٢٠٢٢٩)، والطبراني (٢/ ١١٨، ١٢٠) (١٥٠٩، ١٥١٩)، والحميدي (١/ ٢٥٤) (٥٥٧)، والبخاري في «**الأدب المفرد**» (٢٧) باب: إثم قاطع الرحم (٦٤)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**» (٧/ ٣٠٨).

(١) روى هذا الحديث أنس بن مالك، وأبو هريرة رضي اللَّه عنهما.
فأما حديث أنس: أخرجه البخاري (٤/ ٣٥٣) كتاب «البيوع» باب: من أحب البسط في الرزق (٢٠٦٧)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٢٠ ـ ٢١/ ٢٥٥٧)، وأبو داود (١/ ٥٢٩) كتاب «الزكاة» باب: في صلة الرحم (١٦٩٣)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ٤٣٨)، كتاب «التفسير» باب: سورة فاطر (١١٤٢٩/ ١).
وأما من طريق أبي هريرة رضي اللَّه عنه: أخرجه البخاري (١٠/ ٤٢٩)، كتاب «الأدب» باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٥٩٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨١)، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها (١٧/ ٢٥٥٥) عن عائشة.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم

(٥) تقدم.

(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٠)، كتاب «الأدب» باب: من وصل وصله اللَّه، برقم: (٥٩٨٧).

(٧) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٠)، كتاب «الأدب» باب: من وصل وصله اللَّه، (٥٩٩٨).

(٨) أخرجه أبو داود (١/ ٥٣٠)، كتاب «الزكاة» باب: في صلة الرحم (١٦٩٥)، والترمذي (٤/ ٣١٥)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في قطيعة الرحم (١٩٠٧)، والبيهقي (٧/ ٢٦)، كتاب «الصدقات» باب: الرجل يقسم صدقته على قرابته وجيرانه إذا كانوا من أهل السهمين لما جاء في صلة الرحم وحق الجار.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى المرضى القلوب المذكورين.

وقوله: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾: استعارةٌ لعدم فهمهم.

١٧٥ وقوله عزَّ من قائلٍ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ/ الْقُرْآنَ...﴾ الآية: توقيفٌ وتوبيخٌ، وتَدَبُّرُ القرآن زعيم بالتبيين والهُدَىٰ لمتأمِّله.

* ت *: قال الهرويُّ: قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ معناه: أفلا يتفكَّرُون فيعتبرون؛ يُقَالُ: تَدَبَّرْتُ الأمرَ: إذا نظرت في أدباره وعواقبه، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ معناه: بل على قلوب أقفالها، وهو الرَّيْنُ الذي منعهم من الإيمان، ورُوِيَ أَنَّ وَفْدَ اليَمَنِ وَفَدَ على النبي ﷺ وفيهم شَابٌّ، فقرأ النَّبِيُّ ﷺ هذه الآية، فقال الفتى: عَلَيْهَا أَقْفَالُهَا حَتَّىٰ يَفْتَحَها اللَّهُ تَعَالَىٰ ويُفَرِّجَها، قَالَ عُمَرُ: فَعَظُمَ في عَيْنِي، فما زَالَتْ في نَفْس عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنه ـ حَتَّىٰ وَلِيَ الخلاَفَة فَٱسْتَعَانَ بِذَلِكَ الفَتَىٰ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ...﴾ الآية: قال قتادة: نزلَتْ في قَوْم من اليهود[1]، وقال ابن عباس وغيره: نَزَلَتْ في منافقين كانوا أَسْلَمُوا، ثم نافَقَتْ قُلُوبُهم[2]، والآيةُ تَعُمُّ كُلَّ مَنْ دخل في ضمن لفظها غابِرَ الدَّهْرِ، و﴿سَوَّلَ﴾ معناه: رجّاهم سؤلهم وأمانِيهم، ونقل أبو الفتح عن بعضهم؛ أَنَّهُ بمعنَىٰ دلاَّهم مأخوذٌ من السَّوَلِ، وهو الاسترخاء والتَّدَلِّي، وقال العراقيُّ ﴿سَوَّلَ﴾ أي: زَيَّنَ سُوءَ الفعل.

قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(١) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٨٤)، وابن عطية في «تفسيره» (٥/ ١١٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٢٢) برقم: (٣١٤١٢)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٨٤)، وابن عطية (٥/ ١١٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا...﴾ الآية، قيل: إنَّها نزلت في بني إسرائيل الذين تقدَّم ذِكْرُهم الآن، ورُوِيَ أَنَّ قوماً من قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ كانوا يَعِدُونَ المنافقين في أمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والخلافِ علَيْهِ بنَصْرٍ ومؤازرةٍ؛ فذلك قولهم: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ﴾ وقرأ الجمهور: «أَسْرَارَهُمْ» ـ بفتح الهمزة ـ، وقرأ حمزة والكسائيُّ وحفص: «إِسْرَارَهُمْ» ـ بكسرها[1] ـ.

٧٥ ب وقوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا/ تَوَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ﴾ يَعْنِي: مَلَكَ المَوْتِ وأعوانه، والضمير في ﴿يَضْرِبُونَ﴾ للملائكة، وفي نحو هذا أحاديثُ تقتضي صفة الحالِ. ﴿وَمَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾: هو الكفر، والرِّضْوَانُ: هنا الحَقُّ والشَّرْعُ المُؤَدِّي إلى الرضوان.

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ الآية، توبيخ للمنافقين وَفَضْحٌ لسرائرهم، والضِّغْنُ: الحقد، وقال البخاريُّ: قال ابن عباس: «أَضْغَانَهُمْ» حَسَدَهُمْ[2]، انتهى.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ...﴾ الآية، لم يُعَيِّنْهُم سبحانه بالأسماء والتعريف التامّ؛ إبقاءً عليهم وعلى قراباتهم، وإنْ كانوا قد عُرِفُوا بلحن القول، وكانوا في الاشتهار على مراتبَ كابنِ أُبَيٍّ وغيره، والسِّيما: العلامة، وقال ابن عباس والضَّحَّاكُ: إنَّ اللَّه تعالى قد عَرَّفَهُ بهم في سورة براءة بقوله: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً﴾[3]

---

(١) وحجة من أفرد قوله تعالى: ﴿ألم يعلموا أن اللَّه يعلم سِرَّهم﴾ [التوبة: ٧٨] فلما أفرد السر ولم يجمع فكذلك قال: «إسرارهم». وأما الأخرون، فكأنهم جمعوا للاختلاف في ضروب السر، وقد قيل: إنه جمع فأخرج الأسرار بعددهم، كما قال بعدها: ﴿واللَّه يعلم أعمالكم﴾.
ينظر: «**حجة القراءات**» (٦٦٩)، و«**السبعة**» (٦٠١)، و«**الحجة**» (٦/ ١٩٦)، و«**إعراب القراءات**» (٢/ ٣٢٦)، و«**معاني القراءات**» (٢/ ٣٨٧)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ١٠)، و«**العنوان**» (١٧٦)، و«**حجة القراءات**» (٦٦٩)، و«**شرح شعلة**» (٥٨٦)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤٤٢)، كتاب «التفسير»باب: سورة محمد ﷺ معلقاً بصيغة الجزم، ووصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٨٥)، والسيوطي (٦/ ٥٤)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٢٤) برقم: (٣١٤١٦ ـ ٣١٤١٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٢٠).

[التوبة: ٨٤] وفي قوله: «قُلْ لَنْ تخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً» [التوبة: ٨٣] قال * ع *: وهذا في الحقيقة ليس بتعريف تامٍّ، ثم أخبر تعالى أَنَّهُ سيعرفهم في لحن القول، أي: في مذهب القول ومنحاه ومَقْصِدِهِ، واحتجَّ بهذه الآية مَنْ جعل الحَدَّ في التعريض بالقذف.

* ص *: قال أبو حيان[1]: «ولتعرفنهم» اللام جواب قسم محذوف، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُم﴾ مخاطبة للجميع من مؤمن وكافر.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ...﴾ الآية، كان الفُضَيْلُ بن عِيَاضٍ إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبتلنا فإنك إنْ بلوتنا فضحتنا، وهتكت أستارنا.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولُ...﴾ الآية،
١٧٦ أ قالت فرقة: نزلت في بني إسرائيل، وقالت/ فرقة: نَزَلَتْ في قوم من المنافقين، وهذا نحو ما تقدم، وقال ابن عباس: نزلت في المطعمين في سفرة بدر[2]، وقالت فرقة: بل هِيَ عامَّةٌ في كل كافر.

وقوله: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّه شيئاً﴾ تحقيرٌ لهم.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ رُوِيَ أَنَّ هذه الآية نزلت في بني أَسَدٍ من العرب، وذلك أَنَّهم أسلموا، وقالوا للنبي ـ ﷺ ـ: نحن آثرناك على كُلِّ شيء، وجئناك بأنفسنا وأهلينا، كأَنَّهم يمنُّون بذلك، فنزل فيهم: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾[3] الآية، ونزلت فيهم هذه الآية وظاهر الآية العموم.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ...﴾

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٨٤).
(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٧٦)، وابن عطية (٥/ ١٢١).
(٣) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٦٧)، كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ (١١٥١٩/ ١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٣)، وعزاه إلى البزار، وابن مردويه.

الآية، رُوِيَ أَنَّها نزلت بسبب أَنَّ عديَّ بن حاتم قال: يا رسول اللّه، إِنَّ حَاتِماً كَانَتْ لَهُ أَفْعَالُ بِرٌّ فَمَا حَالُهُ؟ فقال النَّبِيُّ ﷺ: هُوَ في النَّارِ فَبَكَى عَدِيٌّ، وَوَلَّى فَدَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «أَبِي وَأَبُوكَ وَأَبُو إِبْراهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمٰنِ في النَّارِ» ونزلت هذه الآية في ذلك[١]، وظاهر الآية العموم في كُلِّ ما تناوَلته الصفة.

وقوله سبحانه: ﴿فَلاَ تَهِنُوا﴾ معناه: لا تَضْعُفُوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ أي: إلى المسالمة، وقال قتادة: معنى الآية: لا تكونوا أُولَى الطائفتين ضَرَعَتْ للأخْرَى[٢]: قال * ع[٣]* وهذا حَسَنٌ مُلْتَئِمٌ مع قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١].

﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾: في موضع الحال، المعنى: فلا تَهِنُوا وأنتم في هذه الحال، ويحتمل أنْ يكون إِخباراً بمغيب أبرزه الوجودُ بعد ذلك، والأعلون: معناه الغالبون والظاهرون من العُلُوِّ.

وقوله: ﴿واللّه معكم﴾ معناه:/ بنصره ومَعُونَتِهِ وَيتِرُ معناهُ: يُنْقِصُ ويُذْهِبُ، ٧٦ ب
والمعنى: لن يَتِركم ثوابَ أعمالكم.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّما الحياة الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ تحقير لأمر الدنيا.

وقوله: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ معناه: هذا هو المطلوب منكم، لا غيره؛ لا تُسْأَلُون أموالكم، ثم قال سبحانهُ مُنَبِّهاً على خُلق ابن آدم: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ والإِحفاء هو أشدُّ السؤال، وهو الذي يَسْتَخْرِجُ ما عند المسؤول كرهاً.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٨) بلفظ: قلت: يا رسول اللّه، إن أبي كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا، قال: «إن أباك أراد أمراً فأدركه».

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٢٦، ٣٢٧) برقم: (٣١٤٢٦، ٣١٤٢٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٢٢).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٢).

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿فيحفكم﴾ أي: يجهدكم ويلحف عليكم.

وقوله: ﴿تبخلوا﴾ جزماً على جواب الشرط «ويخرج أضغانكم» أي: يخرج اللَّه أضغانكم، وقرأ يعقوب: «وَنُخْرِجْ» بالنون، والأضغان: مُعْتَقَدَاتُ السوء[١]، وهو الذي كان يخاف أنْ يعترِيَ المسلمين، ثم وقف اللَّه تعالى عباده المؤمنين على جهة التوبيخ لبعضهم بقوله: ﴿هَأَنْتُمْ هٰؤُلاَءِ﴾ وكرر «هاء» التنبيه؛ تأكيداً.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: بالثواب ﴿وَاللَّهُ الغَنِيُّ﴾ أي: عن صدقاتكم ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ إلى ثوابها.

* ت *: هذا لفظ الثعلبيِّ، قال * ع *: يقال: بَخِلْتُ عليك بكذا، وبخلت عنك بمعنى أمسكت عنك، وروى التِّرمِذِيُّ عن أبي هريرةَ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن. غريب، انتهى[٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تَتَولَّوا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ قالت فرقة: هذا الخطاب لجميع المسلمين والمشركين والعرب حينئذٍ، والقوم الغير هم فارس، وروى أبو هريرةَ أَنَّ النبيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ هٰذَا وَكَانَ سَلْمَانُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَقَالَ: «قَوْمُ هَذَا؛

---

(١) وقرأ بها ابن عباس.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: ١٤٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ٨٥)، و«الدر المصون» (٦/ ١٥٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٠٢) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في السخاء، حديث (١٩٦١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٢٩) (١٠٨٥٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٨٠) ـ بتحقيقنا، كلهم من طريق سعيد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعاً.
قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث يحيى بن سعيد عن الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث سعيد بن محمد، وقد خولف سعيد بن محمد في رواية هذا الحديث عن يحيى بن سعيد إنما يروى عن يحيى بن سعيد عن عائشة شيء مرسل. ا هـ.
وقال العقيلي: ليس لهذا الحديث أصل من حديث يحيى ولا غيره وقال ابن الجوزي: لا يصح، المتهم به سعيد بن محمد الوراق، قال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة. وقال البيهقي: تفرد به سعيد بن محمد وهو ضعيف.

....

= وقال السيوطي في **«اللآلىء المصنوعة»** (٢/ ٩١) قلت) أخرجه الترمذي، وابن حبان في **«روضة العقلاء»**، والبيهقي في **«شعب الإيمان»**، والخطيب في كتاب **«البخلاء»** من طريق عن سعيد الوراق به، وقال ابن حبان: غريب، وقال البيهقي: تفرد به سعيد بن محمد الوراق وهو ضعيف، والله أعلم. ا هـ. وللحديث شواهد من حديث عائشة، وأنس، وجابر.

حديث عائشة:

أخرجه الطبراني في **«الأوسط»** كما في **«اللآلىء»** (٢/ ٩٢)، والبيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩) (١٠٨٥٠)، وابن الجوزي في **«الموضوعات»** (٢/ ١٨١) ـ بتحقيقنا، من طريق سعيد بن مسلمة، حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن عائشة مرفوعاً بلفظ: «السخي قريب من الله قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار، والجاهل السخي أحب إلى الله من العاقل البخيل». قال ابن الجوزي: سعيد بن مسلمة، قال يحيى: ليس بشيء، وقال ابن حبان: منكر الحديث جداً فاحش الخطأ، وقال ابن عدي: ليس لهذا الحديث أصل من حديث يحيى بن سعيد ولا غيره، وقال الدارقطني: لهذا الحديث طرق لا يثبت منها شيء بوجه ا هـ.

وللحديث طريق آخر عن عائشة:

أخرجه الخطيب في كتاب **«البخلاء»** كما في **«اللآلىء»** (٢/ ٩٢)، وابن الجوزي في **«الموضوعات»** (٢/ ١٨١) من طريق خالد بن يحيى القاضي عن غريب بن عبد الواحد القرشي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعاً.

وقال ابن الجوزي: خالد وغريب مجهولان.

وقال السيوطي: أقره صاحب **«الميزان»** على أن اسمه غريب، والذي في كتاب **«البخلاء»** للخطيب: عنبسة بن عبد الواحد. ا هـ.

وأخرجه البيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٤٢٨) (١٠٨٤٧) من طريق تليد بن سليمان، وسعيد بن مسلمة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص عن عائشة مرفوعاً.

وقال البيهقي: تليد وسعيد ضعيفان.

وأقره صاحب **«اللآلىء»** (٢/ ٩٢).

حديث أنس:

أخرجه ابن الجوزي في **«الموضوعات»** (٢/ ١٨٠) ـ بتحقيقنا، من طريق محمد بن تميم، حدثنا قبيصة بن محمد عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً: «لما خلق الله الإيمان قال: إلٰهي، قوني، فقواه بحسن الخلق، ثم خلق الكفر فقال الكفر: إلٰهي قوني، فقواه بالبخل، ثم خلق الجنة، ثم استوى على العرش، ثم قال: ملائكتي فقالوا: ربنا، لبيك وسعديك قال: السخي قريب من جنتي قريب من ملائكتي بعيد من النار، والبخيل بعيد مني بعيد من ملائكتي قريب من النار».

قال ابن الجوزي: المتهم به محمد بن تميم قال ابن حبان: كان يضع الحديث.

وقال السيوطي في **«اللآلىء»** (٢/ ٩٢) محمد بن تميم يضع.

حديث جابر:

أخرجه البيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٤٢٨) (١٠٨٤٨) من طريق سعيد بن مسلمة، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جابر مرفوعاً. =

لَوْ كَانَ الدِّينُ فِي الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ»(١).

= وقد تقدم ضعف سعيد: وللحديث شاهد أيضاً من حديث ابن عباس: أخرجه تمام في فوائده كما في «اللآلىء» (٢/ ٩٣)، وفيه محمد بن زكريا الغلابي.
قال الدارقطني: يضع الحديث.
ينظر: «تنزيه الشريعة» (١/ ١٠٥).
والحديث: ذكره السيوطي في «الجامع الصغير» (٤/ ١٣٨) ـ فيض، برقم: (٤٨٠٤)، من حديث أبي هريرة، وجابر، وعائشة، ورمز له بالضعف، ووافقه المناوي في «شرحه» وقال المناوي في «الفيض» (٤/ ١٣٨ ـ ١٣٩): (السخي قريب من الله) أي: من رحمته وثوابه، فليس المراد قرب المسافة، تعالى الله عنه، إذ لا يحل الجهات، ولا ينزل الأماكن، ولا تكتنفه الأقطار، (قريب من الناس) أي: من محبتهم فالمراد: قرب المودة، (قريب من الجنة) لسعيه فيما يدنيه منها، وسلوكه طريقها، فالمراد هنا قرب المسافة، وذلك جائز عليها؛ لأنها مخلوقة، وقربه منها: برفع الحجاب بينه وبينها، وبعده عنها: كثرة الحجب، فإذا قلّت الحجب بينك وبين الشيء. قلت مسافته، أنشد بعضهم:

يقولون لي دار الأحبة قد دنت ... وأنت كئيب إن ذا لعجيب
فقلت وما تغني ديار قريبة ... إذا لم يكن بين القلوب قريب

والجنة والنار محجوبتان عن الخلق بما حفتا به من المكاره والشهوات، وطريق هتك هذه الحجب مبينة في مثل: «الإحياء»، و«القوت» من كتب القوم، (بعيد من النار والبخيل بعيد من الله) أي: من رحمته، (بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار)، وقال الغزالي: والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا، والسخاء ثمرة الزهد والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة، والسخاء: ينشأ من حقيقة التوحيد والتوكل والثقة بوعد الله وضمانه للرزق، وهذه أغصان شجرة التوحيد التي أشار إليها الحديث، والبخل: ينشأ من الشرك وهو الوقوف مع الأسباب والشك في الوعد، قال الطيبي: التعريف في السخي والبخيل للعهد الذهني وهو ما عرف شرعاً أن السخي من هو والبخيل من هو، وذلك أن من أدى الزكاة فقد امتثل أمر الله، وعظمه، وأظهر الشفقة على خلقه، وواساهم بماله، فهو قريب من الله وقريب من الناس، فلا تكون منزلته إلا الجنة، ومن لم يكن كذلك فبالعكس؛ ولذلك كان جاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل، كما قال: (ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل) فخولف ليفيد أن الجاهل غير العابد السخي أحب إلى الله من العابد العالم البخيل، فيالها من حسنة غطت على عيبين عظيمين، ويا لها من سيئة حطت حسنتين خطيرتين، على أن الجاهل السخي سريع الانقياد بما يؤمر به من نحو تعلم، وإلى ما ينهى عنه بخلاف العالم البخيل، (تنبيه) قال الراغب: من شرف السخاء والجود، أن الله قرن اسمه بالإيمان، ووصف أهله بالفلاح، والفلاح أجمع لسعادة الدارين، وحق للجود أن يقترن بالإيمان، فلا شيء أخص منه به ولا أشد مجانسة له فمن صفة المؤمن: انشراح الصدر ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾، وهما من صفة الجواد والبخيل لأن الجواد يوصف بسعة الصدر والبخيل بضيقه ا هـ.

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥١٠) كتاب «التفسير» باب: قوله: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ (٤٨٩٧)، ومسلم (٤/ ١٩٧٢)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: فضل فارس (٢٣٠ ـ ٢٥٤٦/٢٣١)، وأحمد (٢/ ٣٠٩).

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ معناه: في الخلاف والتوَلي والبُخْلِ بالأموال ونحوِ هذا، وحكى الثعلبيُّ قولاً أَنَّ القوم الغير هم الملائكة.

* ت *: وليس لأحد مع الحديث: إِذا صَحَّ نظر، ولولا الحديثُ لاحتمل أن يكون الغير ما يأتي من الخَلَفِ بعد ذهاب السَّلَفِ، على ما ذكر في غير هذا الموضع.

تفسير سُورَةِ الفَتْحِ

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ

هذه السورة نزلت على النَّبِيِّ ﷺ مُنْصَرَفَهُ من الحُدَيْبِيَةِ، وفي ذلك أحاديث كثيرة عن أَنَس[١] وابن مسعود غيرهما[٢]، وفي تلك السفرة قال النبي ﷺ لعمر: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» خَرّجه البخاريُّ وغيره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً...﴾ الآية، قال قوم: يريد فَتْحَ مَكَّةَ، وقال جمهور الناس، وهو الصحيح الذي تَعْضُدُهُ قصة الحديبية: إنَّ قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ إِنَّما معناه هو ما يَسَّرَ اللَّه عز وجل لنبيِّه في تلك الخرجة من الفتح البَيِّنِ الذي استقبله، ونزلت السورة مؤنسة للمؤمنين؛ لأَنَّهم كانوا استوحشوا من رَدِّ قريشٍ لهم ومن تلك المهادنة التي جعلها/ اللَّه سبباً للفتوحات، واستقبل النَّبِيُّ ﷺ في تلك السفرة أَنَّهُ هَادَنَ عَدوَّه ريثما يَتَقَوَّى هو، وظهرت على يديه آية الماء في بئر الحديبية؛ حيث وضع فيه

---

(١) أخرجه البخاري ((٧/ ٥١٦) كتاب «المغازي» باب: غزوة الحديبية، قول اللَّه تعالى: ﴿لقد رضي اللَّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨] (٤١٧٢)، (٨/ ٤٤٧) كتاب «التفسير» باب: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (٤٨٣٤)، ومسلم (٣/ ٤١٣) كتاب «الجهاد والسير» باب: صلح الحديبية في الحديبية (٩٧، ٩٧/ ١٧٨٦)، والترمذي (٥/ ٣٨٥ـ٣٨٦) كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الفتح (٣٢٦٣)، وأحمد (٣/ ١٧٣)، وابن ماجه (٢/ ٩٢، ٩٤) كتاب «البر والإحسان» باب: ما جاء في الطاعات وثوابها (٣٧٠ـ ٣٧١)، والبيهقي (٥/ ٢١٧) كتاب «الحج» باب: المحصر يذبح ويحل حيث أحصر.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤٤٦) كتاب «التفسير» باب: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (٤٨٣٣)، والترمذي (٥/ ٣٨٥) كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الفتح (٣٢٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٦١)، كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (١٤٩٩/ ١)، وأحمد (١/ ٣١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٥٤) كلهم عن عمر بن الخطاب.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، رواه بعضهم عن مالك مرسلاً.

سهمه، وثاب الماءُ حتى كَفَى الجيش، واتَّفَقَتْ بيعةُ الرضوان، وهي الفتح الأعظم؛ قاله جابر بن عبد اللّه والبَرَاءُ بن عازب[١]، وبلغ هَدْيُهُ مَحِلَّهُ؛ قاله الشَّعْبِيُّ[٢]، واستقبل فتح خيبر، وامتلأت أيدي المؤمنين، وظهرت في ذلك الوقت الروم على فارس، فكانت من جملة الفتح؛ فَسُرَّ بها ﷺ هو والمؤمنون؛ لظهور أهل الكتاب على المجوس، وشَرَّفَه اللّه بأنْ أخبره أنَّه قد غفر له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ، أي: وإنْ لم يكن ذنب.

* ت *: قال الثعلبيُّ: قوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ قال أبو حاتم: هذه لام القسم، لما حُذِفَتِ النون من فعله كُسِرَتْ، ونُصِبَ فعلها؛ تشبيهاً بلام «كي»، انتهى.

قال عياض: ومقصد الآية أَنَّك مغفور لك، غيرَ مؤاخذ بذنب، إنْ لو كان، انتهى.

قال أبو حيان[٣]: ﴿لِيَغْفِرَ﴾ اللام لِلْعِلَّةِ، وقال * ع *: هي لام الصيرورة، وقيل: هي لام القسم، ورُدَّ بأنَّ لام القسم لا تُكْسَرُ وَلا يُنْصَبُ بها، وأُجِيبَ بأَنَّ الكَسْرَ قد عُلِّلَ بالحمل على «لام كي» وأَمَّا الحركة فليست نصباً؛ بل هي الفتحة الموجودة مع النون، بَقِيَتْ بعد حذفها دَالَّةً على المحذوف، ورُدَّ بأَنَّهُ لم يُحْفَظْ من كلامهم: واللّهِ ليقوم ولا باللّه ليخرج زيد، انتهى.

وفي «**صحيح البخاريِّ**» عن أنس بن مالك: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً»: الحديبية[٤]، انتهى.

٧٨ أ وقوله سبحانه: ﴿ويتم نعمته عليك﴾ أي:/ بإظهارك وتغليبك على عَدُوِّك، والرِّضْوَانُ في الآخرة والسَّكِينَةُ فعيلة من السكون، وهو تسكين قلوبهم لتلك الهُدْنَةِ مع قريش حتَّى اطمأَنَّتْ، وعلموا أنَّ وعد اللّه حق.

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٣٤) برقم: (٣١٤٦١ ـ ٣١٤٦٢)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٨٨) عن البراء بن عازب، وذكره ابن عطية (٥/ ١٢٥)، وابن كثير (٤/ ١٨٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٥٨).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٢٥).

(٣) ينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٤٤٧) كتاب «التفسير» باب: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ (٤٨٣٤)، والطبري (١١/ ٣٣٣) (٣١٤٥٨)، وذكره البغوي في «**تفسيره**» (٤/ ١٨٨)، وابن عطية، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٥٨)، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن مردويه، والبيهقي.

ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ...﴾ الآية، رُوِيَ في معنى هذه الآية أنَّه لَمَّا نزلت: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩] تَكَلَّمَ فيها أهل الكفر، وقالوا: كيف نَتَّبِعُ مَنْ لا يعرف ما يُفْعَلُ به وبالناس؟! فَبَيَّنَ اللَّه في هذه السورة ما يفعل به بقوله: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ فَلَمَّا سمعها المؤمنون قالوا: هنيئاً لك يا رسول اللَّه، لقد بَيَّنَ اللَّه لك ما يفعل بك، فما يفعل بنا؟ فنزلت: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿مَصِيراً﴾ فعرَّفه اللَّه ما يفعل به وبالمؤمنين وبالكافرين، وذكر النقاش أنَّ رجلاً من «عَكّ» قال: هذا الذي لرسول اللَّه، فما لنا؟ فقال النبيُّ ﷺ: «هِيَ لِي وَلأُمَّتِي كَهَاتَيْنِ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ».

وقوله: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّآتِهِم﴾ هو من ترتيب الجمل في السرد، لا ترتيب وقوع معانيها؛ لأنَّ تكفير السيئات قبل إدخالهم الجنة.

وقوله: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ قيل: معناه: من قولهم: ﴿لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ...﴾ [الفتح: ١٢] الآية، وقيل: هو كونهم يعتقدون اللَّه بغير صفاته العلى.

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [أي: دائرة السوء][1] الذي أرادوه بكم في ظَنِّهم السوءَ، ويقال للأقدار والحوادث التي هي في طَيِّ الزمان: دائرة،/ لأنَّها تدور بدوران الزمان. ٧٨ ب

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً...﴾ الآية، مَنْ جعل الشاهِدَ مُحَصِّلَ الشهادة من يوم يحصلها، فقوله: ﴿شاهداً﴾ حال واقعة، ومَنْ جعل الشاهد مُؤَدِّي الشهادةَ فهي حال مستقبلة، وهي التي يسميها النحاة المُقَدَّرَةَ، والمعنى: شاهداً على الناس بأعمالهم، وأقوالهم حين بَلَّغْتَ، ﴿ومُبَشِّراً﴾: أهلَ الطاعة برحمة اللَّه، ﴿وَنَذِيراً﴾: من عذاب اللَّه أهلَ المعصية، ومعنى ﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ تعظموه وتكبروه؛ قاله ابن عباس[2]، وقرأ ابن عباس

---

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٣٧) برقم: (٣١٤٦٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٢٩).

وغيره: ﴿تُعَزِّزُوهُ﴾ بزاءين من العِزَّة[١]، قال الجمهور: الضمير في ﴿تعزِرُوه وتوقروه﴾ للنبيِّ ﷺ وفي ﴿تُسَبِّحُوهُ﴾ للّه عز وجل، والبُكْرَة: الغُدُوُّ، والأصيل: العَشِيُّ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾: يريد في بيعة الرضوان، وهي بيعة الشجرة، حين أخذ رسول اللّه ﷺ الأهبة لقتال قريش، لِمَا بَلَغَهُ قتل عثمانَ بن عفانَ، رسولِهِ إليهم، وذلك قبل أن ينصرفَ من الحُدَيْبِيَةِ، وكان في ألف وأربعمائة، وبايعهم ﷺ على الصبر المتناهي في قتال العَدُوّ إلى أقصى الجهد حتى قال سَلَمَةُ بن الأكوع وغيره: بايعنا رسول اللّه ﷺ على الموت[٢]، وقال عبد اللّه بن عمر، وجابر بن عبد اللّه: بايعنا رسول اللّه ﷺ على ألاَّ نَفِرّ[٣]، والمبايعة في هذه الآية مُفَاعَلَةٌ من البيع؛ لأنَّ اللّه تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأَنَّ لهم الجنة، ومعنى ﴿إِنَّما يُبَايِعُونَ اللّه﴾ أَنَّ صفقتهم إنما يمضيها ويمنح/ الثمن اللّه تعالى. ١٧٩أ

* ت *: وهذا تفسير لا يَمَسُّ الآية، ولا بُدَّ، وقال الثعلبيُّ: «إنما يبايعون اللّه» أي: أخذك البيعة عليهم عقد اللّه عليهم، انتهى، وهذا تفسير حسن.

وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ قال جمهور المتأولين: اليد بمعنى النعمة، إِذْ نعمة اللّه في نفس هذه المبايعة لما يستقبل من محاسنها «فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»: التي مَدُّوها لبيعتك، وقيل: المعنى: قُوَّةُ اللّه فوقَ قُوَاهُمْ في نصرك.

* ت *: وقال الثعلبيُّ: «يد اللّه فوق أيديهم» أي: بالوفاء والعهد، وقيل: بالثواب، وقيل: «يد اللّه»: في المِنَّةِ عليهم «فوق أيديهم»: في الطاعة عند المبايعة، وهذا حَسَنٌ قريب من الأول.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ أي: فَمَنْ نقض هذا العهد، فإنما يجني على نفسه ومَنْ

---

(١) وقرأ بها محمد بن السميفع اليماني.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٢٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٩٢). وقال السمين: وقرأ الجحدري «تعززوه» كالعامة إلا أنه بزاءين من العزة. «الدر المصون» (٦/ ١٦٠).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٨) برقم: (٣١٥٢٠) عن عمرو بن الأشج.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٩) برقم: (٣١٥٢٧) عن قتادة، وذكره ابن كثير (٤/ ١٨٦) عن جابر بن عبد اللّه.

أوفى بما عاهد عليه اللَّه فسنؤتيه أجراً عظيماً، وهو الجنة.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ﴾ قال مجاهد وغيره[(١)]: هم جُهَيْنَةُ ومُزَيْنَةُ، ومَنْ كان حول المدينة من الأعراب؛ وذلك أَنَّ النبي ﷺ حين أراد المسيرَ إلى مَكَّة عام الحديبية مُعْتَمِراً، استنفر مَنْ حولَ المدينة من الأعراب وأَهلِ البوادي؛ ليخرجوا معه؛ حذراً من قريش، وأحرم بالعمرة، وساق معه الهَدْيَ؛ ليعلمَ الناس أنه لا يريد حرباً، فتثاقل عنه هؤلاء المُخَلَّفُونَ، ورأوا أَنَّهُ [يستقبل][(٢)] عدوّاً عظيماً من قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورة لمكة، وهم الأحابيش، ولم يكن تَمَكَّنَ إيمانُ هؤلاءِ
٧٩ ب المُخَلَّفِينَ، فقعدوا/ عن النبي - ﷺ - وتخلَّفُوا وقالوا: لَنْ يرجع محمد ولا أصحابه من هذه السفرة، ففضحهم اللَّه في هذه الآية، وأَعْلَمَ نَبِيَّه محمداً ﷺ بقولهم، واعتذارهم قبلَ أَنْ يَصِلَ إليهم، فكان كما أخبر اللَّه سبحانه، فقالوا: «شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا عَنْكَ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا» وهذا منهم خُبْثٌ وإبطال، لأَنَّهم قالوا ذلك مُصَانَعَةً من غير توبة ولا ندم؛ فلذلك قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ثم قال تعالى لنبيِّه - عليه السلام -: ﴿قُلْ﴾: لَهُمْ ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً﴾ أي: مَنْ يحمي منه أموالكم وأهليكم إِنْ أراد بكم فيها سوءاً، وفي مصحف ابن مسعود[(٣)]: إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٠) برقم: (٣١٤٨٤)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٦١)، وابن عطية (٥/ ١٣٠)
(٢) سقط في: د.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٠).

ثم رَدَّ عليهم بقوله: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ ثم فَسَّرَ لهم العِلَّةَ التي تخلَّفُوا من أجلها بقوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ. . .﴾ الآية، و﴿بوراً﴾ معناه: هلكى فاسدين، والبوار الهلاك، والبور في لغة «أزد عمان»: الفاسد، ثم رجى سبحانه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمْوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ ثم إنَّ اللَّه سبحانه أَمَرَ نَبِيَّه [على] ما رُوِيَ [بغزو] خيبرَ، ووعده بفتحها، وأعلمه أَنَّ المُخَلَّفِينَ إذا رأوا مسيرَ رسول اللَّه ـ ﷺ ـ إلى يهود، وهم عَدُوٌّ مُسْتَضْعَفٌ ـ طلبوا الكونَ معه؛ رغبةً في عَرَضِ الدنيا والغنيمة، فكان كذلك.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ﴾ معناه: أنْ يغيروا وعده لأهلِ الحُدَيْبِيَّةِ بغنيمة/ خيبرَ، وقال ابن زيد[1]: كلام اللَّه هو قوله تعالى: ﴿لن تخرجوا معي أبداً ولن ١٨٠أ
تقاتلوا معي عَدُوّاً﴾، قال * ع *: وهذا ضعيف؛ لأَنَّ هذه الآية نزلت في غزوة تبوك في آخر عمره ﷺ وآية هذه السورة نزلت عامَ الحديبية، وأيضاً فقد غَزَتْ جُهَيْنَةُ ومُزَيْنَةُ بعد هذه المُدَّةِ مع رسول اللَّه ﷺ يعني غزوة الفتح، فتح مَكَّة.

* ت *: قال الثعلبي: وعلى التأويل الأَوَّل عامَّةُ أهل التأويل، وهو أصوب من تأويل ابن زيد.

وقوله: ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد وعده قبل باختصاصهم بها، وباقي الآية بين.

وقوله سبحانه: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال قتادة وغيره: هم هوازن وَمَنْ حارب النبيَّ ـ عليه السلام ـ يومَ حُنَيْنٍ[2]، وقال الزُّهْرِيُّ وغيره[3]: هم أهل الرِّدَّةِ وبنو حنيفة باليمامة، وحكى الثعلبيُّ عن رافع بن خديج أَنَّهُ قال: واللَّهِ لقد كُنَّا نقرأ هذه الآية فيما مضى، ولا نعلم مَنْ هم حَتَّى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أَنَّهُمْ هم المراد[4]، وقيل: هم فارس والروم، **وقرأ** الجمهور: «أَوْ يُسْلِمُونَ»[5] على القطع أي: أو

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٣) برقم: (٣١٤٩٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٣١).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٥) برقم: (٣١٥٠٤ ـ ٣١٥٠٥)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ١٩٢)، وابن عطية (٥/ ١٣٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٤٥) برقم: (٣١٥٠٦)، وذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ١٩٢)، وابن عطية (٥/ ١٣٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٦٦)، وعزاه إلى ابن المنذر، والطبراني.

(٤) ذكره البغوي في **«تفسيره»** (٤/ ١٩٢)، وابن عطية (٥/ ١٧٦).

(٥) وقرأ أبي بن كعب فيما حكى الكسائي: «أو يسلموا» بنصب الفعل على تقدير: أو يكون أن يسلموا، =

هم يسلمون دونَ حرب، قال ابن العربي[1]: والذين تَعَيَّنَ قتالُهم حتى يسلموا مِنْ غير قبول جزية، هم العرب في أَصَحِّ الأقوال، أوِ المرتدون، فأمَّا فارس والروم فلا يُقَاتَلونَ إلى أَنْ يسلموا؛ بل إِنْ بذلوا الجزية قُبِلَتْ منهم، وهذه الآية إِخبار بمغيب؛ فهي من معجزات النبي ﷺ، انتهى من «الأحكام».

وقوله: ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا﴾ أي: فيما تُدعون إليه، وباقي الآية بَيِّنٌ.

٨٠ ب ثم ذكر تعالى أهل/ الأعذار، ورَفَعَ الحرج عنهم، وهو حكم ثابت لهم إلى يوم القيامة، ومع ارتفاع الحَرَج فجائز لهم الغزوُ، وأجرهم فيه مُضَاعَفٌ، وقد غزا ابن أُمِّ مكتوم [وكان يُمْسِكُ الرَّايةَ في بعض حروب القادسية، وقد خَرَّجَ النسائِيُّ هذا المعنى، وذكر ابنَ أُمِّ مكتوم][2] رحمه الله.

﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ الآية، تشريف لهم ـ رضي الله عنهم ـ وقد تَقَدَّمَ القولُ في المبالغة ومعناها، وكان سببَ هذه المبايعة أَنَّ رسول الله ﷺ أراد أَنْ يبعث إلى مَكَّةَ رجلاً يُبَيِّنُ لهم أَنَّ النبي ﷺ لا يريد حرباً؛ وإنَّما جاء مُعْتَمِراً، فبعث إليهم خداش بن أُمَيَّةَ الخُزَاعِيَّ، وحمله ﷺ على جَمَلٍ له يقال له: الثعلب، فلما كَلَّمَهُمْ عَقَرُوا الجمل، وأرادوا قتل خداش فمنعته الأحابيش، وبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فأراد بَعْثَ عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، إِنِّي أخاف قريشاً على نفسي، وليس بِمَكَّةَ من بني عَدِيٍّ أَحَدٌ يحميني، ولكن ابعث عثمان؛ فهو أَعَزُّ بِمَكَّةَ مِنِّي، فبعثه النبي ﷺ فذهب، فلقيه أبان بن سعيد بن العاصي فنزل عن دَابَّتِهِ فحمله عليها، وأجاره حتى بلغ

= ومثله قول امرىء القيس [الطويل]:

فـقـلـت لـه لا تـبـك عـيـنـك إنـمـا ... تـحـاول مـلـكـاً أو تـمـوت فَـتُـعْـذَرا

ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٩٤)، وزاد نسبتها إلى زيد بن علي، وهي في «الدر المصون» (٦/ ١٦٢).

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٧٠٥).

(٢) سقط في: د.

الرسالة، فقالوا له: إنْ شِئْتَ يا عثمان أَنْ تطوف بالبيت فَطُفْ به، فقال: ما كنت لأطوفَ حتى يطوفَ به النبي ﷺ ثم إنَّ بَنِي سعيد بن العاصي حَبَسُوا عثمانَ على جهة المبرة، فأبطأ على النبيِّ ﷺ وكانتِ الحُدَيْبِيَّةُ من مَكَّةَ على نحو عَشَرَةِ أميال، فصرخ صارخ من عسكر رسول اللَّه ﷺ: قُتِلَ عثمانُ، فجثا رسول اللَّه ﷺ/ والمؤمنون، وقالوا: لا نبرحُ ـ إنْ كان ٨١ أ
هذا ـ حتى نُنَاجِزَ القوم، ثم دعا الناسَ إلى البيعة فبايعوه ﷺ ولم يَتَخَلَّفْ عنها إلاَّ الجد بن قيس المنافق، وجعل النبيُّ ﷺ يَدَهُ على يَدِهِ، وقال: هذه يَدٌ لعثمانَ[(١)]، وهي خير، ثم جاءَ عثمانُ سالماً والشجرة سمرة كانت هنالك ذهبت بعد سنين.

وقوله سبحانه: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ قال الطبريُّ[(٢)]، ومنذر بن سعيد: معناه: من الإيمان وصِحَّتِهِ، والحبِّ في الدين والحِرْصِ فيه، **وقرأ** الناس: «وَأَثَابَهُمْ»[(٣)] قال هارون: وقد قرأت: «وَآتَاهُمْ» بالتاء بنقطتين[(٤)]، والفتح القريب: خيبر، والمغانم الكثيرة: فتح خيبرَ.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ...﴾ الآية، مخاطبة للمؤمنين، ووعد بجميع المغانم التي أخذها المسلمون ويأخذونها إلى يوم القيامة؛ قاله مجاهد وغيره[(٥)].

وقولهُ: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ يريد خيبَر، وقال زيد بن أسلم وابنه: المغانم الكثيرة: خيبر[(٦)]، وهذه إشارة إلى البيعة والتَّخَلُّصِ من أمر قريش، وقاله ابن عباس[(٧)].

(١) ورد ذكر البيعة في حديث ابن عمر، أخرجه البخاري (٦/ ٢٧١) كتاب «فرض الخمس» باب: إذا بعث الإمام رسولاً في حاجة أو أمره بالمقام هل يسهم له؟ (٣١٣٠) وأطرافه في (٣٦٩٨، ٣٧٠٤، ٤٠٦٦، ٤٥١٣، ٤٥١٤، ٤٦٥٠، ٧٠٩٥)، والترمذي (٥/ ٦٢٩)، كتاب «المناقب» باب: في مناقب عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه (٣٧٠٦)، وأحمد (٢/ ١٢٠)، وأبو يعلى في **«مسنده»** (٩/ ٤٥٠) (٥٥٩٩/١٨٥).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) ينظر: **«تفسير الطبري»** (١١/ ٣٥٠).
(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٣٤)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٩٦).
(٤) قرأ بها الحسن ونوح القارىء.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٤٢)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٩٦).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥١) برقم: (٣١٥٣٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٣٤)، وابن كثير (٤/ ١٩١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٧٠).
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥١) برقم: (٣١٥٣٤) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ١٣٥).
(٧) أخرجه **الطبري** (١١/ ٣٥١) برقم (٣١٥٣٧) وذكره ابن عطية (٥/ ١٣٥)، وابن كثير (٤/ ١٩١).

وقوله سبحانه: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ قال قتادة: يريد كَفَّ أَيديهم عن أهل المدينة في مغيب النبي ﷺ والمؤمنين[(١)]، ﴿وَلِتَكُونَ آيَةً﴾ أي: علامة على نصر المؤمنين، وحكى الثعلبيُّ عن قتادة أنَّ المعنى: كَفَّ اللَّه غطفان ومَنْ معها حين جاؤوا لنصر خيبَرَ[(٢)]، وقيل: أراد كَفَّ قريشاً.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ۖ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ قال ابن عباس: الإشارة إلى بلاد فارس والروم[(٣)]، وقال قتادة والحسن: الإشارة إلى مَكَّةَ[(٤)]، وهذا قول يَتَّسِقُ معه المعنى ويتأيَّد/ . ٨١ ب

وقوله: قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا معناه: بالقُدْرَةِ وَالْقَهْرِ لأهلها، أي: قد سبق في علمه ذلك، وظهر فيها أنَّهم لم يقدروا عليها.

* ت *: قوله: وظهر فيها إلى آخرهِ كلامٌ غير محصل، ولفظ الثعلبيِّ: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ أي: وعدكم فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها، قد أحاط اللَّه بها لكم حَتَّى يفتحها عليكم، وقال ابن عباس[(٥)]: علم اللَّه أنَّه يفتحها لكم، قال مجاهد[(٦)]: هو ما فتحوه حتى اليوم، ثم ذكر بَقِيَّةَ الأقوال، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥٢) برقم: (٣١٥٣٨ ـ ٣١٥٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٣٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٧)، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٣٥).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥٣) رقم (٣١٥٤١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٨) وابن عطية (٥/ ١٣٥).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥٤) برقم: (٣١٥٥١ ـ ٣١٥٥٢) عن قتادة، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٨)، وابن عطية (٥/ ١٣٥)، وابن كثير (٤/ ١٩١) عن قتادة، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد.

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٩٢).

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥٣) برقم: (٣١٥٤٥)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ١٩٨).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني[1]: كفار قريش في تلك السنة ﴿لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾.

وقوله: سنة اللّه أي: كَسُنَّةِ اللّه، إشارةٌ إلى وقعة بدر، وقيل: إشارة إلى عادة اللّه من نصر الأنبياء، ونصب «سنة» على المصدر.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ...﴾ الآية، رُوِيَ في سببها أَنَّ قريشاً جمعت جماعة من فتيانها، وجعلوهم مع عِكْرِمَةَ بن أبي جهل، وخرجوا يطلبون غرَّةً في عسكر النبيِّ ﷺ واختلف الناسُ في عدد هؤلاء اختلافاً متفاوتاً؛ فلذلك اختصرته، فلمَّا أَحَسَّ بهم المسلمون بعث رسول اللّه ﷺ في أَثَرِهِمْ خالدَ بنَ الوليد، وسَمَّاهُ يومئذٍ سَيْفَ اللّه في جملة من الناس، فَفَرُّوا أمامهم، حَتَّى أدخلوهم بُيُوتَ مَكَّةَ، وأَسَرُوا منهم جملة، فَسِيقُوا إلى النبيِّ ﷺ فَمَنَّ عليهم وأطلقهم[2]؛ قال الوَاحِدِيُّ: وكان ذلك سَبَبَ الصلح بينهم، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: أهل مكة ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ
الحَرَامِ﴾ أي: منعوكم من العمرة، وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خرج من المدينة إلى الحديبية في/ ٨٢ أ
ذي القَعدة سنة ست يريد العمرة وتعظيم البيت وخرج معه بمائة بدنة وقيل بسبعين فأجمعت قريش لحربه وغوروا المياه التي تقرب من مكة فجاء ﷺ حتى نزل على بئر الحديبية وحينئذ وضع سهمه في الماء فجرى غمراً حتى كفى الجيش ثم بعث ﷺ إليهم عثمان كما تقدم وبعثوا هم رجالاً آخرهم سهيل بن عمرو وبه انعقد الصلح على أن ينصرف ﷺ ويعتمر من قابل فهذا صدهم إياه وهو مستوعب في السير، و﴿الهدي﴾ معطوف على الضمير في «صدوكم» [أي] وصدوا الهدي، و﴿معكوفاً﴾ حال، ومعناه: محبوساً، تقول عكفت الرجل عن حاجته إذا حبسته، وحبس الهدي من قبل المشركين هو بصدهم، ومن قبل المسلمين لرؤيتهم ونَظَرِهِمْ في أمرهم؛ لأجل أَنْ يبلغَ الهَدْيُ مَحِلَّهُ، وهو مَكَّةُ والبَيْتُ، وهذا هو حَبْسُ المسلمين، وذكر تعالى العِلَّةَ في أَنْ صَرَفَ المسلمين، ولم يمكنهم من دخول مَكَّةَ في تلك الوجهة، وهي أَنَّهُ كان بمكة مؤمنون من رجال ونساء خَفِيَ إيمانهم، فَلَوِ استباح المسلمون بيضتها أهلكوا أولئك المؤمنين؛ قال قتادة[3]: فدفع اللّه عن المشركين بأولئك

---

(١) في د: يبتغي.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٥٦) برقم: (٣١٥٦٠)، وذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٧٥)، وعزاه إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن أبزي.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٦٣) برقم: (٣١٥٧٣)، وذكره البغوي (٤/ ٢٠٤)، وابن عطية (٥/ ١٣٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٧٦)، وعزاه لابن جرير.

المؤمنين، والوَطْءُ هنا: الإهلاك بالسيف وغيره؛ ومنه قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرٍ[١]» قال أبو حيَّان[٢]: ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ﴾ جوابها محذوف؛ لدلالة الكلام عليه، أي: ما كَفَّ أيديَكم عنهم، انتهى، والمَعَرَّةُ: السوء والمكروه اللاحق؛ مأخوذ من العُرِّ والعُرَّة وهو
٨٢ ب الجَرَبُ الصَّعْبُ اللاَّزِمُ، واْختُلِفَ/ في تعيين هذه المَعَرَّةِ، فقال الطبريُّ[٣]: وَحَكَاهُ الثعلبيُّ: هي الكَفَّارة، وقال مُنْذِرٌ: المَعَرَّة: أنْ يعيبهم الكُفَّار، ويقولوا: قتلوا أهل دينهم، وقال بعضُ المفسِّرين: هي المَلاَمُ، والقولُ في ذلك، وتألُّمَ النفْسِ في باقي الزمان، وهذه أقوالٌ حِسَانٌ، وجواب «لولا» محذوفٌ، تقديره: لولا هؤلاءِ لدخلتم مكَّةَ، لكن شرَّفْنَا هؤلاءِ المؤمنِينَ بأنْ رَحِمْنَاهُمْ، ودفعنا بسببهم عن مَكَّةَ ليدخل اللَّه، أي: لِيُبَيِّنَ للناظر أنَّ اللَّه يدخلَ من يشاء في رحمته أو، أي: لِيقعَ دخولهم في رحمة اللَّه ودفعه عنهم.

* ت *: وقال الثَّعْلَبِيُّ: قوله: «بِغَيْرِ عِلْمٍ» يحتمل أنْ يريد بغير علم مِمَّنْ تكلَّم بهذا، والمَعَرَّةُ: المشقة «لِيُدْخِلَ اللَّهُ في رَحْمَتِهِ» أيِّ: في دين الإسلام «مَنْ يَشَاءُ»: من أهل مكة قبل أن تدخلوها، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: لو ذهبوا عن مَكَّةَ؛ تقول: زِلْتُ زيداً عن موضعه إزالة، أي: أذهبته، وليس هذا الفعل من «زَالَ يَزُولُ»، وقد قيل: هو منه، **وقرأ** أبو حيوة

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٥٧٢) كتاب «الاستسقاء» باب: دعاء النبي ﷺ: «واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» (١٠٠٦)، (٦/ ٤٨١) كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: قول اللَّه تعالى: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ (٣٣٨٦)، (١٠/ ٥٩٦) كتاب «الأدب» باب: تسمية الوليد (٦٢٠٠)، (١١/ ١٩٧) كتاب «الدعوات» باب: تكرير الدعاء (٦٣٩٣)، ومسلم (٣/ ١٩٠ - ١٩١) كتاب «المساجد ومواضع الصلاة» باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة، إذا نزلت بالمسلمين نازلة (٢٩٤، ٢٩٤/ ٦٧٥)، (٢٩٥/ ٦٧٥)، وابن حبان (٥/ ٣٠١) كتاب «الصلاة» باب: صفة الصلاة (١٩٦٩، ١٩٧٢)، باب: فصل في القنوت (١٩٨٦)، وأبو داود (١٠/ ٤٥٧) كتاب «الصلاة» باب: القنوت في الصلاة (١٤٤٢)، وأحمد (٢/ ٢٣٩، ٢٥٥، ٢٧١، ٣٩٦، ٤٠٧، ٤١٨، ٥٠٢، ٥٢١)، وابن ماجه (١/ ٣٩٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب: ما جاء في القنوت في صلاة الفجر (١٢٤٤)، والبيهقي (٢/ ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠) كتاب «الصلاة» باب: القنوت في الصلاة عند النازلة، (٢/ ٢٠٧) كتاب «الصلاة» باب: الدليل على أنه يقنت بعد الركوع، (٢/ ٢٤٤) كتاب «الصلاة» باب: ما يجوز من الدعاء في الصلاة، (٩/ ١٤) كتاب «السير» باب: ما جاء في عذر المستضعفين، والدارقطني (٢/ ٣٨) كتاب «الوتر»، وأنه ليس بفرض، والوتر على البعير، باب: صفة القنوت وبيان موضعه برقم: (٧)، والحميدي (٢/ ٤١٩) (٩٣٩)، والبيهقي في **«دلائل النبوة»** (٤/ ١٧٦).

(٢) ينظر: **«البحر المحيط»** (٨/ ٩٧).

(٣) ينظر: **«تفسير الطبري»** (١١/ ٣٦٣).

وقتادة: «تَزَايَلُوا» بألف[١]، أي: ذهب هؤلاء عن هؤلاء، وقال النَّحَّاس: وقد قيل: إنَّ قوله: ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ. . .﴾ الآية: يريدُ: مَنْ في أصلاب الكافرين مِمَّنْ سيُؤْمِنُ في غابر الدهر، وحكاه الثعلبيُّ والنَّقَّاش عن عليِّ بْنِ أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ مرفوعاً، والحَمِيَّةُ التي جعلوها هي حَمِيَّةُ أهل مكة في الصَّدِّ؛ قال الزُّهْرِيُّ: وهي حمية سُهَيْلٍ ومَنْ شَاهَدَ مِنْهُمْ عقدَ الصُّلْحِ، وجعلها سبحانه حَمِيَّةً جاهلية، لأنَّها كانت منهم بغير حُجَّةٍ، إذ لم يأت ﷺ مُحارِباً لهم، وإنما جاء معتمراً معظِّماً لبيت اللَّه، والسكينة: هي الطُّمْأَنِينَةُ إلى أَمْرِ رسُولِ اللَّه ﷺ، والثقةُ بوعد اللَّه، والطاعةُ، وزوالُ/ الأَنَفَةِ التي لحقت ١٨٣أ
عُمَرَ وغيره، «وكَلِمَةُ التَّقْوَى»: قال الجمهور: هي لا إله إلا اللَّه، ورُوِيَ ذلك عن النبيِّ ﷺ وفي مصحف ابن مسعود[٢]: «وَكَانُوا أَهْلَهَا [وَأَحَقَّ بِهَا» والمعنى: كانوا أهلها] على الإطلاق في علم اللَّه وسابق قضائه لهم، وروى أبو أمامة عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إذَا نَادَى الْمُنَادِي فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ كَرْبٌ أَوْ شِدَّةٌ فَلْيَتَحَيَّنِ الْمُنَادِيَ، فَإذَا كَبَّرَ كَبَّرَ، وَإذَا تَشَهَّدَ تَشَهَّدَ، وَإذَا قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، وَإذَا قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، قَالَ: حَيَّ عَلَى الفَلاَحِ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ الصادِقَةِ الْمُسْتَجَابِ لَهَا، دَعْوَةِ الحَقِّ وَكَلِمَةِ التَّقْوَىٰ، أَحْيِنَا عَلَيْهَا، وَأَمِتْنَا عَلَيْهَا، وَابْعَثْنَا عَلَيْهَا، وَاجْعَلْنَا مِنْ خِيَارِ أَهْلِهَا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً، ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَتَهُ» رواه الحاكم في **«المُسْتَدْرَكِ»**، وقال: صحيح الإسناد[٣]، انتهى من **«السِّلاَح»**.

فقد بَيَّنَ ﷺ في هذا الحديث معنى «كلمة التقوى» على نحو ما فَسرَ به الجمهور، والصحيح أنه يعوض عن الحَيْعَلَةِ الحَوْقَلَةُ؛ ففي **«صحيح مسلم»**: «ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللَّهِ[٤]» الحديث، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ إشارة إلى علمه بالمؤمنين الذين دفع عن كفار قريش بسببهم، وإلى علمه بوجه المصلحة في صلح الحديبية؛ فَيُرْوَى أَنَّهُ لما انعقد

---

(١) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٣٧)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٩٨)، وزاد نسبتها إلى ابن أبي عبلة، وابن مقسم، وابن عون. وهي في **«الدر المصون»** (٦/ ١٦٤).

(٢) وهي في مختصر ابن خالويه ص: (١٤٣) هكذا: وكانوا أهلها أحق من غير واو. ونسبها إلى أصحاب عبد اللَّه بن مسعود. وكما أثبتها **«المصنف»** عند ابن عطية في **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٣٨).

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧)، وأبو نعيم في **«حلية الأولياء»** (١٠/ ٢١٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٣٢١) كتاب «الصلاة» باب: استحباب القول مثل قول المؤذن، برقم: (١٢/ ٣٨٥).

٨٣ ب الصلحُ أَمِنَ الناسُ في تلك المُدَّةِ الحربَ والفتنةَ، وامتزجوا وعَلَتْ دعوةُ الإسلام،/ وانقاد إلى الإسلام كُلُّ مَنْ له فهم، وزاد عدد الإسلام في تلك المدة أضعافَ ما كان قبلَ ذلك؛ قال * ع *[1]: ويقتضي ذلك أَنَّ النبي ﷺ، كان في عام الحديبيةِ في أَرْبَعَ عَشْرَةَ مائة، ثم سار إلى مَكَّةَ بعد ذلك بعامين في عَشَرَةِ آلاف فارس ـ ﷺ ـ.

* ت *: المعروف عَشَرَةُ آلاف، وقوله فارس ما أَظُنُّهُ يَصِحُّ فتأمله في كتب السيرة.

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ...﴾ الآية: «رُوِيَ في تفسيرها أن النبي ﷺ رَأَىٰ في مَنَامِهِ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَى الْعُمْرَةِ أَنَّهُ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، بَعْضُهُمْ مُحَلِّقُونَ، وَبَعْضُهُمْ مُقَصِّرُونَ»[2] وقال مجاهد: رأى ذلك بالحديبية فأخبر الناسَ بهذه الرؤيا، فَوَثِقَ الجميعُ بأَنَّ ذلك يكون في وجهتهم تلك، وقد كان سَبَقَ في علم اللَّه أنَّ ذلك يكون، لكن ليس في تلك الوجهة، فَلَمَّا صَدَّهُمْ أهلُ مَكَّةَ قال المنافقون: وأين الرؤيا؟ ووقع في نفوس بعض المسلمين شيء من ذلك، فأجابهم النبي ﷺ بأَنْ قَالَ: «وَهَلْ قُلْتُ لَكُمْ: يَكُونُ ذَلِكَ فِي عَامِنَا هَذَا»، أَوْ كَمَا قَالَ، ونطق أبو بكر قبل ذلك بنحوه[3]، ثم أنزل اللَّه عز وجل: ﴿لقد صدق اللَّه رسوله الرؤيا بالحق...﴾ الآية، واللام في: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ لامُ القَسَم.

وقوله: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ اخْتُلِفَ في هذا الاستثناء، فقال بعض العلماء: إِنَّما استثنى
١٨٤ من حيثُ إِنَّ كل واحد من الناس متى رَدَّ هذا الوعد إلى نفسه،/ أمكن أَنْ يتمّ الوعد فيه وألاَّ يتمّ؛ إذ قد يموت الإِنسان أو يمرض لحينه، فلِذلك استثنى عز وجل في الجملة؛ إذ فيهم ـ ولا بُدَّ ـ مَنْ يموتُ أو يمرض.

* ت *: وقد وقع ذلك حسبما ذكر في السِّيَرِ، وقال آخرون: هو أخذ من

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٣٨).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٦٧) برقم: (٣١٦٠٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٩).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٦٧) برقم: (٣١٦٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٩)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «الدلائل».

اللَّه تعالى [على عباده][(١)] بأدبه في استعمال الاستثناء في كل فعل.

* ت *: قال ثعلب: استثنى اللَّه تعالى فيما يعلم؛ ليستثنيَ الخَلْقُ فيما لا يعلمون، وقيل غير هذا، ولما نزلت هذه الآية عَلِمَ المسلمون أَنَّ تلك الرؤيا ستخرج فيما يستأنفونه من الزمان، فكان كذلك، فخرج ﷺ في العام المُقْبِلِ واعتمر.

وقوله سبحانه: ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ يريد ما قَدَّرَهُ من ظهور الإسلام في تلك المدة ودخول الناس فيه.

وقوله: ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: من قبل ذلك، وفيما يدنو إليكم، واختلف في الفتح القريب، فقال كثير من العلماء: هو بيعة الرضوان وصُلْحُ الحديبية، وقال ابن زيد[(٢)]: هو فتح خيبر.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ قال جمهور الناس: هو ابتداء وخبر، استوفى فيه تعظيمَ منزلة النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ ابتداء، وخبره: ﴿أَشِدَّاءُ﴾ و﴿رُحَمَاءُ﴾ خبر ثانٍ، وهذا هو الراجح؛ لِأَنَّهُ خبر مضاد لقول الكفار: «لا تكتب مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ»، ﴿والذين معه﴾ إشارة إلى جميع الصحابة عند الجمهور، وحكى الثعلبيُّ عن ابن عباس أَنَّ الإشارة إلى مَنْ شَهِدَ الحديبية[(٣)].

* ت *: ووصف تعالى الصحابة بأَنَّهُمْ رحماء بينهم، وقد جاءت أحاديثُ صحيحةٌ في تراحم المؤمنين؛ حدثنا الشيخ وليُّ الدين العراقيُّ بسنده عن عبد اللَّه بن عمرو بن / العاصي أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمٰنُ؛ ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ ٨٤ ب

---

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه الطبري (١١/٣٦٨) برقم: (٣١٦١٠)، وذكره ابن عطية (٥/١٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٧٩)، وعزاه لابن جرير.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/١٤٧).

يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(١) وأخرج الترمذيُّ من طريق أبي هريرة عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلاَّ مِنْ [قَلْبِ] شَقِيٍّ»(٢) وخَرَّجَ عن جرير بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ، لاَ يَرْحَمْهُ اللَّهُ»(٣) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وهذا الحديث خَرَّجه مسلم عن جرير، وخَرَّجَ مسلم أيضاً من طريق أبي هريرة: «مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ»(٤) انتهى، وبالجملة: فأسباب الألفة والتراحم بين المؤمنين كثيرةٌ، ولو بأَنْ تَلْقَى أخاك بوجه طَلْقٍ، وكذلك بَذْلُ السلام وَطيِّبُ الكلام، فالمُوَفَّقُ لا يحتقر من المعروف شيئاً، وقد روى الترمذي الحكيم في كتاب **«ختم الأولياء»** له بسنده عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَحْسَنُهُمَا بِشْراً بِصَاحِبِهِ» أَوْ قَالَ: «أَكْثَرُهُمَا [بِشْراً] بِصَاحِبِهِ، فَإِذَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٠٣) كتاب «الأدب» باب: في الرحمة (٤٩٤١)، والترمذي (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في رحمة المسلمين (١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، والحاكم في **«المستدرك»** (٤/ ١٥٩)، والبيهقي (٩/ ٤١) كتاب «السير» باب: ما على الوالي من أمر الجيش، والحميدي (٢/ ٢٦٩) (٥٩١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٠٣) كتاب «الأدب» باب: في الرحمة (٤٩٤٢)، والترمذي (٤/ ٣٢٣) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في رحمة المسلمين (١٩٢٣).
قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢) كتاب «الأدب» باب: رحمة الناس والبهائم (٦٠١٣)، ومسلم (٤/ ١٨٠٩) كتاب «الفضائل» باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك (٦٦، ٦٦/ ٢٣١٩)، والطبراني (٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥) (٢٤٩١ ـ ٢٤٩٢ ـ ٢٤٩٣ ـ ٢٤٩٥)، والبيهقي (٨/ ١٦١) كتاب «قتال أهل البغي» باب: ما على السلطان من القيام فيما ولي بالقسط والنصح للرعية، والرحمة بهم، والشفقة عليهم والعفو عنهم ما لم يكن حداً، والحميدي (٢/ ٣٥١) (٨٠٢)، وأحمد (٤/ ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٠) كتاب «الأدب» باب: من ترك صبية غيره حتى تلعب به، أو قبلها أو مازحها (٥٩٩٧)، ومسلم (٤/ ١٨٠٨ ـ ١٨٠٩) كتاب «الفضائل» باب: رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٦٥، ٦٥/ ٢٣١٨)، وأبو داود (٢/ ٧٧٧) كتاب «الأدب» باب: في قبلة الرجل ولده (٥٢١٨)، والترمذي (٤/ ٣١٨) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في رحمة الولد (١٩١١)، والبخاري في **«الأدب المفرد»** (٣٥) (٩١)، وابن حبان (٢/ ٢٠٢) كتاب «البر والإحسان» باب: الرحمة (٤٥٧، ٤٦٣)، (١٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) كتاب «الحظر والإباحة» باب: ذكر الإباحة أن يقبل الرجل ولده، وولد ولده وما بعده (٥٥٩٤، ٥٥٩٦)، (١٥/ ٤٣١) كتاب «إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة» باب: ذكر ملاعبة المصطفى ﷺ للحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه (٦٩٧٥)، وأحمد (٢/ ٢٢٨، ٢٤١، ٢٦٩، ٥١٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

تَصَافَحَا، أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، تِسْعُونَ مِنْهَا لِلَّذِي بَدَأَ، وَعَشَرَةٌ لِلَّذِي صُوفِحَ»(١)، انتهى.

وقوله: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً﴾ أي: ترى هاتين الحالتين كثيراً فيهم و﴿يبتغون﴾: معناه: يطلبون.

وقوله سبحانه: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ قال مالك بن أنس: كانت جِبَاهُهُم مَتْرِبَةً من كثرة السجود في التراب؛ وقاله عِكْرِمَةُ، ونحوه لأبي العالية(٢)، وقال ابن عباس وخالد الحنفي/ وعطية: هو وعد بحالهم يومَ القيامة من اللَّه تعالى، يجعل لهم نوراً من ١٨٥أ
أَثر السجود(٣)، قال * ع(٤) *: كما يجعل غُرَّةً من أثر الوضوء، حسبما هو في الحديث، ويؤيد هذا التأويلَ اتصالُ القولِ بقوله: «فَضْلاً مِنَ اللَّهِ» وقال ابن عباس: السَّمْتُ الحَسَنُ هو السيما، وهو خشوع يبدو على الوجه(٥)، قال * ع(٦) *: وهذه حالةُ مُكْثِرِي الصلاةَ؛ لأنَّها تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، وقال الحسن بن أبي الحسن، وشِمْرُ بن عَطِيَّةَ: «السيما»: بَيَاضٌ وصُفْرَةٌ وتَبْهِيجٌ يعتري الوجوهَ من السَّهَرِ(٧)، وقال عطاء بن أبي رباح، والربيع بن أنس: «السِّيمَا»: حُسْنٌ يعتري وُجُوهَ المُصَلِّينَ(٨)، قال * ع(٩) *: ومن هذا الحديثُ الذي في «الشِّهاب»: «مَنْ كَثُرَتْ صَلاَتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ

---

(١) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٩/ ١١٤) (٢٥٢٤٥)، وعزاه لأبي الشيخ، والحكيم الترمذي عن عمر.
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧١) عن عكرمة برقم: (٣١٦٣٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٠٦) عن عكرمة، وأبي العالية، وابن عطية (٥/ ١٤١).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٠) عن ابن عباس برقم: (٣١٦١٣)، وعن خالد الحنفي برقم: (٣١٦١٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٠٦) عن ابن عباس، وابن عطية (٥/ ١٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٢)، وعزاه للبخاري في «تاريخه»، وابن نصر عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٠) برقم: (٣١٦٢١)، وذكره البغوي (٤/ ٢٠٦)، وابن عطية(٥/ ١٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٠٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨١)، وعزاه لمحمد بن نصر في كتاب «الصلاة»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «سننه».
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١).
(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧١) عن الحسن برقم: (٣١٦٢٨)، وعن شمر بن عطية برقم: (٣١٦٣٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٤١).
(٨) ذكره البغوي (٤/ ٢٠٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٤١).
(٩) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤١).

بِالنَّهَارِ»[١] قال * ع[٢] *: وهذا حديث غَلِطَ فيه ثابت بن موسى الزاهد، سَمِعَ شَرِيكَ بنَ عبد اللَّه يقول: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ عن أبي سفيانٍ، عن جابر، ثم نزع شريك لما رأى ثابتاً الزاهد فقال يعنيه: مَنْ كَثُرَتْ صَلاَتُهُ بِاللَّيْلِ، حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ، فَظَنَّ ثابت أَنَّ هذا الكلام حديث متركِّب على السند المذكور، فَحَدَّثَ به عن شريك.

* ت *: واعلم أَنَّ اللَّه سبحانه جعل حُسْنَ الثناء علامةً على حسن عُقْبَى الدار، والكون في الجنة مع الأبرار، جاء بذلك صحيح الآثار عن النبي المختار؛ ففي «**صحيح البخاريّ**» و«**مسلم**» عن أنس قالَ: «مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْراً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
٨٥ ب وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَىٰ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ:/ وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ»[٣]، انتهى، ونقل صاحب «**الكوكب الدُّرِّيّ**» من مسند البَزَّارِ عن النبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِمَ؟ قَالَ: بِالثَّنَاءِ الحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّىءِ»[٤]، انتهى، ونقله صاحب كتاب «**التشوُّف إلى رجال التصوُّف**» وهو الشيخ الصالح أبو يعقوب يوسف بن يحيى التاذلي، عن ابن أبي شيبةَ، ولفظه: وخرَّجَ

(١) أخرجه ابن ماجه (١/ ٤٢٢) كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: ما جاء في قيام الليل (١٣٣٣)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١/ ٣٤١) (٢٥٧)، (١٣/ ٣٨) (٦٩٩٥)، وابن الشجري في «**أماليه**» (١/ ٢٠٥، ٢٠٨).

قال العجلوني في «**كشف الخفاء ومزيل الإلباس**» (٢/ ٣٣٨) (٢٥٨٧): لا أصل له، وإن روي من طرق عند ابن ماجه بعضها عن جابر، وأورد الكثير منها عن القضاعي وغيره، قال: ولكن قرأت بخط شيخنا في بعض أجوبته أنه ضعيف، بل قواه بعضهم؛ والمعتمد الأول، وأطنب ابن عدي في رده، قال ابن طاهر: ظن القضاعي أن الحديث صحيح لكثرة طرقه، وهو معذور؛ لأنه لم يكن حافظاً انتهى. واتفق أئمة الحديث: ابن عدي، والدارقطني، والعقيلي، وابن حبان، والحاكم على أنه من قول شريك لثابت، وقال ابن عدي: سرقه جماعة من ثابت، كعبد اللَّه بن شبرمة الشريكي، وعبد الحميد بن بحر، وغيرهما، وقال ابن حجر المكي في «**الفتاوى**»: أطبقوا على أنه موضوع، مع أنه في «**سنن ابن ماجه**».

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٤١).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٢٧٠) كتاب «الجنائز» باب: ثناء الناس على الميت (١٣٦٧) (٥/ ٢٩٩) كتاب «الشهادات» باب: تعديل كم يجوز؟ (٢٦٤٢)، ومسلم (٢/ ٦٥٥) كتاب «الجنائز» باب: فيمن يتسنى عليه خير أو شر (٦٠، ٦٠/ ٩٤٩)، وابن ماجه (١/ ٤٧٨) كتاب «الجنائز» باب: ما جاء في الثناء على الميت (١٤٩١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤١١) كتاب «الزهد» باب: الثناء الحسن (٤٢٢١)، والبيهقي (١٠/ ١٢٣) كتاب «آداب القاضي» باب: اعتماد القاضي على تزكية المشركين وجرحهم، والحاكم (١/ ١٢٠).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

أبو بكر بن أبي شيبة أَنَّهُ قال ﷺ في خُطْبَتِهِ: «تُوشِكُوا أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ قَالَ: خِيَارَكُمْ مِنْ شِرَارِكُمْ، قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِالثَّنَاءِ الحَسَنِ، وَبِالثَّنَاءِ السَّيِّىءِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ»[(١)]. ومن كتاب «**التشوُّف**» قال: وخَرَّجَ البزَّارُ عن أنس قال: «قيل: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ قال: مَنْ لاَ يَمُوتُ حَتَّىٰ تُمْلأَ مَسَامِعُهُ مِمَّا يُحِبُّهُ، قِيلَ: فَمَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالَ: مَنْ لاَ يَمُوتُ حَتَّى تُمْلأَ مَسَامِعُهُ مِمَّا يَكْرَهُ» قال: وخَرَّجَ البَزَّارُ عن أبي هريرة «أَنَّ رجلاً قال: يا رَسُولَ اللَّهِ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ، قَالَ: لاَ تَغْضَبْ، وَأَتَاهُ آخَرُ، فَقَالَ: مَتَىٰ أَعْلَمُ أَنِّي مُحْسِنٌ؟ قَالَ: إِذَا قَالَ جِيرَانُكَ: إِنَّكَ مُحْسِنٌ، فَإِنَّكَ مُحْسِنٌ، وَإِذَا قَالُوا: إِنَّكَ مُسِيءٌ، فَإِنَّكَ مُسِيءٌ»[(٢)] انتهى، ونقل القرطبي في «**تذكرته**» عن عبد اللَّه بن السائب قال: مَرَّتْ جنازةٌ بابن مسعود فقال لرجُلٍ: قُمْ فانظرْ أَمِنْ أهل الجنَّةِ هُوَ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فقال الرجل: ما يُدْرِينِي أَمِنْ أهل الجنة هو أَمْ مِنْ أهل النار؟ قال: انظر ما ثَنَاءُ الناسِ عليه، فأنتم شهداءُ اللَّه في الأرض،/ انتهى وباللَّه التوفيق، ٨٦ أ
وإِياه نستعين.

وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ...﴾ الآية: قال مجاهد وجماعة من المتأولين: المعنى: ذلك الوصف هو مَثَلُهُمْ في التوراة ومثلهم في الإنجيل[(٣)]، وتم القول، و﴿كَزَرْعٍ﴾ ابتداءُ تمثيل، وقال الطبريُّ وحكاه عن الضَّحَّاك[(٤)]: المعنى: ذلك الوصف هو مثلهم في التوراة، وتَمَّ القولُ، ثم ابتدأ ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ﴾[(٥)].

* ت *: وقيل غير هذا، وأبينها الأَوَّلُ، وما عداه يفتقر إِلى سند يقطع الشك.

وقوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ﴾ على كل قول هو مَثَلٌ للنبيِّ ـ عليه السلام ـ وأصحابِهِ في أَنَّ النبي ـ عليه السلام ـ بُعِثَ وَحْدَهُ فكان كالزرع حَبَّةً واحدة، ثم كَثُرَ المسلمون فهم كالشطء، وهو فراخ السُّنْبُلَةِ التي تنبت حول الأصل؛ يقال: أشطأَتِ الشجرةُ: إذا أخرجت غُصُونَها، وأشطأ الزرع: إذا أخرج شطأه، وحكى النقاش عن ابن عباس أَنَّهُ قال: الزَّرْعُ: النَّبِيُّ ﷺ، ﴿فآزَرَهُ﴾: عليُّ بن أبي طالب، ﴿فاستغلظ﴾ بأبي بكر، ﴿فاستوى على سوقه﴾ بعمر بن الخطاب.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٦٦)، والبيهقي (١٠/ ١٢٣) كتاب «آداب القاضي» باب: اعتماد القاضي على تزكية المشركين وجرحهم.

(٢) تقدم تخريجه شاهداً لحديث: «لا تغضب».

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٣) برقم: (٣١٦٤١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٤٢).

(٤) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/ ٣٧٢).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٢) برقم: (٣١٦٣٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٤٢).

* ت *: وهذا لَيِّنُ الإِسناد والمتن، كما ترى، واللَّه أعلم بِصِحَّتِهِ[١].

وقوله تعالى: ﴿فآزره﴾ له معنيان:

أحدهما: ساواه طولاً.

والثَّاني: أنَّ: «آزره» و«وَازَرَهُ» بِمعنى: أعانه وَقَوَّاهُ؛ مأخوذٌ من الأَزْرِ، وفَاعِلُ «آزر» يحتملُ أنْ يكون الشَّطْءَ، ويحتمل أَنْ يكون الزَّرْعَ.

وقوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارُ﴾ ابتداء كلام قبله محذوف، تقديره: جعلهم اللَّه
٨٦ ب بهذه الصفة؛ ليغيظ بهم الكفار، قال/ الحسن: مِنْ غَيْظِ الكُفَّارِ قولُ عُمَرَ بِمَكَّةَ: لاَ يُعْبَدُ اللَّهُ سِرّاً بَعْدَ الْيَوْمِ[٢].

وقوله تعالى: ﴿منهم﴾ هي لبيان الجنس، وليست للتبعيض؛ لأَنَّه وعد مرجٍ للجميع.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٤٢).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٢٠٦)، وابن عطية (٥/ ١٤٣).

تفسيرُ سُورَةِ «الحُجُرَاتِ»

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. . .﴾ الآية: قال ابن زيد: معنى: ﴿لا تقدموا﴾ لا تمشوا[١]، وقرأ ابن عباس، والضَّحَّاكُ، ويعقوب: ـ بفتح التاءِ والدال[٢] ـ، على معنى: لا تَتَقَدَّمُوا، وعلى هذا يجيء تأويل ابن زيد، والمعنى على ضم التاء: بين يدي قولِ اللَّه ورسوله، ورُوِيَ أَنَّ سَبَبَ هذه الآية أَنَّ وفد بني تميم لما قَدِمَ، قال أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رضي اللَّه عَنْهُ ـ: يا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ الْقَعْقَاعَ بنَ مَعْبَدٍ؟ وَقَالَ عُمَرُ: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ أَمِّرِ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إلا خِلافي، فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلاَفَكَ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَتِ الآيَةُ، وذهب بعض قَائِلِي هذه المَقَالَةِ إلَىٰ أَنَّ قوله: ﴿لا تقدموا﴾: أي: وُلاَةً، فهو من تقديم الأمراء، وعموم اللفظ أحسن، أي: اجعلوه مبدأ في الأَقوال والأَفعال، وعبارة البخاريِّ: وقال مجاهد: «لا تقدموا»: لا تَفْتَاتُوا على رسول اللَّه ﷺ حتى يقضيَ اللَّه عز وجل على لسانه، انتهى[٣].

وقوله سبحانه: ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآية، هي أيضاً في هذا الفنِّ المتقدِّم؛ فرُوِيَ أَنَّ سببها ما تقدم عن أبي بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ والصحيح أَنَّها نزلت بسبب عادة الأعراب من الجَفَاءِ وعُلُوِّ الصَّوْتِ، وكان ثابت بن قيس بن شماس ـ رضي اللَّه عنه ـ مِمَّنْ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٤٤).

(٢) ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٧٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٤٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٠٥)، وزاد نسبتها إلى أبي حيوة، وابن مقسم، وهي في «الدر المصون» (٦/ ١٦٨).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٣٧٧) برقم: (٣١٦٥٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٠٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٠٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

٨٧ أ في صوته/ جهارة فلما نزلت هذه الآية اهْتَمَّ وخاف على نفسه، وجلس في بيته لم يخرج، وهو كئيب حزين حتى عَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ خبره فبعث إليه، فآنسه، وقال له: «امْشِ في الأَرْضِ بَسطاً؛ فإِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»، وَقَالَ لَهُ مَرَّةً: «أَمَا تَرْضَىٰ أَنْ تَعِيشَ حَمِيداً، وَتَمُوتَ شَهِيداً؟»[1] فعاش كذلك، ثم قُتِلَ شَهِيداً بِاليَمَامَةِ يَوْمَ مُسَيْلَمَةَ.

* ت *: وحديث ثابت بن قيس وتبشيره بالجنة خَرَّجَهُ البخاريُّ، وكذلك حديث أبي بكر وعمر وارتفاع أصواتهما خَرَّجه البخاريُّ أيضاً، انتهى.

وقوله: ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: كحال أحدكم في جفائه، فلا تنادوه باسمه: يا محمد، يا أحمد؛ قاله ابن عباس وغيره[2]، فأمرهم اللَّه بتوقيره، وأنْ يدعوه بالنبوَّةِ والرسالة، والكلام اللَّيِّنِ، وكَرِهَ العلماءُ رفعَ الصوت عند قبرِ النبي ﷺ وبحضرة العَالِم وفي المساجد، وفي هذه كلها آثار؛ قال ابن العربيّ في «أحكامه»[3]: وحُرْمَةُ النبي ﷺ مَيِّتاً كحرمته حَيًّا، وكلامه المأثور بعد موته في الرِّفْعَةِ مِثْلُ كلامه المسموع من لفظه، فإذا قُرِىءَ كلامُه وجب على كل حاضر ألاَّ يرفعَ صوتَهُ عليه، ولا يُعْرِضَ عنه، كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تَلَفُّظِهِ به، وقد نَبَّهَ اللَّه تعالى على دوام الحُرْمَةِ المذكورة على مرور الأزمنة بقوله: ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وكلام النبي ﷺ هو من الوحي، وله من الحُرْمَةِ مِثْلُ ما للقرآن، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ﴾ مفعول من أجله، أي: مخافةَ أَنْ تحبطَ، ثم مدح سبحانه
٨٧ ب الذين يَغُضّون/ أصواتهم عند رسول اللَّه، وغَضُّ الصوت خَفْضُهُ وكَسْرُهُ، وكذلك البصر. ورُوِيَ: أَنَّ أبا بكر وعمر كانا بعد ذلك لا يُكَلِّمان رسول اللَّه ﷺ إلاَّ كَأَخِي السِّرَارِ، وأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يحتاج مع عمر بعد ذلك إلى استعادة اللفظ؛ لأَنَّهُ كان لا يسمعه من إخفائه إيَّاه[4]، و﴿امتحن﴾ معناه: اختبر وطَهَّرَ كما يُمْتَحَنُ الذهبُ بالنار، فَيَسَّرَهَا وهَيَّأها للتقوى، وقال عمر بن الخطاب: امتحنها للتقوى: أذهب عنها الشهوات[5].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٤)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٤٥).
(٣) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٧١٤ ـ ١٧١٥).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٣٨٠) برقم: (٣١٦٧٣)، وذكره البغوي (٤/ ٢١٠)، وابن عطية (٥/ ١٤٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٠٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٦)، وعزاه للبزار، وابن عدي، والحاكم، وابن مردويه عن أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه.
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ١٤٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٠٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٨٩)، وعزاه لأحمد في «الزهد» عن مجاهد.

قال * ع[١] *: من غلَبَ شهوتَه وغضبَه فذلك الذي امتحن اللّه قلبه للتقوى، وبذلك تكونُ الاستقامة، وقال البخاريُّ: ﴿امتحن﴾: أخلص، انتهى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ نزلت في وفد بني تميم وقولِهِمْ: يا محمدُ، اخرج إلينا، يا محمد، اخرج إلينا، وفي مصحف ابن مسعود: «أَكْثَرُهُمْ بَنُو تَمِيمٍ لاَ يَعْقِلُونَ» وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ وقُرِىءَ «فَتَثَبَّتُوا» رُوِيَ في سبب الآية: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنِ أَبي مُعَيْطٍ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ مُصَدِّقاً، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ خَرَجُوا إِلَيْهِ، فَفَزِعَ مِنْهُمْ، وظَنَّ بِهِمْ شَرًّا، فَرَجَعَ، وقال للنبيِّ ﷺ: قَدْ مَنَعُونِي الصَّدَقَةَ، وَطَرَدُونِي، وَٱرْتَدُّوا، فَغَضِبَ النَّبِيُّ ﷺ وَهَمَّ بِغَزْوِهِمْ، فَوَرَدَ وَفْدُهُمْ مُنْكِرِينَ لِذٰلِكَ»[٢]، ورُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ بَلَغَهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: لاَ نُعْطِيهِ الصَّدَقَةَ وَلاَ نُطِيعُهُ، فقال ما ذكرناه فنزلَتِ الآية، و﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾ معناه: مخافة أنْ/ تصيبوا، ١٨٨أ
قال قتادة: وقال النبي ﷺ عندما نزلت هذه الآية: «التَّثَبُّتُ مِنَ اللّٰهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[٣].

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤٦).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) برقم: (٣١٦٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٩٢)، وعزاه إلى ابن مَنْدَه، وابن مردويه.

(٣) أخرجه البيهقي (١٠/ ١٠٤) كتاب «آداب القاضي» باب: التثبت في الحكم، وأبو يعلى (٧/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، (١٥٠١/ ٤٢٥٦).
قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.
قلت: فيه سعد بن سنان، ويقال له: سنان بن سعد، وقد قال المزي في «تهذيب الكمال»: وقال أبو حاتم بنُ حِبَّان في كتاب «الثقات»: حَدَّث عنه المِصْريُّون، وهم مُختلفون فيه، وأرجو أن يكونَ الصَّحيح سِنان بنُ سَعْد، وقد اعتبرتُ حديثَه، فرأيتُ ما روي عن سِنان بن سَعْد يشبه أحاديثَ الثِّقات، وما روي عن سعْد بن سِنان، وسَعيد بن سِنان فيه المناكير، كأنّهما اثنان، فاللّٰه أعلم.
وقال أبو عُبيد الآجُريُّ: سألتُ أبا داود عن سِنان بن سَعْد، فقال: كان أحمد لا يكتبُ حديثَه. =

وقوله سبحانه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ توبيخ للكذبة، والعَنَتُ: المشقة.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ رجوع من الخطاب إلى الغيبة، كأنه قال: ومنِ اتصف بما تقدم من المحاسن أولئك هم الراشدون.

وقوله سبحانه: ﴿فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ أي: كان هذا فضلاً من اللّه ونعمةً، وكان قتادة ـ رحمه اللّه ـ يقول: قد قال اللّه تعالى لأصحاب محمد ـ عليه السلام ـ: ﴿واعلموا أَنَّ فيكم رسول اللّه لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ وأنتم واللّه أسخف رأياً، وأطيش أحلاماً، فَلْيَتَّهِمَ رَجُلٌ نفسَه، ولينتصح كتاب اللّه تعالى[1].

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ سبب الآية ـ في قول الجمهور ـ هو ما وقع بين المسلمين المتحزبين في قضية عَبْد اللّهِ بْنِ أُبَيِّ ابْنِ سَلُولَ حين مَرَّ به النبيُّ ﷺ راكباً على حماره مُتَوَجِّهاً إلى زيارة سعد بن عبادَةَ في مرضه، حسبما

= قال أبو داود: قلتُ لأحمد بن صالح: سِنان بن سَعْد سمِع أَنساً؟ فغضِبَ مِن إجلالِهِ له.
وقال عبد اللّه بن أحمد بن حَنْبَلَ، عن أبيهِ: تركتُ حديثَه؛ لأن حديثَه مُضطرِب، غير محفوظ. قال: وسمِعته مرةً أخرى يقول: يشبه حديثُه حديثَ الحَسَن، لا يشبه حديثَ أنس.
وقال أحمد بنُ أبي يَحيى، عن أحمد بن حَنْبَل: لم أكتُب أحاديثَ سِنان بن سَعْد؛ لأنّهم اضطَربوا فيها، فقال بعضُهم: سَعْد بن سِنان، وبعضُهم: سِنان بن سَعْد.
وقال محمَّد بنُ علي الوَرّاق، عن أحمد بن حَنْبَل: روى خمسةَ عشر حديثاً منكرة كلّها، ما أعرِف منها واحداً.
وقال أبو بكر بن أبي خَيْثَمَة. سألتُ يحيى بن مَعين عن سَعْد بن سِنان الذي روى عنه يَزيد بنُ أبي حبيب، فقال: ثقةٌ.
وقال إبراهيم بنُ يعقوب الجُوزَجانيُ: أحاديثُهُ واهيةٌ، لا تشبه أحاديثَ النّاسِ عن أنَس.
وقال النَّسائيُ: منكرُ الحديثِ.
وقال أبو أحمد بنُ عَدِيّ: وهذِهِ الأحاديثُ يحمِل بعضُها بَعْضاً، وليس هذه الأحاديث ممّا يجب أن يترك أصلاً، كما ذكر ابنُ حَنْبَل: أنه تَرَكَ هذه الأحاديث.
روى له البُخاريُ في «الأدب»، وأبو داود، والتِرمذيُ، وابنُ ماجه.

(١) أخرجه الطبري (١١/٣٨٦) برقم: (٣١٦٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/١٤٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٩٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

هو معلوم في الحديث الطويل، ومدافعة الفئة الباغية مُتَوَجِّهَةٌ في كل حال، [وأمَّا التَهَيُّؤُ] لقتالهم فمع الولاة، وقال النبي ﷺ: «حَكَمَ اللَّهُ في الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ أَلاَّ يُجْهَزَ عَلَىٰ جَرِيحِهَا، وَلا يُطْلَبَ هَارِبُهَا، وَلاَ يُقْتَلَ أَسِيرُهَا، وَلاَ يُقْسَمَ فَيْئُهَا»(١) و﴿تفيء﴾ معناه: ترجع، **وقرأ** الجمهور: «بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» وذلك؛ رعايةً لحال أَقَلِّ عدد يقع فيه القتال والتشاجر، **وقرأ** ابن عامر: «بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ»(٢) **وقرأ** عاصم الجَحْدَرِيُّ: «بَيْنَ إِخْوَانِكُمْ»(٣) وهي قراءة حسنة؛ لأَنَّ الأكثر في جمع الأخ في الدِّينِ ونحوه من غير النسب/ : «إِخْوَان»، والأكثر في جمعه من ٨٨ ب
النسب: «إِخْوَة» و«آخاء»، وقد تتداخل هذه الجموعُ، وكُلُّها في كتاب اللَّه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ (١٢)﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ الآية: هذه الآية والتي بعدها نزلت في خُلُقِ أهل الجاهلية؛ وذلك أَنَّهم كانوا يجرون مع شهواتِ نفوسهم، لم يقومهم أمر من اللَّه ولا نهي، فكان الرجل يسخر، ويلمز، وينبز بالألقاب، ويَظُنُّ الظنونَ، ويتكلم بها، ويغتاب، ويفتخر بنسبه، إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطَّالة، فنزلت هذه الآية؛ تأديباً لهذه الأُمَّةِ، وروى البخاريُّ ومسلم والترمذيُّ واللفظ له عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لاَ يَخُونُهُ وَلاَ يَكْذِبُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: عِرْضُهُ، وَمَالُهُ، وَدَمُهُ، التَّقْوَى ههنا، بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤٦)، وقال: رواه البزار، والطبراني في «الأوسط»، وقال لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، وفيه كوثر بن حكيم، وهو ضعيف.

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٠٦)، و«الحجة» (٦/ ٢٠٧)، و«معاني القراءات» (٣/ ٢٤)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٥)، و«حجة القراءات» (٦٧٥)، و«إتحاف» (٢/ ٤٨٦).

(٣) وقرأ بها زيد بن ثابت، وابن مسعود، والحسن، وابن سيرين. قال ابن خالويه: وسمعت ابن مجاهد يقول: روى عبد الوارث عن أبي عمرو أنه كان ربما قرأ «بين إخوتكم»، وربما قرأ بالنون «إخوانكم»، وربما قرأ بالياء «بين أخويكم».
ينظر: «الشواذ» ص: (١٤٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢٧٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٤٩)، وزاد نسبتها إلى حماد بن سلمة.
وينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١١١)، وزاد نسبتها إلى ثابت البناني. وهي في «الدر» (٦/ ١٧٠).

أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»[١] انتهى، ويسخر معناه: يستهزىء، وقد يكون ذلك الْمُسْتَهْزَأُ به خيراً من الساخر، والقوم في كلام العرب واقع على الذُّكْرَان، وهو من أسماء الجَمْع؛ ومن هذا قول زُهَيْر: [من الوافر]

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[٢]

وهذه الآية أيضاً تقتضي اختصاص القوم بالذكران، وقد يكون مع الذكران نساء، فيقال لهم قوم؛ على تغليب حال الذكور، و﴿تَلْمِزُوا﴾ معناه: يطعن بعضُكم على بعض بذكر النقائص ونحوه، وقد يكون اللَّمْزُ بالقول وبالإشارة ونحوه مِمَّا يفهمه آخر، والهَمْزُ لا يكون إلاَّ باللسان، وحكى الثعلبيُّ أَنَّ اللمز ما كان في المشهد، والهَمْزَ ما كان في المغيب، وحكى الزهراويُّ عكس ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ معناه: بعضكم بعضاً؛ كما قال تعالى: ﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٦٦] كأنَّ المؤمنين كنفس واحدة، إذ هم/ إخوة؛ كما قال ﷺ: ٨٩أ
«كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ سَائِرُهُ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ»[٣]، وهم كما قال أيضاً: «كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً»، والتنابز: التَّلَقُّبُ، والتَّنَبزُ واللقب واحدٌ، واللقب ـ يعني المذكور في الآية ـ هو: ما يُعْرَفُ به الإنسان من الأسماء التي يَكْرَهُ سماعَهَا، وليس من هذا قول المُحَدِّثِينَ: سليمان الأعمش، وواصل الأحدب ونحوه مِمَّا تدعو الضرورة إليه، وليس فيه قصد استخفاف وأذى، وقال ابن زيد: معنى: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ أي: لا يَقُلْ أحد لأحد: يا يهوديُّ، بعد إسلامه، ولا: يا فاسقُ، بعد توبته، ونحو هذا.

وقوله سبحانه: ﴿بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالألقاب فتكونون فُسَّاقاً بالمعصية بعد إيمانكم.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ينظر: «ديوانه» ص: (٧٣)، و«الاشتقاق» ص: (٤٦)، و«جمهرة اللغة» ص: (٩٧٨)، و«الدرر» (٢/ ٢٦١، ٤/ ٢٨، ٥/ ١٢٦)، و«شرح شواهد الإيضاح» ص: (٥٠٩)، و«شرح شواهد المغني» ص: (١٣٠، ٤١٢)، والصاحبي في «فقه اللغة» ص: (١٨٩)، و«مغني اللبيب» ص: (٤١، ١٣٩، ٣٩٣، ٣٩٨)، وبلا نسبة في «همع الهوامع» (١/ ١٥٣، ٢٤٨، ٢/ ٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢) كتاب «الأدب» باب: رحمة الناس والبهائم (٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٦٦، ٦٦/ ٢٥٨٥).

والثاني: بئس قول الرجل لأخيه: يا فاسق بعد إيمانه؛ وعن حذيفةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: شَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَرَبَ لِسَانِي، فَقَالَ: «أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ؟! إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»(١) رواه النسائي واللفظ له، وابن ماجه، والحاكم في «المُسْتَدْرَكِ»، وقال: صحيحٌ على شرط مسلم، وفي رواية للنسائي: «إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ»(٢)، والذَّرَبُ ـ بفتح الذال والراء ـ هو الفُحْشُ، انتهى من «السلاح»، ومنه عن ابن عمر: «إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»(٣) رَوَاه أبو داود، وهذا لفظه، والترمذي والنسائي،/ وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، وقال الترمذيُّ: حسن ٨٩ ب
صحيح غريب، انتهى.

ثم أمر تعالى المؤمنين باجتناب كثير من الظن، وألاَّ يعملوا ولا يتكلموا بحسبه؛ لما في ذلك وفي التجسس من التقاطُع والتَّدَابُرِ، وحكم على بعضه أَنَّه إِثم، إذ بعضُه ليس بإثم، والظَّنُّ المنهيُّ عنه هو أَنْ تَظُنَّ شرًّا برجل ظاهره الصلاح، بلِ الواجب أَنْ تزيل الظن وحكمه، وتتأوَّلَ الخيرَ؛ قال * ع(٤) *: وما زال أولو العزم يحترسون من سُوءِ الظن، ويجتنبون ذرائعه، قال النوويُّ: واعلم أَنَّ سوء الظن حرام، مثل القول، فكما يَحْرُمُ أَنْ تحدِّثَ غيرَك بمساوىء إنسان ـ يَحْرُمُ أَنْ تحدث نفسَك بذلك، وتسيءَ الظَّنَّ به؛ وفي الصحيح عنه ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّهُ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»(٥) والأحاديث بمعنى ما ذكرناه

(١) أخرجه النسائي (٦/ ١١٧) ـ «الكبرى» كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول من كان ذرب اللسان (١٠٢٨٤/ ٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤) كتاب «الأدب» باب: الاستغفار (٣٨١٧)، والحاكم (١/ ٥١١) نحوه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) أخرجه النسائي (٦/ ١١٧)، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول من كان ذرب اللسان (١٠٢٨٢/ ١).
(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٤٧٥) كتاب «الصلاة» باب: في الاستغفار (١٥١٦)، والترمذي (٥/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥) كتاب «الدعوات» باب: ما يقول إذا قام من المجلس (٣٤٣٤)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٣) كتاب «الأدب» باب: الاستغفار (٣٨١٤)، وأحمد (٢/ ٢١، ٦٧، ٨٤)، وابن حبان (٨/ ١١٤) ـ الموارد (٢٤٥٩)، و (٣/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) كتاب «الرقاق» باب: الأدعية ذكر وصف الاستغفار الذي كان يستغفر ﷺ بالعدد الذي ذكرناه (٩٢٧)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ١١٩) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: كيف الاستغفار (١٠٢٩٢/ ١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥١).
(٥) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (٥/ ٤٤١)، كتاب «الوصايا» باب: قول اللَّه عز وجل: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ [النساء: ١٢]، وقال ابن حجر: هو طرف من حديث وصله المصنف في

كثيرة، والمراد بذلك عَقْدُ القلب وحكمه على غيره بالسوء، فأَمَّا الخواطر وحديث النفس، إذا لم يستقر، ويستمر عليه صاحبه ـ فَمَعْفُوٌّ عنه باتفاق العلماء؛ لأَنَّهُ لا اختيارَ له في وقوعه، ولا طريقَ له إلى الانفِكاك عنه، انتهى.

قال أبو عمر في «التمهيد»: وقد ثبت عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «حَرَّمَ اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِ دَمَهُ، وَمَالَهُ، وعِرْضَهُ، وألاَّ يُظَنَّ بِهِ إلاَّ الْخَيْرَ»[1] انتهى، ونقل في موضع آخر بسنده: أَنَّ عمر بن عبد العزيز كان إذا ذُكِرَ عنده رجل بفضل أو صلاح قال: كيف هو إذا ذُكِرَ عنده إخوانه؟ فإنْ قالوا: إنَّه يتنقَّصهم، وينالُ منهم، قال عمر: ليس هو كما تقولون، وإنْ قالوا: إنَّه يذكر منهم جميلاً وخيراً، ويُحْسِنُ الثَّنَاءَ عليهم، قال: هو كما تقولون إن شاء اللَّه،
١٩٠أ انتهى من «التمهيد»، وروى أبو داودَ في «سننه» عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ/ قال: «حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ»[2] انتهى. وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تبحثوا عن مخبَّآت أمور الناس، وادفعوا بالتي هي أحسن، واجتزئوا بالظواهر الحسنة، **وقرأ** الحسن وغيره: «وَلاَ تَحَسَّسُوا» بالحاء المهملة؛ قال بعض الناس: التَجَسُّسُ بالجيم في الشَّرِّ، وبالحاء في الخير، قال * ع[3] *: وهكذا ورد القرآن، ولكن قد يتداخلان في الاستعمال

«الأدب» من وجهين عن أبي هريرة، وقد أخرجه (١٠/ ١٠٦) كتاب «النكاح» باب: لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (٥١٤٣) موصولاً عن أبي هريرة، وأخرجه أيضاً (١٠/ ٤٩٦) كتاب «الأدب» باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، وقوله تعالى: ﴿ومن شرّ حاسد إذا حسد﴾ (٦٠٦٤)، (١٠/ ٤٩٩)، كتاب «الأدب» باب: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا﴾ (٦٠٦٦)، (١٢/ ٦) كتاب «الفرائض» باب: تعليم الفرائض رقم: (٦٧٢٤)، وأبو داود (٢/ ٦٩٧) كتاب «الأدب» باب: في الظن برقم: (٤٩١٧)، والترمذي (٤/ ٣٥٦) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في ظن السوء (١٩٨٨)، وأحمد (٢/ ٢٤٥، ٢٨٧، ٣١٢، ٣٤٢، ٤٦٥، ٤٧٠، ٤٧٢، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٠٤، ٥١٧، ٥٣٩)، وابن حبان (١٢/ ٤٩٩ ـ ٥٠٠)، كتاب «الحظر والإباحة» باب: الاستماع المكروه، وسوء الظن، والغضب والفحش، ذكر الزجر عن سوء الظن بأحد المسلمين (٥٦٨٧)، ومالك (٢/ ٩٠٧ ـ ٩٠٨) كتاب «حسن الخلق» باب: ما جاء في المهاجرة (١٥٠)، والبيهقي (٦/ ٨٥) كتاب «الإقرار» باب: ما جاء في إقرار المريض لورثته (٧/ ١٨٠) كتاب «النكاح» باب: لا يخطب الرجل على خطبة أخيه إذا رضيت به المخطوبة أو رضي به أبو البكر حتى يأذن أو يترك، (٨/ ٣٣٣) كتاب «الأشربة والحد فيها» باب: ما جاء في النهي عن التجسس، (١٠/ ٢٣١) كتاب «الشهادات» باب: شهادة أهل العصبية.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه الطبراني (١١/ ٣٧) برقم: (١٠٩٦٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٧١٦ ـ ٧١٧) كتاب «الأدب» باب: في حسن الظن (٤٩٩٣)، والحاكم (٤/ ٢٥٦)، وأحمد (٢/ ٤٠٧، ٤٩١)، وابن حبان (٨/ ٣٠ ـ ٣١) ـ الموارد (٢٣٩٥)، وابن حبان (٢/ ٣٩٩) كتاب «الرقائق» باب: حسن الظن باللَّه تعالى، وذكر البيان بأن حسن الظن للمرء المسلم من حسن العبادة (٦٣١).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٥١).

* ت *: وقد وردت أحاديث صحيحة في هذا الباب، لولا الإطالة لجلبناها.

﴿وَلاَ يَغْتَبْ﴾ معناه: لا يذكرْ أحدُكم من أخيه شيئاً هو فيه، ويكره سماعَه، وقد قال النبيُّ ﷺ: «إِذَا ذَكَرْتَ مَا في أَخِيكَ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِذَا ذَكَرْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّه»[١]، وفي حديث آخر: «الغِيبَةُ أَنْ تَذْكُرَ الْمُؤْمِنَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: وَإِنْ كَانَ حَقًّا؟ قَالَ: إِذَا قُلْتَ بَاطِلاً فَذَلِكَ هُوَ الْبُهْتَانُ»[٢] وحكى الزهراوي عن جابر عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «الغِيبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَا، قِيلَ: وَكَيْفَ؟! قال: لِأَنَّ الزَّانِيَ يَتُوبُ فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالَّذِي يَغْتَابُ لاَ يُتَابُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَسْتَحِلَّ»[٣]، قال * ع[٤] *: وقد يموت من اغتيبَ، أو يأبى، وروى أبو داودَ في «سننه» عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟! قَالَ: هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِمْ»[٥] انتهى.

والغِيبَةُ مشتقة من «غَابَ يَغِيبُ» وهي القول في الغائب، واسْتُعْمِلَتْ في المكروه، ولم يُبَحْ في هذا المعنى إلاَّ ما تدعو الضرورةُ إليه، من تجريح الشهود، وفي التعريف/ بمن ٩٠ ب استنصح في الخطاب ونحوهم: لقول النبيِّ ﷺ: «أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ» وما يقال في الفَسَقَةِ أيضاً، وفي وُلاَةِ الجوْرِ، ويُقْصَدُ به: التحذيرُ منهم؛ ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «أَعَنِ الْفَاجِرِ تَرْعَوُونَ؟! اذْكُرُوا الْفَاجِرَ بِمَا فِيهِ، مَتَى يَعْرِفُهُ النَّاسُ إِذَا لَمْ تَذْكُرُوهُ؟!»[٦].

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠١) كتاب «البر والصلة والأداب» باب: تحريم الغيبة (٧٠/ ٢٥٨٩)، وأبو داود (٢/ ٦٨٥) كتاب «الأدب» باب: في الغيبة (٤٨٧٤)، والترمذي (٤/ ٣٢٩) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في الغيبة (١٩٣٤)، وأحمد (٢/ ٢٣٠، ٣٨٦، ٤٥٨).

(٢) ينظر ما قبله.

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٠٦) باب: في تحريم أعراض الناس (٦٧٤١) عن أبي سعيد الخدري، وجابر.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٤ ـ ٩٥): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه عباد بن كثير الثقفي وهو متروك ا هـ.
وللبيهقي رواية عن أنس في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٠٦) (٦٧٤٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥١).

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٨٥ ـ ٦٨٦) كتاب «الأدب» باب: في الغيبة (٤٨٧٨)، وذكره الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٥٩) (٥٣٣).

(٦) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢١٠) كتاب «الشهادات» باب: الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث، فيقول: كفوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع، أو أنه لا يبصر الفتوى.
قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ١١٤)، رواه ابن أبي الدنيا، وابن عدي، والطبراني، والخطيب عن معاوية بن حيدة، وقال في «التمييز»: أخرجه أبو يعلى، ولا يصح. ا هـ.
=

* ت *: وهذا الحديث خَرَّجه أيضاً أبو بكر ابن الخطيب بسنده عن بَهْزٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، عنِ النبي ﷺ قال: «أَتَرْعَوُونَ عَنْ ذِكْرِ الْفَاجِرِ، اذْكُرُوهُ بِمَا فِيهِ؛ يَحْذَرْهُ النَّاسُ»(١) ولم يذكر في سنده مَطْعَناً، انتهى، ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «بِئْسَ ابنُ الْعَشِيرَةِ»(٢).

ثُمَّ مَثَّلَ تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم الميت، ووقف تعالى على جهة التوبيخ بقوله: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فكذلك فاكرهوا الغِيبَةَ، قال أبو حيان(٣): ﴿فكرهتموه﴾ قيل: خبر بمعنى الأمر، أي: فاكرهوه، وقيل على بابه، فقال الفَرَّاءُ: فقد كرهتموه، فلا تفعلوه، انتهى.

وقد روى البخاريُّ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفرِ إلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ»(٤) وفي رواية مسلم: «مَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوّ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ـ إلاَّ حَارَ عَلَيْهِ»(٥) وفي الصحيحين عنه ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»(٦) انتهى، وباقي الآية بَيِّنٌ.

= قال ابن حبان في «**المجروحين**» (١/ ٢٢٠): الجارود بن يزيد العامري ـ أبو علي من أهل نيسابور، يروي عن بهز بن حكيم، والثوري، روى عنه سلمة بن شعيب يتفرد بالمناكير عن المشاهير، ويروي عن الثقات ما لا أصل له، روى عن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده قال: «أتنزعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه كي يحذر الناس» ا هـ.

وجدُّ بهز بن حكيم هو معاوية بن حيدة.

(١) انظر الحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٨٦) كتاب «الأدب» باب: ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب (٦٠٥٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٠٢) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: مداراة من يتقى فحشه (٧٣، ٧٣/ ٢٥٩١)، وأبو داود (٢/ ٦٦٦) كتاب «الأدب» باب: في حسن العشرة (٤٧٩٢)، والترمذي (٤/ ٢٥٩) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في المداراة (١٩٩٦)، ومالك (٢/ ٩٠٣) كتاب «حسن الخلق» باب: ما جاء في حسن الخلق (٤)، وأحمد (٦/ ١٥٨).

(٣) ينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ١١٤).

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٧٩) كتاب «الأدب» باب: ما ينهى عن السباب واللعن (٦٠٤٥)، وأحمد (٥/ ١٨١).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٢٨٠) ـ الأبي كتاب «الإيمان» باب: بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم. (١١٢/ ٦١)، وأحمد (٥/ ٢٦٦).

(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٣١) كتاب «الأدب» باب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٦١٠٤)، ومسلم (١/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠)، كتاب «الإيمان» باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١١١/ ٦٠) عن عبد الله بن دينار، والترمذي (٥/ ٢٢) كتاب «الإيمان» باب: ما جاء فيمن رمى أخاه بكفر (٢٦٣٧)

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ (١٣) ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (١٤)﴾

وقوله تعالى: ﴿يٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ...﴾ الآية: المعنى: يأيها الناس، أنتم سواء من حيثُ أنتم مخلوقون، وإنَّما جعلتم قبائل؛ لِأَنْ تتعارفوا، أوْ لِأَنْ تعرفوا الحَقَائِقَ، وَأَمَّا الشرفُ والكرمُ فهو/ بتقوى اللّٰه تعالى وسلامة القلوب، وقرأ ابن مسعود: ١٩١أ
«لِتَعَارَفُوا بَيْنَكُمْ وَخَيْرُكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقَاكُمْ»[1] وقرأ ابن عباس: «لِتَعْرِفُوا أَنَّ»[2] عَلَى وزن «تَفْعَلُوا» بكسر العين ـ وبفتح الهمزة من «أَنَّ»، وَرُوِيَ أَنَّ النبي ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ، فَلْيَتَّقِ اللّٰه[3]» وأمَّا الشعوب فهو جمع شَعْبٍ، وهو أعظم ما يوجد من جماعات الناس مرتبطاً بنسب واحد؛ كمُضَرٍ ورَبِيعَةَ وحِمْيَرَ، ويتلوه القبيلة، ثم العمارة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، والأسرة وهما قرابة الرجل الأَدْنَوْنَ، ثم نَبَّهَ سبحانه على الحذر بقوله: ﴿إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي: بالمتقي الذي يستحق رُتْبَةَ الكرم، وَخرَّج مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «إِنَّ اللّٰهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ»[4] وروى أبو داودَ والتِّرْمِذِيُّ عن النبي ﷺ أَنَّهُ قال: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ، إِنَّما هُمْ فَحْمٌ مِنْ جَهَنَّمَ ـ أَوْ لَيَكُونُنَّ عَلَى اللّٰهِ أَهْوَنَ مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخُرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللّٰهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا؛ إِنَّما هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»[5] انتهى، ونقله البغويُّ في «مصابيحه».

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٣).

(٢) وقرأ بها أبان عن عاصم. قال أبو الفتح: المفعول هنا محذوف، أي: لتعرفوا ما أنتم محتاجون إلى معرفته من هذا الوجه.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ٢٨٠)، و«الشواذ» ص: (١٤٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٥٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ١١٦)، و«الدر المصون» (٦/ ١٧٢).

(٣) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٧٣) وقال: رواه البيهقي، وأبو يعلى، والطبراني، وأبو نعيم، والحاكم عن ابن عباس رضي اللّٰه عنهما مرفوعاً، لكن قال البيهقي في «الزهد»: تكلموا في هشام بن زياد أحد رواة الحديث.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٩) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، وأهل النار (٦٤/ ٢٨٦٥)، وأبو داود (٢/ ٦٩١) كتاب «الأدب» باب: في التواضع (٤٨٩٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٩) كتاب «الزهد» باب: البراءة من الكبر، والتواضع (٤١٧٩).

(٥) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٥٢) كتاب «الأدب» باب: في التفاخر بالأحساب (٥١١٦) بنحوه، والترمذي (٥/ ٧٣٤) كتاب «المناقب» باب: في فضل الشام واليمن (٣٩٥٥)، وأحمد (٢/ ٥٢٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ قال مجاهد: نزلت في بني أسد[١]، وهي قبيلة كانت تجاور المدينة، أظهروا الإسلام، وفي الباطن إنَّما يريدون المغانمَ وَعَرَضَ الدنيا، ثم
٩١ ب أمر اللَّه تعالى نَبِيَّهُ أَنْ يقول لهؤلاء المُدَّعِينَ للإيمان:/ ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: لم تصدقوا بقلوبكم، ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أي: استسلمنا، والإسلام يقال بمعنيين:

أحدهما: الذي يَعُمُّ الإيمانَ والأعمالَ، وهو الذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمَ﴾ [آل عمران: ١٩] والذي في قوله ـ عليه السلام ـ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ»[٢].

والمعنى الثاني للفظ الإسلام: هو الاستسلام، والإظهار الذي يُسْتَعْصَمُ به ويحقن الدم، وهذا هو الذي في الآية، ثم صَرَّحَ بأَنَّ الإيمان لم يدخل في قلوبهم، ثم فتح باب التوبة بقوله: ﴿وإِنْ تُطِيعُوا اللَّه وَرَسُولَهُ...﴾ الآية، **وقرأ** الجمهور: «لاَ يَلِتْكُمْ» من «لاَتَ يَلِيتُ» إذا نقص؛ يقال: لاَتَ حَقَّهُ إذا نَقَصَهُ منه، **وقرأ** أبو عمرو: «لاَ يَأْلِتْكُمْ» من «أَلَتَ يَأْلِتُ»[٣] وهي بمعنى لاَتَ.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّما المُؤْمِنُونَ﴾ إنما هنا حاصرة.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ أي: لم يشكوا، ثم أمر اللَّه تعالى نَبِيَّه ـ عليه السلام ـ بتوبيخهم بقوله: ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي: بقولكم آمنا، وهو يعلم منكم خلافَ ذلك؛

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٣٩٩) برقم: (٣١٧٧٥)، وذكره ابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢١٩)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١١١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) تقدم.

(٣) وحجة أبي عمرو في قراءته، قوله تعالى: ﴿وما ألتناهم﴾ [الطور: ٢١] فـ«ألتناهم» مضارعه «يألتكم».
وحجة الباقين: أنهم زعموا أنه ليس في الكتاب ألف، ولو كانت منه كتبت بالألف، كما يكتب في يأمر، ويأبق.
ينظر: **«الحجة»** (٦/ ٢١٠ ـ ٢١١)، و**«السبعة»** (٦٠٦)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٢٥)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ١٥ ـ ١٦) و**«العنوان»** (١٧٨)، و**«حجة القراءات»** (٦٧٦)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٨٧).

لِأَنَّهُ العليم بكل شيء.

وقوله سبحانه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ نزلت في بني أسد أيضاً، **وقرأ** ابن مسعود: «يَمنُّونَ عَلَيْكَ إِسْلاَمَهُمْ» **وقرأ** ابن كثير وعاصم في رواية: «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ»[1].

---

(١) ينظر: «السبعة» (٦٠٦)، و«الحجة» (٦/ ٢١١)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٦)، و«العنوان» (١٧٨)، و«حجة القراءات» (٦٧٧)، و«شرح شعلة» (٥٨٨)، و«إتحاف» (٢/ ٤٨٧).

تَفسِيرُ سُورَةِ «قٓ»

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢
أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ۝٤ بَلْ
كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً
وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩
وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ
كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾

قوله عز وجل: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ قال مجاهد، والضَّحَّاك، وابن زيد، وعِكْرَمَةُ:
١٩٢ ق اسم الجبل المحيط بالدنيا، وهو فيما يزعمون أَنَّهُ من/ زمردة خضراء، منها خُضْرَةُ السماء وخضرة البحر(١)، وقيل في تفسيره غير هذا، و﴿المجيد﴾: الكريم في أوصافه الذي جمع كُلَّ مَعْلاَةٍ، و﴿قٓ﴾ مُقْسَمٌ به وبالقرآن؛ قال الزَّجَّاجُ(٢): وجواب القسم محذوف تقديره: قٓ والقرآن المجيد لتبعثن، قال * ع(٣) *: وهذا قول حسن، وأحسن منه أَنْ يكون الجواب هو الذي يقع عنه الإِضراب ببل، كأَنَّه قال: والقرآنِ المجيد ما رَدُّوا أمرك بحجة، ونحو هذا، مِمَّا لا بُدَّ لك من تقديره بعد الذي قَدَّره الزَّجَاجُ، وباقي الآية بَيِّنٌ مِمَّا تقدم في «صٓ» و«يونس» وغيرهما، ثم أخبر تعالى؛ رَدًّا على قولهم بِأَنَّهُ سبحانه يعلم ما تأكل الأرضُ من ابن آدم، وما تُبْقِي منه، وأَنَّ ذلك في كتاب، والحفيظ: الجامع الذي لم يَفُتْهُ شيء؛ وفي الحديث الصحيح: «إِنَّ الأَرْضَ تَأْكُلُ ابْنَ آدَمَ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ» وهو عَظْمٌ

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٢٠) عن عكرمة، والضحاك، وابن عطية (٥/ ١٥٥)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١١٥)، وعزاه لعبد الرزاق عن مجاهد.
(٢) ينظر: **«معاني القرآن»** (٥/ ٤١).
(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٥٥).

كالخَرْدَلَةِ، فمِنْهُ يُرَكَّبُ ابن آدم(١)، قال * ع(٢) *: وحِفْظُ ما تنقص الأرض إنَّما هو ليعودَ بعينه يومَ القيامة، وهذا هو الحَقُّ؛ قال ابن عباس والجمهور: المعنى: ما تنقص من لحومهم وأبشارهم وعظامهم(٣)، وقال السُّدِّيُّ: ﴿ما تنقص الأرض﴾ أي: ما يحصل في بطنها من موتاهم(٤)، وهذا قول حسن مضمنه الوعيد، والمريج: معناه المختلط؛ قاله ابن زيد(٥)، أي: بعضُهم يقول: ساحر، وبعضهم يقول: كاهن، وبعضهم يقول: شاعر، إلى غير ذلك من تخليطهم، قال * ع(٦) *: والمريج: المضطرب أيضاً، وهو قريب من الأول؛ ومنه مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ، ومن الأَوَّلِ ﴿مَرَجَ البحرين﴾ [الفرقان: ٥٣].

٩٢ ب ثم دَلَّ تعالى على العبرة بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ/ ...﴾ الآية، ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ أي: بالنجوم، والفروج: الفطور والشقوقُ خلالها وأثناءها؛ قاله مجاهد وغيره(٧).

* ت *: وقال الثعلبي بأثر كلام للكسائي: يقول: كيف بنيناها بلا عَمَدٍ، وَزَيَّنَّاها بالنجوم، وما فيها فتوق؟ ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ أي: بسطناها على وجه الماء، انتهى، والرواسي: الجبال، والزوج: النوع، والبهيج: الحَسَنُ المنظر؛ قاله ابن عباس وغيره(٨)، والمنيب: الراجع إلى الحَقِّ عن فكرة ونظر؛ قال قتادة(٩): هو المُقْبِلُ إلى اللّه تعالى،

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤١٤) كتاب «التفسير» باب: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السمٰوات ومن في الأرض...﴾ (٤٨١٤)، (٨/ ٥٥٨) كتاب «التفسير» باب: ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾ (٤٩٣٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٧٠) كتاب «الفتن» باب: ما بين النفختين (١٤١/ ٢٩٥٥)، وابن ماجه (٢/ ١٥٤) كتاب: «الزهد»، باب: ذكر القبر والبلى (٤٢٦٦)، ومالك (١/ ٢٣٩) كتاب «الجنائز» باب: جامع الجنائز (٤٨).

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٧) برقم: (٣١٨٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٢٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١١٦)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٧) برقم: (٣١٨٠٣) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٧).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٨) برقم: (٣١٨١٣)، وابن عطية (٥/ ١٥٧).

(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٥٧).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٩) برقم: (٣١٨١٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٧)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٢٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١١٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد.

(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٤٠٩) برقم: (٣١٨١٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١١٦)، وعزاه للطستي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما.

(٩) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٠) برقم: (٣١٨١٩)، وذكره ابن عطة (٥/ ١٥٧)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١١٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير.

وخَصَّ هذا الصنف بالذكر؛ تشريفاً لهم من حيثُ انتفاعُهُم بالتبصرة والذكرى، ﴿وحَبَّ الحصيد﴾: البُرُّ، والشعير، ونحوُهُ مِمَّا هو نبات مُحَبَّبٌ يُحْصَدُ؛ قال أبو حيان[1]: ﴿وحب الحصيد﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته على قول الكوفيين، أو على حذف الموصوف وإقامة الصفة مُقَامه، أي: حب الزرع الحصيد على قول البصريين، و﴿باسقات﴾ حال مُقَدَّرَةٌ؛ لِأَنَّهَا حالةَ الإنبات ليست طوالاً، انتهى، و﴿باسقات﴾: معناه طويلات ذاهبات في السماء، والطَّلْعُ أول ظهور التمر في الكُفَرَّى، قال البخاريُّ: و﴿نضيد﴾ معناه: مَنْضُودٌ بعضُه على بعض، انتهى، ووصف البلدة بالميت على تقدير القطر والبلد.

ثم بَيَّنَ سبحانه موضع الشَّبَهِ فقال: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ يعني: من القبور، وهذه الآيات كلها إنَّما هي أَمْثِلَة وأَدِلَّة على البعث، ﴿وأَصحاب الرَّسِّ﴾: قوم كانت لهم بئر عظيمة، وهي الرَّسُّ، وكُلُّ ما لم يُطْوَ من بئر، أو مَعْدِنٍ، أو نحوه فهو رَسٌّ، وجاءهم
١٩٣ أ نبيٌّ/ يُسَمَّى حَنْظَلَةَ بن سفيان ـ فيما رُوِيَ ـ فجعلوه في الرَّسِّ وردموا عليه، فأهلكهم اللَّهُ، وقال الضَّحَّاك: الرَّسُّ بئر قُتِلَ فيها صاحب «يس»[2]، وقيل: إنَّهم قوم عاد، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿كُلٌّ﴾ قال سيبويه: التقدير: كُلُّهم، والوعيد الذي حَقَّ: هو ما سبق به القضاءُ من تعذيبهم.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَفَعَيِينَا﴾ توقيف للكفار، وتوبيخ، والخلق الأَوَّلُ: إنشاء الإنسان من نُطْفَةٍ على التدريج المعلوم، وقال الحسن[3]: الخلق الأول: آدم، واللَّبْسُ: الشَّكُّ والريب، واختلاط النظر، والخَلْقُ الجديد: البعث من القبور.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ. . .﴾ الآية: الإنسان: اسم جنس، و﴿تُوَسْوِسُ﴾ معناه: تتحدث في فكرتها، والوسوسةُ إنَّما تُسْتَعْمَلُ في غير الخير.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾: عبارة عن قُدْرَةِ اللَّه على العبد،

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٢١).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٢) برقم: (٣١٨٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٥٨).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٥٩).

وكون العبد في قبضة القدرة والعلم قد أُحِيط به، فالقرب هو بالقدرة والسُّلطان، إذ لا يَنْحَجِبُ عن علم اللّه لا باطنٌ ولا ظاهر، والوريد: عرق كبير في العُنُقِ، ويقال: إِنَّهما وريدان عن يمين وشمال.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ فقال المفسرون: العامل في إذ ﴿أقرب﴾ ويحتمل عندي أَنْ يكون العاملُ فيه فعلاً مُضمَراً تقديره: اذكر إذ يتلقى المتلقيان، و﴿المتلقيان﴾: المَلَكَانِ المُوَكَّلان بكل إنسان، مَلَكُ اليمين الذي يكتب الحسناتِ، وملك الشمال الذي يكتب السيِّئات؛ قال الحسن: الحَفَظَةُ أربعة: اثنان بالنهار، واثنان بالليل[1]، قال * ع[2] *: ويؤيد ذلك الحديث الصحيح: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ، مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ»[3] الحديث/ بكماله، ويُرْوَى أَنَّ مَلَك اليمين أمير على ملك الشمال، وأَنَّ العبد إذا ٩٣ ب
أذنب يقول ملك اليمين للآخر: تَثَبَّتْ؛ لَعَلَّهُ يتوبُ؛ رواه إبراهيم التيمي، وسفيان الثوري، و﴿قعيد﴾: معناه قاعد.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ...﴾ الآية، قال الحسن بن أبي الحسن وقتادة: يكتب الملكانِ جميعَ الكلام، فيثبت اللّه من ذلك الحسناتِ والسيئات، ويمحو غيرَ هذا[4]، وهذا هو ظاهر هذه الآية، قال أبو الجوزاء، ومجاهد: يكتبان عليه كُلَّ شيء حتى أنينه في مرضه[5]، وقال عِكْرِمَةُ: يكتبان الخير والشَّرَّ فقط[6]؛ قال * ع[7] *: والأَوَّلُ أصوب.

* ت *: وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «كُلُّ شَيْءٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ، إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً، فَأَحَبَّ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللّه، فَلْيَأْتِ، فَلْيَمُدَّ يَدَيْهِ إِلَى اللّهِ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٦) برقم: (٣١٨٦٣) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٠).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٠).
(٣) تقدم.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٧) برقم: (٣١٨٦٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٠).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٧) برقم: (٣١٨٦٨) عن ابن زيد، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٢)، وابن عطية (٥/ ١٦٠)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لابن المنذر عن مجاهد.
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٦) برقم: (٣١٨٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٢)، وابن عطية (٥/ ١٦٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١١٩)، وعزاه لابن المنذر.
(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٠).

عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْهَا، لاَ أَرْجِعُ إِلَيْهَا أَبَداً، فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُ مَا لَمْ يَرْجِعْ في عَمَلِهِ ذَلِكَ» رواه الحاكم في «**المستدرك**»، وقال: صحيح على شرط الشيخين، يعني البخاريَّ ومسلماً[١]، انتهى من «**السِّلاح**»، قال النَّوَوِيُّ - رحمه اللَّه تعالى -: ينبغي لكل مُكَلَّفٍ أنْ يحفظ لسانه من جميع الكلام إلاَّ كلاماً تظهر فيه مصلحته، ومتى استوى الكلامُ وتركه بالمصلحة فالسُّنَّةُ الإمساكُ؛ فإنَّهُ قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وهذا هو الغالب، والسلامة لا يعدلها شيءٌ، وقد صَحَّ عنه ﷺ فيما رواه البخاريُّ ومسلم أَنَّه قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ»[٢] وهو نَصٌّ صريح
١٩٤أ فيما قلناه، قال: ورُوِّينا في «**كتاب الترمذيِّ**»/ و«**ابن ماجه**» عن النبي ﷺ أَنَّه قال: «مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لاَ يَعْنِيهِ» قال الترمذيُّ: حديث حسن[٣]، وفيه عن عُقْبَةَ بن عامر «قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ» قال الترمذيُّ: حديث حسن[٤]، وفيه عنه ﷺ قَالَ: «مَنْ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ» قال الترمذيُّ: حديث حسن[٥]، انتهى، والرقيب: المُرَاقِبُ، والعتيد: الحاضر.

---

(١) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (١/ ١٢٩)، (٤/ ٢٦١).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) تقدم.
(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥٨) كتاب «الزهد» باب: (١١) (٢٣١٧)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥ - ١٣١٦) كتاب «الفتن» باب: كف اللسان في الفتنة(٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة.
قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ إلا من هذا الوجه.
والحديث أخرجه أحمد (١/ ٢٠١)، هذا اللفظ، وله رواية أخرى بلفظ «من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه»، كلاهما من حديث علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه.
قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٨/ ٢١): رواه أحمد، والطبراني في الثلاثة، ورجال أحمد و«**الكبير**» ثقات، وعن زيد بن ثابت، رواه الطبراني في «**الصغير**» وفيه محمد بن كثير بن مروان وهو ضعيف.
(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٥) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٢/ ٩).
قال الترمذي: هذا حديث حسن.
(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠٦) كتاب «الزهد» باب: ما جاء في حفظ اللسان (٢٤٠٩)، والحاكم (٤/ ٣٥٧)، وابن حبان (١٣/ ٩ - ١٠) كتاب «الحظر والإباحة» باب: ما يكره من الكلام وما لا يكره، ذكر البيان بأن من عصم من فتنة فمه وفرجه رُجي له دخول الجنة (٥٧٠٣).
قال الترمذي: أبو حازم الذي روى عن أبي هريرة اسمه: سلمان مولى عزة الأشجعية وهو كوفي، وأبو حازم الذي روى عن سهل بن سعد هو: أبو حازم الزاهد مدني، واسمه: سلمة بن دينار، وهذا حديث

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ﴾ عطف، عندي، على قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ فالتقدير: وإذ تجيء سكرة الموت.

* ت *: قال شيخُنا، زينُ الدين العراقيُّ في أرجوزته: [الرجز]

وَسَكْرَةُ الْمَوْتِ ٱخْتِلاَطُ الْعَقْلِ ....

البيت. انتهى.

وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ معناه: بلقاء اللَّهِ، وَفَقْدُ الحياة الدنيا، وفراقُ الحياة حَقٌّ يعرفه الإِنسانُ، ويحيد منه بأمله، ومعنى هذا الحيد أَنَّه يقول: أعيش كذا وكذا، فمتى فكر حاد بذهنه وأمله إلى مسافة بعيدة من الزمان، وهذا شأن الإنسان، حَتَّى يفْجَئه الأجل؛ قال عَبْدُ الحَقِّ في «**العاقبة**»: وَلَمَّا ٱحْتَضَرَ مالك بن أنس، ونزل به الموتُ قال لمن حضره: لَيُعَايِنَنَّ الناسُ غداً من عفو اللَّه وَسَعَةِ رحمته ما لم يخطر على قلب بشر، كُشِفَ له ـ رضي اللَّه عنه ـ عن سعة رحمة اللَّه وكثرة عفوه وعظيم تجاوُزِهِ ما أوجب أَنْ قال هذا، وقال أبو سليمان الدارانيُّ: دخلنا على عابد نزوره، وقد حضره الموتُ، وهو يبكي، فقلنا له: ما يبكيك ـ رحمك اللَّه؟! ـ فأنشأ يقول: [الطويل]

وَحُقَّ لِمِثْلِي الْبُكَا عِنْدَ مَوْتِهِ ... وَمَالِيَ لاَ أَبْكِي/ وَمَوْتِي قَدِ ٱقْتَرَبْ ٩٤ ب

وَلِي عَمَلٌ فِي اللَّوْحِ أَحْصَاهُ خَالِقِي ... فَإِنْ لَمْ يَجُدْ بِالْعَفْوِ صِرْتُ إِلَى الْعَطَبْ

انتهى، و﴿يوم الوعيد﴾: هو يوم القيامة، والسائِقُ: الحاثُّ على السير، واختلف الناسُ في السائق والشهيد، فقال عثمان بن عفان وغيره: هما مَلَكَانِ مُوَكَّلاَنِ بكل إنسان أحدهما يسوقه، والآخر مِنْ حَفَظَتِهِ يشهد عليه[1]، وقال أبو هريرة: السائق: مَلَكٌ،

حسن غريب.

وفي الباب من حديث عطاء بن يسار نحوه، أخرجه مالك في «**الموطأ**» (٢/ ٩٨٧ ـ ٩٨٨) كتاب «الكلام» باب: ما جاء فيما يخاف من اللسان (١١).

وفي الباب من حديث سهل بن سعد، أخرجه البخاري (١١/ ٣١٤) كتاب «الرقاق» باب: حفظ اللسان، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت (٦٤٧٤)، (١٢/ ١١٥) كتاب «الحدود» باب: فضل من ترك الفواحش (٦٨٠٧) نحوه.

وفي الباب عن رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٢).

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤١٨) برقم: (٣١٨٧١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦١)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٢٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٢٣)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في «**الكنى**»، وابن مردويه، والبيهقي في «**البعث والنشور**»، وابن عساكر عن عثمان بن عفان.

والشهيد: العمل[١]، وقيل: الشهيد: الجوارح، وقال بعض النظار: سائق اسم جنس وشهيد كذلك، فالسَّاقَةُ للناس ملائكة مُوَكَّلُون بذلك، والشهداء: الحَفَظَةُ في الدنيا، وكل مَنْ يشهد.

وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يعمُّ الصالحين وغيرهم؛ فإنَّما معنى الآية شهيد بخيره وشَرِّهِ، ويقوى في شهيد اسم الجنس، فتشهد الملائكة، والبِقَاعُ والجوارحُ؛ وفي الصحيح: «لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ إِنْسٌ، وَلاَ جِنٌّ، وَلاَ شَيْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كُنتَ﴾ قال ابن عباس وغيره: أَي: يقال للكافر[٣]: لقد كنتَ في غفلة من هذا، فلمَّا كُشِفَ الغطاءُ عنك الآنَ احْتَدَّ بصرُك، أي: بصيرتك؛ وهذا كما تقول: فلان حديد الذِّهْنِ ونحوه، وقال مجاهد[٤]: هو بصر العين، أي: احْتَدَّ التفاته إلى ميزانه، وغيرِ ذلك من أهوال القيامة.

والوجه عندي، في هذه الآية، ما قاله الحسن وسالم بن عبد اللّه[٥]: إنَّها مُخَاطَبَةٌ للإنسان ذي النفس المذكورة من مؤمن وكافر، وهكذا، قال الفخر[٦]: قال: والأقوى أنْ يقال: هو خطاب عامٌّ مع السامع، كأنَّهُ يقول: ذلك ما كنتَ منه تحيد أيُّها السامع، انتهى،
١٩٥ وينظر إلى معنى كشف/ الغطاء قول النبي ﷺ: «النَّاسُ نِيَامٌ، فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا»[٧].

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٣)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم في «الكنى»، وابن مردويه، والبيهقي.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٠٤) كتاب «الأذان» باب: رفع الصوت بالنداء (٦٠٩)، (٦/ ٣٩٥) كتاب «بدء الخلق» باب: ذكر الجن وثوابهم وعقابهم (٣٢٩٦)، (١٣/ ٥٢٨) كتاب «التوحيد» قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة، وزينوا القرآن بأصواتكم»، (٧٥٤٨)، وابن ماجه (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) كتاب «الأذان والسنة فيه» باب: فضل الأذان وثواب المؤذنين (٧٢٣)، ومالك (١/ ٦٩) كتاب «الصلاة» باب: ما جاء في النداء للصلاة (٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١/ ٢٠٣) كتاب «الصلاة» باب: فضل الأذان ورفع الصوت به وشهادة من يسمعه من حجر ومدر وشجر وجن وإنس للمؤذن، (٣٨٩)، والحميدي (٢/ ٣٢١)، (٧٣٢)، وأحمد (٣/ ٦) كلهم عن أبي سعيد الخدري مع اختلاف يسير في اللفظ.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٢٠) برقم: (٣١٨٨٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٣)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٢٢٣)، وابن عطية (٥/ ١٦٢).

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦٢).

(٦) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ١٤٢).

(٧) أورده الغزالي في «الإحياء» (٤/ ٢٣).

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ قال جماعة من المفسرين: يعني قرينه من زبانية جهنم، أي: قال هذا العذاب الذي لدي لهذا الكافر، حاضر، وقال قتادة وابن زيد[1]: بل قرينه المُوَكَّلُ بسوقه، قال * ع[2] *: ولفظ القرين اسم جنس، فسائقه قرين، وصاحبُه من الزبانية قرين، وكاتب سيئاته في الدنيا قرين، والكُلُّ تحتمله هذه الآية، أي: هذا الذي أحصيتُهُ عليه عتيد لَدَيَّ، وهو مُوجِبُ عذابه، والقرين الذي في هذه الآية غيرُ القرين الذي في قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ إذ المقارنة تكون على أنواع.

وقوله سبحانه: ﴿أَلْقِيَا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ المعنى: يقال: أَلْقِيَا في جهنَّمَ، واخْتُلِفَ لمن يُقَالُ ذلك، فقال جماعة: هو قول لِمَلَكَيْنِ من ملائكة العذاب.

وقال عبد الرحمن بن زيد[3]: هو قول للسائق والشهيد.

وقال جماعة من أهل العلم باللغة: هذا جارٍ على عادة كلام العرب الفصيح أنْ يُخَاطَبَ الواحدُ بلفظ الاثنين؛ وذلك أَنَّ العربَ كان الغالبُ عندها أنْ يترافق في الأسفار ونحوها ثَلاَثَةٌ، فَكُلُّ واحد منهم يخاطِبُ اثنين، فَكَثُرَ ذلك في أشعارها وكلامها، حَتَّى صار عُرْفاً في المخاطبة، فاسْتُعْمِلَ في الواحد، ومن هذا قولهم في الأشعار:

[من الطويل]

خَـــلِـــيـــلَـــيَّ .... [4]

= قال العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس»: هو من قول علي بن أبي طالب، لكن عزاه الشعراني في «الطبقات» لسهل التُسْتُري، ولفظه في ترجمته ومن كلامه: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، وإذا ماتوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم اهـ.

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦٢).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٣).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦٣).

(٤) مطلع قصيدة لامرىء القيس، وتمام البيت:

... مُـــرَّا بِـــي عَـــلَـــى أُمِّ جُـــنْـــدَبِ نُـقَـضِّـي لُـبَـانَـاتِ الـفُـؤَادِ الـمُـعَـذَّبِ

ينظر: «ديوانه» ص: (٤١).

و

صَــــاحِـــــبَـــــيَّ........ .... (١)

[ومن الطويل]

قِـــفَـــا نَـــبْـــكِ........ .... (٢)

ونحوه.

وقال بعض المتأولين: المراد «أَلْقِيَنْ»، فَعُوِّضَ من النون ألفٌ، وقرأ الحسن بن أبي

٩٥ ب الحسن: «أَلْقِياً» بتنوين الياء[٣]، و«عنيد» معناه: عَانِدٌ عن الحق، أي: مُنْحَرِفٌ/ عنه.

وقوله تعالى: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ لفظ عامٌّ للمالِ والكلام الحَسَنِ والمُعَاوَنَةِ على الأشياء، و﴿مُعْتَدٍ﴾ معناه: بلسانه ويده.

---

(١) وجاء منه قول أبي تمام [الكامل]:

يَـا صَـاحِـبَـيَّ تَـقَـضَّـيَـا نَـظَـرَيْـكُـمَـا   تَـرَيَـا وُجُـوهَ الـرَّوْضِ كَـيْـفَ تُـصَـوَّرُ

وجاء منه مخاطبة الصاحب بالمثنى كقول الشاعر:

وَقُـلْـتُ لِـصَـاحِـبِـي لاَ تَـحْـبِـسَـانَـا   بِـنَـزْعِ أُصُـولِـهِ وَاجْـدَزَّ شِـيـحَـا

البيت من الوافر، وهو لمضرّس بن ربعي في «شرح شواهد الشافية» ص: (٤٨١)، وله أو ليزيد بن الطثريّة في «لسان العرب» (٥/ ٣١٩ ـ ٣٢٠) (جزز)، و«المقاصد النحوية» (٤/ ٥٩١)، وبلا نسبة في «الأشباه والنظائر» (٨/ ٨٥)، و«خزانة الأدب» (١١/ ١٧)، و«سر صناعة الإعراب» ص: (١٨٧)، و«شرح الأشموني» (٣/ ٨٧٤)، و«شرح شافية ابن الحاجب» (٣/ ٢٢٨)، و«شرح المفصل» (١٠/ ٤٩)، والصاحبي في «فقه اللغة» ص: (١٠٩، ٢١٨)، و«لسان العرب» (٤/ ١٢٥) (جرر)، و«المقرب» (٢/ ١٦٦)، و«الممتع في التصريف» (١/ ٣٥٧).

(٢) مطلع قصيدة لامرىء القيس، وتمام البيت:

...... مِـنْ ذِكْـرَى حَـبِـيـبٍ وَمَـنْـزِلِ   بِـسِـقْـطِ الـلِّـوَى بَـيْـنَ الـدَّخُـولِ وَحَـوْمَـلِ

ينظر: «ديوانه» ص: (٨)، و«الأزهية» ص: (٢٤٤)، و«جمهرة اللغة» ص: (٥٦٧)، و«الجنى الداني» ص: (٦٣ ـ ٦٤)، و«خزانة الأدب» (١/ ٣٣٢، ٣/ ٢٢٤)، و«الدرر» (٦/ ٧١)، و«سرّ صناعة الإعراب» (٢/ ٥٠١)، و«شرح شواهد الشافية» ص: (٢٤٢)، و«شرح شواهد المغني» (١/ ٤٦٣)، و«الكتاب» (٤/ ٢٠٥)، و«لسان العرب» (١٥/ ٢٠٩) (قوا)، (٤٢٨)، و«مجالس ثعلب» ص: (١٢٧)، و«همع الهوامع» (٢/ ١٢٩)، وبلا نسبة في «الإنصاف»(٢/ ٦٥٦)، و«أوضح المسالك» (٣/ ٣٥٩)، و«جمهرة اللغة» ص: (٥٨٠)، و«خزانة الأدب» (١١/ ٦)، و«الدرر» (٦/ ٨٢)، و«رصف المباني» ص: (٣٥٣)، و«شرح الأشموني» (٢/ ٤١٧)، و«شرح شافية ابن الحاجب» (٢/ ٣١٦)، و«شرح قطر الندى» ص: (٨٠)، والصاحبي في «فقه اللغة» ص: (١١٠)، و«مغني اللبيب» (١/ ١٦١، ٢٦٦)، و«المنصف» (١/ ٢٢٤)، و«همع الهوامع» (٢/ ١٣١).

(٣) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٤٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٨٤)، و«الكشاف» (٤/ ٣٨٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٢٥)، و«الدر المصون» (٦/ ١٧٨).

وقوله سبحانه: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ...﴾ الآية، يحتمل أنْ يكون ﴿الذي﴾ بدلاً من ﴿كفار﴾، أو صفةً له، وَيَقْوَى عندي أنْ يكونَ ﴿الذي﴾ ابتداءً ويتضمن القولُ حينئذ بني آدم والشياطينَ المغوينَ لهم في الدنيا، ولذلك تَحَرَّكَ القرينُ، الشيطانُ المُغْوِي، فرام أَنْ يُبْرِىءَ نفسه ويخلصها بقوله: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾.

وقوله: ﴿ربنا ما أطغيته﴾ ليست بحجة؛ لِأَنَّهُ كَذَبَ أَنْ نفى الإطغاء عن نفسه جملةً، وهو قد أطغاه بالوسوسة والتزيينِ، وأَطغاه اللَّه بالخلق والاختراع حسب سابق قضائه الذي هو عدل منه، سبحانه لا رَبَّ غيرُه.

وقوله سبحانه: ﴿لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ معناه: قال اللَّه: لا تختصموا لديَّ بهذا النوع من المقاولة التي لا تفيد شيئاً ﴿وقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ وهو ما جاءت به الرسلُ والكتب، وجُمِعَ الضمير؛ لِأَنَّه مخاطبة لجميع القرناء؛ إِذ هو أمر شائع لا يقف على اثنين فقط.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي: لا ينقض ما أبرمه كلامي من تعذيب الكفرة، ثم أزال سبحانه موضعَ الاعتراض بقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: هذا عدل فيهم؛ لِأَنِّي أنذرت، وأمهلت، وأنعمتُ، **وقرأ** الجمهور: «يَوْمَ نَقُولُ» بالنون، **وقرأ** نافع
١٩٦ أ وعاصم في رواية أبي بكر بالياء، وهي قراءة أهل المدينة/[١]، قال * ع[٢] *: والذي يترجَّحُ في قول جهنم: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ أَنَّها حقيقة، وأَنَّها قالت ذلك، وهي غير ملأى، وهو قول أنس بن مالك، ويبين ذلك الحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ لِجَهَنَّمَ: هَلِ امْتَلأْتِ؟ وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟! حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»[٣] ولفظ البخاريِّ عن أبي هريرةَ قال: قال النبي ﷺ:

---

(١) ينظر: **«السبعة»** (٦٠٧)، و**«الحجة»** (٦/ ٢١٣)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٢٧)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ١٧)، و**«العنوان»** (١٧٩)، و**«حجة القراءات»** (٦٧٨)، و**«شرح شعلة»** (٥٨٨)، و**«إتحاف»** (٢/ ٤٨٩).

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٥٥٤) كتاب «الأيمان والنذور» باب: الحلف بعزة اللَّه وصفاته وكلماته، برقم: (٦٦٦١)، ومسلم (٤/ ٢١٨٧) كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها»: باب: الناريدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٣٧، ٣٧ ـ ٣٨/ ٢٨٤٨)، والترمذي (٥/ ٣٩٠) كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة ق (٣٢٧٢)، وأحمد (٣/ ١٣٤، ١٤١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٤)، والخطيب في **«تاريخ بغداد»** (٥/ ١٢٧)

تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: مَا لِيَ، لاَ يَدْخُلُنِي إلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟! فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلْنارِ: إنَّما أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِىءُ حَتَّى يَضَعَ [الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ][1] فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَاكَ تَمْتَلِىءُ وَيَزْوِي بَعْضُهَا إلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحداً، وَأَمَّا الجَنَّةُ فَإنَّ اللَّهَ يُنْشِىءُ لَهَا خَلْقاً»[2] انتهى، قال * ع[3] *: ومعنى: «قدمه» ما قَدَّمَ لها من خلقه وجعلهم في علمه ساكنيها؛ ومنه: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] ومِلاَكُ النظر في هذه الحديث أنَّ الجارحةَ، والتشبيهَ، وما جرى مجراه ـ مُنْتَفٍ كُلُّ ذلك عن اللَّه سبحانه، فلم يبقَ إلاَّ إخراجُ اللفظ على الوجوه السائغة في كلام العرب.

﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ﴾ معناه: قُرِّبَتْ، ولما احتمل أنْ يكونَ معناه بالوعد والإخبار رفع الاحتمال بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قال أبو حيان[4]: ﴿غير بعيد﴾ أي: مكاناً غيرَ بعيد؛ فهو منصوب على الظرف، وقيل: منصوب/ على الحال من الجنة، انتهى. ٩٦ ب

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ يحتمل أنْ يكونَ معناه: يقال لهم في الآخرة عند إزلاف الجنة: هذا الذي كنتم توعدون به في الدنيا، ويحتمل أنْ يكون خطاباً لِلأُمَّةِ، أي: هذا ما توعدون أيُّها الناس ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾: والأَوَّابُ: الرَّجَّاعُ إلى الطاعة وإلى مراشد

(٢٥٥١) عن أنس بن مالك نحوه.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(١) سقط في: د.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٤٦٠) كتاب «التفسير» باب: وتقول هل من مزيد(٤٨٥٠)، ومسلم (٤/ ٢١٨٦ ـ ٢١٨٧) كتاب «الجنة وصفة نعيمها» باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (٣٥ ـ ٣٦/ ٢٨٤٦)، (٢٨٤٧) نحوه، والنسائي (٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥) كتاب «النعوت» باب: قوله: ﴿ولِتُصْنَعَ على عيني﴾، (٧٧٤٠/٨)، وابن حبان (١٦/ ٤٨٢) كتاب «إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة» باب: وصف الجنة وأهلها (٧٤٤٧).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٦٥).

(٤) ينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ١٢٦).

نفسه، وقال ابن عباس وعطاء[١]: الأَوَّابُ: المُسَبِّحُ؛ من قوله: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠] وقال المُحَاسِبِيُّ[٢]: هو الراجع بقلبه إلى ربه، وقال عبيد بن عمير[٣]: كُنَّا نتحدث أَنَّه الذي إذا قام من مجلسه استغفر اللّه مِمَّا جرى في ذلك المجلس، وكذلك كان النبيُّ ﷺ يفعل[٤]، والحفيظ معناه: لأوامر اللّه، فيمتثلها، ولنواهيه فيتركها، وقال ابن عباس[٥]: حفيظ لذنوبه حَتَّى يرجعَ عنها، والمُنِيبُ: الراجع إلى الخير المائِلُ إليه؛ قال الدَّاوُودِيُّ[٦]: وعن قتادَةَ ﴿بقلب منيب﴾ قال: مُقْبِلٌ على اللّه سبحانه، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ادْخُلُوهَا﴾ أي: يقال لهم: ادخلوها.

وقوله عز وجل: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ خبر بأَنَّهم يُعْطَوْنَ آمالهم أجمع، ثم أبهم تعالى الزيادةَ التي عنده للمؤمنين المُنَعَّمِينَ، وكذلك هي مُبْهَمَةٌ في قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وقد فسر ذلك الحديثُ الصحيحُ، وهو قوله ـ عليه السلام ـ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ: مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، بَلْهَ مَا اطَّلَعْتُمْ عَلَيْهِ[٧] قال * ع[٨] *: وقد ذكر الطبريُّ وغيره في تعيين هذا المزيد أحاديثَ مطولة، وأشياء ضعيفة؛ لأَنَّ/ اللّه تعالى يقول: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ﴾ وهم يعينونها تكلفاً ١٩٧أ
وتعسفاً.

وقوله تعالى: ﴿فَنَقَّبُوا في الْبِلاَدِ﴾ أي: ولجوا البلادَ من أنقابها؛ طمعاً في النجاة من الهلاك ﴿هَلْ مِنْ مَحِيص﴾ أي: لا محيصَ لهم، وقرأ ابن عباس وغيره: «فَنَقِّبُوا» على

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٢٨) برقم: (٣١٩٢٦) عن ابن عباس، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٥)، وابن عطية (٥/ ١٦٦).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦٦).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٦٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٦)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن المنذر.
(٤) ذكره الهندي في «كنز العمال» (٧/ ١٥٣) برقم: (١٨٤٧٨)، وعزاه إلى ابن السني عن عبد اللّه الحضرمي.
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٢٨) برقم: (٣١٩٣٣)، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٥)، وابن عطية (٥/ ١٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٦)، وعزاه لابن جرير، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن التميمي.
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٤٢٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٢٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.
(٧) تقدم.
(٨) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٦٦).

الأمر لهؤلاء الحاضرين[(١)].

* ت *: وعبارة البخاريِّ «فَنَقَّبُوا»: ضربوا[(٢)]، وقال الداوودي: وعن أبي عبيدة ﴿فنقبوا في البلاد﴾: طافوا، وتباعدوا، انتهى.

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني: إهلاك مَنْ مضى ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ أي: تذكرة، والقلبُ عبارة عن العقل؛ إذْ هو مَحِلُّهُ، والمعنى: لمن كان له قلب واعٍ ينتفعُ به، وقال الشبليُّ: معناه: قلب حاضر مع اللَّه، لا يغفلُ عنه طرفةَ عين.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ معناه: صَرَفَ سَمْعَهُ إلى هذه الأنباء الواعظة، وأثبته في سماعها ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ قال بعض المتأولين: معناه: وهو مشاهِد مُقْبلٌ على الأمر، غيرُ مُعْرِضٍ ولا مُفكِّرٍ في غير ما يسمع.

* ت *: ولفظ البخاريِّ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ أي: لا يحدث نفسَه بغيره ﴿شهيد﴾ أي: شاهد بالقلب، انتهى، قال المُحَاسِبيُّ في «**رعايته**»: وقد أَحْبَبْتُ أَنْ أَحُضَّكَ على حُسْنِ الاستماع؛ لتدركَ به الفهمَ عن اللَّه عز وجل في كُلِّ ما دعاك إليه؛ فإنَّه تعالى أخبرنا في كتابه أَنَّ مَنِ استمع كما يُحِبُّ اللَّهُ تعالى وَيَرْضَى، كان له فيما يستمع إليه ذِكْرَى، يعني: اتعاظاً، وإذا سَمَّى اللَّه عز وجل لأحد من خلقه شَيْئاً فهو له كما سَمَّى، وهو واصل إليه كما أخبر؛ قال عز وجل: ﴿إِنَّ في ذلك لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
٩٧ب السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾/ قال مجاهد[(٣)]: شاهد القلب، لا يُحَدِّثُ نفسَه بشيء ليس بغائب القلب، فَمَنِ استمع إلى كتاب اللَّه عز وجل، أو إلى حكمة، أو إلى علم، أو إلى عِظَةٍ، لا يُحَدِّثُ نفسَه بشيء غيرِ ما يستمع إليه، قَدْ أشهد قَلْبَهُ ما استمع إليه، يريدُ اللَّهَ - عز وجل به -: كان له فيه ذكرى؛ لِأَنَّ اللَّه تعالى قال ذلك، فهو كما قال عز وجل، انتهى كلام المحاسبيِّ، وهو دُرٌّ نفيس، فَحَصِّلْهُ، واعملْ به تَرْشُدْ، وقد وجدناه، كما قال، وباللَّه التوفيق.

---

(١) وقرأ بها أبو العالية، ويحيى بن يعمر، ونصر بن سيار.
ينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٢٨٥)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٦٧)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٢٧)، وزاد نسبتها إلى أبي حيوة، والأصمعي عن أبي عمرو. وهي في «**الدر المصون**» (٦/ ١٨١).
(٢) ينظر: «**صحيح البخاري**» (٨/ ٤٥٨)، تفسير سورة (قٓ).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٣) برقم: (٣١٩٥٢)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٢٩)، وعزاه للفريابي، وابن جرير.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ...﴾ الآية: خَبَرٌ مضمَّنه الرَّدُّ على اليَهُودِ الذين قالوا: إنَّ اللَّه خلق الأشياء كلها، ثم استراح يَوْمَ السبت، فنزلت: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ واللُّغوب: الإعياء والنَّصَبُ.

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: ما يقوله الكفرة من أهل الكتاب وغيرِهم، وعَمَّ بذلك جميعَ الأقوال الزائِغَةِ من قريش وغيرهم ﴿وَسَبِّحْ﴾ معناه: صَلِّ بإجماعٍ من المتأولين.

* ت *: وفي الإجماع نظر؛ وقد قال الثعلبيُّ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل سبحان اللَّه والحمدُ للَّه؛ قاله عطاء الخُرَاسَانِيُّ، انتهى، ولكن المخرَّجُ في الصحيح إنما هو أمر الصلاة، وقال ابن العربيِّ في «أحكامه»[١]: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنَّه تسبيحُ اللَّهِ في الليل، ويَعْضُدُ هذا القولَ الحديثُ الصحيحُ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»[٢] الحديثَ، وقد ذكَرْنَاهُ في سورة «المزمل».

والثاني: أنَّها صلاةُ الليل.

والثالث: أنَّها ركعتا الفجر.

/ والرابع: أنَّها صلاة العشاء الآخرة، انتهى. ٩٨ أ

وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الباء للاقتران، أي: سَبِّح سبحة يكون معها حَمْدٌ، و﴿قَبْلَ

(١) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٧٢٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٤٨) كتاب «التهجد» باب: فضل من تعارَّ من الليل فصلى (١١٥٤)، وأبو داود (٢/ ٧٣٤)، كتاب «الأدب» باب: ما يقول الرجل إذا تعار من الليل (٥٠٦٠)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٦) كتاب «الدعاء» باب: ما يدعو به إذا انتبه من الليل (٣٨٧٨)، والترمذي (٥/ ٤٨٠)، كتاب «الدعوات» باب: ما جاء في الدعاء إذا انتبه من الليل (٣٤١٤)، وأحمد (٥/ ٣١٣)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢١٥) كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا انتبه من منامه (١٠٦٩٧/ ٩)، وابن حبان (٦/ ٣٣١) كتاب «الصلاة» باب: فصل في قيام الليل (٢٥٩٦).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ الباء للاقتران، أي: سَبِّح سبحة يكون معها حَمْدٌ، و﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ هي الصبح، ﴿وقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾: هي العصر؛ قاله ابن زيد والناس[(١)]، وقال ابن عباس[(٢)]: الظهر والعصر، ﴿ومن الليل﴾: هي صلاة الْعِشَاءَيْنِ، وقال ابن زيد[(٣)]: هي العشاء فقط، وقال مجاهد[(٤)]: هي صلاة الليل.

وقوله: ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب وجماعة[(٥)]: هي الرَّكْعَتَانِ بعد المغرب، وأسنده الطبريُّ عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ[(٦)] قال * ع[(٧)] *: كَأَنَّهُ رُوعِيَ أدبارُ صلاة النهار، كما رُوعي أدبار النجوم في صلاة الليل، وقال ابن عباس أيضاً، وابن زيد، ومجاهد[(٨)]: هي النوافل إثر الصلوات، وهذا جارٍ مع لفظ الآية، **وقرأ** نافع، وابن كثير، وحمزة: «وَإِدْبَارَ» بكسر الهمزة، وهو مصدر، **وقرأ** الباقون بفتحها، وهو جمع دُبُر؛ كطُنُب وأَطْنَاب[(٩)]، أي: وفي أدبار السجود، أي: في أعقابه.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ واستمع بمنزلة: وانتظر،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٥) برقم: (٣١٩٧٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٨).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٢٢٦)، وابن عطية (٥/ ١٦٨).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٥) برقم: (٣١٩٧١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣٠)، وعزاه لابن جرير.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٥) برقم: (٣١٩٧٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٧)، وابن عطية (٥/ ١٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣٠)، وعزاه لابن جرير.
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٦) برقم: (٣١٩٧٥) عن علي رضي الله عنه، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٧)، وابن عطية (٥/ ١٦٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٣٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣١)، وعزاه لابن المنذر، ومحمد بن نصر.
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٧) برقم: (٣١٩٨٥).
(٧) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٦٩).
(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٤٣٨) برقم: (٣١٩٩٧) عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ١٦٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣٠)، وعزاه لابن جرير.
(٩) ينظر: «**الحجة**» (٦/ ٢١٣)، و«**السبعة**» (٦٠٧)، و«**معاني القراءات**» (٣/ ٢٧)، و«**شرح الطيبة**» (٦/ ١٧)، و«**حجة القراءات**» (٦٧٨)، و«**العنوان**» (١٧٩)، و«**شرح شعلة**» (٥٨٨)، و«**إتحاف**» (٢/ ٤٨٩).

وكذا، أي: كُنْ مُنتظراً له، مستمعاً له، فعلى هذا فَنَصْبُ «يوم» إنَّما هو على المفعول الصريح.

وقوله سبحانه: ﴿مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ قيل: وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق، ورُوِيَ عن النبي ﷺ: «إِنَّ مَلَكاً يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ: أَيَّتُهَا الأَجْسَامُ الْهَامِدَةُ، وَالْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، ـ وَالرِّمَمُ الذَّاهِبَةُ ـ هَلُمِّي إِلَى الْحَشْرِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» والصيحة: / هي صيحة المنادي، والخروج: هو من القبور، ويومُه هو يومُ القيامة، ويومُ الخروج في ٩٨ ب الدنيا: هو يوم العيد.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾: معادل لقول الكفرة: ﴿ذلك رجع بعيد﴾ [قٓ: ٣].

وقوله سبحانه: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ وعيد محض للكفرة.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ قال الطبري وغيره(١): معناه: وما أنت عليهم بمُسَلَّطٍ، تُجْبِرُهُمْ على الإيمان.

وقال قتادة(٢): هو نهيٌ من اللَّه تعالى عن التجبر، والمعنى: وما أنت عليهم بمتعظم من الجبروت، وروى ابن عباس أَنَّ المؤمنين قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ خَوَّفْتَنَا! فَنَزَلَتْ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِي﴾(٣).

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٤٣٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٠) برقم: (٣٢٠٠٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٠) برقم: (٣٢٠٠٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٢).

تفسير سورة «الذاريات»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِ المُفَسِّرِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾

قوله عز وجل: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً. . .﴾ الآية، أقسم اللَّه عز وجل بهذه المخلوقات؛
تنبيهاً عليها، وتشريفاً لها، ودَلاَلَةً على الاعتبار فيها، حَتَّى يصيرَ الناظرُ فيها إلى توحيد اللَّه
عز وجل، فقوله: ﴿والذاريات﴾: هي الرياح بإجماعٍ و﴿ذَرْواً﴾ نُصِبَ على المصدر،
و﴿الحاملات وقراً﴾ قال عليٌّ: هي السحاب، وقال ابن عباس وغيره[(١)]: هي السفن
الموقورة بالناس وأمتعتهم، وقال جماعة من العلماء: هي أيضاً مع هذا جميع الحيوانِ
الحامل، وفي جميع ذلك مُعْتَبَرٌ، و﴿الجاريات يسراً﴾ قال عليٌّ وغيره[(٢)]: هي السفن في
البحر، وقال آخرون: هي السحاب، وقال آخرون: هي الكواكب؛ قال * ع[(٣)] *: واللفظ
١٩٩ أ يقتضي جميعَ هذا، و﴿يسراً﴾ نعت لمصدر محذوف، وصفات/ [المصادر المحذوفة تعود
أحوالاً، و﴿يسراً﴾ معناه: بسهولة و«الْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً»: الملائكة، والأمر هنا: اسم جنس،
فكأنَّه قال: والجماعات التي تقسم أمورَ الملكوت، من الأرزاق، والآجال، والخلق في
الأرحام، وأمر الرياح والجبال، وغير ذلك؛ لِأَنَّ كُلَّ هذا إِنَّما هو بملائكة تخدمه، وأَنَّثَ
«المقسمات» من حيث أراد الجماعات، وهذا القَسَمُ واقع على قوله: ﴿إِنَّما تُوعَدُونَ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٢) برقم: (٣٢٠٢١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧١)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٣١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣٣)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، والحارث بن أبي أسامة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «**المصاحف**»، والحاكم وصححه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٧١).

(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ١٧١).

لَصَادِقٌ. . .﴾ الآية، و﴿توعدون﴾ يحتمل أنْ يكونَ من الوعد، ويحتمل أَنْ يكون من الإيعاد، وهو أَظهر، و﴿الدين﴾: الجزاء، وقال مجاهد: الحساب[١].

ثم أقسم تعالى بمخلوق آخر، فقال: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ والحُبُكُ: الطرائق التي هي على نظام في الأجرام، ويقال لما تراه من الطرائق في الماء والرمال إذا أصابته الريحُ: حبك، ويقال لِتَكَسُّرِ الشعر: حُبُك، وكذلك في المنسوجات من الأكسية وغيرها طرائِقُ في موضع تداخل الخيوط هي حبك؛ وذلك لجودة خِلْقَةِ السماء؛ ولذلك فَسَّرَها ابن عباس وغيره[٢] بذات الخلق الحَسَنِ وقال الحسن[٣]: حُبُكُهَا كَوَاكِبُها.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أنْ يكون خطاباً لجميع الناس، أي: منكم مؤمن بمحمد، ومنكم مُكَذِّبٌ له، وهو قول قتادة[٤]، ويحتمل أَنْ يكونَ خطاباً للكفرة فقط؛ لقول بعضهم: شاعر، وبعضهم: كاهن، وبعضهم: ساحر، إلى غير ذلك؛ وهذا قول ابن زيد[٥].

و﴿يُؤْفَكُ﴾ معناه: يُصْرَفُ، أي: يصرف من الكفار عن كتاب الله مَنْ صُرِفَ مِمَّنْ غلبت عليه شَقَاوَتُهُ، وعُرْفُ الاستعمال في «أفك» إِنَّما هو في الصرف من خير إلى شَرٍّ.

وقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾ دعاءٌ عليهم؛ كما تقول: قاتلك الله، وقال بعض المفسرين. معناه: لُعِنَ الخرَّاصون، وهذا تفسير لا يعطيه اللفظ.

* ت *: والظاهر ما قاله هذا المُفَسِّرُ؛ قال عِيَاضٌ في **«الشفا»** وقد يقع القتل بمعنى اللعن؛ قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾ و﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٤) برقم: (٣٢٠٣٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٢).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٥) برقم: (٣٢٠٤٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٣٢).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٥) برقم: (٣٢٠٥٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٢٩)، وابن عطية (٥/ ١٧٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٣٢).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٦) برقم: (٣٢٠٦٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٣)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٣٢).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٦) برقم: (٣٢٠٦١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٣).

أي: لعنهم اللَّه، انتهى، وقد تقدَّم للشيخ عند قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦] قال: كُلُّ ما كان بلفظ دعاء من جهة اللَّه عز وجل، فَإِنَّما هو بمعنى إيجاب الشيء؛ لِأَنَّ اللَّه تعالى لا يدعو على مخلوقاته، انتهى بلفظِهِ، وظاهِرُهُ مخالف لما هنا، وسيبينه في «سورة البروج»، والخَرَّاصُ: المُخَمِّنُ القائل بِظَنِّهِ، والإشارة إلى مُكَذِّبي النبي ﷺ، والغَمْرَةُ: ما يَغْشَى الإِنسانَ ويغطيه؛ كغمرة الماء، و﴿ساهون﴾ معناه: عن وجوه النظر.

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء، وذلك منهم على جهة الاستهزاء.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

وقوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ قال الزَّجَّاجُ[١]: التقدير: هو كائن يومَ هم على النار يُفْتَنُونَ، و﴿يفتنون﴾ معناه: يُحْرَقُونَ ويُعَذَّبُون في النار؛ قاله ابن عباس والناس[٢]، وفَتَنْتُ الذهبَ أحرقتُه، و﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: حرقكم وعذابكم؛ قاله قتادة وغيره[٣].

﴿إِنَّ المتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ...﴾ الآية، روى الترمذيُّ عن النبي ﷺ قال: «لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّىٰ يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ؛ حَذَراً لِمَا بِهِ البَأْسُ» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن[٤]، انتهى، وقوله سبحانه في المتقين: ﴿آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: مُحَصِّلِينَ ما أعطاهم رَبُّهم سبحانه من جناته، ورضوانه، وأنواع كراماته ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾: يريد في الدنيا ﴿مُحْسِنِينَ﴾: بالطاعات] والعمل الصالح.

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» (٥/ ٥٢).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٤٩) برقم: (٣٢٠٧٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٠) برقم: (٣٢٠٩٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٤) كتاب «صفة القيامة» باب: (٩) (٢٤٥١)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٩) كتاب «الزهد» باب: الورع والتقوى (٤٢١٥)، والبيهقي (٥/ ٣٣٥) كتاب «البيوع» باب: كراهية مبايعة من أكثر ماله من الربا أو ثمن المحرم، والطبراني (١٧/ ١٦٩)، (٤٤٦)، والحاكم (٤/ ٣١٩).
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

* ت *: وروى التِّرمِذِيُّ عن سعد بن أبي وَقَّاص، عن النبي ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ، فَبَدَا أَسَاوِرُهُ، لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ؛ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُوم»[1] انتهى، ومعنى قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أَنَّ نومهم كان قليلاً؛ لاشتغالهم بالصلاة والعبادةِ، والهجوعُ: النومُ، وقد قال الحسن في تفسير هذه الآية: كابَدُوا قيامَ الليل، لا ينامون منه إلاَّ قليلاً[2]، وأَمَّا إعرابُ الآية فقال الضَّحَّاكُ في كتاب الطبريِّ: ما يقتضي أَنَّ المعنى: كانوا قليلاً في عددهم، وتَمَّ خبرُ «كان»، ثم ابتدأ ﴿من الليل ما يهجعون﴾ فما نافية و﴿قليلاً﴾ وقف حسن، وقال جمهور النحويين: ما مصدريَّةٌ و﴿قليلاً﴾ خبرُ ﴿كان﴾، والمعنى: كانوا قليلاً من الليل هجوعُهُم، وعلى هذا الإعراب يجيء قولُ الحسن وغيرِهِ، وهو الظاهر عندي أَنَّ المراد كان هُجُوعُهُمْ من الليل قليلاً؛ قيل لبعض التابعين: مَدَحَ اللَّهُ قوماً ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ ونَحْنُ قليلاً من الليل ما نقوم! فقال: رَحِمَ اللَّهُ امرأً رقد إذا نعس، وأطاع رَبَّه إذا استيقظ.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَبالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قال الحسن[3]: معناه: يدعون في طَلَبِ المغفرة، ويُرْوَى أَنَّ أبوابَ الجنة تُفْتَحُ سَحَرَ كُلِّ ليلة، قال ابن زيد[4]: السَّحَرُ: السُّدُسُ الآخر من الليل، والباء في قوله ﴿بالأسحار﴾ بمعنى في؛ قاله أبو البقاء، انتهى، ومن كلام [ابن] الجوزي في «المُنْتَخَبِ»: يا أخي، علامةُ المَحَبَّةِ طلبُ الخَلْوَةِ بالحبيب، وبيداءُ اللَّيل / فلواتُ الخلوات، لَمَّا ستروا قيامَ الليل في ظلام الدُّجَى؛ غَيْرَةً أَنْ يَطَّلِعَ الغيرُ عليهم ٩٩ ب
ـ سترهم سبحانه بسترٍ ـ، ﴿فلا تعلم نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قُرَّةِ أعين﴾ [السجدة: ١٧]، لَمَّا صَفَتْ خلواتُ الدُّجَى، ونادى أذان الوصال: أقم فلاناً، وأنم فلاناً ـ خرجت بالأسماء

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٨)، كتاب «صفة الجنة» باب: ما جاء في صفة أهل الجنة، وأحمد (١/ ١٧١)، والبخاري في «**التاريخ الكبير**» (٦/ ٢٠٨) (٢١٩٠)، وابن المبارك في «**الزهد**» (٢/ ١٢٦) (٤١٦).
قال الترمذي: هذا الحديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٣) برقم: (٣٢١١٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٢٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣٤)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٦) برقم: (٣٢١٤٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٣٥)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن نصر، وابن جرير، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٥٦) برقم: (٣٢١٤٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٥).

الجرائد؛ وفاز الأحبابُ بالفوائد، وأنت غافل راقد. آهٍ لو كنتَ معهم! أسفاً لك! لو رأيتهم لأبصرتَ طلائِعَ الصِّدِّيقِينَ في أول القوم، وشاهدتَ سَاقَةَ المستغفرين في الرَّكْبِ، وسَمِعْتَ استغاثة المُحِبِّينَ في وسط الليل، ، لو رأيتهم يا غافلُ، وقد دارت كُؤوسُ المناجات؛ بين مزاهر التلاوات، فأسكَرَتْ قَلْبَ الواجدِ، ورقمت في مصاحف الوجنات. تعرفهم بسيماهم، يا طويلَ النوم، فاتتك مِدْحَةُ ﴿تتجافى﴾ [السجدة: ١٦]، وَحُرِمْتَ مِنْحَةَ ﴿والمستغفرين﴾ [آل عمران: ١٧]، يا هذا، إنَّ للَّه تعالى ريحاً تُسَمَّى الصَّبِيحَةَ مخزونةً تحتَ العرش، تَهُبُّ عند الأسحار، فتحمل الدعاء والأنين والاستغفار إلى حضرة العزيز الجَبَّارِ، انتهى.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ...﴾ الآية، الصحيح أَنَّها مُحْكَمَةٌ وأنَّ هذا الحق هو على وجه الندب، و﴿معلوم﴾ [المعارج: ٢٤] يُرَادُ به: مُتَعَارَفٌ، وكذلك قيامُ الليل الذي مدح به ليس من الفرائض، وأكثر ما تقع الفضيلةُ بفعل المندوبات، والمحروم هو الذي تَبْعُدُ عنه مُمْكِنَاتُ الرزق بعد قربها منه، فيناله حرمان وَفَاقَةٌ، وهو مع ذلك لا يسأل، فهذا هو الذي له حَقٌّ في أموال الأغنياء، كما للسائل حَقٌّ، وما وقع من ذكر الخلاف فيه فيرجع إلى هذا،
١٠٠أ وبعد هذا محذوف تقديره: فكونوا/ أَيُّها الناسُ مثلَهم وعلى طريقهم، ﴿وفي الأَرْضِ آياتٌ﴾: لمن اعتبر وأيقن.

وقوله سبحانه: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ إحالة على النظر في شخص الإنسان، وما فيه من العِبَرِ، وأمرِ النفسِ، وحياتِهَا، ونطقِهَا، واتصالِ هذا الجزء منها بالعقل؛ قال ابن زيد: إنَّما القلب مُضْغَةٌ في جوف ابن آدم، جَعَلَ اللَّه فيه العقل، أفيدري أحد ما ذلك العقل، وما صِفَتُه، وكيف[١] هو.

* ت *: قال ابن العربيّ في رحلته: اعلم أَنَّ معرفة العبد نَفْسَهُ من أولى ما عليه وآكدِهِ؛ إِذْ لاَ يَعْرِفُ رَبَّه إلاَّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ؛ قال تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ وغير ما آية في ذلك، ثم قال: ولا ينكر عاقل وُجُودَ الرُّوحِ من نفسه، وإِنْ كان لم يدركْ حقيقتَه، كذلك لا يَقْدِرُ أنْ يُنْكِرَ وُجُودَ الباري سبحانه الذي دَلَّتْ أفعاله عليه، وإِنْ لم يدركْ حقيقته، انتهى.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦٠) برقم: (٣٢١٧٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٥).

وقوله سبحانه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ قال مجاهد وغيره[١]: هو المطر، وقال واصل الأحدب: أراد القضاء والقدر[٢]، أي: الرزق عند اللّه يأتي به كيف شاء سبحانه لا رَبَّ غيرُه، و﴿تُوْعَدُونَ﴾ يحتمل أَنْ يكونَ من الوعد، ويحتمل أَنْ يكونَ من الوعيد؛ قال الضَّحَّاكُ. المُرَادُ: من الجنة والنار[٣]، وقال مجاهد[٤]: المرادُ: الخيرُ والشَّرُّ، وقال ابن سيرين[٥]: المراد: الساعة، ثم أقسم سبحانه بنفسه على صِحَّةِ هذا القول والخبر، وشَبَّهَهُ في اليقين به بالنُّطْقِ من الإنسان، وهو عنده في غاية الوضوح، و«ما» زائدة تعطي تأكيداً، والنطق في هذه الآية هو الكلام/ بالحروف والأصوات في ترتيب المعاني، ورُوِيَ أَنَّ بَعْضَ ١٠٠ ب
الأعراب الفصحاء سَمِعَ هذه الآيَةَ فقال: مَنْ أَحْوَجَ الكريمَ إلى أَنْ يحلف؟! والحكاية بتمامها في كتاب الثعلبيِّ، وسبل الخيرات، ورُوِيَ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ قَوْماً، أَقْسَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ» ورَوَى أبو سعيد الخُدَرِيُّ أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «لَوْ فَرَّ أَحَدُكُمْ مِنْ رِزْقِهِ لَتَبِعَهُ كَمَا يَتْبَعُهُ المَوْتُ»[٦] وأحاديث الرزق كثيرة، ومن كتاب **«القصد إلى اللّه سبحانه»** لِلْمُحَاسِبِيِّ: قال: قلتُ لشيخنا: من أين وقع الاضطرابُ في القلوب، وقد جاءها الضمانُ من اللّه عز وجل؟ قال: من وجهين.

أحدهما: قِلَّةُ المعرفة بحُسْنِ الظَّنِ، وإلقاءِ التُّهَمِ عن اللّه عز وجل.

والوجه الثاني: أنْ يعارضها خوفُ الفَوْت، فتستجيبَ النفسُ للداعي، ويَضْعُفَ اليقينُ، ويَعْدِمَ الصبرُ، فيظهرَ الجَزَعُ.

قلتُ: شيءٌ غيرُ هذا؟ قال: نعم، إنَّ اللّه عز وجل وَعَدَ الأرزاق، وضَمِنَ، وغَيَّبَ الأوقات؛ ليختبرَ أهلَ العقول، ولولا ذلك لكان كُلُّ المؤمنين راضين صابرين متوكِّلِين، لكنَّ اللّه عز وجل أعلمهم أَنَّهُ رازقهم، وحَلَفَ لهم على ذلك، وغَيَّبَ عنهم أوقاتَ العطاء،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣١).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٦)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٣٥).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣١)، وابن عطية (٥/ ١٧٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٣٧)، وعزاه لأبي الشيخ، وابن جرير.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٧)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣١)، وابن عطية (٥/ ١٧٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٣٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ١٧٦).
(٦) قال الهيثمي في **«مجمع الزوائد»** (٤/ ٧٥): رواه الطبراني في **«الأوسط»** و**«الصغير»** وفيه عطية العوفي وهو ضعيف. ا هـ.

فَمِنْ ها هنا عُرِفَ الخَاصّ من العامّ، وتفاوت العبادُ في الصبر، والرضا، واليقين، والتوكل، والسكون، فمنهم ـ كما علمتَ ـ ساكنٌ، ومنهم متحرك، ومنهم راض، ومنهم ساخط، ومنهم جَزِعٌ، فعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في المعرفة ـ تفاوتوا في اليقين، وعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في اليقين ـ تفاوتوا في السكون والرضا والصبر والتوكل .اهـ.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾

١٠١أ وقوله سبحانه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ...﴾/ الآية، قد تقدم قَصَصُهَا، و«عليم» أي: عالم، وهو إسحاق ـ عليه السلام ـ.

* ت *: ولنذكر هنا شيئاً من الآثار في آداب الطعام، قال النوويُّ: روى ابن السُّنِّيِّ بسنده عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ يقول في الطعام إذا قُرِّبَ إِلَيْهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، بِاسْمِ اللَّهِ» انتهى[(١)]، وفي «**صحيح مسلم**» عن جابر عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ ـ قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ، وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللَّه تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»[(٢)]، وفي «**صحيح مسلم**» عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَلاَّ يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ»[(٣)] الحديث، انتهى،

---

(١) أخرجه ابن السني (٤٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٥٩٨) كتاب «الأشربة» باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما (١٠٣/٢٠١٨)، وأبو داود (٢/٣٧٤) كتاب «الأطعمة» باب: التسمية على الطعام (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٢/١٢٧٩)، كتاب «الدعاء» باب: ما يدعو به إذا دخل بيته (٣٨٨٧)، وأحمد (٣/٣٤٦)، والبيهقي (٧/٢٧٦)، كتاب «الصداق» باب: التسمية على الطعام، والبخاري في «**الأدب المفرد**» (٣١٩) (١١٠٢).

(٣) أخرجه مسلم (٣/١٥٩٧) كتاب «الأشربة» باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما (١٠٢/٢٠١٧)، وأبو داود (٢/٣٧٤) كتاب «الأطعمة» باب: التسمية على الطعام (٣٧٦٦)، وأحمد (٥/٣٨٣)، والحاكم في «**المستدرك**» (٤/١٠٨).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وللحديث شاهد من رواية جابر بن عبد الله، أخرجه أبو داود (٢/٣٧٤) كتاب «الأطعمة»، باب:

والصَّرَّةُ: الصيحة[١]؛ كذا فسره ابن عباس وجماعة، قال الطبريُّ عن بعضهم[٢]: قَالَتْ: «أَوَّهْ»؛ بِصِيَاحٍ وتَعَجُّبٍ؛ وقال النَّحَّاسُ: ﴿في صرة﴾ في جماعة نسوة.

وقوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: معناه: ضربْت وَجْهَهَا؛ استهوالاً لما سمعت، وقال سفيان وغيره: ضَرَبَتْ بِكَفِّهَا جبهتها[٣]، وهذا مُسْتَعْمَلٌ في الناس حَتَّى الآن، وقولهم: ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي: كقولنا الذي أخبرناك.

وقوله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ بيانٌ يخرج عن مُعْتَادِ حجارة البَرَد التي هي من ماء، ويُرْوَى أنَّه طين طُبِخَ في نار جَهَنَّمَ حَتَّى صار حجارة كالآجر، و﴿مُسَوَّمَةً﴾ نعت لحجارة، ثم أخبر تعالى أنَّه أخرج بأمره مَنْ كان في قرية «لوط» مِنَ المؤمنين، منجياً لهم، وأعاد الضمير على القرية،/ وإنْ لم يجرِ لها قبل ذلك ذكر؛ لشهرة أمرها، قال المفسرون: ١٠١ ب
لاَ فَرْقَ بين تقدُّم ذكر المؤمنين وتأخُّرِهِ؛ وإنَّمَا هما وصفانِ ذَكَرَهُمْ أَوَّلاً بأحدهما، ثم آخراً بالثَّاني، قيل: فَالآية دالَّةٌ على أَنَّ الإيمان هو الإسلام، قال * ع[٤] *: ويظهر لي أَنَّ في المعنى زيادة تحسن التقديم للإيمان؛ وذلك أَنَّهُ ذكره مع الإخراج من القرية، كأَنَّهُ يقول: نفذ أمرنا بإخراج كُلِّ مؤمن، ولا يُشْتَرَطُ فيه أنْ يكون عاملاً بالطاعات؛ بلِ التصديق باللّه فقط، ثم لما ذكر حال الموجودين ذكرهم بالصفة التي كانوا عليها، وهي الكاملةُ التصديق والأعمالِ، والبيتُ من المسلمين هو بيتُ لوط ـ عليه السلام ـ وكان هو وابنتاه، وفي كتاب الثعلبيِّ: وقيل: لوط وأهل بيته ثلاثةَ عَشَرَ، وهلكت امرأتُه فيمن هلك، وهذه القصة ذُكِرَتْ على جهة ضرب المثل لقريش، وتحذيراً أنْ يصيبهم مثلُ ما أصاب هؤلاء.

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

التسمية على الطعام (٣٧٦٥)، والنسائي (٤/ ١٧٤)، كتاب «آداب الأكل» باب: ذكر اللّه تعالى وتبارك عند الطعام (٦٧٥٧/١).

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٨)، وابن كثير في «تفسيره» ((٤/ ٢٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٤٦٣).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦٤) برقم: (٣٢٢٠٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٨).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٧٩).

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: في القرية، وهي سدوم ﴿آيَةً﴾، قال أبو حيان[1]: ﴿وفي موسى﴾، أي: وفي قصة موسى، [انتهى].

وقوله سبحانه في فرعون: ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾ أي: أعرض عن أمر اللَّه، ورُكْنُهُ: هو سلطانه وجُنْدُهُ وشدَّةُ أمره، وقول فرعون في موسى: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ هو تقسيم، ظَنَّ أَنَّ موسى لا بُدَّ أَنْ يكونَ أَحَدَ هذين القسمين، وقال أبو عبيدةَ: «أو» هنا بمعنى الواو، وهذا ضعيف لا داعيةَ إِليه في هذا الموضع.

وقوله: ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: ما تدع من شيء أتتْ عليه مِمَّا أذِنَ لها
١٠٢ أ في إهلاكه ﴿إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: وهو الفاني المُتَقَطِّعُ؛ يبساً أو قِدَماً من الأشجار/ والوَرَقِ والعِظَام، ورُوِيَ في حديث: أَنَّ تلك الريح كانت تَهُبُّ على الناس فيهم العاديُّ وغيرُهُ، فَتَنْتَزِعُ العَادِيَّ من بين الناس وتذهب به.

وقوله سبحانه: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا﴾ أي: إذ قيل لهم في أول بَعْثِ صالح، وهذا قول الحَسَنِ[2]، ويحتمل: إِذْ قيل لهم بعد عَقْرِ الناقة: تمتعوا في داركم ثلاثة أيَّامٍ؛ وهو قول الفرَّاء[3].

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: يبصرون بعيونهم، وهذا قول الطبريِّ، ويحتمل أَنْ يريدَ وهم ينتظرون في تلك الأَيَّامِ الثلاثة، وهذا قول مجاهد[4].

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي: من مصارعهم؛ قاله بعض المفسرين، وقال قتادة وغيره[5]: معناه من قيام بالأمر النازل بهم ولا دَفْعِهِ عنهم.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ بالنصب، وهو عَطْفٌ إِمَّا على الضمير في قوله: ﴿فَأَخذتهم﴾، إِذْ هو بمنزلة أَهلكتهم، وإِمَّا على الضمير في قوله: ﴿فنبذناهم﴾.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٣٩).
(٢) ذكره ابن عطية(٥/ ١٨٠).
(٣) ينظر: المصدر السابق.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٠) برقم: (٣٢٢٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٠).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧١) برقم: (٣٢٢٤٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٤)، وابن عطية (٥/ ١٨١).

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ نُصِبَ بإضمار فعل تقديره: وَبَنَيْنَا السماء بَنيناها، والأيد: القوة؛ قاله ابن عباس وغيره[١] ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: في بناء السماء، أي: جعلناها واسعةً؛ قاله ابن زيد[٢].

أبو البقاء: ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ أي: نحن، فحذف المخصوص. انتهى.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ قال مجاهد: معناه: أَنَّ هذه إشارة إلى المتضادات والمتقابلات من الأشياء؛ كالليل والنهار، والشقاوة والسعادة، والهُدَى والضلال، والسماء والأرض، والسواد والبياض، والصِّحَّةِ والمرض، والإيمان والكفر، ونحو هذا، ورَجَّحَهُ الطبريُّ[٣] بأنَّه أَدَلُّ على القدرة التي تُوجِدُ الضدين، وقال ابن زيد وغيره[٤]: هي إشارة إلى الأنثى والذكر من كل حيوان.

١٠٢ ب * ت *: والأَوَّلُ أحسن؛ لشموله لما ذكره ابن/ زيد.

وقوله سبحانه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ...﴾ الآية أمر بالدخول في الإيمان وطاعَةِ الرحمٰن، وَنَبَّهَ بلفظ الفرار على أَنَّ وراءَ الناس عقاباً وعذاباً يفرُّ منه، فجمعتْ لفظةُ «فروا» بين التحذير والاستدعاء.

* ت *: وأسند أبو بكر، أحمد بن الحسين البيهقيُّ في **«دلائل النبوّة»** (تصنيفه) عن كَثِيرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ، عن أبيه، عن جَدِّهِ «أَنَّ رسول اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَ كَلاَماً مِنْ زَاوِيَتِهِ، وَإِذَا هُوَ بِقَائِلٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ، أَعِنِّي عَلَى مَا يُنْجِينِي مِمَّا خَوَّفْتَنِي، فَقَالَ

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٢) برقم: (٣٢٢٤٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨١)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٣٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٤٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في **«الأسماء والصفات»**.
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٢) برقم: (٣٢٢٥١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨١).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٢) برقم: (٣٢٢٥٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٤٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٣) برقم: (٣٢٢٥٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨١).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ: أَلاَ تَضُمُّ إِلَيْهَا أُخْتَهَا؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُمَّ، ارْزُقْنِي شَوْقَ الصَّادِقِينَ إِلَى مَا شَوَّقْتَهُمْ إِلَيْهِ» وفيه: «فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ، فَإِذَا هُوَ الخَضِرُ ـ عليه السلام ـ»، انتهى مختصراً[١].

وقوله تعالى: ﴿كذلك﴾ أي: سيرة الأمم كذلك؛ قال عياض: فهذه الآية ونظائرها تسليةٌ للنبيِّ ﷺ، عَزَّاهُ اللَّه ـ عز وجل ـ بما أخبر به عن الأُمَمِ السالفة ومقالها لأنبيائها، وأنَّه ليس أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ ذلك، انتهى من «الشفا».

وقوله سبحانه: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكَفَرَةِ في تكذيب الأنبياء على تَفَرُّقِ أزمانهم، أي: لم يتواصوا، لكنَّهم فعلوا فعلاً كأَنَّهُ فعل مَنْ تواصى، والعِلَّةُ في ذلك أَنَّ جميعهم طاغٍ، والطاغي المستعلي في الأرض، المُفْسِدُ.

وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: عنِ الحرص المُفْرِطِ عليهم، وذَهَابِ النفس حَسَرَاتٍ، ولستَ بملوم؛ إذ قد بَلَّغْتَ ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى﴾: نافعة للمؤمنين، ولمن قُضِيَ له أَنْ يكون منهم.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

١٠٢أ وقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾/ قال ابن عباس وعليٌّ[٢]: المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلاَّ لآمرهم بعبادتي، وليقرُّوا لي بالعبوديَّةِ، وقال زيد بن أسلمَ[٣] وسفيان: هذا خاصٌّ، والمراد: ما خلقت الطائعين من الجن والإنس إلاَّ لعبادتي، ويؤَيِّدُ هذا التأويلَ أَنَّ ابن عباس رَوَى عَن النبي ﷺ: أَنَّهُ قَرَأَ: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ»، وقال ابن عباس أيضاً[٤]: معنى ﴿ليعبدون﴾: ليتذللوا لي ولقدرتي، وإِنْ لم يكن ذلك على قوانينِ شرع، وعلى هذا التأويل فجميعهم من مُؤمن

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٩٣، ١٩٥).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٥) برقم (٣٢٢٦٣) (٣٢٢٦٥)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٥)، وابن عطية (٥/ ١٨٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٢) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٦) برقم (٣٢٢٦٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٣).

وكافر مُتَذَلِّلٌ للَّه عز وجل؛ أَلاَ تراهم عند القحوط والأمراض وغيرِ ذلك كيف يخضعون للَّه ويتذللون؟!.

* ت *: قال الفخر[(١)]: فإنْ قيل: ما العبادة التي خلق اللَّه الجن والإِنسَ لها؟ قلنا: التعظيم لأمر اللَّه، والشفقةُ على خلق اللَّه؛ فإنَّ هذين النوعينِ لم يَخْلُ شرعٌ منهما، وأَمَّا خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها: بالوضع والهيئة، والقِلَّةِ والكَثْرَةِ، والزَّمان والمكان، والشَّرَائِطِ والأركان، انتهى، ونقل الثعلبيُّ وغيره[(٢)] عن مجاهد: ﴿إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: ليعرفوني، قال صاحب «الكَلِمِ الفارقية»: المعرفة باللَّه تملأ القلبَ مَهَابَةً ومخافَةً، والعينَ عَبْرَةً وعِبْرَةً وحياءً وخَجْلَةً، والصَّدْرَ خُشُوعاً وَحُرْمَةً، والجوارحَ استكانةً وذِلَّةً وطاعةً وخدمةً، واللسانَ ذكراً وحمداً، والسمعَ إِصغاءً وَتفَهُّماً، والخواطِرَ في مواقف المناجات خموداً، والوساوِسَ اضمحلالاً، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: أنْ يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم.

وقوله: ﴿أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ أي: أنْ يطعموا خَلْقِيَ؛ قاله ابن عباس[(٣)]، ويحتمل أنْ
١٠٣ب يريد/: أنْ ينفعوني، و﴿المتين﴾: الشديد.

* ت *: ورُوِّينا في «كتاب التِّرمِذِيِّ» عن أبي هريرةَ عنِ النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، ورُوِّينا فيه عن أنس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ في قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ»[(٤)] انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: يريد أهل مَكَّةَ، والذَّنوب: الحَظُّ والنصيب،

---

(١) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٠٠).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٢٣٥).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٧٦) برقم: (٣٢٢٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٣).
(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٤٢ ـ ٦٤٣) كتاب «صفة القيامة» باب: (٣٠) (٢٤٦٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٦) كتاب «الزهد» باب: الهم بالدنيا (٤١٠٧)، وأحمد (٢/ ٣٥٨).
قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وأصله من الدَّلْوِ؛ وذلك أَنَّ الذَّنُوبَ هو مِلْءُ الدَّلْوِ من الماء، وكذا قال أبو حيان[١]: ﴿ذَنُوباً﴾، أي: نصيباً، انتهى، و﴿أصحابهم﴾: يُرَادُ بهم مَنْ تقدم من الأمم المُعَذَّبَةِ، وباقي الآية وعيد بَيِّنٌ.

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٤١).

تَفسِيرُ سُورَةِ «الطُّورِ»

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ۝١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ۝١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٦﴾

قوله عز وجل: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ...﴾ الآية، هذه مخلوقات أقسم اللَّه ـ عز وجل ـ بها؛ تنبيهاً على النظر والاعتبارِ بها، المؤدّي إلى توحيد اللَّه والمعرفة بواجب حَقِّه سبحانه؛ قال بعض اللغويين: كُلُّ جبلٍ طُورٌ، فكأنَّه سبحانه أقسم بالجبال، وقال آخرون: الطور: كُلُّ جبل أجردَ لا ينبت شجراً، وقال نوف البكاليُّ: المراد هنا جبل طُورِ سَيْنَاءَ، وهو الذي أقسم اللَّه به؛ لفضله على الجبال، والكتاب المسطور: معناه/ بإجماع: ١٠٤أ
المكتوبُ أسطاراً، واخْتَلَفَ الناس في هذا الكتاب المُقْسَم به، فقال بَعْضُ المُفَسِّرِينَ: هو الكتاب المُنْتَسَخُ من اللوح المحفوظ للملائكة؛ لتعرفَ منه جميعَ ما تفعله وتصرفه في العالم، وقيل: هو القرآن؛ إذ قد علم تعالى أنَّه يتخلد في رَقٍّ منشور، وقيل: هو الكُتُبُ المُنَزَّلَةُ، وقيل: هو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، وهو الذي لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً، والرَّقُّ: الورق المُعَدَّةُ للكتب، وهي مُرَقَّقَةٌ؛ فلذلك سُمِّيَتْ رَقًّا، وقد غلب الاستعمال على هذا الذي هو من جلود الحيوان، والمنشور خلاف المَطْوِيِّ، ﴿والبيت المعمور﴾: هو الذي ذُكِرَ في حديث الإسراء؛ قال جبريل للنبي ﷺ: هَذَا الْبَيْتُ المَعْمُورُ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ[1]، وبهذا هي عمارته، وهو في السماء السابعة، وقيل: في السادسة، وقيل: إنَّه مقابلٌ للكعبة، لو وَقَعَ حجر منه، لَوَقَعَ علَىٰ ظهر

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٤٨، ٣٥٠)، كتاب «بدء الخلق» باب: ذكر الملائكة (٣٢٠٧)، وكتاب «مناقب الأنصار» باب: المعراج (٣٨٨٧)، والنسائي (١/ ٢١٧، ٢٢٠)، كتاب «الصلاة» باب: فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك رضي اللَّه عنه، واختلاف ألفاظهم فيه، وأحمد (٣/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، (٤/ ٢٠٨، ٢١٠).

الكعبة، وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: في كل سماء بيت معمور، وفي كل أرض كذلك، وهي كُلُّها على خط من الكعبة، وقاله علي بن أبي طالب(١)، قال السُّهَيْلِيُّ: والبيت المعمور اسمه «عريباً»، قال وهب بن مُنَبِّهٍ: مَنْ قال: سبحانَ اللَّهِ وبحمده، كان له نور يملأ ما بين عريباً وحريباً، وهي الأرض السابعة، انتهى.

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾: هو السماء، واختلف الناس في ﴿البحر المسجور﴾ فقال مجاهد وغيره(٢): المُوْقَدُ ناراً، ورُوِيَ أَنَّ البحرَ هو جَهَنَّمُ، وقال قتادة(٣): ﴿المسجور﴾:
١٠٤ب المملوء، وهذا معروف من اللغة، ورَجَّحَهُ/ الطبريُّ(٤)، وقال ابن عباس(٥): هو الذي ذهب ماؤه، فالمسجور الفارغ، ورُوِيَ أَنَّ البحار يذهب ماؤها يومَ القيامة، وهذا معروف في اللغة، فهو من الأضداد، وقيل: يوقد البحر ناراً يَوْمَ القيامة، فذلك سجره، وقال ابن عباس أيضاً(٦): ﴿المسجور﴾: المحبوس؛ ومنه ساجور الكلب، وهي القلادة من عود أو حديد تمسكه، وكذلك لولا أَنَّ البحر يُمْسِكُ لفاض على الأرض، والجمهور على أَنَّه بحر الدنيا، وقال منذر بن سعيد(٧): المُقْسَمُ به جهنم، وسمَّاها بحراً؛ لِسَعَتِها وتموجها؛ كما قال ﷺ في الفرس: «وَإِنْ وَجَدْنَاهُ لَبَحْراً»(٨)، والقسم واقع على قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦) عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد.
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٢) برقم: (٣٢٣١١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٤٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٤٦)، وعزاه لابن جرير.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٣) برقم: (٣٢٣١٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٤٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٤٦)، وعزاه لابن جرير.
(٤) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/ ٤٨٣).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٣) برقم: (٣٢٣١٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٤٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٤٦)، وعزاه للشيرازي في «**الألقاب**» من طريق الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذي الرمة.
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٣) برقم: (٣٢٣١٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٦)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٤٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٤٥)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.
(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٧).
(٨) أخرجه البخاري (٥/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥) كتاب «الهبة» باب: من استعار من الناس الفرس، حديث (٢٦٢٧)، (٦/ ٤٢) كتاب «الجهاد والسير» باب: الشجاعة في الحرب والجبن، حديث (٢٨٢) (٦/ ٦٩) كتاب «الجهاد والسير» باب: اسم الفرس والحمار، حديث (٢٨٥٧)، (٦/ ٧٨)، باب: الركوب على الدابة الصعبة والفحولة من الخيل، حديث (٢٨٦٢)، (٦/ ٨٣) باب: الفرس القطوف، حديث (٢٨٦٧)، (٦/ ١٤٣) كتاب «الجهاد والسير» باب: مبادرة الإمام عند الفزع، حديث (٢٩٦٨)، باب: السرعة والركض في الفزع، حديث (٢٩٦٩)، (١٠/ ٦٠٩ ـ ٦١٠)، كتاب «الأدب» باب: المعاريض مندوحة على الكذب، حديث (٦٢١٢)، ومسلم (٤/ ١٨٠٢)، كتاب «الفضائل» باب: في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، حديث (٤٩/ ٢٣٠٧)، وأبو داود (٢/ ٧١٥)، كتاب «الأدب» باب: ما روي في

﴿لَوَاقِعٌ﴾ يريد: عذاب الآخرة واقع للكافرين؛ قاله قتادة[١]، قال الشيخ عبد الحق في «العاقبة»: وَيُرْوَى أَنَّ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سَمِعَ قارئاً يقرأ: ﴿والطور * وكتاب مسطور﴾ قال: هذا قَسَمٌ حَقٌّ، فلمَّا بلغ القارىء إلى قوله ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ظنَّ أنَّ العذاب قد وقع به فَغُشِيَ عليه، انتهى، و﴿تمور﴾ معناه: تذهب وتجيء بالرياح متقطعةً مُتَفَتِّتَةً، وسير الجبال: هو في أوَّلِ الأمر، ثم تتفتَّتُ حتى تصيرَ آخراً كالعِهْنِ المنفوش، و﴿يدعُّون﴾ قال ابن عباس وغيره[٢]: معناه: يُدْفَعُونَ في أعناقهم بشدة وإهانة وتَعْتَعَةٍ، ومنه: ﴿يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]، وفي الكلام محذوف، تقديره: يقال لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون؛ توبيخاً وتقريعاً لهم، ثم وقفهم سبحانه بقوله: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا...﴾ الآية: ثم قيل لهم على جهة قطع رجائهم: اصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سواء عليكم، أي: عذابكم حتم، فسواء جَزَعُكُم/ وَصَبْرُكُمْ، لا بُدَّ من جزاء أعمالكم. ١٠٥أ

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ المُتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ...﴾ الآية: يحتمل أَنْ يكونَ من خطاب أهل النار، فيكون إخبارُهم بذلك زيادةً في غُمِّهِمْ وسُوءِ حالهم، نعوذ بالله من سخطه! ويحتمل، وهو الأظهر، أنْ يكون إخباراً للنبيِّ ﷺ ومعاصريه، لما فَرَغَ من ذكر عذاب الكفار عَقَّبَ بذكر نعيم المتقين ـ جعلنا الله منهم بفضله ـ ليبين الفرقَ، ويقعَ التحريضُ على الإيمان، والمتقون هنا: مُتَّقُو الشرك؛ لأنَّهم لا بُدَّ من مصيرهم إلى الجنات، وكلما زادت الدرجة في التقوى قَوِيَ الحصولُ في حكم الآية، حَتَّى إِنَّ المتقين

الرخصة في ذلك، حديث (٤٩٨٨)، والترمذي (٤/ ١٧١ ـ ١٧٢)، كتاب «الجهاد» باب: ما جاء في الخروج عند الفزع، حديث (١٦٨٥ ـ ١٦٨٦ ـ ١٦٨٧)، وابن ماجه (٢/ ٩٢٦)، كتاب «الجهاد» باب: الخروج في النفير، حديث (٢٧٧٢)، وأحمد (٣/ ١٤٧، ١٨٠، ١٨٥، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٩١)، وأبو داود الطيالسي (٢/ ١٢١) ـ منحة رقم: (٢٤٣٨)، وأبو يعلى (٥/ ٣٣٦) رقم: (٢٩٦٢)، والبيهقي (١٠/ ٢٥) كتاب «السبق والرمي» باب: ما جاء في تسمية البهائم والدواب (١٠/ ٢٠٠)، كتاب «الشهادات» باب: من سمى المرأة قارورة، من حديث أنس بن مالك.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٤) برقم: (٣٢٣١٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٤) برقم: (٣٢٣٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٨٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

على الإطلاق هم في هذه الآية قطعاً على الله تعالى بحكم خبره الصادق، **وقرأ** جمهور الناس: «فاكهين»[(١)] ومعناه: فَرِحِينَ مسرورين، وقال أبو عُبَيْدَةَ: هو من باب: «لاَبِنٌ» و«تَامِرٌ»، أي: لهم فاكهة[(٢)]، قال * ع[(٣)] *: والمعنى الأَوَّلُ أبرع، **وقرأ** خالد فيما روى أبو حاتم: «فَكِهِينَ»[(٤)] والفَكِهُ والفاكه: المسرور المتنعم.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي: من إنعامه ورضاه عنهم.

وقوله تعالى: ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ هذا متمكن في مُتَّقِي المعاصي، الذي لا يدخل النارَ ﴿ووقاهم﴾ مشتق من الوقاية، وهي الحائل بين الشيء وبين ما يضرُّه.

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم: كلوا واشربوا، و﴿هنيئاً﴾ نُصِبَ على المصدر.

وقوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معناه: أَنَّ رُتَبَ الجنة ونعيمها بحسب الأعمال، وأَمَّا نَفْسُ دخولها فهو برحمة الله وفضلِهِ، وأعمالُ العباد الصالحاتُ لا تُوجِبُ على الله تعالى التنعيمَ إيجاباً؛ لكِنَّهُ سبحانه قد جعلها أَمارةً على مَنْ سبق في علمه تنعيمه، وعَلَّقَ الثوابَ والعِقَابَ بالتكسب الذي في الأعمال، والحُورُ: جمع حَوْرَاءُ، وهي البيضاء القوية بياض
١٠٥ ب بياضِ/ العَيْنِ وَسَوَادِ سَوَادِها، والعِينُ: جمع عَيْنَاءُ، وهي كبيرة العينين مع جمالهما، وفي **قراءة** ابن مسعود والنَّخَعِيِّ: «وَزَوَّجْنَاهُمْ بِعِيسٍ عِينٍ»[(٥)] قال أبو الفتح: العَيْسَاءُ: البيضاء.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/١٨٨)، و«**البحر المحيط**» (٨/١٤٥)، و«**الدر المصون**» (٦/١٩٧).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/١٨٨).
(٣) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/١٨٨).
(٤) ينظر: مصادر القراءة السابقة.
(٥) ينظر: «**المحتسب**» (٢/٢٩٠)، و«**مختصر الشواذ**» ص: (١٤٦)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/١٨٨)، وقال: وحكى أبو عمرو عن عكرمة أنه قرأ «بعيس عين» على إضافة «عيس» إلى «عين».

وقوله سبحانه: ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ اخْتُلِفَ في معنى الآية، فقال ابن عباس، وابن جبير، والجمهور: أخبر اللَّه تعالى أَنَّ المؤمنين الذين اتبعتهم ذريتهم في الإيمان يلحق الأبناء في الجنة بمراتب الآباء، وإنْ لم يكن الأبناء في التقوى والأعمال كالآباء؛ كرامةً للآباء[١]، وقد ورد في هذا المعنى حديث عن النبي ﷺ فجعلوا الحديثَ تفسيراً للآية، وكذلك وردت أحاديث تقتضي أَنَّ اللَّه تعالى يرحم الآباء؛ رعياً للأبناء الصالحين، وقال ابن عباس أيضاً والضَّحَّاكُ. معنى الآية: أَنَّ اللَّه تعالى يلحق الأبناء الصغار بأحكام الآباء المؤمنين، يعني في الموارثة والدفن في مقابر المسلمين، وفي أحكام الآخرة في الجنة[٢]، وقال منذر بن سعيد: هي في الصغار لا في الكبار[٣]؛ قال * ع[٤] *: وأرجح الأقوال في هذه الآية القول الأوَّل؛ لأَنَّ الآياتِ كلَّها في صفة إحسان اللَّه تعالى إلى أهل الجنة، فذكر من جملة إحسانِهِ سبحانه أَنَّه يرْعَى المحسنَ في المسيء، ولفظة ﴿ألحقنا﴾ تقتضي أَنَّ لِلْمُلْحَقِ بعضَ التقصير في الأعمال.

* ت *: وأظهرُ مَنْ هذا ما أشار إليه الثعلبيُّ في بعض أنقاله: أَنَّ اللَّه تعالى يجمع لعبده المؤمن ذُرِّيَّتَهُ في الجنة، كما كانوا في الدنيا، انتهى، ولم يتعرَّضْ لذكر الدرجات في هذا التأويل، وهو أحسن؛ لأَنَّهُ قد تقرَّرَ أَنَّ رفع الدرجات هي بأعمال العاملين،
١٠٦ والآياتُ / والأحاديث مُصَرِّحَةٌ بذلك، ولما يلزم على التأويل الأَوَّلِ أَنْ يكونَ كُلُّ مَنْ دخل الجنةَ مع آدم ـ عليه السلام ـ في درجةٍ واحدة؛ إذ هم كُلُّهم ذرِّيَّتُهُ، وقد فتحتُ لك باباً للبحث في هذا المعنى منعني من إتمامه ما قصدته من الاختصار، وباللَّه التوفيق.

وقوله: ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ﴾ أي: نقصناهم، ومعنى الآية أَنَّ اللَّه سبحانهُ يُلْحِقُ الأبناء بالآباء، ولا يُنْقِصُ الآباء من أجورهم شيئاً، وهذا تأويل الجمهور، ويحتمل أَنْ يريدَ: مِنْ عمل الأَبناء من شيء من حسن أو قبيح، وهذا تأويل ابن زيد[٥]، ويُؤَيِّدُهُ قوله سبحانه: ﴿كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ والرهين: المُرْتَهِنُ، وفي هذه الألفاظ وعيد، وأمددتُ الشيءَ: إذا سرّبْتُ إليه شيئاً آخر يكثره أو يكثر لديه.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٨٧) برقم: (٣٢٣٣٨)، و (١١/ ٤٨٨) برقم: (٣٢٣٣٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٩)، وابن عطية (٥/ ١٨٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٤٨)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٨٩).

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٨٩).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩١) برقم: (٣٢٣٦٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٠).

وقوله: ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ إشارة إلى ما رُوِيَ من أنَّ المُنَعَّمَ إذا اشتهى لحماً نزل ذلك الحيوان بين يديه على الهيئة التي اشتهاه فيها، وليس يكون في الجنة لحم يحتز، ولا يُتَكَلَّفُ فيه الذبح، والسلخ، والطبخ، وبالجملة لا كَلَفَةَ في الجنة، و﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ معناه: يتعاطون؛ ومنه قول الأخطل: [البسيط]

نَـازَعْـتُـهُ طَـيِّـبَ الـرَّاحِ الـشَّـمُـولِ وَقَـدْ صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي[١]،

قال الفخر[٢]: ويحتمل أنْ يقال: التنازع: التجاذُب، وحينئذ يكون تجاذُبُهُمْ تجاذبَ مُلاَعَبَةٍ، لا تجاذب منازعة، وفيه نوعُ لَذَّةٍ، وهو بيان لما عليه حال الشُرَّابِ في الدنيا؛ فإنَّهم يتفاخرون بكثرة الشرب، ولا يتفاخرون بكثرة الأكل، انتهى، والكأس: الإناء فيه الشراب، ولا يقال في فارغ كأس؛ قاله الزَّجَّاج[٣]، واللغو: السَّقَطُ من القول، والتأثيم:
١٠٦ ب يلحق خَمْرَ الدنيا في نفس شُرْبِهَا وفي الأفعال التي تكون من شاربيها، وذلك كُلُّه/ مُنْتَفٍ في الآخرة.

* ت *: قال الثعلبيُّ: وقال ابن عطاء: أيُّ لغوٍ يكون في مجلس: مَحَلُّهُ جَنَّةُ عدن، والساقي فيه الملائكة، وشربُهم على ذكر اللَّه، ورَيحانُهم تحيَّةٌ من عند اللَّه، والقومُ أضياف اللَّه.

﴿وَلاَ تَأْثِيمَ﴾ أي: فعل يُؤْثِمُهُمْ، وهو تفعيل من الإثم، أي: لا يأثمونَ في شربها، انتهى، واللؤلؤ المكنون أجملُ اللؤلؤ؛ لأنَّ الصون والكَنَّ يُحَسِّنُهُ، قال ابن جبير: أراد الذي في الصَّدَفِ لم تنله الأيدي[٤]، وقيل للنبيِّ ﷺ: «إِذَا كَانَ الْغِلْمَانُ كَاللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ فَكَيْفَ المَخْدُومُونَ؟ قال: هُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»[٥].

* ت *: وهذا تقريب للأفهام، وإلاَّ فجمال أهلِ الجَنَّةِ أَعْظَمُ من هذا، يَدُلُّ على ذلك أحاديث صحيحة؛ ففي «**صحيح مسلم**» من حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال:

---

(١) ينظر: البيت في «**ديوانه**» (١٤٢)، و«**جمهرة أشعار العرب**» (٧٢٥)، والقرطبي (١٧/ ٤٦)، و«**روح المعاني**» (٢٧/ ٣٤)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٤٧).
والساري: الذي يمشي ليلاً.
(٢) ينظر: «**تفسير الرازي**» (١٤/ ٢١٨).
(٣) ينظر: «**معاني القرآن**» (٥/ ٦٣).
(٤) ذكره البغوي (٤/ ٢٤٠)، وابن عطية (٥/ ١٩٠).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٢) برقم: (٣٢٣٦٩)، (٣٢٣٧٠)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٤٩)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن المنذر.

قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ـ وفي رِوَايَةٍ: «مِنْ أُمَّتِي» عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّمَاءِ إِضَاءَةً»[١]، وفي رواية: «ثُمَّ هُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنَازِلُ» الحديثَ، وفي «صحيح مسلم» أيضاً عن النبي ﷺ: «إِنَّ في الجَنَّةِ لَسُوقاً يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمْعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، وَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: واللَّهِ، لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ واللَّهِ، لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً»[٢]، انتهى، وقد أشار الغَزَّاليُّ وغيره إِلى طَرَفٍ من هذا المعنى، لَمَّا تكلَّم على رؤية العارفين للَّه سبحانه في الآخرة، قال بعد كلام: ولا يَبْعُدُ أَنْ تكونَ ألطاف الكشف والنظر في الآخرة متواليةً إِلى غير نهاية، فلا يزالُ النعيمُ واللَّذَّةُ متزايداً أَبَدَ الآبادِ، وللشيخ أبي الحسن الشاذلي هنا كلام حسن قال: لو كُشِفَ عن نور المؤمن لعبد من دون اللَّه، ولو كُشِفَ عن نور المؤمن العاصي لطبق السماء والأرض، /فكيف بنور المؤمن المطيع؟! نقل كلامه هذا ابن عطاء اللَّه وابن عَبَّاد، انظره. ١٠٧ أ

ثم وصف تعالى عنهم أَنَّهم في جملة تنعمهم ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ أي: عن أحوالهم وما نال كُلَّ واحد منهم، وأَنَّهم يتذكرون حالَ الدنيا وخشيتَهم عذابَ الآخرة، والإِشفاقُ أَشَدُّ الخشية ورِقَّةُ القلب، و﴿السَّمُومُ﴾: الحارُّ، و﴿نَدْعُوهُ﴾: يحتمل أَنْ يريد: الدعاءَ على بابه، ويحتمل أَنْ يريد نعبده، وقرأ نافع والكسائيُّ: «أَنَّهُ» ـ بفتح الهمزة ـ، والباقون بكسرها[٣] و﴿البَرُّ﴾ الذي يَبَرُّ ويُحْسِنُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٦٧) كتاب «بدء الخلق» باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٣٢٤٥، ٣٢٤٦، ٣٢٥٤)، (٦/ ٤١٧)، كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: خلق آدم وذريته (٣٣٢٧)، ومسلم (٤/ ٢١٧٨)، ٢١٨٠)، كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: أول زمرة تدخل الجنة على هيئة القمر ليلة البدر، وصفاتهم وأزواجهم (١٤/ ٢٨٣٤) ـ مكرر، (١٥ ـ ١٦/ ٢٨٣٤)، والترمذي (٤/ ٦٧٨)، كتاب «صفة الجنة» باب: في صفة أهل الجنة (٢٥٣٧)، وأحمد (٢٠، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٧، ٣١٦، ٥٠٢، ٥٠٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤٤٩)، كتاب «الزهد» باب: صفة الجنة (٤٣٣٣)، وابن حبان (١٦/ ٤٣٦)، كتاب «إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة» باب: وصف الجنة وأهلها (٧٤٢٠)، (١٦/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤)، كتاب «إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة» باب: وصف الجنة وأهلها (٧٤٣٦ ـ ٧٤٣٧)، والحميدي (٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤) (١١٤٣)، والدارمي (٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، كتاب «الرقائق» باب: في أول زمرة يدخلون الجنة، وابن المبارك في «الزهد» (١/ ٥٤٩) (١٥٧٥)، (١/ ٥٥٢) (١٥٨٥) مثله ونحوه.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٧٨)، كتاب «الجنة وصفة نعيمها» باب: في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم (١٣/ ٢٨٣٣).

(٣) ينظر: «السبعة» (٦١٣)، و«الحجة» (٦/ ٢٢٧)، و«معاني القراءات» (٣/ ٣٤)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٢٣)، و«العنوان» (١٨١)، و«حجة القراءات» (٦٨٣)، و«شرح شعلة» (٥٩٠)، و«إتحاف» (٢/ ٤٩٧).

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أمر لنبيِّه ـ عليه السلام ـ بإدامة الدعاء إلى اللَّه عز وجل، ثم قال مؤنساً له: ﴿فَمَا أَنْتَ﴾: بإنعام اللَّه عليك ولُطْفِهِ بك ـ كاهِنٌ ولا مجنون.

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: بل ﴿يَقُولُونَ شَاعِرٌ...﴾ الآية: رُوِيَ أَنَّ قريشاً اجتمعت في دار النَّدْوَةِ، فَكَثُرَتْ آراؤهم في النبيِّ ﷺ حَتَّى قال قائل منهم: تَرَبَّصُوا به رَيْبَ المَنُونِ، أي: حوادِثَ الدهر، فَيَهْلِكَ كما هَلَكَ من قبله من الشُّعَرَاءِ: زُهَيْرٌ، والنَّابِغَةُ، وَالأَعْشَى، وغيرُهم، فافترقوا على هذه المقالة، فنزلت الآية في ذلك، والتَّرَبُّصُ: الانتظار، والمنون: من أسماء الموت، وبه فسر ابن عباس[1]، وهو أيضاً من أسماء الدهر، وبه فَسَّرَ مجاهد[2]، والرَّيْبُ هنا: الحوادث والمصائب: ومنه قوله ﷺ: «إِنَّما فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا»[3] الحديثَ.

وقوله: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ وعيد في صيغة أمر.

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ بِهٰذا﴾ الأحلام: العقول، وقوله: ﴿بهذا﴾ يحتمل أَنْ يشيرَ إلى هذه المقالة: هو شاعر، ويحتمل أَنْ يشير إلى ما هم عليه من الكُفْرِ
١٠٧ ب وعِبَادَةِ/ الأصنام، و﴿تَقَوَّلَهُ﴾ معناه: قال عن الغير أَنَّهُ قاله، فهي عبارة عن كَذِبٍ مخصوص، ثم عَجَّزَهُمْ سبحانه بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ والضمير في ﴿مثله﴾ عائد على القرآن.

وقوله: ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٤) برقم: (٣٢٣٧٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٤) برقم: (٣٢٣٧٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: فضائل فاطمة بنت الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ (٩٣، ٩٥/ ٢٤٤٩)، وأحمد (٤٣٢٣، ٤٣٢٦، ٣٢٨، ٣٣٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٤١).

* ت *: أي: في أَنَّ محمداً تَقَوَّلَهُ؛ قاله الثعلبيُّ.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ قال الثعلبيُّ: قال ابن عباس: من غير أَبٍ ولا أُمٍّ، فهم كالجماد لا يعقلون، ولا تقوم للّه عليهم حُجَّةٌ، أليسوا خُلِقُوا من نطفة وعلقة، وقال ابن كَيْسَانَ: أَمْ خلقوا عَبَثاً، وَتُرِكُوا سُدًى من غير شيء، أي: لغير شيء لا يؤمرون ولا يُنْهَوْنَ ﴿أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾: لأنفسهم، فلا يأتمرون لأمر اللّه، انتهى، وعَبَّرَ * ع[1] *: عن هذا بأَنْ قال: وقال آخرون: معناه: أمْ خُلِقُوا لغير عِلَّةٍ ولا لغاية عقاب وثواب؛ فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرَّعون.

* ت *: وقد يحتمل أَنْ يكونَ المعنى: أم خُلِقُوا من غير شيء خَلَقَهُمْ، أي: من غير مُوجِدٍ أَوْجَدَهُمْ، ويَدُلُّ عليه مقابلته بقوله: ﴿أم هم الخالقون﴾ وهكذا قال الغَزَّالِيُّ في «الإِحياء»، قال: وقوله عز وجل: ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أي: من غير خالق، انتهى بلفظه من كتاب، آداب التلاوة قال الغَزَّالِيُّ: ولا يُتَوَهَّمُ أَنَّ الآيَةَ تَدُلُّ أَنَّه لا يُخْلَقُ شَيْءٌ إلاَّ من شيء! انتهى، وقال الفخر[2]: قوله تعالى: ﴿من غير شيء﴾ فيه وجوه، المنقول منها: أم خُلِقُوا من غير خالق، [وقيل: أَمْ خُلِقُوا لا لغير شيء عَبَثاً][3]، وقيل: أم خلقوا من غير أَبٍ وأُمٍّ، انتهى، وأحسنها الأَوَّلُ؛ كما قال الغَزَّالِيُّ، واللّه أعلم بما أراد سبحانه، وفي الصحيح عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قال: «سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمَّا بَلَغَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿المُصَيْطِرُونَ﴾
١٠٨أ ـ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»، وفي رواية: «وَذٰلِكَ أَوَّلُ مَا/ وَقَرَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِي»[4] انتهى، وأسند أبو بكر ابن الخطيب في «تاريخه» عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فِي فِدَاءِ أَهْلِ بَدْرٍ، فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَكَأَنَّمَا تَصَدَّعَ قَلْبِي حِينَ سَمِعْتُ الْقُرْآنَ» انتهى.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ١٩٢).
(٢) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٢٣).
(٣) سقط في: د.
(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٤٦٩)، كتاب «التفسير» برقم: (٤٨٥٤).

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ بمنزلة قوله: أم عندهم الاستغناء في جميع الأمور؟ والمصيطر: القاهر، وبذلك فسر ابن عباس[1] الآية، والسُّلَّم: السبب الذي يُصْعَدُ به، كان ما كان من خشب، أو بناء، أو حبال، أو غير ذلك، والمعنى: ألهم سُلَّمٌ إلى السماء يستمعون فيه، أي: عليه أو منه، وهذه حروف يَسُدُّ بعضُها مَسَدَّ بعض، والمعنى: يستمعون الخبر بِصِحَّةِ ما يدعونه، فليأتوا بالحُجَّةِ المبينة في ذلك.

وقوله سبحانه: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ الآية، قال ابن عباس[2]: يعني أَمْ عندهم اللوحُ المحفوظ، ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾: ما فيه، ويخبرون به، ثم قال: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً﴾: بك وبالشرع، ثم جزم الخبر بأنهم ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي: هم المغلوبون، فَسَمَّى غَلَبَتَهُمْ كيداً؛ إذ كانت عقوبةُ الكَيْدِ، ثم قال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: يعصمهم ويمنعهم من الهلاك، قال الثعلبيُّ: قال الخليل: ما في سورة الطور كُلِّها من ذكر «أم» كُلُّه استفهام لهم، انتهى.

ثم نَزَّهَ تعالى نفسه: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوا كِسْفاً﴾ أي: قطعةً يقولون لشدة معاندتهم هٰذَا ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾: بعضُه على بعض، وهذا جوابٌ لقولهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] وقولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً﴾ [الإسراء: ٩٢] يقول: لو فعلنا هذا بهم لما/ آمنوا، ولقالوا: سحاب مركوم. ١٠٨ ب

وقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ﴾، وما جرى مَجْرَاهُ من الموادعة ـ منسوخ بآية السيف،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٤٩٦) برقم: (٣٢٣٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/١٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٥٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره البغوي (٤/٢٤٢)، وذكره ابن عطية (٥/١٩٣).

والجمهورُ أَنَّ يومهم الذي فيه يُصْعَقُونَ، هو يوم القيامة، وقيل: هو موتهم واحداً واحداً، ويحتمل أَنْ يكون يومَ بدر؛ لأَنَّهُمْ عُذِّبُوا فيه، والصعق: التعذيب في الجملة، وإِنْ كان الاستعمالُ قد كَثُرَ فيما يصيب الإنسانَ من الصَّيْحَةِ المُفرِطَةِ ونحوه، ثُمَّ أخبر تعالى بِأَنَّ لهم دُونَ هذا اليوم، أي: قبله ﴿عَذَاباً﴾ واخْتُلِفَ في تعيينه، فقال ابن عباس وغيره[1]: هو بدر ونحوه، وقال مجاهد[2]: هو الجُوعُ الذي أصابهم، وقال البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ وابن عباس أيضاً[3]: هو عذاب القبر، وقال ابن زيد[4]: هي مصائب الدنيا، إِذْ هي لهم عذاب.

* ت *: ويحتمل أَنْ يكونَ المراد الجميع؛ قال الفخر[5]: إِنْ قلنا إِنَّ العذابَ هو بدر فالذين ظلموا هم أهل مَكَّةَ، وإِنْ قلنا: العذابُ هو عذابُ القبر، فالذين ظلموا عامٌّ في كل ظالم، انتهى.

ثم قال تعالى لنبيِّهِ: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى ومنظر، نرى ونَسْمَعُ ما تقول، وأَنَّك في حفظنا وحيطتنا؛ كما تقول: فلان يرعاه المَلِكُ بعين، وهذه الآية ينبغي أَنْ يُقَرِّرَهَا كُلُّ مؤمن في نفسه؛ فإنها تُفَسِّحُ مضايق الدنيا.

وقوله سبحانه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قال أبو الأحوص[6]: هو التسبيح المعروف، يقول في كل قيام: سبحان اللّهِ وبحمدِهِ، وقال عطاء[7]: المعنى حين تقومُ من كُلِّ مجلس.

* ت *: وفي تفسير أحمدَ بن نصر الداووديِّ قال: وعن ابن المُسَيِّبِ قال: حَقٌّ على كل مسلم أَنْ يقول حين يقومُ إِلى الصلاة: سبحان اللّهِ وبحمده؛ لقولِ اللّه سبحانه لِنَبِيِّهِ ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾، انتهى،/ وقال ابن زيد[8]: هي صلاة النوافل، وقال ١٠٩أ

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٤٣)، وابن عطية (٥/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٩) برقم: (٣٢٣٩٨)، وذكره البغوي (٤/ ٢٤٣)، وابن عطية (٥/ ١٩٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٩) برقم: (٣٢٣٩٤)، (٣٢٣٩٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٩٩) برقم: (٣٢٣٩٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٤).

(٥) ينظر: «تفسير الرازي» (١٤/ ٢٣٥).

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٥٠٠) برقم: (٣٢٤٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥١)، وعزاه لابن أبي شيبة.

(٧) ذكره البغوي (٤/ ٢٤٣)، وابن عطية (٥/ ١٩٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥١)، وعزاه للفريابي، وابن المنذر.

(٨) ذكره ابن عطية (٥/ ١٩٤).

الضَّحَّاكُ[١]: هي الصلوات المفروضة، وَمَنْ قال هي النوافل جعلَ أدبار النجوم رَكْعَتَيِ الفجر، وعلى هذا القول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وقد رُوِيَ مرفوعاً، ومَنْ جعله التسبيحَ المعروفَ جعل قوله: ﴿حين تقوم﴾ مثالاً، أي: حين تقومُ وحينَ تَقْعُدُ، وفي كل تَصَرُّفِكَ، وحكى منذر عن الضَّحَّاكِ أَنَّ المعنى: حين تقومُ في الصلاة [بعد] تكبيرة الإِحرام، فقل: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ»[٢] الحديثَ.

---

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٦٥)، كتاب «الصلاة» باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك وبحمدك (٧٧٥)، والترمذي (٢/ ٩ ـ ١٠)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة (٢٤٢)، وابن ماجه (٢/ ٢٦٤)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: افتتاح الصلاة (٨٠٤)، والنسائي (٢/ ١٣٢)، كتاب «الافتتاح» باب: نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة (٨٩٩)، وأحمد (٣/ ٥٠، ٦٩)، (١/ ٢٨٢)، كتاب «افتتاح الصلاة» باب: ما يقال بعد افتتاح الصلاة، وابن خزيمة (١/ ٢٣٨) جماع أبواب الأذان والإقامة، باب: إباحة الدعاء بعد التكبير وقبل القراءة... (٤٦٧).

تفسِيرُ سُورَةِ «النَّجْمِ»

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

وهي أَوَّلُ سورة أعلن بها رسول اللَّه ﷺ، وَجَهَرَ بقراءتها في الحرم، والمشركون يستمعون، وفيها سَجَدَ وسجد معه المؤمنون والمشركون والجنُّ والإِنسُ غيرَ أبي لهب، فإِنَّهُ رفع حفنة من تراب إِلى جبهته، وقال: يكفيني هذا.

* ت *: والذي خَرَّجَهُ البخاريُّ في صحيحه عن ابنِ مسعود: «فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إلاَّ رَجُلاً رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِراً، وَهُوَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ»(١) انتهى، وسبب نزولها أَنَّ المشركين قالوا: إِنَّ محمداً يتقوَّلُ القرآن، ويختلق أقواله، فنزلت السورة في ذلك.

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ الآية، قال الحسن وغيره: النجم المُقْسَمُ به هنا: اسمُ جنس، أراد به النجوم(٢)، ثم اختلفوا في معنى ﴿هوى﴾ فقال جمهور المفسرين: هَوَى للغروب،/ وهذا هو السابق ١٠٩ ب
إِلى الفهم من كلام العرب، وقال ابن عباس في كتاب الثعلبيِّ(٣): هوى في الانقضاض في إِثر العفريت عند استراق السمع، وقال مجاهد وسفيان(٤): النجم في قسم الآية: الثُّرَيَّا، وسُقُوطُهَا مع الفجر هو هوِيُّها، والعرب لا تقول: النجم مطلقاً إِلاَّ للثُّرَيَّا، والقسم واقع على قوله: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٤٨٠)، كتاب «التفسير» باب: فاسجدوا للَّه واعبدوا (٤٨٦٣).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ١٩٥).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٩٥).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٠٣) برقم: (٣٢٤١٤)، (٣٢٤١٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٦)، وابن كثير (٤/ ٢٤٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٥٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

* ص *: ﴿إِذَا هَوَى﴾ أبو البقاء: العامل في الظرف فِعْلُ القَسَم المحذوفِ، أي: أقسم بالنجم وَقْتَ هَوِيِّهِ، وجوابُ القَسَمِ: ﴿ما ضل﴾، انتهى، قالَ الفخر[١]: أكثر المفسرين لم يُفَرِّقُوا بين الغَيِّ والضلال، وبينهما فرق؛ فالغيُّ: في مقابلة الرُّشْدِ، والضلال أَعَمُّ منه، انتهى. ﴿وما يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾: يريد محمداً ﷺ أَنَّه لا يتكلم عن هواه، أي: بهواه وشهوته، وقال بعض العلماء: وما ينطقُ القرآنَ المُنَزَّلَ عن هوى.

* ت *: وهذا تأويل بعيد من لفظ الآية كما ترى.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾

وقوله: ﴿إِنْ هو إلاَّ وَحْيٌ يُوْحَىٰ﴾ يراد به القرآن بإجماع.

* ت *: وليس هذا الإجماع بصحيح، ولفظُ الثعلبيِّ ﴿إن هو إلاَّ وحي﴾ أي: ما نُطْقُهُ في الدِّينِ إلاَّ بوحي، انتهى، وهو أحسن إنْ شاء اللَّه، قال الفخر[٢]: الوحي اسم، ومعناه: الكتاب، أو مصدر وله معانٍ: منها الإرسال، والإلهام، والكتابة، والكلام، والإشارة، فإنْ قلنا: هو ضمير القرآن فالوحي اسم معناه الكتاب، ويحتمل أنْ يُقَالَ: مصدر، أي: ما القرآن إلاَّ إرْسَالٌ، أي: مُرْسَلٌ، وَإِنْ قلنا: المراد من قوله: ﴿إن هو إلاَّ وحي﴾ قولُ محمد وكلامُه فالوحي حينئذ هو الإلهام، أي: كلامه مُلْهَمٌ من اللَّه أو مرسل، انتهى، والضمير في ﴿عَلَّمَهُ﴾ لنبيِّنا محمد ﷺ، والمُعَلِّمُ هو جبريل ـ عليه السلام ـ قاله ابن عباس وغيره[٣]، أي: عَلَّم محمداً القرآن،/ و﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ معناه: ذو قُوَّة؛ قاله قتادة ١١٠أ
وغيره[٤]؛ ومنه قوله ـ عليه السلام ـ: «لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ وَلا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيّ»[٥]. وَأَصْلُ المِرَّةِ مِنْ مَرَائِرِ الْحَبْلِ، وهي فتله وإحكام عمله.

---

(١) ينظر: «**تفسير الرازي**» (١٤/ ٢٤١).
(٢) ينظر: «**تفسير الرازي**» (١٤/ ٢٤١).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ١٩٦).
(٤) ينظر: المصدر السابق.
(٥) أخرجه أبو داود (١/ ٥١٤)، كتاب «الزكاة» باب: من يعطى من الصدقة وحد الغنى (١٦٣٤)، والترمذي (٣/ ٣٣) كتاب «الزكاة» باب: ما جاء من لا تحل له الصدقة (٦٥٢)، وابن ماجه (١/ ٥٨٩)، كتاب «الزكاة» باب: من سأل عن ظهر غنًى (١٨٣٩)، والحاكم (١/ ٤٠٧) نحوه، والنسائي (٥/ ٩٩)، كتاب «الزكاة» باب: إذا لم يكن له دراهم وكان له عدلها (٢٥٩٧)، وابن حبان (٣/ ١٠٢) ـ الموارد (٨٠٦)، وعبد الرزاق في «**المصنف**» (٤/ ١١٠) (٧١٥٥).
قال الترمذي: حديث عبد اللَّه بن عمر حديث حسن.

وقوله: ﴿فَاسْتَوَى﴾ قال الربيع والزَّجَّاج، المعنى: فاستوى جبريل في الجو، وهو إذ ذاك بالأفق الأعلى؛ إذ رآه رسولُ اللّه ﷺ بِحِراءَ، قد سَدَّ الأفق، له ستمائة جناحٍ، وحينئذ دنا من محمد ـ عليه السلام ـ حتى كان قابَ قوسين، وكذلك رآه نزلةً أخرى في صفته العظيمة، له ستمائة جناح عند السِّدْرَةِ.

وقوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ قال الجمهور: المعنى: دنا جبريل إلى محمد في الأرض عند حِرَاءَ، وهذا هو الصحيح أَنَّ جميع ما في هذه الآيات من الأوصاف هو مع جبريل، و﴿دنا﴾ أعمُّ من ﴿تدلى﴾ فَبَيَّنَ تعالى بقوله: ﴿فتدلى﴾ هيئَةَ الدُّنُوِّ كيف كانت، و﴿قَابَ﴾: معناه: قَدْر، قال قتادة وغيره[١]: معناه: من طرف العود إلى طرفه الآخر، وقال الحسن ومجاهد[٢]: من الوتر إلى العود في وسط القوس عند المِقْبَضِ.

وقوله: ﴿أو أَدْنَى﴾ معناه: على مقتضى نظر البشر، أي: لو رَآه أَحَدُكُمْ لقال في ذلك: قوسان أو أدنى من ذلك، وقيل: المراد بقوسين، أي: قَدْرَ الذراعين، وعن ابن عباس[٣]: أنَّ القوس في الآية ذراعٌ يُقَاسُ به، وذكر الثعلبيُّ أَنَّهَا لُغَةُ بعض الحجازيين.

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ قال ابن عباس[٤]: المعنى: فأوحى اللّهُ إلى عبده محمد ما أوحى، وفي قوله: ﴿ما أوحى﴾ إبهام على جهة التفخيم والتعظيم؛ قال عياض: ولما كان ما كَاشَفَهُ ـ عليه السلام ـ من ذلك الجبروتِ، وشَاهَدَهُ من عجائب /الملكوت، لا تُحِيطُ به العباراتُ، ولا تستقِلُّ بحمل سماع أدناه العقولُ ـ رَمَزَ عنه تعالى ١١٠ ب
بالإيماء والكناية الدَّالَّةِ على التعظيم، فقال تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ وهذا النوع من الكلام يسميه أَهْلُ النقد والبلاغة بالوحي والإشارة، وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز، انتهى.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾

---

(١) ذكره البغوي (٤/٢٤٦)، وابن عطية (٥/١٩٧).
(٢) أخرجه الطبري (١١/٥٠٧ ـ ٥٠٨) برقم: (٣٢٤٤٠، ٣٢٤٤٢)، وذكره البغوي (٤/٢٤٦)، وابن عطية (٥/١٩٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٥٨)، وعزاه لآدم بن أبي إياس، والفريابي، والبيهقي.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/١٩٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٥٧)، وعزاه للطبراني، وابن مردويه، والضياء.
(٤) أخرجه الطبري (١١/٥٠٩) برقم: (٣٢٤٥٤)، وذكره البغوي (٤/٢٤٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٥٨)، وعزاه للنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

وقوله سبحانه: ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ المعنى: لم يُكَذِّبْ قلبُ محمد الشيء الذي رأى، بل صَدَّقَهُ وتحقَّقَهُ نظراً؛ قال أهل التأويل منهم ابن عباس وغيره[١]: رأى محمد اللَّهَ بفؤاده، وقال النبيُّ ﷺ: «جَعَلَ اللَّهُ نُورَ بَصَرِي في فُؤَادِي، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِفُؤَادِيَ»، وقال آخرون من المتأولين: المعنى: ما رأى بعينه لم يُكَذِّبْ ذلك قلبُه، بل صدقه وتحققه، وقال ابن عباس فيما روي عنه[٢]: إنَّ محمداً رأى رَبَّه بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ، وأنكرت ذلك عَائِشَةُ، وقالت: أنا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنْ هٰذِهِ الآياتِ فَقَالَ لِي: «هُوَ جِبْرِيلُ فِيهَا كُلِّها» قال * ع[٣] *: وهذا قول الجمهور، وحديث عائشة عن النبي ﷺ قاطعٌ بكُلِّ تأويل في اللفظ؛ لأَنَّ قول غيرها إِنَّما هو مُنْتَزَعٌ من ألفاظ القرآن.

وقوله سبحانه: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ قرأ حمزة والكسائيُّ «أَفَتَمْرُونَهُ» ـ بفتح التاء دون ألف[٤] ـ، أي: أفتجحدونه.

* ت *: قال الثعلبيُّ: واختار هذه القراءة أبو عبيد: قال إِنَّهم لا يمارونه، وإِنَّما جحدوه، واخْتُلِفَ في الضمير في قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ حسبما تقدم، فقالت عائشة والجمهور[٥]: هو عائد على جبريل، و﴿نزلة﴾ معناه: مَرَّة أخرى، فجمهور العلماء أَنَّ المَرْئِيَّ هو جبريل ـ عليه السلام ـ في/ المرتين، مَرَّةً في الأرض بحراء، ومرَّةً عند سِدْرَةِ ١١١ أ
المُنْتَهَى ليلةَ الإِسراء، رآه على صورته التي خُلِقَ عليها، وسِدْرَةُ المُنْتَهَى هي: شجرة نَبْقٍ في السماء السابعة، وقيل لها: سدرة المنتهى؛ لأَنَّها إِليها ينتهي عِلْمُ كُلِّ عالم، ولا يعلم ما وراءها صَعَداً إِلاَّ اللَّهُ عز وجل، وقيل: سُمِّيَتْ بذلك لأَنَّها إِليها ينتهي مَنْ مات على سُنَّةِ النبي ﷺ قال * ع[٦] *: وهم المؤمنون حقًّا من كل جيل.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥١١) برقم: (٣٢٤٦٦)، وذكره البغوي (٤/ ٢٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٨)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٦٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، عن أبي العالية.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥١١) برقم: (٣٢٤٦٧)، وذكره البغوي (٤/ ٢٤٧)، وابن عطية (٥/ ١٩٨)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٥٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٥٩)، وعزاه لابن مردويه.

(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٩٨).

(٤) ينظر: **«السبعة»** (٦١٤)، و**«الحجة»** (٦/ ٢٣٠)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٣٧)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٢٤)، و**«العنوان»** (١٨٢)، و**«حجة القراءات»** (٦٨٥)، و**«شرح شعلة»** (٥٩١)، و**«إتحاف»** (٥٠٠ ـ ٥٠١).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥١٢) برقم: (٣٢٤٧٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ١٩٩)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٥١)

(٦) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ١٩٨).

وقوله سبحانه: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ المَأْوَى﴾ قال الجمهور: أراد سبحانه أَنْ يُعَظِّمَ مَكانَ السدرة، ويُشَرِّفَهُ بِأَنَّ جنة المأوى عندها، قال الحسن[1]: هي الجنة التي وُعِدَ بها المؤمنون.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ أي: غَشِيَهَا من أمر اللّه ما غشيها، فما يستطيع أحد أَنْ يصفَها، وقد ذكر المُفَسِّرُون في وصفها أقوالاً هي تَكَلُّفٌ في الآية؛ لأَنَّ اللّه تعالى أبهم ذلك، وهم يريدون شرحه، وقد قال ﷺ: «فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ»[2].

وقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ قال ابن عباس[3]: معناه: ما جال هكذا ولا هكذا.

وقوله: ﴿وَمَا طَغَى﴾ معناه: ولا تجاوز المَرْئِيَّ، وهذا تحقيق للأمر، ونفيٌ لوجوه الريب عنه.

وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾ قال جماعة: معناه: لقد رأى الكبرى من آياتِ رَبِّهِ، أي: مِمَّا يمكنُ أنْ يراها البشر، وقال آخرون: المعنى: لقد رأى بَعْضاً من آيات رَبِّهِ الكبرى، وقال ابن عباس وابن مسعود[4]: رأى رفرفاً أخضرَ من الجنة، قد سَدَّ الأفق.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥١٧) عن ابن عباس برقم: (٣٢٥١١)، وذكره ابن عطية (٥/١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (١/٥٤٧ ـ ٥٤٨)، كتاب «الصلاة» باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء؟ (٣٤٩)، (٦/٤٣١ ـ ٤٣٢)، كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: ذكر إدريس عليه السلام (٣٣٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (١١/٥١٨) برقم: (٣٢٥٢٥)، وذكره ابن عطية (٥/٢٠٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٤٥٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٦٢)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (١١/٥١٩) برقم: (٣٢٥٣١) عن ابن مسعود، وذكره ابن عطية (٥/٢٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٦٢)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في «الدلائل».

* ت *: وزاد الثعلبيُّ: وقيل: المعراج، وما رأى في تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه؛ دليلهُ قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا...﴾ [الإسراء: ١] الآية، قال عِياضٌ:
١١١ ب / وقوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات رَبِّه الكبرى﴾ انحصرت الأفهام عن تفصيل ما أوحى، وتاهت الأحلامُ في تعيين تلك الآيات الكبرى، وقد اشتملت هذه الآيات على إعلام اللَّه بتزكية جملته ـ عليه السلام ـ وعِصْمَتِهَا من الآفات في هذا المسرى، فزكى فؤادَه ولسانَه وجوارِحَه؛ فقلبه بقوله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]، ولسانَهُ ـ عليه السلام ـ بقوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم: ٣]، وبصرَهُ بقوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ اهـ.

ولما فرغ من ذكر عظمة اللَّه وقدرته قال على جهة التوقيف: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى...﴾ الآية، أي: أرأيتم هذه الأوثان وحقارَتَها وبُعْدَهَا عن هذه القدرة والصفات العَلِيَّةِ، واللات: صنم كانتِ العربُ تعظمه، والعُزَّى: صخرة بيضاءُ كانت العرب أيضاً تعبُدُها، وأمَّا مناة: فكانت بالمشلل من قديد، وكانت أعظم هذه الأوثان عندهم، وكانت الأوس والخزرج تهل لها، ووقف تعالى الكُفَّارَ على هذه الأوثان، وعلى قولهم فيها: إنها بنات اللَّه، فكأنَّه قال: أرأيتم هذه الأوثانَ وقولَكُمْ: هي بناتُ اللَّه ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى﴾ ثم قال تعالى على جهة الإنكار: ﴿تِلْكَ إذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي: عوجاء؛ قاله مجاهد(١)، وقيل: جائرة قاله ابن عباس(٢)، وقال سفيان(٣): معناه: منقوصة، وقال ابن زيد(٤): معناه: مخالفة، والعرب تقول: ضِزْتُهُ حَقَّهُ أَضِيزُهُ بمعنى: منعته، وضِيزَى من هذا التصريف؛ قال أبو حيان(٥): و﴿الثالثة الأخرى﴾ صفتان لمناة؛ للتأكيد، قيل: وأُكِّدَتْ بهذين الوصفين؛ لِعظَمِهَا عندهم، وقال الزمخشري: والأخرى ذَمٌّ، وهي المتأخرة الوضيعة
١١٢ أ المقدارِ، وتُعُقِّبَ/ بأنَّ أخرى مُؤنث آخر، ولم يُوضَعَا لِلذَّمِ ولا للمدح.

* ت *: وفي هذا التعقب تعسف، والظاهر أَنَّ الوصفين معاً سِيقَا مَسَاقَ الذَّمِّ؛ لأَنَّ هؤلاءِ الكُفَّارِ لم يكتفوا بضلالهم في اعتقادهم ما لا يجوز في اللات والعزى، إلى أَنْ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٢٢) برقم: (٣٢٥٤٦)، وذكره البغوي (٤/ ٢٥٠)، وابن عطية (٥/ ٢٠١).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٢٢) برقم: (٣٢٥٤٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٥٠)، وابن عطية (٥/ ٢٠١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٦٤)، وعزاه لابن جرير.
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٥٢٢) برقم: (٣٢٥٥٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠١).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٢٢) برقم: (٣٢٥٥١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠١).
(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٦٠).

أضافوا إلى ذلك مَنَاةَ الثالثة الأخرى الحقيرة، وكُلُّ أصنامهم حقير، انتهى.

ثم قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ﴾ يعني: إِنْ هذه الأوصافُ من أنَّها إناث، وأنَّها آلهة تعْبَدُ، ونحو هذا ـ إلاَّ أَسماءٌ، أي: تسميات اخترعتموها أنتم وآباؤكم، ما أنزل اللَّه بها برهاناً ولا حُجَّةً، وما هو إلاَّ اتِّباعُ الظن، ﴿وما تَهْوَى الأنفس﴾ وهَوَى الأنفس هو إرادتها الملذة لها، وإنَّما تجد هوى النفس أبداً في ترك الأفضل؛ لأنَّها مجبولةٌ بطبعها على حُبِّ الملذ، وإنَّما يَرْدَعُها وَيَسُوقُها إلى حُسْنِ العاقبة العقلُ والشرع.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ فيه توبيخ لهم، إذْ يفعلون هذه القبائِحَ والهدى حاضر، وهو محمد وشرعه، والإنسان في قوله: ﴿أَمْ لِلإنْسَانِ﴾ اسم جنس، كأنَّه يقول: ليست الأشياءُ بالتمني والشهوات، وإنَّما الأمر كُلُّه للَّه، والأعْمَالُ جاريةٌ على قانون أمره ونهيه، فليس لكم ـ أَيُّهَا الكَفَرَةُ ـ مُرَادُكُمْ في قولكم: هذه آلهتنا، وهي تشفعُ لنا، وتُقَرِّبُنَا إلى اللَّه زُلْفَى، ونحو هذا ﴿فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ أي: له كل أمرهما: مُلْكاً، ومقدوراً، وتَحْتَ سلطانه، قال الشيخ أبو عبد الرَّحْمٰنِ السُّلَمِيُّ في كتاب «**عيوب النفس**»: ومن عيوب النفس كثرةُ التَّمَنِّي، والتَّمَنِّي هو الاعتراضُ على اللَّه عَزَّ وجلَّ في
١١٢ب قضائه وقَدَرِهِ، ومداواتُها/ أَنْ يعلم أنَّه لا يدري ما يعقبه التمني، أيجرُّهُ إلى خير أو إلى شَرٍّ؟ فإذا تَيَقَّنَ إبهام عاقبة تمنيه، أَسْقَطَ عن نفسه ذلك، ورَجَعَ إلى الرِّضَا والتسليم، فيستريح، انتهى.

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ...﴾ الآية: رَدٌّ على قريش في قولهم: الأوثان شفعاؤنا، ﴿وكم﴾ للتكثير، وهي في موضع رفع بالابتداء، والخبر ﴿لا تغني﴾ والغِنَى جَلْبُ النفع ودَفْعُ الضُّرِّ بحسب الأمر الذي يكون فيه الغناء.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ يعني: كُفَّار العرب.

وقوله: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شيئاً﴾ أي: في المُعْتَقَدَاتِ، والمواضع التي يريد الإِنسانُ أَنْ يُحَرِّرَ ما يَعْقِلُ ويعتقد؛ فَإِنَّهَا مواضع حقائق، لا تنفعُ الظنونُ فيها، وَأَمَّا في الأحكام وظواهرها فيجتزىء فيها بالمظنونات.

ثم سَلَّى سبحانه نَبِيَّه وأمره بالإعراض عن هؤلاء الكَفَرَةِ.

وقوله: ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾ قال الثعلبيُّ: يعني القرآن.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الآيةُ متصلة في معنى التسلية، ومتضمنة وعيداً للكافرين، ووعداً للمؤمنين، والحُسْنَى: الجنة ولا حسنى دونها، وقد تقدم نقلُ الأقوال في الكبائر في سورة النساء وغيرها، وتحريرُ القول في الكبائر أَنَّها كُلُّ معصيةٍ يوجد فيها حَدٌّ في الدنيا أو تَوَعُّدٌ عليها بِالنَّارِ في الآخرة، أو لعنة، ونحو هذا.

وقوله: ﴿إِلاَّ اللَّمَمَ﴾ هو استثناء يَصِحُّ أَنْ يكونَ مُتَّصِلاً، وإِنْ قدرته مُنْقَطِعاً ساغ ذلك، وبِكُلٍّ قد قيل، واخْتُلِفَ في معنى ﴿اللَّمَمَ﴾ فقال أبو هريرة، وابن عباس، والشَّعْبِيُّ وغيرهم[(١)]: اللمم: صِغَارُ الذنوب التي لا حَدَّ فيها ولا وَعِيدَ عليها؛ لأَنَّ الناسَ لا
١١٣ أ يتخلَّصُونَ من مُوَاقَعَةِ هذه الصغائر، ولهم مع ذلك الحُسْنَى/ إذا اجتنبوا الكبائر، وتظاهر العلماءُ في هذا القول، وكَثُرَ المائِلُ إليه، وحُكِيَ عن ابن المُسَيِّبِ أَنَّ اللمم: ما خطر على القلب، يعني بذلك لَمَّةَ الشيطان[(٢)]، وقال ابن عباس[(٣)]: معناه: إلاَّ ما أَلَمُّوا به من المعاصي الفَلْتَةُ والسَّقْطَةُ دون دوام ثم يتوبون منه، وعنِ الحسن بن أبي الحسن[(٤)] أَنَّهُ قال: في اللَّمَّةِ من الزنا، والسَّرِقَةِ، وشرب الخمر ثم لا يعود، قال * ع[(٥)] *: وهذا التأويلُ يقتضي الرِّفْقَ بالناس في إدخالهم في الوعد بالحسنى؛ إِذِ الغالب في المؤمنين مواقعةُ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥٢٨) عن ابن عباس برقم (٣٢٥٨٤)، وذكره ابن عطية (٥/٢٠٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٥٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٦٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(٢) ذكره البغوي (٤/٢٥٣)، وابن عطية (٥/٢٠٤)

(٣) أخرجه الطبري (١١/٢٢٨) برقم: (٣٢٥٧٧)، وذكره البغوي (٤/٢٥٢)، وابن عطية (٥/٢٠٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٥٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٦٦)، وعزاه لعبد بن حميد عن أبي صالح.

(٤) أخرجه الطبري (١١/٥٢٧) برقم: (٣٢٥٧٠)، وذكره البغوي (٤/٢٥٢)، وابن عطية (٥/٢٠٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٥٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٦٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٠٤).

المعاصي، وعلى هذا أنشدوا، وقد تَمَثَّلَ به النبي ﷺ: [الرجز]

إنْ تَـغْـفِـرِ الـلَّـهُـمَّ تَـغْـفِـرْ جَـمَّـا وَأَيُّ عَـبْـدٍ لَـكَ لاَ أَلَـمَّـا[١]

وقوله سبحانه: ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ يريد: خلق أبيهم آدم، ويحتمل أنْ يرادَ به إنشاء الغذاء، وأجِنَّةٌ: جمع جنين.

وقوله سبحانه: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ ظاهره النهيُ عن تزكية الإنسانِ نَفْسَهُ، ويحتمل أنْ يكونَ نهياً عن أنْ يُزَكِّيَ بعضُ الناسِ بعضاً، وإذا كان هذا، فإنَّما يُنْهَى عن تزكية السمعة والمدح للدنيا أو القطع بالتزكية، وأمَّا تزكيةُ الإمامِ والقُدْوَةِ أحداً لِيُؤْتَمَّ به أو ليتهمم الناسَ بالخير، فجائز، وفي الباب أحاديثُ صحيحة، وباقي الآية بَيِّنٌ.

* ت *: قال صاحِبُ «الكَلِم الفارِقِيَّة»: أَعْرَفُ الناسِ بنفسه أَشَدُّهُمْ إيقاعاً للتهمة بها في كل ما يبدو ويظهرُ له منها، وأجهلهم بمعرفتها وخفايا آفاتها وكوامن مكرها مَنْ زَكَّاها، وأَحْسَنَ ظَنَّهُ بها؛ لأنَّها مُقْبِلَةٌ على عاجل حظوظها، مُعْرِضَةٌ عنِ الاستعداد لآخرتها، انتهى،

١١٣ ب وقال ابن عطاء اللَّه: أَصْلُ كل معصيةٍ وغفلة ـ وشهوة/ ـ الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة، ويقظة، وعِفَّةٍ ـ عَدَمُ الرضا منك عنها؛ قال شارحه ابن عبَّاد: الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة، وعَدَمُ الرضا عنها أصلُ الصفات المحمودة، وقدِ اتَّفق على هذا جميعُ العارفين وأرباب القلوب؛ وذلك لأنَّ الرضا عن النفس يوجب تغطيةَ عيوبِهَا ومساويها، وعَدَمَ الرضا عنها على عكس هذا؛ كما قيل: [الطويل]

وَعَـيْـنُ الـرِّضَـا عَـنْ كُـلِّ عَـيْـبٍ كَـلِـيـلَـةٌ وَلَـكِـنَّ عَـيْـنَ الـسُّـخْـطِ تُـبْـدِي الـمَـسَـاوِيَـا

انتهى.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى...﴾ الآية، قال مجاهد، وابن زيد، وغيرُهما[٢]:

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/٤٦٩)، والترمذي (٥/٣٩٦ ـ ٣٩٧) كتاب «التفسير» باب: ومن سورة النجم (٣٢٨٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري (١١/٥٣٠) عن مجاهد برقم: (٣٢٥٩٥) وعن ابن زيد برقم: (٣٢٥٩٦)، وذكره ابن عطية (٥/٢٠٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/١٦٨)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

نزلت في الوليد بن المغيرة المخزوميِّ؛ وذلك أَنَّهُ سَمِعَ قراءة النبي ﷺ وَوَعْظَهُ فقرب من الإِسلام، وطمع النبيُّ ﷺ في إسلامه، ثم إِنَّه عاتبه رجلٌ من المشركين، وقال له: أتترك مِلَّةَ آبائك؟! ارجع إلى دينك، واثبت عليه، وأَنا أَتَحَمَّلُ لك بكلِّ شيء تخافه في الآخرة، لكن على أَنْ تعطيني كذا وكذا من المال، فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عَمَّا هَمَّ به من الإِسلام، وأعطى بعضَ ذلك المالَ لذلك الرجل، ثم أمسك عنه وشَحَّ، فنزلت الآية فيه، وقال السُّدِّيُّ[١]: نزلت في العاصي بن وائل؛ قال * ع[٢] *: فقوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ على هذا ـ هو في المال، وقال مقاتل[٣] في كتاب الثعلبيِّ: المعنى: أعطى الوليدُ قليلاً من الخير بلسانه، ثم ﴿أكدى﴾، أي: انقطع ما أعطى، وهذا بَيِّنٌ من اللفظ، والآخر يحتاج إلى رواية، و﴿تولى﴾ معناه: أدبر وأعرض عن أمر اللَّه، و﴿أكدى﴾ معناه: انقطع عطاؤه، وهو
١١٤أ مشبه بالذي/ يحفر في الأرض؛ فإِنَّه إذا انتهى في حفر بئر ونحوه إلى كُدْيَةٍ، وهي ما صَلُبَ من الأرض ـ يَئِسَ من الماء، وانقطع حفرُهُ، وكذلك أجبل إذا انتهى في الحفر إلى جبل، ثم قيل لمن انقطع: عمله أكدى وأجبل.

* ت *: قال الثعلبيُّ: وأصله من الكُدْيَةِ، وهو حجر في البئر يؤيس من الماء؛ قال الكسائِيُّ: تقول العرب: أَكْدَى الحَافِرُ وأَجْبَلَ: إِذا بَلَغَ في الحَفْرِ إِلى الكُدْيَةِ والجَبَلِ، انتهى.

وقوله عز وجل: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ معناه: أَعَلِمَ من الغيب أَنَّ مَنْ تحمَّل ذنوبَ آخر انتفع بذلك المُتَحَمَّلُ عنه؛ فهو لهذا الذي علمه يرى الحق وله فيه بصيرة؟! أم هو جاهل، لم يُنَبَّأْ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وَفَّى بما أُرْسِلَ بِهِ، من أَنَّهُ لا تَزِرُ وازرة، أي: لا تحملُ حَامِلَةٌ حَمْلَ أخرى؛ وفي البخاري ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾: وَفَّى ما فُرِضَ عليه[٤]، انتهى.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنْ لَيسَ للإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ وما بعده، كل ذلك معطوف على قوله: ﴿أَلاَّ تزر وازرة وزر أخرى﴾ والجمهور أَنَّ قوله: ﴿وأنْ ليس للإنسان إلاَّ ما سعى﴾

(١) ذكره البغوي (٤/٢٥٣)، وابن عطية (٥/٢٠٥).
(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/٢٠٥).
(٣) ذكره البغوي (٤/٢٥٣)، وابن عطية (٥/٢٠٥).
(٤) ينظر: «**صحيح البخاري**» (٨/٤٦٩)، كتاب «التفسير» باب: سورة النجم.

مُحْكَمٌ لا نسخَ فيه، وهو لفظ عام مخصص.

وقوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ أي: يراه اللَّه، ومَنْ شاهد تلك الأُمُورَ، وَفِي عَرْضِ الأعمال على الجميع تشريفٌ للمحسنين وتوبيخٌ للمسيئين، ومنه قوله ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ بِأَخِيهِ فِيمَا يَكْرَهُ، سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ وعيد للكافرين، ووعد للمؤمنين.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ إِلى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ أي: مُنْتَهَى الخلق ومصيرُهم، اللَّهمَّ أطلعنا على خيرك بفضلك، ولا تفضحْنا بين خلقك،/ وجُدْ علينا بسترك في الدارين! وَحُقَّ لِعبد ١١٤ ب
يعلم أنَّه إلى ربه منتهاه؛ أنْ يرفض هواه؛ ويزهدَ في دنياه، ويُقْبِلَ بقلبه على مولاه؛ ويقتدي بنبيٍّ فَضَّلَهُ اللَّهُ على خلقه وارتضاه؛ ويتأمل كيف كان زهده ﷺ في دنياه؛ وإقباله على مولاه؛ قال عياض في «**شفاه**»: وأما زُهْدُهُ ﷺ، فقد قدمنا من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي، وحَسْبُكَ من تقلُّله منها وإعراضِهِ عَنْهَا وعن زَهْرَتِها، وقد سِيقَتْ إليه بحذافيرها، وترادفَتْ عليه فُتُوحَاتُهَا ـ أَنَّهُ تُوُفِّيَ ﷺ ودِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ[2]، وهو يدعو، ويقول:

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ١٣٨)، كتاب «الأحكام» باب: من شاق شاق اللَّه عليه (٧١٥٢)، ومسلم (٤/ ٢٢٨٩)، كتاب «الزهد والرقائق» باب: من أشرك في عمله غير اللَّه (٤٩/ ٢٩٨٦)، والترمذي (٣/ ٣٩٥)، كتاب «النكاح» باب: ما جاء في الوليمة (١٠٩٧) نحوه، ورواه البخاري من طريق صفوان، وجندب، ومسلم من طريق ابن عباس، والترمذي من طريق ابن مسعود، وأحمد (٣/ ٤٠) من طريق أبي سعيد الخدري (٤/ ٣١٣)، (٥/ ٤٥) من طريق أبي بكرة.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٣٠٢) كتاب «البيوع» باب: شراء النبي بالنسيئة، حديث (٢٠٦٩)، وأحمد (٣/ ١٣٣)، والنسائي (٧/ ٢٨٨) كتاب «البيوع» باب: الرهن في الحضر، وابن ماجه (٢/ ٨١٥)، كتاب «الرهون» باب: (١)، حديث (٢٤٣٧)، والترمذي (٣/ ٥١٩ ـ ٥٢٠)، كتاب «البيوع» باب: ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل، حديث (١٢١٥)، وأبو يعلى (٥/ ٣٩٤) (٣٠٦١)، وأبو الشيخ في أخلاق النبي (ص: ٢٦٣)، والبيهقي (٦/ ٣٦)، كتاب «الرهن» باب: جواز الرهن، كلهم من حديث قتادة عن أنس، أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير، وإهالة سَنِخَة، ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة، عند يهودي وأخذ منه شعيراً لأهله، ولقد سمعته يقول: ما أمسى عند آل محمد ﷺ صاع بر ولا صاع حب، وإن عنده لتسع نسوة. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

«اللَّهُمَّ ٱجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً».

وفي «صحيح مسلم» عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما شَبِعَ آلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعاً حَتَّىٰ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ[1].

وعنها ـ رضي الله عنها ـ قالت: «لَمْ يَمْتَلِىءْ جَوْفُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ شِبَعاً قَطُّ، وَلَمْ يَبُثَّ شَكْوَىٰ إِلَىٰ أَحَدٍ، وَكَانَتِ الْفَاقَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَىٰ، وَإِنْ كَانَ لَيَظَلُّ جَائِعاً يَلْتَوِي طُولَ لَيْلَتِهِ مِنَ الْجُوعِ، فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ صِيَامَ يَوْمِهِ، وَلَوْ شَاءَ سَأَلَ رَبَّهُ جَمِيعَ كُنُوزِ الأَرْضِ وَثِمَارِهَا وَرَغْدِ عَيْشِهَا، وَلَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي لَهُ؛ رَحْمَةً مِمَّا أَرَىٰ بِهِ، وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَىٰ بَطْنِهِ مِمَّا بِهِ مِنَ الْجُوعِ، وَأَقُولُ: نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَقُوتُكَ! فَيَقُولُ: يَا عَائِشَةُ، مَا لِي وَلِلدُّنْيَا! إِخْوَانِي مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَىٰ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هٰذَا، فَمَضَوْا عَلَىٰ حَالِهِمْ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ فَأَكْرَمَ مَآبَهُمْ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ، فَأَجِدُنِي أَسْتَحِيي إِنْ تَرَفَّهْتُ فِي
١١٥ أ مَعِيشَتِي/ أَنْ يُقَصِّرَ بِي غَداً دُونَهُمْ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ اللُّحُوقِ بِإِخْوَانِي وَأَخِلاَّئِي، قَالَتْ: فَمَا أَقَامَ بَعْدُ إِلاَّ أَشْهُراً حَتَّىٰ تُوُفِّيَ ـ صلواتُ اللَّهُ وسَلاَمُهُ عليه ـ» انتهى، وباقي الآية دَلالة على التوحيد واضحة، و﴿النشأة الأخرى﴾: هي إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البِلَى، و﴿أقنى﴾ معناه: أَكْسَبَ ما يُقْتَنَى؛ تقول: قنيت المالَ، أي: كسبْته، وقال ابن عباس: ﴿أقنى﴾: قنَّع[2]، قال * ع[3] *: والقناعة خير قُنْيَةٍ، والغِنَى عرض زائل، فَلِلَّهِ دَرُّ ابن عباس! و﴿الشِّعْرَى﴾: نجم في السماء، قال مجاهد وابن زيد[4]: هو مرزم الجَوْزاء، وهما شِعْرَيَانِ: إحداهما الغُمَيْصَاءُ، والأُخرى العَبُور؛ لأَنَّها عَبَرَتِ المجرَّةَ، وكانت خُزَاعَةُ مِمَّنْ يَعْبُدُ هذه الشعْرَى العَبُورَ، ومعنى الآية: وَأَنَّ اللَّه سبحانه رَبُّ هذا المعبودِ الذي لكم و﴿عاداً الأولى﴾: اختلف في معنى وصفها بالأُولى، فقال الجمهور: سُمِّيَتْ «أولى» بالإضافة إلى الأمم المتأخِرة عنها، وقال الطبريُّ[5] وغيره: سُمِّيتْ أولى؛ لأَنَّ ثَمَّ عاداً آخرةً، وهي قبيلة كانت بمكَّةَ مع العماليق، وهم بنو لقيم بن هزال، واللَّه

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٤/ ٢٨٨٢)، كتاب «الزهد والرقائق»باب: (٢٥/ ٢٩٧١)، بهذا اللفظ.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧١)، وعزاه للفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٨).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٣٧) عن مجاهد برقم: (٣٢٦٣٧) وعن ابن زيد برقم: (٣٢٦٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٥٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وأبي الشيخ.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٥٣٧).

أعلم، وقرأ الجمهور[١]: «وَثَمُودَا» بالنصب؛ عطفاً على «عاداً» «وقومَ نوحٍ» عطفاً على «ثمود».

وقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ لأنَّهم كانوا أَوَّلَ أُمَّة كَذَّبت من أهل الأرض، و﴿المؤتفكة﴾: قرية قوم لوطٍ ﴿أهوى﴾ أي: طرحها من هواء عالٍ إلى سفل.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ مخاطبة للإنسان الكافر؛ كأنَّه قيل له: هذا هو اللَّه الذي له هذه الأفعال، وهو خالِقُكَ المُنْعِمُ عليكَ بكُلِّ النِّعَم، ففي أيها تشك وتتمارى؟! معناه: تتشكك، وقال مالك الغفاريُّ: إنَّ قوله: ﴿أَلاَّ تزر﴾ إلى قوله: ١١٥ ب
﴿تتمارى﴾/ هو في صحف إبراهيم وموسى.

وقوله سبحانه: ﴿هذا نذير﴾ يحتمل أَنْ يشير إلى نبيِّنا محمد ﷺ، وهو قول قتادة وغيره[٢]، وهذا هو الأشبه، ويحتمل أنْ يشير إلى القرآن، وهو تأويل قوم، و﴿نذير﴾ يحتمل أَنْ يكونَ بناء اسم فاعل، ويحتمل أَنْ يكون مصدراً، ونُذُر جمع نذير.

وقوله تعالى: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾ معناه: قربت القريبة، والآزفة: عبارة عن القيامة بإجماعٍ من المفسرين، وأَزِفَ معناه قَرُبَ جدًّا؛ قال كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ: [البسيط]

بَانَ الشَّبَابُ وَآهَا الشَّيْبِ قَدْ أَزِفَا وَلاَ أَرَى لِشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلَفَا[٣]،

و﴿كاشفة﴾ يحتمل أَنْ تكون صفة لمؤنث التقدير: حال كاشفة ونحو هذا التقدير، ويحتمل أَنْ تكونَ بمعنى: كاشف؛ قال الطبريُّ[٤] والزَّجاج: هو من كشف السِّرّ، أي:

---

(١) وقرأها غير مصروفة حمزة، وعاصم، والحسن وعصمة.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٠٨)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٦٦)، و«معاني القراءات» (٣/ ٤٠)، و«العنوان» (١٨٢)، و«حجة القراءات» (٦٨٨)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٥٠٣).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٤٠) برقم: (٣٢٦٥٦)، وذكره البغوي (٤/ ٢٥٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٧٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن االمنذر.

(٣) وبعده:
عاد السواد بياضاً في مفارقه لا مرحباً ها بذا اللون الذي ردفا
ينظر: «ديوانه» (٧٠)، «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٠).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٥٤١).

ليس من دون اللَّه مَنْ يكشف وَقْتَهَا ويعلمه، وقال منذر بن سعيد[١]: هو من كشف الضُّرّ ودفعه، أي: ليس مَنْ يكشف خَطْبَهَا وهولها إلاَّ اللَّهُ.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَفَمِنْ هٰذَا الْحدِيثِ تَعْجَبُونَ. . .﴾ الآية: روى سعد بن أبي وَقَّاص أنَّ رسول اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ أُنزِلَ بِخَوْفٍ، فَإذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوا» ذكره الثعلبيُّ، وأخرج الترمذي والنسائيُّ عن النبي ﷺ أنَّه قَالَ: «لاَ يَلِجُ النَّارَ مَنْ بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ في مَنْخِرِ أَبَدًا» قال النسائيُّ: ويروى: «في جَوْفِ أَبَدًا»: «وَلاَ يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالإِيمَانُ في قَلْبٍ أَبَدًا»[٢] قال الترمذي: وقال النبي ﷺ: «عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ
١١٦ أ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ في سَبِيلِ اللَّهِ»[٣] انتهى من «**مصابيح/ البَغوِيِّ**». قال أبو عمر بن عبد البر: رُوِيَ عنِ النبي ﷺ أنَّه قال: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ؛ فَإنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ»[٤] انتهى من «**بهجة المجالس**»، وروى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هٰؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ؛ فَيَعْمَلَ بِهِنَّ، أَوْ يُعَلِّمَ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ١٢)، كتاب «الجهاد» باب: فضل من عمل في سبيل اللَّه على قدمه (٣١٠٨)، و«**الكبرى**» (٣/ ٩) كتاب «الجهاد» باب: فضل من عمل في سبيل اللَّه على قدميه (٤٣١٦/ ٣)، والترمذي (٤/ ١٧١)، كتاب فضائل «الجهاد» باب: ما جاء في فضل الغبار في سبيل اللَّه (١٦٣٣)، وأحمد (٢/ ٥٠٥)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**» (١/ ٤٩٠) (٨٠٠)، والحاكم (٤/ ٦٥).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ١٧٥)، كتاب «فضائل الجهاد» باب: ما جاء في فضل الحرس في سبيل اللَّه (١٦٣٩).
قال الترمذي: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رُزيق.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٥١)، كتاب «الزهد» باب: من اتقى المحارم فهو أعبد الناس (٢٣٠٥) عن أبي هريرة نحوه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث جعفر بن سليمان، والحسن، ولم يسمع من أبي هريرة شيئاً ا هـ.
وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٣)، كتاب «الزهد» باب: الحزن والبكاء (٤١٩٣)، و (٢/ ١٤١٠)، كتاب «الزهد» باب: الورع والتقوى (٤٢١٧)، نحوه من طريق آخر عن أبي هريرة.

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَعَدَّ خَمْسَاً، وَقَالَ: اتَّقِ الْمَحَارِمَ، تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَّمَ اللَّهُ لَكَ، تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلىٰ جَارِكَ، تَكُنْ مُؤْمِناً، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، تَكُنْ مُسْلِماً، وَلاَ تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ يُمِيتُ الْقَلْبَ»[1] انتهى، والسامد: اللاعب اللاهي، وبهذا فسَّرَ ابن عباس وغيره من المفسرين[2]، وسمد بلغة حمير: غَنِيَ، وهو كُلُّه معنى قريب بعضُه من بعض، ثم أمر تعالى بالسجود له والعبادة؛ تخويفاً وتحذيراً، وههنا سجدةٌ في قول كثير من العلماء، ووردت بها أحاديثُ صحاح، ولم يَرَ مالك بالسجود هنا، وقال زيد بن ثابت: إِنَّهُ قَرَأَ بِهَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَسْجُدْ[3]. قال ابن العربيِّ في «**أحكامه**»[4]: وكان مالكٌ يَسْجُدُهَا في خاصَّة نَفْسِهِ، انتهى.

---

(١) انظر السابق.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٤٢) برقم: (٣٢٦٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٥٧)، وابن عطية (٥/ ٢١٠).

(٣) أخرجه النسائي (٢/ ١٦٠)، كتاب «الافتتاح» باب: ترك السجود في «النجم» (٩٦٠)، وأبو داود (١/ ٤٤٦)، كتاب «الصلاة» باب: من لم ير السجود في «المفصل» (١٤٠٣).

(٤) ينظر: «**أحكام القرآن**» (٤/ ١٧٣٥).

تَفسِيرُ سُورَةِ «القمر»

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِ

إلاَّ آيةً واحدةً، قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ...﴾ الآية. ففيها خلافٌ، والجمهور أنَّها أيضاً مكيةٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ معناه: قربت الساعة، وهي القيامة، وأمرها مجهول التحديد، وكل ما يُرْوَى في عمر الدنيا من التحديد فضعيف.

١١٦ ب وقوله: ﴿وانشق القمر﴾ إخبار عمَّا وقع؛ وذلك أنَّ قريشاً سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ/ آيَةً فَأَرَاهُمُ اللَّهُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكُفَّارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اشْهَدُوا[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٢١)، كتاب «مناقب الأنصار» باب: انشقاق القمر (٣٨٦٩، ٣٨٧١)، (٨/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤)، كتاب «التفسير» باب: ﴿وانشق القمر * وإن يروا آية يعرضوا﴾ (٤٨٨٤ ـ ٤٨٨٥)، ومسلم (٤/ ٢١٥٨)، كتاب «صفات المنافقين» باب: انشقاق القمر (٤٣، ٤٥/ ٢٨٠٠)، وأحمد (٣/ ٢٧٥) مثله، ونحوه عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه.

وفي الباب عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه نحوه، أخرجه البخاري (٧/ ٢٢١)، كتاب «مناقب الأنصار» باب: انشقاق القمر (٣٨٦٨)، (٨/ ٤٨٤) كتاب «التفسير» باب: ﴿وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا﴾ (٤٨٦٧ ـ ٤٨٦٨).

ومسلم (٤/ ٢١٥٩) كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم باب: انشقاق القمر (٤٦ ـ ٤٧/ ٢٨٠٢).

وفي «**الصحيحين**» نحوه عن عبد اللَّه بن عباس: أخرجه البخاري (٨/ ٤٨٤)، كتاب «التفسير» باب: ﴿وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا﴾ (٤٨٦٦)، ومسلم (٤/ ٢١٥٩)، كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» باب: وانشقاق القمر (٤٨/ ٢٨٠٣).

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا﴾: جاء اللفظ مستقبلاً، لينتظمَ ما مضى وما يأتي، فهو إخبار بأنَّ حالهم هكذا.

وقوله: ﴿مُسْتَمِرٌّ﴾: قال الزَّجَّاجُ: قيل معناه: دائم متمادٍ، وقال قتادة وغيره[١]: معناه: مارٌّ ذاهب عن قريب يزول، ثم قال سبحانه على جهة جزم الخبر: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ كأنَّه يقول: وكل شيء إلى غاية عنده سبحانه، و﴿مُزْدَجَرٌ﴾ معناه: موضع زجر.

وقوله: ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾: يحتمل أنْ تكون «ما» نافية، ويحتمل أنْ تكون استفهاميّة.

ثم سَلَّى سبحانه نبيَّه ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ، وتَمَّ القولُ في قوله: ﴿عنهم﴾ ثم ابتدأ وعيدَهم بقوله: ﴿يَوْمَ﴾ والعامل في [﴿يوم﴾] قوله ﴿يَخْرُجُونَ﴾ وقال الرُّمَّانِيُّ: المعنى: فتولّ عنهم، واذكر يوم[٢]، وقال الحسن: المعنى: فتولَّ عنهم إلى يوم[٣].

وقرأ الجمهور[٤]: «نُكُرٍ» ـ بضم الكاف ـ؛ قال الخليل: النُّكُر: نعت للأمر الشديد والرجل الداهية، وخَصَّ الأبصارَ بالخشوع، لأنَّهُ فيها أظهرُ منه في سائر الجوارح، وكذلك سائر ما في نفس الإنسان من حياء أو خوف أو صَلَفٍ ونحوه، إنَّما يظهرُ في الأبصار، و﴿الأجداث﴾: جمع جَدَثٍ وهو القبر، وشَبَّهَهُمْ سبحانه بالجراد المنتشر، وقد شبههم سبحانه في آية أخرى بالفراش المبثوث، وفيهم من كل هذا شَبَهٌ، وذهب بعض المفسرين إلى أنَّهم أوَّلاً كالفراش حين يَمُوجُ بعضُهم في بعض؛ ثم في رتبة أُخرى كالجراد إذا توجَّهُوا نحو المَحْشَرِ والداعي، والمُهْطِعُ: المُسْرِعُ في مشيه نحو الشيء مع هَزٍّ ورَهَقٍ ومَدِّ
١١٧ أ بَصَرٍ نحو المَقْصِدِ، إمَّا لخوف،/ أو طمع ونحوه؛ قال أبو حيان[٥]: ﴿مهطعين﴾ أي: مسرعين، وقيل: فاتحين آذانهم للصوت، انتهى.

و﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ لما يرون من مخايل هَوْلِهِ وعلامات مشقته.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥٤٨) برقم: (٣٢٧٢٢)، وذكره البغوي (٤/٤٥٨)، وابن عطية (٥/٢١٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٦٣).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/٢١٢).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/٢١٢).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢١٢)، و«البحر المحيط» (٨/١٧٣)، و«الدر المصون» (٦/٢٢٢).
(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٨/١٧٤).

﴿۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ...﴾ الآية: وعيدٌ لقريشٍ، وضَرْبُ مَثَلٍ لهم.

وقوله: ﴿وَازْدُجِرَ﴾: إخبار من اللَّه عز وجل أَنَّهُمْ زَجَرُوا نوحاً ـ عليه السلام ـ بالسَّبِّ والنَّجْهِ[١] والتخويف، قاله ابن زيد[٢].

وقوله: ﴿فَانْتَصِرْ﴾ أي: فانتصر لي منهم بأن تهلِكَهُمْ.

وقوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ قال الجمهور: هذا مجاز وتشبيه؛ لأَنَّ المطر كأَنَّه من أبواب، وهذا مبدأ الانتصار من الكفار، والمُنْهَمِرُ: الشديد الوقوع الغزيرُ، **وقرأ** الجمهور[٣]: ﴿فَالْتَقَى المَاءُ﴾ يعني: ماءَ السماء وماءَ العيون.

وقوله سبحانه: ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: قد قُضِيَ وَقُدِّرَ في الأَزَلِ، و﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾: هي السفينة، والدُّسُرُ: المسامير، واحدها: دِسار؛ وهذا هو قول الجمهور، وقال مجاهد[٤]: الدُّسُرُ: أضلاع السفينة، قال العراقيُّ: والدِّسَار أيضاً: ما تُشَدُّ به السفينة، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ معناه: بحفظنا وتحتَ نظرٍ مِنَّا، قال البخاريُّ: قال قتادة: أبقى اللَّه عز وجل سفينةَ نوح حتَّى أدركها أَوائِلُ هذه الأُمَّةِ، انتهى، **وقرأ** جمهور[٥] الناس: ﴿جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ مبنيًّا للمفعول، قال مكيٌّ: قيل: «مَنْ» يرادُ بها نوحٌ والمؤمنون؛ لأَنَّهم كُفِروا من حيثُ كُفِرَ بهم، فجزاهم اللَّه بالنجاة، وقُرِىء شاذًّا: «كَفَرَ»

---

(١) النَّجْهِ: استقبالك الرجل بما يكره، وردك إياه عن حاجته، وقيل: هو أقبح الرد. ينظر: «لسان العرب» (٤٣٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٥١) برقم: (٣٢٧٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦٣).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٧٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٢٦).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٥٣) برقم: (٣٢٧٥٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦٤).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٧٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٢٧).

مبنيًّا للفاعل، والضمير في ﴿تركناها﴾ قالَ مَكِّيّ: هو عائد على هذه الفِعْلَةِ والقِصَّةِ، وقال
قتادة وغيره[1]: هو عائد على السفينة،/ و﴿مُدَّكِرٍ﴾ أصله: مذتكر؛ أبدلوا من التَّاءِ دالاً، ١١٧ ب
ثم أدغموا الذَّالَ في الدَّالِ، وهذه قراءة الناس، قال أبو حاتم: ورُوِيَتْ عنِ النبي ﷺ بإسناد
صحيح.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي ونُذُرِي﴾: توقيف لكفار قريش، والنذر: هنا جمع نذير، وهو المصدر، والمعنى: كيف كان عاقبةُ إِنذاري لمن لم يَحْفَلْ به كأنتم أيُّها القوم؟ و﴿يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾ أي: سَهَّلْناه وقَرَّبْناه، والذِّكْرُ: الحفظ عن ظهر قلب؛ قال * ع[2] *: يُسِّرَ بما فيه من حُسْنِ النظم وشَرَفِ المعاني، فله حلاوةٌ في القلوب، وامتزاجٌ بالعقول السليمة.

وقوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾: استدعاءٌ وحَضٌّ على ذكرِهِ وحفظِهِ؛ لتكونَ زواجِرُهُ وعلومُهُ حاضرةً في النفس، فللَّه دَرُّ مَنْ قبِل وهدي.

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ أي: من مُتَّعظ.

وقوله: ﴿في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ الآية: ورد في بعض الأحاديث في تفسير هذه الآية: ﴿يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ﴾: يوم الأربعاء، ومستمر معناه: متتابع.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٥٤) برقم: (٣٢٧٦١)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦١)، وابن عطية (٥/ ٢١٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢١٥).

﴿فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾﴾

وقوله: ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ معناه: تقلعهم من مواضعهم قَلْعاً فتطرحهم، ورُوِيَ عن مجاهد أَنَّ الريحَ كانت تُلْقِي الرجلَ على رأسه؛ فيتفتت رأسُهُ وعُنُقُهُ، وما يلي ذلك من بدنه[١]، قال *ع[٢]*: فلذلك حسن التشبيه بأعجاز النخل؛ وذلك أَنَّ المنقلع هو الذي ينقلع من قعره، وقال قوم: إِنَّما شَبَّهَهم بأعجاز النخل؛ لأَنَّهُمْ كانوا يحتفرون حفراً ليمتنعوا فيها من الريح، فكأنَّه شَبَّهَ تلك الحُفَرَ بعد النزع بحفر أعجاز النخل، والنَّخْلُ: تُذَكَّرُ وتُؤَنَّثُ، وفائدة تكرار قوله: ﴿فكيف كان عذابي وَنُذُرِي﴾ التخويفُ وَهَزُّ النفوس، وهذا
١١٨ أ موجود في تَكْرَارِ الكلام؛ كقوله ﷺ: «أَلاَ هَلْ/ بَلَّغْتُ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ»[٣] ونحوه، و[قول] ثمود لصالح: ﴿أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ﴾: هو حسد منهم، واستبعادٌ منهم أَنْ يكونَ نوعُ البشر يفضل هذا التفضيلَ، ولم يعلموا أَنَّ الفضلَ بيدِ اللّه يؤتيه مَنْ يشاء، ويفيض نورَ الهدى على مَنْ رَضِيَهُ، وقولهم: ﴿إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلاَلٍ﴾ أي: في ذهاب وانتلاف عن الصواب، ﴿وسُعُرٍ﴾ معناه: في احتراق أنفس واستعارها حنقاً، وقيل: في جنون؛ يقال: ناقة مسعورة إِذا كانت خفيفةَ الرأس هائمةً على وجهها، والأَشَرُ: البَطَرُ، **وقرأ** الجمهور[٤]: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ بالياء، **وقرأ** حمزة وحفص: «سَتَعْلَمُونَ» بالتاء من فوق؛ على معنى: قل لهم يا صالح.

ثم أمر اللّه صالحاً بارتقاب الفَرَجِ والصبر.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥٥٩) برقم: (٣٢٧٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/٢١٦)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/١٨٢)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/٢١٦).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) وقراءة الجمهور هي قراءة علي بن أبي طالب، وقرأ بالتاء من فوق ابن عامر وحمزة، وابن وثاب، وطلحة، والأعمش.
وأما حفص فقرأ بقراءة الجمهور، وليس كما ذكر المصنف متابعة لابن عطية، وإنما قراءته بالتاء من طريق هبيرة عن حفص.
ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/٢١٧)، و«**الحجة**» (٦/٢٤٣)، و«**معاني القراءات**» (٣/٤٣)، و«**شرح الطيبة**» (٦/٢٧)، و«**حجة القراءات**» (٦٨٩)، و«**العنوان**» (١٨٣)، و«**شرح شعلة**» (٥٩٢)، و«**إتحاف**» (٢/٥٠٧)، و«**التخريجات النحوية**» (٢٥٨).

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿فارتقبهم﴾ أي: انتظرهم؛ ما يصنعون، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الماءَ قِسْمَةٌ بينهم﴾ وبين الناقة، لها شِرْبٌ ولهم شِرْبُ يوم معلوم، و﴿مُحْتَضَرٌ﴾: معناه: محضور مشهود متواسى فيه، وقال مجاهد[١]: ﴿كل شرب﴾ أي: من الماء يوماً ومن لبن الناقة يوماً محتضر لهم، فكأنَّه أنبأهم بنعمة اللّه سبحانه عليهم في ذلك، و﴿صاحبهم﴾: هو قدار بن سالف، و﴿تعاطى﴾ مطاوع «عاطى» فكأَنَّ هذه الفعلة تدافعها الناس، وأعطاها بعضُهم بعضاً فتعاطاها هو، وتناول العَقْرَ بيده؛ قاله ابن عباس[٢]، وقد تقدم قَصَصُ القوم، و«الهشيم»: ما تفتَّت وتَهَشَّمَ من الأشياء، و﴿المحتظر﴾: معناه: الذي يصنع حظيرة، قاله ابن زيد وغيره[٣]، وهي مأخوذة من الحَظَرِ وهو المنع، والعرب وأهلُ البوادي يصنعونها للمواشي وللسُّكْنَى/ أيضاً من الأَغصان والشجر المُورِقِ، والقصب، ونحوه، وهذا كُلُّه ١١٨ ب
هشيمٌ يتفتت، إِمَّا في أَوَّل الصنعة، وإِمَّا عند بِلى الحظيرة وتساقُطِ أجزائها، وقد تقدم قَصَصُ قوم لوط، والحاصب: مأخوذ من الحصباء.

وقوله: ﴿فَتَمَارَوْا﴾ معناه: تشككوا، وأهدى بعضُهم الشَّكَّ إِلى بعض بتعاطيهم الشُّبَهِ والضلالِ، و﴿النذر﴾: جمع نذير، وهو المصدر، ويحتمل أَنْ يُرَادَ بالنذر هنا وفي قوله: ﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ ـ جمع نذير، الذي هو اسم فاعل.

وقوله سبحانه: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ قال قتادة[٤]: هي حقيقةٌ؛ جَرَّ جبريل شيئاً من جناحه على أعينهم فاستوت مع وجوههم، قال أبو عُبَيْدَةَ: مطموسة بجلدة كالوجه، وقال ابن عباس والضَّحَّاك[٥]: هذه استعارة؛ وإِنَّما حجب إِدراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً فجعل ذلك كالطمس.

وقوله: ﴿بُكْرَةً﴾ قيل: عند طلوع الفجر.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦١) برقم: (٣٢٧٩١)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٢)، وابن عطية (٥/ ٢١٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٢)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦١) برقم: (٣٢٧٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٢) برقم: (٣٢٨٠٠) عن الضحاك، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٨).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٤) برقم: (٣٢٨٠٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢١٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٣)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٤): (٣٢٨٠٥) عن ابن عباس، وعن الضحاك برقم: (٣٢٨٠٨)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٣) عن الضحاك، وابن عطية (٥/ ٢١٨).

وقوله: ﴿فَذُوقُوا﴾: يحتمل أنْ يكون من قول اللّه تعالى لهم، ويحتمل أنْ يكونَ من قول الملائكة، وَنُذُرِي: جمع المصدر، أي: وعاقبة إنذاري، و﴿مُسْتَقِرٌّ﴾ أي: دائم استقر فيهم حَتَّى يُفْضِيَ بهم إلى عذاب الآخرة، و﴿آل فرعون﴾: قومه وأتباعه.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾

وقوله: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ يحتمل أنْ يريد آل فرعونَ، ويحتمل أَنْ يكون قوله: ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ [القمر: ٤١] ـ كلاماً تامًّا ـ، ثم يكون قوله: ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعود على جميع من ذُكِرَ من الأمم.

وقوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولاَئِكُمْ﴾ خطاب لقريش على جهة التوبيخ.

وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾ أي: من العذاب ﴿في الزُّبُرِ﴾ أي: في كتب اللّه المُنَزَّلة؛ قاله ابن زيد وغيره[1].

١١٩ أ ثم قال تعالى لنبيِّنا محمد ﷺ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ/ نَحْنُ﴾: واثقون بجماعتنا، منتصرون بقوَّتِنا على جهة الإعجاب؛ سَيُهْزَمُونَ، فلا ينفع جمعُهم، وهذه عِدَةٌ من اللّه تعالى لرسوله أَنَّ جَمْعَ قريشٍ سَيُهْزَمُ، فكان كما وعد سبحانه؛ قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ: كنت أقول في نفسي: أَيُّ جَمْعٍ يُهْزَمُ؟! فَلَمَّا كان يومُ بدرٍ رأيتُ رسولَ اللّه ﷺ يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[2] والجمهور على أَنَّ الآية نزلت بِمَكَّةَ، وقول مَنْ زعم أَنَّها نزلت يومَ بدر ضعيف، والصواب أَنَّ الوعد نُجِّزَ يوم بدر، قال أبو حيان[3]: ﴿وَيُوَلُّونَ﴾: الجمهور بياء الغيبة، وعن أبي عمرو بتاء الخطاب، والدُّبُرُ: هنا اسم جنس، وحسن إفرادَهُ؛ كونُهُ فاصلةً، وقد جاء مجموعاً في آية أُخرى، وهو الأصل، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٧) برقم: (٣٢٨٢١)، وابن عطية (٥/ ٢٢٠).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٧) برقم: (٣٢٨٢٣)، وذكره البغوي (٤/ ٢٣٨)، وابن عطية (٥/ ٢٢٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٨٤)، وعزاه لابن أبي حاتم، والطبراني في «الأوسط»، وابن مردويه.
(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٨١).

ثم أضرب سبحانه تهميماً بأمر الساعة التي هي أَشَدُّ عليهم من كُلِّ هزيمة وقَتْلٍ، فقال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ و﴿أدهى﴾: أفعل من الداهية، وهي الرَّزِيَّةُ العُظْمَى تنزل بالمرء، ﴿وأَمَرُّ﴾ من المرارة.

* ت *: وقال الثعلبيُّ: الداهية الأَمَرُّ: الشديد الذي لا يُهْتَدَى للخلاص منه، انتهى.

ثم أخبر تعالى عن المجرمين أَنَّهم في الدنيا في حيرة وانتلاف، وفقد هدى، وفي الآخرة في احتراق وتسعُّر، وقال ابن عباس(١): المعنى: في خسران وجُنُونٍ، والسُّعُرُ: الجنون، وأكثر المفسرين على أَنَّ المجرمين هنا يُرَادُ بهم الكُفَّارُ، والسَّحْبُ: الجَرُّ.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ قرأ جمهور الناس: ﴿كُلَّ﴾ بالنصب، وقالوا: المعنى: إِنَّا خلقنا كُلَّ شيء بقدر سابق، وليست خلقنا في موضع الصفة لشيء، / وهذا مذهب أهل السُّنَّةِ وهذا المعنى يقتضي أَنَّ كُلَّ شيء مخلوق إلاَّ ما قام عليه الدليل ١١٩ ب أَنَّه ليس بمخلوق؛ كالقرآن والصفات.

* ت *: قال الثعلبيُّ: قال ابن عباس(٢): خَلَقَ اللَّه الخَلْقَ كُلَّهم بقدر، وَخَلَقَ الخيرَ والشَّرَّ، فخيرُ الخير: السعادةُ، وَشَرُّ الشَّرِّ: الشقاوة.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ﴾ قال * ع(٣) *: أي: إِلاَّ قولة واحدة، وهي «كن».

* ت *: قوله: إلاَّ قولة فيه قَلَقٌ ما، وكأَنَّه فَهِمَ أَنَّ معنى الآية راجع إِلى قوله تعالى: ﴿إِنَّما أمرنا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤] وعبارة الثعلبيِّ: أي: وما أمر الساعة إِلاَّ واحدة، أي: إِلاَّ رجفة واحدة، قال أبو عبيد: هي نعت للمعنى

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢١).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٦٩) برقم: (٣٢٨٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٥)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢١).

دون اللفظ، مجازه: وما أمرنا إلاَّ مرة واحدة كن فيكون ﴿كلمح بالبصر﴾، أي: كخطف بالبصر، فقيل له: إِنَّه يعني الساعةَ، فقال: الساعة وجميع ما يريد، انتهى، وكلام أبي عبيد عندي حَسَنٌ.

والأشياع: الفِرَقُ المتشابهة في مذهب، أو دين، ونحوهِ، الأَوَّلُ شيعةٌ للآخر، والآخرُ شيعة للأَوَّلِ، وكُلُّ شيء فعلته الأُمَم المُهْلَكَةُ في الزبر، أي: مكتوب محفوظ عليهم إِلى يوم الحساب؛ قاله ابن عباس وغيره[١]، و﴿مُسْتَطَرٌ﴾ أي: مُسَطَّر، **وقرأ** الجمهور[٢]: و﴿نَهَرٍ﴾ ـ بفتح النون والهاء ـ؛ على أَنَّه اسم الجنس يريد به الأنهار، أو على أَنَّه بمعنى: وَسَعَةٍ في الأرزاق والمنازل، قال أبو حيان[٣]: **وقرأ** الأعمش «وَنُهُرٍ» ـ بضم النون والهاء ـ جمع نَهرٍ؛ كـ«رَهْنٍ» وَ«رُهُنٍ» انتهى.

وقوله تعالى: ﴿في مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ يحتمل أنْ يريدَ به الصِّدقَ الذي هو ضِدُّ الكَذِبِ، أي: المقعد الذي صدقوا في الخبر به، ويحتمل أنْ يكون من قولك: عود صدق، أي:
١٢٠أ جيد، وَرَجُلٌ/ صِدْقٌ، أي: خير، والمليك المقتدر: اللَّه تعالى.

* ت *: وقال الثعلبيُّ: ﴿في مقعد صدق﴾ أي: في مجلس حَقٍّ لا لَغْوَ فيه ولا تأثيمَ، وهو الجنة عند مليك مقتدر، و﴿عند﴾: إِشارة إِلى القربة والرُّتْبَةِ، انتهى.

* ص *: قال أبو البقاء: ﴿في مقعد صدق﴾: بدل من قوله: ﴿في جنات﴾ انتهى، قال المُحَاسِبِيُّ: وإِذا أخذ أهلُ الجنة مجالسَهم، واطمأنوا في مقعد الصدق الذي وعده اللَّه لهم، فهم في القُرْبِ من مولاهم سبحانه على قدر منازلهم عنده، انتهى من كتاب «**التَّوَهُّم**» ثم قال المُحَاسِبيُّ بإِثْرِ هذا الكلام: فلو رأيتهم، وقد سمعوا كلامَ ربهم، وقد داخل قلوبَهم السرورُ، وقد بلغوا غايةَ الكرامة ومنتهى الرضا والغِبْطَةِ، فما ظَنُّك بنظرهم إِلى العزيز العظيم الجليل الذي لا تقع عليه الأوهام؛ ولا تحيطُ به الأفهام، ولا تحده الفِطَنُ، ولا تكيِّفه الفِكَرُ، الأَزَلِيُّ القديم، الذي حارت العقول عن إِدراكه، وكَلَّتِ الألسنُ عن كُنْهِ صفاته؟! انتهى.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٢)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٨٦)، وعزاه لابن المنذر.
(٢) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٢٢)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٨٢)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٢٣٤).
(٣) ينظر: «**البحر المحيط**» (٨/ ١٨٢)، وفيه أيضاً: أنها قراءة زهير الفرقبي وأبي نهيك، وأبي مجلز، واليماني.
وينظر: «**المحتسب**» (٢/ ٣٠٠).

تفسِيرُ سُورَةِ الرَّحْمٰنِ

عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمهور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥﴾

قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ الرحمٰن: بناء مبالغة من الرحمة، وقوله: ﴿علم القرآن﴾ تعديد نعمةٍ، أي: هو مَنَّ به، وعَلَّمَهُ الناسَ، وخَصَّ حُفَّاظَهُ وَفَهَمَتَهُ بالفضل؛ قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1]، ومن الدليل على أَنَّ القرآن غيرُ مخلوقٍ، أَنَّ اللّه تعالى ذكر القرآن في كتابه في أربعة وخمسين موضعاً ما فيها موضِعٌ صَرَّحَ/ فيه بلفظ الخلق، ولا أشار إليه، وذكر الإنسانَ على الثُّلُثِ من ذلك في ثمانية عَشَرَ ١٢٠ ب
موضعاً كُلُّها نَصَّتْ على خلقه، وقد اقترن ذكرُهُمَا في هذه السورة على هذا النحو، والإنسان هنا اسم جنس؛ قاله الزَّهْرَاوِيُّ وغيره، قال الفخر[2]: ﴿الرحمٰن﴾: مبتدأ خبره الجملة الفعلية التي هي ﴿علم القرآن﴾، انتهى، و﴿البيان﴾: النُّطْقُ والفهم والإبانة عن ذلك بقولٍ؛ قاله الجمهور، وبذلك فُضِّلَ الإنسان من سائر الحيوان، وكل المعلومات داخلة في

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٩٢)، كتاب «فضائل القرآن» باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٧ ـ ٥٠٢٨)، وأبو داود (١/ ٤٦٠)، كتاب «الصلاة» باب: في ثواب قراءة القرآن (١٤٥٢)، والترمذي (٥/ ١٧٣ ـ ١٧٤)، كتاب «فضائل القرآن» باب: ما جاء في تعليم القرآن (٢٩٠٧ ـ ٢٩٠٨)، وابن ماجه (١/ ٧٦ ـ ٧٧) «المقدمة» باب: فضل من تعلم القرآن وعمله (٢١١)، وأحمد (١/ ٨٥، ٦٩)، والدارمي (٢/ ٤٣٧)، كتاب «فضائل القرآن» باب: خياركم من تعلم القرآن وعلمه عن عثمان بن عفان.
وفي الباب عن علي رضي اللّه عنه: أخرجه الترمذي (٥/ ١٧٥)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ما جاء في تعليم القرآن (٢٩٠٩)، وأحمد (١/ ١٥٣)، والدارمي (٢/ ٤٣٧)، كتاب «فضائل القرآن» باب: خياركم من تعلم القرآن.
قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه من حديث علي عن النبي ﷺ إلا من حديث عبد الرحمٰن بن إسحاق.

(٢) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (١٥/ ٧٥).

البيان الذي عَلّمه الإِنسان، فمن ذلك البيان: كونُ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾: وهذا ابتداء تعديد نِعَم، قال قتادة[١]: ﴿بحسبان﴾: مصدر كالحساب، وقال أبو عبيدةَ معمر بن المثنى والضَّحَّاك[٢]: هو جمع حساب، والمعنى: أنَّ هذين لهما في طلوعهما وغروبهما وقطعهما البروجَ وغيرِ ذلك حساباتٌ شتَّى، وهذا مذهب ابن عباس وغيرِه[٣]، وقال قتادة: الحسبان[٤]: الفلك المستدير، شَبَّهَهُ بحُسْبَان الرَّحَى، وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال ابن عباس وغيره[٥]: النجم: النباتُ الذي لا ساقَ له. قال * ع[٦] *: وسُمِّيَ نَجماً؛ لأنَّه نَجَمَ، أي: ظَهَر، وهو مناسب للشجر نسبةً بَيِّنَةً، وقال مجاهد وغيره: النجم: اسم الجنس من نجوم السماءِ[٧]: قال * ع[٨] *: والنسبة التي لها من السَّمَاءِ هي التي للشَّجَرِ من الأرض؛ لأَنَّهُمَا في ظاهرهما، وسُمِّيَ الشَّجَرَ؛ من اشتجار غصونه، وهو تداخُلُها، قال مجاهد[٩]: وسجودُهُمَا عبارةٌ عن التذلُّلِ والخضوعِ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٣) برقم: (٣٢٨٦٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٣) برقم: (٣٢٨٦٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٧)، وابن عطية (٥/ ٢٢٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٠)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٤) عن مجاهد برقم: (٣٢٨٦٧).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٥) برقم: (٣٢٨٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٧٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «**العظمة**» عن ابن رزين، والحاكم وصححه.

(٦) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٢٤).

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٥) برقم: (٣٢٨٧٣)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٧)، وابن عطية (٥/ ٢٢٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٧٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٨) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٢٤).

(٩) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَوَضَعَ/ الْمِيزَانَ﴾: يريد به العدل؛ قاله أكثرُ الناسَ. ١٢١ أ

وقوله: ﴿أَلاَّ تَطْغَوا في الْمِيزَانِ﴾ وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾، وقوله: ﴿وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ يريد به الميزانَ المعروفَ وألاَّ هو بتقدير لئلاَّ، أومفعول من أجله، وفي مصحف ابن مسعود[١]: «لاَ تَطْغَوا في الْمِيزَانِ» **وقرأ** بلال بن أبي بُرْدَةَ[٢]: «تَخْسِرُوا» ـ بفتح التاء وكسر السين ـ؛ من خَسَرَ، ويقال: خَسَرَ وَأَخْسَرَ بمعنى نَقَصَ، وأفسد؛ كَجَبَرَ وأَجْبَرَ.

والأنام: قال الحسن بن أبي الحَسَنِ[٣]: هم الثقلان، الإِنْسُ والْجِنُّ، وقال ابن عباس، وقتادة وابن زيد والشَّعْبِيُّ[٤]: هم الحيوانُ كلُّه.

﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ﴾ وذلك أَنَّ طَلْعَهَا في كُمٍّ وفروعَها أيضاً في أكمام مِنْ لِيفِهَا، والكُمُّ من النَّبَاتِ: كلُّ ما ٱلْتَفَّ عَلَىٰ شَيْءٍ وَسَتَرَهُ: ومنه كمائم الزَّهْرِ، وبه شُبِّهَ كُمُّ الثوب.

﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾: هو الْبُرُّ والشَّعِيرُ وما جرى مجراه، قال ابن عباس[٥]: العَصْفُ: التِّبْنُ، واخْتُلِفَ في الرَّيْحَان، فقال ابن عَبَّاس وغيره[٦]: هو الرِّزْق، وقال الحسن: هو رَيْحَانُكُمْ[٧] هذا، وقال ابن زيد وقتادة[٨]: الريحانُ هو كُلُّ مشمومٍ طَيِّبٍ، قال

---

(١) ينظر: «**الكشاف**» (٤/ ٤٤٤)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٢٥).
(٢) ينظر: «**الشواذ**» ص: (١٤٩)، و«**المحتسب**» (٢/ ٣٠٣)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٢٢٥)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ١٨٨)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٢٣٧)
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٧) برقم: (٣٢٨٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٧) برقم: (٣٢٨٩١)، عن ابن عباس، وعن قتادة برقم: (٣٢٨٩٥)، وعن ابن زيد (١١/ ٥٧٨) برقم: (٣٢٨٩٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٥)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٧٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٧٧) برقم: (٣٢٩٠٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٨)، وابن عطية (٥/ ٢٢٥)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٧١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٠) برقم: (٣٢٩١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٨)، وابن عطية (٥/ ٢٢٥)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير.
(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٠) برقم: (٣٢٩٢٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٨)، وابن عطية (٥/ ٢٢٥)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٢٧١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ١٩٢)، وعزاه لابن جرير.
(٨) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٠) برقم: (٣٢٩٢٣)، عن ابن زيد، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٥).

* ع[١] *: وفي هذا النوع نعمة عظيمة، ففيه الأزهار، والمِنْدَلُ والعقاقير، وغير ذلك، وقرأ الجمهور[٢]: «وَالرَّيْحَانُ» بالرفع؛ عطفاً على «فاكهة» وقرأ حمزة والكسائيُّ: «وَالرَّيْحَانِ» بالخفض؛ عطفاً على «العَصْف»، فـ«الريحان» على هذه القراءة: الرزق، ولا يدخل فيه المشمومُ إلاَّ بتكلُّفٍ، و«ريحان» أصله «رَوْحَان»؛ فهو من ذوات الواو؛ و«الآلاء»: النِّعَمُ، والضمير في قوله: ﴿ربكما﴾ للجن والإنس اللَّذَيْن تضمَّنهما لفظُ الأنَام،
١٢١ ب وأيضاً ساغ تقديمُ ضميرهما عليهما؛ لذكر/ الإنسان والجانِّ عَقِبَ ذلك، وفيه اتساع، وقال منذر بن سَعِيدٍ: خُوطِبَ مَنْ يعقِلُ؛ لأَنَّ المخاطبة بالقرآن كُلِّه هي للإنس والجن[٣]، وعن جابر قال: «قرأ علينا النَّبِيُّ ﷺ سُورَةَ الرَّحْمٰن، حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَالي أَرَاكُمْ سُكُوتاً؟! لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ رَدًّا مِنْكُمْ؛ مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الآيَةَ مِنْ مَرَّةٍ: ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلاَّ قَالُوا: لاَ بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ»[٤].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ الآية: اخْتُلِفَ في اشتقاقِ «الصَّلْصَال»؛ فقيل: هو من صَلَّ: إذا أَنْتَنَ، فهي إشارةٌ إلى

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٥).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩)، و«السبعة» (٦١٩)، و«الحجة» (٦/ ٢٤٥)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٣٣)، و«معاني القراءات» (٣/ ٤٤)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٢٩)، و«العنوان» (١٨٤)، و«حجة القراءات» (٦٩٠)، و«شرح شعلة» (٥٩٣)، و«إتحاف» (٢/ ٥٠٩).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٦).
(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٩٩)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الرحمٰن (٣٢٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٣٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٨٩)، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد، قال أحمد بن حنبل: كان زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يروى عنه بالعراق كأنه رجل آخر قلبوا اسمه، يعني لما يروون عنه من المناكير، وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير، وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقاربة. ا هـ من كلام الترمذي.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

الحَمْأَةِ، وقال الجمهور: هو من صَلَّ: إِذَا صَوَّتَ، وذلك في الطين لجودته، فهي إِشارة إِلى ما كان في تربة آدم من الطين الحُرِّ؛ وذلك أَنَّ اللّه تعالى خلقه من طين مختلِفٍ، فمرَّةً ذكر في خلقه هذا، ومرَّةً هذا، وكُلُّ ما في القرآن صفاتٌ ترددتْ على التراب الذي خُلِقَ منه، و«الفَخَّارُ»: الطين الطَّيِّبُ إِذا مَسَّهُ الماء فخر، أي: رَبَا وَعَظُمَ، والجانُّ: اسم جنس كالجِنَّةِ، قال الفخر: وفي الجانِّ وجه آخر: أنَّه أبو الجنِّ، كما أَنَّ الإِنسان هنا أبو الإِنْسِ خُلِقَ من صَلْصَالٍ، ومَنْ بعده خُلِقَ من صُلْبِهِ؛ كذلك الجَانُّ هنا أبو الجَنِّ خُلِقَ من نارٍ، ومَنْ بعده من ذرِّيَّتِهِ، انتهى، و«المارج»: اللهب المُضْطَرِبُ من النار، قال ابن عباس[١]: وهو أحسنُ النَّارِ المختلِطِ من ألوانٍ شَتَّىٰ، قال أبو حيَّان[٢]: المَارِجُ المختلِطُ من أصْفَر، وأخضَرَ، وأحْمَرَ، انتهى.

وكَرَّرَ سبحانه قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ تأكيداً وتنبيهاً للنفوس، وتحريكاً لها، وهذه طريقة من الفصاحة معروفة، وهي من كتاب اللّه في مواضع؛ وفي حديث النبي ﷺ،/ وفي كلام العرب، وذهب قوم إلى أَنَّ هذا التكرار إِنَّما هو لما اختلفت النعم ١٢٢ أ
المذكورة كَرَّرَ التوقيفَ مع كُلِّ واحدة منها، قال * ع[٣] *: وهذا حَسَنٌ، وقال الحُسَيْنُ بْنُ الفَضْلِ: التكرار لِطَرْدِ الغَفْلَةِ، وللتأكيد[٤]، وخَصَّ سبحانه ذكرَ المَشْرِقَيْنِ والمغربين بالتشريف في إضافة الرب إليهما؛ لعظمهما في المخلوقات.

* ت *: وتحتمل الآية أَنْ يرادَ المشرقين والمغربين وما بينهما كما هو في «سورة الشعراء» واختلف الناس في ﴿البَحْرَيْنِ﴾؛ قال * ع[٥] *: والظاهر عندي أَنَّ قوله تعالى: ﴿البحرين﴾ يريد بهما نَوْعَي الماءِ العَذْبِ والأُجَاجِ، أي: خلطهما في الأرض، وأرسلهما متداخلين في وضعهما في الأرض، قريب بعضهما من بعض، ولا بَغْيَ، قال * ع[٦] *: وذكر الثعلبيُّ في ﴿مرج البحرين﴾ ألغازاً وأقوالاً باطنةً يجب ألاَّ يُلْتَفَتَ إِلَىٰ شَيْءٍ منها.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٤) برقم: (٣٢٩٤٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧١).
(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٨٩).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٦).
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٦).
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٧).
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٢٧).

* ت *: ولا شَكَّ في اطِّرَاحِهَا، فمنها نقله عن الثوريِّ ﴿مرج البحرين﴾: فاطمة وعليٌّ، ﴿اللؤلؤ والمرجان﴾: الحَسَنُ والحُسَيْنُ، ثم تمادَىٰ في نحو هذا مِمَّا كان الأَوْلَىٰ به تركُهُ، ومَرِجَ الشَّيْءُ، أي: اختلط، و«البَرْزَخُ»: الحاجز، قال البخاريُّ ﴿لا يبغيان﴾: لا يختلطان، انتهى، قال ابن مسعود[1]: ﴿والمَرْجَان﴾: حجر أحمر، وهذا هو الصواب، قال عطاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ[2]: وهو البُسذ[3].

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال جمهور من المتأولين: إنما يخرج ذلك من «الأُجَاجِ» في المواضع التي تقع فيها الأنهار والمياه العذبة؛ فلذلك قال: ﴿منهما﴾.

* ت *: وهذا بناء على أَنَّ الضمير في ﴿منهما﴾ للعذب وللمالح، وأَمَّا على قول
١٢٢ ب /مَنْ قال: إنَّ البحرين بَحْرُ فَارِسَ والرُّومِ، أو بَحر القُلْزُم وبَحْرُ الشَّامِ ـ فلا إشكالَ ـ؛ إذْ كُلُّها مالحةٌ، وقد نقل الأخفش عن قوم؛ أَنَّهُ يخرج اللؤلؤ والمرجان من المالح ومن العذب، وليس لِمَنْ رَدَّهُ حُجَّةٌ قاطعة، ومَنْ أَثْبَتَ أَوْلَىٰ مِمَّنْ نفى، قال أبو حيَّان[4]: والضمير في ﴿منهما﴾ يعود على البحرين، بعني: العَذْبَ والمَالِحَ، والظاهرُ خروجُ اللؤلؤِ والمَرْجَانِ منهما، وحكاه الأخفَشُ عن قوم، انتهى، والجَوَارِي: جمع جارية، وهي السُّفُنُ، **وقرأ** حمزة وأبو بكر[5]: «المنشِئَاتُ» ـ بكسر الشين ـ، أي: اللواتي أنشأْنَ جَرْيَهُنَّ، أي: ابتدأْنَهُ، **وقرأ** الباقون ـ بفتح الشين ـ، أي: أنشأها اللَّهُ أو الناسُ، وقال مجاهد: ﴿المُنْشَآت﴾: ما رُفِعَ قِلْعُهُ من السفن ﴿كالأعلام﴾، أي: كالجبال[6].

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٩) برقم: (٣٢٩٩٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٨).
(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٥٨٩) برقم: (٣٢٩٩٠) عن كعب الأحبار، وذكره البغوي (٤/ ٢٦٩).
(٣) البُسَّذُ: نوع من الجوهر. وهي كلمة غير عربية.
ينظر: **«لسان العرب»** (٢٧٩).
(٤) ينظر: **«البحر المحيط»** (٨/ ١٩٠).
(٥) ينظر: **«السبعة»** (٦٢٠)، و**«الحجة»** (٦/ ٢٤٧)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٣٣٧)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٤٦)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٣٠)، و**«العنوان»** (١٨٤)، و**«حجة القراءات»** (٦٩١)، و**«شرح شعلة»** (٥٩٣)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥١٠).
(٦) أخرجه الطبري (٥/ ٥٩١) برقم: (٣٣٠٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٢٨)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٢٧٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ١٩٦)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير.

* ت *: ولفظ البخاريِّ: ﴿المنشآت﴾: ما رُفِعَ قِلْعُهُ من السفن، فأمَّا ما لا يرفعُ قِلْعُهُ، فليس بمنشآت، انتهى.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض ﴿فَانٍ﴾ والإشارة بالفناء إلى جميع الموجودات على الأرض من حيوان وغيره، والوجه: عبارة عن الذَّاتِ، لأنَّ الجارحة منفيَّةٌ في حَقِّه سبحانه؛ قال الداووديُّ: وعن ابن عباس ﴿ذو الجَلاَلِ﴾: قال: ذو العظمة والكبرياء، انتهى.

﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي: مِنْ مَلَكٍ، وإِنس، وجنٍّ، وغيرهم، لا غِنَىٰ لأحد منهم عنه سبحانه، كُلُّهم يَسْأَله حاجَتَهُ، إِمَّا بلسانِ مقاله، وإِمَّا بلسانِ حاله.

وقوله سبحانه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أي: يُظْهِرُ شأناً من قدرته التي قد سبقت في الأَزَلِ في ميقاته من الزمان، من إِحياءٍ وإِماتةٍ، ورِفْعَةٍ وخَفْضٍ، وغيرِ ذلك من الأمور التي / لا يعلم نهايتها إلاَّ هو سبحانه، و«الشأن»: هو اسم جنس للأمور، قال الحسين بن ١٢٣ أ
الفضل[١]: معنى الآية: سَوْقُ المقادير إلى المواقيت؛ وفي الحديث: «أَنَّ النبي ﷺ قَرَأَ هٰذِهِ الآيَةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا هٰذَا الشَّأْنُ يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: يَغْفِرُ ذَنْباً، وَيُفَرِّجُ كَرْباً، وَيَرْفَعُ قَوْماً، وَيَضَعُ آخَرِينَ»[٢] وذكر النَّقَّاش أَنَّ سبب هذه الآيةِ قولُ اليهود: ٱسْتَرَاحَ اللّهُ يَوْمَ السَّبْتِ، فَلاَ يُنَفِّذُ فِيهِ شَيْئاً.

وقوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّه الثَّقَلاَنِ﴾: عبارة عن إتيان الوقت الذي قَدَّرَ فيه، وقَضَىٰ أَنْ ينظرَ في أُمور عباده، وذلك يوم القيامة، وليس المعنى: أَنَّ ثَمَّ شغلاً يتفرَّغ منه؛ إِذْ لا يشغله سبحانه شأنٌ عن شأن، وإِنَّما هي إِشارةُ وعيدٍ وتهديدٍ، قال البخاريُّ: وهو

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٧٠)، وابن عطية (٥/ ٢٢٩).
(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٧)، وعزاه إلى البزار.

معروفٌ في كلام العرب؛ يقال: لأفْرُغَنَّ لَكَ، وما به شُغْلٌ، انتهى، و﴿الثقلان﴾: الإنس والجن؛ يقال: لكل ما يَعْظُمُ أمرُه: ثَقَلٌ، وقال جعفرُ بْنُ محمَّدٍ الصَّادِقُ: سُمِّيَ الإِنْسُ والجِنُّ ثَقَلَيْنِ؛ لأَنَّهما ثَقُلاَ بالذنوبِ[1]، قال * ع[2] *: وهذا بارعٌ ينظر إِلَىٰ خلقهما من طين ونار، واختلف الناسُ في معنى قوله تعالى: ﴿إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا...﴾ الآية: فقال الطبريُّ[3]: قال قوم: المعنى: يُقَالُ لهم يومَ القيامة: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ...﴾ الآية، قال الضَّحَّاك: وذلك أَنَّهُ يَفِرُّ الناسُ في أقطار الأرض، والجِنُّ كذلك؛ لما يَرَوْنَ من هول يوم القيامة، فيجدون سَبْعَةَ صفوف من الملائكة، قد أحاطَتْ بالأرض، فيرجعون من حيثُ جاؤوا، فحينئذٍ يقال لهم: ﴿يا معشر الجن والإِنس﴾[4]، وقال بعض المفسِّرين: هي مخاطبةٌ في الدنيا، والمعنى: إِنِ ٱستطعتم الفِرَارَ مِنَ المَوْتِ بأَنْ تَنْفُذُوا من أقطار السمٰوات والأرض، فٱنفذوا.

١٢٣ ب / * ت *: والصوابُ الأول.

وقوله: ﴿فَانْفُذُوا﴾: صيغة أمر، ومعناه: التعجيز، و«الشُّوَاظُ»: لَهَبُ النار؛ قاله ابن عباس وغيره[5]، قال أبو حَيَّان[6]: الشُّوَاظُ: هو اللهب الخالصُ بغَيْرِ دُخَانٍ، انتهى، و«النُّحَاسُ»: هو المعروف؛ قاله ابن عباس وغيره[7]، أي: يُذَابُ ويُرْسَلُ عليهما، ونحوه في البخاريِّ، قال * ص *: وقال الخليل: «النُّحَاسُ» هنا هو: الدُّخَانُ الذي لا لَهَبَ له، ونقله أيضاً أبو البقاء وغيره، انتهى.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَـٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٧١)، وابن عطية (٥/ ٢٣٠).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٠).
(٣) ينظر: «تفسير الطبري» (١١/ ٥٩٤).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٥٩٤) برقم: (٣٣٠١٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٠).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٥٩٦) برقم: (٣٣٠٢٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٩٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٦) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١٩٣).
(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٣١).

وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: جواب «إذا» محذوفٌ مقصودٌ به الإبهام؛ كأنّه يقول: فإذا انشقّتِ السماءُ، فما أعظَمَ الهَوْلَ! قال قتادة[١]: السماءُ اليومَ خَضْرَاءُ، وهي يوم القيامة حَمْرَاءُ، فمعنى قوله: ﴿وَرْدَةً﴾ أي: مُحْمَرَّةً كالوَرْدَةِ، وهي النُّوَّارُ المعروفُ؛ وهذا قول الزَّجَّاج وغيره.

وقوله: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ قال مجاهدٌ وغيره[٢]: هو جمع دُهْنٍ؛ وذلك أَنَّ السماء يعتريها يومَ القيامة ذَوْبٌ وتَمَيُّعٌ من شِدَّةِ الهَوْلِ، وقال ابن جُرَيْجٍ[٣]: من حَرِّ جَهَنَّمَ، نقله الثعلبيُّ، وقيل غير هذا.

وقوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾ قال قتادة وغيره[٤]: هي مواطنُ؛ فلا تعارُضَ بين الآيات.

وقوله سبحانه: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ قال ابن عباس[٥]: يُؤْخَذُ كُلُّ كافر بناصيته وقدَمَيْهِ، ويُطْوَىٰ، ويُجمَعُ كالحَطَبِ، ويُلْقَىٰ كذلك في النار، وقيل: المعنى: أَنَّ بعضَ الكفرة يُؤْخَذُونَ بالنواصي، وبعضُهم يُسْحَبُونَ، ويُجَرُّون بالأقدام.

وقوله تعالى: ﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي: يقال لهم على جهة التوبيخ، وفي مصحف ابن مسعود[٦]: «هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمَا بِهَا تُكَذِّبَانِ لاَ تَمُوتَانِ فِيهَا وَلاَ تَحْيَيَانِ».

وقوله سبحانه: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ المعنى:/ أَنَّهم يتردَّدون بين نارِ ١٢٤ أ
جهنَّم وَجَمْرِهَا، وبين حميم، وهو ما غُلِيَ في جهنَّم من مائع عذابها، وآنَ الشَّيْءُ: حَضَرَ، وآنَ اللَّحْمُ أو ما يُطْبَخُ أَوْ يُغْلَىٰ: نَضِجَ وتناهَىٰ حَرُّهُ، وكونُهُ من الثاني أَبْيَنُ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٥٩٨) برقم: (٣٣٠٥٤)، وذكره البغوي (٤/٢٧٢)، وابن عطية (٥/٢٣١)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/٢٧٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/٥٩٩) برقم: (٣٣٠٥٧)، وذكره ابن عطية (٥/٢٣١)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/٢٧٥)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/١٩٩)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٣) ذكره البغوي (٤/٢٧٢).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/٢٣٢).

(٥) ذكره ابن عطية (٥/٢٣٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/٢٧٥)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/٢٠٠)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في **«البعث والنشور»**.

(٦) وزاد ابن خالويه فيها: «تصليانها» لا تموتان...، ينظر: **«الشواذ»** ص: (١٥٠)، و**«الكشاف»** (٤/٤٥١)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/٢٣٢).

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: موقِفَهُ بينَ يَدَيْ ربه، وقيل في هذه الآية: إنَّ كُلَّ خائف له جَنَّتَانِ.

* ت *: قال الثعلبيُّ: قال محمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الترمذيُّ: جَنَّةٌ لخوفه من ربِّه، وجنَّةٌ لتركه شهوَته، و«الأَفْنَان»: يحتمل أنْ تكون جمع «فَنَنٍ»، وهو الغُصْن، وهذا قولُ مجاهد[1]، فكأَنَّهُ مدَحَهَا بظلالِهَا وتَكَاثُفِ أغصانها، ويحتمل أنْ تكونَ جمع «فَنٍّ»، وهو قول ابن عباس[2]، فكأَنَّه مدحها بكثرة فواكِهِهَا ونعيمِهَا، و﴿زَوْجَانِ﴾ معناه: نَوْعَانِ.

* ت *: ونقل الثعلبيُّ عن ابنِ عَبَّاس[3] قال: ما في الدنيا شجرةٌ حُلْوَةٌ ولا مُرَّةٌ إلاَّ وهي في الجنة، حتى الحَنْظَلُ إلاَّ أَنَّهُ حُلْوٌ انتهى.

و﴿مُتَّكِئِينَ﴾: حالٌ، وقرأ الجمهور[4]: ﴿عَلَى فُرُشٍ﴾ ـ بضم الراء ـ، ورُوِيَ في الحديث «أنَّه قيل للنبيِّ ﷺ: هَذِهِ الْبَطَائِنُ مِنْ إسْتَبْرَقٍ، فَكَيْفَ الظَّوَاهِرُ؟! قَالَ: هِيَ مِنْ نُورٍ يَتَلأْلأُ»، والإِستبرقُ: ما خَشُنَ وحَسُنَ من الدِّيبَاجِ، والسُّنْدُسُ: ما رَقَّ منه، وقد تقدَّم القولُ في لفظ الإِسْتَبْرَقِ، والضميرُ في قوله: ﴿فيهن﴾ لِلْفُرُشِ، وقيل: للجنات، إذِ الجنتان جناتٌ في المعنى، و«الجَنَىٰ»: ما يُجْنَىٰ من الثمار، ووصفه بالدُّنُوِّ؛ لأَنَّه يدنو إلى مشتهيه، فيتناوله كيف شاء من قيام، أو جلوس، أو اضطجاع، رُوِيَ معناه في الحديث، و﴿قاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: هُنَّ الحور، قَصَرْنَ ألحاظَهُنَّ على أزواجهن: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أي: لم يفتضَّهنَّ؛ لأَنَّ الطَّمْثَ دَمُ الفَرْجِ.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٠٤) برقم: (٣٣١٠٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٧٤)، وابن عطية (٥/ ٢٣٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٣)، وعزاه لابن جرير.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٣).

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٢٧٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ١٩٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٤٦).

وقوله: ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ قال مجاهد: الجن قد/ تُجَامِعُ نساءَ البَشَرِ مع أزواجهن[١] إذا لم ١٢٤ ب
يذكر الزوجُ اسمَ اللَّه، فنفى سبحانَهُ في هذه الآية جميعَ المجامعاتِ.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ الآية، الياقوتُ والمَرْجَان هي من الأشياء التي قد بَرَعَ حُسْنُهَا، واستشْعَرَتِ النفوسُ جلالتها، فوقع التشبيه بها فيما يشبه، ويحسن بهذه المُشَبَّهَاتِ، فالياقوتُ في أملاسِهِ وشُفُوفِهِ، ولو أدخلْتَ فيه سِلْكاً، لرأيته من ورائه، وكذلك المرأة من نساء الجنة يُرَى مُخُّ ساقها من وراء العَظْم، والمَرْجَانُ في املاسِه وجمالِ منظره.

وقوله سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾: آيةُ وَعْدٍ وبَسْطٍ لنفوسِ جميع المؤمنين؛ لأَنَّها عامَّةٌ؛ قال ابن المُنْكَدِرِ، وابن زيد، وجماعة من أَهْلِ العلم[٢]: هي لِلْبَرِّ والفاجر، والمعنى: أَنَّ جزاءَ مَنْ أحْسَنَ بالطاعةِ أَنْ يُحْسَنَ إليه بالتنْعِيمِ، وحكى النَّقَّاشُ أَنَّ النبيَّ ﷺ فَسَّرَ هذه الآية: هَلْ جَزَاءُ التَّوْحِيدِ إِلاَّ الجَنَّةُ[٣].

* ت *: ولو صَحَّ هذا الحديثُ، لوجَبَ الوقوفُ عنده، ولكنَّ الشأن في صِحَّتِهِ، قال الفخر[٤]: قوله تعالى: ﴿هل جزاءُ الإحسانِ إلاَّ الإِحْسَانُ﴾ فيه وجوهٌ كثيرةٌ، حَتَّىٰ قيل: إِنَّ في القرآن ثلاثَ آيات، في كل واحدة منها مائةُ قَوْلٍ، إحداها: قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] وثانيتُهَا: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]وثالثتها: ﴿هل جزاء الإحسان إِلاَّ الإِحسان﴾ ولنذكر الأشهر منها والأقرب:

أما الأشهر فوجوه:

أحدها: هل جزاء التوحيدِ إِلاَّ الجنةُ، أي: هل جزاءُ مَنْ قال: لا إِلٰه إلا اللَّه إِلاَّ دخولُ الجَنَّةِ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٠٧) برقم: (٣٣١٢١)، وذكره البغوي (٤/ ٢٧٥)، وابن عطية (٥/ ٢٣٤).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/٢٣٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢٠٨)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والبخاري في «الأدب»، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن محمد ابن الحنفية.
(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٠٧)، وعزاه إلى الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، والبغوي في «تفسيره»، والديلمي في «مسند الفردوس».
(٤) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (١٥/١١٥).

ثانيها: هل جزاءُ الإِحسان في الدنيا إلاَّ الإِحسانُ في الآخرة.

١٢٥أ ثالثها: هل جزاء/ مَنْ أحسنَ إليكم بالنعم في الدنيا إلاَّ أَنْ تحسِنُوا له العبادَةَ والتقوى.

وأمَّا الأقرب فهو التعميم، أي: لأنَّ لفظ الآية عامٌّ، انتهى.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ قال ابنُ زَيْدٍ وغيره: معناه أَنَّ هاتين دون تَيْنِكَ في المنزلة والقُرْبِ، فالأُولَيَانِ للمقرَّبين، وهاتان لأَصْحَابِ اليَمِينِ[(١)]، وعن ابن عباس[(٢)]: أَنَّ المعنى: أَنَّهُمَا دونهما في القرب إلى المُنَعَّمِينَ، وأَنَّهما أفضلُ من الأُولَيَيْنِ، قال * ع[(٣)] *: وأكثر الناس على التأويل الأول.

* ت *: واختار الترمذيُّ الحكيمُ التأويلَ الثاني، وأطنب في الاحتجاج له في **«نوادر الأصول»** له، وخَرَّجَ البخاريُّ هنا عن النبيِّ ﷺ قال: جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا...» الحديث، وفيه: «إنَّ في الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلاً، في كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْل مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ»[(٤)] انتهى، و﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ معناه: قد علا لَوْنَهُمَا دُهْمَةٌ وَسَوَادٌ في النَّظْرَةِ والخُضْرَة،

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦١٠) برقم: (٣٣١٤٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٩).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٥).

(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٢٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٤٩١)، كتاب «التفسير» باب: ومن دونهما جنتان (٤٨٧٨) باب: حورٌ مقصورات في الخيام (٤٨٨٠)، (١٣/ ٤٣٣)، كتاب «التوحيد» باب: قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ (٧٤٤٤)، ومسلم (١/ ١٦٣)، كتاب «الإيمان» باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، برقم: (٢٩٦/ ١٨٠)، وابن ماجه (١/ ٦٦ ـ ٦٧) «المقدمة» باب: فيما أنكرت الجهمية (١٨٦)، والترمذي (٤/ ٥٨١)، كتاب «صفة الجنة» باب: ما جاء في صفة غرف الجنة (٢٥٢٨)، والدارمي (٢/ ٣٣٣).

ة، قال البخاريُّ: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾: سودَاوَانِ من الرِّيِّ[١]، انتهى، والنَّضَّاخَةُ: الفَوَّارَةُ التي يَهِيجُ ماؤُها، وكَرَّرَ النخلَ والرُّمَّانَ، وهما من أفضلِ الفاكهة؛ تشريفاً لهما، وقالت أُمُّ سَلَمَةَ: «قلتُ: يا رسول اللَّه، أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قَالَ: خَيْرَاتُ الأَخْلاَقِ، حِسَانُ الْوُجُوهِ» وَقُرِىءَ شاذّاً: «خَيِّرَاتٌ» ـ بِشَدِّ الياء المكسورة[٢] ـ.

* ت *: وفي «صحيح البخاريِّ» من حديث أنس عن النبيِّ ﷺ: لَرَوْحَة في سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَدْوَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ في الْجَنَّةِ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدِ سَوْطِهِ خَيْرٌ/ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَوْ أَنَّ ٱمْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ ٱطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلأَتْهُ رِيحاً، وَلَنَصِيفُهَا عَلَىٰ رَأْسِهَا ـ يعني الخِمَارَ ـ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[٣]. ١٢٥ ب
وقوله سبحانه ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ أي: محجوبَاتٌ مَصُونَاتٌ في الخيام، وخيامُ الجَنَّةِ بُيُوتُ اللؤلؤ، قال عمر بن الخَطَّاب ـ رضي اللَّهُ عنه[٤] ـ: هي دُرٌّ مُجَوَّفٌ، ورواه ابن مَسْعَودٍ عن النبيِّ ﷺ. قال الداووديُّ: وعن ابن عباس[٥]: والخيمة لؤلؤة مجوَّفة فَرْسَخٌ في فَرْسَخٍ،

---

(١) ينظر «صحيح البخاري» (٨/ ٤٨٧) كتاب: «التفسير»، باب: سورة الرحمٰن قال ابن حجر: وصله الفريابي.

(٢) قرأ بها أبو عثمان النهدي، وأبو بكر بن حبيب السهمي.
ينظر: «الشواذ» ص: (١٥١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ١٧)، كتاب «الجهاد والسير»، باب الغدوة والروحة في سبيل اللَّه وقاب قوس أحدكم في الجنة (٢٧٩٢) باب: الحور العين وصفتهن (٢٧٩٦)، (١١/ ٤٢٥) كتاب: «الرقاق»، باب: صفة الجنة والنار (٦٥٦٨)، ومسلم (٣/ ١٤٩٩)، كتاب «الإمارة» باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (١١٢/ ١٨٨٠).
وفي الباب من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٦/ ١٧)، كتاب «الجهاد والسير» باب: الغدوة والروحة في سبيل اللَّه، وقاب قوس أحدكم في الجنة (٢٧٩٣)، مسلم (٣/ ١٥٠٠)، كتاب «الإمارة» باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (١١٤/ ١٨٨٢).
وفي الباب من حديث سهل بن سعد: أخرجه البخاري (٦/ ١٧)، كتاب «الجهاد والسير» باب: الغدوة والروحة في سبيل اللَّه، وقاب قوس أحدكم في الجنة (٢٧٩٤)، (٦/ ١٠٠) باب: فضل رباط يوم في سبيل اللَّه (٢٨٩٢)، (١١/ ٢٣٦) كتاب «الرقاق» باب: مثل الدنيا في الآخرة (٦٤١٥)، ومسلم (٣/ ١٥٠٠) كتاب «الإمارة» باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (١١٣/ ١٨٨١)، والترمذي (٤/ ١٨٨)، كتاب «فضائل الجهاد» باب: ما جاء في فضل المرابط (١٦٦٤)، والترمذي (٤/ ١٨٨)، والنسائي (٦/ ١٥)، كتاب «الجهاد» باب: فضل غدوة في سبيل اللَّه (٣١١٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٢١) كتاب «الجهاد» باب: فضل الغدوة والروحة في سبيل اللَّه (٢٧٥٦)، وأحمد (٥/ ٣٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦١٦) برقم: (٣٣١٩٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي الأحوص.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦١٦) برقم: (٣٣١٩٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٠)، والسيوطي في «الدر=

لها أربعة آلاف مِصْرَاعٍ، انتهى.

و«الرَّفْرَفُ»: ما تَدَلَّىٰ من الأَسِرَّةِ من عالي الثياب والبُسُطِ، وقاله ابن عَبَّاس وغيره[١]، وما يتدلَّىٰ حول الخِبَاءِ مِنَ الْخِرْقَةِ الهَفَّافَةِ يُسَمَّى رَفْرَفاً، وكذلك يُسَمِّيه الناسُ اليومَ، وقيل غَيْرُ هذا، وما ذكرناه أَصْوَبُ، والعَبْقَرِيُّ: بُسُطٌ حِسَانٌ، فيها صُوَرٌ وغَيْرُ ذلك، تُصْنَعُ بعَبْقَر، وهو موضعٌ يُعْمَلُ فيه الوشْيُ والدِّيبَاجُ ونحوه، قال ابن عباس: العَبْقَرِيُّ[٢]: الزَّرَابِيُّ[٣]، وقال ابن زيد[٤]: هي الطَّنَافِس[٥]، قال الخليل والأصمعيُّ: العَرَبُ إذا استحسنَتْ شيئاً واستجادَتْهُ قالَتْ: عَبْقَرِيٌّ، قال * ع[٦] *: ومنه قوله ﷺ في عُمَرَ: «فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ»[٧].

وقوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾: هذا الموضعُ مِمَّا أُرِيدَ فيه

= المنثور» (٦/ ٢١٠)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث».

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦١٩) برقم: (٣٣٢٢٥)، وذكره البغوي (٤/ ٢٧٨)، وابن عطية (٥/ ٢٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٣)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٠) برقم: (٣٣٢٣٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٤)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) وهي جمع زُرْبِية، وهو نوع من الثياب مُحَبَّرٌ منسوب إلى موضع، وقال المؤرخ: زرابي البيت: ألوانه... وقيل: هي البُسُط العراض. وقيل: ما بها خملة.
ينظر: «عمدة الحفاظ» (٢/ ١٥٦).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٠) برقم: (٣٣٢٤١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٣)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) جمع طِنْفِسَة: بكسر الطاء والفاء، وبضمهما، وبكسر الطاء وفتح الفاء، وهي: البساط الذي له خمل رقيق.
ينظر: «النهاية» (٣/ ١٤٠).

(٦) ينظر «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٧).

(٧) أخرجه البخاري (٧/ ٢٣)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (٣٦٦٤)، ومسلم (٤/ ١٨٦١)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه (١٧ ـ ١٨/ ٢٣٩٢)، وأحمد (٢/ ٣٦٨، ٤٥٠) عن أبي هريرة.
وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما: أخرجه البخاري (٧/ ٥٠)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣٦٨٢)، ومسلم (٤/ ١٨٦٢)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: فضائل عمر رضي الله عنه (١٩/ ٢٣٩٣)، وأحمد (٢/ ٢٧، ٢٨، ٣٩، ٨٩، ١٠٤، ١٠٧).

بالاسم مُسَمَّاهُ، والدعاءُ بهاتَيْنِ الكلمتَيْنِ حَسَنٌ مَرْجُوُّ الإجابةِ، وقد قال ﷺ: «أَلِظُّوا بـ: «يَاذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ»[1].

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٣٩)، كتاب «الدعوات» باب: (٩٢) (٣٥٢٤)، وأحمد (٤/ ١٧٧).
قال الترمذي: هذا حديث غريب.

[تفسير] سُورَةِ الوَاقِعَةِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعِ مِمَّنْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ

١٢٦أ رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ/ أَنَّهُ قال: «مَنْ دَامَ عَلَىٰ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ، لَمْ يَفْتَقِرْ» أَوْ قَالَ: «لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبداً»[١]، قال * ع[٢] *: لأَنَّ فيها ذِكْرَ القيامة، وحُظُوظَ الناس في الآخرة، وفَهْمُ ذلك غِنًى لا فَقْرَ معه، ومَنْ فَهِمَهُ شُغِلَ بالاستعدادِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧﴾

قوله سبحانه: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ الآية، الواقعةُ: اسْمٌ من أسماء القيامة؛ قاله ابن عباس[٣]، وقال الضَّحَّاكُ[٤]: الواقعة: الصيحة، وهي النفخة في الصور، و﴿كاذبة﴾: يحتمل أَنْ يكون مصدراً، فالمعنى: ليس لها تكذيب ولا رَدٌّ ولا مَثْنَوِيَّةٌ؛ وهذا قول مجاهد والحسن[٥]، ويحتمل أَنْ يكونَ صفة لِمُقَدَّر، كأنَّهُ قال: ليس لوقعتها حال كاذبة.

وقوله سبحانه: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قال قتادة وغيره[٦]: يعني القيامة تَخْفِضُ أقواماً إلى النار، وترفع أقواماً إلى الجنة، وقيل: إنَّ بانفطار السمٰوات والأرض والجبال وانهدام هذه

---

(١) أخرجه الشجري في «أماليه» (٢/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١١٢) باب: ثواب من قرأ سورة الواقعة (١٥١).
قال ابن الجوزي: قال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر، وشجاع والسري لا أعرفهما.
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٣٨).
(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٢) برقم: (٣٣٢٤٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٥)، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٢) برقم: (٣٣٢٤٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٨).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٢) برقم: (٣٣٢٤٦) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٢).
(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٣) برقم: (٣٣٢٥٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

البنية، ترتفعُ طائفةٌ من الأجرام، وتَنْخَفِضُ أُخْرَى، فكأنَّها عبارة عن شِدَّةِ هول القيامة.

* ت *: والأَوَّلُ أبين، وهو تفسير البخاريِّ، ومعنى ﴿رُجَّتِ﴾: زُلْزِلَتْ وَحُرِّكَتْ بعنف؛ قاله ابن عباس[١]، ومعنى ﴿بُسَّت﴾: فُتَّتْ كما تُبَسُّ البَسِيسَةُ وهي السَّوِيقُ؛ قاله ابن عباس وغيره[٢]، وقال بعض اللغويين: «بست» معناه: سيِّرَتْ، والهباء: ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا يكادُ يُرَى إلاَّ في الشمس إذا دخلت من كُوَّةٍ؛ قاله ابن عباس وغيره[٣]، والمُنْبَثُّ ـ بالثاء المثلثة ـ: الشائع في جميع الهواء، والخطاب في قوله: ﴿وَكُنتُمْ﴾ لجميع العالم، والأزواج: الأنواع، قال قتادة[٤]: هذه منازل الناس يومَ القيامة.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَأَصْحَابُ/ الْمَيْمَنة﴾: ابتداء، و﴿ما﴾ ابتداء ثانٍ، و﴿أَصْحَابُ ١٢٦ ب الْمَيْمَنَةِ﴾: خبرُ ﴿ما﴾، والجملة خبر الابتداء الأوَّلِ، وفي الكلام معنى التعظيم؛ كما تقول: زيد ما زيد، ونظير هذا في القرآن كثير، والميمنة أظهر ما في اشتقاقها أَنَّها من ناحية اليمين، وقيل من اليمْن، وكذلك المشأمة: إمَّا أَنْ تكونَ من اليد الشُّؤمى، وإِمَّا أَنْ تكونَ من الشؤم، وقد فُسِّرَتِ الآيةُ بهذين المعنيين.

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾: ابتداء، و﴿السابقون﴾ الثاني: قال سيبويه: هو خبر الأَوَّلِ، وهذا على معنى تفخيم الأمر وتعظيمه، وقال بعض النحاة: السابقون الثاني نَعْتٌ للأَوَّلِ، ومعنى الصفة أَنْ تقولَ: والسابقون إلى الإيمان السابقونَ إلى الجنة والرحمة أُولئك، وَيَتَّجِهُ هذا المعنى على الابتداء والخبر.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾: ابتداء وخبر، وهو في موضع الخبر؛ على قول مَنْ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٣) برقم: (٣٣٢٥٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٤) برقم: (٣٣٢٥٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٦)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٣٩).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٦) برقم: (٣٣٢٧٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

قال: ﴿السابقون﴾ الثاني صِفَةٌ، و﴿المقربون﴾: معناه: مِنَ اللَّه سبحانه في جَنَّةِ عَدَنٍ، فالسابقون معناه: الذين قد سبقت لهم السعادة، وكانت أعمالُهُمْ في الدنيا سبقاً إلى أعمال البرِّ وإلى ترك المعاصي، فهذا عمومٌ في جميع الناس، وخَصَّصَ المفسرون في هذه أشياء تفتقر إلى سند قاطع، ورُوِيَ أَنَّ النبي ﷺ سُئِلَ عَنِ السَّابِقِينَ؟ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا الْحَقَّ قَبِلُوهُ، وَإِذَا سُئِلُوهُ بَذَلُوهُ، وَحَكَمُوا لِلنَّاسِ بِحُكْمِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ» والمقربون عبارة عن أعلى منازل البشر في الآخرة، قال جماعة من أهل العلم: هذه الآية متضمنة أَنَّ العالم يومَ القيامة على ثلاثة أصناف.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ثُلَّةٌ من الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ/ مِنَ الآخِرِينَ﴾ الثُّلَّةُ: الجماعة، قال ١٢٧ أ
الحسن بن أبي الحسن وغيره[1]: المراد: السابقون من الأمم والسابقون من هذه الأُمَّةِ، ورُوِيَ أَنَّ الصحابة حَزِنُوا لِقِلَّةِ سابقي هذه الأُمَّةِ على هذا التأويل، فنزلت الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠] فَرَضُوا، ورُوِيَ عن عائشة[2] أَنَّها تأَوَّلَتْ: أَنَّ الفرقتين في أُمَّةِ كُلِّ نبيٍّ هي في الصدر ثلة وفي آخر الأمة قليل، وقال النبيُّ ﷺ فيما روي عنه: «الفِرْقَتَانِ في أُمَّتِي، فَسَابِقُ أَوَّلِ الأُمَّةِ ثُلَّةٌ، وَسَابِقُ سَائِرِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قليلٌ» قال السهيليُّ: وَأَمَّا آخِرُ مَنْ يدخل الجنة، وهو آخِرُ أهل النار خروجاً منها، فرجل اسمه جُهَيْنَةُ، فيقول أهل الجنة: تعالوا نسأله فعند جهينةَ الخبر اليقين، فيسألونه: هل بَقِيَ في النار أَحَدٌ بعدك مِمَّنْ يقول: لا إله إلا اللَّه؟ وهذا حديث ذكره الدَّارَقُطْنِيُّ من طريق مالك بن أنس، يرفعه بإسناد إلى النبيِّ ﷺ ذكره في كتاب رواة مالك بن أنس ـ رحمه اللَّه[3] ـ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ أي: منسوجة بتركيب بعض أجزائها على

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٢٦) برقم: (٣٣٢٧٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٨٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢١٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن جرير.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/٢٤١).

(٣) قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (٥١١) (١٢٨): قال في «الذيل»: هذا حديث باطل.

بعض، كحلق الدِّرْع، ومنه وَضِينُ الناقة وهو حِزَامُهَا؛ قال ابن عباس[١]: ﴿موضونة﴾: مرمولة بالذهب، وقَالَ عِكْرَمَةُ[٢]: مُشَبَّكَةٌ بالدُّرِّ والياقوت ﴿يطوف عليهم﴾: للخدمة ﴿ولدان﴾: وهم صغار الخَدَمَةِ، ووصفهم سبحانه بالخلد، وإِنْ كان جميعُ ما في الجنة كذلك، إشارةً إلى أنَّهم في حال الولدان مُخَلَّدُونَ، لا تكبر لهم سِنٌّ، أي: لا يحولون من حالة إلى حالة؛ وقاله ابن كيسان، وقال الفَرَّاء: ﴿مخلدون﴾ معناه: مقرطون بالخلدات وهي ضرب من الأقراط والأَوَّلُ أصوب،/ لأَنَّ العربَ تقول للذي كَبُرَ ولم يَشِبْ: إِنَّهُ لَمُخَلَّدٌ، والأكواب: ما كان من أواني الشرب لا أُذُنَ له ولا خُرْطُومَ، قال قتادة[٣]: ليست لها عُرًى، والإبريق: ماله خرطوم، والكأس: الآنية المُعَدَّةُ للشرب بشريطةِ أَنْ يكونَ فيها خمر، ولا يقال لآنية فيها ماء أو لبن كأس. ١٢٧ ب

وقوله: ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ قال ابن عباس[٤]: معناه من خمر سائلة جارية معينة.

وقوله: ﴿لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ ذهب أكثر المفسرينَ إلى أَنَّ المعنى: لا يلحق رؤوسَهم الصداعُ الذي يَلْحَقُ من خمر الدنيا، وقال قوم: معناه: لا يفرقون عنها بمعنى لا تقطعُ عنهم لَذَّتُهُمْ بسببٍ من الأسباب، كما يفرق أهل خمر الدنيا بأنواعٍ من التفريق، ﴿ولاَ يُنْزِفُونَ﴾ معناه: لا تذهب عقولُهم سكراً؛ قاله مجاهد وغيره[٥]، والنزيف: السكران، وباقي الآية بَيِّنٌ، وَخصَّ المكنون باللؤلؤ؛ لأنه أصفى لوناً وأبعدُ عن الغير، وسألتْ أُمُّ سَلَمَةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذَا التَّشْبِيهِ، فَقَالَ: «صَفَاؤُهُنَّ كَصَفَاءِ الدُّرِّ في الأَصْدَافِ الَّذِي لاَ تَمَسُّهُ الأَيْدِي»[٦] و﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إِنَّ هذه الرتبَ والنعيمَ هي لهم بحسب أعمالهم؛ لأَنَّهُ رُوِيَ أَنَّ المنازل والقسم في الجنة هي مقتسمة على قَدْرِ الأعمال، ونَفْسُ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٨) برقم: (٣٣٢٨١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢١٩)، وعزاه لسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث».

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٢٨) برقم: (٣٣٢٨٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣٠) برقم: (٣٣٣٠٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٢).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣٠) برقم: (٣٣٣٠٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٢).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣٠) برقم: (٣٣٣١٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٦).

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٣٣) برقم: (٣٣٣٣٠)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٢) في حديث طويل.
قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه سليمان بن أبي حاتم وابن عدي.

دخول الجنة هو برحمة اللَّه وفضله، لا بعمل عامل؛ كما جاء في الصحيح[١].

﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً﴾ قال أبو حيان[٢]: «إلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً» الظاهر أَنَّ الاستثناءَ مُنْقَطِعٌ؛ لأَنَّهُ لا يَنْدَرِجُ في اللغو والتأثيم، وقيل مُتَّصِلٌ، وهو بعيد، انتهى، قال الزَّجَّاجُ[٣]: و﴿سلاماً﴾ مصدر، كأَنَّهُ يذكر أَنَّهُ يقول بعضهم لبعض: سلاماً سلاماً.

١٢٨ أ * ت *: قال الثعلبيُّ: والسِّدْرُ: شجر النَّبْقِ و﴿مَخْضُودٍ﴾/ أي: مقطوع الشوك، قال * ع[٤] *: ولأهل تحرير النظر هنا إشارةٌ في أَنَّ هذا الخضد بإزاء أعمالهم التي سلموا منها؛ إذ أهل اليمين تَوَّابُونَ لهم سلام، وليسوا بسابقين، قال الفخر: وقد بان لي بالدليل أَنَّ المراد بأصحاب اليمين: الناجون الذين أذنبوا وأسرفوا، وعفا اللَّه تعالى عنهم بسبب أدنى حَسَنَةٍ؛ لا الذين غلبت حسناتُهم وكَثُرَتْ، انتهى.

والطلح (من العِضَاهِ) شَجَرٌ عظيم، كثيرُ الشوك، وصفه في الجنة على صفة مباينة لحال الدنيا، و﴿منضود﴾ معناه: مُرَكَّبٌ ثمره بعضُه على بعض من أرضه إلى أعلاه، وقرأ علي - رضي اللَّه عنه - وغيره: «وَطَلْعٍ»[٥] فقيل لعليٍّ: إنَّما هو: «وطَلْحٍ» فقال: ما للطلح والجنة؟! قيل له: أَنُصْلِحُهَا في المصحف؟ فقال: إنَّ المصحفَ اليومَ لا يُهَاجُ ولا يُغَيَّرُ.

---

(١) روى في هذا المعنى أناس من الصحابة، فقد أخرج الإمام مسلم (٤/ ٢١٧٠، ٢١٧١)، كتاب «صفات المنافقين» باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة اللَّه تعالى (٧١، ٧٦/ ٢٨١٦ - ٢٨١٧)، و (٧٧ - ٧٨/ ٢٨١٨) عن أبي هريرة، وعائشة، وجابر رضي اللَّه عنهم.
وأخرجه أحمد (٢/ ٢٥٦، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤٦٩، ٤٧٣، ٥٠٩، ٥١٩، ٥٢٤) عن أبي هريرة (٣/ ٣٩٤) عن جابر، (٣/ ٥٢) عن أبي سعيد.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٠٦).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» (٥/ ١١٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٣).

(٥) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٥١)، و«الكشاف» (٤/ ٤٦١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٤)، وزاد نسبتها إلى جعفر بن محمد.
وينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٠٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٥٩)، وزادا نسبتها إلى عبد اللَّه بن مسعود.

وقال عليٌّ أيضاً وابن عباس(١): الطلح الموز، والظل الممدود: معناه: الذي لا تنسخه شمس، وتفسير ذلك في قوله ﷺ: «إِنَّ في الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَاد المُضَمَّر في ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لاَ يَقْطَعُها»(٢)، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾، إلى غير هذا من الأحاديث في هذا المعنى.

* ت *: وفي «صحيحي البخاريِّ ومسلم» عن النبي ﷺ: «إِنَّ في الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّهَا مِائَةَ سَنَةٍ لاَ يَقْطَعُهَا، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ»(٣) انتهى.

﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ أي: جارٍ في غير أُخْدُودٍ.

﴿لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا مقطوعة بالأزمان كحال فاكهة الدنيا، ولا ممنوعةً بوجه من الوجوه التي تمتنع بها فاكهةُ الدنيا، والفُرُشُ: الأَسِرَّةُ؛ وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ(٤): إِنَّ في ارْتِفَاعِ السَّرِيرِ مِنْهَا مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ.

* ت *: وهذا إِنْ ثبت فلا بُعْدَ/ فيه، إِذْ أحوال الآخرة كلها خَرْقُ عادة، وقال ١٢٨ ب
أبو عبيدةَ وغيره: أراد بالفرش النساء(٥)، و﴿مرفوعة﴾ معناه: في الأقدار والمنازل، و﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ معناه: خلقناهن شيئاً بَعْدَ شيء؛ وقال النبيُّ ﷺ في تفسير هذه الآية: «هُنَّ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٣٦) عن ابن عباس برقم: (٣٣٣٥٠)، وعن علي رضي الله عنه برقم: (٣٣٣٥٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٤٢٤) كتاب «الرقاق» باب: صفة الجنة والنار (٦٥٥٣)، ومسلم (٤/ ٢١٧٦)، كتاب «الجنة وصفة نعيمها وأهلها» باب: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (٢٨٢٨) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) وَهِمَ المؤلف فجعل الحديثين حديثاً واحداً، فالطرف الأول: «إن في الجنة... لا يقطعها» في «الصحيحين» كما قال. وانظر السابق.
أما الطرف الثاني: فقد أخرجه البخاري (٦/ ١٧)، كتاب «الجهاد والسير» باب: الغدوة والروحة في سبيل الله وقاب قوس أحدكم في الجنة (٢٧٩٣)، (٦/ ٣٦٨)، كتاب «بدء الخلق» باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٢٣٥٣)، وأحمد (٢/ ٤٨٢) عن أبي هريرة، والترمذي (٤/ ١٨١)، كتاب «فضائل الجهاد» باب: ما جاء في فضل الغدوّ والرواح في سبيل الله (١٦٥١)، وأحمد (٣/ ١٤١، ١٥٣، ١٥٧، ٢٠٧، ٢٦٣، ٢٦٤) عن أنس رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٤).

عَجائِزُكُنَّ في الدُّنيَا عُمْشاً رُمصاً جَعلَهُنَّ اللَّهُ بَعْدَ الْكِبَرِ أَتْرَاباً»(١)، وَقَالَ لِلْعَجُوزِ: «إِنَّ الْجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا الْعَجُوزُ، فَحَزِنَت، فَقَالَ: إِنَّكِ إِذَا [دَخَلْتِ الْجَنَّةَ أُنْشِئْتِ خَلْقاً آخَرَ(٢)».

وقوله سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ قيل: معناه: دائمة البكارة، متى عاود الوطء](٣) وجدها بكراً، والعُرُبُ: جمع عَرُوبٍ، وهي المُتَحَبِّبَةُ إلى زوجها بإظهار محبته؛ قاله ابن عباس(٤)، وعبر عنهنَّ ابن عباس أيضاً بالعواشق(٥)، وقال زيد: العروب: الحسنة الكلام(٦).

* ت *: قال البخاريُّ: والعروب يسميها أَهْلُ مَكَّةَ العَرِبَةَ، وأهل المدينة: الغَنِجَة، وأَهل العراق: الشَّكِلَة، انتهى.

وقوله: ﴿أَتْرَاباً﴾ معناه: في الشكل والقَدِّ، قال قتادة(٧): ﴿أتراباً﴾ يعني: سِنًّا واحدة، ويُرْوَى أَنَّ أهل الجنة هم على قَدِّ ابن أربعة عَشَرَ عاماً في الشباب، والنُّضْرَةِ، وقيل: على مثال أبناء ثلاثٍ وثلاثين سنةً، مُرْداً بيضاً، مُكَحَّلِينَ، زاد الثعلبيُّ: على خَلْقِ آدم، طوله ستون ذراعاً في سبعة أذرع.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة الواقعة (٣٢٩٦)، من حديث أنس رضي اللَّه عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان الحديث، ومن طريق عائشة رضي اللَّه عنها: أخرجه الطبري (١١/ ٦٤١) (٣٣٠٤٢) نحوه.

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (١٩٧، ١٩٩) (٢٤١)، والغزالي في «الإحياء» (٣/ ١٢٩).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٤)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في «البعث» عن الحسن.
وفي الباب عن عائشة، ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٢)، كتاب «صفة الجنة» باب: فيمن يدخل الجنة من عجائز الدنيا.
قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه مسعد بن اليسع وهو ضعيف.

(٣) سقط في: د.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٢) برقم: (٣٣٤٠٦)، وذكره البغوي (٤/ ٢٨٤)، وابن عطية (٥/ ٢٤٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٥)، وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤١) برقم: (٣٣٤٠٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٥)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي.

(٦) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٢) برقم: (٣٣٤١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٢٨٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٦)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٤)، برقم: (٣٣٤٣٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ قال الحسن بن أبي الحسن وغيره: الأولون سالف الأُمَمِ، منهم جماعةٌ عظيمة أصحابُ يمين، والآخِرُونَ: هذه الأُمَّةُ، منهم جماعة عظيمة أهلُ يمين[1]، قال * ع[2] *: بل جميعهم إلاَّ مَنْ كان مِنَ السابقين، وقال قوم من المتأولين: هاتان الفرقتان في أُمَّةِ محمد، وروَى ابن عباس عن النبي ﷺ أنَّه قال: «الثُّلَّتَانِ مِنْ أُمَّتِي»[3]، وروى ابن المبارك في «رقائقه» عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «إِنَّ أُمَّتِي ثُلُثَا أَهْلِ الجَنَّةِ، وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، وَإِنَّ أُمَّتِي مِنْ ذَلِكَ ثَمانُونَ صَفًّا»[4] انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ...﴾ الآية: في الكلام معنى الإنحاء عليهم /وتعظيم مصائبهم، والسَّمُومُ: أشد ما يكون من الحَرِّ اليابس الذي لا بَلَلَ معه، ١٢٩ أ
والحميم: السخن جِدًّا من الماء الذي في جهنم، واليَحْمُومُ: هو الدخانُ الأسودُ يُظِلُّ أهلَ النار؛ قاله ابن عباس[5] والجمهور، وقيل: هو سرادق النار المحيط بأهلها؛ فإِنَّه يرتفع من كل ناحية حتى يُظِلَّهُم، وقيل: هو جبل في النار أسود.

وقوله: ﴿وَلاَ كَرِيمٍ﴾ معناه: ليس له صفة مدح، قال الثعلبيُّ: وعن ابن المُسَيَّبِ ﴿ولا كريم﴾ أي: ولا حَسَن[6] نظيره من كل زوج كريم، وقال قتادة: ﴿لا بارد﴾: النزل ﴿ولا كريم﴾: المنظر[7]، وهو الظِلُّ الذي لا يغني من اللهب، انتهى، والمُتْرَفُ: المُنَعَّمُ

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٤)، برقم: (٣٣٤٣٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٥).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤٥).
(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٧) موقوفاً على ابن عباس، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن مردويه.
(٤) أخرجه نعيم بن حماد في زياداته على كتاب «الزهد» (١١٣) (٣٧٩).
(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٦)، برقم: (٣٣٤٥٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٨)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه.
(٦) ذكره البغوي (٤/ ٢٨٦).
(٧) أخرجه الطبري (١١/ ٦٤٨) برقم: (٣٣٤٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٢٨٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٢٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر.

في سَرَفٍ، وتخوض، و﴿يُصِرُّونَ﴾ معناه: يعتقدون اعتقاداً لا ينزعون عنه، و﴿الحِنْثِ﴾: الإِثم، وقال الثعلبيُّ: ﴿وكانوا يصرون﴾: يقيمون ﴿على الحنث العظيم﴾ أي: الذنب، انتهى، ونحوهُ للبخاريِّ، وهو حَسَنٌ نحو ما في الرسالة، قال قتادة وغيره[1]: والمراد بهذا الإِثم العظيم: الشركُ، وباقي الآية في استبعادهم للبعث، وقد تقدم بيانه.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾: مخاطبة لِكُفَّار قريش ومَنْ كان في حالهم، و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ زَقُّوم﴾ لبيان الجنس، والضمير في ﴿منها﴾ عائد على الشجر، والضمير في ﴿عليه﴾ عائد على المأكول، و﴿الهِيم﴾ قال ابن عباس وغيره[2]: جمع «أهيم» وهو الجمل الذي أصابه الهُيَامُ ـ بضم الهاء ـ، وهو داء مُعْطِشٌ يشرب الجملُ حتى يموتَ أو يسقمَ سَقَماً شديداً، وقال قوم هو: جمع «هائم» وهو أيضاً من هذا المعنى؛ لأنَّ الجملَ إذا أصابه ذلك الداءُ، هام على/ وجهه وذهب، وقال ابن عباس أيضاً وسفيانُ ١٢٩ ب
الثوري[3]: ﴿الهِيم﴾: الرمال التي لا تُرْوَى من الماء، والنُّزُلُ أول ما يأكل الضيف، و﴿الدِّين﴾: الجزاء.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ الآية: وليس يوجد مفطورٌ، يخفى عليه أنَّ المَنِيَّ الذي يخرُجُ منه ليس له فيه عمل ولا إرادة ولا قدرة، **وقرأ** الجمهور: «قَدَّرْنَا» **وقرأ** ابن كثير وحده[4]: «قَدَرْنَا» بتخفيف الدال، فيحتمل أنْ يكونَ المعنى فيهما: قضينا وأثبتنا، ويحتمل

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٤٨) برقم: (٣٣٤٧٤)، وذكره ابن عطية (٥/٢٤٦)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٥/٢٩٥).

(٢) أخرجه الطبري (١١/٦٥٠)، برقم: (٣٣٤٧٧)، وذكره ابن عطية (٥/٢٤٦)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/٢٩٥)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/٢٢٨)، وعزاه للطستي.

(٣) أخرجه الطبري (١١/٦٥١)، برقم: (٣٣٤٨٥)، عن سفيان، وذكره ابن عطية (٥/٢٤٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/٢٢٩)، وعزاه لسفيان بن عيينة في جماعة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ينظر: **«السبعة»** (٦٢٣)، و**«الحجة»** (٦/٢٦١)، و**«إعراب القراءات»** (٢/٣٤٧)، و**«حجة القراءات»**

أَنْ يكون بمعنى: سَوَّيْنا، قال الثعلبيُّ عنِ الضحاك[١]: أي: سَوَّيْنا بين أهل السماء وأهل الأرض.

وقوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: على تبديلكم إنْ أردناه، وأَنْ نُنْشِئَكُمْ بأوصاف لا يصلها علمُكُم، ولا يُحيطُ بها فكركم، قال الحسن[٢]: من كونهم قردةً وخنازيرَ؛ لأَنَّ الآية تنحو إلى الوعيد، و﴿النشأة الأولى﴾: قال أكثر المفسرين: إشارة إلى خلق آدم، وقيل: المراد: نشأة الإنسان في طفولته، وهذه الآية نَصٌّ في استعمال القياس والحَضِّ عليه، وعبارة الثعلبي: ويقال: ﴿النشأة الأولى﴾ نطفة، ثم عَلَقَةٌ، ثم مُضْغَةٌ، ولم يكونوا شيئاً ﴿فلولا﴾ أي: فهلا تذكرون أَنِّي قادر على إعادتكم كما قَدَرْتُ على إبدائكم، وفيه دليل على صِحَّةِ القياس؛ لأَنَّهُ عَلَّمَهُمْ سبحانه الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأُخْرَى، انتهى.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ءأنتم تزرعونه﴾ أي: زرعاً يتم ﴿أم نحن﴾: وروى أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قال: «لاَ تَقُلْ: زَرَعْتُ، وَلَكِنْ قُلْ حَرَثْتُ، ثُمَّ تَلاَ أَبُو هُرَيْرَةَ هَذِهِ الآيةَ»[٣] والحطام: اليابس المُتَفَتِّتُ من النبات الصائر إلى ذهاب، وبه شُبِّهَ حُطَامُ الدنيا
/ و﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس وغيره[٤]: معناه تعجبون، أي: مِمَّا نزل بكم، وقال ابن ١٣٠ أ

---

(٦٩٦)، و«العنوان» (١٨٥)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٣٧)، و«شرح شعلة» (٥٩٦)، و«إتحاف» (٢/ ٥١٦)، و«معاني القراءات» (٣/ ٥١).

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٨٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٥).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٢٨٧)، وابن عطية (٥/ ٢٤٨).

(٣) أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان» (٤١١) (٧١٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢١١ ـ ٢١٢) (٥٢١٧)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١١/ ٦٥٢)، برقم: (٦٥٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٠)، وزاد نسبته إلى البزار، وأبي نعيم.

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٣)، برقم: (٣٣٤٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٠)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

زيد[١]: معناه: تتفجعون، قال * ع[٢] *: وهذا كله تفسير لا يَخُصُّ اللفظة، والذي يخص اللفظةَ هو تطرحون الفكاهةَ عن أنفسكم، وقولهم: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قبله محذوف تقديره: يقولون، وقرأ عاصم الجَحْدَرِيُّ[٣]: «أَإِنَّا لَمُغْرَمُونَ» بهمزتين على الاستفهام، والمعنى يحتمل أَنْ يكونَ: إِنا لمغرمون من الغرام، وهو أَشَدُّ العذاب، ويحتمل: إِنَّا لمحملون الغرم، أي: غرمنا في النفقةَ، وذَهَبَ زَرْعُنَا، وقد تَقَدَّمَ تفسيرُ المحروم، وأَنَّهُ الذي تبعد عنه مُمْكِنَاتُ الرزق بعد قُرْبها منه، وقال الثعلبيُّ: المحروم ضد المرزوق، انتهى، و﴿الْمُزْنِ﴾: هو السحاب، والأُجَاجُ: أشدُّ المياه ملوحةً، و﴿تُورُونَ﴾ معناه: تقتدحون من الأزند؛ تقول: أوريتُ النارَ من الزِّنَادِ، والزنادُ: قد يكون من حجر وحديدة، ومن شجر، لا سيما في بلاد العرب، ولا سيما في الشجر الرَّخْوِ؛ كالمَرَخِ والعفار والكلخ، وما أشبهه، ولعادة العرب في أزنادهم من شجر قال تعالى: ﴿ءأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي: التي تقدح منها ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾: يعني نار الدنيا ﴿تَذْكِرَةً﴾ للنار الكبرى، نارِ جهنم؛ قاله مجاهد وغيره[٤]، والمتاع: ما يُنْتَفَعُ به، والمُقْوِينَ: في هذه الآية الكائنين في الأرض القَوَاءِ، وهي الفَيَافي، ومن قال معناه: للمسافرين فهو نحو ما قلناه، وهي عبارة ابن عباس[٥] ـ رضي اللَّه عنه ـ تقول: أَقْوَى الرَّجُلُ: إِذا دَخَلَ في الأرض القَوَاءِ.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ الآية: قال بعض النحاة: «لا» زائدة،

(١) ذكره ابن عطية (٥/٢٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٩٦).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٥١).
(٣) وقرأ بها الأعمش، وأبو بكر.
ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٤٩)، و«البحر المحيط» (٨/٢١١)، و«الدر المصون» (٦/٢٦٤)، و«حجة القراءات» (٦٩٧).
(٤) أخرجه الطبري (١١/٦٥٦)، برقم: (٣٣٥١١)، وذكره البغوي (٤/٢٨٨)، وابن عطية (٥/٢٤٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٩٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢٣٠)، وعزاه لهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.
(٥) أخرجه الطبري (١١/٦٥٦)، برقم: (٣٣٥١٤)، وذكره ابن عطية (٥/٢٥٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٩٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢٣٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

/ والمعنى: فأقسم، وزيادتها في بعض المواضع معروفة، وقرأ الحسن وغيره: «فَلأُقْسِمُ» ١٣٠ ب
من غير ألف، وقال بعضهم: «لا» نافية كأنَّهُ قال: فلا صِحَّةَ لما يقوله الكفار، ثم ابتدأ: أقسم بمواقع النجوم، والنجوم: هنا قال ابن عباس وغيره[١]: هي نجوم القرآن؛ وذلك أَنَّهُ روي أَنَّ القرآن نزل في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، وقيل: إلى البيت المعمور جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك على النبي ﷺ نُجوماً مُقَطَّعَةً مدة من عشرين سنةً، قال * ع[٢] *: ويؤيده عودُ الضمير على القرآن في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ وقال كثير من المفسرين: بلِ النجوم هنا هي الكواكب المعروفة، ثم اختلف هؤلاء في مواقعها، فقيل: غروبها وطلوعها، وقيل: مواقعها عند انقضاضها إِثْرَ العفاريت.

[وقوله:] ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾: تأكيد.

وقوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾: اعتراض.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾: هو الذي وقع القسم عليه.

وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ الآية: المكنون: المصون؛ قال ابن عباس وغيره[٣]: أراد الكتابَ الذي في السماء، قال الثعلبيُّ: ويقال: هو اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ يعني: الملائكة، وليس في الآية على هذا التأويل تَعَرُّضٌ لحكم مَسِّ المصحفِ لسائر بني آدم، وقال بعض المتأولين: أراد بالكتاب مصاحِفَ المسلمين، ولم تكن يومئذ، فهو إخبار بغيب مضمنه النهي، فلا يَمَسُّ المصحفَ من بني آدم إِلاَّ الطاهرُ من الكفر والحَدَثِ؛ وفي كتاب رسول الله ﷺ لعمرو بن حَزم: «لاَ يَمَسَّ القرآنَ إِلاَّ طَاهِرٌ»[٤]، وبِهِ أخذَ مالك، وقرأ سليمان[٥]: «إِلاَّ المُطَهِّرُونَ» ـ بكسر الهاء ـ.

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٨)، برقم: (٣٣٥٢٨)، وذكره البغوي (٤/ ٢٨٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣١)، وعزاه لابن مردويه.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥١).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٥٩)، برقم: (٣٣٥٣٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٢)، وعزاه لآدم، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «المعرفة».

(٤) تقدم.

(٥) وقرأ بها أبان بن تغلب.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٥٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢١٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٦٨).

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾

١٣١ أ وقوله تعالى: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾:/ يعني القرآن المتضمن البعث، و﴿مُدْهِنُونَ﴾ معناه: يلاينُ بعضُكم بعضاً، ويتبعه في الكفر؛ مأخوذ من الدُّهْنِ للينه واملاسه، وقال ابن عباس[1]: المُدَاهَنَةُ: هي المهاودة فيما لا يَحِلُّ، والمُدَارَاةُ: هي المهاودة فيما يَحِلُّ، ونقل الثعلبيُّ أَنَّ أدهن وداهن بمعنى واحد، وأصله من الدُّهْنِ، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾: أجمع المفسرون على أَنَّ الآيَةَ توبيخ للقائلين في المطر الذي ينزله اللَّه تعالى رزقاً للعباد: هذا بِنَوْءِ كذا، والمعنى: وتجعلون شُكْرَ رزقكم، وحكى الهيثم بن عدي أَنَّ من لغة أزد شنوءة: ما رزق فلان بمعنى ما شكر، وكان عليٌّ يقرأ[2]: «وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» وكذلك قرأ ابن عباس[3]، ورويت عن النبي ﷺ وقد أخبر اللَّه سبحانه فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقاً لِلْعِبَادِ﴾ [ق: ٩، ١٠، ١١] فهذا معنى قوله: ﴿أنكم تكذبون﴾ أي: بهذا الخبر، قال * ع[4] *: والمنهيُّ عنه هو أَنْ يعتقد أَنَّ للنجوم تأثيراً في المطر.

وقوله سبحانه: ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ يعني: بلغت نفسُ الإنسان، والحُلْقُومُ: مجرى الطعام، وهذه الحال هي نزع المرء للموت.

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ﴾ إشارة إلى جميع البشر حينئذ، أي: وقتَ النزع ﴿تَنْظُرُونَ﴾: إليه، وقال الثعلبيُّ: ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾ إلى أمري وسلطاني، يعني: تصريفه سبحانه في الميت، انتهى، والأَوَّلُ عندي أحسن، وعَزَاهُ الثعلبيُّ لابن عباس.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٦١)، برقم: (٣٣٥٥١)، عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٥٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣١٠)، و«الكشاف» (٤/ ٤٦٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢١٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٦٩).

(٣) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٣).

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي:/ بالقدرة والعلم، ولا قدرةَ لكم على دفع شيء عنه، ١٣١ ب
وقيل: المعنى: وملائكتنا أقربُ إليه منكم، ولكن لا تبصرونهم، وعلى التأويل الأوَّل من البصر بالقلب.

﴿فَلَوْلاَ إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: مملوكين أذِلاَّءَ، والمدين: المملوك، هذا أَصَحُّ ما يقال في هذه اللفظة هنا، ومَنْ عبَّرَ عنها بمُجَازَى أو بُمُحَاسَبٍ، فذلك هنا قلق، والمملوك مُقَلَّبٌ كيف شاء المالكُ، ومن هذا الملك قول الأخطل: [الطويل]

رَبَتْ وَرَبَا فِي حَجْرِهَا ٱبْنُ مَدِينَةٍ تَرَاهُ عَلَى مِسْحَاتِهِ يَتَرَكَّلُ[١]

أراد ابن أَمَةٍ مملوكة، وهو عبد يخدم الكرم، وقد قيل في معنى البيت: [إِنَّه] أراد أَكَّاراً حضرياً، فنسبه إلى المدينة، فمعنى الآية: فهل لا ترجعون النفسَ البالغة الحلقوم إنْ كنتم غير مملوكين مقهورين؟.

وقوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ سَدَّ مَسَدَّ الأجوبة، والبيانات التي تقتضيها التحضيضات.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الآية، ذكر سبحانه في هذه الآيةِ حال الأزواج الثلاثةَ المذكورين في أولِ السورة، وحال كُلِّ امرىءٍ منهم، فَأَمَّا المرءُ من السابقين المقربين، فَيَلْقَى عند موته رَوْحاً وريحاناً، والرَّوْحَ: الرحمة والسعة والفرح؛ ومنه: ﴿[وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ] رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧] والريحان: الطيب، وهو دليل النعيم، وقال مجاهد[٢]: الريحان: الرزق، وقال الضَّحَّاكُ[٣]: الريحان الاستراحة، قال * ع[٤] *: الريحان ما تنبسط إليه النفوس، ونقل الثعلبيُّ عن أبي العالية قال: لا يفارق أحد من

(١) البيت في «ديوانه» (٢٢٤).
وينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢١٤)، «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٣)، ويتركل: يفتت ما اجتمع من الرمل بقدميه، وهنا يقصد: رمل الكرم الذي زرعت فيه أم الخمرة، واصفاً مهارة صاحب هذا الكرم.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٦٦)، برقم: (٣٣٥٧٩)، وذكره البغوي (٤/ ٢٩١)، وابن عطية (٥/ ٢٥٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٩)، وعزاه لهناد بن السري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٦٥) برقم (٣٣٥٧٧) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٠) وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٤).

المقربين الدنيا حتى يُؤْتَى بغصنٍ من ريحان الجنة فَيَشُمُّهُ، ثم يُقْبَضُ روحه فيه، ونحوه عن الحسن[١]، انتهى.

فإنْ أردت يا أخي اللحوق بالمقربين؛ والكون في زمرة السابقين، فاطرح عنك
دنياك؛ وأقبلْ/ على ذكر مولاك، واجعل الآن الموت نصب عينيك، قال الغزاليُّ: وإنَّما ١٣٢ أ
علامةُ التوفيق أنْ يكون الموت نصبَ عينيك، لا تغفل عنه ساعة، فليكنِ الموتُ على بالك يا مسكين؛ فإنَّ السير حاثٌّ بك، وأنت غافل عن نفسك، ولعلك قد قاربت المنزلَ، وقطعت المسافة فلا يكن اهتمامُك إلاَّ بمبادرة العمل، اغتناماً لكل نَفَسٍ أمهلتَ فيه، انتهى من «**الإحياء**»، قال ابن المبارك في «**رقائقه**»: أخبرنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد قال: ما مِنْ مَيِّتٍ يموت، إلاَّ عرض عليه أهل مجلسه: إنْ كان من أهل الذِّكْرِ فمن أهل الذكر، وإنْ كان من أهل اللهو فمن أهل اللهو، انتهى[٢].

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾: عبارة تقتضي جملةَ مدحٍ وصفةَ تخلُّصٍ، وحصولَ عالٍ من المراتب، والمعنى: ليس في أمرهم إلاَّ السلامُ والنَّجاةُ من العذاب؛ وهذا كما تقول في مدح رجل: أَمَّا فلان فناهيك به، فهذا يقتضي جملةً غيرَ مفصلة من مدحه، وقدِ اضطربت عباراتُ المُتَأَوِّلِينَ في قوله تعالى: ﴿فَسَلَامٌ لَكَ﴾ فقال قوم: المعنى: فيقال له سلام لك إنَّكَ من أصحاب اليمين، وقال الطبريُّ[٣]: ﴿فسلام لك﴾: أنت من أصحاب اليمين، وقيل: المعنى: فسلام لك يا محمد، أي: لا ترى فيهم إلاَّ السلامة من العذاب.

* ت *: ومن حصلت له السلامةُ من العذاب فقد فاز دليله ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] قال * ع[٤] *: فهذه الكاف في ﴿لك﴾ إمَّا أنْ تكونَ للنبي ﷺ وهو الأظهر، ثم لكل مُعْتَبِرٍ فيها من أُمَّتِهِ، وإمَّا أنْ تكونَ لمن يخاطب من

---

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٦٦) برقم (٣٣٥٨٢) عن أبي العالية، وعن الحسن برقم (٣٣٥٨١)، وذكره البغوي (٤/٢٩١)، وابن عطية (٥/٢٥٤)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/٣٠٠) عن أبي العالية، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٢٤٠)، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية.

(٢) أخرجه ابن المبارك في «**الزهد**» (٣٢٩)، برقم: (٩٣٩).

(٣) ينظر: «**تفسير الطبري**» (١١/٦٦٧).

(٤) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/٢٥٤).

أصحاب اليمين، وغيرُ هذا ـ مِمَّا قيل ـ تَكَلُّفٌ، ونقل الثعلبيُّ/ عن الزَّجَّاج: ﴿فسلام لك﴾ ١٣٢ ب
أي: إنَّك ترى فيهم ما تحب من السلامة، وقد علمتَ ما أَعَدَّ اللَّه لهم من الجزاء بقوله: ﴿في سدر مخضود﴾ الآيات...

والمكذبون الضالُّون: هم الكفار، أصحابُ الشمال والمشأَمة، والنُّزُلُ: أول شيء يقدم للضيف، والتصلية: أنْ يباشر بهم النار، والجحيم معظم النار وحيث تراكمها.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ المعنى: إنَّ هذا الخبرَ هو نفس اليقين وحقيقتُه.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ عبارة تقتضي الأمر بالإعراض عن أقوال الكفار وسائر أمور الدنيا المختصة بها، وبالإقبال على أمور الآخرة وعبادة اللَّه تعالى، والدعاء إليه.

* ت *: وعن جابر بن عبد اللَّه قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ [الْعَظِيمِ] وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الْجَنَّةِ»[١]. رواه الترمذي، والنسائيُّ، والحاكم، وابن حبان في «صحيحيهما»، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وعند النسائيِّ: «شَجَرَةٌ» بدل «نَخْلَة»، وعنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلاَلِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ أَوْ لاَ يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ»[٢]، ورواه

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١١)، كتاب «الدعوات» باب: (٦٠) (٣٤٦٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٠٧)، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ثواب من قال: سبحان اللَّه العظيم (١٠٦٦٣/ ١)، والحاكم (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٠٩)، كتاب «الرقاق» باب: الأذكار، ذكر تفضل اللَّه جلّ وعلا بالأمر بغرس النخيل في الجنان لمن سبحه معظماً له (٨٢٦)، ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن هذا الخبر تفرد به حجاج الصواف (٨٢٧).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير عن جابر. ا هـ.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي، وقال: على شرط البخاري فقط ا هـ.
وللحديث شاهد من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما، أخرجه البزار (٣٠٧٩) ـ كشف.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٧)، رواه البزار وإسناده جيد.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٥٢)، كتاب «الأدب» باب: فضل التسبيح (٣٨٠٩)، والحاكم (١/ ٥٠٠).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي وقال: موسى بن سالم: قال أبو حاتم: منكر الحديث.
قال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأخو عوف اسمه عبيد اللَّه بن عتبة.

أيضاً ابن المبارك في «رقائقه» عن كعب، وفيه أيضاً عن كعب أَنَّهُ قال: «إِنَّ لِلْكَلاَمِ الطَّيِّبِ حَوْلَ الْعَرْشِ دَوِيًّا كَدَوِيِّ النَّحْلِ يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ» انتهى، وعن أبي هريرة «أَنَّ النبي ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْساً فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟ قُلْتُ: غِرَاساً، قَالَ: أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ مِنْ هٰذَا؟ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ يُغْرَسْ
١٣٣ أ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ/ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ» روى هذين الحديثين ابن ماجه واللفظ له، والحاكم في «المستدرك»، وقال في الأول: صحيح على شرط مسلم، انتهى من «السلاح»، ورَوَى عُقْبَةُ بن عامر قال: «لَمَّا نزلتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ قال النبيُّ ﷺ: اجْعَلُوهَا في رُكُوعِكُمْ؛ فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قَالَ: اجْعَلُوهَا في سُجُودِكُمْ»[1]، فيحتمل أَنْ يكونَ المعنى: سبح اللَّه بذكر أسمائه العلا، والاسم هنا بمعنى: الجنس، أي: بأسماء ربك، والعظيم: صفة للرب سبحانه، وقد يحتمل أَنْ يكون الاسم هنا واحداً مقصوداً، ويكون «العظيم» صفة له، فكأَنَّه أمره أَنْ يسبِّحَهُ باسمه الأعظم، وإِنْ كان لم يَنُصَّ عليه، ويؤيِّدُ هذا ويشير إِليه اتصالُ سورة الحديد وأَوَّلُها فيها التسبيح، وجملة من أسماء اللَّه تعالى، وقد قال ابن عباس[2]: اسم اللَّه الأعظم موجود في سَتِّ آيات من أَوَّلِ سورة الحديد، فتأمَّل هذا، فإِنَّهُ من دقيق النظر، ولِلَّه تعالى في كتابه العزيز غوامضُ لا تكاد الأذهانِ تدركها.

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٢٩٢)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده (٨٦٩)، وابن ماجه (١/ ٢٨٧)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: التسبيح في الركوع والسجود (٨٨٧)، وأحمد (٤/ ١٥٥)، والدارمي (١/ ٢٩٩)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقال في الركوع، وابن خزيمة (١/ ٣٠٣)، جماع أبواب الأذان والإقامة باب: الأمر بتعظيم الرب جلّ وعلا في الركوع (٦٠٠)، والبيهقي (٢/ ٨٦)، كتاب «الصلاة» باب: القول في الركوع، والحاكم (١/ ٢٢٥)، (٢/ ٤٧٧)، وابن حبان (٥/ ٢٢٥)، كتاب «الصلاة» باب: صفة الصلاة (١٨٩٩).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه على ذلك الذهبي.

في «نصب الراية» (١/ ٣٧٦) قال الزيلعي: قال يعني الحاكم: وقد اتفقا على الاحتجاج بروايته غير إياس بن عامر، وهو صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٥).

[تفسير] سُورَةِ الْحَدِيدِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ وَيُشْبِهُ صَدْرُهَا أَنْ يَكُونَ مَكِّيًا

روي عن ابن عباس[١]: أنَّ اسم اللَّه الأعظم هو في سَتِّ آياتٍ من أول سورة الحديد، ورُوِيَ أنَّ الدعاء بعد قراءتها مستجابٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: قال أكثر المفسرين: التسبيح هنا هو التنزيه المعروف في قولهم: سبحان اللَّهِ، وهذا عندهم إخبار بصيغة الماضي مضمنه الدوامُ والاستمرارُ، ثم اختلفوا: هل هذا التسبيح حقيقةٌ أو مجاز على معنى أنَّ أثر الصنعة فيها تُنَبِّهُ الرائي على التسبيح؟ قال الزَّجَّاجُ[٢] وغيره: والقول بالحقيقة أحسن، وهذا كله في الجمادات، وأمَّا ما يمكن التسبيح منه فقول واحد: إن تسبيحهم حقيقة. ١٣٣ ب

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ﴾ [أي]: [الذي] ليس لوجوده بداية مُفْتَتَحَةٌ ﴿والآخِرُ﴾: الدائم الذي ليس له نهاية منقضية، قال أبو بكر الوَرَّاق: ﴿هو الأول﴾: بالأزلية ﴿والآخر﴾: بالأبديَّة.

﴿والظاهر﴾: معناه بالأدِلَّةِ ونَظَرِ العقول في صنعته.

(١) ذكره ابن عطية (٥/٢٥٦).
(٢) ينظر: «معاني القرآن» (٥/١٢١).

﴿والباطن﴾: بلطفه وغوامضِ حكمته وباهِرِ صفاته التي لا تصل إلى معرفتها على - ما هي عليه - الأوهامُ، وباقي الآية تقدم تفسيرُ نظيره.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ معناه: بقدرته وعلمه وإحاطته، وهذه آية أجمعت الأمَّةُ على هذا التأويل فيها، وباقي الآية بيِّنٌ.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ الآية: أمر للمؤمنين بالثبوت على الإيمان، ويُرْوَى أَنَّ هذه الآية نزلت في غزوة العُسْرَةِ، قاله الضَّحَّاكُ[1]، وقال: الإشارة بقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ إلى عثمانَ بن عفان، يريد: ومَنْ في معناه؛ كعبد الرحمن بن عوف، وغيره.

وقوله: ﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾: تزهيد وتنبيه على أنَّ الأَموال إنَّما تصير إلى الإنسان من غيره، ويتركها لغيره، وليس له من ذلك إلاَّ ما أكل فأفنى، أو تصدق فأمضى، ويروى أنَّ رجلاً مَرَّ بأعرابيٍّ له إبل فقال له: يا أعرابيُّ، لِمَنْ هذه الإبل؟ قال: هي للَّه عندي، فهذا مُوَفَّقٌ مصيب إنْ صحب قوله عمله.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ الآية: توطئةٌ لدعائهم (رضي اللَّه
١٣٤ أ عنهم) لأَنَّهُمْ أهل هذه/ الرُّتَبِ الرفيعة، وإذا تقرر أنَّ الرسولَ يدعوهم، وأنَّهم مِمَّنْ أخذ اللَّه ميثاقهم - فكيف يمتنعون من الإيمان؟.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إنْ دُمْتُمْ على إيمانكم، و﴿الظلمات﴾: الكفر، و﴿النور﴾: الإيمان، وباقي الآية وعد وتأنيس.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٢٥٨).

[المعنى: وما لكم ألاَّ تنفقوا في سبيل اللَّه، وأنتم تموتون وتتركون أموالكم، فناب منابَ هذا القول قوله: ﴿ولِلَّه ميراث السمٰوات والأرض﴾] وفيه زيادة تذكير باللَّه وعبرة، وعنه يلزم القولُ الذي قدرناه.

وقوله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ...﴾ الآية: الأشهر في هذه الآية أنَّها نزلت بعد الفتح، واخْتُلِفَ في الفتح المشار إليه؛ فقال أبو سعيد الخُدْرِيُّ والشَّعْبِيُّ(١): هو فتح الحديبية، وقال قتادة، ومجاهد، وزيد بن أسلم(٢): هو فتح مكة الذي أزال الهجرة، قال * ع(٣) *: وهذا هو المشهور الذي قال فيه النبي ﷺ: «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ»(٤)، وحكم الآية باقٍ غابرَ الدهر؛ مَنْ أنفق في وقتِ حاجة

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٤)، برقم: (٣٣٦١٠) عن أبي سعيد الخدري، وذكره البغوي (٤/ ٢٩٤) عن الشعبي، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٩) عن أبي سعيد الخدري، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في «الدلائل» من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٣ ـ ٦٧٤)، برقم: (٣٣٦٠٤ ـ ٣٣٦٠٥) عن قتادة، وزيد بن أسلم، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٥٩)، والسيوطي (٦/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩) عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٥٩).

(٤) ورد ذلك من حديث ابن عباس، وعائشة، ومجاشع بن مسعود، وصفوان بن أمية، ويعلى بن أمية التيمي، وقول ابن عمر، وقول عمر، وحديث أبي سعيد الخدري.
فأما حديث ابن عباس: فأخرجه البخاري (٦/ ٤٥) في «الجهاد» باب: وجوب النفير (٢٨٢٥)، (٦/ ٢١٩) باب: لا هجرة بعد الفتح (٣٠٧٧)، ومسلم (٣/ ١٤٨٧)، في «الإمارة» باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، وبيان معنى: لا هجرة بعد الفتح (٨٥/ ١٣٥٣)، وأبو داود (٢/ ٦)، في «الجهاد» باب: في الهجرة هل انقطعت (٢٤٨٠)، والنسائي (٧/ ١٤٦)، في «البيعة» باب: الاختلاف في انقطاع الهجرة، والترمذي (١٥٩٠)، وأحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٥، ٣١٦، ٣٤٤)، وعبد الرزاق (٥/ ٣٠٩) (٩٧١٣)، والدارمي (٢/ ٢٣٩)، في «السير» باب: لا هجرة بعد الفتح، وابن حبان (٧/ ٤٨٤٥)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٣٠ ـ ٣١) (١٠٩٤٤)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٠٣٠)، والبيهقي (٥/ ١٩٥)، و (٩/ ١٦)، وفي «دلائل النبوة» (٥/ ١٠٨)، والبغوي في «شرح السنة» بتحقيقنا (٤/ ١٧٩) (١٩٩٦)، و (٥/ ٥٢٠) (٢٦٣٠) من طريق منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس مرفوعاً به.
وتابعه إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن طاوس، أخرجه الطبراني (١١/ ١٨) (١٠٨٩٨).
وأخرجه الطبراني (١٠/ ٤١٣) (١٠٨٤٤)، عن شيبان عن الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
وأما حديث عائشة: أخرجه البخاري (٦/ ٢٢٠) في «الجهاد» باب: لا هجرة بعد الفتح (٣٠٨٠) (٧/ ٢٦٧)، في «مناقب الأنصار» باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٩٠٠) (٧٠/ ٦٢٠)، في=

السبيل، أعظم أجراً مِمَّن أنفق مع استغناء السبيل، و﴿الحسنى﴾: الجنة، قاله مجاهد

«المغازي» باب: (٥٣) (٤٣١٢)، ومسلم (٣/ ١٤٨٨) في «الإمارة» باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير. . . (٨٦ ـ ١٨٦٤)، وأبو يعلى (٤٩٥٢)، واللفظ لمسلم، ولأبي يعلى من طريق عطاء عن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الهجرة؟ فقال: «لا هجرة بعد الفتح. . .» الحديث.

وفي لفظ البخاري عن عطاء قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير. فسألها عن الهجرة؟ فقالت: لا هجرة لليوم، كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية.

وهكذا: أخرجه البيهقي (٩/ ١٧).

وأما حديث مجاشع بن مسعود: أخرجه البخاري (٦/ ١٣٧) في «الجهاد» باب: البيعة في الحرب ألا يفروا. . (٢٩٦٢ ـ ٢٩٦٣)، (٦/ ٢١٩)، باب: لا هجرة بعد الفتح (٣٠٧٨ ـ ٣٠٧٩)، و (٧/ ٦١٩)، في «المغازي» باب: (٥٣) (٤٣٠٥، ٤٣٠٨)، ومسلم (٣/ ١٤٨٧)، في «الإمارة» باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير (٨٣ ـ ٨٤/ ١٨٦٣)، وأحمد (٣/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩)، و (٥/ ٧١)، والحاكم (٣/ ٣١٦)، والطحاوي في **«مشكل الآثار»** (٣/ ٢٥٢)، والبيهقي (٩/ ١٦)، وفي **«الدلائل»** (٥/ ١٠٩) من طريق أبي عثمان النهدي، حدثني مجاشع قال: أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح، فقلت: يا رسول الله، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة. قال: «ذهب أهل الهجرة بما فيها»، فقلت: على أي شيء تبايعه؟ قال: «أبايعه على الإسلام، والإيمان، والجهاد»، فلقيت معبداً بعد ـ وكان أكبرهما ـ فسألته؟ فقال: صدق مجاشع.

وأما حديث صفوان بن أمية: أخرجه النسائي (٧/ ١٤٥) في «البيعة» باب: الاختلاف في انقطاع الهجرة، وأحمد (٣/ ٤٠١) عن وهيب بن خالد عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن صفوان بن أمية، قال: قلت: يا رسول الله إنهم يقولون: إن الجنة لا يدخلها إلا مهاجر. قال: «لا هجرة بعد فتح مكة، ولكن جهاد ونية. فإذا استنفرتم فانفروا».

وأخرجه أحمد (٣/ ٤٠١)، و (٦/ ٤٦٥) عن الزهري عن صفوان بن عبد الله بن صفوان عن أبيه، أن صفوان بن أمية بن خلف قيل له: هلك من لم يهاجر. قال: فقلت: لا أصل إلى أهلي حتى آتي رسول الله ﷺ، فركبت راحلتي، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، زعموا أنه هلك من لم يهاجر. قال: «كلا أبا وهب، فارجع إلى أباطح مكة».

وأما حديث يعلى بن أمية: أخرجه النسائي (٧/ ١٤١)، في «البيعة» باب: البيعة على الجهاد، (٧/ ١٤٥)، في ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة، وأحمد (٤/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤)، والطبراني في **«الكبير»** (٢٢/ ٢٥٧) (٦٦٤ ـ ٦٦٥)، والبيهقي (٩/ ١٦) من طريق ابن شهاب عن عمرو بن عبد الرحمٰن بن أمية، أن أباه أخبره: أن يعلى قال: جئت إلى رسول الله ﷺ بأبي يوم الفتح. فقلت: يا رسول الله، بايع أبي على الهجرة. قال رسول الله ﷺ: «أبايعه على الجهاد وقد انقطعت الهجرة».

وأما حديث أبي سعيد الخدري: أخرجه أحمد (٣/ ٢٢)، و (٥/ ١٨٧)، والطيالسي (٦٠١، ٩٦٧، ٢٢٠٥)، والبيهقي في **«دلائل النبوة»** (٥/ ١٠٩)، عن أبي البختري الطائي يحدث عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت هذه السورة: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس. . .﴾ قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها وقال: «الناس خير، وأنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح. ولكن جهاد ونية»، فحدثت به مروان بن الحكم وكان على المدينة فقال له مروان: كذبت، وعنده رافع بن

وقتادة[١]، والقرض: السلف، والتضعيفُ من اللّه تعالى هو في الحسنات، وقد مَرَّ ذِكْرُ ذلك، والأجر الكريم الذي يقترن به رضى وإقبال، وهذا معنى الدعاء بـ«يا كريم» العفو، أي: إنَّ مع عفوه رضى وتنعيماً.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيدِيهِمْ...﴾ الآية، العامل في ﴿يوم﴾ قوله: ﴿وله أجر كريم﴾ والرؤية هنا رؤية عينٍ، والجمهور أَنَّ النورَ هنا هو نور حقيقة، وقد روي في هذا عن ابن عباس وغيره[٢] آثار مضمنها: أَنَّ كل مؤمن ومُظْهِرٍ للإيمان، يُعْطَى/ يومَ القيامة نوراً فَيُطْفَأُ نُورُ كُلِّ منافقٍ، ويبقَىٰ نورُ المؤمنين، حتى ١٣٤ ب إنَّ منهم مَنْ نورُه يضيء كما بين مَكَّةَ وصنعاءَ؛ رفعه قتادة إلى النبي ﷺ[٣]، ومنهم مَنْ نوره كالنخلة السحوق، ومنهم مَنْ نورُه يضيء ما قَرُبَ من قدميه؛ قاله ابن مسعود[٤]، ومنهم مَنْ يَهُمُّ بالانطفاء مرة وَيَبِينُ مرة على قدر المنازل في الطاعة والمعصية، قال

= خديج، وزيد بن ثابت، وهما قاعدان معه على السرير، فقال أبو سعيد: لو شاء هذان لحدثاك، ولكن هذا يخاف أن تنزعه من عرافة قومه، وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة، فسكتا، فرفع مروان عليه الدِّرة ليضربه، فلما رأيا ذلك قالا: صدق.

أما قول ابن عمر: فأخرجه البخاري (٧/ ٢٦٧)، في «مناقب الأنصار» باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (٣٨٩٩)، و (٧/ ٦٢٠) في «المغازي» باب: (٥٣) (٤٣٠٩، ٤٣١١)، من طريق عطاء عن ابن عمر كان يقول: لا هجرة بعد الفتح.

وفي لفظ آخر: قلت لابن عمر رضي اللّه عنهما: إني أريد أن أهاجر إلى الشام. قال: لا هجرة، ولكن جهاد، فانطلق فاعرض نفسك، فإن وجدت شيئاً وإلا رجعت.

وأما قول عمر: أخرجه النسائي (٧/ ١٤٦)، في «البيعة» باب: الاختلاف في انقطاع الهجرة، وأبو يعلى في «مسنده» (١٨٦) عن شعبة عن يحيى بن هانىء عن نعيم بن دجاجة قال: سمعت عمر يقول: لا هجرة بعد وفاة رسول اللّه ﷺ.

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٥)، برقم: (٣٣٦١٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٤٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٦١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥١)، وعزاه لابن جرير، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠)، وعزاه إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه الحاكم موقوفاً على ابن مسعود رضي اللّه عنه (٢/ ٤٧٨)، ومثل هذا له حكم الرفع؛ لأن ليس=

الفخر[١]: قال قتادة[٢]: ما من عبد إلاّ وينادى يوم القيامة: يا فلان، هذا نورك، يا فلان، لا نورَ لك، نعوذ باللَّه من ذلك! واعلم أَنَّ العلمَ الذي هو نور البصيرة أولى بكونه نوراً من نور البصر، وإذا كان كذلك ظهر أَنَّ معرفة اللَّه تعالى هي النورُ في القيامة، فمقادير الأنوار يومَ القيامة على حسب مقادير المعارف في الدنيا، انتهى، ونحوه للغزالي، وخَصَّ تعالى بين الأيدي بالذكر؛ لأَنَّهُ موضع حاجة الإنسان إلى النور، واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ فقال بعض المتأولين: المعنى: وعن أيمانهم، فكأنَّه خَصَّ ذكر جهة اليمين؛ تشريفاً، وناب ذلك مَنَابَ أَنْ يقول: وفي جميع جهاتهم، وقال جمهور المفسرين: المعنى: يسعى نورُهم بين أيديهم، يريد الضوء المنبسط من أصل النور، ﴿وبأيمانهم﴾: أصله، والشيءُ الذي هو مُتَّقَدٌ فيه، فتضمن هذا القولُ أَنَّهم يحملون الأنوار، وكونهم غير حاملين أكرم؛ أَلاَ ترى أَنَّ فضيلةَ عباد بن بشر وأسيد بن حضير إِنَّما كانت بنور لا يحملانه، هذا في الدنيا، فكيف بالآخرة؟! * ت *: وفيما قاله * ع[٣] *: عندي نظر، وأيضاً فأحوال الآخرة لا تُقَاسُ على أحوال الدنيا!.

١٣٥ أ وقوله تعالى: ﴿بُشْرَاكُمْ﴾/ أي: يقال لهم: بشراكم ﴿جَنَّاتٌ﴾ أي دخول جنات.

* ت *: وقد جاءت ـ بحمد اللَّه ـ آثار بتبشير هذه الأُمَّةِ المحمديَّةِ، وخَرَّجَ ابن ماجه قال: أخبرنا جُبَارة بن المغلّس، قال: حدثنا عبد الأعلى، عن أبي بردة، عن أبيه قال: قال النبيُّ ﷺ: «إِذَا جَمَعَ [اللَّهُ] الخَلاَئِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أُذِنَ لأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ في السُّجُودِ، فَسَجَدُوا طَوِيلاً، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، فَقَدْ جَعَلْنَا عِدَتَكُمْ فِدَاءَكُمْ مِنَ النَّارِ»[٤]، قال ابن ماجه: وحدَّثنا جُبَارَةُ بْنُ المُغَلِّسِ، حدثنا كَثِيرُ بن سليمان: عن أنس بن مالك، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ أُمَّةٌ مَرْحُومَةٌ، عَذَابُهَا بِأَيْدِيهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَيُقَالُ: هٰذَا فِدَاؤُكَ مِنَ

مما يقال بالرأي، وابن جرير (١١/ ٦٧٦) (٣٣٦١٦)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠)، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي، وقال: بل على شرط البخاري فقط.

(١) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٩/ ١٩٤) عن مجاهد.
(٢) ذكره ابن كثير في «تفسيره» عن جنادة بن أمية (٤/ ٣٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠)، وعزاه لابن المنذر عن يزيد بن شجرة.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٦١).
(٤) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٤)، كتاب «الزهد» باب: صفة محمد ﷺ (٤٢٩١)، قال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد ضعيف لضعف جبارة بن المغلس.

النَّارِ»[(١)]، وفي «صحيح مسلم»: «دَفَعَ اللَّهُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ: هٰذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ» انتهى من «التذكرة»[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ قيل: ﴿يوم﴾ هو بدل من الأول، وقيل: العامل فيه «اذكر»، قال * ع[(٣)] *: ويظهر لي أَنَّ العاملَ فيه قوله تعالى: ﴿ذلك هو الفوز العظيم﴾ ويجيء معنى الفوز أَفْخَمَ؛ كأَنَّهُ يقول: إنَّ المؤمنين يفوزون بالرحمة يومَ يعتري المنافقين كذا وكذا، لأَنَّ ظهورَ المرء يومَ خمول عَدُوِّه ومُضَادِّهِ أَبْدَعُ وأَفْخَمُ، وقول المنافقين هذه المقالةَ المحكية، هو عند انطفاء أنوارهم، كما ذكرنا قبل، وقولهم: «انْظُرُونَا» معناه: انتظرونا، وقرأ حمزة وحده[(٤)]: «أَنْظِرُونَا» ـ بقطع الألف وكسر/ الظاء ـ ١٣٥ ب ومعناه أَخِّرُونا؛ ومنه: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ ومعنى قولهم أَخِّرونا، أي: أَخِّروا مشيَكم لنا؛ حَتَّى نلتحق فنقتبسَ من نوركم، واقتبس الرجل: أخذ من نور غيره قَبَساً، قال الفخر[(٥)]: القَبَسُ: الشعلة من النار والسراج، والمنافقون طَمِعُوا في شيء من أنوار المؤمنين، وهذا منهم جهل؛ لأَنَّ تلك الأنوار نتائج الأعمال الصالحة في الدنيا، وهم لم يقدموها، قال الحسن: يُعْطَى يومَ القيامة كُلُّ أحد نوراً على قَدْرِ عمله، ثم يؤخذ من حجر جهنم ومِمَّا فيها من الكلاليب والحسك ويُلْقَى على الطريق، ثم تمضي زمرة من المؤمنينَ، وُجُوهُهُم كالقمر ليلةَ البدر، ثم تمضي زمرة أُخرى كأضواء كوكب في السماء، ثم على ذلك، ثم تغشاهم ظلمة تُطْفِىءُ نورَ المنافقين، فهنالك يقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿انظرونا نقتبسْ من نوركم﴾، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ يحتمل أَنْ يكون من قول المؤمنين [لهم]، [ويحتمل أَنْ يكون من قول][(٦)] الملائكة، والقول لهم: ﴿فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾: هو على معنى

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٤)، كتاب «الزهد» باب: صفة أمة محمد ﷺ (٤٢٩٢)، وأحمد (٤/ ٤٠٨). قال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد ضعيف لضعف كثير وجبارة، وقد أعله البخاري، قد تقدم في الحديث الذي قبله.

(٢) ينظر: «التذكرة» للقرطبي (٢/ ٥٦٧ ـ ٥٦٨).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٦١).

(٤) ينظر: «السبعة» (٦٢٦)، و«الحجة» (٦/ ٢٦٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٥٠)، و«حجة القراءات» (٦٩٩)، و«العنوان» (١٨٦)، و«شرح شعلة» (٥٩٨)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٣٩)، و«إتحاف» (٢/ ٥٢١)، و«معاني القراءات» (٣/ ٥٥).

(٥) ينظر: «الفخر الرازي» (٢٩/ ١٦٩).

(٦) سقط في: د.

التوبيخ لهم، أي: إنَّكم لا تجدونه، ثم أعلم تعالى أنَّهُ يضرب بينهم في هذه الحال بسورٍ حاجز، فيبقى المنافقون في ظُلْمَةٍ وعذاب.

وقوله تعالى: ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: جهة المؤمنين ﴿وظاهره﴾: جهة المنافقين، والظاهر هنا: البادي؛ ومنه قول الكُتَّابِ: من ظاهر مدينة كذا، وعبارة الثعلبيِّ: ﴿فضرب بينهم بسور﴾: وهو حاجز بين الجنة والنار، قال أبو أمامة الباهليُّ[١]: فيرجعون إلى المكان
١٣٦ أ الذي قُسِّمَ فيه النور فلا يجدون شيئاً فينصرفون إليهم، وقد ضُرِبَ بينهم/ بسور، قال قتادة[٢]: حائط بين الجنة والنار، له باب ﴿باطِنُهُ فيه الرحمة﴾، يعني: الجنة، ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ يعني النار، انتهى، قال * ص *: قال أبو البقاء: الباء في ﴿بسور﴾ زائدة، وقيل: ليست بزائدة، قال أبو حيان[٣]: والضمير في ﴿باطنه﴾ عائدٌ على الباب، وهو الأظهر لأنَّهُ الأقرب، وقيل: على سور، أبو البقاء: والجملة صفة لـ«باب» أو لـ«سور»، انتهى.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ معناه: ينادي المنافقون المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: في الدنيا، فيردّ المؤمنون عليهم: ﴿بَلَى﴾: كنتم معنا، ولكن عَرَّضْتُمْ أنفسكم للفتنة، وهي حُبُّ العاجل والقتال عليه، قال مجاهد[٤]: فتنتم أنفسكم بالنفاق و﴿تربصتم﴾ معناه هنا: بإيمانكم فأبطأتم به، حَتَّى مُتُّم، وقال قتادة[٥]: معناه: تربصتم بِنَا وبمحمد ﷺ الدوائرَ، وشككتم، والارتياب: التشكك، والأماني التي غرتهم هي قولهم: سَيَهْلَكُ محمد هذا العام، سَتَهْزِمُهُ قريش، ستأخذه الأحزاب... إلى غير ذلك من أمانيهم، وطول الأمل:

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٠)، وعزاه لابن المبارك، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن أبي إمامة الباهلي.

(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٨)، برقم: (٣٣٦٢١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٢) وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٢١).

(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٩)، برقم: (٣٣٦٢٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٣).

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٧٩)، برقم: (٣٣٦٣١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٩).

غرار لكل أحد، وأمر اللَّه الذي جاء هو: الفتح وظهور الإسلام، وقيل: هو موتهم على النفاق المُوجِبِ للعذاب، و﴿الغرورُ﴾: الشيطان بإجماع المتأولين، وينبغي لكل مؤمن أَنْ يعتبر هذه الآيةَ في نفسه، وتسويفَه في توبته، واعلم أيها الأخ أَنَّ الدنيا غَرَّارة للمقبلين عليها، فإنْ أردت الخلاص والفوز بالنجاة، فازهدْ فيها، وأقبلْ على ما يعنيك من إصلاح دينك والتزود لآخرتك، وقد روى ابن المبارك في «رقائقه» عن أبي الدرداء أَنَّهُ قال ـ يعني لأصحابه ـ: لَئِنْ حَلَفْتُم لي على رجل منكم/ أَنَّه أزهدكم، لأحلفنَّ لكم أنّه خيركم[(١)]، ١٣٦ ب وروى ابن المبارك بسنده عن النبي ﷺ أَنّه قال: «يَبْعَثُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِهِ كَانَا عَلَى سِيرَةٍ وَاحِدَةٍ، أَحَدُهُمَا مَقْتُورٌ عَلَيْهِ، وَالآخَرُ مَوَسَّعٌ عَلَيْهِ [فَيُقْبِلُ المَقْتُورُ عَلَيْهِ][(٢)] إِلَى الجَنَّةِ، وَلاَ يَنْثَنِي عَنْهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى أَبْوَابِهَا، فَيَقُولُ حَجَبَتُهَا: إِلَيْكَ إِلَيْكَ! فَيَقُولُ: إِذَنْ لاَ أَرْجِعَ، قال: وَسَيْفُهُ فِي عُنُقِهِ فَيَقُولُ: أُعْطِيتُ هٰذَا السَّيْفَ فِي الدُّنْيَا أُجَاهِدُ بِهِ، فَلَمْ أَزَلْ مُجَاهِداً بِهِ حَتَّىٰ قُبِضْتُ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ، فَيَرْمِي بِسَيْفِهِ إِلَى الخَزَنَةِ، وَيَنْطَلِقُ، لاَ يُثْنُونَهُ وَلاَ يَحْبِسُونَهُ عَنِ الجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا، فَيَمْكُثُ فِيهَا دَهْراً، ثُمَّ يَمُرُّ بِهِ أَخُوهُ المُوَسَّعُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا فُلاَنُ، مَا حَبَسَكَ؟! فَيَقُولُ: مَا خُلِّيَ سَبِيلِي إلاَّ الآن، وَلَقَدْ حُبِسْتُ مَا لَوْ أَنَّ ثَلاَثَمِائَةِ بَعِيرٍ أَكَلَتْ خَمْطاً، لاَ يَرِدْنَ إلاَّ خِمْساً وَرَدْنَ عَلَىٰ عِرْقِي لَصَدَرْنَ مِنْهُ رِيًّا[(٣)]» انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ...﴾ الآية: استمرارٌ في مخاطبة المنافقين؛ قاله قتادة وغيره[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿هِيَ مَوْلاَكُمْ﴾ قال المفسرون: معناه: هي أولى بكم، وهذا تفسير بالمعنى، وإِنَّما هي استعارة؛ لِأَنَّها من حيث تَضُمُّهم وتباشِرُهم هي تواليهم وتكون لهم مكانَ المولى، وهذا نحو قول الشاعر: [الوافر]

.... تَـحِـيَّـةُ بَـيْـنِـهِـمْ ضَـرْبٌ وَجِـيـعُ[(٥)]

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٩٣)، برقم: (٥٥٠).
(٢) سقط في: د.
(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٩٥)، برقم: (٥٥٦).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٠)، برقم: (٣٣٦٣٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٦٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٣)، وعزاه لعبد بن حميد.
(٥) عجز بيت وصدره:
وخـيـل قـد دلـفـت لـهـا بـخـيـل ....
وهو لعمر بن معد يكرب في «ديوانه» ص: (١٤٩)، و«خزانة الأدب» (٩/ ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، =

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: ابتداء معنى مستأنف، ومعنى ﴿ألم يأن﴾: ألم يَحِنْ؛ يقال: أنى الشَّيْءُ يأني إِذَا حَانَ، وفي الآية معنى الحَضِّ والتقريع، قال ابن عباس: عُوتِبَ المؤمنون بهذه الآية[1]، وهذه الآية كانت سَبَبَ توبة الفُضَيْلِ وابن المبارك، والخشوع:
١٣٧ أ الإِخبات والتضامن/ وهي هيئة تظهر في الجوارح متى كانت في القلب؛ ولذلك خَصَّ تعالى القلبَ بالذكر، وروى شداد بن أوس عنِ النبي ﷺ أنَّه قال: «أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الخُشُوعُ»[2].

وقوله تعالى: ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: لأجلِ ذكر اللَّه تعالى ووحيه، أو لأجل تذكير اللَّه إِيَّاهم وأوامره فيهم، والإِشارة في قوله: ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ إِلى بني إِسرائيل المعاصرين لموسى ـ عليه السلام ـ ولذلك قال: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وَإِنَّما شَبَّه أهل عصر نبيٍّ [بأهل عصر نبيٍّ].

وقوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ﴾ قيل: معناه: أَمد الحياة، وقيل: أمد انتظار القيامة، قال الفخر[3]: وقال مقاتل بن حيان: الأمد هنا: الأمل، أي: لما طالت آمالُهم، لا جَرَمَ قَسَتْ قلوبهم، انتهى، وباقي الآية بَيِّنٌ.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

٢٦٢، ٢٦٣)، و«شرح أبيات سيبويه» (٢/ ٢٠٠)، و«الكتاب» (٣/ ٥٠)، و«نوادر أبي زيد» ص: (١٥٠)، وبلا نسبة في «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٣٤٥)، و«الخصائص» (١/ ٣٦٨)، و«شرح المفصّل» (٢/ ٨٠)، و«الكتاب» (٢/ ٣٢٣)، و«المقتضب» (٢/ ٢٠، ٤/ ٤١٣).

(١) ذكره البغوي (٤/ ٢٩٧)، وابن عطية (٥/ ٢٦٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣١٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٤)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبراني (٧/ ٣٥٤)، برقم: (٧١٨٣) من طريق عمران القطان عن قتادة عن الحسن عن شداد بن أوس به.
قال الهيثمي في «المجمع»: عمران بن داود القطان ضعفه ابن معين، والنسائي، ووثقه أحمد، وابن حبان.

(٣) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٩/ ٢٠٠).

وقوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا. . .﴾ الآية، مخاطبة لهؤلاء المؤمنين الذين نُدِبُوا إِلى الخشوع، وهذا ضرب مَثَلٍ، واستدعاء إلى الخير برفق وتقريب بليغ، أي: لا يبعد عندكم أيُّها التاركون للخشوع رُجُوعُكُمْ إِليه وتلبسكم به، فإنَّ اللَّه يحيي الأرضَ بعد موتها، فكذلك يفعل بالقلوب، يرُدُّهَا إِلى الخشوع بعد بُعْدِهَا عنه، وترجع هي إِليه إذا وقعت الإِنابةُ والتَّكَسُّبُ من العبد بعد نفورها منه، كما يحيي الأرضَ بعد أَنْ كانت ميتة، وباقي الآية بين، و﴿المُصَّدِّقِينَ﴾: يعني به المتصدقين، وباقي الآية بين.

* ت *: وقد جاءت آثار صحيحة في الحَضِّ على الصدقة، قد ذكرنا منها جملة في هذا المختصر، وأسند مالك في «الموطأ» عن النبي ﷺ؛ أَنَّهُ قال: «يَا نِسَاءَ المُؤْمِنَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ إِحْدَاكُنَّ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ كُرَاعَ شَاةٍ مُحْرَقاً»[1] وفي «الموطأ» عنه ﷺ/ «رُدُّوا السَّائِلَ ١٣٧ ب
وَلَوْ بِظَلِفٍ مُحْرَّقٍ»[2] قال ابن عبد البر في «التمهيد»: ففي هذا الحديث الحَضُّ على الصدقة بكل ما أمكن من قليل الأشياء وكثيرها، وفي قول اللَّه عز وجل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]: أوضح الدلائل في هذا الباب، وتصدقت عائشةُ ـ رضي اللَّه عنها ـ بحبتين من عنب، فنظر إِليها بَعْضُ أهل بيتها فقالت: لا تَعْجَبْنَ؛ فكم فيها من مثقال ذرة، ومن هذا الباب قوله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[3] وإِذا كان اللَّه عز وجل يُرْبي الصدقاتِ، ويأخذ الصدقةَ بيمينه فَيُرَبِّيَهَا، كما يُرَبِّي أَحَدُنَا فَلُوَّه أَوْ فَصِيلَهُ ـ فما بالُ مَنْ عَرَفَ هذا يَغْفُلُ عنه! وما التوفيق إِلاَّ باللَّه، انتهى من «التمهيد»، وروى ابن المبارك في «رقائقه» قال: أخبرنا حرملة بن عمران أَنَّهُ سَمِعَ يزيد بن أبي حَبِيبٍ يحدِّثُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٩)، كتاب «الأدب» باب: لا تحقرن جارة جارتها (٦٠١٧)، ومسلم (٢/ ٧١٤)، كتاب «الزكاة» باب: الحث على الصدقة ولو بالقليل (٩٠/ ١٠٣٠)، والترمذي (٤/ ٤٤١)، كتاب «الولاء والهبة» باب: في حث النبي ﷺ على التهادي (٢١٣٠)، وأحمد (٢/ ٢٦٤، ٤٣٢، ٤٩٣، ٥٠٦)، والبيهقي (٤/ ١٧٧) كتاب «الزكاة» باب: التحريض على الصدقة وإن قلّت، (٦/ ١٦٩)، كتاب «الهبات» باب: التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس.

(٢) أخرجه النسائي (٥/ ٨١)، كتاب «الزكاة» باب: رد السائل (٢٥٦٥)، وأحمد (٤/ ٧٠)، والبيهقي (٤/ ١٧٧)، وابن حبان (٣/ ٧٢٣) ـ الموارد (٨٢٥)، وابن خزيمة (٤/ ١١١) (٢٤٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٢)، كتاب «الزكاة» باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة، والقليل من الصدقة (١٤١٧) (١١/ ٤٠٨) كتاب «الرقاق» باب: من نوقش الحساب عذب (٦٥٤٠)، (١٣/ ٤٨٢)، كتاب «التوحيد» باب: كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٧٥١٢)، ومسلم (٢/ ٧٠٣)، كتاب «الزكاة» باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، فإنها حجاب من النار (٦٦، ٧٧، ٧٨، ٦٨/ ١٠١٦)، وابن حبان (٢/ ٢٢٠)، كتاب «البر والإحسان» باب: حسن الخلق (٤٧٣)، (٢/ ٤٤٠) كتاب «الرقاق» باب: الخوف والتقوى (٦٦٦)، (٧/ ٤٣)، كتاب «الصلاة» باب: صلاة الجمعة (٢٨٠٤)، وأحمد (٤/ ٢٥٦)، والنسائي (٥/ ٧٥)، كتاب «الزكاة» باب: القليل من الصدقة (٢٥٥٣).

أَنَّ أبا الخير حدثه: أَنَّه سمع عقبة بن عامر يقول: سَمِعْتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «كُلُّ امْرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَل بَيْنَ النَّاسِ»[١] قال يزيد: فكان أبو الخير لا يخطئه يومٌ إلاَّ تصدق فيه بشيء، ولو كَعْكَةً أو بَصَلَةً أو كذا، انتهى، و﴿الصديقون﴾: بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق؛ على ما ذكر الزَّجَّاج[٢].

وقوله تعالى: ﴿والشهداءُ عند ربهم﴾: اخْتُلِفَ في تأويله فقال ابن مسعود وجماعة: ﴿والشهداء﴾: معطوف على: ﴿الصديقون﴾ والكلامُ متَّصل، ثم اختلفت هذه الفرقةُ في معنى هذا الاتصال، فقال بعضها: وَصَفَ اللَّه المؤمنين بأَنَّهم صديقون وشهداء، فَكُلُّ مؤمن
١٣٨ أ شهيد؛/ قاله مجاهد[٣]، وروى البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ أَنَّ النبي ﷺ قال: «مُؤْمِنُو أُمَّتِي شُهَدَاءُ، وَتَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَة[٤] وإنَّما خَصَّ ﷺ ذكر الشهداء السبعة تشريفاً لهم؛ لأَنَّهم في أعلى رتب الشهادة؛ أَلاَ ترى أَنَّ المقتولَ في سبيل اللَّه مخصوصٌ أيضاً من السبعة بتشريف ينفرد به، وقال بعضها: ﴿الشهداء﴾ هنا: من معنى الشاهد لا من معنى الشهيد، فكأَنَّه قال: هم أهل الصدق والشهداءُ على الأمم، وقال ابن عباس، ومسروق، والضحاك[٥]: الكلام تامٌّ في قوله: ﴿الصديقون﴾، وقوله: ﴿والشهداء﴾: ابتداءٌ مستأنف،

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٧ ـ ١٤٨)، وأبو يعلى (٣/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) رقم (١٧٦٦)، وابن خزيمة (٤/ ٩٤) رقم: (٢٤٣١)، وابن حبان (٨١٧) ـ موارد، والحاكم (١/ ٤١٦)، والبيهقي (٤/ ١٧٧)، كتاب «الزكاة» باب: التحريض على الصدقة وإن قلّت، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٨/ ١٨١)، والبغوي في **«شرح السنة»** (٣/ ٤٠٢) ـ بتحقيقنا، كلهم من طريق ابن المبارك وهو في **«الزهد»** له ص: (٢٢٧) رقم (٦٤٥) عن حرملة بن عمران عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الرجل في ظل صدقته حتى يُقضى بين الناس وكان أبو الخير لا يأتي عليه يوم إلا تصدق فيه بشيء ولو كعكة ولو بصلة.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وصححه ابن خزيمة، وابن حبان.
وقال الهيثمي في **«المجمع»** (٣/ ١١٣): رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال أحمد ثقات.
وصححه السيوطي في **«الجامع الصغير»** (٦٢٨٢)، وقال المناوي في **«الفيض»** (٥/ ١٣): وقال ـ أي الذهبي ـ في **«المهذب»**: إسناده قوي.

(٢) ينظر: **«معاني القرآن»** (٥/ ١٢٦).

(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٣)، برقم: (٣٣٦٥٢)، وذكره البغوي (٤/ ٢٩٨)، وابن عطية (٥/ ٢٦٥)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٣١٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٥٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد.

(٤) ذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٥٦)، وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١١/ ٦٨٣) عن ابن عباس برقم: (٣٣٦٤٦)، وعن مسروق برقم: (٣٣٦٤٧)، وعن الضحاك برقم: (٣٣٦٥٠)، وذكره البغوي (٤/ ٢٩٨)، وابن عطية (٥/ ٢٦٦)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٣١١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٥٦)، وعزاه لابن جرير.

ثم اختلفتْ هذه الفرقةُ في معنى هذا الاستئناف، فقال بعضها: معنى الآية: والشهداءُ بأنَّهم صديقون حاضرون عند ربهم، وعَنَى بالشهداء الأنبياء ـ عليهم السلام ـ.

* ت *: وهذا تأويل بعيد من لفظ الآية، وقال بعضها: قوله: ﴿والشهداء﴾ ابتداء يريد به الشهداءَ في سبيل اللّه، واستأنف الخبر عنهم بأنَّهم: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ فكأنَّه جعلهم صِنفاً مذكوراً وحده.

* ت *: وأبينُ هذه الأقوال الأوَّلُ، وهذا الأخيرُ، وإِنْ صَحَّ حديث البَرَاءِ لم يُعدَلْ عنه، قال أبو حيان[١]: والظاهر أنَّ ﴿الشهداء﴾ مبتدأ خبره ما بعده، انتهى.

وقوله تعالى ﴿ونورهم﴾ قال الجمهور: هو حقيقة حسبما تقدم.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّما الْحَيٰوةُ الدُّنيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ هذه الآيةُ وعظ، وتبيين لأمر الدنيا وَضَعَةِ منزلتها، والحياة الدنيا في هذه الآية: عبارة عن الأشغال والتصرفاتِ والفكرِ / التي هي مختصة بالحياة الدنيا، وأمَّا ما كان من ذلك في طاعة اللّه تعالى، وما كان في ١٣٨ ب
الضرورات التي تقيم الأود وتعينُ على الطاعات ـ فلا مدخلَ له في هذه الآية، وتأملْ حالَ الملوك بعد فقرهم، يَبِنْ لك أنَّ جميعَ ترفههم لَعِبٌ ولهو، والزينة: التحسين الذي هو خارج عن ذات الشيء، والتفاخرُ بالأموال والأنساب وغيرُ ذلك على عادة الجاهلية، ثم ضرب اللّه عز وجل مَثَلَ الدنيا، فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ...﴾ الآية: وصورة هذا المثالِ أنَّ الإِنسانَ ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك، فيشُبُّ في النعمة، ويقوى، ويكسب المال والولد، ويغشاه الناسُ، ثم يأخذُ بعد ذلك في انحطاطٍ، ويشيب، ويضعف ويسقم، وتصيبه النوائب في ماله وذريته، ويموتُ، ويضمحلُّ أَمرهُ، وتصيرُ أمواله لغيره، وتتغير رُسُومُه؛ فأمره مِثْلُ مطر أصاب أرضاً، فنبت عن ذلك الغيثِ نباتٌ معجب أنيق، ثم هاج، أي: يبس، واصْفَرَّ، ثم تحطم، ثم تفرق بالرياح واضمحل.

وقوله: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ أي: الزراع؛ فهو من كَفَرَ الحَبَّ، أي: ستره، وقيل: يحتمل أنْ يعني الكفار باللّه، لأنَّهم أشَدُّ إعجاباً بزينة الدنيا، ثم قال تعالى: ﴿وَفي الآخِرَةِ

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٢٢).

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ. . .﴾ الآية: كأنَّه قال: والحقيقة هاهنا، وذكر العذابَ أَوَّلاً؛ تَهَمُّماً به من حيث الحذر في الإنسان، ينبغي أَنْ يكونَ أولاً، فإذا تحرز من المخاوف مَدَّ حينئذ أمله، فذكر تعالى ما يحذر قبل ما يطمع فيه، وهو المغفرة والرضوان، وعبارة الثعلبيِّ:
١٣٩ أ ﴿ثم يهيج﴾ أي: يجفُّ ﴿وفي الآخرة/ عذاب شديد﴾: لأعداء اللَّه ﴿ومغفرة﴾: لأوليائه، وقال الفَرَّاءُ ﴿وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة﴾ أي: إمَّا عذاب شديد، وإمَّا مغفرة ﴿وما الحياة الدنيا إلاَّ متاع الغرور﴾: هذا تزهيد في العمل للدنيا، وترغيبٌ في العمل للآخرة، انتهى، وهو حسن، وعن طارق قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «نِعْمَتِ الدَّارُ الدُّنْيَا لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا لآخِرَتِهِ، وَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ صَدَّتْهُ عَنْ آخِرَتِهِ، وَقَصَّرَتْ بِهِ عَنْ رِضَا رَبِّهِ، فَإذَا قَالَ الْعَبْدُ: قَبَّحَ اللَّهُ الدُّنْيَا قَالَتِ الدُّنْيَا: قَبَّحَ اللَّهُ أَعْصَانَا لِرَبِّهِ»[1]. رواه الحاكم في «**المستدرك**»، انتهى من «**السلاح**»، ولا يشك عاقل أَنَّ حُطَامَ الدنيا مُشْغِلٌ عنِ التأهب للآخرة؛ قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب «**فضل العلم**»: وقد رُوِيَ مرفوعاً: «لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ»[2] قال أبو عمر: ثم نقول: إنَّ الزهد في الحلال، وترك الدنيا مع القدرة عليها ـ أفضلُ من الرغبة فيها في حلالها، وهذا ما لا خلافَ فيه بين علماء المسلمين قديماً وحديثاً، والآثار الواردة عنِ الصحابة والتابعين، ومَنْ بعدهم من علماء المسلمين في فضل الصبر والزهد فيها، وفَضْل القناعة، والرضا بالكفاف، والاقتصارِ على ما يكفي دون التكاثر الذي يُلْهِي ويُطْغِي ـ: أكثر من أَنْ يحيط بها كتاب، أو يشمل عليها باب، والَّذِينَ زوى اللَّه عنهم الدنيا من الصحابة، أكثرُ من الذين فتحها عليهم أضعافاً مضاعفةً، وقد روينا عن عبد الرحمن بن عوف أَنَّهُ لما حضرته الوفاةُ بَكَى بُكَاءً شديداً، وقال: كان مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ
١٣٩ ب خيراً مِنِّي؛ تُوُفِّيَ وَلَمْ يَتْرُكْ ما يُكَفَّنُ فيه،/ وَبَقِيتُ بعده حتى أَصَبْتُ من الدنيا وأصابت مِنِّي، ولا أحسبني إلاَّ سَأُحْبَسُ عن أصحابي بما فتح اللَّهُ عليَّ من ذلك، وجعل يبكي حتى

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣١٢).
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي، وقال: بل منكر، وعبد الجبار لا يعرف، روى عنه يحيى بن أيوب العابد.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٥٦٩)، كتاب «الزهد» باب: ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال (٢٣٣٦)، وابن حبان (٨/١٢٨) ـ الموارد (٢٤٧٠)، والنسائي كما في «**التحفة**» (٨/٣٠٩) (١١١٢٩)، والحاكم (٤/٣١٨).
قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
قال ابن الجوزي في «**العلل المتناهية**» (٢/٧٩٨)، وهذا حديث لا يصحّ عن رسول اللَّه ﷺ، قال العقيلي: ليس له أصل من وجه يثبت. ا هـ.

فاضتْ نفسه، وفارق الدنيا رحمة اللّه عليه، فإِنْ ظَنَّ ظانٌّ جاهل أَنَّ الاستكثار من الدنيا ليس به بأس، أو غلب عليه الجهل؛ فَظَنَّ أَنَّ ذلك أفضل من طلب الكفاف منها، وشُبِّهَ عليه بقول اللّه تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨] فيما عَدَّده سبحانه على نبيِّه ﷺ من نعمه عنده ـ فَإِنَّ ذلك ليس كما ظَنَّ؛ بل ذلك غنى القلب، دَلَّتْ على ذلك الآثارُ الكثيرة؛ كقوله عليه السلام: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَإِنَّما الغِنَى غِنَى النَّفْسِ»[١] انتهى.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ الآية: لما ذكر تعالى المغفرة التي في الآخرة، ندب في هذه الآية إلى المسارعة إليها والمسابقة، وهذه الآية حُجَّةٌ عند جميع العلماء في الندب إلى الطاعات، وقدِ استدلَّ بها بعضُهم على أَنَّ أَوَّلَ أوقات الصلوات أفضلُ؛ لِأَنَّهُ يقتضي المسارعةَ والمسابقةَ، وذكر سبحانه العَرْضَ من الجنة؛ إِذِ المعهودُ أَنَّهُ أَقَلُّ من الطول، وقد ورد في الحديث: «أَنَّ سَقْفَ الجَنَّةِ الْعَرْشُ» وورد في الحديث: «أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعَ في الكُرْسِيِّ كَالدِّرْهَمِ في الْفَلاَةِ، وَأَنَّ الْكُرْسِيَّ في الْعَرْشِ كَالدِّرْهَمِ في الْفَلاَةِ»[٢].

* ت *: أيها الأخ، أَمَرَكَ المولى سبحانه بالمسابقة والمسارعة؛ رحمةً منه وفضلاً، فلا تغفلْ عن امتثال أمره وإِجابة دعوته: [الخفيف]

السَّبَاقَ السَّبَاقَ قَوْلاً وَفِعْلاً حَذَرَ النَّفْسِ حَسْرَةَ/ الْمَسْبُوقِ ١٤٠أ

ذكر صاحبُ **«معالم الإِيمان، وروضات الرضوان»** في مناقب صلحاء القيروان، قال: ومنهم أبو خالد عبد الخالق المتعبد، كان كثيرَ الخوف والحزن، وبالخوف مات؛ رأى يوماً خَيْلاً يسابق بها، فتقدمها فرسان، ثم تقدم أَحَدُهُمَا على الآخر، ثم جَدَّ التالي حتى سَبَقَ الأول، فتخلَّلَ عبد الخالق الناسَ حَتَّى وصلَ إِلى الفرس السابق، فجعل يُقَبِّلُهُ ويقول: بارك اللّه فيك، صَبَرْتَ فظفرت، ثم سقط مغشيًّا عليه، انتهى.

(١) تقدم تخريجه. (٢) تقدم تخريجه.

وقوله سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ في الأَرْضِ...﴾ الآية: قال ابن زيد وغيره[١]: المعنى: ما حدث من حادث، خيرٍ وشَرٍّ، فهذا على معنى لفظ أصاب، لا على عُرْفِ المصيبة؛ فإِنَّ عُرْفَهَا في الشر، وقال ابن عباس[٢] ما معناه: أَنَّه أراد عرف المصيبة، فقوله: ﴿في الأرض﴾ يعني: بالقحوط، والزلازل، وغير ذلك و﴿في أنفسكم﴾: بالموت، والأمراض، وغير ذلك.

وقوله: ﴿إِلاَّ في كِتَابٍ﴾ معنا: إلاَّ والمصيبة في كتاب و﴿نَبرَأَهَا﴾ معناه: نخلقها؛ يقال: برأ اللَّهُ الخلق، أي: خلقهم، والضميرُ عائد على المصيبة، وقيل: على الأرض، وقيل: على الأنفس؛ قاله ابن عباس وجماعة[٣]، وذكر المهدويُّ جوازَ عود الضمير على جميع ما ذُكِر، وهي كُلُّها معانٍ صِحَاحٌ.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾: يريد تحصيلَ الأشياءِ كلها في كتاب، وقال الثعلبي: وقيل المعنى: إِنَّ خَلْقَ ذلك وحِفْظَ جميعه، على اللَّه يسير، انتهى.

وقوله: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا﴾ معناه: فَعَلَ اللَّهُ هذا كُلَّه، وأَعلمكم به؛ ليكونَ سَبَبَ تسليتكم وقِلَّةَ اكتراثكم بأمور الدنيا، فلا تحزنوا على فائت، ولا تفرحوا الفَرَحَ المبطر بما
١٤٠ ب آتاكم/ منها، قال ابن عباس[٤]: ليس أحد إلاَّ يحزنُ أو يفرحُ، ولكن مَنْ أصابته مصيبةٌ فليجعلها صبراً، ومَنْ أصابه خير فليجعله شكراً؛ وفي «**صحيح مسلم**» عن أبي سعيد وأبي هريرةَ، أَنَّهُمَا سَمِعَا رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ وَصَبٍ وَلاَ نَصَبٍ، وَلاَ سَقَمٍ وَلاَ حَزَنٍ، حَتَّى الهَمِّ يَهُمُّهُ ـ إِلاَّ كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ»[٥]، وفي «**صحيح مسلم**» عن

(١) أخرجه الطبري (١١/٦٨٦)، برقم: (٣٣٦٦٢)، وذكره ابن عطية (٥/٢٦٨).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/٢٦٨).
(٣) أخرجه الطبري (١١/٦٨٥)، برقم: (٣٣٦٥٧)، وذكره ابن عطية (٥/٢٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٢٥٧)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.
(٤) أخرجه الطبري (١١/٦٨٧)، برقم: (٣٣٦٦٦)، وذكره ابن عطية (٥/٢٦٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٢٥٧)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، والبيهقي في «**شعب الإيمان**».
(٥) أخرجه البخاري (١٠/١٠٧)، كتاب «المرضى» باب: ما جاء في كفارة المريض وقوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ (٥٦٤١ ـ ٥٦٤٢)، ومسلم (٤/١٩٩٢، ١٩٩٣)، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (٥٢/٢٥٧٣)، وأحمد (٢/٣٠٣، ٣٣٥)، (٣/١٨ ـ ١٩، ٤٨) عن أبي هريرة، (٢/٣٠٣، ٣٣٥)، (٣/١٨ ـ ١٩، ٤٨) عن أبي سعيد، والبيهقي (٣/٣٧٣)، كتاب «الجنائز» باب: ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من

عائِشَةَ قالت: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا، إلاَّ كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»[1]، وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرةَ قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] بَلَغَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَبْلَغاً شَدِيداً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَفِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةٌ حَتَّى النَّكْبَةِ يُنْكَبُهَا وَالشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»[2]، انتهى، وقد تقدم كثير في هذا المختصر من هذا المعنى، فاللَّه المسؤول أَنْ ينفع به كُلَّ مَنْ حَصَّله أو نظر فيه.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾: يدلُّ على أَنَّ الفرحَ المنهيَّ عنه إنَّما هو ما أَدَّى إلى الاختيال والفخر، وأَمَّا الفَرَحُ بنعم اللَّه المقترن بالشكر والتواضع، فإِنَّه لا يستطيع أَحَدٌ دَفْعَهُ عن نفسه، ولا حرجَ فيه، واللَّه أعلم.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ قال بعضهم: هو خبر مبتدإ محذوف تقديره: هم الذين يبخلون، وقال بعضهم: هو في موضع نصب؛ صِفَةً لـ﴿كل﴾، وإِنْ كان نكرةً فهو يُخَصِّصُ نوعاً ما؛ فيسوغُ لذلك وصفه بالمعرفة، وهذا مذهبُ الأخفش، و﴿الكتاب﴾ هنا: اسم جنس لجميع الكتب المُنَزَّلَةِ، ﴿والميزان﴾: العدل/ في تأويل الأكثرين. ١٤١أ

= الصبر على الأمراض والأوجاع والأحزان، لما فيها من الكفارات والدرجات، عنهما جميعاً، وابن الشجري في «أماليه» (٢/ ٢٧٩) عن أبي سعيد، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٤٥) (٤٨٨).

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٧) كتاب «المرضى» باب: ما جاء في كفارة المريض، وقوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ (٥٦٤٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٢/ ١٩٩٣)، كتاب «البر والصلة والآداب» باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حتى الشوكة يشاكها (٤٦، ٥١/ ٢٥٧٢). والبيهقي (٣/ ٣٧٣)، كتاب «الجنائز» باب: ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعره من الصبر على جميع ما يصيبه من الأمراض والأوجاع، والأحزان لما فيها من الكفارات، والدرجات، وأحمد (٦/ ٢٤٧، ٢٤٨)، وابن الشجري في «الأمالي» (٢/ ٢٧٩).

(٢) ينظر: السابق.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ عَبَّرَ سبحانه عن خلقه الحديدَ بالإنزال؛ كما قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ [الزمر: ٦] الآية، قال جمهورٌ من المفسرين: الحديد هنا أراد به جِنْسَهُ من المعادن وغيرها، وقال حُذَّاقٌ من المفسرين: أراد به السلاح، ويترتب معنى الآية بأَنَّ اللّه أخبر أَنَّهُ أرسل رُسُلاً، وأنزل كتباً، وعدلاً مشروعاً، وسلاحاً يُحَارَبُ به مَنْ عاند، ولم يقبل هدى اللّه؛ إِذْ لم يبقَ له عذر، وفي الآية ـ على هذا التأويل ـ حَضٌّ على القتال في سبيل اللّه وترغيبٌ فيه.

وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ يقوّي هذا التأويل.

وقوله: ﴿بالغيب﴾ معناه: بما سمع من الأَوصاف الغائبة عنه فآمن بها، وباقي الآية بين.

وقوله سبحانه: و﴿قَفَّيْنَا﴾ معناه: جئنا بهم بعد الأولِينَ، وهو مأخوذ من القفا، أي: جيء بالثاني في قَفَا الأَوَّلِ، فيجيء الأول بين يدي الثاني، وقد تقدم بيانه.

وقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾: الجعل في هذه الآية بمعنى الخلق.

وقوله: ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾: صفة لرهبانية، وخَصَّها بِأَنَّها ابْتُدِعَتْ؛ لِأَنَّ الرأفة والرحمة في القلب، لا تَكَسُّبَ للإنسان فيها، وَأَمَّا الرهبانيةُ فهي أفعال بدن مع شيء في القلب، ففيها موضعٌ لِلتَّكَسُّبِ، ونحو هذا عن قتادة[١]، والمراد بالرأفة والرحمة حُبُّ بعضهم في بعض وتوادُّهُم، والمراد بالرهبانية: رَفْضُ النساء، واتخاذ الصوامع والديارات، والتفردُ للعبادات، وهذا هو ابتداعهم، ولم يَفْرِضِ اللّه ذلك عليهم، لكنهم فعلوا ذلك؛ ابتغاءَ رضوان اللّه؛
١٤١ ب هذا تأويل جماعة، وقرأ ابن مسعود[٢]:/ «مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ لَكِنِ ٱبْتَدَعُوهَا» وقال مجاهد[٣]: المعنى: كتبناها عليهم ابتغاءَ رضوان اللّه، فالاستثناء على هذا مُتَّصِلٌ، واخْتُلِفَ في الضمير الذي في قوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ مَنِ المراد به؟ فقال ابن زيد وغيره[٤]: هو عائد على الذين ابتدعوا الرهبانِيّة، وفي هذا التأويل لزومُ الإتمام لِكُلِّ مَنْ بدأ بتطوُّعٍ ونَفْلٍ، وأَنَّهُ

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٩٠)، برقم: (٣٣٦٧٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٠).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧٠).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٠).
(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٦٩٢)، برقم: (٣٣٦٧٨)، عن أبي أمامة الباهلي رضي اللّه عنه، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٥٩)، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه، وابن نصر.

يلزمُه أنْ يرعاه حَقَّ رعيه، وقال الضَّحَّاكُ وغيره[١]: الضمير للأخلاف الذي جاؤوا بعد المبتدعين لها، ورُوِّينا في «كتاب الترمذيِّ» عن كثير بن عبد اللَّه المُزَنِيِّ، عن أبيه، عن جدِّه: «أنَّ النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: اعْلَمْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: اعْلَمْ يَا بِلاَلُ! قَالَ: مَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنِ ٱبْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلاَلَةٍ، لاَ يَرْضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهَا ـ كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئاً»[٢]. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن، انتهى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ قالت فرقة: الخطاب بهذه الآية لأهل الكتاب، ويؤيده الحديث الصحيح: «ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بي» الحديث[٣]، وقال آخرون: الخطاب للمؤمنين من هذه الأمة، ومعنى ﴿آمنوا برسوله﴾ أي: اثبتوا على ذلك ودوموا عليه، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي: نصيبين بالإِضافة إلى ما كان الأمم قبل يعطونه، قال أبو موسى: ﴿كفلين﴾: ضعفين بلسان الحبشة، والنور هنا: إمَّا أنْ يكونَ وعداً بالنور الذي/ يسعى بين الأيدي يومَ القيامة، وإِمَّا ١٤٢ أ
أَنْ يكون استعارة للهُدَى الذي يمشى به في طاعة اللَّه.

وقوله تعالى: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ...﴾ الآية: رُوِيَ أَنَّه لما نزل هذا الوعدُ المتقدم للمؤمنين، حسدهم أهلُ الكتاب على ذلك، وكانتِ اليهودُ تُعَظِّمُ دِينَهَا وأَنْفُسَهَا، وتزعم أنَّهم أَحِبَّاءُ اللَّه وأهلُ رضوانه، فنزلت هذه الآية مُعْلِمَةً أَنَّ اللَّه فعل ذلك، وأعلم به؛ ليعلمَ أهل الكتابِ أَنَّهم ليسوا كما يزعمون، و«لا» في قوله: ﴿لِئَلاَّ﴾ زائدة، وقرأ ابن عباس والجَحْدَرِيُّ[٤]: «لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ»، وروى إبراهيم

---

(١) أخرجه الطبري (١١/ ٦٩٢)، برقم: (٣٣٦٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥)، كتاب «العلم» باب: ما جاء في الأخذ بالسنة، واجتناب البدع (٢٦٧٧).
قال الترمذي: هذا حديث حسن وللحديث شواهد في الصحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) وقرأ بها عبد الله.

التيمي عن ابن عباس: «كَيْ يَعْلَمَ» وروي عن حِطَّانَ الرُّقَاشِيِّ أنه قرأ[1]: «لِأَنْ يَعْلَمَ».

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ معناه: أَنَّهم لا يملكون فضلَ اللّه، ولا يدخل تحت قُدَرهم، وباقي الآية بَيِّنٌ.

= ينظر: «الشواذ» (١٥٣)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٢٧)، وزاد نسبتها إلى ابن مسعود، وعكرمة، وعبد اللّه بن سلمة، وهي في «الدر المصون» (٦/ ٢٨٢).

(١) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

[تفسير] سورةِ المُجادلَةِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ إلاَّ أَنَّ النَّقَّاشَ حَكَىٰ أَنَّ قَوْلَهُ تعالَىٰ:

﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ...﴾ الآية، مَكِّيٌّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)﴾

قوله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ الآية: اختلف الناس في اسم هذه المرأة على أقوال، واختصار ما رواه ابن عباس والجمهور «أَنَّ أَوْسَ بْنَ الصَّامِتِ الأَنْصَارِيَّ، أخا عبادة بن الصامت، ظَاهَرَ من امرأته خَوْلَةَ بنت خُوَيْلِدٍ، وكان الظِّهارُ في الجاهلية يُوجِبُ عندهم فُرْقَةً مُؤَبَّدَةً، فلما فعل ذلك أوسٌ جاءَتْ زَوْجَتُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إنَّ أوساً أَكَلَ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، فَلَمَّا كَبِرَتْ وَمَاتَ أَهْلِي، ظَاهَر مِنِّي! فقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:/ مَا أَرَاكِ إلاَّ حُرِّمْتِ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا ١٤٢ ب
رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَفْعَلْ؛ فَإنِّي وَحِيدَةٌ لَيْسَ لِي أَهْلٌ سِوَاهُ، فَرَاجَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمِثْلِ مَقَالَتِهِ فَرَاجَعَتْهُ، فَهَذَا هُوَ جِدَالُهَا، وَكَانَتْ فِي خِلاَلِ جِدَالِهَا تَقُولُ: اللَّهُمَّ إلَيْكَ أَشْكُو حَالِي وَٱنْفِرَادِي وَفَقْرِي إلَيْهِ»، وَرُوِيَ أَنَّها كَانَتْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ، إنَّ لي مِنْهُ صِبْيَةً صِغَاراً، إنْ ضَمَمْتُهُمْ إلَيْهِ ضَاعُوا، وَإِنْ ضَمَمْتُهُمْ إلَيَّ جَاعُوا، فَهَذَا هُوَ ٱشْتِكَاؤُهَا إلَى اللَّهِ، فَنَزَلَتِ الآيَةُ،

فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ في أَوْسٍ، وأَمَرَهُ بِالتَّكْفِيرِ، فَكَفَّرَ بِالإِطْعَامِ، وَأَمْسَكَ أَهْلَهُ»[١] قال ابن العربي في «أحكامه»[٢]: والأشبه في اسم هذه المرأة أَنَّها خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، امرأةُ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ، وعلى هذا اعتمد الفخر؛ قال الفخر[٣]: هذه الواقعة تَدُلُّ على أَنَّ مَنِ انقطع رجاؤه من الخلق، ولم يبق له في مُهِمِّهِ أحدٌ إلاَّ الخالق - كفاه اللَّهُ ذلك المهم، انتهى، والمحاورة: مراجعةُ القولِ ومعاطاته، وفي مصحف ابن مسعود[٤]: «تُحَاوِرُكَ في زَوْجِهَا» والظِّهَار: قولُ الرجلِ لامرأته: أنتِ عليَّ كَظَهْرِ أُمِّي، يريد في التحريم؛ كَأَنَّها إشارة إلى الركوبِ، إِذ عُرْفُهُ في ظهور الحيوان، وكان أهلُ الجاهلية يفعلون ذلك، فَرَدَّ اللَّه بهذه الآية على فعلهم، وأخبر بالحقيقة من أَنَّ الأُمَّ هي الوالدة، وأَمَّا الزوجةُ فلا يكونُ حكمُهَا حُكْمَ الأُمِّ، وجعل اللَّه سبحانه القول بالظهار مُنْكَراً وزوراً، فهو مُحَرَّمٌ، لَكِنَّهُ إِذَا وقع لزم؛ هكذا قال فيه أهل العلم، لكنَّ تحريمه تحريمُ المكروهات جدًّا، وقد رَجَّى اللَّه تعالى بعده بأَنَّهُ عَفُوٌّ غفور مع الكَفَّارَةِ.

وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ...﴾ الآية.

١٤٣ أ * ت *: اخْتُلِفَ في معنى العَوْدِ، والعود في «المُوَطَّإ»: العزم على/ الوطء والإِمساك مَعاً، وفي «المُدَوَّنَةِ»: العزمُ على الوطء خاصَّةً.

وقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾، قال الجمهور: وهذا عامٌّ في نوع المسيس الوطء والمباشرة، فلا يجوز لِمُظَاهِرٍ أَنْ يطأَ، ولا أَنْ يُقَبِّلَ أو يَلْمَسَ بيده، أو يفعَلَ شيئاً من هذا النوع إلاَّ بعد الكفارة؛ وهذا قول مالك رحمه اللَّه.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾: إشارة إلى التحذير، أي: فَعَلَ ذلك؛ عظةً لكم لتنتهوا عن الظهار.

وقوله سبحانه: ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾: قال الفخر[٥]: الاستطاعة فوق الوسع؛ والوسع فوق الطاقة، فالاستطاعة هي أَنْ يتمكَّنَ الإِنسان من الفعل على سبيل السهولة، انتهى،

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٦٥)، كتاب «الطلاق» باب: في الظهار، حديث (٢٢١٣).
(٢) ينظر: «أحكام القرآن» (٤/ ١٧٤٥).
(٣) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٩/ ٢١٨).
(٤) ينظر: «الشواذ» ص: (١٥٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧٣).
(٥) ينظر: «تفسير الرازي» (٢٩/ ٢٢٧).

وفروع الظهار مُسْتَوفَاة في كتب الفقه، فلا نطيل بذكرها.

وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ الآية: إشارة إلى الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام، ثم شَدَّدَ سبحانه بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أي: فالتزموها، ثم تَوَعَّدَ الكافرين بقوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الذين يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا...﴾ الآية: نزلت في قوم من المنافقين واليهود، كانوا يتربَّصُون برسول اللَّه ﷺ وبالمؤمنين الدوائرَ، ويتمنَّون فيهم المكروهَ، ويتناجون بذلك؛ وكُبِتَ الرجل: إذا بَقِيَ خَزيَانَ يُبْصِرُ ما يكره، ولا يَقْدِرُ على دفعه، وقال قوم منهم أبو عبيدة: أصله كبدوا، أي: أصابهم داء في أكبادهم، فأُبْدِلَتِ الدَّالُ تاءً، وهذا غير قويٍّ، و﴿الذين من قبلهم﴾: منافقو الأمم الماضية، ولفظ البخاريِّ: ﴿كُبِتُوا﴾: أُخزِنُوا.

١٤٣ ب وقوله تعالى: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ/ مُهِينٌ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾: العامل في ﴿يوم﴾ قوله: ﴿مهين﴾، ويحتمل أنْ يكون فعلاً مُضْمَراً تقديره: اذكر.

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ أي: بعلمه وإحاطته وقُدْرَتِهِ، وعبارة الثعلبيِّ ﴿إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾: يعلم ويسمع نجواهم، يدل على ذلك افتتاح الآية وخاتمتُها، انتهى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَاۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ...﴾ الآية، قال ابن

عباس[١]: نزلت في اليهود والمنافقين، ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ﴾: هو قولهم: السَّامُ عليكم، يريدون الموتَ، ثم كشف اللّه تعالى خُبْثَ طَوِيَّتِهِمْ والحُجَّةَ التي إليها يستروحون، وذلك أَنَّهُمْ كانوا يقولون: لو كان محمد نَبِيًّا لعذبنا بهذه الأقوال التي تسيئه، وجَهِلُوا أَنَّ أمرهم مُؤَخَّرٌ إلى عذاب جهنم.

وقوله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذا تَنَاجَيْتُمْ...﴾ الآية: وصِيَّةٌ منه سبحانه للمؤمنين أَلاَّ يتناجوا بمكروه، وذلك عامٌّ في جميع الناس إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿إِنَّما النَّجْوَى﴾ أي: بالإثم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ **وقرأ** نافع وأهل المدينة[٢]: «لِيُحْزِنَ» ـ بضم الياء وكسر الزاي ـ والفعل مُسْنَدٌ إلى الشيطان، **وقرأ** أبو عمرو وغيره: «لِيَحْزُنَ» ـ بفتح الياء وضم الزاي ـ، ثم أخبر تعالى أَنَّ الشيطان أو التناجي الذي هو منه، ليس بضارٍّ أحداً إلاَّ أَنْ يكونَ ضَرٌّ بإذن اللّه، أي: بأمره وقَدَرِهِ، ثم أمر بتوكُّلِ المؤمنين عليه تبارك وتعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا في الْمَجْلِسِ...» الآية، **وقرأ** عاصم[٣]: «في المَجَالِسِ» قال زيد بن أسلم وقتادة[٤]: هذه الآية نزلت بسبب تضايُقِ الناس

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤) برقم: (٣٣٧٦٠) عن مجاهد، و (١٢/ ١٥) عن ابن عباس برقم: (٣٣٧٦٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٦)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٢٧٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) وقرأ بقراءة أبي عمرو ـ الحسن، وعاصم.
ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٢٧٨).

(٣) يعني: جعله عاماً في المجالس، وأما قراءة الباقين على التوحيد، فمعناها: في مجلس رسول اللّه ﷺ خاصة.
ينظر: **«السبعة»** (٦٢٩)، و**«الحجة»** (٦/ ٢٨٠)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٣٥٥)، و**«حجة القراءات»** (٧٠٤)، و**«العنوان»** (١٨٧)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٤٦)، و**«شرح شعلة»** (٦٠٠)، **«إتحاف»** (٢/ ٥٢٧)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٦٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ١٨)، برقم: (٣٣٧٧٦) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٣١٩)، وابن عطية (٥/ ٢٧٨).

في مجلس النبي ﷺ؛ وذلك أَنَّهُمْ كانوا يتنافسون في القُرْبِ منه وسَمَاعِ/ كلامه والنظر ١٤٤ أ
إليه، فيأتي الرجلُ الذي له الحَقُّ والسِّنُّ والقَدَمُ في الإِسلام، فلا يجد مكاناً، فنزلت بسبب ذلك، وروى أبو هريرة أن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسَ فِيهِ الرَّجُلُ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ»[١]. قال جمهور العلماء: سببُ نزولِ الآية مجلس النبي ﷺ ثم الحكم مُطَّرِدٌ في سائر المجالس التي هي للطاعات؛ ومنه قوله ﷺ: «أَحَبُّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ فِي الصَّلاَةِ، وَرُكَباً فِي المَجَالِسِ»[٢]، وهذا قول مالك رحمه الله، وقال: ما أرى الحكم إلاَّ يَطَّرِدُ في مجالس العلم ونحوها غابِرَ الدهر؛ قال * ع[٣] *: فالسنة المندوبُ إليها هي التفسُّحُ، والقيامُ مَنْهِيٌّ عنه في حديث النبي ﷺ، حيثُ نَهَىٰ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ؛ فَيَجْلِسَ الآخَرُ مَكَانَهُ[٤].

* ت *: وقد روى أبو دَاوُدَ في «سننه» عن سَعِيدِ بْنِ أبي الحَسَنِ قال: «جَاءَنَا أَبُو بَكْرَةَ فِي شَهَادَةٍ، فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ فَأَبَى أَنْ يَجْلِسَ فِيهِ، وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عَنْ ذَلِكَ، وَنَهَى أَنْ يَمْسَحَ الرَّجُلُ يَدَهُ بِثَوْبِ مَنْ لَمْ يَكْسُهُ»[٥] وروى أبو داودَ عن ابن عمر قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ، فَذَهَبَ لِيَجْلِسَ فِيهِ، فَنَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»[٦] انتهى، قال * ع[٧] *: فَأَمَّا القيام إجلالاً فجائز بالحديث، وهو قوله ـ عليه السلام ـ حين أقبل سعد بن معاذ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ»[٨]. وواجب على المُعَظَّمِ أَلاَّ يُحِبَّ ذَلِكَ وَيَأْخُذَ النَّاسَ بِهِ؛ لقوله ـ عليه السلام ـ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ النَّاسُ قِيَاماً، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[٩].

* ت *: وفي الاحتجاج بقضية/ سعد نظر؛ لأَنَّها احْتَفَّتْ بها قرائن سَوَّغَتْ ذلك؛ ١٤٤ ب

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٣٦)، كتاب «الصلاة» باب: تسوية الصفوف، حديث (٦٧٢).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٧٩).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) تقدم.
(٦) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٧٤)، كتاب «الأدب» باب: في الرجل يقوم للرجل من مجلسه (٤٨٢٧).
(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٠).
(٨) أخرجه البخاري (٧/ ٤٧٥)، كتاب «المغازي» باب: مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٤١٢١)، ومسلم (٣/ ١٣٨٨)، كتاب «الجهاد والسير» باب: جواز قتال من نقض العهد (٦٤/ ١١٧٦٨)، وأحمد (٣/ ٢٢، ٧١)، والبيهقي (٩/ ٩٧)، كتاب «السير» باب: نزول أهل الحصن أو بعضهم على حكم الإمام أو غير الإمام، إذا كان المنزول على حكمه مأموناً.
(٩) تقدم.

انظر السير، وقد أطنب صاحب المدخل في الإنحاء والرَّدِّ على المجيزين للقيام، والسلامةُ عندي تركُ القيام.

وقوله تعالى: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ معناه: في رحمته وَجَنَّتِهِ.

* ص *: ﴿يفسح﴾ مجزوم في جواب الأمر، انتهى، ﴿وإِذَا قِيلَ انْشُزُوا﴾ معناه: ارتفعوا، وقوموا فافعلوا ذلك؛ ومن «**رياض الصالحين**» للنوويِّ: وعن عمرو بن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «لاَ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا»[(١)] رواه أبو داودَ، والترمذيُّ وقال: حديث حسن، وفي رواية لأبي داودَ: «لاَ يَجْلِسْ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا» وعن حُذَيْفَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ أَنَّ رسول اللَّه ﷺ: «لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الحَلْقَةِ»[(٢)]، رواه أبو داود بإسناد حسن، وروى الترمذيُّ عن أبي مِجْلَزٍ؛ أَنَّ رَجُلاً قَعَدَ وَسَطَ الْحَلْقَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: «مَلْعُونٌ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ لَعَنِ اللَّهُ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الْحَلْقَةِ»[(٣)] قال الترمذيُّ: حديث حسن صحيح، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ...﴾ الآية: قال جماعة: المعنى: يرفع اللَّه المؤمنين العلماءَ درجاتٍ؛ فلذلك أمر بالتفسُّح من أجلهم، وقال آخرون: المعنى: يرفع اللَّه المؤمنين والعلماءَ الصنفينِ جميعاً درجاتٍ، لَكِنَّا نعلمُ تفاضُلَهم في الدرجات من مواضعَ أُخَرَ؛ فلذلك جاء الأمر بالتفسح عامًّا للعلماء وغيرهم، وقال ابن مسعود وغيره[(٤)]: «يرفع اللَّه الذين آمنوا منكم» وهنا تَمَّ الكلامُ، ثم ابتدأ بتخصيص العلماء بالدرجات،
١٤٥ أ ونصبهم بإضمار فعلٍ، فللمؤمنين رفع على هذا/ التأويل، وللعلماء درجات، وعلى هذا التأويل قال مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ[(٥)]: فَضْلُ العلمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ العِبَادَةِ، وخيرُ دِينِكُمُ الوَرَعُ، وروى البخاريُّ وغيره عن أبي موسى عنِ النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ١٧٥)، كتاب «الأدب» باب: في الرجل يجلس بين الرجلين (٤٨٤٥)، والترمذي (٥/ ٨٩)، كتاب «الأدب» باب: ما جاء في كراهية الجلوس بين الرجلين بغير إذنهما (٢٧٥٢)، وأحمد (٢/ ٢١٣).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٧٤)، كتاب «الأدب» باب: الجلوس وسط الحلقة(٤٨٢٦)، والترمذي (٥/ ٩٠)، كتاب «الأدب» باب: ما جاء في كراهية القعود وسط الحلقة (٢٧٥٣).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
(٣) انظر الحديث السابق.
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٧٩).
(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ١٩)، وابن عطية (٥/ ٢٧٩).

بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَ مِنْهَا طَائِفَةٌ قَبِلَتِ الماء، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ؛ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا، وَسُقُوا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَىٰ إِنَّما هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً، وَلا تُنْبِتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْساً وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» انتهى[١].

وقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ روي عن ابن عباس وقتادة في سببها: أَنَّ قوماً من شباب المؤمنين وأغْفَالِهِمْ كَثُرَتْ مناجاتُهم للنبي ﷺ في غير حاجة، وكان ﷺ سَمْحاً، لا يَرُدُّ أحداً، فنزلت هذه الآية مُشَدِّدَةً عليهم[٢]، وقال مقاتل: نزلتْ في الأغنياء؛ لِأَنَّهُمْ غلبوا الفقراء على مناجاة النبي ﷺ ومجالسته[٣]، قال جماعة من الرواة: نُسِخَتْ هذه الآيةُ قبل العمل بها، لكنِ استقر حُكْمُهَا بالعزم عليه، وصَحَّ عن عليٍّ أَنَّهُ قال: ما عَمِلَ بها أَحَدٌ غيري، وأنا كنتُ سَبَبَ الرخصة والتخفيفِ عن المسلمين، قال: ثم فَهِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ هٰذِهِ الْعِبَادَةَ قد شَقَّتْ/ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لي: يَا عَلِيُّ، كَمْ تَرَىٰ أَنْ يَكُونَ حدُّ هٰذِهِ الصَّدَقَةِ؟ أَتَرَاهُ دِينَاراً؟ ١٤٥
قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَنِصْفُ دِينَارٍ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَكَمْ؟ قُلْتُ: حَبَّةٌ مِنْ شَعِيرٍ، قَالَ: إِنَّكَ لَزَهِيدٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الرُّخْصَةَ[٤]، يريد لِلْوَاجِدِينَ، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَجِدْ فَالرُّخْصَةُ لَهُ ثَابِتَةٌ؛ بقوله: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا» قال الفخر[٥]: قوله عليه السلام لعليٍّ: «إِنَّكَ لَزَهِيدٌ» معناه: إنك قليل المال، فقدَّرْتَ عَلَىٰ حَسَبِ حالك، انتهى.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢١١)، كتاب «العلم» باب: فضل من عَلِم وعلَّم (٧٩)، ومسلم (٤/ ١٧٨٧)، كتاب «الفضائل» باب: بيان مثل ما بعث النبي ﷺ من الهدى والعلم (١٥/ ٢٢٨٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٢٧)، كتاب «العلم» باب: مثل من فقه في دين اللَّه تعالى (٥٨٤٣/ ١).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣١٠)، وابن عطية (٥/ ٢٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٧٢)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٣١٠)، وابن عطية (٥/ ٢٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٧٢)، وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة المجادلة، حديث (٣٣٠٠)، وقال: حسن غريب.

(٥) ينظر: «الفخر الرازي» (٢٩/ ٢٣٧).

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم
مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ
أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا
فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

وقوله سبحانه: ﴿ءأَشْفَقْتُمْ...﴾ الآية: الإشفاق: هنا الفزع من العجز عن الشيء المتصدق به، أو من ذهاب المال في الصدقة.

وقوله: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ...﴾ الآية: المعنى: دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعِدُ شرعكم، ومَنْ قال: إن هذه الصدقة منسوخة بآية الزكاة؛ فقوله ضعيف.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوا﴾: نزلت في قوم من المنافقين، تولوا قوماً من اليهود، وهمُ المغضوب عليهم، قال الطبري[1]: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾: يريد به المنافقين ﴿وَلاَ مِنْهُمْ﴾ أي: ولا من اليهود، وهذا التأويل يجري مع قوله تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هٰؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هٰؤُلاَءِ﴾ [النساء: ١٤٣] كالشاة العائرة بين الغنمين، وتحتمل الآية تأويلاً آخرَ، وهو أنْ يكونَ قوله: ﴿ما هم﴾ يريد به اليهودَ ﴿ولا منهم﴾ يريد به المنافقين، ﴿ويحلفون﴾: يعني المنافقين، وقرأ الحسن: ﴿اتَّخَذُوا إِيمَانَهُمْ﴾ ـ بكسر الهمزة[2] ـ، والجُنَّةُ: ما يُتَسَتَّرُ به، ثم أخبر تعالى عن المنافقين في هذه الآية أنَّهُ ستكون لهم أيمان يومَ القيامة بين يدي اللَّه تعالى، يخيل إليهم بجهلهم أنَّها تنفعهم، وتُقْبَلُ منهم، وهذا هو حسابهم ﴿أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: على شيء نافع لهم.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ
ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟
عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٢٣).
(٢) ينظر: «المحتسب» (٢/ ٣١٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٣٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٩٠).

وقوله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ معناه: تَملَّكَهُمْ من كل جهة،/ وغلب على نفوسهم، وحُكِيَ أَنَّ عمر قرأ: «اسْتَحَاذَ»[1]، ثم قضى تعالى على مُحَادِّه بِالذُّلِّ، وباقي الآية بَيِّنٌ. ١٤٦أ

وقوله سبحانه: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾ الآية: نَفَتْ هذه الآيةُ أَنْ يُوجَدَ مَنْ يؤمن باللَّه حَقَّ الإِيمان، ويلتزم شُعَبَهُ على الكمال ـ يَوَادُّ كافراً أو منافقاً، و﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾: معناه: أثبته وخلقه بالإِيجاد.

وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾: إشارة إلى المؤمنين الذين يقتضيهم معنى الآية؛ لِأَنَّ المعنى: لكنك تجدهم لا يوادُّونَ مَنْ حادَّ اللَّه.

وقوله تعالى: ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ معناه: بهدى منه ونور وتوفيق إلٰهي ينقدح لهم من القرآن وكلامِ النبي ﷺ و«الحزب»: الفريقُ، وباقي الآية بَيِّنٌ.

---

(١) حكاه القراء في كتاب «اللغات»، كما في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٨١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٣٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٢٩٠).

[تفسير] سورة الحشر

وهي مدنية باتفاق

وهي سورة بني النَّضِيرِ؛ وذلك أَنَّهُمْ كانوا عَاهَدُوا النَّبِيَّ ﷺ وهم يرون أَنَّهُ لا تُرَدُّ له راية، فلمَّا كان شأنُ أُحُدٍ وما أكرم اللَّه به المسلمين، ارتابوا، وداخلوا قريشاً، وغدروا، فلما رَجَعَ النبيُّ ﷺ من أُحُدٍ حاصرهم حتى أجلاهم عن أرضهم، فارتحلوا إِلى بلادٍ مختلفة: خَيْبَرَ، والشَّام، وغير ذلك، ثم كان أَمْرُ بَنِي قُرَيْظَةَ مَرْجِعَهُ مِنَ الأَحْزَابِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ (٢) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٤)﴾

قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية: تقدم الكلامُ في تسبيح الجمادات و﴿الذين كفروا من أهل الكتاب﴾: هم بنو النضير.

و[قوله]: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: قال الحسن بن أبي الحسن وغيره[1]: يريد حَشْرَ القيامة، أي: هذا أَوَّلُهُ والقيامُ من القبور آخره، وقال عِكْرَمَةُ وغيره[2]: المعنى:/ لأول موضع ١٤٦ ب

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨)، برقم: (٣٣٨١٥) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٨٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٧٧)، وعزاه للبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» عن ابن عباس رضي اللّه عنهما.

الحشر، وهو الشام؛ وذلك أَنَّ أكثرهم جاء إلى الشام، وقد رُوِيَ أَنَّ حشرَ القيامة هو إلى بلاد الشام.

وقوله سبحانه: ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾: يريد لمنعتهم وكثرة عددهم.

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: كُلّما هدم المسلمون من تحصينهم في القتال هدموا هم من البيوت؛ ليجبروا الحصن.

* ت *: والحاصل أَنَّهم يخربون بيوتهم حِسًّا ومعنى؛ أَمَّا حِسًّا فواضح، وأَمَّا معنى فبسوء رأيهم وعاقبة ما أضمروا من خيانتهم وغدرهم، ﴿وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ﴾: من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ في الدُّنْيَا﴾: بالسبي والقتل، قال البخاريُّ: والجلاء: الإِخراج من أرض إلى أرض، انتهى.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾

وقوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِن لِينَةٍ...﴾ الآيةُ سببُهَا قولُ اليهود: ما هذا الإِفساد يا محمد وأنت تنهى عن الفساد؟! فَرَدَّ اللَّهُ عليهم بهذِهِ الآية، قال ابن عباس وجماعة من اللغويين[1]: اللِّينَةُ من النخيل: ما لم يكن عجوةً، وقيل غير هذا.

* ص *: أصل «لِينَة»: لونة، فقلبوا الواوَ ياءً لسكونها وانكسارِ ما قبلها، وجمعه لِينٌ؛ كَتَمْرَةٍ وَتَمْرٍ، قال الأخفش: واللينة كأنَّها لونٌ من النخل، أي: ضرب منه، انتهى.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ...﴾ الآية، إعلام بأَنَّ ما أخذ لبني النضير ومن فَدَك، هو خاصٌّ بالنبيِّ ﷺ، وليس على حكم الغنيمة التي يوجف عليها ويقاتل فيها؛ بل على حكم خُمُسِ الغنائم؛ وذلك أَنَّ بني النضير لم يُوجَفْ عليها ولا قُوتِلَتْ كبيرَ قتالٍ، فأخذ منها ﷺ قُوتَ عيالِهِ، وقَسَمَ سائرها في المهاجرين، وأدخل معهم أبا دُجَانَةَ وسَهْلَ بن حنيف/ من الأنصار؛ لأَنَّهما شكيا فقراً، والإِيجاف: سرعة السير، ١٤٧أ
والوجيف دون التقريب؛ يقال: وَجَفَ الفرسُ وأوجفه الراكبُ.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٢)، برقم: (٣٣٨٤٣)، وذكره البغوي (٤/ ٣١٦)، وابن عطية (٥/ ٢٨٥).

وقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى...﴾ الآية: أهل القرى في هذه الآية: هم أهل الصفراء والينبوع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب، وذلك أنَّها فُتِحَتْ في ذلك الوقت من غير إيجاف، وأعطى رسولُ اللَّه ﷺ جميعَ ذلك للمهاجرين، ولم يحبس منها لنفسه شيئاً، ولم يعط الأنصار شيئاً لغناهم، والقُرْبَى في الآية: قرابته ﷺ مُنِعُوا الصدقةَ فَعُوِّضوا من الفيء.

وقوله سبحانه: ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾: مخاطبة للأنصار؛ لأَنَّهُ لم يكن في المهاجرين في ذلك الوقت غَنِيٌّ، والمعنى: كي لا يتداول ذلك المالَ الأغنياءُ بتصرفاتهم، ويبقى المساكينُ بلا شيءٍ، وقد مضى القولُ في الغنائم في سورة الأنفال، ورُوِيَ أنَّ قوماً من الأنصار تَكَلَّمُوا في هذه القرى المُفْتَتَحَةِ، وقالوا: لنا منها سَهْمُنَا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾ الآية: فَرَضُوا بذلك، ثم اطَّرَدَ بعدُ معنى الآية في أوامر النبي ﷺ ونواهيه، حَتَّى قال قوم: إنَّ الخمر مُحَرَّمَةٌ في كتاب اللَّه بهذه الآية، وانتزع منها ابن مسعود لعنة الواشمة، الحديث[1].

* ت *: وبهذا المعنى يحصل التعميم للأشياء في قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ المُهَاجِرِينَ﴾: بيان لقوله: ﴿وَالْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾ وكرر لام الجر، لما كانت الجملة الأولى مجرورةً باللام؛ ليبيِّنَ أَنَّ البدل إِنَّما هو منها، ثم /وصفهم تعالى بالصفة التي تقتضي فقرهم، وتُوجِبُ الشفقة عليهم، وهي إخراجهم من ١٤٧ ب
ديارهم وأموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً﴾: يريد به الآخرة والجنة: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ أي: في الأقوال والأفعال والنِّيَّاتِ ﴿والَّذِينَ تَبَوَّؤا الدَّارَ﴾: هم الأنصار ـ رضي اللَّه عن جميعهم ـ، والضمير في ﴿من قبلهم﴾ للمهاجرين، والدار هي المدينة، والمعنى: تبوؤوا الدار مع الإيمان، وبهذا الاقتران يتضح معنى قوله تعالى: ﴿من قبلهم﴾ فتأمله، قال * ص *: ﴿والإِيمان﴾ منصوب بفعل مُقَدَّرٍ، أي: واعتقدوا الإِيمان، فهو من عطف

---

(١) تقدم تخريجه.

الجمل؛ كقوله: [من الرجز]

عَـلَـفْـتُـهَـا تِـبْـنـاً وَمَـاءً بَـارِداً ....

انتهى، وقيل غير هذا، وأثنى اللّه تعالى في هذه الآية على الأنصار بِأَنَّهُمْ يحبون المهاجرين، وبأنّهم يؤثرون على أنفسهم، وبأنّهم قد وُقوا شُحَّ أنفسهم.

* ت *: وروى الترمذيُّ عن أنس قال: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْماً أَبْذَلَ لِكَثِيرٍ وَلاَ أَحْسَنَ مُوَاساةً في قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؛ لَقَدْ كَفَوْنَا المَؤُونَةَ، وَأَشْرَكُونَا في الْمِهْنَةِ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لاَ، مَا دَعَوتُمُ اللّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»[(١)] قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، انتهى، والحاجة: الحسد في هذا الموضع؛ قاله الحسن[(٢)]، ثم يَعُمُّ بعدُ وُجوهاً، وقال الثعلبيُّ: ﴿حاجة﴾ أي: حَزَازَةً، وقيل: حسداً ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ أي: مما أعطي المهاجرون من أموال بَنِي النضير والقرى، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾: صفة للأنصار، وجاء الحديث الصحيح من غير ما طريق، أَنَّها نزلت/ بسبب رجل من الأنصار وصنيعه مع ضيفِ رسول اللّه ﷺ؛ إِذْ ١٤٨/أ
نَوَّمَ صبيانه، وَقَدَّمَ للضيف طعامَه، وأطفأتْ أهلُه السراجَ، وأوهما الضيفَ أَنَّهُمَا يأكلان معه، وباتا طاويين؛ فلمَّا غدا الأنصاريُّ على رسول اللّه ﷺ قال له: «لَقَدْ عَجِبَ اللّهُ مِنْ فِعْلِكُمَا الْبَارِحَةَ»[(٣)] ونزلت الآية في ذلك، قال صاحب «سلاح المؤمن»: الرجل الأنصاريُّ

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٧١)، كتاب «الأدب» باب: في شكر المعروف (٤٨١٢)، والترمذي (٤/ ٦٥٣)، كتاب «صفة القيامة» باب: (٤٤) (٢٤٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٣)، والبيهقي (٦/ ١٨٣)، كتاب «الهبات» باب: شكر المعروف.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١)، برقم: (٣٣٨٧٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٨٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٨٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠٠)، كتاب «التفسير» باب: «والذين تبوؤوا الدار والإيمان» (٤٨٨٩)، والحاكم (٤/ ١٣٠)، والبيهقي (٤/ ١٨٥)، كتاب «الزكاة» باب: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وابن الشجري في «أماليه» (١/ ٢٨٣).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. قلت: وهو وهم من الحاكم فقد أخرجه البخاري كما بينا.

الذي أضاف هو، أبو طلحة انتهى، قال الترمذيُّ الحكيم في كتاب «ختم الأولياء» له: حدثنا أبي قال: حدثنا عبد اللَّه بن عاصم: حدثنا الجمانيُّ: حدثنا صالح المُرِّيُّ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّ بُدَلاَءَ أُمَّتِي لَمْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلاَ صَلاَةٍ؛ إنَّما دَخَلُوهَا بِسَلاَمَةِ الصُّدُورِ، وَسَخَاوَةِ الأَنْفُسِ، وَحُسْنِ الخُلُقِ، والرَّحْمَةِ بِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ»[1] انتهى، والإيثار على النفس أكرم خلق، قال أبو يزيد البسطاميُّ: قدم علينا شاب من بَلْخ حاجًّا فقال لي: ما حَدُّ الزهد عندكم؟ فقلت: إذَا وَجَدْنَا أَكَلْنَا، وَإذَا فَقَدْنَا صَبَرْنَا، فقال: هكذا عندنا كلابُ بلخ! فقلت له: فما هو عندكم؟! فقال: إذا فقدنا صَبَرْنَا، وَإِذَا وجدنا آثرنا، ورُوِيَ أنَّ سبب هذه الآيةِ أنَّ النبي ﷺ، لَمَّا فَتَحَ هٰذِهِ الْقُرَى قَالَ لِلأَنْصَارِ: «إنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ؛ وَشَارَكْتُمُوهُمْ في هٰذِهِ الْغَنِيمَةِ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَمْسَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ وَتَرَكْتُمْ لَهُمْ هٰذِهِ الغَنِيمَةَ، فَقَالُوا: بَلْ نَقْسِمُ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا، وَنَتْرُكُ لَهُمْ هٰذِهِ الغَنِيمَةَ، فنزلت الآية، والخصاصة: الفاقةُ والحاجةُ، وشُحُّ
١٤٨ ب النفس: هو/ كثرة طَمَعِهَا. وضبطها على المال، والرغبةُ فيه، وامتدادُ الأمل؛ هذا جماع شُحِّ النفس. وهو داعية كُلِّ خلق سوء، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَقَرَى الضَّيْفَ، وَأَعْطَى في النَّائِبَةِ ـ فَقَدْ بَرِىءَ من الشُّحِّ»، وإلى هذا الذي قلناه ذهب الجمهور والعارفون بالكلام، وقيل في الشح غير هذا، قال * ع[2] *: وشُحُّ النفس فَقْرٌ لا يذهبه غِنَى المالِ، بل يزيده، وينصب به؛ و﴿يُوقَ﴾ مِنْ وَقَى يَقِي، وقال الفخر: اعلم أَنَّ الفرق بين الشُّحِّ والبخل هو أَنَّ البخل نفس المنع، والشُّحُّ هو الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المَنْعَ، ولَمَّا كان الشُّحُّ من صفات النفس لا جَرَمَ، قال اللَّه تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولٰئك هم المفلحون﴾ أي: الظافرون بما أرادوا، قال ابن زيد: من لم يأخذ شيئاً نهاه اللَّه عن أخذه، ولم يمنع شيئاً أمره اللَّه تعالى بإعطائه ـ فقد وُقِيَ شُحَّ نفسه[3]، انتهى.

﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٣٩)، (١٠٨٩٢)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (١٢/ ١٨٨)، وزاد نسبته إلى الحكيم، وابن أبي الدنيا في كتاب «السخاء»، وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٢٥٩) (٢٢٠٢)، شاهداً.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٨٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢)، برقم: (٣٣٨٨٦)، وذكره البغوي (٤/ ٣٢٠)، وابن عطية (٥/ ٢٨٨).

قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾ الآية: قال جمهور العلماء: أراد مَنْ يجيء من التابعين وغيرهم إلى يوم القيامة، وقال الفرَّاءُ: أراد الفرقة الثالثة من الصحابة، وهي مَنْ آمن في آخر مُدَّةِ النبي ﷺ.

وقوله: ﴿يَقُولُونَ﴾: حال فيها الفائدة، والمعنى: والذين جاؤوا قائلين كذا، وروت أُمُّ الدرداء، وأبو الدرداء عن النبي ﷺ أَنَّهُ كان يقول: «دَعْوَةُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ مِثْلُهُ»[(١)] رواه مسلم، انتهى، قال * ع[(٢)] *: ولهذه الآية قال مالك وغيره: إنَّه مَنْ كان له في أحدٍ من/ الصحابة رأيُ سوءٍ أو بغض، فلا حَظَّ له في فَيْءِ المسلمين، وقال ١٤٩ أ
عبد اللَّه بن يزيد: قال الحسن: أدركت ثلاثمائةٍ مِنْ أصحاب النبي ﷺ منهم سبعون بَدْرِيًّا كُلُّهم يحدثني أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلاَمِ مِنْ عُنُقِهِ»[(٣)] فالجماعة أَلاَّ تَسُبّوا الصحابة، ولا تماروا في دينِ اللَّه، ولا تُكَفِّرُوا أحداً من أَهْلِ التوحيد بذنب، قال عبد اللَّه: فَلَقِيتُ أبا أمامة وأبا الدرداء وواثلةَ وأَنَساً، فكلُّهم يحدثني عن النبي ﷺ بمثل حديث الحسن، والغِلُّ: الحقد والاعتقاد الرديء.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ...﴾ الآية: نزلت في عبد اللَّه بن أُبَيٍّ ابن سلول، ورفاعةَ بن التابوت وقوم من منافقي الأنصار؛ كانوا بعثوا إلى بني النضير، وقالوا لهم: اثبتوا في معاقلكم، فإنَّا مَعَكُمْ كيفما تقلبت حالُكم، وكانوا في ذلك كاذبين، وإنَّما أرادوا بذلك أَنْ تقوى نُفُوسُهُمْ؛ عسى أَنْ يثبتوا حَتَّى لا يقدر النبي ﷺ عليهم، فيتمَّ مرادهم، وجاءت الأفعال غيرَ مجزومة في قوله: ﴿لا يخرجون﴾ ﴿ولا ينصرونهم﴾؛ لأَنَّها راجعةٌ إلى حكم القسم، لا إلى حكم الشرط، والضمير في

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٩٥) كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب (٨٦، ٨٧/ ٢٧٣٢)، (٨٨/ ٢٧٣٣)، (٢٧٣٢/ مكرر)، وابن ماجه (٢/ ٩٦٦، ٩٧٧) كتاب: المناسك، باب فضل دعاء الحاج (٢٨٩٥).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٨٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٥٥)، كتاب «السنة» باب: الخوارج (٤٧٥٨).

﴿صدورهم﴾ يعود على اليهود والمنافقين، والضمير في قوله: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ لبني النضير وجميع اليهود، هذا قول جماعة المفسرين، ومعنى الآية: لا يبرزون لحربكم، ١٤٩ ب وإنما/ يقاتلون متحصنين بالقُرَى والجدران؛ للرعب والرهب الكائن في قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿بَأْسُهُمْ بينهم شديد﴾ أي: في غائلتهم وإِحَنِهِمْ ﴿تحسبهم جميعاً﴾ أي: مجتمعين ﴿وقلوبهم شتى﴾ أي: متفرقة؛ قال * ع[(١)] *: وهذه حال الجماعة المتخاذلة، وهي المغلوبةُ أبداً في كُلِّ ما تحاول، واللفظة مأخوذة من الشتات، وهو التفرق ونحوه.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الذِينَ من قبلِهِم﴾ قال ابن عباس[(٢)]: هُمْ بنو قينقاع، لأَنَّ النبي ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير، والوَبَالُ: الشِّدَّةُ والمكروه، وعاقبة السوء والعذاب الأليم: هو في الآخرة.

وقوله سبحانه: ﴿كمثل الشيطان﴾ معناه: أَنَّ هاتينِ الفرقتين من المنافقين وبني النضير، كمثل الشيطان مع الإنسان؛ فالمنافقونَ مَثَلُهُمُ الشيطان، وبنو النضير مثلهم الإنسان، وذهب مجاهد وجمهور من المتأولين[(٣)] إلى أَنَّ الشيطانَ والإِنسانَ في هذه الآية اسما جنس، فكما أَنَّ الشيطان يغوي الإنسان، ثم يَفِرُّ عنه بعد أَنْ يُوَرِّطَهُ؛ كذلك أغوى المنافقون بني النضير وحَرَّضُوهم على الثبوت، ووعدوهم النصرَ، فَلَمَّا نَشِبَ بنو النضير، وكشفوا عن وجوههم - تركهم المنافقون في أسوأ حال، وذهب قوم من رواة القصص إلى أَنَّ هذا في شيطانٍ مخصوصٍ مع عابد مخصوص، اسمه «بَرْصِيصَا»، اسْتُودِعَ امرأة جميلةً، وقيل: سِيقَتْ إليه لِيَشْفِيهَا بدعائه من الجنون، فَسَوَّلَ له الشيطانُ الوقوعَ عليها، فحملت منه، فَخَشِيَ الفضيحة، فسَوَّلَ له قَتْلَهَا وَدَفْنَهَا، ففعل، ثم شَهَّرَهُ، فَلَمَّا اسْتُخْرِجَتِ المرأة،

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦)، برقم: (٣٣٩٠٠)، وذكره البغوي (٤/ ٣٢٢)، وابن عطية (٥/ ٢٩٠)، وابن كثير (٤/ ٣٤٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٨)، برقم: (٣٣٩٠٦)، وابن عطية (٥/ ٢٩٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٩٧)، وعزاه لعبد بن حميد.

وحُمِلَ العابدُ شَرَّ حَمْلٍ،/ وَصُلِبَ ـ جَاءَهُ الشيطانُ فَقَالَ له: اسجد لي سجدةً وأنا ١٥٠ أ
أُخَلِّصُكَ، فسجد له، فقال له الشيطان: هذا الذي أردتُ منك أَنْ كفرتَ بربك، إِنِّي بريء منك، فضرب اللّه تعالى هذا المَثَلَ ليهودِ بني النضير والمنافقين، وهذا يحتاج إِلى صِحَّةِ سَنَدٍ، والتأويل الأول هو وجه الكلام.

* ت *: قال السهيلي: وقد ذكر هذه القصةَ هكذا القاضي إسماعيلُ وغيره من طريق سفيان عن عمرو بن دينار، عن عُرْوَةَ بنِ عَامِرِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الزُّرَقِيِّ، عنِ النبي ﷺ: «أَنَّ رَاهِباً كَانَ في بَنِي إِسرائيل»[1] فذكر القصة بكمالها، ويقال: إِنَّ اسمَ هذا الراهب «بَرْصِيصَا»، ولم يذكر اسمه القاضي إسماعيل، انتهى، قال * ع[2] *: وقول الشيطان: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ رياءً من قوله، وليست على ذلك عقيدته، ولا يعرف اللّه حَقَّ معرفته، ولا يحجزه خوفُه عن سُوءٍ يوقع فيه ابنَ آدم من أول إِلى آخر ﴿فكان عاقبتهما﴾ يعني: الشيطان والإِنسان على ما تقدم من حملهما على الجنس أو الخصوص.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا اللّه ولتنظر نفس ما قدمت لغد. . .﴾ الآية: هذه آية وعظ وتذكير، وتقريبٍ للآخرة، وتحذيرٍ مِمَّنْ لا تخفى عليه خافيةٌ، وقوله تعالى: ﴿لغد﴾: يريد يوم القيامة، والذين نسوا اللّه: هم الكفار، والمعنى: تركوا اللّه وغفلوا عنه، حَتَّى كانوا كالناسين، فعاقبهم بأَنْ [جعلهم][3] ينسون أنفسهم، وهذا هو الجزاء على الذنب بالذنب، قال سفيان[4]: المعنى: حَظَّ أنفسهم، ويُعْطِي لفظُ الآية أَنَّ مَنْ عرف نفسه ولم يَنْسَهَا عَرَفَ رَبَّهُ تعالى، وقد قال عليُّ بن أبي طالب[5]، ـ رضي اللّه عنه ـ: اعْرِفْ نفسك تَعْرِفْ ربك، وروي عنه أيضاً أنَّه قال: مَنْ لم يعرفْ نفسه، لم يعْرِف ربه.

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢٩٦)، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان»، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٩٠).
(٣) سقط في: د.
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٠)، برقم: (٣٣٩١١)، وابن عطية (٥/ ٢٩١).
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٢٩١).

نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

١٥٠ ب وقوله/ سبحانه: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل...﴾ الآية: موعظةٌ للإنسان، وَذَمٌّ لأخلاقه وإعراضه وغفلته عن تَدَبُّرِ كلام خالقه، وإذا كان الجبلُ، على عِظَمِهِ وقُوَّتِهِ، لو أُنْزِلَ عليه القرآن وفَهِمَ منه ما فَهِمَهُ الإنسان، لخشع واستكان، وتصدَّع، خشيةً للَّه تعالى ـ: فالإنسانُ على حقارته وضَعْفِهِ أولى بذلك، وضرب اللَّه سبحانه هذا المثل؛ ليتفكر فيه العاقلُ، ويخشعَ ويلينَ قلبُهُ.

وقوله سبحانه: ﴿هو اللَّه الذي لا إله إلاَّ هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمٰن الرحيم﴾ الآية: لما قال تعالى: ﴿من خشية اللَّه﴾، جاء بالأوصاف العَلِيَّةِ التي تُوجِبُ لمخلوقاته هذه الخشية، وقرأ الجمهور[1]: «القُدُّوسُ» ـ بضم القاف ـ؛ من تَقَدَّسَ إذا تطهَّر وتنزَّه.

وقوله: ﴿السلام﴾ أي: ذو السلام؛ لأَنَّ الإيمان به وتوحيدَه وأفعاله هي لمن آمَنَ سلام كُلُّها، و﴿المؤمن﴾: اسم فاعل من آمن بمعنى أمن من الأمن، وقيل: معناه: المُصَدِّقُ عبادَهُ المؤمنين، و﴿المهيمن﴾: معناه: الحفيظ والأمين؛ قاله ابن عباس[2]، و﴿الجبار﴾: هو الذي لا يدانيه شيءٌ، ولا تُلْحَقُ رتبته، قال الفخر[3]: وفي اسمه تعالى: ﴿الجبار﴾ وجوه:

أحدها: أَنَّه فَعَّالٌ؛ من جَبَرَ إذا أغنى الفقيرَ وجبر الكسير.

والثاني: أَنْ يكون الجبار من جَبَرَهُ إذا أكرهه؛ قال الأزهريُّ: وهي لغة تميم، وكثيرٌ من الحجازيين يقولونها بغير ألف في الإكراه، وكان الشافعيُّ رحمه اللَّه يقول: جَبَرَهُ السلطانُ على كذا بغير ألف، وجعل الفرَّاءُ ﴿الجبار﴾ بهذا المعنى من أجبر بالألف، وهي

---

(١) وقرأ بها أبو السمال بفتح القاف، ورويت عن الكسائي. قال أبو الفتح: فَعُول في الصفة قليل، وذكر سيبويه في الصفة السَّبُوح، والقَدُّوس.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ٣١٧)، و«مختصر الشواذ» ص: (١٥٥)، وذكر ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٢) أنها رويت عن أبي ذر. وزاد أبو حيان (٨/ ٢٤٩) نسبتها إلى: أبي دينار الأعرابي.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣)، برقم: (٣٣٩٢٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٢).

(٣) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» (٢٩/ ٢٥٥).

اللغة المعروفة في الإِكراه، انتهى، و﴿المتكبر﴾: معناه: الذي له التكبُّرُ حقًّا و﴿البَارِىءُ﴾ بمعنى: الخالق، و﴿المُصَوِّرُ﴾: هو الذي يوجد الصورَ، وباقي الآية بَيِّنٌ، وروى مَعْقِلُ بن يسار عنِ النبي ﷺ/ أنَّه قال: مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ ١٥١أ
مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلاَثَ آياتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ ـ: وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ في ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيداً، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتَلْكَ الْمَنْزِلَةِ»[1] رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، انتهى.

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٢)، كتاب «فضائل القرآن» باب: (٢٢) (٢٩٢٢).
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

تفسير سورة المُمتَحِنَة

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ بإجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء...﴾ الآية: المراد بالعدو ههنا: كُفَّارُ قريش، وسبب نزول هذه الآية حَاطِبُ بْنُ أبي بَلْتَعَةَ؛ وذلك أَنَّ النبيَّ ﷺ أرادَ الخروجَ إلى مَكَّةَ عامَ الحديبية.

* ت *: بل عام فتح مَكَّةَ، فكتب حاطبٌ إلى قوم من كُفَّارِ مَكَّةَ يخبرهم بقصد رسول اللَّه ﷺ ولم يكن ذلك منه ارتداداً، فنزل الوحي مخبراً بما صنع حاطبٌ، فبعث النبي ﷺ عَلِيًّا والزبيرَ وثالثاً ـ قيل هو المقداد ـ وقال: انطلقوا حَتَّى تأتوا روضة خاخ، فإنَّ بها ظعينةً معها كتابٌ من حاطبٍ إلى المشركين، فخذوه منها، وخَلُّوا سبيلها، فانطلقوا حَتَّى وجدوا المرأة، فقالوا لها: أَخْرِجِي الكتابَ، فقالت: ما معي كتاب! ففتشوا رحلها فما وجدوا شيئاً فقال عليٌّ: ما كَذَبَ رسولُ اللَّه ﷺ، ولا كُذِّب، واللَّهِ، لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِينَّ الثِّيَابَ، فقالَتْ: أَعْرِضُوا عَنِّي، فَحَلَّتْهُ مِنْ قُرُونِ رَأْسِهَا، فجاؤوا بِهِ النبيَّ ﷺ فَقَالَ لِحَاطِبٍ: مَنْ كَتَبَ هَذَا؟ فَقَالَ: أنا يا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ:
١٥١ ب يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيّ فَوَاللَّهِ، مَا كَفَرْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَمَا/ فَعَلْتُ ذَلِكَ ٱرْتِدَاداً عَن دِينِي وَلاَ رَغْبَةً عَنْهُ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ إلاَّ وَلَهُ[1] بِمَكَّةَ مَنْ يَمْنَعُ عَشِيرَتَهُ، وَكُنْتُ ٱمْرَأً مُلْصَقاً فِيهِمْ، وَأَهْلِي بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَخَشِيتُ عَلَيْهِمْ فَأَرَدْتُ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ

(١) في د: الأول.

يداً، فَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ وقال: لاَ تَقُولُوا لِحَاطِبٍ إلاَّ خَيْراً»[1] وروي أَنَّ حاطباً كَتَبَ: إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَكُمْ في مِثْلِ اللَّيْلِ وَالسَّيْلِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ، لَوْ غَزَاكُمْ وَحْدَهُ، لَنُصِرَ عَلَيْكُمْ، فَكَيْفَ وَهُوَ في جَمْعٍ كَثِيرٍ؟! * ص *: و﴿تُلْقُونَ﴾ مفعوله محذوف، أي: تلقون إليهم أخبارَ الرسول وأسراره، و﴿بالمودة﴾: الباء للسبب، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أَنْ تؤمنوا﴾: مفعول من أجله، أي: أخرجوكم من أجل أنْ آمنتم بربكم.

وقوله تعالى: ﴿إنْ كنتم﴾: شرط، جوابُهُ متقدم في معنى ما قبله، وجاز ذلك لما لم يظهر عمل الشرط، والتقدير: إنْ كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياءَ، و﴿جهاداً﴾ منصوب على المصدر، وكذلك ﴿ابتغاء﴾ ويجوزُ أنْ يكونَ ذلك مفعولاً من أجله، والمرضاة: مصدر كالرضى و﴿تسرون﴾ حال من ﴿تلقون﴾، ويجوز أنْ يكون في موضع خبر ابتداء، كأَنَّهُ قال: أنتم تُسِرُّونَ، ويَصِحُّ أنْ يكون فعلاً ابتدىء به القول.

وقوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ﴾ يحتمل أنْ يكون أفعل، ويحتمل أنْ يكون فعلاً؛ لِأَنَّكَ تقول: علمت بكذا فتدخل الباء.

* ص *: والظاهر أَنَّه أفعل تفضيل؛ ولذلك عُدِّيَ بالباء، انتهى، و﴿سواء﴾ يجوز أنْ يكون مفعولاً بـ﴿ضلَّ﴾ على تعدي «ضل»، ويجوز أنْ يكون ظرفاً/ على غير التعدي؛ ١٥٢ أ
لِأَنَّهُ يجيء بالوجهين، والأوّلُ أحسن في المعنى، والسواء: الوسط، و﴿السبيل﴾: هنا شرع اللَّه وطريقُ دينه.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً...﴾ الآية: أخبر تعالى أَنَّ مُدَارَاةَ هؤلاء الكفرة غيرُ نافعة في الدنيا، وأَنَّها ضارَّةٌ في الآخرة؛ ليبين فسادَ رأي مُصَانِعِهِمْ،

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٦٦)، كتاب «الجهاد والسير» باب: الجاسوس (٣٠٠٧)، وأطرافه (٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم (٤/ ١٩٤١ ـ ١٩٤٢)، كتاب «فضائل الصحابة» باب: من فضائل أهل بدر رضي اللَّه عنهم، وقصة حاطب من أبي بلتعة (١٦١، ١٦١/ ٢٤٩٤)، وأبو داود (٢/ ٥٤)، كتاب «الجهاد» باب: في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً (٢٦٥٠)، والترمذي (٥/ ٦٩٧)، كتاب «المناقب» باب: (٥٩) (٣٨٦٤).

فقال: ﴿إن يثقفوكم﴾ أي: إنْ يتمكنوا منكم وتحصلوا في ثقافهم ظهرت عداوتهم، وانبسطت إليكم أيديهم بِضَرَرِكُمْ وَقَتْلِكُمْ، وانبسطت ألسنتُهم بسبِّكم، وأَشَدُّ من هذا كله إنَّما يقنعهم أَنْ تكفروا، وهذا هو ودهم،، ثم أخبر تعالى أنَّ هذه الأرحامَ التي رغبتم في وصلها، ليستْ بنافعة يومَ القيامة، فالعامل في ﴿يوم﴾ قوله ﴿تنفعكم﴾، وقيل: العامل فيه ﴿يفصل﴾ وهو مِمَّا بعده لا مِمَّا قبله، وعبارةُ الثعلبيِّ ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ أي: قرابتكم منهم ﴿ولا أولادكم﴾: الذين عندهم بمكة ﴿يومَ القيامة﴾: إذا عصيتم اللّه من أجلهم ﴿يفصل بينكم﴾: فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النارَ، انتهى.

* ت *: وهذه الآية تنظر إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى...﴾ [سبأ: ٣٧] الآية: واعلم أنَّ المال والسبب النافع يوم القيامة، ما كان لِلَّهِ وقُصِدَ به العونُ على طاعة اللّه، وإلاَّ فهو على صاحبه وَبَالٌ وطولُ حساب، قال ابن المبارك في «رقائقه»: أخبرنا شعبة، عن عمرو بن مرة قال: سمعت عبد اللّه بن الحارث
١٥٢ ب يُحَدِّثُ عن أبي كثير، عن عبد اللّه بن عمرو بن/ العاصي أَنَّه سمعه يقول: ويجمعون - يعني ليوم القيامة - فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينُها؟ فيبرزون، فَيُقَالُ: ما عندكم؟ فيقولون: يا رَبَّنا، ابْتُلِينا فَصَبَرْنَا، وأنت أعلم، أحسبه، قال: ووليت الأموال والسلطانَ غَيْرَنا، فيقال: صدقتم، فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان، وتبقى شِدَّةُ الحساب على ذَوِي السلطان والأموال، قال: قلت: فأين المؤمنون يومئذ؟ قال: توضع لهم كراسيُّ من نور، ويُظَلَّلُ عليهم الغمامُ، ويكون ذلك اليومُ أقصرَ عليهم من ساعة من نهار، انتهى، وفي قوله تعالى: ﴿واللّه بما تعملون بصير﴾: وعيدٌ وتحذير.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوة﴾ أي: قدوة ﴿في إبراهيم﴾: الخليل ﴿والذين معه﴾: قيل: مَنْ آمن به مِنَ الناس، وقال الطبريُّ وغيره[١]: ﴿الذين معه﴾: هم الأنبياء المعاصرون له أو قريباً من عصره، قال * ع[٢] *: وهذا أرجح؛ لِأَنَّهُ لم يُرْوَ أَنَّ لإبراهيم

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١٢/٥٩).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٩٥).

أتباعاً مؤمنين في وقتِ مكافحته نمروداً، وفي البخاريِّ: أنه قال لسارةَ حين رحل بها إلى الشام مهاجراً من بلد النمرود: ما على الأرض مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ غيري وغيرُك، وهذه الأُسْوَةُ مُقَيَّدَةٌ في التبري من المشركين وإِشراكهم، وهو مُطَّرِدٌ في كل مِلَّةٍ، وفي نبينا مُحَمَّدٍ ـ عليه السلام ـ أسوةٌ حسنةٌ على الإِطلاق في العقائد وفي أحكام الشرع كُلِّها.

وقوله: ﴿كفرنا بكم﴾ أي: كذبناكم في عبادتكم الأصنامَ.

وقوله: ﴿إلاَّ قولَ إبراهيم لأبيه﴾ يعني: تأسوا بإبراهيم، إلاَّ في استغفاره لأبيه، فلا تتأسوا به فتستغفروا للمشركين، لأَنَّ استغفاره إِنَّما كانَ عَنْ موعدةٍ وعدها/ إِيَّاهُ؛ وهذا ١٥٣ أ
تأويل قتادة، ومجاهد، وعطاءٍ الخُرَاسَانِيِّ وغيرهم[(١)].

وقوله: ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هو حكاية عن قول إبراهيم والذين معه، وهذه الألفاظ بَيِّنَةٌ مِمَّا تقدم في آي القرآن.

وقوله: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة﴾ قيل: المعنى: لا تغلبهم علينا، فنكونَ لهم فتنةً وسَبَبَ ضلالةٍ؛ نحا هذا المنحى قتادةُ وأبو مِجْلَزٍ[(٢)]، وقد تقدم مُسْتَوفًى في سورة يونس، وقال ابن عباس[(٣)]: المعنى: لا تسلِّطْهم علينا فيفتنونا عَنْ أدياننا، فكأَنَّه قال: لا تجعلنا مفتونين، فَعَبَّرَ عن ذلك بالمصدر، وهذا أرجح الأقوال؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّما دعوا لِأَنْفُسِهِم، وعلى منحى قتادة: إنما دعوا للكفار، أَمَّا أَنَّ مقصدَهم إنما هو أَنْ يندفع عنهم ظهورُ الكُفَّارِ الذي بسببه فِتَنُ الكُفَّارِ، فجاء في المعنى تحليقٌ بليغ.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

وقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم [فيهم]﴾[(٤)] أي: في إبراهيم والذين معه، وباقي الآية

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠) عن مجاهد برقم: (٣٣٩٤١) وعن قتادة برقم: (٣٣٩٤٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦١)، برقم: (٣٣٩٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦١)، برقم: (٣٣٩٤٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٢٩٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٠٤)، وعزاه لابن المنذر، والحاكم وصححه.

(٤) سقط في: د.

بَيِّنٌ، وروي أَنَّ هذهِ الآياتِ لما نزلت، وَعَزَمَ المؤمنون على امتثالها، وَصَرْمِ حِبَالِ الكَفَرَةِ ـ لحقهم تَأَسُّفٌ وهمٌّ من أجل قراباتهم؛ إذ لم يؤمنوا، ولم يهتدوا، حَتَّى يكونَ بينهم التوادُدُ والتواصُلُ، فنزلت: ﴿عسى اللَّه...﴾ الآية: مؤنسةً في ذلك، ومُرْجِيةً أَنْ يقعَ، فوقع ذلك بإسلامهم في الفتح، وصار الجميعُ إخواناً، وعسى من اللَّه واجبةُ الوقوع.

* ت *: قد تقدم تحقيقُ القولِ في ﴿عسى﴾ في سورة القصص، فأغنى عن إعادته.

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)﴾

وقوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ...﴾ الآية: اختلف في هؤلاء الذين لم يَنْهَ عنهم أنْ يُبَرُّوا، فقيل: أراد المؤمنين التاركين للهجرة، وقيل: خُزَاعَةَ وقبائلَ من العرب، كانوا مظاهرين للنبي ﷺ/ ومُحِبِّينَ لظهوره، وقيل: أراد النساءَ والصبيان من ١٥٣٠ ب
الكَفَرَةِ، وقيل: أراد مِنْ كُفَّارِ قريش مَنْ لم يقاتلْ ولا أخرج، ولم يُظْهِرْ سُوءاً؛ وعلى أَنَّها في الكفار فالآية منسوخةٌ بالقتال، والذين قاتلوا في الدين وأخرجوهم هم مَرَدَةُ قريش.

وقوله تعالى: ﴿يٰأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ الآيةُ نزلت إِثْرَ صلح الحديبية؛ وذلك أَنَّ ذلك الصلحَ تَضَمَّنَ أَنَّ مَنْ أتى مُسْلِماً من أهل مَكَّةَ، رُدَّ إليهم، سَواءٌ كان رجلاً أو امرأةً، فَنَقَضَ اللَّهُ تعالى من ذلك أَمْرَ النساء بهذه الآية، وحكم بأَنَّ المهاجرة المؤمنةَ لا تُرَدُّ إلى دار الكُفْرِ، و﴿امتحنوهن﴾: معناه: جربوهن واستخبروا حقيقة ما عندهنَّ.

وقوله تعالى: ﴿اللَّه أعلم بإيمانهنَّ﴾ إشارة إلى الاسترابة ببعضهنَّ.

* ت *: وقوله تعالى: ﴿فإنْ علمتموهن مؤمناتٍ...﴾ الآية: العلم هنا: بمعنى الظن، وذكر اللَّه تعالى العِلَّةَ في أَلاَّ يُرَدَّ النساءُ إلى الكُفَّارِ وهو امتناعُ الوطء وحُرْمَتُهُ.

وقوله تعالى: ﴿وآتوهم ما أنفقوا...﴾ الآية: أمر بأَنْ يؤتى الكُفَّارُ مهورَ نسائهم التي هاجرنَ مؤمناتٍ، ورفع سبحانه الجناحَ في أَنْ يتزوجنَ بصدقاتٍ هي أجورهن، وأمر المسلمين بفراق الكافراتِ وألاَّ يتمسكوا بعصمهن، فقيل: الآية في عابداتِ الأوثان ومَنْ لا يجوزُ نكاحُها ابتداءً، وقيل: هي عامَّةٌ نُسِخَ منها نساءُ أهل الكتاب، والعِصَمُ: جمع عِصْمَة، وهي أسباب الصحبة والبقاء في الزوجية، وأمر تعالى أَنْ يسأل أيضاً المؤمنون: ما أنفقوا؟ فرُوِيَ عنِ ابن شهاب أَنَّ قريشاً لَمَّا/ بلغهم هذا الحكم، قالوا: نحن لا نرضى بهذا ١٥٤أ الحكم، ولا نَلْتَزِمُهُ، ولا ندفع لأحد صَدَاقاً، فنزلت بسبب ذلك هذه الآيةُ الأخرى: ﴿وَإِنْ فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار...﴾ الآية: فأمر اللّه تعالى المؤمنين أنْ يدفعوا إلى مَن فَرَّتْ زوجتُه ففاتتْ بنفسها إلى الكُفَّارِ صَدَاقَهُ الذي أنفق، واخْتُلِفَ: مِنْ أَيِّ مَالٍ يُدْفَعُ إليه الصَّدَاقُ؟ فقال ابن شهاب[(١)]: يُدْفَعُ إليه من الصدقات التي كانت تُدْفَعُ إلى الكفار بسبب مَنْ هاجر من أزواجهم، وأزال اللّه دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه، قال * ع[(٢)] *: وهذا قول صحيح يقتضيه قوله: ﴿فعاقبتم﴾ وقال قتادة[(٣)] وغيره: يُدْفَعُ إليه من مغانم المغازي، وقال هؤلاء: التعقيب هو الغزو والمغنم، وقال ابن شهاب[(٤)] أيضاً: يدفع إليه مِنْ أيِّ وجوه الفيء أمكن، والمعاقبة في هذه الآية ليستْ بمعنى مجازاة السوء بسوءٍ، قال الثعلبي: وقرأ مجاهد: «فَأَعْقَبْتُمْ»[(٥)] وقال: المعنى: صنعتم بهم كما صنعوا بكم، انتهى، قال * ع[(٦)] *: أي: وذلك بأنْ يفوت إليكم شيء من أزواجهم، وهكذا هو التعاقب على الجَمَلِ والدَّوَابِّ أنْ يركبَ هذا عقبة وهذا عقبة، ويقال: عاقب الرجلُ صاحِبَه في كذا، أي: جاء فِعْلُ كُلِّ واحد منهما بعقب فعل الآخر، وهذه الآيةُ كُلُّها قدِ ارتفع حكمها.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٧١)، برقم: (٣٣٩٩٤)، وذكره ابن عطية (٥/٢٩٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٣٠٩)، وعزاه لعبد بن حميد، وأبي داود في «ناسخه»، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٩٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٧٢)، برقم: (٣٤٠٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/٢٩٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٢٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٣٠٩)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/٧٢)، برقم: (٣٤٠٠٣)، وذكره ابن عطية (٥/٢٩٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٣٥٢).

(٥) وقرأ بها الحسن.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٥٦)، و«المحتسب» (٢/٣٢٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/٢٩٨).

(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٢٩٨).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

وقوله عز وجل: ﴿يأيها النبيُّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك. . .﴾ الآية: هذه بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على الصَفا، وهي كانت في المعنى بَيْعَةِ الرجال قَبْلَ فرض القتال.

١٥٤ ب * ت *: وخرَّج البخاريُّ بسنده عن عائِشَةَ أَنَّ النبي ﷺ كَانَ/ يَمْتَحِنُ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ بِهٰذِهِ الآيَةِ: ﴿يأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ الآية[1].

وكذا روى البخاريُّ من طريق ابن عباس أَنَّهُ ـ عليه السلام ـ تَلاَ عَلَيْهِنَّ الآيَةَ يَوْمَ الْفِطْرِ عَقِبَ الصَّلاَةِ[2]، وَنَحْوُهُ عن أُمِّ عطيةَ في البخاري: «وَقَرَأَ عَلَيْهِنَّ الآيَةَ أَيْضاً في ثَانِي يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ»[3] وكلام * ع *: يُوهِمُ أَنَّ الآيَةَ نزلت في بيعة النساء يومَ الفتح، وليس كذلك؛ وإِنَّما يريد أَنَّه أعاد الآيَةَ على مَنْ لم يبايعه من أهل مَكّة؛ لِقُرْبِ عهدهم بالإِسلام، واللّه أعلم، والإِتيان بالبهتان: قال أكثر المفسرين: معناه أنْ تَنسِبَ إلى زوجها ولداً ليس منه، قال * ع[4] *: واللفظ أعَمُّ من هذا التخصيص.

وقوله تعالى: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾: يعم جميع أوامر الشريعة، فَرْضَهَا وَنَدْبَهَا، وفي الحديث: «أَنَّ جَمَاعَةَ نُسْوَةٍ قُلْنَ: يَا رَسُولَ اللّهِ، نُبَايِعُكَ عَلَى كَذَا وَكَذَا الآية، فَلَمَّا فَرَغْنَ قَالَ ﷺ: فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ، فَقُلْنَ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا مِنَّا لأَنْفُسِنَا»[5]. وقوله تعالى: ﴿فبايعهن﴾ أي: أمض لَهُنَّ صفقة الإِيمان؛ بأَنْ يُعْطِينَ ذلك من أنفسهن، ويُعْطَيْنَ عليه الجَنَّةَ، واخْتُلِفَ في هيئة مبايعته ﷺ النساءَ بعد الإِجماع على أَنَّهُ لم تَمَسَّ يَدُهُ يَدَ امرأة أجنبيَّةٍ قَطُّ؛ والمرويُّ عن عائشةَ وغيرِها: «أَنَّهُ بَايَعَ بِاللِّسَانِ قَوْلاً، وقال: إِنَّما قَوْلي

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠٤)، كتاب «التفسير» باب: إذا جاءك المؤمنات مهاجرات (٤٨٩١)، (٧/ ٥٢)، كتاب «المغازي» باب: غزوة خيبر (٤١٨٢)، ومسلم (٣/ ١٤٨٩)، كتاب «الإمارة» باب: كيفية بيعة النساء (٨٨/١٨٦٦)، وابن ماجه (٢/ ٩٥٩ ـ ٩٦٠)، كتاب «الجهاد» باب: بيعة النساء (٢٨٧٥)، وأحمد (٦/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٩٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٩٩).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٥٩)، كتاب «الجهاد» باب: بيعة النساء (٢٨٧٤).

لِمِائَةِ ٱمْرَأَةٍ كَقَوْلِي لاِمْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ»[١].

و﴿قوماً غضب اللّه عليهم﴾: هم اليهود في قول ابن زيد وغيره[٢]، ويأسهم من الآخرة: هو يأسهم من نعيمها مع التصديق بها، وقال ابن عباس[٣]: ﴿قوماً غضب اللّه عليهم﴾: في هذه الآية/ كُفَّارُ قريش. ١٥٥ أ

وقوله: ﴿كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾: على هذا التأويل هو على ظاهره في اعْتِقَادِ الكَفَرَةِ إِذَا مَاتَ لَهُمْ حَمِيمٌ قَالوا: هَذَا آخِرُ العَهْدِ بِهِ لاَ يُبْعَثُ أبَداً.

(١) ينظر: حديث عائشة السابق في المبايعة.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٠٠).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٠٠).

[تفسيرُ] سورةِ الصَّفّ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ وَقِيلَ: مَكِّيَّةٌ

والأوَّلُ أصَحُّ: لأَنَّ معاني السُّورَةِ تَعْضُدُه ويُشْبِه أنْ يكونَ فِيها المكِّيّ والمدنيّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سبح للّه ما في السمٰوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ قد تقدَّمَ تفسيرُه، واخْتُلِفَ في السببِ الذي نزلتْ فيه: ﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ فقال ابن عباس وغيره: نزلتْ بسببِ قَوْمٍ قالوا: لَوْ عَلِمْنَا أَحَبَّ العَمَلِ إلى اللَّهِ تعالى لسَارَعْنَا إليه، ففرضَ اللَّهُ الجهادَ وأعلَمَهُمْ بفَضْلِه؛ وأنَّهُ يُحِبُّ المقَاتِلينَ في سبيله كالبنيانِ المَرْصُوصِ، فَكَرِهَهُ قَوْمٌ منهم، وفَرُّوا يومَ الغزوِ فَعَاتَبَهُمُ اللَّهُ تعالى بهذه الآية[(١)]، وقال قتادة والضحاك: نزلتْ بسببِ جماعةٍ من شبابِ المسلمينَ كانوا يَتَحَدَّثُونَ عن أنفسِهم في الغزو بما لم يفعلوا[(٢)]، قال * ع[(٣)] *: وحُكْمُ هذهِ الآيةِ بَاقٍ غَابِرَ الدهرِ، وكلُّ مَنْ يقولُ ما لا يفعلُ فهو مَمْقُوتُ الكلامِ، والقولُ الأولُ يَتَرَجَّح بِمَا يأتي [من أمرِ][(٤)] الجهادِ والقتالِ، والمقتُ البغضُ، مِن أجل ذَنبٍ، أو رِيبَةٍ، أو دَنَاءَةٍ يَصْنَعُها الممقوتُ، وقول المرءِ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٧٩)، برقم: (٣٤٠٤٣)، وذكره ابن عطية (٥/٣٠١)، وابن كثير (٤/٣٥٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٣١٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٧٩)، برقم: (٣٤٠٤٦)، (٣٤٠٤٨)، وذكره البغوي (٤/٣٣٧)، وابن كثير (٤/ ٣٥٨).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٣٠١).

(٤) في د: بأمر.

مَا لا يفعلُ مُوجِبٌ مَقْتَ اللّهِ تعالى، ولذلك فرَّ كثيرٌ من العلماءِ عَنِ الوَعْظِ والتذكيرِ وآثَرُوا السكوتَ،/ * قلت *: وهَذا بحسَبِ فِقْهِ الحالِ؛ إنْ وَجَدَ الإنسانُ مَنْ يكفِيه هذه المؤُونَةَ ١٥٥ ب
في وقتِهِ، فَقَدْ يَسَعُه السكوتُ وإلا فَلاَ يسعُه، قال الباجي في «**سنن الصالحين**» له: قال الأصمعي: بَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ الحكماءِ كَانَ يقول: إني لأعظكُم وإنّي لَكَثيرُ الذنوبِ، ولَوْ أن أحَداً لاَ يَعِظُ أخاه حَتَّى يُحْكِمَ أَمْرَ نَفْسِهِ لتُرِكَ الأَمْرُ بالخيرِ، واقْتُصِرَ عَلى الشَّرِّ، ولكنَّ محادثَةَ الإخوانِ حياةُ القلوبِ وجَلاَءُ النُّفُوسِ وتَذْكِيرٌ مِنَ النسيانِ، وقال أبو حازم: إني لأعـظ النّاسَ وما أنا بمـوضعٍ للوَعْظِ[1]، ولكنْ أريدُ به نَفْسِي، وقَالَ الحسنُ لمطرف: عِظْ أصْحَابَكَ، فَقَالَ: إنِّي أخافُ أنْ أقولَ ما لا أفعل فقالَ: رحمك اللّه؛ وأيُّنا يَفْعَلُ ما يقول، وَدَّ الشيطانُ أنه لَو ظَفَرَ منكم بهذهِ فَلَمْ يأمُرْ أحدٌ منكم بمعروفٍ، وَلَمْ يَنْهَ عن منكر، انتهى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن اللّه يحب الذين يقاتلون في سبيله...﴾ الآية، قال معاذ بن جبل: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «مَنْ قَاتَلَ في سَبِيلِ اللّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ له الجنة، وَمَنْ سَأَلَ اللّهَ القَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقاً، ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَإنَّ لَهُ أجرَ شَهِيدٍ»[2]،

---

(١) في د: للموعظ.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٥)، كتاب «الجهاد» باب: فيمن سأل اللّه تعالى الشهادة (٢٥٤١)، والترمذي (٤/ ١٨٣)، كتاب «فضائل الجهاد» باب: ما جاء فيمن سأل الشهادة (١٦٥٤) مختصراً، والنسائي (٦/ ٢٥ ـ ٢٦)، كتاب «الجهاد» باب: ثواب من قاتل في سبيل اللّه فواق ناقة (٣١٤١)، وابن ماجه (٢/ ٩٣٣ ـ ٩٣٤)، كتاب «الجهاد» باب: القتال في سبيل اللّه سبحانه (٢٧٩٢)، والحاكم (٢/ ٧٧)، وابن حبان (١٠/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩)، كتاب «السير» باب: فضل «الجهاد»: ذكر إيجاب الجنة لمن قاتل في سبيل اللّه قلّ ثباته فيه أو كثر (٤٦١٨) مختصراً، وأخرجه البيهقي (٩/ ١٧٠)، كتاب «السير» باب: تمني الشهادة ومسألتها، وأحمد (٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، وعبد الرزاق في «**المصنف**» (٥/ ٢٥٥)، كتاب «الجهاد» باب: الفرار من الزحف (٩٥٣٤)، والدارمي (٢/ ٢٠١)، كتاب «الجهاد» باب: من قاتل في سبيل اللّه فواق ناقة.
=

مختصر رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، واللفظ لأبي داود، وقال الترمذي: هَذَا حديثٌ صحيحٌ انتهى من «السلاح»، ثُمَّ ذَكَرَ تعالى مقَالَةَ مُوسَى، وذلك ضربُ مَثَلٍ للمؤمنينَ؛ ليحذَرُوا مَا وَقَعَ فيه هؤلاء من العصيانِ وقولِ الباطل.

وقوله: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ أي: بتعنيتِكم وعصيانِكم واقْتِرَاحَاتِكُم، وأسْنَدَ الزيغَ إليهم؛
١٥٦ أ لكونهِ فعلَ حطيئَةٍ، وهذا بخلافِ قوله تعالى:/ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨] فَأَسْنَدَ التَّوْبَةَ إليه سبحانه؛ لِكَوْنِهَا فعلَ رِفعَةٍ، و«زاغ» معناه مَالَ وصَارَ عُرْفُهَا في الميلِ عن الحق، و﴿أزَاغَ اللَّه قلوبَهم﴾ معناه طَبَعَ عليْهَا وكثُرَ مَيْلُها عنِ الحقِّ؛ وهذهِ هي العُقُوبَةُ عَلَى الذَّنبِ بِالذَّنبِ.

وقوله: ﴿ومبشراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ قال عياض في «الشفا»: سَمَّى اللَّه تعالى نبيَّه في كتابه محمداً وأحمدَ؛ فأما آسمه أحمد، فـ«أَفْعَلُ» مبالغةً من صفةِ الحَمْدِ، ومُحَمَّد «مُفَعَّل» من كثرةِ الحمدِ، وسمى أمَّته في كتب أنبيائِه بالحمَّادينَ؛ ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصِه سبحانه وبدائع آياته؛ أنه سبحانه حَمَى أن يتسمَّى بهما أَحَدٌ قَبْلَ زمانِه، أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشَّرَتْ به الأنبياء؛ فمنع سبحانه أن يَتَسَمَّى به أحد غيرُه؛ حتى لا يدخلَ بذلكَ لَبْسٌ عَلى ضعيفِ القلبِ؛ وكذلك محمَّد أيضاً لم يَتَسَمَّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شَاعَ قبيلَ وجودِه ﷺ وميلادِه أَنَّ نبيًّا يبعثُ اسمهُ محمد؛ فسمَّى قومٌ قليلٌ من العرب أبناءَهم بذلك؛ رجاءَ أَنْ يكونَ أحدُهم هو، وهُم محمد بن أحيحة الأوسي، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان باليمن، ويقولون: بل محمد بن اليحمد من الأزد، ومحمد بن سوادة منهم؛ لا سابعَ لهم، ولم يَدَّعِ أحد من هؤلاء النبوّة أو يظهرْ عليْهِ سببٌ يشكِّكُ الناس، انتهى، وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أَنَّه قَالَ: «لاَ تُسَمُّوا أَوْلاَدَكُمْ مُحَمَّداً ثُمَّ تَلْعَنُونَهُمْ»[1]، رواه
١٥٦ ب الحاكم/ في «المستدرك»، انتهى من «السلاح».

وقوله سبحانه: ﴿فلما جاءهم بالبينات...﴾ الآية: يحتملُ أن يريدَ «عيسى» ويحتملُ

= قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وله إسناد صحيح على شرط الشيخين مختصراً.
وفي الباب: شاهد عن عمرو بن عنبسة، أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٧)، (٦/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤) عن أبي الدرداء.

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٥١)، وقال: رواه أبو يعلى، والبزار، وفيه الحكم بن عطية، وثقه ابن معين، وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال «الصحيح».

أن يريدَ محمداً ﷺ لأنه تقدَّمَ ذكرُه، * ت *: والأول أظهر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم...﴾ الآيَةَ: نَدْبٌ وَحَضٌّ على الجِهادِ بهذهِ التجارةِ التي بَيَّنَهَا سبحانه، وهي أن يبذلَ المرءُ نفسَه ومالَه، ويأخذ ثمناً جنةَ الخلدِ، وقرأ ابن عامر(١) وحده: «تُنَجِّيكُمْ» ـ بفتحِ النونَ وَشَدِّ الجيم ـ.

وقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ معناه: الأمر، أي: آمنوا، قال الأخفش: ولذلكَ جاء «يَغْفِرْ» مجزُوماً، وفي مصحفِ ابن مسعودٍ: «آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُوا». وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى الجهاد والإيمان، و﴿خَيْرٌ﴾ هنا يحتملُ أن يكونَ للتفضِيل، فالمَعْنَى: من كل عمل، ويحتملُ أن يكون إخباراً أنَّ هذا خيرٌ في ذاتِهِ، و﴿مَسَاكِن﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿جَنَّات﴾ وَطِيبُ المَسَاكِنِ: سِعَتُها وجمالُها، وقيل: طِيبُها المعرفةُ بدوام أمرِها.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وأخرى تحبونها...﴾ الآية، قال الأخفش، ﴿وَأُخْرَى﴾ هي في موضع خَفْضٍ عطفاً على ﴿تِجَارَةٍ﴾، وهَذَا قَلِقٌ، وقد ردَّه الناس، لأنَّ هذه الأُخْرَى ليستْ مِمَّا دَلَّ عليه سبحانه إنما هي مما أُعْطِيَ ثمناً وجزاءً على الإيمانِ والجهادِ بالنفس والمَالِ، وقَالَ الفَرَّاء: ﴿وأُخْرَى﴾ في موضِعِ رفعٍ، وقيل: في موضع نصبٍ بإضمار فعل تقديرُه: ويدخلكم جناتٍ ويمنحكُم أُخْرَى؛ وهي النصرُ والفتحُ القريب، وقصةُ عِيسَى مع بني إسرائيل قد تقدَّمت.

وقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الذين آمنوا على عدوهم﴾ قِيلَ ذلك قبل محمد ـ عليه السلام ـ/ وَبَعْدَ فترةٍ منْ رفع عِيسَى؛ رَدَّ اللَّهُ الكَرَّةَ لمنْ آمن بِهِ فَغَلَبُوا الكَافِرينَ الذين قَتَلُوا ١٥٧أ
صَاحِبَه الذي أُلقيَ عَلَيْهِ الشَّبَهُ، وقيل: المعنى فأصبحوا ظاهرين بالحجة.

---

(١) ينظر: القرطبي (١٨/ ٥٧)، وابن عطية (٥/ ٣٠٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٦٠).

[تَفسيرُ] سُورَةِ الجُمُعَةِ

وهِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يسبح للّه ما في السمٰوات وما في الأرض﴾ تقدَّم القولُ في مثل ألفاظ الآيةِ، والمرادُ بالأُمِّيِّينَ جميعُ العرب، واخْتُلِفَ في المَعْنِيِّين بقوله تعالى: ﴿وآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ فقال أبو هريرةَ وغيره: أراد فارس[1] «وقد سُئِلَ رسولُ اللَّه ﷺ: مَنِ الآخَرُونَ؟ فَأَخَذَ بيدِ سُلَيْمَانَ، وقال: لَوْ كَانَ الدِّينُ في الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاَءِ» خرَّجه مسلم والبخاريّ[2]، وقال ابن زيدٍ ومجاهدٌ والضحاكُ وغيرهم: أرادَ جميعَ طوائِفِ الناس[3]، فقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ على هذين القولين إنما يُرِيدُ في البشريةِ والإيمانِ، وقال مجاهد أيضاً وغيره: أراد التابعين من أبناء العرب، فقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ يُرِيدُ في النَّسَبِ والإيمان.

وقوله: ﴿لما يلحقوا﴾ نَفْيٌ لما قَرُبَ مِنَ الحَالِ، والمَعْنَى أنهم مُزْمِعُونَ أنْ يلحقوا، فهي «لَمْ» زِيدَتْ عَلَيْهَا «ما» تأكِيداً.

و﴿الذين حُمِّلُوا التوراةَ﴾ هم بنو إسرائيل الأحبارُ المعاصرون للنبي ﷺ، و﴿حُمِّلُوا﴾ معناه كُلِّفُوا القيامَ بأوامِرِها ونواهيها، فهذا كما حُمِّلَ الإنسانُ الأمانَةَ، وذكر تعالى أنهم لم يحملوها، أي: لم يُطِيعُوا أَمْرَها ويَقِفُوا عند حدودِها حين كذَّبُوا نبيَّه محمداً ﷺ، والتوراةُ

(١) أخرجه البخاري حديث (٤٨٩٧).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٩٠ ـ ٩١)، برقم: (٣٤٠٨٨)، (٣٤٠٨٩) عن ابن زيد، ومجاهد، وغيرهم، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٠٧)، والبغوي (٤/ ٣٣٩)، وابن كثير (٤/ ٣٦٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٢١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد، وعزاه لابن المنذر عن الضحاك.

تنطقُ بنبوتهِ، فكان كلُّ حَبْرٍ لم ينتَفِعْ بما حُمِّلَ كَمَثَلِ حِمَارٍ عليه أسفارٌ، وفي مصحف ابن
مسعود[1]/ «كَمَثَلِ حِمَارٍ» بِغَيْرِ تعريفٍ، والسِّفْرُ الكِتَابُ المجتمعُ الأوراقِ منضدة. ١٥٧ ب

وقوله: ﴿بِئْسَ مثل القوم﴾ التقدير: بِئْسَ المثلُ مثلُ القومِ الذين كذبوا بآياتِ اللَّه، * ص *: وَرُدَّ بأَنَّ فيه حذفَ الفاعلِ ولا يجوزُ، والظاهرُ أَنَّ ﴿مَثَلُ القَوْمِ﴾ فاعِلُ ﴿بِئْسَ﴾، و﴿الذينَ كَذَّبُوا﴾ هو المخصوصُ بالذَّمِّ على حذف مضافٍ؛ أي: مَثَلُ الذينَ كذَّبوا، انتهى.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾

وقوله سبحانه: ﴿قل يٰأيها الذين هادوا إن زعمتم...﴾ الآية، رُوِيَ أنها نزلت بسبب أنَّ يهودَ المدينةِ لَمَّا ظَهَرَ رسولُ اللَّه ﷺ، خَاطَبُوا يهودَ خيبرَ في أمره، وذكرُوا لهم نبوَّتَه، وقالوا إن رأيتم اتِّبَاعَهُ أَطَعْنَاكُمْ وإنْ رأيتم خِلاَفَه خَالَفْنَاه معكم، فجاءهَم جوابُ أهْلِ خيبرَ يقولونَ: نحن أبناءُ إبراهيمَ خليلِ الرحمٰنِ؛ وأبناءُ عزيرِ بن اللَّهِ ومنا الأنبياءُ، ومتى كَانَتْ النبوةُ في العرب؟، نحن أحقُّ بالنبوةِ من محمدٍ، ولا سبيلَ إلى اتباعهِ، فنزلتِ الآية بمعنى: أنكم إذا كنتم منَ اللَّهِ بهذه المنزلةِ فَقُرْبُهُ وفراقُ هذه الحياةِ الخسيسةِ أحبُّ إليكم، فَتَمَنَّوْا الموتَ إن كنتم تَعْتَقِدُون في أنفسِكم هذه المنزلة، ثم أخبر تعالى أنهم لا يتمنونه أبداً لعلمِهم بسوءِ حالِهم، ورَوَى كثيرٌ من المفسرينَ أن اللَّه ـ جَلَّتْ قُدْرَته ـ جَعَلَ هذه الآيةَ معجزةً لمحمدٍ نبيِّه ﷺ فِيهم، فَهِيَ آيةٌ باهرةٌ؛ وأعلَمَه أنه إن تمنى أحدٌ منهمُ الموتَ في أيام معدوداتٍ مَاتَ وفَارَقَ الدنيا، فقال رسول اللَّه ﷺ تَمَنَّوُا الموتَ، على جهةِ التعجيزِ وإظهار
١٥٨ أ الآيةِ، فما تَمَنَّاهُ أحد منهم خَوْفاً/ من الموتِ وثقةً بصدقِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾

وقوله سبحانه: ﴿يٰأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة﴾ الآية، النداء: الأذانُ، وكان على الجِدَارِ في مسجدِ رسول اللَّه ﷺ، وفي «**مصنف أبي داود**»: كَانَ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٥٦)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/٣٠٧)، و«**البحر المحيط**» (٨/٢٦٣)، و«**الدر المصون**» (٦/٣١٦).

وهو عَلَى المنبر أذَانٌ، ثم زادَ عثمانُ النداءَ عَلَى الزوراء ليسمعَ الناسُ.

* ت *: وفي البخاريّ والترمذيِّ وصححه عن السائبِ بن يزيد قَالَ: كَانَ النداءُ يومَ الجمعةِ أوَّله إذا جَلَسَ الإمام على المنبر؛ على عهد النبي ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ، فلما تَوَلَّى عثمانُ وكثرَ الناسُ، زادَ الأذانَ الثالثَ فأذَّنَ به على الزَّوراءِ[1]، فَثَبَتَ الأَمْرُ على ذلك[2]، قِيل: فقوله «الثالثَ» يَقْتَضِي أنَّهمْ كَانُوا ثلاثةً، وفي طريقِ آخرَ «الثاني» بدَلَ «الثالث» وهو يَقْتَضِي أَنَّهمَا اثنانِ، انتهى، وخرَّجَ مسلم عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنِ ٱغْتَسَلَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فَصَلَّىٰ مَا قُدِّرَ لَهُ، ثم أَنْصَتَ لِلإِمَامِ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَىٰ، وَفَضْلُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ»[3] انتهى، وخرَّجَهُ البخاريُّ من طريقِ سُلَيْمَان.

وقوله: ﴿مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾ قال ابن هشام: «من» مرادفةِ «في»، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ الآية، السعيُ في الآيةِ لاَ يُرَادُ به الإِسْرَاعُ في المشي، وإنما هو بمعنى قوله: ﴿وأنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] فالسَّعْيُ هو بالنِّيةِ والإرَادَةِ والعَمَلِ؛ مِنْ وُضوءٍ، وغُسْلٍ، وَمَشْيٍ، ولُبْسِ ثوبٍ؛ كُلُّ ذلكَ سَعْيٌ، وَقَدْ قَالَ مالكٌ وغيره: إنما تُؤْتَى الصلاةُ بالسَّكِينَةِ، * ت *: وهو نصُّ الحديثِ الصحيحِ، وهُوَ
١٥٨ ب قوله ﷺ في الصلاة:/ «فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا [و] عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ»، * ت *: والظاهرُ أَنَّ المرادَ بالسعيِ هُنا المُضِيُّ إلى الجمعةِ، كما فسَّره الثعلبيُّ، ويدلُّ على ذلكَ إطلاقُ العلماءِ لفظَ الوجوبِ عَلَيْهِ، فيقولونَ السَّعْيُ إلَى الجمعةِ واجبٌ، ويدلُّ عَلَى ذلك قراءةُ عمرَ وعليٍّ وابنِ مسعودٍ وابن عمر وابنِ عباس وابن الزبير وجماعة من التابعين[4]:

---

(١) الزَّوْرَاءُ: دار عثمان بن عفان بالمدينة. وقيل: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد.
ينظر: «مراصد الاطلاع» (٦٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٤٦١)، كتاب «الجمعة» باب: التأذين عند الخطبة (٩١٦)، وأبو داود (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣)، كتاب «الصلاة» باب: النداء يوم الجمعة (١٠٨٧)، والترمذي (٢/ ٣٩٢)، كتاب «الصلاة» باب: ما جاء في أذان الجمعة (٥١٦)، والنسائي (٣/ ١٠٠ ـ ١٠١)، كتاب «الجمعة» باب: الأذان للجمعة (١٣٩٢)، (١٣٩٣ ـ ١٣٩٤) نحوه، وابن ماجه (١/ ٣٥٩)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: ما جاء في الأذان يوم الجمعة (١١٣٥).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٥٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٢٢)، و«الكشاف» (٤/ ٥٣٤)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٠٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٦٥).

«فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» وقال ابن مسعود: لَوْ قَرَأْتُ: ﴿فاسْعَوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لأَسْرَعْتُ حَتَّى يَقَع رِدَائي، وقال العِرَاقِيُّ: ﴿فاسْعَوا﴾ معناه بَادِروا، انتهى، وقوله: ﴿إلى ذِكر اللَّه﴾ هووعظُ الخطبةِ؛ قاله ابن المسيب، ويؤيدُه قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إِذَا كَانَ يومُ الجمعةِ، كَانَ عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ المَسْجِدِ مَلاَئِكَةٌ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فالأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ [الإمَا]مُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وجَاؤُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» الحديث خَرَّجَهُ البخاريُّ ومسلم، واللفظُ لمسلم، والخُطْبَةُ عِنْدَ الجمهورِ شَرْطٌ في انعقادِ الجمعةِ»[١]، وعن أبي موسى الأشعري أن رسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إنَّ اللَّهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ يَبْعَثُ الأَيَّامَ يومَ القيامةِ عَلَىٰ هَيْئَتِهَا، وَيَبْعَثُ الجُمُعَةَ زَهْرَاءَ مُنِيرَةً، أَهْلُهَا مُحِفُّونَ بِهَا؛ كالْعَرُوسِ تُهْدَىٰ إِلَى كرِيمَها، تُضِيءُ لهم؛ يَمْشُونَ في ضَوْئِهَا؛ أَلْوَانُهُمْ كالثَّلْجِ بَيَاضاً، وَرِيحُهُمْ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ، يَخُوضُونَ في جِبَالِ الكَافُورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلاَنِ، مَا يَطْرِفُونَ تَعَجُّباً، يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ لاَ يُخَالِطُهُمْ إِلاَّ المُؤَذِّنُونَ المُحْتَسِبُونَ» خَرَّجَهُ القاضِي الشريفُ أبو الحسنِ علي بن عبد اللَّهِ بن إبراهيمَ الهاشميّ، قال صاحبُ **«التذكرة»**[٢]: وإسنادهُ صحيح، انتهى.

١٥٩ أ وقوله سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى السعي وتَرْكِ/ البَيْعِ.

وقوله: ﴿فانْتَشِرُوا﴾ أجمعَ الناسُ على أنَّ مُقْتَضَى هذا الأمرِ الإِباحةُ، وكذلك قوله: «وابتَغُوا من فضل اللَّه» أنَّه الإِبَاحَة في طلب المعاش، مثلَ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: ٢] إلا مَا رُوِيَ عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «ذلكَ الفضْلُ المُبْتَغى هو عيادةُ مريضٍ، أو صِلَةُ صديقٍ، أو اتِّباعُ جنازةٍ»، قال * ع[٣] *: وفي هذا ينبغي أنْ يكونَ المرءُ بقيةَ يومِ الجمعةِ، ونحوه عن جعفر بن محمد، وقال مكحول: الفضلُ المبْتَغَى: العلمُ فينبغي أن يُطْلَبَ إثْرَ الجمعةِ.

---

(١) إنما اشترط تقديم الخطبتين، لأن النبي ﷺ لم يفعلها إلا كذلك مع خبر: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ولإجماع السلف والخلف على ذلك.
ومخالفة الحسن البصري باجتهاده في جوازها بعد الصلاة، شاذة مردودة، لأنها بعد انعقاد الإجماع فهي غير معتبرة، ولأنها شرط، والشرط مقدم على المشروط، وقال الشيخ الرملي: وللتمييز بين الفرض والنفل، وليدرك الصلاة من يدرك الخطبة، ولظاهر قوله تعالى: ﴿فإذا قُضيت الصلاةُ فانتشِروا في الأرض﴾، أباح الانتشار بعدها، ولو جاز تأخيرها لما أباح الانتشار.
وقال في **«شرح المهذب»**: ثبتت صلاته ﷺ بعد الخطبتين، وروى الشيخان عن ابن عمر قال: كان رسول اللّه ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما.

(٢) ينظر: **«التذكرة»** (١/ ٢٦٢).

(٣) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٣٠٩).

وقوله تعالى: ﴿واذكروا اللّه كثيراً...﴾ الآية، قال معاذ بن جبل: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ[1]: رواه الترمذي واللفظُ له، وابنُ ماجه، والحاكمُ في «المستدرك»؛ وقال صحيحُ الإسناد، انتهى من «السلاح».

وقوله سبحانه: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً...﴾ الآية، نزلت بسبب أن رسولَ اللَّه ﷺ كانَ قائماً على المنبرِ يَخْطُبُ يومَ الجمعةِ، فأقبلت عِيرٌ مِنَ الشَام تحملُ مِيرةً، وصاحبُ أمْرِهَا دِحْيَةُ بن خليفةَ الكلبي، قال مجاهد: وكانَ مِن عُرْفِهِمْ أن تَدْخُلَ عِيرُ المدينةِ بالطَّبْلِ والمعازفِ، والصياحِ سروراً بها، فدخلت العيرُ بمثلِ ذلكَ، فانْفَضَّ أهْلُ المسجدِ إلى رؤيةِ ذلكَ وسماعِه؛ وتَركُوا رسولَ اللَّه ﷺ قائماً عَلَى المنبرِ، ولم يَبْقَ معه غَيْر اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً[2]، قال جابر بن عبد اللّه: أنا أحَدُهُم، قال * ع[3] *: ولم تَمُرَّ بي تَسْمِيتُهم في ديوانٍ فيما أذْكُرُ الآنَ، إلا أنِّي سمعتُ أبي - رحمه اللّه - يقولُ: هُمُ العشرةُ المشهودُ لهم بالجنةِ، واخْتُلِفَ في الحادِيَ عَشَرَ، فقيل: عمارُ بن ياسر، وقيل: ابن
١٥٩ ب مسعودٍ، * ت *: وفي تقييد أبي الحسنِ الصغير: والاثْنَا عَشَر الباقون[4]/ هُمُ الصحابةُ العَشَرَةُ، والحادِيَ عَشَرَ: بلالٌ، واخْتُلِفَ في الثاني عشر، فَقِيل: عمار بن ياسرٍ، وقيل: ابن مسعود، انتهى، قال السهيلي: وجَاءَتْ تسميةُ الاثْنَي عَشَرَ في حديثِ مُرْسَلٍ رواه أسد بن عمرو والدُ موسى بن أسد، وفيه: أنَّ رسول اللَّه ﷺ لَمْ يَبْقَ معه إلا أبو بكرٍ وعُمَرُ وعثمانُ؛ حتى العشرةِ، وقَال: وبلالٌ وابن مسعود، وفي روايةٍ: عمارُ بَدلَ ابنِ مسعودٍ، وفي «مَرَاسِيلِ أبي داودَ» ذكر السببَ الذي من أجله تَرَخَّصُوا، فقال: إن الخطبةَ يوم الجمعةِ كَانَتْ بعدَ الصلاةِ فَتَأَوَّلُوا - رضي اللّه عنهم - أنهم قَدْ قَضَوْا مَا عَلَيْهِمْ، فَحوِّلَتْ الخطبةُ بعدَ

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/١٢٤٥)، كتاب «الأدب» باب: فضل الذكر (٣٧٩٠)، عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأرضاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: وما ذاك يا رسول اللّه! قال: «ذكر اللّه».
وقال معاذ بن جبل: «ما عمل امرؤ بعمل أنجى له من عذاب اللّه عزّ وجل؛ من ذكر اللّه».
وأخرجه الترمذي (٥/٤٥٩) (٣٣٧٧) نحوه، قال الترمذي: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عبد اللّه بن سعيد مثل هذا الإسناد وروى بعضهم عنه فأرسله، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٤٩٦)، وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٩٩)، برقم: (٣٤١٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/٣٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٣٣١)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٣٠٩).

(٤) في د: الباقين.

ذلك قبلَ الصلاةِ، فهذا الحديثُ وإن كانَ مُرْسَلاً فالظن الجميلُ بأصْحَابِ النبي ﷺ يُوجِبُ أنْ يكونَ صحيحاً، واللّه أعلم؛ انتهى، ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ قَال: «لَوْلاَ هؤلاءِ لَقَدْ كَانَتِ الحِجَارَةُ سُوِّمَتْ على المُنَفضِّينَ من السماءِ»، وفي حديثٍ آخر: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ تَتَابَعْتُمْ حَتَّىٰ لاَ يَبْقَىٰ أَحَدٌ لسَالَ بِكُمُ الوَادِي نَاراً»[1]، قَالَ البخاريُّ: ﴿ٱنفَضُّوا﴾ معناه تَفَرَّقُوا، انتهى، وقرأ ابن مسعود[2]: «وَمِنَ التِّجَارَةِ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» وإنما أعاد الضميرَ في قوله: ﴿إِلَيْهَا﴾ على التجارةِ وَحْدَهَا لأنَّهَا أهَمُّ، وهي كَانَتْ سَبَبَ اللَّهوِ، * ص *: وقرىء[3] «إِلَيْهِمَا» بالتثنيةِ.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، برقم: (٦٤٩٥)، .
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣١٠).
(٣) ينظر: «الكشاف» (٤/ ٥٣٧)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٦٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٣١٨).

[تفسير] سُورَةِ «المُنَافِقُونَ»

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

ونَزَلَتْ في غزوةِ بني المصْطَلِقِ، بسبَبِ أنَّ ٱبْنَ أُبَيٍّ ٱبْن سَلُول كَانَتْ له في تلك الغَزْوَة أقْوَالٌ منكَرَة، وسيأتِي بيانُ ذلك؛ إنْ شاءَ اللَّهُ.

[بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ](١)

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

١٦٠ أ قوله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله...﴾ الآية/ فَضَحَ اللَّهُ سرائرَ المنافقين بهذهِ الآيةِ، وذلكَ أنهم كَانُوا يقولُون للنبي ﷺ: نَشْهَد إنَّكَ لَرَسُولِ اللَّهِ؛ وهم في إخبارِهم هَذَا كَاذِبُونَ؛ لأنَّ حَقِيقَةَ الكذبِ أن يُخْبِرَ الإنْسَانُ بِضِدِّ مَا في قَلْبِهِ، وهذِه كَانَتْ حالُهم؛ وقَرَأَ الناس: «أيْمَانِهِم» جمعُ يمينٍ، **وقرأ** الحسنُ(٢): «إِيمَانَهُمْ» ـ بِكَسْرِ الهمزةِ ـ، والجُنَّةُ: مَا يُتَسَتَّرُ به في الأَجْرَامِ والمعَانِي.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشَارَةٌ إلى فعلِ اللَّهِ بِهِمْ في فَضْحِهِم وتَوْبِيخِهم، ويحتملُ أنْ تكونَ الإشارةُ إلى سوء ما عَمِلوا، فالمعنَى سَاءَ عَمَلُهُمْ بأنْ كَفَرُوا بَعْدَ إيمانٍ.

﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

---

(١) سقط في: د.

(٢) قال أبو الفتح: هذا على حذف المضاف، أي: اتخذوا إظهار إيمانهم جنة.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ٣٢٢)، و«الكشاف» (٤/ ٥٣٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣١١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٦٧).

وقوله تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ هذا توبيخٌ لهم؛ إذ كَانَ مَنْظَرُهم يَرُوقُ جَمَالاً وقولُهُم يَخْلِبُ بَيَاناً؛ لكنَّهم كالخشبِ المُسَنَّدَة؛ إذْ لاَ أَفْهَامَ لهم نافعةً، وكانَ عبدُ اللَّه بْنُ أَبَي ٱبْنِ سَلُولَ مِنْ أَبْهَى المنافقينَ، وأطولِهِم، ويدلّ على ذلك أنه لَمْ يوجَدْ قميصٌ يكْسُو العباسَ غير قَميصِه، قال الثعلبيُّ: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُم﴾ لاستِوَاءِ خَلْقِهَا وطُول قَامَتِهَا وحُسْنِ صُورَتِها، قَال ابن عباس: وَكَانَ عَبْدُ اللَّه بن أُبَيٍّ جَسِيماً صَبِيحاً فَصِيحاً ذَلِقَ اللِّسَانِ، فَإِذَا قَالَ سَمِعَ النبيُّ ﷺ قوله[1]، ووصفهم اللَّه تعالى بتمام الصورةِ وحُسْنِ الإبَانَةِ، ثم شبَّهَهُم بالخُشُبِ المسنَّدَةِ إلى الحائِط، لا يَسْمَعُونَ وَلاَ يَعْقِلُونَ أَشْبَاحٌ بِلاَ أَرْوَاحٍ، وأَجْسَامٌ بِلاَ أَحْلاَمٍ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ هَذَا أيضاً فَضْحٌ لِمَا كَانُوا يُسِرُّونَه مِنَ الخَوْفِ/ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَقَّعونَ أنْ يأمرَ النبيُّ ﷺ عَنِ اللَّهِ بِقَتْلِهِمْ، قال مقاتل: فكانوا ١٦٠ ب
مَتَى سَمِعُوا نُشْدَانَ ضالةٍ، أو صِيَاحاً بأيِّ وَجهٍ، أو أُخْبِرُوا بِنُزُولِ وَحْيٍ طَارَتْ عقُولُهم حتَى يسْكُنَ ذِلَكَ ويكونَ في غَيْرِ شأنهم، ثم أخبرَ تعالى بأنهم هُمُ العدوُّ وحَذَّرَ منهم.

وقوله تعالى: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ دُعَاء يَتَضَمَّنُ الإقْصاءَ والمُنَابَذَةَ لهم، و﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ معناهُ كَيْفَ يُصْرَفُونَ.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول اللَّه...﴾ الآية، سَبَبُ نُزُولِها أنَّ النَّبيَّ ﷺ غزَا بني المُصْطَلِق، فَازْدَحَمَ أَجيرٌ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ يُقَالُ لَهُ «جَهْجَاهٌ» مَعَ سِنَانِ بْنِ وَبَرَةَ الجُهَنِيِّ، حَلِيفٌ لِلأَنْصَارِ، عَلَى المَاءِ فَكَسَعَ جَهْجَاهٌ سِنَاناً فَتَثَاوَرَا، ودَعَا جَهْجَاهُ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، وَدَعَا سِنَانٌ: يَا لِلأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَقَال: مَا بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟ فَلَمَا أُخْبِرَ بالقصةِ، قال: دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ، فقال عبد اللَّه بن أُبَيٍّ: أَوَقَدْ فَعَلُوهَا؟ واللَّهِ، مَا مَثَلُنَا وَمَثَلُ جلاَبِيبِ قُرَيْشٍ إلاَّ كما قَال الأوَّلُ: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ، وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْها الأَذَلَّ، ثُمَّ قَال؛ لِمَنْ معه مِنَ المنافقينَ: إنَّما يُقِيمُ هؤلاءِ المهاجرونَ مَعَ محمدٍ بِسَبَبِ مَعُونَتِكمْ لَهم، ولَوْ قَطَعْتُمْ ذَلِكَ عنهم؛ لَفَرُّوا، فَسَمِعَهَا منه زيدُ بن أرقم، فأَخْبَرَ النبيَّ ﷺ بذلك، فَعَاتَبَ رسولُ اللَّه ﷺ عبدَ اللَّه بن أُبَيٍّ عِنْدَ رجالٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فبلغَه ذلك، فَجَاءَ وَحَلَفَ مَا قَالَ ذلك، وحَلَفَ معَهُ قَوْمٌ مِنَ
/ المُنَافِقِينَ، وكَذَّبُوا زيداً، فَصَدَّقَهُمُ النبيُّ ﷺ فَبَقِيَ زَيْدٌ في منزلهِ لاَ ينصرفُ حَيَاءً مِنَ الناسِ ١٦١ أ
فَنَزَلَتْ هذهِ السورةُ عِنْد ذَلِكَ، فبعثَ النبيُّ ﷺ إِلَى زَيْدٍ وقال لَهُ: لَقَدْ صَدَّقَكَ اللَّهُ يَا زَيْدُ،

---

(١) ذكره البغوي (٤/٣٤٨).

فَخَزِيَ عِنْدَ ذَلِكَ عبدُ اللَّه بن أُبَيٍّ ومَقَتَه الناسُ ولاَمه المؤمِنونَ من قومِه، وقال له بعضهم: امْضِ إلى رسول اللَّه ﷺ واعتَرِفْ بذنبك يَسْتَغْفِرْ لَكَ، فَلَوَىٰ رَأْسَهُ إِنْكَاراً لهذا الرَّأْيِ، وقال لهم: لقد أَشَرْتُمْ علي بالإيمان فآمنتُ، وأَشَرْتُمْ علي بأَنْ أعطِيَ زَكَاةَ مالِي فَفَعَلتُ، وَلَمْ يَبْقَ لكم إلا أن تأمروني بالسجود لِمحمَّدٍ، فهذا قَصَصُ هذه السورة مُوجَزاً، وقرأ نافعٌ والمفضَّل عن عاصم: «لَوَوْا» ـ بتخفيف الواوِ ـ وقرأ الباقون بتشديدِها.

وقوله تعالى: ﴿سواءٌ عليهم أَسْتَغْفَرْتَ لهم...﴾ الآية، رويَ أنه لما نزلت ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] قال رسول اللَّه ﷺ: لأَزِيدَنَّ على السبعينَ، وفي حديثٍ آخَرَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ على السبعينَ لَغَفَرَ لَهُمْ لَزِدْتُ، وفي هذا الحديثِ دليلٌ عَلَى رَفْضِ دليلِ الخطابِ، فَلَمَّا فعل ابْنُ أُبَيٍّ وأصحابُهُ مَا فَعَلُوا شَدَّدَ اللَّه عليهم في هذه الآيةِ، وأَعْلَم أَنَّه لَنْ يَغْفِرَ لهم دونَ حَدٍّ في الاسْتِغْفَارِ.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

وقوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ﴾ إشارةٌ إلى ابن أُبَيٍّ ومَنْ قَالَ بقوله، ثم سفه تعالى أحلامَهم في أن ظَنُّوا أنَّ إنفاقَهم هو سَبَبُ رزقِ المهاجرينَ، ونَسُوا أن جَرَيَانِ الرزقِ بِيَدِ اللَّهِ تعالى؛ إذَا انسَدَّ بابٌ انْفَتَحَ غَيْرُه ثم أَعْلَمَ تعالى أَنَّ العزةَ لِلَّهِ ولرسولِهِ وللمؤمنِين،
١٦١ ب وفي ذلكَ وعيدٌ وَرُوِي/ أن عبدَ اللَّه بن عبدِ اللَّه بن أُبَيٍّ وكَانَ رَجُلاً صَالِحاً لَمَّا سَمِعَ الآيَةَ، جَاءَ إلى أبيه فَقَالَ له: أَنْتَ واللَّهِ يا أَبَتِ الذليلُ، ورَسُولُ اللَّهِ العزيزُ، وَوَقَفَ عَلَى بَابِ السِّكَّةِ التي يَسْلُكُها أبوه، وجَرَّدَ السَّيْفَ وَمَنَعَهُ الدُّخُولَ، وقال: واللَّهِ لاَ دَخَلْتَ إِلَىٰ مَنْزِلِكَ إلاَّ أَنْ يأْذَنَ في ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ، وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ في أَذَلِّ حَالٍ، وَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَنْ خَلِّهِ يَمْضِي إِلَىٰ مَنْزِلِهِ، فَقَالَ: أَمَّا الآنَ، فَنَعَمْ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾

وقوله سبحانه: ﴿يأَيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر اللَّه...﴾ الآية، الإلهاءُ: الاشْتِغَالُ بِمَلَذ وَشَهْوَةٍ، وذكرُ اللَّه هنا عامٌّ في الصلوات، والتوحيدِ،

والدعاء، وغيرِ ذلكَ مِنْ مَفْرُوضٍ، ومنْدُوبٍ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وأنفقوا من ما رزقناكم﴾ عامٌّ من المفرُوضِ والمندوبِ؛ قاله جماعة من المفسرينَ، قال الشيخ أبو عبد الرحمٰن السلمي في كتاب «عيوب النفس»: وَمِنْ عيوبِها تضييعُ أوقاتِها بالاشْتِغَالِ بما لا يَعْنِي مِنْ أُمورِ الدُّنيا، والخَوْضِ فيها مَعَ أهلِها، ومُدَاوَاتُها أنْ يَعْلَمَ أنَّ وَقْتَه أعزُّ الأشياءِ فَيَشْغَلَه بِأَعَزِّ الأَشْيَاءِ، وهو ذِكْرُ اللَّهِ، والمُدَاوَمَةُ على الطاعةِ ومطالبةُ الإخْلاَصِ من نفسهِ؛ فإنَّه رُوِيَ عنِ النبي ﷺ أنَّه قال: «مِنْ حُسْنِ إسْلاَمِ المَرْءِ تَرْكُه مَالاَ يَعْنِيهِ»[(١)] وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مَنْصُورٍ: عَلَيْكَ بنفسِكَ فَإِنْ لَمْ تَشْغَلْها شَغَلَتْكَ، انتهى.

وقولهُ: ﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾ طَلَبٌ لِلْكَرَّةِ والإمهَالِ، وسَمَّاه قَرِيباً لأنَّه آتٍ، وأيْضاً فإنَّما يتمنى ذلك لِيقْضِيَ فيه العملَ الصالحَ فَقَطْ/ وليس يتَّسِعُ الأَمَلُ حينئذٍ ١٦٢أ
لِطَلَبِ العَيْشِ ونظرته. وقوله: ﴿وأكن من الصالحين﴾ ظاهرَه العمُومُ، وقال ابن عباس: هو الحج[(٢)] وَرَوَى الترمذيُّ عنه أنَّه قال: مَا مِنْ رَجُلٍ لاَ يُؤَدِّي الزَّكَاةَ وَلاَ يَحُجُّ إلاَّ طَلَبَ الْكَرَّةَ عِنْدَ مَوْتِهِ[(٣)]، قَالَ الثعلبيُّ: قَال ابن عباس: ﴿إلى أجل قريب﴾ يريدُ مِثْلَ آجالِنَا في الدنيا[(٤)]، انتهى، وقرأ أبو عمرو[(٥)]: «وَأَكُونَ»، وفي قوله تعالى: ﴿ولَنْ يؤَخِّر اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أجَلُها﴾ حَضٌّ عَلَى المُبَادَرَةِ ومُسَابَقَةِ الأَجَلِ بالعملِ الصالحِ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١١٠ ـ ١١١)، بأرقام (٣٤١٨١ ـ ٣٤١٨٢، ٣٤١٨٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣١٥)، والبغوي (٤/ ٣٥١)، وابن كثير (٤/ ٣٧٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٤١)، وعزاه لابن المنذر.

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤١٨)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة المنافقون(٣٣١٦)، وابن جرير (١٢/ ١١٠) (٣٤١٨٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٤٠)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني.

(٤) ذكره الفخر الرازي (١٠/ ١٧).

(٥) ينظر: «السبعة» (٦٣٧)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٦٩)، و«حجة القراءات» (٧١٠)، و«العنوان» (١٩١)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٥٦)، و«شرح شعلة» (٦٠٣)، و«إتحاف» (٢/ ٥٤٠)، و«معاني القراءات» (٣/ ٧١).

[تَفسِيرُ] سُورَةِ «التَّغَابُنِ»

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ وَقَالَ آخَرُونَ: مَكِّيَّةٌ

إِلا مِنْ قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿يأَيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ إلى آخر السورة، فإنه مَدَنِيٌّ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ أي: في أصْلِ الخِلْقَةِ[1]، وهذا يَجْرِي مع قول المَلَكِ: يَا رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، الحَدِيث، وذَلِكَ في بطنِ أمهِ، وقيل: الآيَةُ تعديدُ نِعَم، فقولُه: ﴿هُو الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ هَذِهِ نعمةُ الإيجَاد، ثم قال: ﴿فمنكم كافر﴾ أي: بهذِه النِّعْمَةِ؛ لجهلهِ باللَّهِ، ﴿ومنكم مؤمِنٌ﴾ باللَّهِ، والإيمانُ بِهِ شُكْرٌ لنعمتِه، فالإِشَارةُ عَلى هذَا التأويلِ في الإيمانِ والكفرِ، هي إلى اكتسابِ العَبْدِ؛ وهذا قولُ جماعة، وقيلَ غيرُ هذا.

وقوله تعالى: ﴿خلق السمٰوات والأرض بالحق﴾ أي: لم يخلقْها عَبَثاً ولاَ لغيرِ مَعْنى.

وقوله تعالى: ﴿فأحسن صوركم﴾ هو تعديدُ نِعَم، والمرادُ الصورةُ الظاهرة، وقيل: المرادُ صورةُ الإنسانِ المعنويَّةِ من حيثُ هو إنسانٌ مُدْرِكٌ عاقلٌ، والأولُ أجْرَى على لغةِ العرب.

---

(١) في د: الحقيقة.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ألم/ يأتكم﴾ جزمٌ أصْلُه «يأتيكم» والخطابُ في هذهِ الآيةِ لقريشٍ، ١٦٢ ب
ذُكِّرُوا بِمَا حَلَّ بِعَادٍ وثمودَ، وغيرهم ممن سَمِعَتْ قريشٌ بِأخبارِهم، وَوَبَالُ الأَمْرِ: مكروهُه وما يسوء منه.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بأنَّه﴾ إشارة إلى ذَوْقِ الوَبَالِ، وباقي الآية بَيِّنٌ.

وقوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ يريدُ قُريشاً، ثم هِيَ بَعْدُ تَعُمّ كلَّ كافرٍ بالبعثِ، ولا تُوجَدُ (زَعَمَ) مستعملةً في فصيحِ الكلامِ إلا عبارَةً عَنِ الكَذِبِ، أو قولٍ انْفَرَدَ به قائلُه.

وقوله سبحانه: ﴿فآمنوا باللَّه ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ هذه الآيةُ دعاء من اللَّهِ، وتبليغٌ وتحذيرٌ مِنْ يَوْمِ القِيَامَةِ، والنُّورُ القرآنُ ومعانيه، ويومُ الجَمْعِ هو يومَ القيامَةِ، وهُو يومُ التغابُنِ يَغْبِنُ فِيهِ المؤمِنُونَ الكافرينَ، نَحا هذا المَنْحَى مُجَاهِد وغيره[(١)].

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة﴾ يحتملُ أنْ يريدَ المصائِبَ التي هي رَزَايا، ويحتملُ أنْ يريدَ جميعَ الحوادثِ من خيرٍ وشر، والكلُّ بإِذْنِ اللَّهِ، والإِذنُ هنا عبارةٌ عَنِ العلمِ والإِرَادَةِ وتَمْكِينُ الوقوع.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١١٥)، برقم: (٣٤١٩١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣١٩)، وابن كثير (٤/ ٣٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٣٤)، وعزاه للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

وقوله سبحانه: ﴿ومن يؤمن باللَّه يهد قلبه﴾ قال فيه المفسرون: المعنَى ومَنْ آمنَ وعَرَفَ أنَّ كلَّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ اللَّه وقَدَرِه وَعِلْمِهِ، هانتْ عَلَيْهِ مصيبتُه وسلَّم لأمْرِ اللَّه تعالى.

وقوله تعالى: ﴿فإن توليتم﴾ إلى آخر الآية، وعيدٌ وتَبْرِئَةٌ لِلنبي ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

وقوله: ﴿يٰأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ إلى آخر السورةِ قرآنٌ مدنيٌّ واخْتُلِفَ في سَبَبِهِ، فقال عطاء بن أبي رباح: إنَّه نَزَلَ في عَوْفِ بن مَالكٍ الأشْجَعِيِّ؛ وذلك أنَّهُ أراد غَزْواً
١٦٣ أ مع النبيِّ ﷺ، فاجْتَمَعَ أهْلُهُ وأولاده، وتَشَكَّوْا إلَيْه فِرَاقَهُ، فَرَقَّ لهُمْ فَثَبَّطُوهُ ولم/ يَغْزُ، ثم إنّه نَدِمَ وهَمَّ بمعاقبتِهم، فنزلتِ الآية[1] بسببه محذِّرةً مِن الأَزْوَاجِ والأولاد وفتنتِهم. ثم صَرَفَ تَعالَى عَنْ معاقبتِهم بقوله: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا﴾ وقال بعضُ المفسرينَ: سببُ الآيةِ أنَّ قوماً آمنوا وثَبَّطَهُمْ أزْوَاجُهم وأولادُهم عَنْ الهجرةِ فَلَمْ يُهَاجِروا إلا بَعْدَ مدةٍ، فَوَجَدُوا غيرَهم قد تَفَقَّهَ في الدين، فَنَدِمُوا وهَمُّوا بمعاقبةِ أزواجِهم وأولادِهم، ثم أَخْبَرَ تعالى أن الأمْوَالَ والأولادَ فتنةٌ تَشْغَلُ المرءَ عَنْ مَرَاشِدِهِ، وتَحْمِلُه مِنَ الرَّغْبَةِ في الدنيا عَلَى مَا لاَ يَحْمَدُه في آخرته، ومنه قوله ﷺ: «الوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مُجْبَنَةٌ»[2]، وخَرَّجَ أبو داود حديثاً في مصنفه «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ كانَ يَخْطُبُ يَوْمَ الجمعةِ عَلى المِنْبَرِ حَتَّى جَاءَ الحَسَنُ والحسينُ عليهما قميصان أحمرانَ يجرانِهما، يعْثُرَانِ ويَقُومَانِ، فَنَزَلَ رسول اللَّه ﷺ عَنِ المنبرِ حَتَّى أَخَذَهُمَا، وصَعِدَ بِهِمَا، ثم قَرَأَ: ﴿إنما أمْوالُكُمْ وأولادكم فتنة...﴾ الآية، وقَال: إني

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٧)، برقم: (٣٤٢٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٠).
(٢) رواه ابن ماجه عن عبد اللَّه بن سلام قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى النبي ﷺ فضمهما إليه، وذكره، وللعسكري والحاكم عن الأسود بن خلف أنّ النبي ﷺ أخذ حسناً فقبله، ثم أقبل عليهم فقال: إن الولد مَجْبَنَة مبخلة، وأحسبه قال: مَجْهلة، وللعسكري أيضاً: عن أشعث بن قيس قال: مررت على النبي ﷺ، فقال لي: «ما فعلت بنتُ عمّك» قلت: نُفِسَتْ بغلام، وواللَّه لوددت أن لي به سبعة، فقال: «أما لَئِنْ قلتَ إنهم لمَجبنة مَبْخَلَة، وإنهم لقرة العين وثمرة الفؤاد»، وله أيضاً عن عمر بن عبد العزيز، قال: زعمت المرأة الصالحة خولة ابنة حكيم، أن رسول اللَّه ﷺ خرج وهو يحتضن حسناً أو حسيناً، وهو يقول: «إنكم لَتُجَبِّنون وتُجَهِّلون، وإنكم لَمِن ريحان اللَّه»، وأخرجه أبو يعلى والبزار بسند ضعيف عن أبي سعيد بلفظ: «الولد ثمرةُ القلب، وإنه مَبْخلة مَجبنة مَحْزَنة».
ينظر: «كشف الخفاء» (٢/ ٤٧٠).

رأيتُ هذينِ فَلَمْ أصْبِرْ، ثم أخَذَ في خُطْبَتِهِ»[١]، قال * ع[٢] *: وهذهِ ونحوُها هِي فتنةُ الفُضَلاءِ، فأما فتنةُ الجُهَّالِ الفَسَقَةِ؛ فَمُؤَدِّيَةٌ إلى كلِ فعلٍ مُهْلِكٍ، وفي «صَحِيحَي البخاري ومسلم» عن أبي ذرٍ قال: انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «هم الأَخْسَرُونَ، وَرَبِّ الكَعْبَةِ، هُمُ الأَخْسَرُونَ، وَرَبِّ الكَعْبَةِ، قُلْتُ: مَا شَأنِي أيرى فيَّ شَيْئاً؟ فَجَلَسْتُ وَهُوَ يَقُولُ؛ فَمَا اسْتَطَعْتُ أنْ أَسْكُتَ وتَغَشَّانِيَ مَا شاء اللَّهُ فَقُلْتُ: مَنْ هُمْ بأبي أنتَ وأمي يا رسولِ اللَّهِ؟ قال: هُمُ الأَكْثَرُونَ مَالاً إلاَّ مَنْ قَالَ هَكَذا وهَكَذَا وَهَكَذَا»[٣]/ وفي رواية: «إن الأَكْثَرِينَ هم ١٦٣ ب
الأقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إلاَّ مَنْ قَال بِالمَالِ، هَكَذَا وهَكَذَا، ـ وأشَارَ ابنُ شِهَابٍ بَيْنَ يَدَيْهِ وعن يمينه وعَنْ شماله ـ، وقَلِيلٌ مَاهُمْ» انتهى، واللفظ للبخاريّ.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم﴾ تَقَدَّمَ الخلافُ هَلْ هذه الآيَةُ نَاسِخَةٌ لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] أو لَيْسَتْ بناسخةٍ، بل هي مُبَيِّنَةٌ لها،

(١) أخرجه أبو داود (١/٣٥٨)، كتاب «الصلاة» باب: الإمام يقطع الخطبة للأمر يحدث (١١٠٩)، والترمذي (٥/٦٥٩)، كتاب «المناقب» باب: مناقب الحسن والحسين عليهما السلام (٣٧٧٤)، والنسائي (٣/١٠٨)، كتاب «الجمعة» باب: نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من خطبته وقطعه كلامه ورجوعه إليه يوم الجمعة (١٤١٣)، (٣/١٩٢)، كتاب «العيدين» باب: نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة (١٥٨٥)، وابن ماجه (٢/١١٩٠)، كتاب «اللباس» باب: لبس الأحمر للرجال (٣٦٠٠)، وأحمد (٥/٣٥٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٣٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (١١/٦٣)، كتاب «الاستئذان» باب: من أجاب بلبيك وسعديك (٦٢٦٨)، (١١/٥٣٣)، كتاب «الأيمان والنذور» باب: كيف كان يمين النبي ﷺ (٦٦٣٩)، ومسلم (٢/٦٨٦)، كتاب «الزكاة» باب: تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة (٣٠/٩٩٠)، والترمذي (٣/٣)، كتاب «الزكاة» باب: ما جاء عن رسول اللَّه ﷺ في منع الزكاة من التشديد (٦١٧)، والنسائي (٥/١٠)، كتاب «الزكاة» باب: التغليظ في حبس الزكاة (٢٤٤٠)، وأحمد (٥/١٥٢، ١٥٨ ـ ١٥٩)، والبيهقي (٤/٩٧)، كتاب «الزكاة» باب: جماع أبواب صدقة البقر السائمة، (١٠/٢٧)، كتاب «الأيمان» باب: الحلف باللَّه عز وجل أو اسم من أسماء اللَّه عز وجل، وابن خزيمة (٤/٩)، كتاب «الزكاة» باب: صفات ألوان عذاب مانع الزكاة إلى يوم القيامة، قبل الفصل بين الخلق، نعوذ باللَّه من عذابه (٢٢٥١)، والحميدي (١/٧٧)، برقم: (١٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/٣٦٤).
قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأن المَعْنَى: اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ؛ وهذا هو الصحيح، قال الثعلبي: قال الربيع بن أنس: ﴿ما استطعتم﴾ أيْ: جَهْدَكُمْ، وقيل: معناه: إذا أمْكَنَكُمْ الجهادُ والهجرةُ، فَلا يُفْتِنَنَّكُمُ المَيْلُ إلى الأمْوالِ والأوْلاَدِ، واسْمَعُوا ما تُوعظونَ به، وأطِيعُوا فيما تؤمَرُون به[١]، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ تَقَدَّم الكلامُ عليه، وأسْنَد أبو بكر بن الخطيب من طريقِ أبي هريرةَ وأبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «السَّخَاءُ شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ، وأَغْصَانُها في الدُّنْيَا، فَمَنْ كَانَ سَخِيًّا أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْهَا؛ فَلَمْ يَتْرُكْهُ الغُصْنُ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، والشُّحُّ شَجَرَةٌ في النَّارِ وَأَغْصَانُهَا في الأَرْضِ، فَمَنْ كَانَ شَحِيحاً، أَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَلَمْ يَتْرُكْهُ الغُصْنُ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ النَّارَ»[٢] انتهى، وَباقِي الآية بيِّنٌ.

---

(١) ذكره ابن كثير (٤/ ٣٧٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٣٤٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) أخرجه البيهقي في **«شعب الإيمان»** (٧/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥) (١٠٨٧٥) عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، و (١٠٨٧٧) عن أبي هريرة، وذكره العجلوني في **«كشف الخفاء»** (١/ ٥٤٥)، وزاد نسبته إلى الديلمي في **«الأفراد»**.

[تفسير] سُورَةِ الطَّلاَقِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ][1]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يأيها النبيُّ إذا طلَّقتم النساء﴾ أي: إذا أرَدْتُم طلاقَهُنَّ؛ قاله الثعلبيّ وغيره: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ وطَلاَقُ النساء حَلُّ/ عِصْمَتِهِنَّ، وصورَةُ ذلك وتَنويعِه مما لا ١٦٤ أ
يَخْتَصُّ بالتفسيرِ، ومعنى ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ أي: لاسْتِقْبَالِ عِدَّتِهِن، وعبارةُ الثعلبيِّ: أي: لِطُهْرِهِنَّ الذي يُحْصِينَه مِنْ عِدَّتِهِنَّ، وهو طُهْرٌ لَمْ يجامعْهَا فيه، انتهى، قال * ع[2] *: ومعنى الآيةِ أنْ لاَ يُطَلِّقَ أحَدٌ امرأتَه إلا في طُهْرٍ لَمْ يَمَسَّها فِيهِ، وهَذَا على مَذْهَبِ مالكٍ ومن قال بقوله؛ القائلينَ بأن الأَقْرَاءَ عندَهم هي الأطْهَارُ، فَيُطَلِّقُ عَنْدَهم المُطَلِّقُ في طُهْرٍ لم يمسَّ فيه، وتَعْتَدُّ به المرأةُ، ثم تَحِيضُ حَيْضَتَيْنِ تَعْتَدّ بالطهرِ الذي بَيْنَهُمَا ثُمَّ تُقِيمُ في الطُّهْرِ الثَّالِثِ مُعْتَدَّةً بِهِ، فإذا رأت أوّلَ الحَيْضَةِ الثالثةِ حلَّتْ، ومَنْ قَالَ بأنَّ الأَقْرَاءَ: الحَيْضُ وهُمُ العِرَاقِيُّونَ، قَالَ: ﴿لِعِدَّتِهن﴾ مَعْنَاهُ أنْ تُطَلَّقَ طَاهِراً فَتَسْتَقْبِلُ بِثلاَثِ حَيْضٍ كَوامِلَ فإذَا رأَتْ الطُّهْرَ بَعْدَ الثالثة، حلَّتْ، والأَصْلُ في مَنْعِ طَلاَقِ الحَائِضِ حَدِيث ابنِ عمرَ، ثم أمر تَعالى بإحْصَاء العِدَّةِ لِمَا يَلْحَقُ ذلك من أحكام الرَّجْعَةِ والسُّكْنَى، والميراثِ، وغير ذلك، وعبارة الثعلبي: ﴿وَأحصُوا العِدَّةَ﴾ أي: احْفَظُوا عَدَدَ قُرُوئِها الثلاثةِ وَنَحْوَه تفسيرُ ابن العربيّ؛ قال:

---

(١) سقط في: د.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣٢٣/٥).

قوله تعالى: ﴿وأحصوا العدة﴾ معْنَاهُ احْفَظُوا الوَقْتَ الَّذِي وَقَعَ فِيه الطَّلاَقُ لِمَا يَتَرتَّبُ عَلَى ذلكَ من الأحكامِ، انتهى من «أحكامه»، ثم أخبرَ تعالى بأنهنّ أحَقُّ بسكنى بيوتِهن التي طُلِّقْنَ فيها فَنَهَى سبحانَه عن إخراجِهنَّ وعَنْ خُروجِهنّ، وسنةُ ذلك ألا تَبِيتَ عَن بيتِها ولا تَغِيبَ عنهُ نهاراً إلا في ضرورةٍ ومَا لا خَطْبَ لَه من جائِز/ التصرُّفِ، وذلك لحفظِ النَّسَبِ ١٦٤ ب والتحرُّزِ بالنسَاء، واختُلِفَ في معنى قوله تعالى: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ فقال الحسن وغيره: ذلك الزِّنَا فَيُخْرَجْنَ للحَدِّ[1]، وقال ابن عباس: ذلك البَذَاءُ عَلَى الأَحْمَاءِ، فَتَخْرُجَ ويَسْقُطَ حَقُّها مِنَ المسكنِ، وتلزم الإقامَة في مسكنٍ تَتَّخِذُه حفظاً للنسبِ[2]، وفي مصحف[3] أبَيٍّ «إلا أنْ يَفْحُشْنَ عَلَيْكُمْ» وعبارةُ الثعلبيّ: عن ابن عباسٍ: «إلا أنْ تَبْذُوَ عَلَى أهْلِهَا فَيَحِلُّ لَهُمْ إخْرَاجُهَا»، انتهى، وهو معنى ما تقدم، وقرأ الجمهور: «مُبَيِّنَة» ـ بكسر الياءِ ـ، تقول بَانَ الشيءُ وَبَيَّنَ بمعنًى واحدٍ إلا أن التضعيفَ للمبَالَغَةِ، **وقرأ** عاصم[4]: «مُبَيَّنَة» ـ بفتح الياءِ ـ.

وقوله سبحانه: ﴿وتلك حدود الله﴾ إشارَةٌ إلى جميع أوامِرِه في هذه الآيةِ.

وقوله تعالى: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ قال قتادة وغيره: يريد به الرَّجْعَةَ، أي: أحْصُوا العدةَ وامْتَثِلُوا مَا أُمِرْتُمْ به تَجِدُوا المُخَلَّصَ إن ندمتم؛ فإنكم لا تدرونَ لعلّ الرَّجْعَةَ تكونُ بَعْدُ[5].

وقوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ يريدُ به آخر القروء، ﴿فأمسكوهن بمعروف﴾ وهُو حُسْنُ العِشْرَةِ، ﴿أو فارقوهن بمعروف﴾ [وهُو] أداء جَميعِ الحقوقِ، والوَفاءُ بالشُّروطِ حَسَبَ نَازِلَةٍ نَازِلَةٍ، وعبارة الثعلبي: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي: أشْرَفْنَ على انْقِضَاء عدتهن، انتهى وهو حسن.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٥ ـ ١٢٦)، برقم: (٣٤٢٥٢)، و (٣٤٢٥٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٣)، وابن كثير (٤/ ٣٧٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٥٢)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٣)، وابن كثير (٤/ ٣٧٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٥٢)، وعزاه لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن مردويه.

(٣) ينظر: «الكشاف» (٤/ ٥٥٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٢٣).

(٤) ينظر: «العنوان» (١٩٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٢٣)، وإنما قرأ بها عاصم من رواية أبي بكر، وكذلك قرأ بها ابن كثير.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٨)، بأرقام (٣٤٢٦٤، ٣٤٢٦٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٣)، وابن كثير (٤/ ٣٧٨).

وقوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوى عدل منكم﴾ يريدُ: على الرَّجْعَةِ وذلك شَرْطٌ في صحة الرَّجْعَةِ، وتَمْنَعُ المرأةُ الزَّوْجَ مِنْ نَفْسِهَا حَتّى يُشْهِدَ، وقال ابن عباس: عَلَى الرَّجْعَةِ والطلاقِ مَعاً[١]، قال النخعي: العَدْلُ مَنْ لم تظهرْ منه رِيبة[٢]، والعدلُ حَقِيقَةً/ الذي لا يخاف إلا اللّهَ. ١٦٥أ

وقوله سبحانه: ﴿وأقيموا الشهادة للّه﴾ أمْرٌ للشهودِ.

وقوله: ﴿ذٰلكم يوعظ به﴾ إشارةٌ إلى إقامة الشهادةِ؛ وذلك أنّ فُصُولَ الأَحْكَامِ تدور على إقامة الشهادةِ.

وقوله سبحانه: ﴿ومن يتق اللّه يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ قال بعض رواة الآثار، نزلتْ هذه الآيةُ في عَوْفِ بن مالك الأشجعي؛ أُسِرَ ولدُه وقُدِرَ عليه رزقُه، فَشَكَا ذلكَ إلى النبي ﷺ، فَأَمَرَه بالتَّقْوَى، فلم يلبثْ أن تَفَلَّتَ ولدُه وأَخَذَ قطيعَ غَنَمٍ للقومِ الذين أَسَرُوه، فَسَأَلَ عَوْف النبيَّ ﷺ: أَتَطِيبُ لَهُ تِلْكَ الغَنَمُ؟ فقال: نَعَمْ[٣]، قال أبو عمر بن عبد البر: قال النبيُّ ﷺ: «أبى اللّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ يَجْعَلَ أرْزَاقَ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ إلاَّ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُونَ»[٤] وقال ـ عليه السلام ـ لابن مسعود: «لاَ يَكْثُرْ هَمُّكَ، يَا عَبْدَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٢٩)، برقم: (٣٤٢٧٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٤).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٤)، والسيوطي في **«الدر المنثور»**، وعزاه لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٩٢).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ا هـ.
قال الذهبي ـ معقباً على كلام الحاكم ـ: بل منكر وعباد رافضي جبل، وعبيد متروك، قاله الأزدي. ا هـ.

(٤) ذكره العجلوني في **«كشف الخفاء»** (١/ ٣٤ ـ ٣٥)، بلفظ: «أبى اللّه أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يعلم»، وقال في **«التمييز»** تبعاً للأصل: أخرجه الديلمي من حديث أبي هريرة من رواية عمر بن راشد وهو ضعيف جداً، وقال البيهقي: ضعيف بالمرة، وأورده ابن الجوزي في **«الموضوعات»**، وزاد في الأصل: ورواه القضاعي في **«مسنده»** فقال: اجتمع أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، فتماروْا في شيء، فقال لهم علي: انطلقوا بنا إلى رسول اللّه، فلما وقفوا عليه قالوا: يا رسول اللّه، جئنا نسألك عن شيء، فقال: «إن شئتم، فسألوا، وإن شئتم خبرتكم بما جئتم له»، فقال لهم: «جئتم تسألوني عن الرزق من أين يأتي؟ وكيف يأتي؟»، فذكر: أبى اللّه ـ الحديث المذكور ـ، ورواه الديلمي كما في **«الدرر»** عن أبي هريرة: بلفظ: «أبى اللّه أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب»، ورواه العسكري، وابن ماجه بسند ضعيف عن علي رفعه إنما تكون الصنيعة إلى ذي دين أو حسب، وجهاد الضعفاء الحج، وجهاد المرأة حسن التَّبَتّل لزوجها، والتودد نصف الإيمان، وما علل أمر على اقتصاد، واستنزلوا الرزق بالصدقة، وأبى اللّه إلا أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث لا يحتسبوا. قال النجم: ولا يصح شيء منها انتهى. وأقول: الحديث بطرقه معناه صحيح وإن كان ضعيفاً، ففي التنزيل: ﴿ومن يتق اللّه يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ والمعنى: كما قال البيهقي وغيره: ـ أبى اللّه أن يجعل أرزاق

اللَّهِ؛ مَا يُقَدَّرْ يَكُنْ وَمَا تُرْزَقْ يَأْتِكَ[١]، وعنه ﷺ «اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بالصَّدَقَة»[٢]، انتهى من كتابه المسمى بـ«**بهجة المجالس وأنس المجالس**».

وقوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على اللَّه فهو حسبه﴾ هذهِ الآياتُ كلُّها عِظَةٌ لجميعِ الناسِ، ومعنى حَسْبُهُ: كَافِيهِ. وقال ابن مسعود: هذه أكْثَرَ الآيات حَضًا على التفويضِ للَّه[٣].

وقوله تعالى: ﴿إن اللَّه بالغ أمره﴾ بَيَانٌ، وَحَضٌّ عَلى التوكلِ، أي: لا بُدَّ مِنْ نفوذِ أمرِ اللَّهِ؛ توكلتَ أيُّها المرءُ أوْ لَمْ تَتَوَكَّلْ؛ قاله مسروق؛ فإنْ توكلتَ على اللَّهِ كَفَاكَ وَتَعَجَّلَتِ الراحةُ والبَرَكَةُ، وإن لم تتوكَّلْ وَكَلَكَ إلى عَجْزِكَ وَتَسَخُّطَكَ، وأمرُه سبحانَه في الوجهين نَافِذٌ.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾﴾

١٦٥ ب وقوله سبحانه:/ ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم...﴾ الآية، «اللائي» جمعُ «التي» واليائساتُ من المحيض على مراتبَ؛ مَحَلُّ بَسْطِها كُتُبُ الفِقْهِ، وَرَوَىٰ إسماعيلُ بْنُ خالدٍ؛ أنَّ قَوْماً منهم أُبَيُّ بن كعبٍ وخَلاَّدُ بْنُ النُّعْمَانِ، لما سمعوا قوله تعالى: ﴿وَالمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] قَالُوا: يا رسولَ اللَّه؛

عباده من حيث يحتسبون، وهو كذلك، فإن اللَّه تعالى يرزق عباده على حيث يحتسبون تارة كالتجارة والحراثة، وتارة يرزقهم من حيث لا يحتسبون، كالرجل يصيب معدناً، أو ركازاً، أو يرث قريباً له يموت، أو يعطيه أحد مالاً من غير استشراف نفس ولا سؤال، وآية ﴿ومن يتق اللَّه﴾ ليس فيها حصر فليتأمل!!.

(١) ذكره العجلوني في «**كشف الخفاء**» (٢/ ٥٢٣)، وقال: رواه أبو نعيم عن خالد بن رافع، وهو مختلف في صحبته، والأصبهاني في «**ترغيبه**» عن مالك بن عمرو المغافري مرسلاً، ولأبي نعيم أيضاً عن أنس قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما لامني فيما نَسيت ولا فيما ضَيَّعت، فإن لامني بعضُ أهله قال: دَعُوه، فما قُدِّر فهو كائن، وفي رواية: خدمتُ رسول اللَّه ﷺ عشر سنين، وكان بعضُ أهله إذا قال لي شيئاً قال: دَعُوه، فما قُدِّر سيكون.

(٢) انظر الحديث قبل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٣٢)، برقم: (٣٤٢٩٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٤).

فما عِدَّةُ مَنْ لاَ قَرْءَ لَهَا؛ مِنْ صِغَرٍ أو كِبَرٍ[١]، فنزلَتْ هذه الآية، فقالَ قائلٌ منهم: فَمَا عِدَّةُ الحَامِلِ فنزلَتْ: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ وهُو لفظٌ يَعُمُّ الحواملَ المطلقاتِ والمعْتَدَّاتِ من الوَفَاةِ، والارتيابُ المذكورُ قيلَ: هو بأمر الحَمْلِ.

وقوله سبحانه: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم...﴾ الآية، أمْرٌ بإسكانِ المطلقاتِ ولاَ خِلاَفَ في ذلك؛ في التي لَمْ تُبَتَّ وأمَّا المَبْتُوتَةُ؛ فَمَالكٌ يَرَى لَها السُّكْنَى لمكانِ حِفْظِ النسب، ولا يَرَى لها نَفَقَةً؛ لأنَّ النفقةَ بإزَاء الاسْتِمْتَاع، وقال الثعلبيُّ: ﴿من حيث سكنتم﴾ أي: في مساكِنِكم التي طلقتموهنَّ فِيها، انتهى، والوُجْدُ السَّعَةُ في المالِ، وأما الحَامِلُ فَلا خِلاَفَ في وُجُوبِ سُكْنَاها ونفقتِها؛ بُتَّتْ أوْ لَمْ تُبَتَّ؛ لأنَّها مُبَيَّنة في الآيةِ، وإنما اخْتَلَفُوا في نفقةِ الحامِلِ المُتَوفَّى عَنْهَا زوجُها، هَلْ يُنْفَقُ عَلَيْهَا مِنَ التِّرْكَةِ، أمْ لاَ، وكذلكَ النَّفَقَةُ على المُرْضِعِ المطلقةِ وَاجِبَةٌ، وبَسْطُ ذلك في كتبِ الفقه.

وقوله سبحانه: ﴿وأتمروا بينكم بمعروف﴾ أي ليأمُرْ كلُّ واحدٍ صاحبَه بخيرٍ، ولْيَقْبَلْ كلُّ أحَدٍ مَا أُمِرَ بهِ من المعروف.

وقوله سبحانه: ﴿وإن تعاسرتم﴾ أي: تَشَطَّطت[٢] المرأة في الحدِّ الذي يكونُ أُجْرَةً على الرَّضَاعِ، فللزَّوْجِ أن يسترضِع/ بما فيه رِفقُه إلا ألاَّ يقبلَ المولودُ غَيْرَ أمِّه، فَتُجْبَرُ هِي ١٦٦أ
حِينَئِذٍ عَلى رَضَاعِهِ بأجْرَةِ مثلها ومثل الزوجِ في حالهما وغناهما.

* ت *: وهذا كله في المطلقة البائِنِ، قال ابن عبد السلام من أصحابنا: الضميرُ في قوله تعالى: ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾ عائِدٌ على المطلقاتِ وكَذٰلِكَ قوله تعالى: ﴿والْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أوْلاَدَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وأمَّا ذَاتُ الزوج أو الرَّجْعِية، فَيَجِبُ عليها أنْ ترضِعَ مِنْ غَيْرِ أجْرٍ إلا أنْ تكونَ شريفَةً فلا يلزمُها ذلك، انتهى.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٥٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر من طريق الثوري.

(٢) الشَّطَطُ: مجاوزة القدر في بيع أو طلبٍ أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء.
ينظر: «لسان العرب» (٢٢٦٣).

﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لينفق ذو سعة من سعته...﴾ الآية، عَدَلَ بَيْنَ الأزواج لِئَلاَّ تَضِيعَ هي ولا يُكَلَّفَ هو ما لا يُطِيقُ، ثُم رجَّى تعالى باليُسْرِ تِسْهِيلاً على النفوس وتطييباً لها.

وقوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ الثعلبي: وكأين: أي: وَكَمْ مِنْ قَرْيَة، ﴿عَتَتْ﴾ أي: عَصَتْ.

وقوله: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا﴾ قال * ع[1] *: قال بعضُ المتأولينَ: الآيةُ في أحوالِ الآخِرَةِ، أي: ثمَّ هُو الحسابُ والتعذيبُ والذَوْقُ وخَسَارُ العَاقِبَةِ، وقال آخرونَ: ذلك في الدنيا، ومعنى ﴿حَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً﴾ أي: لم تُغْتَفَرْ لهم زَلَّةٌ، بل أُخِذَتْ بالدقائق من الذنوب، ثم نَدَبَ تعالى أولي الألباب إلى التقوى تحذيراً.

وقوله تعالى: ﴿قد أنزل اللّه إليكم ذكراً * رسولاً﴾ اخْتُلِفَ في تقديرِه، وأَبْيَنُ الأقوالِ فيه معنى أنْ يكونَ الذكرُ القرآنُ، والرسول محمداً ﷺ، والمعْنَى وأرْسَلَ رسولاً لكنَّ الإيجازَ اقتضَى اختصارَ الفعلِ الناصب للرسول؛ ونحا هذا المنحى السدي، وسائرُ الآيةِ بيِّن[2].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿اللّه الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن﴾ لا خلافَ بين العلماءِ أن السمٰواتِ سَبْعٌ وأمّا/ الأرْضُ فالجمهورُ: على أنها سَبْعُ أرَضِينَ، وهو ظاهرُ هذهِ ١٦٦ ب
الآيةِ، وإنما المُمَاثَلَةُ في العددِ، ويُبَيِّنُه قوله ﷺ في الحديثِ الصحيح: «مَنْ غَصَبَ شِبْراً مِنَ أرْضٍ طَوَّقَه اللّه مِنْ سَبْعِ أرضِينَ»، إلى غير هذا مما وردت به الرواياتُ، ورُوِيَ عن قوم مِنَ العلماءِ أنهم قَالوا: الأرْضُ واحِدَةٌ وهي مماثلةٌ لكلِّ سَماءٍ بانْفِرَادِها في ارتفاع جُرْمِها، وفي أن فيها عَالماً يعبُدُ اللّهَ كما في كلِّ سَماءٍ عَالَمٌ يعبُد اللّه.

وقوله سبحانه: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ الأمْرُ هنا يعُمُّ الوحيَ وجميعَ ما يأمُرُ به سبحانه

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٢٧).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٤)، برقم: (٣٤٣٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٢٧).

من تَصْرِيف الرياحِ، والسحابِ، وغير ذلك من عجائب صنعه؛ لاَ إِلٰه غيرُه، وبَاقِي السُّورَةِ وَعْظٌ وحَضٌ على توحيدِ اللّه ـ عز وجل ـ.

وقوله: ﴿على كل شيء قدير﴾ عُمُومٌ معناه الخُصُوصُ في المقدوراتِ.

وقوله: ﴿بكل شيء علماً﴾ عمومٌ عَلى إِطْلاَقِه.

[تفسيرُ] سُورَةِ التَّحْرِيمِ

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يأيها النبي لم تحرم ما أحل اللَّه لك...﴾ الآية، وفي الحديث من طُرُقٍ ما معناه؛ أنَّ النبيَّ ﷺ جاءَ إلى بيتِ حَفصةَ، فوجدَها قد مرَّتْ لزيارةِ أبيها، فَدَعَا ﷺ جاريَتَهُ مَارِيَّةَ، فَقَالَ مَعَها، فَجاءَتْ حَفصةُ وَقَالَت: يا نبيَّ اللَّهِ! أفِي بَيْتِي وَعَلَىٰ فِرَاشِي؟ فَقَالَ لَهَا ﷺ: مترضِّياً لها: «أيُرْضِيكِ أنْ أُحَرِّمَها؟ قَالَتْ: نَعَمْ؛ فقال: إنِّي قَدْ حَرَّمْتُهَا»، قال ابن عباس: وقالَ مَعَ ذلكَ: واللَّهِ، لاَ أَطَؤُهَا أَبداً، ثم قال لها: لاَ تُخْبِري بِهَذَا أَحداً[1]، ثم إنَّ حَفصةَ قَرَعَتِ الجِدَارَ الَّذِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَائِشَةَ، وَأَخْبَرَتْهَا لِتُسِرَّهَا بالأَمْرِ، وَلَمْ
١٦٧أ تَرَ فِي إِفْشَائِهِ إِلَيْهَا حَرَجاً، واسْتَكْتَمَتْهَا، / فَأَوْحَى اللَّهُ بِذَلِكَ إِلَىٰ نَبِيِّهِ، ونزلَتِ الآيةُ، وفي حديثٍ آخَرَ عن عائشةَ أنَّ هذا التحريمَ المذكورَ في الآية؛ إنَّما هُو بِسَبَبِ العَسَلِ الذي شَرِبَه ﷺ عِنْدَ زينبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَتمالأَتْ عائشةُ وحفصةُ وسَوْدَةُ على أنْ تَقُولَ له؛ مَنْ دَنَا مِنْهَا: إنَّا نَجِدُ مِنكَ رِيحَ مَغَافِيرَ، أأكَلْتَ مَغافِيرَ يَا رَسُولَ اللَّه؟ والمَغَافِيرُ: صَمْغُ العُرْفُطِ، وَهُوَ حُلْوٌ كَرِيهُ الرَّائِحَةِ، فَفعَلْنَ ذَلِكَ، فَقالَ رسولُ اللَّه: ما أَكَلْتُ مَغَافِيرَ، وَلَكِنِّي شَرِبْتُ عَسَلاً، فقلْنَ له: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ[2]؟ فقال: ﷺ لاَ أَشْرَبُه أَبداً، وكانَ يَكْرَهُ أنْ تُوجَدَ مِنْهُ رَائحةٌ كَرِيهةٌ، فدخلَ بعد ذلك على زينبَ فَقَالَتْ: أَلا أَسْقِيكَ مِنْ ذَلِكَ العَسَلِ؟ فَقَال:

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٤٨ ـ ١٤٩)، برقم: (٣٤٣٩٢)، (٣٤٣٩٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٣٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٦٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٢) العُرْفُط: شجر الطلح، وله صمغ كريه الرائحة، فإذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه. ينظر: «المنهاج» (٣/ ٢١٨).

لاَ حَاجَةَ لِي بِهِ، قالت عائشةُ: تَقُولُ سَوْدَةُ حِينَ بَلَغَنَا ٱمْتِنَاعُهُ: وَاللَّهِ، لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، فَقُلْتُ لَها: ٱسْكُتِي، قال * ع[١] *: والقولُ الأوَّلُ أن الآيةِ نزلتْ بسبب مارية أَصَحُّ وأَوْضَحُ، وعليه تَفَقَّه الناسُ في الآية، ومَتَى حَرَّمَ الرَّجُلُ مَالاً أو جاريةً فليسَ تحريمُه بشيءٍ، * ت *: والحديثُ الثَّانِي هو الصحيحُ خَرَّجَه البخاريُّ ومسلمُ وغيرهما، ودَعَا اللَّهُ تعالى نبيَّه باسْم النبوَّةِ الذي هو دالٌّ على شَرَفِ مَنْزِلَتِه وَفَضِيلَتِه التي خَصَّهُ بِهَا، وقرَّره تعالى كالمُعَاتِبِ له على تحريمِه عَلى نفسِه مَا أحلَّ اللَّهُ له، ثم غَفَرَ لَه تَعَالَى مَا عَاتَبه فيه ورَحِمَه.

وقوله تعالى: ﴿قد فرض اللَّه﴾ أي: بيَّنَ وأثْبَتَ، فقال قوم من أهل العلم: هذه إشارَةٌ إلى تَكْفِيرِ التَّحْرِيم، وقال آخرونَ هي: إشارَةٌ إلى تكفيرِ اليمينِ المُقْتَرِنَةِ بالتحريم، والتَّحِلَّةُ مَصْدَرُ وزنها «تَفْعِلَة» وأدْغِمَ لاِجْتِمَاعِ/ المثلينِ، وأحالَ في هذه الآيةِ على الآيةِ التي ١٦٧ ب
فسَّر فِيها الإطْعَامَ في كفارةِ اليمينِ باللَّهِ تَعَالَى، والمَوْلَى المُوَالِي النَّاصِرُ.

﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه﴾ يعني حَفْصَةَ ﴿حديثاً﴾ قال الجمهورُ الحديثُ هو قولُهُ في أمر ماريةَ، وقال آخرونَ: بلْ هو قولُه: إنَّمَا شَرِبْتُ عَسَلاً.

وقوله تعالى: ﴿عرَّف بعضه﴾ المَعْنَى مَعَ شَدِّ الراءِ: أعْلَمَ بِهِ وأنَّب عليه وأعْرَض عن بعض، أي: تَكَرُّماً وَحَيَاءً وحُسْنَ عشرةٍ، قال الحسن: ما اسْتَقْصَى كريمٌ قط[٢]، والمخاطبة بقوله: ﴿إن تتوبا إلى اللَّه﴾ هي لحفصةَ وعائشةَ، وفي حديثِ البخاريّ، وغيره عن ابن عباس قال: قلت لعمر: من اللتان تَظَاهَرَتَا على رسول اللَّه ﷺ؟ قال: حفصةُ وعائشةُ[٣].

وقوله: ﴿صغت قلوبكما﴾ معناه مَالَتْ، والصَّغْيُ الميلُ، ومنه أَصْغَى إليه بأُذُنِه، وأَصْغَى الإنَاءَ، وفي قراءة ابن مسعود[٤]: «فَقَدْ زَاغَتْ قُلُوبُكُما» والزيغُ: الميلُ وعُرْفُه في خِلاَفِ الحَقِّ، وجَمَعَ القلوبَ مِن حيثُ الاثنانِ جَمْعٌ، * ص *: ﴿قلوبكما﴾ القياسُ فيه: قلباكما مُثَنًّى، والجمعُ أَكْثَرُ استعمالاً وحسْنُه إضافَتُه إلى مثنًى، وهو ضميرُهما؛ لأنَّهُمْ كَرِهُوا اجتماعَ تَثْنِيَتَيْنِ، انتهى، ومعنى الآيةِ إن تُبْتُما فَقَدْ كَانَ مِنكُمَا مَا يَنْبَغِي أنْ يُتَابَ منه، وهذا الجوابُ الذي للشَّرْطِ هُو متقدمٌ في المعنى، وإنما تَرتَّبَ جَوَاباً في اللفظِ، ﴿وإنْ تَظَاهَرَا﴾ معناه: تَتَعَاوَنَا وأصل: ﴿تَظَاهَرَا﴾ تَتَظَاهَرَا، و﴿مَوْلاَه﴾ أي: ناصرُه، ﴿وجبريل﴾

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣٠).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣٦٤)، وابن عطية (٥/ ٣٣١).
(٣) تقدم.
(٤) ينظر: «الكشاف» (٤/ ٥٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣١)، و«البحر المحيط» (٨/ ٢٨٦)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٣٥).

ومَا بعدَه يحتملُ أنْ يكونَ عَطْفاً على اسم اللَّهِ، ويحتملُ أنْ يكونَ جبريلُ رَفْعاً بالابتداءِ وَمَا بَعْدَهُ عَطْفٌ عَلَيْهِ و﴿ظَهِيرٌ﴾ هُو الخَبَرُ، وخَرّجَ البخاريّ بسنده عن أنس قال: قال عمر: اجْتَمَع نساءُ النبي ﷺ في الغِيرَةِ عليه فقلتُ لَهُنَّ: عسى ربُّه إنْ طَلَّقَكُنَّ أنْ يبدله أزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ، فنزلت هذه الآية[١]، انتهى، و﴿قانتات﴾ معناه مُطِيعَات، والسائحاتُ قِيل: معناه:
١٦٨أ صَائِمَاتٌ، وقيل: معناه:/ مُهَاجِرَاتٌ، وقيل: معناه ذَاهِبَاتٌ في طَاعَةِ اللَّهِ، وشُبِّه الصَّائِمُ بالسائِحِ من حيثُ يَنْهَمِلُ السائِحُ وَلا يَنْظُرُ في زادٍ ولاَ مَطْعَم، وكذلك الصائم يُمْسِك عن ذلك، فيستوي هو والسائِح في الامْتِنَاعِ، وشَظَفِ العَيْشِ لِفَقْدِ الطَّعَام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿يأَيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً...﴾ الآيةُ، ﴿قُوا﴾ معناه اجْعَلُوا وِقَايَةً بينكم وبينَ النارِ، وقوله: ﴿وأَهْلِيكُم﴾ معناه بالوَصِيَّةِ لهم والتقويم والحَمْلِ على طاعةِ اللَّه، وفي الحديثِ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً قَال: يا أَهْلاَهُ صَلاَتَكُمْ، صِيَامَكُمْ، [زَكَاتَكُمْ]، مِسْكِينَكُمْ، يَتِيمَكُمْ»[٢] * ت *: وفي **«العتبية»** عن مالكٍ أن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ أذِنَ لي أنْ أتَحدَّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ، إنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ لَمَخْفِقَ الطَّيْرِ سَبْعِينَ عَاماً»[٣]، انتهى، وباقي الآية في غَايَةِ الوضوح، نَجَّانَا اللَّهُ مِنْ عَذَابه بِفَضْلِه، والتوبةُ فَرْضٌ على كلّ مسلم، وهي الندمُ على فَارِطِ المعصيةِ، والعَزْمُ عَلى تَرْكِ مِثْلِها في المستقبل، هذا من المتمكنِ، وأما غيرُ المتمكِّنِ كالمَجْبُوبِ في الزِّنَا فالندمُ وحدَه يكفيه، والتوبةُ عِبادَةٌ كالصَّلاَةِ، وغيرها، فإذا تَابَ العبدُ وَحَصَلَتْ توبتُه بشروطِها وقبلت، ثم عَاوَدَ الذنبَ فتوبتُه الأولَى لا تفسدُها عَوْدَةٌ بل هي كسَائِرِ مَا تَحصَّلَ من

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٥٥)، برقم: (٣٤٤٢٥)، (٣٤٤٢٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٣٢)، وذكره ابن كثير (٤/ ٣٩٠).

(٢) ذكره الزيلعي في **«تخريج الأحاديث والآثار»** (٤/ ٦٦)، وقال: غريب.

(٣) تقدم تخريجه.

العباداتِ، والنَّصُوح بناءَ مبالغةٍ من النُّصْحِ، أي: توبة نَصَحَتْ صَاحِبها، وأرْشَدَتْه، وعن عمرَ: التوبةُ النصوحُ: هي أن يتوبَ ثم لا يعود ولا يريد أن يعودَ[١]، وقال أبو بكر الوَرّاق، هي أن تَضِيقَ عليكَ الأرْضُ بما رَحُبَتْ كتوبةِ الذين خُلِّفُوا. ورُوِيَ/ في معنى قولِه تعالى: ١٦٨ ب
«يوم لا يخزي اللّه النبي» أنَّ النبيَّ ﷺ تَضَرَّعَ مَرَّةً إلى اللّه ـ عز وجل ـ في أَمْرِ أُمَّتِهِ، فأوحَى اللّه إِلَيْهِ إنْ شِئْتَ جَعَلْتُ حِسَابَهُمْ إلَيْكَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَنْتَ أَرْحَمُ بِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: إِذَنْ لاَ أُخْزِيَكَ فِيهِمْ[٢].

وقولُه تَعالَى: ﴿والذينَ آمنوا معه﴾ يَحْتَمِل: أن يكونَ معطوفاً عَلى النبيِّ فيخرجُ المؤمِنونَ من الخزي، ويحتملُ: أنْ يَكُونَ مبتدأً، و﴿نورُهم يسعى﴾: جملةٌ هِي خبرُه، وقولهم: ﴿أتْمِمْ لَنَا نورَنا﴾ قال الحسنُ بن أبي الحسن: هو عِنْدَما يَرَوْنَ مِنِ انْطِفَاءِ نورِ المنافقين[٣] حَسْبَمَا تقدم تفسيرُه، وقيل: يقوله من أُعْطِي مِنَ النور بقدر ما يَرَى موضعَ قدميه فقط، وباقي الآية بيِّن مما تقدم في غيرِ هذا الموضع.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿ضرب اللّه مثلاً للذين كفروا امرأت نوح...﴾ الآية، هذَانِ المَثَلاَنِ اللذانِ للكفارِ والمؤمنينَ معناهما: أنَّ مَنْ كَفَرَ لا يُغْنِي عنه مِنَ اللّهِ شيءٌ ولا ينفعُه سَبَبٌ، وإنَّ مَنْ آمنَ لا يدفعُه عَنْ رِضْوَانِ اللّهِ دافعٌ وَلَوْ كَانَ في أسوإِ مَنْشَإٍ وأخسِّ حالٍ، وقول من قال: إنَّ في المَثَلَيْنِ عبرةً لأزْوَاجِ النبي ﷺ بعيدٌ. قال ابن عباس وغيره: «خَانَتَاهُما»: أي في الكُفْرِ[٤]، وفي أن امرأةَ نوحٍ كانَتْ تقول للناس: إنَّه مجنونٌ، وأن امرأةَ لوطٍ كَانَتْ تَنُمُّ

---

(١) أخرجه الطبري (٦/ ١٥٦)، برقم: (٣٤٤٤٤)، والبغوي (٤/ ٣٦٧)، وابن عطية (٥/ ٣٣٤)، وابن كثير (٤/ ٣٩٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٧٦)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وهناد، وابن منيع، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان».

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٥٩)، برقم: (٣٤٤٥٧ ـ ٣٤٤٥٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٣٤)، وابن كثير (٤/ ٣٩٢).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٣٥)، وابن كثير (٤/ ٣٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٧٧)، وعزاه

إلى قَوْمِها خَبَر أضْيَافِه، قال ابن عباس: وَمَا بَغَتْ زَوْجَةُ نَبِيٍّ قَطُّ[(١)]، وامرأة فرعون اسمُها آسية، وقولها: ﴿وعَمَلِه﴾ تعني كُفْرَهُ وما هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ.

وقوله: ﴿التي أحصنت فرجها﴾ الجمهورُ أنه فَرْجُ الدِّرْعِ، وقال قوم: هو الفَرْجُ الجَارِحَةُ وإحْصَانُه صَوْنُه.

١١٦٩ وقولُه سبحانه: ﴿فنفخنا فيه﴾ عبارةٌ عَنْ فِعل جبريلَ،/ * ت *: وقد عَكَسَ ـ رحمه اللّه ـ نَقْلَ ما نَسَبَهُ للجمهورِ في سورةِ الأنبياءِ فقال: المَعْنَى واذْكُرِ الَّتي أحصنتْ فَرْجَها وهو الجارِحَة المعروفةُ، هذا قولُ الجمهورِ، انظر بقيةَ الكلامِ هناك.

وقوله سبحانه: ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ إضافةُ مخلوقٍ إلى خالقٍ، ومملوك إلى مالكٍ، كما تقول بَيْتُ اللّهِ، ونَاقَةُ اللّهِ، وكذلك الرُّوحُ الجنسُ كلُّه هو روح اللّه، **وقرأ** الجمهور[(٢)]: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ بالجَمْعِ فَيُقَوِّي أنْ يريدَ التوراةَ، ويحتملُ أنْ يريدَ أَمْرَ عيسَى، **وَقَرَأَ** الجحدري[(٣)]: «بِكَلِمَة» فَيُقَوِّي أنْ يريدَ أَمْرَ عيسى، ويحتملُ أنْ يريدَ التوراةَ، فتكونُ الكلمةُ اسْمَ جنسٍ، **وقرأ** نافع[(٤)] وغيره: «وَكِتَابِهِ» **وقرأ** أبو عمرو وغيره: «وَكُتُبِهِ» ـ بضم التاء ـ وَالجَمْعِ، وذلك كلُّه مرادٌ بهِ التوراةُ والإنْجِيلُ، قال الثعلبيُّ: واختار أبو حاتم قراءة أبي عمرٍو بالجَمْعِ لعمومِها، واختار أبو عبيدة قِراءَة الإفْرَادِ؛ لأن الكتَابَ يُرَادُ به الجنسُ، انتهى؛ وهو حَسَنٌ، ﴿وكَانَتْ من القانتين﴾ أي: من القوم القانتينَ؛ وهم المطيعونَ العابِدونَ، وقد تقدَّم بيانه.

لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٦١)، برقم: (٣٤٤٦٢، ٣٤٤٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٣٦٨)، وابن عطية (٥/ ٣٣٥)، وابن كثير (٤/ ٣٩٣)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٣٧٧)، وعزاه لابن المنذر.

(٢) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٣٣٥ ـ ٣٣٦)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٢٩٠)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٣٣٩).

(٣) وقرأ بها مجاهد، والحسن.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٥٩)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٣٣٦)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٢٩٠)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٣٣٩).

(٤) وقرأ بها ابن كثير، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر، والكسائي، وحمزة. وقرأ بقراءة أبي عمرو ـ حفص عن عاصم، وخارجة عن نافع.
ينظر: **«السبعة»** (٦٤١)، و**«الحجة»** (٦/ ٣٠٤)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٣٧٦)، و**«حجة القراءات»** (٧١٥)، و**«العنوان»** (١٩٣)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٦١)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥٤٩)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٧٨).

[تفسيرُ] سُورَةِ المُلْكِ

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

وَكَانَ النبيُّ ﷺ يقرؤها عند أَخْذِ مَضْجَعِهِ؛ رواه جماعة مرفوعاً[١]، ورُوِيَ أنَّها تُنَجِّي مِنْ عَذَابِ القَبْرِ[٢]، وتُجادِلُ عن صاحبِها، حتى لا يعذَّبَ[٣]، ورَوَى ابن عباس أن النبي ﷺ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنَّ سُورَةَ «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ» في قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ»[٤]، * ت *: وَقَدْ خَرَّجَ مالكٌ في «المُوَطَّأ»: أنَّها تُجَادِلُ عَنْ صَاحِبَها؛ وَخَرَّجَ أبو داودَ / والترمذيُّ والنسائي، وأبو الحسنِ بن صَخْر، وأبو ذر الهرويُّ، وغيرهم أحادِيثَ في فضلِ ١٦٩ ب
هذه السورةِ نَحْوَ مَا تَقَدَّم، ولَوْلاَ مَا قَصَدْتُهُ من الاختصارِ لَنَقَلْتُها هُنَا، ولكن خَشْيَةَ الإطَالَةِ مَنَعَتْنِي مِنْ جَلْبِ كَثِيرٍ مِنَ الآثارِ الصحيحةِ، في هذا المختصر، وانظر الغافقي؛ فَقَد استوفى

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨١)، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) أخرج الترمذي في هذا المعنى حديثاً (٥/ ١٦٤)، كتاب «فضائل القرآن» باب: ما جاء في فضل سورة الملك (٢٨٩٠) عن عبد الله بن عباس، بلفظ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لاَ يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾ حَتَّى خَتَمَهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ، وَأَنَا لاَ أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ المُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ المَانِعَةُ، هِيَ المُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».
قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٨) عن عبد الله بن عباس، بلفظ: «يؤتى الرجل في قبره، فتؤتى رِجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقوم يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قِبَل صدره، أو قال: بطنه، فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيل، كان يقرأ بي سورة الملك، قال: فهي المانعة تمنع من عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلةٍ فقد أكثر وأطنب».
والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٩٤) (٢٥٠٩)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٦٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٠)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه، وعبد بن حميد، والطبراني.
قال الحاكم: هذا إسناد عند اليمانيين صحيح ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي في قوله ذلك، وقال: لحفص واهٍ.

نقلَ الآثارِ في فضلِ هذهِ السورة.

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ ﴿تَبَارَكَ﴾ مِنَ البركةِ وهي التَزَيُّدِ في الخيراتِ، قال الثعلبي: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ أي: تَعَالَى وتَعَاظَمَ وَقَالَ الحسنُ: تَقَدَّسَ الذي بيده الملكُ في الدنيا والآخرة[١]، وقال ابن عباس: ﴿بيده الملكُ﴾: يُعِزُّ مَنْ يَشاء ويذل من يشاء[٢]. انتهى.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿الذي خلق الموت والحياة...﴾ الآية، الموتُ والحياةُ مَعْنَيَانِ يَتَعَاقَبَانِ جِسْمَ الحيوانِ، يَرْتَفِعُ أحدهما بحلُولِ الآخَرِ، وما جاء في الحديثِ الصحيح من قولهِ ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «يُؤتَى بِالمَوْتِ يَوْمَ القِيَامَةِ في صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ»[٣] الحديث، فقال أهْلُ العِلْمِ: إِنَّما ذَلِكَ تِمْثَالُ كَبْشٍ يُوقِعُ اللَّهُ العِلْمَ الضَّرُورِيَّ لِأَهْلِ الدَّارَيْنِ أَنَّه الموتُ الذي ذَاقُوه في الدنيا، ويكونُ ذلك التمثالُ حَامِلاً للموتِ، لاَ عَلى أنه يَحُلُّ الموتُ فيه فَتَذْهَبُ عنهُ حياةٌ، ثم يَقْرِنُ اللَّه تعالى في ذلك التمثالِ إعْدَامَ الموتِ.

وقوله سبحانه: ﴿لِيَبْلُوَكم﴾ أي: جَعَلَ لَكُمْ هاتينِ الحالتَيْنِ ليبلوكم، أي: ليختبرَكم في حالِ الحياةِ ويُجَازِيكُم بَعْدَ الممات، وقال أبو قتادة، ونحوه عن ابن عمر، قلت:
١١٧٠ يا رسول اللَّه، مَا مَعْنَى قولِه/ تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾؟ فَقَال: يقول: أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقلاً، وأَشَدُّكم للَّهِ خَوْفاً، وأَحْسَنُكم في أَمْرِه ونهيهِ نَظَراً، وإن كَانُوا أقلَّكم تطوُّعاً[٤]، وقال ابن عباس وسفيان الثوري والحسن: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أزْهَدُكُمْ في

---

(١) ذكره القرطبي (١٨/ ١٣٤).
(٢) ذكره القرطبي (١٨/ ١٣٤)، وابن عطية (٥/ ٣٣٧).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٣٧).

الدنيا[١]، قال القرطبي[٢]: وقال السدي: (أَحْسَنُكُمْ عَمَلاً)، أي: أكثَركم للموت ذِكْراً، وله أحْسَنُ استعداداً، ومِنه أشَدُّ خوفاً وحذَراً، انتهى من «التذكرة»، ولله در القائل: [الطويل]

وَفِي ذِكْرِ هَوْلِ المَوْتِ وَالقَبْرِ والبِلَىٰ ... عَنِ الشُّغْلِ بِاللَّذَّاتِ لِلْمَرْءِ زَاجِرُ
أَبَعْدَ اقْتِرَابِ الأَرْبَعِينَ تَرَبُّصٌ ... وَشَيْبٌ فَذَاكَ مُنْذِرٌ لَكَ ذَاعِرُ
فَكَمْ فِي بُطُونِ الأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا ... مَحَاسِنُهُمْ فِيهَا بَوَالٍ دَوَاثِرُ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مُكِبٌّ مُنَافِسٌ ... لِخُطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مُكَاثِرُ
عَلَىٰ خَطَرٍ تُمْسِي وَتُصْبِحُ لاَهِياً ... أَتَدْرِي بِمَاذَا لَوْ عَقَلْتَ تُخَاطِرُ
وَإِنَّ امْرَأً يَسْعَىٰ لِدُنْيَاه جَاهِداً ... وَيَذْهَلُ عَنْ أُخْرَاهُ لاَ شَكَّ خَاسِرُ
كَأَنَّكَ مُغْتَرٌّ بِمَا أَنْتَ صَائِرٌ ... لِنَفْسِكَ عَمْداً أَوْ عَنِ الرُّشْدِ جَائِرُ
فَجِدَّ وَلاَ تَغْفُلْ فَعَيْشُكَ زَائِلٌ ... وَأَنْتَ إِلَىٰ دَارِ المَنِيَّةِ صَائِرُ
وَلاَ تَطْلُبِ الدُّنْيَا فَإِنَّ طِلاَبَهَا ... وَإِنْ نِلْتَ مِنْهَا ثَرْوَةً لَكَ ضَائِرُ
وَكَيْفَ يَلَذُّ العَيْشَ مَنْ هُوَ مُوقِنٌ ... بِمَوْقِفِ عَدْلٍ يَوْمَ[٣] تُبْلَى السَّرَائِرُ
لَقَدْ خَضَعَتْ وَاسْتَسْلَمَتْ وَتَضَاءَلَتْ ... لِعِزَّةِ ذِي العَرْشِ المُلُوكُ الجَبَابِرُ

انتهى، و﴿طِبَاقاً﴾ قال الزَّجَّاجُ: هو مصدرٌ، وقيل: جمعُ طَبَقَةٍ، أو جَمْعُ طَبَقٍ، والمعنى: بعضُها فوق بعض، وقال إبان بن ثعلب: سمعتُ أعرابياً يذُمّ رَجُلاً فقال: شَرُّهُ طِبَاقٌ/ وَخَيْرُه غَيْر باقٍ، وما ذَكره بعضُ المفسرينَ في السمٰواتِ مِنْ أنَّ بعضَها مِن ذَهَبٍ ١٧٠ ب
وفضةٍ وياقوتٍ ونحوِ هذا، ضعيفٌ لم يَثْبُتْ بذلك حديث.

وقوله سبحانه: ﴿ما ترى في خلق الرحمٰن من تفاوت﴾ معناه من قِلَّةِ تَنَاسُبٍ، ومِنْ خروجٍ عن إتقانٍ، قال بعض العلماء: خَلْقُ الرحمٰنِ، معنيٌّ بِهِ السمٰواتُ وإيَّاها أرادَ بقوله: ﴿هل ترى من فطور﴾ وبقوله: ﴿ينقلب إليك البصر...﴾ الآية، وقال آخرون: بلْ يعني بِهِ جَميعَ مَا خَلَقَ سبحانه من الأشياء فإنَّها لاَ تَفَاوُتَ فيها، ولا فطورَ جاريةً عَلى غَيْرِ إتْقَانٍ، قال منذر بن سعيد: أمَرَ اللَّهُ تعالى بالنظرِ إلى السماءِ وخَلْقِها، ثم أمرَ بتكريرِ النظرِ، وكذلك جميعُ المخلوقاتِ مَتَى نَظَرَها ناظرٌ لِيَرَى فيها خَلَلاً أو نَقْصاً فإنَّ بصرَه ينقلبُ خَاسِئاً

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٣٦٩) عن الحسن.
(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٣٥)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٢)، وعزاه لابن أبي الدنيا، والبيهقي في «شعب الإيمان».
(٣) في د: حين.

حَسِيراً، وَرَجْعُ البصرِ: ترديدُه في الشيءِ المبْصَرِ، و﴿كرتين﴾ معناه مرتين، والخاسىء المبْعَدُ عن شيءٍ أرَادَه، وحَرَصَ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فيها﴾ [المؤمنون: ١٠٨] وكذلكَ البصرُ يحرصُ على رؤيةِ فطورٍ أو تفاوتٍ، فلا يَجِدُ ذلك، فينقلبَ خاسِئاً، والحسيرُ العَيِيُّ الكالُّ.

وقوله تعالى: ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ يعني: النجومَ، قال الفخر[١]: ومعنى ﴿السماء الدنيا﴾ أي: القريبةُ مِنَ الناسِ، وليسَ في هذهِ الآيةِ ما يدلُّ عَلى أنَّ الكواكبَ مركوزةٌ في السماء الدنيا، وذلك لِأنَّ السمٰواتِ إذا كَانَتْ شَفَّافَةً فالكواكبُ سَواءٌ كَانَتْ في السماءِ الدنيا، أو كانَتْ في سمٰواتٍ أخرَى فَوقَها، فهي لا بد أنْ تَظْهَرَ في السماء الدنيا، وتَلُوحُ فِيها، فَعَلَى كِلاَ التَّقْدِيرَيْنِ فالسَّماء[٢] الدُّنْيَا مُزَيَّنَةٌ بها، انتهى.

١٧١ أ وقوله: ﴿وجعلناها﴾ معناه وجَعَلْنَا مِنها ويُوجِبُ/ هذا التأويلُ في الآيةِ أنَّ الكواكبَ الثابتةَ، والبروجَ، وكلَّ ما يُهْتَدَى به في البرِّ والبحرِ؛ لَيْسَت براجمةٍ، وهذا نصّ في حديثِ السير قال الثعلبي: ﴿رُجُوماً للشَّيَاطِينِ﴾ يُرْجَمُونَ بِها إذَا اسْتَرَقُوا السَّمْعَ فلا تُخْطِئُهُم، فمنهم مَنْ يُقْتَلُ ومنهم من يُخْبَلُ، انتهى.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم﴾ قال * ع[٣] *: تضمنتِ الآيةُ أنَّ عذابَ جهنمَ للكفارِ المُخَلَّدِينَ، وقد جاءَ في الأثر: أنه يَمُرُّ على جهنَم زَمانٌ تُخْفِق أبوابَها، قد أخْلَتْها الشفاعةُ، والذي يقال في هذا أن جهنَّمَ اسْمٌ تُخْتَصُّ به الطبقةُ العُلْيَا من النارِ، ثم قَدْ تُسَمَّى الطبقاتُ كلها باسْم بَعْضِها، فالتي في الأثرِ هي الطبقةُ العُلْيَا لأنَّها مَقَرُ العُصَاةِ من المؤمنينَ، وَالَّتي في هذهِ الآيةِ هي جهنمَ بأسرها، أي: جميعُ الطبقاتِ، والشَّهيقُ أقبَحُ ما يكونُ من صوتِ الحمارِ، فاشْتِعَالُ النار وغَلَيَانُها يُصَوِّتُ مِثْل ذلك.

وقوله: ﴿تكاد تميز﴾ أي يُزَايِلُ بَعْضُها بَعْضاً لشِدَّةِ الاضْطِرَابِ، و﴿من الغيظِ﴾

---

(١) ينظر: «الفخر الرازي» (٥٣/٣٠).
(٢) في د: في السماء.
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٣٣٩/٥).

معناه: على الكَفَرَةِ باللَّهِ، والفَوْجُ: الفريقُ من الناس، وظاهر الآية أَنَّه لا يُلْقَى في جهنَّمَ أحَدٌ إلا سُئِلَ عَلى جهة التوبيخ.

وقوله سبحانه: ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ يحتملُ أنْ يكونَ من قولِ الملائكةِ، ويحتملُ أنْ يكونَ من تمامِ كَلاَمِ الكفارِ للنُّذُرِ، قال الفخر[1]: وقوله ـ تعالى ـ عنهم: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ قيل إنما جَمَعُوا بين السَّمْعِ والعَقْلِ؛ [لأن مَدَارَ التكليفِ على أدلة السمعِ والعقلِ]، انتهى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ يحتملُ معنيين: أحدُهما بالغَيْبِ الذي/ أُخبِروا بهِ مِن النَّشْرِ والحشر والجنة والنار، فآمنوا بذلك وخَشُوا ربَّهم فيه؛ ونحا إلى ١٧١ ب
هذا قتادة[2]، والمعنى الثاني: أنهم يَخْشَوْنَ ربهم إذا غَابُوا عن أعْيُنِ الناس، أي: في خلَواتِهم في صلاتهم وعباداتهم.

وقوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم...﴾ الآية، خطابٌ لجميع الخَلْقِ، و﴿ذلولاً﴾ بمعنى مَذْلُولَةٍ، و﴿مناكبها﴾ قال مجاهد: هي الطُّرُقُ والفجاجُ[3]، وقال البخاري: ﴿مناكبها﴾: جَوَانِبُها، قال الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ: جَعَلَ اللَّهُ سبحانَه الأَرْضَ ذَلُولاً لِعِبَادِه لاَ لِيَسْتَقِرُّوا في مناكِبِها، بلْ لِيَتَّخِذُوهَا مَنْزِلاً فَيَتزَوَّدُونَ منها مُحْتَرِزِينَ من مصائدِها ومَعَاطِبِها، ويتحقَّقُون أنَّ العُمْرَ يَسِيرُ بهم سَيْرَ السفينةِ بِرَاكِبِها، فالناسُ في هَذَا العَالَم سُفْرٌ وأوّلُ منازِلِهم المَهْدُ، وآخرُها اللحدُ، والوَطَنُ هو الجنَّةُ أو النَّارُ، والعُمْرُ مسَافَةُ السَّفَرِ، فَسِنُوه مَرَاحِلُهُ، وشُهورُه

(١) ينظر: «تفسير الرازي» (٣٠/ ٥٧).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٠).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٦٩)، برقم: (٣٤٥٠٥)، وذكره البغوي (٤/ ٣٧١)، وابن عطية (٥/ ٣٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٤)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

فَرَاسِخُه، وأيامه أمْيَالُه، وأنْفَاسه خُطُواتُه، وطَاعَتُه بضاعتُه، وأوقَاتُه رؤوس أموالِه، وشَهَواتُه وأغْرَاضُه قطاع طريقِه، وربحُه الفوزُ بلقاءِ اللَّه ـ عز وجل ـ في دار السلام مع المُلْكِ الكبيرِ والنَّعِيمِ المُقِيمِ، وخسرانُه البُعْد من اللَّه ـ عز وجل ـ مع الأنْكَالِ والأَغْلاَلِ والعذاب الأليم في دَرَكَاتِ الجحيم، فالغافلُ عن نَفَسٍ واحدٍ من أنفاسِهِ، حتى يَنْقَضِيَ في غَيْرِ طاعةٍ تُقَرِّبُه إلى اللَّهِ تعالى زُلْفَى مُتَعَرِّضٌ في يوم التَّغابُن لغَبِينَةٍ وحَسْرَةٍ مَا لها مُنْتَهَى، وَلِهٰذَا الخطرِ العظيمِ والخَطْبِ الهائلِ شَمَّر المُوفَّقُونَ عن ساقِ الجِدِّ، وَوَدَّعُوا بالكليةِ ملاذَّ النَّفْسِ، واغْتَنَمُوا بَقَايَا العُمْرِ، فَعَمَّرُوها بالطاعاتِ، بِحَسَبِ تَكَرُّرِ الأوقَاتِ، انتهى، قال الشيخُ أبو
١٧٢أ مدين ـ رحمه اللَّه ـ: عُمْرُكَ نَفَسٌ وَاحِدٌ فَاحْرِصْ [أَنْ يَكُونَ] لَكَ/ لاَ عليك، انتهى، واللَّه الموفِّقُ بفضلِه، و﴿النشورُ﴾: الحياةُ بعدَ الموتِ، و﴿تمور﴾ معناه: تَذْهَبُ وتَجِيءُ، كما يَذْهَبُ التراب المَوَارُ في الرِّيحِ، والحَاصِبُ البَرْدُ ومَا جرى مَجْرَاه، والنَّكِيرُ مَصْدَرٌ بمعنى الإنْكَارِ، والنَّذِيرُ كذَلِكَ ومنه قول حسان بن ثابت: [الوافر]

فَـأُنْـذِرُ مِـثْـلَـهَـا نُـصْـحـاً قُـرَيْـشـاً ... مِـنَ الـرَّحْـمٰـنِ إنْ قَـبِـلَـتْ نَـذِيـرِي[1]

ثم أحال ـ سبحانه ـ على العِبْرَةِ في أمْرِ الطير وما أحكمَ من خِلْقَتِها، وذلك بيِّنَ عَجْزِ الأصنامِ والأوثانِ عنه، و﴿صافات﴾ جَمْع صَافَّة، وهي التي تَبْسُط جَنَاحَها وتَصُفُّه، وقَبْضُ الجَنَاحِ ضَمُّه إلى الجنبِ، وهاتان حالتَان للطائر يَسْتَرِيحُ مِنْ إحْدَاهما إلى الأخرى.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ هذا أيضاً توقيفٌ على أمْرٍ لاَ مَدْخَل للأصنامِ فيه.

وقوله سبحانه: ﴿أفمن يمشي مكبًّا على وجهه﴾ قال ابن عباس والضحاك ومجاهد: نزلَتْ مثَلاً للمؤمنينَ والكافرين؛ على العموم[2]، وقال قتادةُ: نزلت مُخْبِرَةً عن حال القِيَامَةِ، وأنَّ الكفارَ يَمْشُونَ على وجوهِهم، والمؤمنينَ يمشُون على استقامةٍ[3]، كما جاء

(١) البيت في «ديوانه» (٢٤٥)، وفيه فأَرْدِفُ بدل فَأُنْذِرُ.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧١)، برقم: (٣٤٥١٠، ٣٤٥١٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٢).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧١ ـ ١٧٢)، برقم: (٣٤٥١٣، ٣٤٥١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٣٧٢)، وابن عطية (٥/ ٣٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وعبد الرزاق، وابن المنذر.

في الحديث، ويُقالُ: أكَبَّ الرجلُ إذا دَرَّ وَجْهَهُ إلَى الأَرْضِ، وكَبَّه غَيْرُهُ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[١] فَهَذَا الفِعْلُ على خلافِ القَاعِدَة المعلومةِ؛ لأنَّ «أَفْعَلَ» هنا لا يتعدّى، و«فَعَلَ» يَتَعَدَّى، ونظيرُه قَشَعَتِ الرِّيحُ السَّحَابَ فانْقَشَعَ، وقال * ص *: ﴿مُكِبًّا﴾ حالٌ وهو مِنْ أَكَبَّ غَيْرَ مُتَعَدٍّ، وَكَبَّ متعدٍ، قال تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُم فِي النَّارِ﴾ [النمل: ٩٠] والهَمْزَةُ فيه للدخولِ في الشيءِ، أو للصيرورَةِ، ومطاوع/ كَبَّ: انْكَبّ، تَقُولُ كَبَبْتُه فانْكَبَّ، قال بَعْضُ الناس: ١٧٢ ب
ولاَ شَيْءَ من بناءِ «أفْعَلَ» مطاوعاً، انتهى، و﴿أهدى﴾ في هذه الآية أفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنَ الهُدَى.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾ يريدونَ أَمْرَ القيامةِ والعذابِ المتوعَّدِ به، ثم أمرَ سبحانَه نبيه ـ عليه السلام ـ أنْ يخبرَهم بأنَّ علمَ القيامةِ والوعدَ الصدقَ مما تفرَّدَ اللَّهُ ـ سبحانه ـ بعلمِهِ.

وقوله سبحانه: ﴿فلما رأوه﴾ الضميرُ للعَذَابِ الذي تَضَمَّنَه الوعدُ، وهذهِ حكايةُ حَالٍ تأتِي، والمَعْنى: فإذا رأوه.

و﴿زلفة﴾ معناه قريباً، قال الحسن: عِيَاناً[٢].

﴿وسيئت وجوه الذين كفروا﴾ معناهُ: ظَهَرَ فيها السوءُ.

و﴿تدّعون﴾ معناه: تَتَدَاعَوْنَ أَمْرَه بينكم، وقال الحسن: تدعون أنّه لاَ جَنَّةَ ولاَ نار[٣]، ورُوِيَ في تأويل قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن أهلكني اللَّه ومن معي...﴾ الآية، أنَّهم كانُوا يَدْعُونَ على محمد ﷺ وأصحابه بالهلاكِ، فقال اللَّه تعالى لنبيه: قلْ لهم: أرأيتم

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣)، برقم: (٣٤٥١٦ ـ ٣٤٥١٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٣).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٣).

إنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ معي أو رحمَنا، فمن يُجِيرُكُم مِنَ العذاب الذي يُوجِبُه كفرُكم؟، ثم وَقَفَهم سبحانه على مِيَاهِهِم التي يَعيشُونَ منها، إنْ غارَتْ، أي: ذَهَبَتْ في الأرضِ، مَنْ يَجِيئُهم بماءٍ كثيرٍ كافٍ؟ * ص *: والغَوْرُ: مَصْدَرٌ بمعنى الغَائِر، انتهى، والمَعِينُ: فَعِيلٌ مِنْ مَعَنَ المَاءُ إذا كَثُرَ، وقالَ ابن عباس: مَعينٌ عَذْبٌ[1]:

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٤)، برقم: (٣٤٥٢٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

تفسير سورة القلم

وهي مكية بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

قوله عز وجل: ﴿نٓ والقلم وما يسطرون﴾ ﴿نٓ﴾ حَرْفٌ مقطع في قول الجمهور، فيدخُلُه من الاخْتِلاَفِ ما يَدْخُلُ أوائِلَ السُّورِ، ويختصُّ هذا الموضعُ مِنَ الأقوال، بأنْ قَالَ مُجاهِدٌ وابن عباس: ﴿نٓ﴾ اسْمُ الحوتِ الأعْظَم/ الَّذِي عَلَيْه الأَرَضُونَ السَّبْعُ فِيما يُرْوَى[1]، ١٧٣ أ
وقال ابن عباس أيضاً وغيره: ﴿نٓ﴾ اسمُ الدَّوَاةِ[2]، فَمَنْ قال بأنه اسْمُ الحوتِ جَعَلَ [القَلَمَ] القَلَمَ الذي خلقَه اللَّهُ وأمَرَهُ بِكَتْبِ الكائناتِ، وجَعَلَ الضميرَ في ﴿يسطرون﴾ للملائِكَةِ، ومَنْ قال بأنَّ ﴿نٓ﴾ اسْمٌ للدَّوَاةِ جَعَلَ القَلم هَذَا القلمَ المتعارفَ بأيْدِي الناسِ؛ نَصَّ على ذَلِكَ ابنُ عَبّاسٍ وَجَعَل الضميرَ في ﴿يسطرون﴾ للنَّاسِ فَجاء القَسَمُ على هذا بمجموع أمْرِ الكِتَابِ الذي هو قِوَامٌ للعلوم والمعَارِفِ، وأمورِ الدنيا، والآخِرَةِ، فَإِنَّ القَلَمَ أخُو اللسانِ، وعَضُدُ الإنْسَانِ، ومَطِيَّةُ الفِطْنَةِ، ونِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَامَّة، ورَوَى معاويةُ بن قرة أن النبي ﷺ قال: «﴿نٓ﴾ لَوحٌ من نُورٍ».

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٣٧٤)، وابن عطية (٥/ ٣٤٥)، وابن كثير (٤/ ٤٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٧)، وعزاه لابن جرير، والطبراني، وابن مردويه عن ابن عباس، (٦/ ٣٨٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٧٦)، برقم: (٣٤٥٣٨ ـ ٣٤٥٣٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٥)، وابن كثير (٤/ ٤٠١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٨٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر

وقالَ ابنُ عباسٍ أيضاً وغيره: ﴿نٓ﴾ هو حَرْفٌ من حروفِ الرحمٰنِ[١]، وقالوا إنَّه تَقَطَّع في القرآن ﴿الٓرٓ﴾ و﴿حمٓ﴾ و﴿نٓ﴾، و﴿يَسْطُرُونَ﴾: معناه: يكْتُبُونَ سُطُوراً، فإنْ أَرَادَ الملائكةَ فهُوَ كَتْبُ الأَعْمَالِ وَمَا يؤمَرُون به، وإنْ أرادَ بني آدم؛ فهي الكُتُبُ المنزلةُ والعلوم وما جَرَى مَجْرَاهَا، قال ابن العربي في «أحكامه»: رَوَى الوليدُ بن مُسْلِم عَنْ مالكٍ عَنْ سُمَيٍّ مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقولُ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ القَلَمَ، ثُمَّ خَلَقَ النونَ، وهي الدوَّاةُ، وذَلِكَ قَوْلُه: ﴿نٓ والقلم﴾ ثم قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ؛ قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: مَا كَانَ وَمَا هُو كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، قال: ثُمَّ خَتَمَ العَمَلَ، فَلَمْ يَنْطِقْ وَلاَ يَنْطِقُ إِلَىٰ يَوْم القِيامَةِ، ثُمَّ خَلَقَ العَقْلَ، فَقَالَ الجَبَّارُ: مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنكَ، وعِزَّتِي لأُكَمِّلَنَّكَ فِيمَنْ أَحْبَبْتُ، وَلأُنَقِّصَنَّكَ فِيمَنْ أَبْغَضْتُ،/ قَالَ: ثُمَّ ١٧٣ ب قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَكْمَلُ النَّاسِ عَقْلاً أَطْوَعُهُمْ لِلَّهِ وأَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِهِ»[٢]، انتهى، * ت *: وهذا الحديثُ هُوَ الذي يُعَوَّلُ عليهِ في تفسير الآيةِ، لصحته، واللَّه سبحانه أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ هُوَ جوابُ القَسَمِ، وَ﴿مَا﴾ هُنَا عَامِلَةٌ لها اسْمٌ وَخَبَرٌ، وكذلك هي متَى دَخَلَتِ البَاءُ في الخَبَرِ، وقوله: ﴿بنعمة ربك﴾ اعْتِرَاضٌ، كما تقولُ لإِنْسَانٍ: أَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فاضلٌ، وسَبَبُ الآيةِ هُوَ مَا كَانَ من قريشٍ في رَمْيِهِم النبيَّ ﷺ بالجُنُونِ، فَنَفَى اللَّهُ تعالى ذلك عنه، وأخبره بأنَّ له الأَجْرَ، وأنَّه على الخُلُقِ العظيم تَشْرِيفاً له، وَمَدْحاً واخْتُلِفَ في معنى ﴿ممنون﴾ فَقَال أَكْثَرُ المفسرينَ: هو الوَاهِنُ المنْقَطِعُ، يقال: حَبْل مَنِينٌ أي: ضعيفٌ، وقال آخرون: معناه: غير مَمْنُونٍ عَلَيْكَ، أي: لا يُكَدِّرُه مَنٌّ به، وفي الصحيحِ: سُئِلَتْ عائشةُ ـ رضي اللَّه عنها ـ عن خلقِ رسولِ اللَّه ﷺ فقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ»، وقال الجُنَيْدُ: سمّي خلقه عَظِيماً؛ إذ لَمْ تَكُنْ له همةٌ سِوَى اللَّهِ تعالى؛ عَاشَرَ الخَلْقَ بخُلُقِه، وزَايَلَهُمْ بِقَلْبِهِ فكانَ ظاهرُه مَعَ الخلقِ، وباطِنهُ مع الحق، وفي وَصِيَّةِ بعض الحكماء: عليكَ بالخُلُقِ مَعَ الخَلْقِ، وبالصِّدقِ مَعَ الحقِّ، وحسْنُ الخلق

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٥).

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٤٠).
قال الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» (٤٧٩).
قال ابن عدي: باطل منكر؛ آفته محمد بن وهب الدمشقي.
وقال في الميزان: صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل، وقد أخرجه الدارقطني في «الغرائب» من طريقه.
ورواه ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعاً، والخطيب عن علي مرفوعاً. ا هـ من كلام الشوكاني.

خيرٌ كلّه، وقال ـ عليه السلام ـ: «إنَّ المؤمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ قَائِمِ اللَّيْلِ، صَائِمِ النَّهَارِ» وَجَاءَ في حُسْنِ الخُلُقِ آثارٌ كثيرةٌ مَنَعَنَا مِنْ جَلْبِها خَشْيَةُ الإطَالةِ، وقد رَوَى الترمذيُّ عَنْ أبي هريرةَ قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فقَال: تَقْوَى اللَّهِ وحُسْنُ الخُلُقِ، وسُئِلَ عَنْ أكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ/ النَّارَ؟ فَقَالَ: الفَمُ وَالْفَرْجُ»[1]، قَالَ أبو عِيسَىٰ: ١٧٤أ
هذَا حديثٌ صحيحٌ غَرِيبٌ، انتهى، ورَوى الترمذيُّ عَنْ أبي الدرداءِ أن النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ في مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ من خُلُقٍ حَسَنٍ، وإنَّ اللَّهَ لَيُبْغَضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ»[2]، قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ، انتهى، قَالَ أبو عُمَرَ في «**التمهيد**»: قال اللَّه ـ عز وجل ـ لنبيه ﷺ: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قَالَ المفسرونَ: كان خلقُهُ مَا قَالَ اللَّهُ سبحانَه: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] انتهى.

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿فستبصر﴾ أي: أَنْتَ وأمَّتكَ، ﴿ويبصرونَ﴾ أي: هُمْ، ﴿بأيِّكُمُ المفتون﴾ قال الأخفش: والعاملُ في الجملةِ المُسْتَفْهَمُ عَنها الإبصَارُ، وأمّا البَاءُ فقال أبو عبيدةَ معمر وقتادةُ: هي زائدةٌ والمعنى: أيكم المفتونُ[3]، قال الثعلبيّ: المفْتُونُ المَجْنُونُ الذي فَتَنَهُ الشيطانُ، انتهى.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا تطع المكذبين﴾ يعني: قريشاً، وذلك أنهم قَالُوا في بعضِ الأَوْقَاتِ للنبي ﷺ: لَوْ عَبَدْتَ آلهتَنا وعَظَّمْتَها لَعَبَدْنَا إلٰهك وعظمناه، وَوَدُّوا أنْ يُدَاهِنَهم النبي ﷺ ويميلَ إلى مَا قالوا، فَيمِيلُوا هُمْ أيضاً إلى قَولِهِ ودِينِهِ، والإِدْهَانُ الملايَنَةُ فيما لاَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٦٣)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في حسن الخلق (٢٠٠٤)، وابن حبان (٦/ ٩٩) ـ الموارد، (١٩٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٢٤)، وابن ماجه (٢/ ١٤١٨)، كتاب «الزهد» باب: ذكر الذنوب (٤٢٤٦)، والبخاري (٨٩) (٢٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٩٢).
قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٦٩)، كتاب «الأدب» باب: في حسن الخلق (٤٧٩٩) مختصراً، والترمذي (٤/ ٣٦٢)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في حسن الخلق (٢٠٠٢)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٥/ ٢٤٣) مختصراً.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٦).

يَحِلُّ، والمُدَارَاةُ الملاينة فيما يحل.

وقوله: ﴿فيدهنون﴾ معطوفٌ وليس بجَوابٍ، لأنَّه لَوْ كَانَ لَنُصِبَ، والحلاَّفُ المردِّد لِحَلفِهِ الذي قد كثرَ منه، والمَهِينُ الضَّعِيفُ الرأيِ، والعَقْلِ؛ قاله مجاهد[1]، وقال ابن عباس: المهينُ الكذَّابُ[2]، والهمَّازُ الذي يَقَعُ في النَّاسِ بلسَانِه[3]، قال منذر بن سعيد:
١٧٤ ب وبعَيْنِهِ وإشارَتِه،/ والنَّمِيمُ مَصْدَرٌ كالنَّمِيمَةِ، وهو نَقْل مَا يَسْمَعُ مما يسوءُ ويُحَرِّشُ النفوسَ، قال أبو عمر بن عبد البر في كتابهِ المسمَّى بـ«**بهجةِ المجالس**» قال النبي ﷺ: «مَنْ كَفَّ عَنْ أعْرَاضِ المُسْلِمِينَ لِسَانَه؛ أَقَالَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَثْرَتَه»[4]، وقال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ـ: «شِرَارُكُمْ أيُّهَا النَّاسُ المشَّاؤُونَ بالنَّمِيمَةِ، المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، البَاغُونَ لِأَهْلِ البِرِّ العَثَرَاتِ»[5] انتهى، ورَوَى حذيفةُ أن النبي ﷺ قال: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[6]، وهو النَّمَّامُ، وذَهَبَ كثيرٌ مِنَ المفسِّرينَ إلى أنَّ هذهِ الأَوْصَافَ هي أجْنَاسٌ لَمْ يُرَدْ بها رجلٌ بعينهِ، وقالت طائفة: بَلْ نزلت في معيَّنٍ، واختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو الوليدُ بن المغيرةِ،

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٣٤٧)، وابن كثير (٤/٤٠٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٣٩٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/١٨٣)، برقم: (٣٤٥٨١)، وذكره البغوي (٤/٣٧٧)، وذكره ابن عطية (٥/٣٤٧)، وابن كثير (٤/٤٠٣).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/٣٤٧).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه أحمد (٤/٢٢٧).
قال الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (٨/٩٦): رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب، وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحمد أسانيده رجال «**الصحيح**».

(٦) أخرجه مسلم (١/١٠١)، كتاب «الإيمان» باب: بيان غلظ تحريم النميمة، حديث (١٦٨/١٠٥)، وأحمد (٥/٣٩١، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٦) من طريق واصل الأحدب، عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان، أنه بلغه: أن رجلاً كان ينم الحديث، فقال حذيفة: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة نمام».
وللحديث طريق آخر عن حذيفة، وفيه قتات بدل نمام، أخرجه البخاري (١٠/٤٨٧)، كتاب «الأدب» باب: ما يكره من النميمة، حديث (٦٠٥٦)، ومسلم (١/١١)، كتاب «الإيمان» باب: بيان غلظ تحريم النميمة (١٦٩/١٠٥)، وأبو داود (٢/٦٨٤)، كتاب «الأدب» باب: في القتات، حديث (٤٨٧١)، والترمذي (٤/٣٢٩)، كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في النمام، حديث (٢٠٢٦)، وأحمد (٥/٣٨٢، ٣٨٩، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٠٤)، والبيهقي (٨/١٦٦)، كتاب «قتال أهل البغي» باب: ما على من رفع إلى السلطان ما فيه ضرر، والبغوي في «**شرح السنة**» (٦/٥٢٣) ـ بتحقيقنا، والطبراني في «**الصغير**» (١/٢٠٣)، وفي «**الكبير**» (٣/١٨٦)، برقم: (٣٠٢٠)، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٤/١٧٩)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**» (١١/٢٣٧) من طريق همام بن الحارث عن حذيفة مرفوعاً.

وقيل هو: الأَخْنَسُ بن شريق، ويؤيد ذلكَ أنه كانَتْ له زَنَمَةٌ في حَلْقِه كَزَنَمَةِ(١) الشَّاةِ، وأيضاً فكانَ من ثَقِيفٍ مُلْصَقاً في قُرَيْشٍ، وقيل: هو أبو جهلٍ، وقيل: هو الأسودُ بن عَبْدِ يَغُوث، قال * ع(٢) *: وظاهرُ اللفظ عمومُ مَنِ اتَّصَفَ بهذهِ الصفاتِ، والمخاطبَةُ بهذا المعنى مستمرة بَاقِيَ الزَّمانِ، لا سيما لِوُلاَةِ الأمور.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿مناع للخير﴾ قَالَ كثيرٌ مِنَ المفسرينَ: الخيرُ هُنَا المالُ فَوَصَفه بالشُّحِّ، وقال آخرونَ: بل هُوَ عَلى عُمُومهِ في الأموالِ والأَعْمَالِ الصالحاتِ، والمُعْتَدِي المتجاوِزُ لحدودِ الأَشْيَاءِ، والأثِيمُ فَعِيلٌ مِن الإثْم، والعُتُلُّ: القويُّ البنيةِ، الغَلِيظُ الأَعْضَاءِ، القَاسِي القَلْبِ، البَعِيدُ الفَهْمِ، الأَكُولُ الشَّرُوبُ، الذي هو بالليلِ جِيفَةٌ وَبِالنَّهارِ حِمَارٌ، وكلُّ ما عبر به المفسرونَ عَنه مِنْ خِلاَلِ النقصِ، فَعَنْ هذه الَّتِي ذَكَرْتُ/ تَصْدُرُ، وقد ذكر النقاشُ أَنَّ ١٧٥أ
النبي ﷺ فَسَّر العتلَّ بِنَحْوِ هذا، وهذهِ الصفاتُ كثيرةُ التَّلاَزُمِ، والزَّنِيمُ في كلام العرب: المُلْصَقُ في القومِ ولَيْسَ منهم؛ ومنه قول حَسَّان: [الطويل]

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ

فَقَالَ كثيرٌ من المفسرينَ: هو الأَخْنَسُ بن شريقٍ، وقال ابن عباس: أرادَ بالزنيم؛ أَنَّ له زَنَمَةً في عُنُقِهِ(٣)، وكان الأَخنسُ بهذه الصفةِ، وقيل: الزَّنِيمُ: المُرِيبُ القبيحُ الأَفْعَالِ.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾

وقوله: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ﴾ معناه: على الأَنْفِ. قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: هُو الضَّرْب

---

(١) زُنَمَةُ الشاة: هنة معلقة في حلقها تحت لحيتها، وخص بعضهم به العنز.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٤٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ١٨٦)، برقم: (٣٤٦١٤)، وذكره البغوي (٤/ ٣٧٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٩٤)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

بالسَّيْفِ في وَجْهِهِ وعَلَى أنفِه[١]، وَقَدْ حَلَّ ذَلِكَ به يومَ بَدْرٍ، وقيل: ذلك الوَسْمُ هو في الآخرةِ، وقال قتادة وغيره: معناه سَنَفْعَلُ به في الدنيا مِنَ الذَّمِّ لهُ والمَقْتِ والاشْتِهَارِ بالشر، ما يَبْقَى فِيه وَلاَ يَخْفَى به، فيكونُ ذلكَ كالوَسِمِ عَلَى الأنف[٢].

وقوله سبحانه: ﴿إنا بلوناهم﴾ يريد: قريشاً، أي: امْتَحَنَّاهُم، و﴿أَصْحَاب الجنةِ﴾ فيما ذُكِرَ كانوا إخوةً، وكانَ لِأَبِيهم جَنَّةٌ وحَرْثٌ يَغْتَلُّه، فَكَان يُمْسِكُ منه قُوتَه، وَيَتَصَدَّقُ على المساكين بِبَاقِيهِ، وقيل: بلْ كَانَ يَحْمِلُ المساكِينَ مَعَه في وَقْتِ حَصَادِهِ وجَذِّه فَيُجْدِيهم منه، فماتَ الشيخُ، فقال ولدُه: نَحْنُ جماعَةٌ وفِعْلُ أبينا كَانَ خطأً فَلْنَذْهَبْ إلى جنَّتِنا، ولا يَدْخُلَنَّها عَلَيْنَا مِسْكِينٌ، ولا نُعْطِي منها شيئاً، قال: فَبَيَّتُوا أَمْرَهُمْ وَعَزْمَهُمْ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا طائفاً من نارٍ أو غيرِ ذلك، فاحْتَرَقَتْ، فقيلَ: فأصْبَحَتْ سَوداء، وقيل: بَيْضاء كالزَّرْعِ اليَابِسِ المَحْصُودِ، فلما أصْبَحوا إلى جنتهم؛ لم يَرَوْهَا فحسبوا أنهم قَد أَخْطَؤوا الطريقَ، ثم
١٧٥ ب تَبَيَّنُوها فعلموا أنَّ اللَّهَ/ أَصَابَهُم فِيها، فتَابوا حينئذٍ فَكَانُوا[٣] مُؤمنِينَ أهْلَ كِتَابٍ، فَشَبَّه اللَّهُ قُرَيْشاً بهم في أنه امْتَحَنَهُمْ بالمصَائِبِ، في دُنْيَاهُمْ لِعَدَمِ اتِّبَاعِهِمْ للنبي ﷺ، ثُمَّ التوبة مُعَرَّضَةٌ لِمَنْ بَقِيَ منهم.

وقوله تعالى: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ أي: لَيَجُذُّنَّهَا، و﴿مُصْبِحِينَ﴾ معناه: دَاخِلِينَ في الصباح.

وقوله تعالى: ﴿ولا يَسْتَثْنُونَ﴾ [أي: لا يَنْثَنُونَ][٤] عن رأيِ مَنْعِ المساكين، وقَالَ مجاهد: معناه ولاَ يَقُولُونَ إنْ شَاءَ اللَّه[٥]. والصَّرِيمُ، قال جماعة: أرادَ بِهِ اللَّيْلَ مِنْ حيثُ اسْوَدَّتْ جَنَّتُهم، وقَالَ ابن عباس: الصَّرِيمُ: الرَّمَادُ الأَسْوَدُ بِلُغَةِ خُزَيْمَةَ، وقولهم: ﴿إن كنتم صارمين﴾ يَحْتَمِلُ أنْ يكُونَ مِنْ صرام النخلِ، ويحتملُ أنْ يريدَ إنْ كُنْتُمْ أهْلَ عزم وإقْدَام على رأيكم، من قولك سَيْفٌ صارم[٦]، و﴿يَتَخَافَتُونَ﴾: معناه يَتَكَلَّمُونَ كَلاَماً خَفِيًّا، وكانَ هذا التخافتُ خَوْفاً مِنْ أنْ يَشْعُرَ بهمُ المساكينُ، وكان لفظُهم الذي يتخافتون به: ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ١٨٨)، برقم: (٣٤٦٢٨)، وذكره البغوي (٤/ ٣٧٩)، وابن عطية (٥/ ٣٤٩)، وابن كثير (٤/ ٤٠٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٣٩٤)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣٧٩)، وابن عطية (٥/ ٣٤٩)، وابن كثير (٤/ ٤٠٥).

(٣) في ط: وكانوا.

(٤) سقط في: د.

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٤٩).

(٦) ذكره البغوي (٤/ ٣٧٩)، وابن عطية (٥/ ٣٤٩)، وابن كثير (٤/ ٤٠٦).

وقوله: ﴿على حرد﴾ يَحْتَمِلُ أنْ يريدَ عَلى مَنع، من قولهم: حَارَدَتِ الإِبِلُ إذا قَلَّتْ ألبانُها فمنَعتْهَا، وحَارَدَتِ السنةُ إذا كَانَتْ شَهْبَاء لَا غَلَّةَ لها، ويحتملُ أن يريدَ بالحَرْدِ الغَضَبَ، يقال حَرَدَ الرجلُ حَرْداً إذَا غَضِبَ، قال البخاريّ قَالَ قتادة: ﴿عَلى حَرْدٍ﴾ [أي: على جدٍّ][1] في أنفسهم، انتهى[2].

وقوله تعالى: ﴿قادرين﴾ يحتملُ أن يكون من القُدْرَةِ، أي: قادرون في زعمهم ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُونَ مِن التَّقْدِيرِ الذي هو تَضييقٌ، كأنهم قَدْ قَدَرُوا عَلَى المسَاكِينِ، أي ضَيَّقُوا
١٧٦ أ عليهم، ﴿فلما رأوها﴾ أي: مُحْتَرِقَةً ﴿قالوا إنا لضالون﴾ طريقَ جَنَّتِنَا فَلَما تَحقَّقُوها/ عَلِمُوا أَنها قَدْ أصيبتْ فقالوا: ﴿بل نحن محرومون﴾ أي: قَدْ حُرِمْنَا غَلَّتَها وبَرَكَتها، فقال لهم أعدلهُم قَوْلاً وعَقْلاً وخُلُقاً وهو الأوسَط؛ ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ قِيلَ هي عبارةٌ عَنْ تعظيم اللَّهِ والعَمَلِ بطاعتهِ سبحانَه، فَبادَرَ القَوْمُ عَنْدَ ذَلِكَ وَتَابُوا وسبَّحُوا، واعترفُوا بظلمِهم في اعتقادهم مَنْعَ الفقراءِ، ولاَمَ بعضُهم بَعْضاً واعترفوا بأنهم طَغَوا، أي: تَعَدَّوْا مَا يَلْزَم مِنْ مُوَاسَاةِ المساكينِ، ثم انصرفوا إلى رَجَاءِ اللَّه سبحانَه وانتظارِ الفَضْلِ من لَدُنْهُ في أن يُبْدِلَهُمْ، بِسَبَبِ تَوْبَتِهم، وإنابتِهم خَيْراً من تلك الجنة، قال الثعلبي: قال ابن مسعود: بلغني أن القَوْمَ لما أَخْلَصُوا وَعَلِمَ اللَّهُ صدقَهم أَبْدَلَهُمْ اللَّهُ ـ عز وجل ـ بها جنةً يقال لها الحَيَوَانُ، فيها عِنَبٌ يَحْمِلُ البغلُ العنقُودَ منها[3]، وعن أبي خالد اليماني أنه رأى تلكَ الجنةَ ورَأى كُلَّ عُنقُودٍ منها كالرَّجُلِ الأسْوَدِ القائِم، انتهى،، وقدرةُ اللَّه أعْظَمُ فلا يُسْتَغرَبُ هذا إنْ صَحّ سنده.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿كذلك العذابُ﴾ أي: كَفِعْلِنَا بأهْلِ الجنةِ نَفْعَلُ بِمَنْ تعدَّى حدودَنا.

﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ أي: أعْظَم مما أصَابَهُمْ، إنْ لَمْ يَتُوبُوا في الدنيا.

---

(١) سقط في: د.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ١٩١)، برقم: (٣٤٦٤٤)، وذكره البغوي (٤/ ٣٨٠)، وابن كثير (٤/ ٤٠٦).
(٣) ذكره البغوي (٤/ ٣٨١).

ثم أخْبَر تعالى بـ﴿إنَّ للمتقينَ عند ربهم جناتِ النعيم﴾ فَرُوِيَ أنه لما نزلت هذه الآيَةُ قَالَتْ قريشٌ: إنْ كَانَ ثَمَّ جَنَّاتِ نعيمٍ فَلَنَا فِيها أكْبَرُ الحَظِّ، فنزلتْ ﴿أَفنَجْعَلُ المسلمينَ كالمُجْرِمينَ﴾ الآية؛ تَوْبِيخاً لهم.

﴿أم لكم كتاب﴾ مُنَزَّلٌ من عندِ اللَّهِ تَدْرُسُونَ فيه أنَّ لَكُمْ مَا تَخْتَارُونَ مِنَ النعيم، فـ﴿إن﴾ معمولة لـ﴿تَدْرُسُونَ﴾ وكُسِرَتِ الهمزَةُ مِنْ ﴿إنَّ﴾ لدخولِ اللامِ في الخبرِ، وهي في
١٧٦ ب معنى (أن) ـ بفتح الألِفِ ـ وقرىء شاذاً[١]: «أنَّ لَكُمْ» بالفتح، **وقرأ** الأعرج[٢]: «أنَّ/ لَكُمْ فِيهِ» على الاستفهام، ثم خَاطَب تعالى الكفارَ بقولِهِ: ﴿أم لكم أيمان علينا بالغة﴾ كأنه يقُولُ هل أقْسَمْنَا لكم قَسَماً فهو عَهْدٌ لكم بأنَّا نُنَعِّمُكُمْ في يومِ القيامة، وما بعدَه، **وقرأ** الأعرج[٣]: «آن لكم لما تحكمون» على الاستفهامِ، أيضاً.

﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ أي: ضَامِنٌ * ت *: قال الهروي: وقوله: ﴿أيمان علينا بالغة﴾ أي مُؤكَّدَة، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فليأتوا بشركائهم﴾ قيل: هو استدعاءٌ وتوقيفٌ في الدنيا، أي: لِيُحْضِرُوهُم حَتَّى يُرَى هلْ هُمْ بحالِ مَنْ يَضُرُّ وينفعُ أم لا؟ وقيلَ: هو استدعاءٌ وتوقيف على أن يأتوا بهم يومَ القيامةِ ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ **وقرأ** ابن عباس[٤]: «تُكْشَفُ» ـ بضم التاء ـ على مَعْنَى: تُكْشَفُ القيامةُ والشدةُ والحالُ الحاضرة، **وقرأ** ابن عباس[٥] أيضاً: «تَكْشِفُ» ـ بفتح التاء ـ على أنَّ القيامةَ هي الكاشِفَةُ، وهذه القراءة مفسِّرَة لقراءَةِ الجماعةِ، فما وَرَدَ في الحديثِ والآيةِ مِنْ كَشْفِ الساقِ فهو عبارة عَنْ شدةِ الهول.

وقوله ـ جلت عظمته ـ: ﴿ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ وفي الحديثِ الصحيح: «فَيَخِرُّونَ للَّهِ سُجّداً أجْمَعونَ ولا يبقى أحَدٌ كَانَ يسجدُ في الدنيا رياءً ولا سمعةً ولاَ نِفَاقاً إلا صَارَ ظَهرُهُ طَبَقاً وَاحِداً؛ كُلَّما أرَادَ أنْ يَسْجُدَ خَرَّ على قفاه»[٦]، الحديث، وفي

---

(١) قرأ بها الأعرج، كما ذكر ابن خالويه في «مختصر الشواذ» ص: (١٦٠)، وقرأبها طلحة، والضحاك، كما في «الدر المصون» (٦/ ٣٥٧).
(٢) ينظر: «مختصر الشواذ» ص (١٦٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٢) و«البحر المحيط» (٨/ ٣٠٩)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٥٧).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٠٩).
(٤) ينظر: «المحتسب» (٢/ ١٦٠)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٣).
(٥) ينظر: مصادر القراءة السابقة.
(٦) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣١)، كتاب «التفسير» باب: يوم يكشف عن ساق (٤٩١٩) نحوه.

=

الحديثِ: «فَيَسْجُدُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَتَرْجِعُ أَصْلاَبُ المُنَافِقِينَ والكُفَّارِ، كَصَيَاصِي البَقَرِ، عَظْماً وَاحِداً؛ فَلا يَسْتَطِيعُونَ سُجُودًا» الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود﴾ يريد في دَارِ الدنيا، ﴿وهم سالمون﴾ مما نالَ عَظَامَ ظهورِهم مِنَ الاتِّصال والعُتُوِّ.

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ الآية، وَعِيدٌ وتهديدٌ والحديثُ المشَارُ إليه/ هو القرآن، وباقي الآية بيّن مِمّا ذُكِرَ في غير هذا الموضع، ثم أمَرَ ١٧٧أ
اللَّه ـ تعالى ـ نبيَّه بالصَّبْرِ لِحُكْمِهِ وأنْ يَمْضِيَ لِمَا أُمِرَ بِهِ من التبليغِ واحْتِمالِ الأذَى والمشقة، ونُهِيَ عَنِ الضَّجَرِ والعَجَلَةِ التي وَقَعَ فيها يونُس ﷺ ثم اقْتَضَبَ القصَّةَ وذَكَرَ ما وَقَعَ في آخرها من ندائِه من بطن الحوت، ﴿وهو مكظوم﴾ أي: وَهُو كَاظِمٌ لحُزْنِه ونَدَمِه، وقال الثعلبيّ، ونحوُه في البخاري: ﴿وهو مكظوم﴾ أي: مملوءٌ غَمًّا وكَرْباً، انتهى وهُوَ أقْرَبُ إلى المعنى، وقال النَّقَّاشُ: المكظومُ الذي أُخِذَ بِكَظْمِه، وهي مَجَارِي القلبِ، **وقرأ** ابن مسعود[١] وغيره: «لَوْلاَ أَنْ تَدَارَكَتْهُ نِعْمَةٌ» والنعمة التي تداركته هي الصَّفْحُ والاجتباء الذي سَبَقَ له عِنْدَ اللَّهِ ـ عز وجل ـ ﴿لنبذ بالعراء﴾ أي: لَطُرِحَ بالعرَاءِ وهُوَ الفَضاءُ الَّذِي لاَ يُوارِي فيه جَبَلٌ ولاَ شَجَرٌ وَقَدْ نُبِذَ يونس ـ عليه السلام ـ بالعَرَاءِ وَلَكِنْ غَيْر مَذْمُوم، وجاء في الحديث عن أسماء بِنْتِ عُمَيْسٍ قالَتْ: «عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ

= ومن طريق أخرى غير هذه، أخرج الحاكم حديثاً في هذا المعنى (٤/ ٥٨٩، ٥٩٢) في حديث طويل.
قال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات، غير أنهما لم يخرجا أبا خالد الدالاني في «الصحيحين»، لما ذكر في انحرافه عن السنة في ذكر الصحابة، فأما الأئمة المتقدمون فكلهم شهدوا لأبي خالد بالصدق، والإتقان، والحديث صحيح ولم يخرجاه، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة.
قال الذهبي: ما أنكره حديثاً على جودة إسناده!! وأبو خالد شيعي منحرف.

(١) وقرأ بها ابن عباس وأبي بن كعب.
ينظر: «مختصر الشواذ» (ص: ١٦١)، و«الكشاف» (٤/ ٥٩٦)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣١١)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٤)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٥٩).

الكَرْبِ أَوْ في الكَرْبِ، اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لاَ أَشْرِكُ بِه شَيْئاً»[١] رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، وأخرجَهُ الطبرانيُّ في كتاب «الدعاء»، انتهى من «السلاح»، ثم قال تعالى لنبيه: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ المعنى يكادُوْنَ مِنَ الغَيْظِ والعداوةِ يُزْلِقُونَه فَيُذْهِبُونَ قدمَه مِنْ مَكَانِها، ويُسْقِطُونَه، قال عياض: وقَدْ رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: كلُّ مَا في القرآن: «كاد» فَهُو مَا لاَ يَكُونُ، قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣] وَلَمْ يُذْهِبْهَا و﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] وَلَمْ يَفْعَلْ، انتهى؛ ذكره إثْرَ
١٧٧ ب قَوْلِه تعالى: ﴿وإنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]. وقرأ الجمهور: «لَيُزْلِقُونَكَ»/ ـ بِضَمِّ اليَاءِ ـ مِنْ: أَزْلَقَ، ونَافِعٌ بِفَتْحِها[٢]، من: زَلِقَتِ الرِّجلُ، وفي هذا المعنى قولُ الشاعر: [الكامل]

يَتَقَارَضُونَ إِذَا ٱلْتَقَوْا في مَجْلِسٍ ... نَظَراً يَزِلُّ مَوَاطِىءَ الأَقْدَامِ[٣]

وَذَهَبَ قَوْمٌ من المفسرينَ على أن المعنى: يأخذونَك بالعَيْنِ، وقال الحسَنُ: دَوَاءُ مَنْ أَصَابَتْهُ العينُ أن يقرأ هذهِ الآيَةَ[٤]، والذِّكْرُ في الآيةِ: القرآنُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٤٧٧)، كتاب «الصلاة» باب: في الاستغفار (١٥٢٥)، والنسائي (٦/ ١٦٦) ـ «الكبرى»، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ما يقول إذا غلبه أمر (١٠٤٨٤/ ٢٢ ـ ١٠٤٨٥/ ٢٣)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٧)، كتاب «الدعاء» باب: الدعاء عند الكرب (٣٨٨٢)، وأحمد (٦/ ٣٦٩).

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٤٧)، و«الحجة» للقراء السبعة (٦/ ٣١٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٨٢)، و«حجة القراءات» (٧١٨).

(٣) البيت في «الكشاف» (٤/ ٥٩٧)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣١١)، والقرطبي (١٨/ ١٦٦)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٤)، «اللسان» (زلق).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٣٨٥)، وابن عطية (٥/ ٣٥٥).

[تفسير] سورة «الحاقة»

[وهي] مكية بإجماع

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾

قوله عز وجل: ﴿الحاقة * ما الحاقة﴾ المُرَادُ بالحاقَّةِ: القيامةُ، وهي اسْمُ فاعلٍ مِنْ حَقَّ الشَّيءُ يَحِقُّ؛ لأنها حَقَّتْ لِكُل عَامِلٍ عملَه، قال ابن عباس وغيره: سُمِّيَت القيامةَ حَاقَّةً لأنَّها تُبْدِي حَقَائِقَ الأشياء[1]، و﴿الحاقة﴾: مبتدأ و﴿ما﴾ مبتدأٌ ثانٍ، والحاقَّةُ الثانية خَبَرُ ﴿ما﴾ والجملةُ خَبَرُ الأولى، وهذا كما تقول: زَيْدٌ مَا زَيْدٌ على معنى التعظيم له، وإبْهام التعظيم أيضاً ليتخَيَّلَ السّامِعُ أقصَى جُهْدَه.

وقوله: ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ مبالغة في هذا المعنى: أي: أن فيها مَا لَمْ تَدْرِه مِنْ أَهْوَالِها، وتَفَاصِيلِ صِفَاتِها، ثم ذكرَ تعالى تكذيبَ ثَمُودَ وَعَادٍ بهذَا الأَمْرِ الذي هو حَق مشيراً إلى أنَّ مَنْ كَذَّبَ بِذَلِكَ يَنزِلُ به ما نزلَ بأولئك، و﴿القارعة﴾: من أسماء القيامة أيضاً؛ لأنها تَقْرَعُ القلوبَ بصدمتها.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧﴾

وقوله سبحانه: ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ قال قتادة: معناه: بالصَّيْحَةِ التي خَرَجَتْ عن حدّ كل صيحةٍ[2]، وقيل: المعنى بسَبَبِ الفِئَةِ الطاغيةِ، وقيل: بسببِ الفعلة الطاغية، وقال ابن زيد ما معناه: الطاغيةُ مصدرٌ كالعَاقِبة، فكأنه قال بطُغيانهم[3]؛ وقاله أبو

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٦).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٦)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٢).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٧)، رقم: (٣٤٧٢٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٧).

عبيدة، وَيُقَوِّي هذا قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] وأَوْلَى الأقوال
١١٧٨ وأصوبُها الأوَّلُ، وباقي/ الآيةِ تقدم تفسيرُ نظيرِهِ، وما في ذلك من القصص، والعَاتِيَةُ: معناه الشديدةُ المخالِفَة، فكانت الريحُ قد عَتَتْ على خُزَّانِها بخلافِها، وعلى قوم عادٍ بشدتها، ورُوِيَ عن عليٍّ وابن عباس أنهما قالا: لَمْ ينزلْ من السماء قطرةُ ماءٍ قط إلا بمكيالٍ عَلَى يدِ مَلَكٍ، ولا هبتْ ريحٌ إلاَّ كذلك؛ إلاَّ ما كَانَ مِنْ طوفانِ نوحٍ، وريح عادٍ، فإنَّ اللَّه أَذِنَ لهما في الخروج دونَ إذْنِ الخُزَّانِ[١]، و﴿حُسُوماً﴾: قال ابن عباس وغيره: معناه كَامِلَةً تِبَاعاً لم يتخللها غيرُ ذلك[٢]، وقال ابن زيد: ﴿حُسُوماً﴾ جمعُ حَاسِمٍ، ومعناه أنَّ تلكَ الأيَامَ قطعَتْهُم بالإهلاكِ[٣]، ومنه حَسَمَ العِلَلَ، ومنه الحُسَامُ، والضميرُ في قوله: ﴿فيها صَرْعَى﴾ يُحتملُ عَوْدُه على الليالي والأيام، ويُحْتَمَلُ عودُه على ديارِهم، وقيل: على الريح، * ص *: «ومن قِبَلَه» النحويانِ وعاصمٌ في روايةٍ ـ بكَسْرِ القافِ وفَتْحِ الباء ـ أي: أجنادُه وأهلُ طاعتهِ، وقرأ الباقون[٤]: «قَبْلَه» ظَرْفَ زمانٍ، انتهى.

وقوله: ﴿بالخاطئة﴾ صفةٌ لمحذوفٍ، أي: بالفعلةِ الخاطئةِ، والـ«رابية» النَّامِيَةُ التي قد عَظُمَتْ جِدًّا، ومنه رِبَا المالِ، ومنه ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، ثم عدد تعالى على الناس نِعَمَه في قوله: ﴿إنا لما طغا الماء﴾ يعني في وقتِ الطوفانِ الذي كانَ على قوم نوح، و﴿الجارية﴾ سفينةُ نوحٍ؛ قاله منذر بن سعيد[٥]، والضميرُ في: ﴿لنجعلها﴾ عائِدٌ على الجاريةِ أو على الفعلة.

وقوله تعالى: ﴿وتعيها أُذن واعية﴾: عبارةٌ عن الرجلِ الفَهِمِ المُنَوَّرِ القلبِ الذي يسمعُ القرآنَ؛ فيتلقاه بِفَهْمٍ وتدبُّرٍ، قال أبو عمران الجوني: ﴿واعيةٌ﴾ عَقَلَتْ عَنِ اللَّهِ تعالى، وقال الثعلبيُّ: المعنى: لِتَحْفَظَهَا كلُّ أُذُنٍ فتكونَ عِظَةً لِمَنْ يأتي بعدُ، تقول وَعَيْتَ العِلْمَ إذا

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، رقم: (٣٤٧٢٧)، (٣٤٧٢٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٠٥)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٨)، رقم: (٣٤٧٣٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٢)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٠٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٠٩)، رقم: (٣٤٧٤٥) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٧).

(٤) ينظر: «السبعة» (٦٤٨)، و«الحجة» (٦/ ٣١٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٨٥)، و«حجة القراءات» (٧١٨)، و«معاني القراءات» (٨٦)، و«العنوان» (١٩٦)، و«شرح شعلة» (٦٠٦)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٦٦)، و«إتحاف» (٢/ ٥٥٧).

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٨).

حَفِظْتَه، انتهى، ثم/ ذَكَّر تعالى بأمر القيامةِ، وقرأ الجمهور[١]: «وَحُمِلَتْ» بتخفيفِ الميم ١٧٨ ب
بمعنى: حَمَلَتْهَا الريحُ أو القدرةُ، و﴿دُكَّتَا﴾ معناه سُوِّيَ جميعُها، وانشقاقُ السماءِ هو تَفَطُّرُهَا وتميُّزُ بعضِها من بعضٍ، وذلك هو الوَهْيُ الذي ينالُها، كما يقال في الجدرات الباليةِ المتشققةِ واهيةٌ، والملَكُ اسْمُ الجنسِ يريدُ به الملائكة، وقال جمهور من المفسرين: الضميرُ في ﴿أَرْجَائِهَا﴾ عائدٌ على السَّمَاءِ أي: الملائِكَة على نَوَاحِيهَا، والرَّجَا الجَانِبُ مِنْ البئرِ أو الحائط؛ ونحوه، وقال الضحاكُ وابنُ جبير وغيرهما: الضميرُ في: ﴿أَرْجَائِهَا﴾ عائدٌ عَلى الأرْضِ[٢]، وإنْ كان لم يتقدم لها ذكرٌ قريبٌ؛ لأنَّ القصةَ واللفظَ يَقْتَضِي إفهَام ذلك، وفَسَّرُوا هذه الآيَةَ بما رُوِيَ من أن اللَّه تعالى يأمر ملائِكَةَ سَمَاءِ الدنيا، فيقفونَ صَفًّا على حَافَّاتِ الأرضِ، ثم يأمرُ ملائكة السماءِ الثانية؛ فَيَصُفُّونَ خلفَهم، ثم كذلك ملائكةُ كُلِّ سماءٍ، فكلما نَدَّ أحدٌ من الجنِ أو الإنسِ، وَجَدَ الأرضَ قد أُحِيطَ بها، قالوا: فهذا تفسير هذه الآية؛ وهو أيضاً معنى قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] وهو تفسير: «يَوْمَ التَنَادِّ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ» [غافر: ٣٢ـ ٣٣] على قراءةِ من شَدَّدَ الدال، وهو تفسيرُ قوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ. . .﴾ [الرحمٰن: ٣٣] الآية، واختلفَ الناسُ في الثمانيةِ الحاملينَ للعرشِ، فقال ابن عباس: هي ثمانيةُ صفوفٍ مِنَ الملائكة لا يَعْلَم أَحَدٌ عِدَّتَهم[٣]، وقال ابن زيدِ: هُمْ ثمانيةُ أَمْلاَكٍ على هيئةِ الوُعُولِ[٤]، وقال جماعة من المفسرين: هم على هيئة الناسِ أرجلُهم تَحْتَ الأرْضِ السابعةِ، ورؤوسهم وكواهلهم فَوْقَ السماءِ السابعةِ، قال الغَزَّالِيُّ في «**الدرة الفاخرة**»: هم ثمانيةُ أَمْلاَكٍ قَدَمُ المَلَكِ منهم مسيرةُ
عشرينَ أَلْفَ سنةٍ، انتهى، والضميرُ في قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ قيل: هو للملائكَةِ/ الحَمَلَةِ، ١٧٩ أ
وقيل: للعالم كلّه.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

(١) وقرأ ابن عباس، والأعمش، وابن أبي عبلة، وابن مقسم بتشديد الميم.
ينظر: «**مختصر الشواذ**» ص: (١٦١)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٧٩)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٣١٧)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٣٦٣)، و«**التخريجات النحوية**» (٢٣٨).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٩).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، رقم: (٣٤٧٨٨، ٣٤٧٩٠) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٣٨٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٩)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤١٤)، وذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٠٩)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢١٦)، رقم: (٣٤٧٩٢) بنحوه. وذكره ابن عطية (٥/ ٣٥٩).

﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ خطابٌ لجميع العَالَم، وفي الحديثِ الصحيح: «يُعْرَضُ النَّاسُ ثَلاَثَ عَرْضَاتٍ، فَأَمَّا عَرْضَتَانِ؛ فَجِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ، فَعِنْدَهَا تَتَطَايَرُ الصُّحُفُ في الأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ بِشِمَالِهِ»[(١)]، قال الغَزَّالِيُّ: يَجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ البِدَارُ، إلى مُحَاسَبَةِ نفسِه؛ كما قال عمرُ ـ رضي اللَّه عنه ـ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا[(٢)]، وإِنَّمَا حِسَابُهُ لِنَفْسِهِ، أَنْ يَتُوبَ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ قَبْلَ المَوْتِ تَوْبَةً نَصُوحاً، وَيَتَدَارَكَ مَا فَرَّطَ فِيهِ مِنْ تَقْصِيرٍ في فَرَائِضِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ويردَّ المظالمَ حَبَّةً حَبَّةً، ويستحلَّ كلَّ مَنْ تَعَرَّضَ له بلسانِه ويدِه، وسوء ظَنّه بقلبه، ويُطَيِّبَ قلوبَهم حتى يموتَ، ولم يَبْقَ عليه فريضةٌ ولاَ مظلمةٌ، فَهَذَا يدخلُ الجنةَ بغيرِ حِسَابٍ، إنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى، انتهى من آخِرِ «**الإحياء**»، ونَقَلَ القرطبيُّ في «**تذكرَتِه**» هذه الألفاظَ بعينها.

وقوله: ﴿هاؤُمُ اقرءوا كتابيه﴾ معناه تَعَالُوا، وقوله: ﴿اقرءوا كتابيه﴾ هُو استبشارٌ وسرورٌ * ص *: ﴿هاؤُمُ﴾ «ها» بمعنَى خُذْ، قَالَ الكسائي: والعربُ تقول: هَاءِ يَا رَجُلُ، وللاثنين؛ رجلين أو امرأتين: هَاؤُمَا، وللرجال: هَاؤُمْ، وللمرأةِ: هَاءِ بهمزة مكسورة من غير ياء، وللنساء: هَاؤُنَّ، وزعم القُتَبِيُّ أَنَّ الهمزةَ بَدَلٌ من الكافِ، وهو ضعيفٌ، إلا أَنْ يعني أنها تحلُّ محلَّها في لغةِ مَنْ قال: هَاكَ وهَاكِ، وهَاكُمَا وهَاكُمْ وَهَاكُنَّ، فذلكَ مُمْكِنٌ،
لا أَنَّه بَدَلٌ صناعيٌّ؛ لأَنَّ الكافَ/ لاَ تُبْدَلُ من الهمزةِ ولا الهمزةُ منها. انتهى. ١٧٩ ب

وقوله: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ عبارةٌ عن إيمانِه بالبعثِ وغيرِه، و﴿ظننت﴾ هنا واقعةٌ موقع: تَيَقَّنْتُ، وهي في مُتَيَقَّنٍ لم يقعْ بَعْدُ ولا خرج إلى الحسِّ، وهذا هُو باب الظنِّ الذي يوقع موقعَ اليقين، و﴿راضية﴾ بمعنى مَرْضِيَّة، والقُطُوفُ: جمع قَطْفٍ وهو ما يُجْتَنَى من الثمارِ، ويقطفُ، ودنوُّها هُوَ أنها تأتي طَوْعَ التَّمَنِّي فيأكلُها القائِمُ والقاعدُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٧)، كتاب «صفة القيامة» باب: ما جاء في العرض(٢٤٢٥)، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٠)، كتاب «الزهد» باب: ذكر البعث (٤٢٧٧)، وأحمد (٤/ ٤١٤).
قال الترمذي: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن علي الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ.

(٢) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤١٠)، وعزاه لابن المبارك.

والمضطجعُ بفِيه من شجرتها، و﴿بما أسْلَفْتُم﴾ معناه بِمَا قَدَّمْتُمْ من الأَعْمَالِ الصالحةِ، و﴿الأيَّام الخَالِيَة﴾ هي أيام الدنيا، لأنها في الآخرة قَدْ خَلَتْ وذَهَبَتْ، وقال وكيع وغيره: المرادُ بـ«ما أسلفتم» من الصوم[1]، وعموم الآية في كل الأعمال أوْلى وأحسن، * ت *: ويدلُّ على ذلك الآيةُ الأخرى ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ٤٣] قال ابن المبارك في «رقائقه»: أخبرنا مالك بن مغول أنّه بلغه أنّ عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ قال: حَاسِبُوا أنفُسَكم قبل أن تحاسَبُوا؛ فإنَّه أهْونُ أو أيْسَرُ لحسابِكم، وزنوا أنفسَكم قبل أن تُوزَنُوا، وتجهَّزُوا للعرْضِ الأكْبَرِ ﴿يومَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخفَى مِنْكُمْ خافيةٌ﴾ قال ابن المبارك: أخبرنا معمر عن يحيى بن المختارِ، عن الحسن قال: إن المؤمِنَ قَوَّامٌ على نفسه، يحاسبُ نفسَه للّه، وإنما خَفَّ الحسابُ يوم القيامة عَلَى قوم حَاسَبُوا أنفسهم في الدنيا، وإنَّما شَقَّ الحسابُ يومَ القيامةِ على قوم أَخَذُوا هذا الأَمْرَ عن غير محاسبةٍ[2]، انتهى، والذين يُؤتَوْنَ كتبَهم بشمائِلهم هم المخلَّدُونَ/ في النارِ أهلُ الكفرِ، ١٨٠أ فيتمنَّوْن أن لو كانوا مَعْدُومِينَ.

وقوله: ﴿يا ليتها كانت القاضية﴾ إشارةٌ إلى موتَةِ الدنيا، أي: ليتها لم يكن بعدها رجُوع، * ص *: ﴿ما أغنَى﴾ «ما» نافيةٌ أو استفهاميةٌ انتهى، والسلطانُ في الآيةِ الحجةُ، وقيل: إنه يَنْطِقُ بذلكَ مُلُوكُ الدنيا، والظاهر أنَّ سلطانَ كلِّ أحدٍ حَالُه في الدنيا من عَدَدٍ وعُدَدٍ، ومنه قوله ﷺ «لاَ يُؤَمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ في سُلْطَانِهِ، وَلاَ يَجْلِسُ عَلَىٰ تَكْرِمَتِهِ إلاَّ بِإِذْنِهِ»[3].

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿خذوه فغلوه﴾ الآية، المعنى يقول اللّه تعالى، أو الملك بأمره

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٠).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٢)، وعزاه لابن المنذر عن ابن جريج.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب «المساجد» باب: من أحق بالإمامة، حديث (٢٩٠ ـ ٢٩١)، وأبو داود (١/ ٢١٥)، كتاب «الصلاة» باب: في من أحق بالإمامة(٥٨٢)، والترمذي (١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩)، كتاب «المواقيت» باب: من أحق بالإمامة (٢٣٠)، والنسائي (٢/ ٧٦)، كتاب «الإمامة» باب: من أحق بالإمامة (٧٨٠)، (٢/ ٧٧)، كتاب «الإمامة» باب: اجتماع القوم وفيهم الوالي (٧٨٣)، وابن ماجه (١/ ٣١٣، ٣١٤)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: من أحق بالإمامة (٩٨٠)، وأحمد (٤/ ١١٨، ١٢١ ـ ١٢٢)، (٥/ ٢٧٢)، وهو في الترمذي أيضاً (٥/ ٩٩)، كتاب «الأدب» باب: (٢٤) (٢٧٧٢).
قال الترمذي: حسن صحيح.

للزبانيةِ: خذوه واجْعَلُوا في عنقه غلاًّ، قال ابن جُرَيْجٍ: نزلَتْ في أبي جَهْلٍ[١].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ معناه: أدْخِلوه، ورُوِيَ أن هذه السلسلةَ تدخلُ في فَمِ الكافرِ وتخرجُ من دُبُرِه، فهي في الحقيقةِ التي تَسْلُكُ فيه، لكنَّ الكلامَ جَرَى مَجْرَى: أدْخَلْتُ القَلَنْسُوَةَ في رَأْسِي، ورُوِي أن هذه السلسلةَ تُلْوَىٰ حَوْلَ الكافرِ حتى تعمَّه وتَضْغَطَه، فالكلامُ على هذا على وجهه وهو المسلوكُ.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ خُصَّتْ هذه الخلةُ بالذكرِ، لأنَّها من أضرِّ الخِلاَلِ بالبشر؛ إذا كثُرَتْ في قوم هَلَكَ مساكينُهم، * ت *: ونَقَلَ الفخرُ[٢] عن بعض الناس أنه قال في قوله تعالى: ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾: دليلانِ قويَّانِ على عِظَمِ الجرْمِ في حِرْمَانِ المساكين، أحدهما: عَطْفُه على الكفرِ وجَعْلُه قريناً له، والثاني: ذِكْرُ الحَضِّ دُونَ الفِعْلِ ليعلمَ أنَّه إذا كانَ تاركَ الحضِّ بهذه المنزلةِ، فكيفَ بمن تركَ الفِعْلِ، قال الفخر[٣]: ودلتِ الآيةُ على أنَّ الكفارَ يُعَاقَبُونَ على تركِ الصلاةِ والزكاةِ، وهو المرادُ من قولنا: إنهم مخاطَبُون بفروعِ الشريعة/ وعن أبي الدَّرْدَاءِ أنه: كانَ يَحُضُّ امرأتَه على تكثيرِ المَرَقِ؛ لأجْلِ المساكينِ، ويقول: خَلَعْنا نصفَ السلسلةِ بالإيمَانِ، أَفَلاَ نَخْلَعُ النصفَ الثاني[٤]، انتهى. ١٨٠ ب

وقوله: ﴿فليس له اليوم هٰهنا حميم﴾ أي صَدِيقٌ لطيفُ المودةِ؛ قاله الجمهور، وقيلَ: الحميمُ الماءُ السُّخْنُ، فكأنه تعالى أخبرَ أنَّ الكافرَ ليس له ماءٌ ولا شيءٌ مائعٌ ولا طَعَامٌ إلا مِنْ غِسْلينٍ، وهو ما يَجْرِي من الجِرَاحِ، إذا غسِلَتْ، وقال ابن عباس: الغسلينُ هو صَدِيدُ أَهْلِ النارِ[٥]، وقال قَوم: الغسلينُ: شيءٌ يجري من ضَرِيعِ النارِ، * ص *: ﴿إلا من غسلين﴾ أبو البقاء: النونُ في (غسلين) زائدةٌ: لأنه غُسَالَةُ أهلِ النار، انتهى،

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦١) عن ابن جرير.

(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ١٠٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٢)، وعزاه لأبي عبيد، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن أبي الدرداء.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢١)، رقم (٣٤٨٢٥)، وابن عطية (٥/ ٣٦١)، وابن كثير (٤/ ٤١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٢)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

والخاطىء الذي يفعل ضدَّ الصوابِ.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم﴾ قيل: «لا» زائدةٌ وقيل: «لا» رَدٌّ لما تَقَدَّمَ من أقوالِ الكفار، والبَدْأَة: أُقْسِمُ.

وقوله: ﴿بما تبصرون * وما لا تبصرون﴾ قال قتادة: أرادَ اللَّه تعالى أن يَعُمَّ بهذا القسمِ جميعَ مخلوقاتِهِ[1]، والرسولُ الكريمُ قيل: هو جبريل، وقيل: هو نبينا محمد ﷺ.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ نَفى سبحانه أن يكونَ القرآن من قولِ شاعرٍ؛ كما زعمَتْ قريشٌ، و﴿قليلاً﴾ نَصْبٌ بفعلٍ مَضْمَر يدل عليه ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و«ما» يحتملُ أَنْ تكونَ نافيةً فينتفي إيمَانُهم أَلْبَتَّةَ، ويحتملُ أَنْ تكونَ مصدريةً فيتَّصِفُ إيمانهم بالقلةِ، ويكونُ إيماناً لُغَوِيًّا؛ لأنهم قَدْ صَدَّقُوا بأشياءَ يسيرةٍ لاَ تُغْنِي عَنهم شيئاً، ثم أخبرَ سبحانه أَنَّ محمداً ـ عليه السلام ـ لَوْ تَقَوَّلَ عليه لعَاقَبَه بما ذكر، * ص *: الأَقَاوِيلُ جمع أقوالٍ، وأقْوَالٌ جَمْعُ قَوْلٍ، فهو جَمْع الجمعِ، انتهى.

﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ قال ابن عباس: المعنى لأَخَذْنا منه بالقوةِ، أي
١٨١ أ لَنِلْنَا منه عقابَه بقوةٍ/ منا[2]، وقيل: معناه لأَخَذْنَا بيدِهِ اليمنى؛ على جهةِ الهَوانِ، كما يقال لِمَنْ يسجنُ أو يقامُ لعقوبةٍ: خُذُوا بيدِه أو بيمينه، والوَتِينُ نِيَاطُ القلبِ؛ قاله ابن عباس، وهُو عِرْقٌ غَلِيظٌ تصادفُه شفرةُ الناحِرِ[3]، فمعنى الآيةِ: لأَذْهَبْنَا حياتَه معجَّلاً، والحاجزُ: المانِعُ والضمير في قوله: ﴿وإنَّه لتذكرة﴾ عائدٌ على القرآنِ، وقيل: على النبي ﷺ،

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٣٩٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٢).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣٩٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٣).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٣)، رقم: (٣٤٨٣٢ ـ ٣٤٨٣٣، ٣٤٨٣٤) بنحوه، والبغوي (٤/ ٣٩١)، وابن عطية (٥/ ٣٦٣)، وابن كثير (٤/ ٤١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٣)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس.

* ص *: ﴿وإنه لحسرة﴾: ضمير (إنه) يعودُ على التكذيبِ المفهومِ من ﴿مُكَذِّبِينَ﴾، انتهى، وقال الفخر[1]: الضميرُ في قوله: ﴿وإنه لحسرة﴾ فيه وجهانِ: أحدهما أنه يعودُ على القرآن، أي: هو على الكافرينَ حَسْرَة، إمَّا يوم القيامةِ إذَا رَأَوا ثَوَابَ المصدِّقينَ به، أو في الدنيا إذا رأوا دَوْلَةَ المؤمنِين، ، والثاني: قال مقاتلٌ: وإنَّ تكذيبَهم بالقرآن لَحَسْرَةٌ عليهم يَدلُّ عَلَيْه قوله: ﴿أَنَّ مِنْكم مكذبين﴾، انتهى، ثم أَمَرَ تعالى نبيه بالتسبيحِ باسْمِه العظيم، ولمّا نَزَلت قَال رسول اللَّه ﷺ: اجْعَلُوها في رُكُوعِكم.

---

(١) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/١٠٦).

[تفسير] سُورَةِ «المعارج»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿سأل سائل بعذاب﴾ قرأ جمهور السبعة: ﴿سأَل﴾ بهمزة محقَّقةٍ، قالوا: والمعنى دَعَا داعٍ، والإشارةُ إلى مَنْ قال من قريشٍ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ...﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، وقولهم: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنا﴾ [ص: ١٦] ونحو ذلك، وقال بعضهم: المعنى بَحَثَ بَاحِثٌ واسْتَفْهَمَ مُسْتَفْهِمٌ، قالوا: والإشارةُ إلى قول قريشٍ: ﴿مَتَى هَذَا الوَعْدُ﴾ [الملك: ٢٥] وَمَا جرى مَجْراه؛ قاله الحسن وقتادة، والباء على هذا التأويل في قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾ بمعنى «عن» وقرأ نافع وابن عامر[1]: «سَال سَائِلٌ» ساكنَةَ الألِفِ، واختلفَ القراء بها/ فقال بعضهم: هي «سأل» ١٨١ ب
المهموزةُ إلاَّ أنَّ الهمزةَ سُهِّلَتْ، وقال بعضهم هي لغة من يقول: سَلْتُ أَسَالُ وَيَتَسَاوَلاَنِ، وهي لغةٌ مشهورة، وقال بعضهم في الآية: هي من سَالَ يَسِيلُ إذا جَرَى، وليست من معنى السؤال، قال زيد بن ثابت وغيره: في جهنمَ وادٍ يسمَّى سَائِلاً[2]؛ والإخبارُ هنا عنه، وقرأ ابن عباس[3]: «سَال سيل» ـ بسكون الياءِ ـ وسؤَال الكفارِ عن العذابِ ـ حَسَبَ قراءة الجماعة ـ إنما كانَ على أنه كَذِبٌ، فوصفَه اللَّه تعالى بأنهُ وَاقِعٌ وعيداً لهم.

وقوله: ﴿للكافرين﴾ قال بعض النحاة: اللامُ بمعنى «على»، ورُوِيَ: أنه كذلِكَ في

---

(١) ينظر: «السبعة» (٦٥٠)، و«الحجة» (٦/٣١٧)، و«إعراب القراءات» (٢/٣٨٩)، و«حجة القراءات» (٧٢٠)، و«معاني القراءات» (٣/٨٨)، و«شرح الطيبة» (٦/٦٨)، و«العنوان» (١٩٧)، و«شرح شعلة» (٦٠٨). و«إتحاف» (٢/٥٦٠).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/٣٦٤).

(٣) قال أبو الفتح: السيل هنا: الماء السائل، وأصله المصدر، من قولك: سال الماء سَيْلاً، إلا أنه أوقع على الفاعل، كقوله: ﴿إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ [الملك: ٣٠]، أي: غائراً.
ينظر: «المحتسب» (٢/٣٣٠)، و«مختصر الشواذ» ص: (١٦٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/٣٦٥).

مصحف[١] أُبَيّ: «على الكافرين» والمعارجُ في اللُّغةِ الدَّرَجُ في الأَجْرَام، وهي هنا مستَعارَةٌ في الرُّتَبِ والفضائِل، والصفاتِ الحميدة؛ قاله ابن عباس وقتادة[٢]، وقال الحسن: هي المَرَاقي في السماء[٣]، قال عياض، في «مشارق الأنوار»: قوله ﷺ «فَعَرَجَ بي إلى السَّماء»، أي: ارْتَقَى بي، والمعراجُ الدَّرَجُ وقيل: سُلَّمٌ تَعرُج فيه الأرواحُ، وقيل: هو أحْسَنُ شيءٍ لا تتمالكُ النفسُ إذا رأته أنْ تَخْرُجَ، وإليه يَشْخَصُ بَصَرُ الميْتِ مِنْ حُسْنِهِ، وقيل: هو الذي تَصْعَدُ فيه الأَعْمَالُ، وقيل: قوله: ﴿ذِي المَعارِجِ﴾ مَعَارِجِ الملائكةِ، وقيل: ذي الفواضِلِ، انتهى.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة﴾ معناه تَصْعَدُ، والرُّوحُ عِنْدَ الجمهورِ هو جبريلُ ـ عليه السلام ـ وقال مجاهد: الرُّوحُ ملائِكَةٌ حَفَظَةٌ للملائِكَةِ الحافظين لبني آدم لا تَراهم الملائكةُ؛ كَمَا لا نرى نحن الملائكة[٤]، وقال بعض المفسرين: هو اسم جنسٍ لأرواحِ الحيوان.

وقوله سبحانه: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ قال ابن عباس وغيره: هو
١٨٢أ يومُ القيامةِ[٥]، ثم اختلفوا؛ فقال بعضُهم: قَدْرُه في الطولِ قَدْر/ خمسينَ ألْفَ سَنَةٍ، وقال بعضهم: بل قَدْرُه في الشدّة، والأولُ هو الظاهر، وهو ظاهر قوله ﷺ: «ما مِنْ رجلٍ لا يؤَدِّي زكاةَ مالِه إلا جُعِلَ له صفائحُ مِن نارٍ يوم القيامةِ تكْوَى بها جَبْهَتُه وظهرُه وجَنْبَاه فْي يوم كان مقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ». قال أبو سعيدِ الخدريُّ: «قيل: يا رسولَ اللّه! مَا أَطْوَلَ يَوْماً مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ! فقالَ: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّهُ لَيَخِفُّ عَلَى المُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ»[٦]، قال ابن المبارك: أخبرنا معمر عن قتادة عن

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦٥).
(٢) أخرجه الطبري (٦/ ٢٢٦)، رقم: (٣٤٨٥٣ ـ ٣٤٨٥٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٥)، وابن كثير (٤/ ٤١٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٦)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وعزاه أيضاً لعبد بن حميد.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٥).
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٥).
(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٧)، رقم: (٣٤٨٦٤) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٣٩٢)، وابن عطية (٥/ ٣٦٥)، وابن كثير (٤/ ٤١٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٦)، وعزاه لابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث».
(٦) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥)، والطبري (١٢/ ٢٢٧) (٣٤٨٦٧).

زُرَارَةَ بْنِ أوفَىٰ عن أبي هريرةَ قال: يَقْصُرُ يومئذٍ على المؤمِنِ حتى يكونَ كوقتِ الصَّلاَةِ[1]، انتهى، قال * ع[2] *: وَقَدْ ورد في يوم القيامةِ أنه كألْفِ سنةٍ، وهذا يشبه أن يكونَ في طوائفَ دونَ طوائفَ، * ت *: قال عبد الحق في «العاقبة» له: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ؛ أن يومَ القيامةِ لَيْسَ طولُه كما عَهِدْتَ من طول الأيامْ، بَلْ هو آلافٌ من الأعوامْ، يَتَصَرَّفُ فيه هذا الأنامْ، على الوُجُوهِ والأقْدَامْ، حَتَّى يَنْفُذَ فيهم مَا كُتِبَ لَهُمْ وعليهم من الأَحْكَام، وليس يكونُ خَلاَصُه دفعةً وَاحِدَةً، ولا فراغُهم في مرةٍ واحدةٍ؛ بل يَتَخَلَّصُونَ ويَفْرُغُونَ شَيْئاً بعد شيءٍ، لَكِنَّ طولَ ذلك اليوم خمسون ألفَ سنة، فَيَفْرَغُونَ بِفَرَاغِ اليوم، ويفرغُ اليومُ بِفَرَاغِهم، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يطولُ مقامُه وحبْسُه إلى آخر اليومِ، ومنهم من يكونُ انفصَالُه في ذلك اليوم في مقدار يَوْمٍ من أيام الدنيا، أو في ساعةٍ من ساعاتِه، أو في أقَلَّ من ذلك، ويكون رائحاً في ظلِّ كَسْبِهِ وعَرْشِ ربه، ومنهم من يُؤمَرُ به إلى الجنةِ بغير حسابٍ ولا عذاب، كما أنَّ منهم مَنْ يُؤمَرُ به إلى النارِ في أول الأمْر من غير وقوفٍ ولا انتظار،/ أو ١٨٢ ب
بعدَ يسير من ذلك، انتهى.

﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾

وقوله سبحانه: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ أمرٌ للنبيِّ ﷺ بالصبرِ على أذى قومِه، والصبرُ الجميلُ الذي لا يَلْحَقُه عَيْبٌ ولا شَكٌّ ولا قِلَّةُ رِضَى، ولا غيرُ ذلك، والأمْرُ بالصبرِ الجميلِ مُحْكَمٌ في كل حالة، أعني: لاَ نَسْخَ فيه، وقيل: إن الآيةَ نزلتْ قبل الأمْرِ بالقِتَالِ؛ فهي منسوخة، * ت *: ولو قيلَ: هذا خطابٌ لجنسِ الإنْسَانِ في شَأْنِ هَوْلِ ذلكَ اليومِ؛ مَا بَعُدَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهم يرونه بعيداً﴾ يعني يوم القيامة، والمهْلُ: عَكَرُ الزَّيْتِ؛ قاله ابن

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٠): رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه.

(١) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٢)، وأبو داود (٢/ ٦٧٣)، كتاب «الأدب» باب: في التحلق (٤٨٢٣)، وأحمد (٥/ ٩٣، ١٠١، ١٠٧)، والبيهقي (٣/ ٢٣٤)، كتاب «الجمعة» باب: من كره التحلق في المسجد.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٦٥).

عباس[(١)] وغيره، فَهِي لسوادِها وانكدارِ أَنوارِها، تشبهُ ذلكَ، والمهلُ أيضاً: ما أُذِيبَ من فضَّةٍ ونحوها؛ قاله ابن مسعود وغيره[(٢)]، والعِهْنُ الصوفُ، وقيل: هو الصوفُ المصْبُوغ، أيَّ لَوْنٍ كَانَ، والحميمُ في هذا الموضع: القريبُ والوَليُّ، والمعنى: ولا يَسْأَلُهُ نصرةً ولا منفعةً، ولا يجدُها عنده، وقال قتادة: المعنى: ولا يَسْأَلُهُ عن حالِه؛ لأنَّها ظاهرةٌ قَدْ بَصُرَ كلُّ أحَدٍ حَالَةَ الجميع، وشُغِلَ بنفسهِ[(٣)]، قال الفخرُ[(٤)]: قوله تعالى: ﴿يبصَّرونهم﴾ تقول: بَصَّرَني زيدٌ كَذَا، وبَصَّرَني بِكَذَا، فإذا بَنَيْتَ الفِعل للمَفعُولِ وحَذَفْتَ الجارَّ، قلتَ: بُصِّرْتُ زَيْداً، وهكذا معنى: ﴿يبصَّرونهم﴾ وكأنَّه لما قال: ﴿ولا يَسْأَلُ حميم حميماً﴾ قيل: لعله لاَ يُبْصِرُه؛ فَقَال: ﴿يبصَّرونهم﴾ ولَكِنْ لاشْتِغَالِهِم بأنفسِهم لا يَتَمَكَّنُونَ من تساؤلِهم، انتهى، وقرأ ابن كثير[(٥)] بخلافٍ عنه: «ولاَ يُسْئَلُ» عَلَى بِنَاءِ الفعلِ للمفعول، فالمعنى: وَلاَ يُسْأَلُ إحْضَارَهُ؛ لأنَّ كلَّ مُجْرِمٍ له سِيمَا يُعْرَفُ بها، كما أنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ لَهُ سِيمَا خَيْرٍ، والصَّاحِبَةُ هنا: الزوجةُ، والفصيلة هنا: قرابَةُ الرجل.

وقوله تعالى: ﴿كلا إنها لظى﴾ ردّ لما وَدُّوه، أي: ليس الأَمْرُ كذلك، و«لَظَى» طَبَقَةٌ

١٨٣أ مِنْ طبقاتِ جهنم، والشَّوَى/ جلدُ الإنسانِ وقيل: جلدُ الرأس.

﴿تدعوا من أدبر وتولى﴾ يريدُ الكفارَ، قال ابن عباس وغيره: تدعوهُم بأسمائهم وأسماء آبائهم[(٦)]، ﴿وجَمَعَ﴾ أي جمعَ المالَ و﴿أوعى﴾ جَعَلَه في الأوْعِية، أي: جمعُوه من غيرِ حلّ ومَنَعُوه من حقوقِ اللَّهِ، وكان عبدُ اللَّهِ بن عكيم لاَ يَرْبِطُ كيسَه، ويقول: سمعتُ اللَّه تعالى يقول: ﴿وجمع فأوعى﴾.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الإنسان﴾ عمومٌ لاسْمِ الجنسِ، لكنَّ الإشارةَ هنا إلى الكفارِ،

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٦)، وابن كثير (٤/ ٤٢٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٨)، وعزاه للطستي عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٢٩)، رقم: (٣٤٨٧٦) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤١٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ١١١).

(٥) ينظر: «السبعة» (٦٥٠)، و«الحجة» (٦/ ٣٢٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٣٩٢)، و«معاني القراءات» (٣/ ٨٩)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٦٩)، و«إتحاف» (٢/ ٥٦١).

(٦) ذكره البغوي (٤/ ٣٩٤) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٧).

والهَلَعُ فَزَعٌ واضْطِرَابٌ يعتري الإنسانَ عندَ المخاوفِ وعندَ المطامع.

وقوله تعالى: ﴿إذا مسه...﴾ الآيَة، مُفَسِّرٌ لِلْهَلَعِ.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾

وقوله تعالى: ﴿إلا المصلين﴾ أي: إلا المؤمنينَ الذين أمْرُ الآخِرَةِ عليهم أوْكَدُ مِنْ أمْرِ الدنيا، والمعنى أن هذَا المعنى فِيهم يَقِلُّ لأنهم يُجَاهِدُونَه بالتقوى.

وقوله: ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ أي: مواظِبُون، وقد قال ـ عليه السلام ـ «أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ عليه صاحبُه». * ت *: وقد تقدم في سورةِ «قَدْ أَفْلَحَ» ما جَاءَ في الخشوعِ، قَالَ الغزاليُّ: فَيَنْبَغِي لك أنْ تفهمَ ما تقرؤه في صلاتِك ولاَ تَغْفُلَ في قراءَتِك عن أمْرِه[1] سبحانَه، ونهيه، وَوَعْدِه، وَوَعِيده، ومواعظِه وأخبارِ أنبيائِه، وذِكْرِ مِنَّتِه وإحْسَانِه، فلكلِّ واحدٍ حَقٌّ؛ فالرجَاءُ حق الوَعْدِ، والخَوْفُ حقُّ الوعيد، والعَزْمُ حق الأمْرِ والنّهي، والإتِّعاظُ حقُّ الموعِظَة، والشكرُ حقُّ ذكر المِنَّةِ، والاعتبارُ حق ذِكْر أخبارِ الأنبياء، ، قال الغزالي: وتكونُ هذه المعاني بِحَسَبِ دَرَجَاتِ الفَهْم، ويكونُ الفَهْمُ بِحَسَبِ وُفُورِ العلم. وصَفَاءِ القلب، ودَرَجَاتُ ذلكَ لاَ تَنْحَصِرُ، فهذا حقُّ القراءةِ وهُوَ حَقُّ الأذْكَارِ، والتسبيحاتِ أيضاً، ثم يُرَاعى الهيئةَ في/ القراءةِ، فيرتِّلُ ولا يَسْرُدُ فإن ذلك أيْسَرُ للتأمُّلِ، ١٨٣ ب
ويُفَرِّقُ بَيْن نَغْمَاتِه في آياتِ الرحمةِ وآياتِ العذاب، والوعد والوعيد، والتحميدِ والتعظيم، انتهى من «الإحياء»، ، ورَوَى ابن المبارك في «رقائقه» قال: أخبرنا ابن لَهِيعَةَ عن يزيد بن أبي حَبِيبٍ أنَّ أبا الخير حدَّثَهُ قال: سَأَلْنَا عقبةَ بنَ عامرٍ الجهنيَّ عن قوله ـ عز وجل ـ: ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ أَهُمُ الذين يصلُّون أبَداً؟ قال: لا، ولكنَّه الذي إذا صلى لم يلتفتْ عن يمينِهِ، ولا عن شماله، ولا خَلْفَه[2]، انتهى.

﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١﴾

وقوله سبحانه: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ قال ابن عباس وغيره: هذه الآيةُ

---

(١) في د: أمر الله.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٨)، وابن كثير (٤/ ٤٢١)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٠)، وعزاه لابن المنذر.

في الحقُوقِ التي في المَالِ سِوَى الزكاةِ[١]، وهي ما نَدَبَتْ إليه الشريعةُ من المواساة، وهذا هو الأصَحُّ في هذه الآية؛ لأن السورَة مكيةٌ وفَرْضُ الزكاةِ وبيانُها إنما كَان بالمدينة، ، وباقي الآيةِ تَقَدَّم تفسيرُ نظيرِهِ.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ جَمَع الأمَانَةَ مِنْ حَيْثُ إنَّها متنوعةٌ في الأمْوَال والأسْرَارِ، وفيما بينَ العَبْدِ وربِّه، فيما أمره به ونهاه عنه، والعَهْدُ كلُّ ما تَقَلَّدَه الإنسَانُ من قَوْلٍ أو فعل، أو مَوَدَّةٍ، إذا كانَتْ هذه الأشْيَاء على منهاج الشريعةِ فَهُو عَهْدٌ ينبغي رعيُه وحفظُه.

وقوله سبحانه: ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ معناه في قول جماعة من المفسرين: أنهم يَحْفَظُون ما يَشْهَدُونَ فيه، ويُتْقِنُونَه، ويقومُونَ بمعانيه؛ حتَى لاَ يكونَ لهم فيه تقصيرٌ وهَذَا هو وصفُ مَنْ يَمْتَثِلُ قولَ النبي ﷺ: «عَلَى مِثْلِ الشَّمْسِ فَاشْهَدْ»، وقال آخرونَ: معناه: الذينَ إذا كَانَتْ عندَهم شهادةٌ وَرَأَوْا حَقاً يُدْرَسُ أو حُرْمَةً لِلَّهِ تُنْتَهَكُ؛ قامُوا لِلَّهِ بشهادَتِهم.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾

١٨٤ أ وقوله تعالى: ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾ الآيةُ نزلتْ بسببِ/ أن النبي ﷺ كَانَ يصلي عندَ الكعبةِ أحياناً ويقرأ القرآن، فكان كثيرٌ من الكفَّارِ يَقُومُونَ من مجَالِسِهم مسرعينَ إليه يستمعون قراءَتَه، ويقول بعضهم لبعض: شاعِرٌ وكَاهِنٌ، ومفترٍ وغيرُ ذلك، و﴿قِبَلَكَ﴾ معناه فيما يليكَ، والمُهْطِعُ الذي يمشي مُسْرِعاً إلى شيء قَدْ أَقْبَلَ ببصرِهِ عليه، و﴿عِزِينَ﴾ جَمْعُ عِزَةٍ، والعِزَةُ: الجَمْعُ اليسيرُ كأنَّهم كَانُوا ثلاثة ثَلاثَةً وأَرْبَعَةً أَرْبَعَةً، وفي حديثِ أَبي هريرة قال: «خَرَجَ النبي ﷺ على أصحابه وهم حَلَقٌ متفرقونَ، فقالَ: مالي أراكم عزين»[٢].

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٣٦)، رقم: (٣٤٩١٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٢)، كتاب «الصلاة» باب: الأمر بالسكون في الصلاة، حديث (١١٩/ ٤٣٠)، وأبو داود (٥/ ١٦٣)، كتاب «الأدب» باب: في التحلق، حديث (٤٨٢٣)، وأحمد (٥/ ٩٣).

بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿أيطمع كل امرىءٍ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ نزلتْ لِأَنَّ بعضَ الكفارِ قال: إنْ كَانَتْ ثَمَّ آخرةٌ وجنةٌ فنحنُ أهْلها؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى لم يُنْعِمْ علينا في الدنيا بالمال والبنِين، وغيرِ ذلك؛ إلا لرضَاه عنا.

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ﴾ رَدٌّ لقولِهم وطَمَعِهم، أي: ليس الأمْرُ كذلك، ، ثم أخبرَ تَعَالَى عَنْ خَلْقِهم من نطفةٍ قَذِرَةٍ، وأحالَ في العبارةِ عَلى عِلْمِ الناسِ، أي: فمن خُلِقَ من ذلكَ فَلَيْسَ بنفسِ خَلْقِهِ يُعْطَى الجنةَ، بلْ بالإيمَانِ والأَعْمَالِ الصالحةِ، ورَوَى ابن المباركِ في «رقائقه» قال: أخبرنا مالك بن مغول؛ قال: سمعت أبا ربيعة يحدِّثُ عن الحسن؛ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كُلُّكم يُحِبُّ أَنْ يُدْخَلَ الجَنَّةَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، جَعَلَنَا اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: فَأَقْصِرُوا مِنَ الأَمَلِ، وثَبِّتُوا آجَالَكُمْ بَيْنَ أَبْصَارِكُمْ، واسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّنَا نَسْتَحِي مِنَ اللَّهِ، قَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ الحَيَاءُ، ولَكِنَّ الحَيَاءَ مِنَ اللَّهِ أَلاَّ تَنْسَوُا المَقَابِرَ وَالبِلَىٰ، وَلاَ تَنْسَوُا الجَوْفَ وَمَا وَعَىٰ، وَلاَ تَنْسَوُا الرَّأْسَ وَمَا حَوَىٰ/ ، وَمَنْ ١٨٤ ب
يَشْتَهِي كَرَامَةَ الآخِرَةِ يَدَعُ زِينَةَ الدُّنْيَا، هُنَالِكَ اسْتَحْيَا الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ، هُنَالِكَ أَصَابَ وِلاَيَةَ اللَّهِ»[1]، انتهى، وقد روِّينا أكْثَرَ هَذا الحديثِ، من طريقِ أبي عيسى الترمذي، وباقي الآيةِ تَقَدَّم تفسيرُ نظيرِه، والأَجْدَاثُ القبُورَ، والنُّصُبُ: ما نُصِبَ للإِنْسَانِ فهو يَقْصِدُه مسرعاً إليه من عَلَمٍ أو بناءٍ، وقال أبو العالية: ﴿إلى نُصُبٍ يوفضون﴾: معناه: إلى غَايَاتٍ يَسْتَبِقُونَ، و﴿يوفضون﴾: معناه: يسرعونَ، و﴿خاشعة﴾: أي: ذليلةٌ منكسِرَة.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص: (١٠٧) (٣١٧).

تفسِيرُ سُورَةِ نُوحٍ

عَلَيْهِ السَّلاَمُ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله سبحانه: ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ هذا العذابُ الذي تَوَعَّدُوا بِهِ، الأظْهَرُ أنَّه عذابُ الدنيا، ويُحْتَمَلُ أنْ يكونَ عذابَ الآخرةِ.

وقوله: ﴿من ذنوبكم﴾ قال قوم: «من» زائدةٌ وهذا نحوٌ كوفيٌّ، وأما الخليلُ وسيبويهِ؛ فلا يجوزُ عندَهم زِيادَةُ «من» في المُوجَبِ[1]، وقال قومٌ: هي للتبعيضِ، قال * ع[2] *: وهَذَا القولُ عندي أبْيَنُ الأقوالِ هنا؛ وذلك أنه لَوْ قَالَ: يَغْفِرْ لَكُمْ ذنوبَكُم؛ لَعَمَّ هذَا اللفظُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الذنوبِ، ومَا تَأَخَّرَ عن إيمانِهِم، والإسْلاَمُ إنَّما يَجُبُّ ما قبله.

وقوله سبحانه: ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ كأنّ نوحاً ـ عليه السلام ـ قال لهم: وآمنوا يَبِنْ لَنَا أنَّكُمْ ممن قُضِيَ له بالإيمان والتأخيرِ، وإنْ بَقِيتُم عَلى كُفْرِكُمْ فَسَيَبِينُ أنكم ممن قُضِيَ عليه بالكفرِ والمُعَاجَلَةِ، ثم تبيَّنَ هذا المعنى ولاَحِ بقوله تعالى: ﴿إن أجل اللَّه
١٨٥ أ إذا جاء لا يؤخر﴾ وجَوابُ لو مقدرٌ/ يقتضيه المعنى، كأنَّه قال: فَمَا كَانَ أحْزَمَكُمْ أو أَسْرَعَكُمْ إلَى التَّوْبَةِ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾

---

(١) في د: الواجب.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٢).

وقوله تعالى: ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ الآية، هذه المقالةُ قالَها نوحٌ ـ عليه السلام ـ بَعْدَ طولِ عُمْرِهِ ويأسِه من قومه.

﴿واستغشوا ثيابهم﴾: معناه: جَعَلُوها أغْشِيَةً على رؤوسهم.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾

وقوله: ﴿يرسل السماء﴾ الآية، رُوِيَ أن قومَ نوحٍ كانوا قَدْ أصَابَتْهُمْ قُحُوطٌ وأزْمَةٌ فلذلك بدأهم في وَعْده بأمرِ المطرِ، و﴿مِدْرَاراً﴾ من الدَّرِّ، ورَوَى ابنُ عباسٍ عن النبي ﷺ أنّه قال: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرجاً، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ»[1]؛ رواه أبو داود واللفظ له، والنسائيُّ وابن ماجه، ولفظ النسائيِّ[2]: «من أكْثَرَ من الاستغفار»، انتهى من «**السلاح**».

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾

وقوله: ﴿ما لكم لا ترجون للّه وقاراً﴾ قال أبو عبيدةَ وغيره: ﴿تَرْجُونَ﴾ معناه تَخَافُونَ[3]، قالُوا: والوَقَارُ بمعنى العَظَمَةِ، فكأنَّ الكلامَ عَلى هذا التأويلِ وَعِيدٌ وتخويفٌ، وقال بعض العلماء: تَرْجُونَ على بَابِها، وكأنه قال: مَا لَكُمْ لاَ تَجْعَلُونَ رَجَاءَكم لِلَّهِ، و﴿وَقَاراً﴾ يكونُ على هذا التأويل منهم كأنه يقولُ: تَؤُدَةً مِنْكُمْ وتَمَكُّناً في النظر.

وقوله: ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ قال ابن عباس وغيره: هي إشارة إلى التدريجِ الذي للإنْسَانِ في بطنِ أمه[4]، وقال جماعة: هي إشارة إلى العِبْرَةِ في اختلافِ خَلْقِ ألْوَانِ الناسِ

---

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٤٧٦)، كتاب «الصلاة» باب: في الاستغفار(١٥١٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤، ١٢٥٥)، كتاب «الأدب» باب: الاستغفار (٣٨١٩)، والبيهقي (٣/ ٣٥١)، كتاب «صلاة الاستسقاء» باب: ما يستحب من كثرة الاستغفار في خطبة الاستسقاء، وأبو نعيم في «**الحلية**» (٣/ ٢١١)، والنسائي في «**الكبرى**» (٦/ ١١٨)، كتاب «عمل اليوم والليلة» باب: ثواب ذلك (١٠٢٩٠/ ٢)، والحاكم في «**المستدرك**» (٤/ ٢٦٢).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وتعقبه الذهبي قائلاً: الحكم فيه جهالة.

(٢) في د: وابن ماجه.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٥١)، رقم: (٣٥٠١٢) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٤)، وابن كثير (٤/ ٤٢٥).

وخُلُقِهِم، ومِلَلِهِم، والأطْوَارُ: الأحْوَالُ المختلفة.

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وجعل القمر فيهن نوراً...﴾ الآية، قال عبدُ اللَّه بن عمرو بن
١٨٥ ب العاص وابن عباس: إن الشَّمْسَ والقمر أقْفَاؤهما إلى الأرض، وإقبال/ نورهما وارتفاعُه في السماء[(١)]؛ وهذا الذي يقتضيه لفظُ السِّرَاجِ.

و﴿أنبتكم من الأرض﴾: استعارةٌ مِنْ حَيْثُ خلق آدم ـ عليه السلام ـ من الأرض.

و﴿نباتاً﴾ مصدرٌ جَاءَ على غير المصدر، التقديرُ: فَنَبَتُّم نَبَاتاً، والإعَادَةُ فيها بالدَّفْنِ، والإخراجُ هو بالبعثِ، وظاهر الآية: أنَّ الأرْضَ بسيطَةٌ غيرُ كُرِيَةٍ، واعتقادُ أحَدِ الأمْرَيْنِ غَيْرُ قَادِحٍ في الشرْعِ بنفسِه، اللهمَّ إلاَّ أنْ يترتبَ[(٢)] على القولِ بالكُرِيَّةِ نَظَرٌ فاسِدٌ، وأما اعتقادُ كونِها بسيطةً، فهو ظاهِرُ كتابِ اللَّه تعالى، وهو الذي لاَ يَلْحَقُ عنه فسادٌ أَلْبَتَّةَ، واستدلَّ ابن مجاهد علَىٰ صحَّة ذلك بماءِ البحر المُحِيطِ بالمَعْمُورِ فقَال: لَوْ كانت الأرضُ كُرِيَّةً لَمَا اسْتَقَرَّ المَاءُ عَلَيْهَا[(٣)]، والسُّبُلُ الطرقُ، والفجاجُ الواسعةُ، وقولُ نوح: ﴿واتبعوا من لم يزده ماله...﴾ الآية، المعنى: اتَّبعُوا أشْرافَهم وغُواتَهم، و﴿خَسَاراً﴾: معناه: خُسْرَاناً، و﴿كباراً﴾: بناءُ مبالغةٍ نَحْوَ: حُسَّانَ وقُرِيءَ[(٤)] شاذًّا: «كِبَاراً» ـ بكسْرِ الكَافِ ـ قال ابن الأنباري: جَمْعُ كبير.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٥٢)، رقم: (٣٥٠٢٠) بنحوه عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وذكره البغوي (٤/ ٣٩٨)، وابن عطية (٥/ ٣٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ في «العظمة» عن عبد اللَّه بن عمرو، وعزاه أيضاً لأبي الشيخ عن ابن عباس.
(٢) في د: يتركب.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٥).
(٤) قرأ بها ابن محيصن، وعيسى بن عمر.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٦٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٦)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٣٥)، وزاد نسبتها إلى زيد بن علي، وهي في «الدر المصون» (٦/ ٣٨٥).

و﴿وَدّاً﴾ ومَا عُطِفَ عليه أسْمَاءُ أصْنَام، ورَوَى البخاريُّ وغيره عن ابن عباس: أنَّها كانتْ أسْمَاء رجالٍ صالحينَ، من قوم نوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا؛ أوْحَى الشيطانُ إلى قومِهم أن انْصِبُوا إلى مجالسِهم التي كانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَاباً وَسَمُّوهَا بأسمائهم، فَفَعَلُوا[١]، فلم تُعْبَدْ حتى إذا هَلَكَ أولئك وتُنُسِّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ،، قال ابن عباس: ثم صَارَتْ هذه الأوثانُ التي في قَوْمِ نُوحٍ في العَرَبِ بَعْد[٢]، انتهى.

وقوله: ﴿وقد أضلوا كثيراً﴾ هو إخبارُ نُوحٍ عن الأشْرَافِ، ثم دَعَا اللَّهَ عليهم ألاَّ يَزِيدَهم إلا ضَلالاً، وقال الحسن: أراد بقوله: ﴿وقد/ أضلوا﴾ الأَصْنَامَ المذكورة[٣]. ١٨٦ أ

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ ابتداء إخْبَارٍ مِنَ اللّهِ تعالَىٰ لمحمَّد ـ عليه السلام ـ و«ما» في قوله: ﴿مما﴾: زائدةٌ فكأنه قال: مِنْ خَطِيئَاتِهِم، وهي لابتداءِ الغَايَةِ، * ص *: ﴿مما خطيئاتهم﴾ من للسببِ، * ع[٤] *: لابتداءِ الغايةِ و«ما» زائدة للتوْكيد، انتهى، ﴿فأُدْخِلُوا ناراً﴾ يعني جَهَنَّمَ، وقول نوح: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾ قال قتادة وغيره: لم يَدْعُ نوحٌ بهذهِ الدعوةِ إلاَّ مِنْ بَعْدِ أنْ أُوحِيَ إليه ﴿أنَّه لَنْ يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمنَ﴾[٥] [هود: ٣٦] و﴿ديَّاراً﴾ أصْله: دَيْوَارٌ من الدَّورانِ، أي: من يجيءُ ويذهب.

وقوله: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ قال ابن عباس: لم يَكْفُرْ لنوحٍ أبٌ مَا بَيْنَه وبين آدم عليه السلام[٦]، وقرأ أبيُّ بن كعب[٧]: «ولِأَبَوَيَّ»، وبيتُه المسجدُ؛ فيما قاله ابن

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٥٤)، رقم: (٣٥٠٣١) بنحوه، وذكره ابن كثير (٤/ ٤٢٦).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٣٩٩)، وابن كثير (٤/ ٤٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٧)، وعزاه للبخاري، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٦).
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٦).
(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٢٨)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(٦) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٧).
(٧) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٧).

عباس[١]، وجمهورُ المفسرين، وقال ابن عباس أيضاً: بيتُه شريعتُه ودِينُه؛ استعار لها بَيْتاً كما يقال قُبَّة الإِسْلاَمِ وفُسْطَاطُ الدين[٢]، وقيل: أراد سفينتَه.

وقوله: ﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ تعميمٌ بالدعاء لمؤمِني كلِّ أُمَّةٍ، وقال بعض العلماء: إن الذي استجابَ لنوح ـ عليه السلامُ ـ فأغْرَق بدعوتِه أهْلَ الأرضِ الكفار، لجديرٌ أن يستجيبَ له فَيَرْحَمَ بدعوتِهِ المؤمنينَ، والتَّبَارُ: الهَلاَكُ.

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٧).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٧).

تفسيرُ سُورَةِ الجنِّ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بإجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿قل أوحي إلي أنه آستمع نفر من الجِن﴾ هؤلاءِ النفرُ من الجنِّ هم الذين صَادَفُوا النبيَّ ﷺ يقرأ ببطنِ نخلةٍ في صَلاةِ الصُّبْحِ، وقد تَقَدَّمَ قَصَصُهم في سورة الأحقافِ، وقولُ الجن: ﴿إنا سمعنا...﴾ الآيات، هو خطابٌ منهم لِقَوْمِهم.

و﴿قرآناً عجباً﴾: معناه: ذَا عَجَبٍ؛ لأن العَجَبَ مصدرٌ يقعُ من سَامِعِ القرآن لبراعتِه / وفصاحتِه ومُضَمَّناتِه. ١٨٦ ب

وقوله: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ قَالَ الجمهورُ: معناه: عَظَمَةُ ربنا، وروي عن أنسٍ أنه قال: كان الرجلُ إذا قَرَأَ البَقَرَةَ، وآلَ عمرانَ جَدَّ في أعيننا، أي: عَظُم[1]، وعن الحسن: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ غِنَاهُ[2] وقال مجاهد: ذِكْرُهُ[3]، وقال بعضهم: جَلاَلُه، ومَنْ فَتَح الألِفَ من قوله: ﴿وأنَّه تَعَالَى﴾ اخْتَلَفُوا في تأويلِ ذلك، فقال بعضُهم: هو عَطْفٌ على ﴿أنه اسْتَمَع﴾ فيجيءُ عَلَى هذا قولُه تعالى: ﴿وأنه تعالى﴾ مما أُمِرَ أنْ يقولَ النبيُّ إنَّه أوحي إليه، ولَيْسَ هو من كلامِ الجنِّ، وفي هذا قَلَقٌ، وقال بعضهم: بل هو عطف على الضمير في ﴿به﴾ كأنه يقول: فآمنا به وبأنه تعالى، وهذا القول أَبْيَنَ في المعنى، لكنَّ فيه من جهةِ النحو

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٤٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٠)، رقم: (٣٥٠٥٦)، (٣٥٠٥٧)، (٣٥٠٥٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٠١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٠)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٠)، رقم: (٣٥٠٦١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٧٩)، وابن كثير (٤/ ٤٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٠)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

العطفَ على الضميرِ المخفوضِ دُونَ إعَادَةِ الخَافِضِ، وذلك لاَ يَحْسن * ت *: بلْ هُوَ حَسَنٌ؛ إذ قَدْ أتى في النظم والنَّثْرِ[1] الصحيحِ، مُثْبَتاً، وقرأ عكرمة[2]: «تعالَىٰ جَدٌّ رَبُّنَا» - بِفَتْحِ الجيم وضَمِّ الدالِ وتَنْوِينِهِ ورفعِ الرَّبِّ -، كأنه يقول: تعَالَى عَظِيمٌ هو ربُّنا، فـ«رَبُّنَا» بدَلٌ والجَدُّ: العَظِيمُ في اللغةِ، وقرأ أبو الدرداء: «تَعَالَىٰ ذِكْرُ رَبِّنَا» ورُوي عنه: «تعالَىٰ جَلاَلُ رَبِّنَا».

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا﴾ لا خِلاَفَ أن هَذَا مِنْ قَوْلِ الجِنِّ، والسفيهُ: المذكورُ قال جمهورٌ من المفسرينَ: هُو إبليسُ - لعنه اللَّه -، وقال آخرونَ: هو اسْمُ جنسٍ لكلِّ سفيهٍ مِنْهُمْ وَلاَ مَحَالَةَ أَنَّ إبليسَ صَدْرٌ في السفاهةِ، وهذا القول أحْسَنُ، والشَّطَطُ: التَّعَدِّي وتجاوُزُ الحدّ بقولٍ أو فعل، * ص *: ﴿شَطَطاً﴾ أبو البقاءِ: نَعْتٌ لمصدَرٍ محذوفٍ، أي: قَوْلاً شَطَطًا، انتهى، ثم قال أولَئِكَ النفرُ: ﴿وأَنَّا ظَنَنَّا﴾ قبلَ إيماننا ﴿أن لَن تَقُولَ الإِنْسُ والجنّ على اللَّه كذباً﴾ في جِهَةِ الألوهيةِ وما يتعلق بذلك.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾

---

(١) في د: النثر والنظم.

(٢) قال أبو الفتح: وَغَلِطَ الذي رواه (يعني عن عكرمة)، قال:
فأما «جَدٌّ رَبُّنَا» فإنه على إنكار ابن مجاهد صحيح؛ وذلك أنه أراد: وأنه تعالى جَدٌّ جَدُّ رَبِّنَا على البدل، ثم حذف الثاني، وأقام المضاف إليه مقامه. وهذا على قوله (سبحانه): ﴿إِنَّا زَيَّنَا السماءَ الدُّنْيا بزينةِ الكواكبِ﴾، أي: زينةِ الكواكب، فـ«الكواكب» إذاً بدل من «زينة».
فإن قلت: فإن الكواكب قد تسمى زينة، والربُّ (تعالى) لا يسمى جَدًّا.
قيل: الكواكب في الحقيقة ليست زينة، لكنها ذات الزينة. ألا ترى إلى القراءة بالإضافة وهي قوله: «بزِينَةِ الكواكبِ»؟ وأنت أيضاً تقول: تعالى رَبُّنَا، كما تقول: تعالى جَدُّ رَبِّنَا. فالتعالي مستعمل معهما جميعاً، كما يقال: يسرّني زيدٌ قيامُه، وأنت تقول: يسرني زيد ويسرّني قيامه. وهذا بيان ما أنكره ابن مجاهد.
ينظر: «المحتسب» (٢/ ٣٣٢)، و«مختصر الشواذ» ص: (١٦٣)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٧٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٤١)، و«الدر المصون» (٦/ ٣٩٠).

وقوله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون/ برجال من الجن...﴾ الآية، ١٨٧ أ
مِنَ القُرَّاءِ مَنْ كَسَرَ الهمزةَ مِنْ «إِنَّهُ»، ومنهمْ من فَتَحَها[١]، والكسْرُ أوْجَهُ، والمعنَىٰ في الآيةِ: ما كَانَتِ العربُ تفعله في أسْفَارِها من أنَّ الرَّجُلَ إذا أرادَ المَبِيتَ بِوَادٍ، صاحَ بأعْلَىٰ صوتِهِ: يا عزيزَ هٰذَا الوَادِي؛ إني أعوذُ بكَ مِنَ السُّفَهَاءِ الذين في طاعتِكَ، ويعتقدُ بذلكَ أنَّ الجِنِّيَّ يحميه ويمنعه، قال قتادة: فكانت الجنُّ تحتقرُ بني آدمَ وتَزْدَرِيهم لِمَا تَرَى مِنْ جَهلِهِم، فكانوا يَزِيدُونَهمْ مخافةً، ويتعرضُون للتَّخَيُّلِ لهم، ويُغْوُونَهم، في إرادَتِهِم، فهذا هو الرَّهَقُ الذي زادته الجنُّ بني آدم[٢]، وقال مجاهد وغيره: بنو آدمَ همُ الذينَ زَادُوا الجنَّ رَهَقاً وهي الجَرَاءَةُ والطُّغيان[٣] وقَدْ فَسَّر قوم الرَّهَقَ بالإثم.

وقوله: ﴿وأنهم ظنوا﴾ يريدُ به بني آدم.

وقوله: ﴿كما ظننتم﴾ مخاطبةٌ لقومِهم من الجنِّ وقولهم: ﴿أَن لن يبعث اللَّه أحداً﴾ يحتملُ معنيين: أحَدُهُما بَعْثُ الحَشْرِ من القبورِ، والآخرُ بَعْثُ آدَمِيٍّ رَسُولاً، وذكر المَهدوي تأويلاً ثالثاً، أنَّ المعنى: وأنَّ الجنَّ ظَنُّوا كما ظَنَنْتُمْ أيها الإنْسُ، فهِي مخاطَبَةٌ من اللَّهِ تعالى، قال الثعلبيُّ: وقيل: إن قولَه: ﴿وأنه كان رجال من الإنس...﴾ الآية، ابتداءُ إخْبارٍ مِنَ اللَّه تعالى، ليسَ هو من كلامِ الجنِّ، انتهى، فهو وِفَاقٌ لما ذكره المهدوي، وقولهم: ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ قال جمهورُ المتأولينَ: معناه الْتَمَسْنَا، والشُّهُبُ كواكبُ الرجْمِ والحَرَسُ يحتملُ أن يريدَ الرَّمْيَ بالشُّهُبِ، وكرَّرَ المعْنَى بلفظٍ مختلف، ويحتملُ أن يريدَ الملائكةَ، و﴿مقاعِدَ﴾: جَمْع مَقْعَدٍ وقَدْ تَقَدَّمَ بيانُ ذلِكَ في سورةِ الحِجْرِ، وقولهم: ﴿فمن يستمع الآن...﴾ الآية، قَطْعٌ على أنَّ كلَّ مَنِ استمع الآنَ أحْرَقَه شهابٌ [فليسَ هنا

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر: «وإنه تعالى جد ربنا» بكسر الهمزات، إلا قوله: «أنه استمع»، و«أن لو استقاموا»، و«أن المساجد للّه»، فإنهم قرؤوا بالفتح. وزاد ابن كثير، وأبو عمرو عليهما: «وأنه لما قام عبد اللّه».
وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي كل ذلك بالفتح إلا ما جاء بعد قول، أو بعد فاء جزاء، وحفص عن عاصم مثل حمزة.
ينظر: **«العنوان»**(١٩٨)، و**«شرح شعلة»** (٦٠٩)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥٦٥)، و**«السبعة»** (٦٥٦)، و**«الحجة»** (٦/ ٣٣٠)، و**«إعراب القراءات»** (٢/ ٤٠٠)، و**«حجة القراءات»** (٧٢٧)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ٩٦)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٧٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٤)، رقم: (٣٥٠٧٦) بنحوه. وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٠)، وابن كثير (٤/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٤)، رقم: (٣٥٠٨٠) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٠٢)، وابن كثير (٤/ ٤٢٨)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٣٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

بَعْدُ سَمْعٌ إِنَّما الإِحراقُ عِنْدَ الاِستماع][(١)]، وهذا يقتضي أنَّ الرَّجْمَ كَانَ في الجاهليةِ، ولكنَّه
١٨٧ ب لم يكن بمُسْتأصِلٍ، فَلَمَّا جاءَ الإِسْلاَمُ، اشْتَدَّ الأَمْرُ؛ حَتَّىٰ لم يكُنْ فِيه وَلاَ/ يَسِيرُ سَمَاحَةً،
و﴿رَصَداً﴾: نعتٌ لـ«شِهَاب» ووصفَه بالمصْدَرِ، وقولهم: ﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض...﴾ الآية، معناه: لاَ نَدْرِي أَيُؤْمِنُ الناسُ بهذا النبيِّ فَيَرْشُدُوا، أَمْ يَكْفُرُونَ بِهِ فَيَنْزِلَ بهِمُ الشَّرُّ، وعبارة الثعلبي: «وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض» حينَ حُرِسَتِ السماءُ ومُنِعْنَا السَّمْعَ، ﴿أم أراد بهم ربهم رشداً﴾، انتهى.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾

وقولهم: ﴿وأنا منا الصالحون﴾ إلى آخرِ قولهم: ﴿ومنا القاسطون﴾ هُوَ من قولِ الجِنّ، وقولهم: ﴿ومنا دون ذلك﴾ أي: غَيْرُ صالحين، * ص *: ﴿دونَ ذلك﴾ قِيلَ: بمعنى غَيْرُ ذلك، وقيلَ: دُونَ ذلكَ في الصلاحِ، فـ«دون» في موضِعِ الصِّفَةِ لمحذوفٍ، أي: ومنَّا قومٌ دونَ ذلك، انتهى، والطرائقُ: السِّيَرُ المختلفَة، والقِدَدُ كذلكَ هي الأشياء المختلفة كأنه قَدْ قُدَّ بعضُها من بعضٍ وفُصِلَ، قال ابن عباس وغيره: ﴿طرائِقَ قِدَداً﴾ أهواء مختلفةٌ[(٢)]. وقولهم: ﴿وأنا ظننا﴾ أي: تَيَقَّنَّا، فالظَّنّ هنا بمعنى العِلْمِ ﴿أن لن نعجز اللَّه في الأرض...﴾ الآية، وهذا إخبارٌ منهم عَنْ حَالِهِمْ بَعْدِ إيمانِهم بما سمعوا من نبينا محمد ﷺ، و﴿الهدى﴾ يريدونَ به القرآنَ، والبَخْسُ النَّقْصُ، والرَّهَقُ تَحْمِيلُ مَا لاَ يطاقُ، وما يَثْقُل، قال ابن عباس: البَخْسُ نَقْصُ الحسناتِ[(٣)]، والرَّهَقُ الزيادةُ في السيئات.

وقوله تعالى: ﴿فمن أسلم فأولٰئك تحروا رشداً﴾ الوجهُ فيه أنْ يكونَ مخاطَبَةً من اللَّه تعالى لنبيه محمد ـ عليه السلام ـ ويُؤيِّدُه ما بَعْدَه من الآياتِ، و﴿تحروا﴾ معناه: طَلَبُوا باجتهادهم.

---

(١) سقط في: د.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٦)، رقم: (٣٥٠٨٩) بنحوه. وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٢)، وابن كثير (٤/ ٤٣٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٥)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٧)، رقم: (٣٥٠٩٥) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٢)، وابن كثير (٤/ ٤٣٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٥)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وألّو استقاموا على الطريقة...﴾ الآيةَ، قال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن جبير: الضميرُ في قوله: ﴿اسْتَقَامُوا﴾ عائدٌ عَلى القاسِطينَ، والمعنى: لوِ اسْتَقَامُوا على طريقةِ الإسْلاَمِ والحَقِّ لأنْعَمْنَا عليهم[1]/ ، وهذا المعنى نحوُ قوله تعالى: ١٨٨ أ
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ آمَنُوا واتَّقَوْا...﴾ [المائدة: ٦٥] الآية إلى قوله: ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ والقَاسِطُ الظَّالِم، والماء الغَدَقُ هو الماءُ الكثيرُ، و﴿لنفتنَهم﴾: معناه: لنختبرَهم، قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ: حيثُ يكونُ الماءُ فَثَمَّ المالُ، وحَيْثُ المالُ فَثَمَّ الفِتْنَةُ[2]، ونَزَعَ بهذه الآية، وقال الحسن وجماعة من التابعين: كانتِ الصحابةُ ـ رضي اللّه عنهم ـ سَامِعِينَ مُطِيعينَ فَلَمَّا فُتِحَتْ كُنُوزُ كِسْرَى وقَيْصَرَ على الناس، ثَارَتِ الفِتَن[3]، و«نُسْلكه» نُدْخلُه، و﴿صَعَداً﴾: معناه: شَاقًّا، وقال ابن عباس وأبو سعيد الخدري: ﴿صعداً﴾ جَبَلٌ في النارِ[4]، و﴿أنَّ المسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ قيل: أرادَ البيوتَ التي للعبادةِ والصلاةِ في كلِّ ملةٍ، وقال الحسن: أرادَ بها كلَّ موضِعٍ يُسْجَدُ فيه؛ إذ الأرْضُ كلها جُعِلَتْ مَسْجِداً لهذه الأمة[5]، ورُوِيَ: أنَّ هذه الآيةَ نَزَلَتْ بسبب تَغَلُّبِ قريشٍ عَلى الكعبةِ حينئذٍ، فقيل للنبي ﷺ: المواضعُ كلُّها لِلَّهِ فَاعْبُدْه حيثُ كنتَ، قال * ع[6] *: والمسَاجِدُ المخصوصَةُ بَيِّنَةُ التَمكُّنِ في كونها لِلَّهِ تعالى، فيصلُحُ أنْ تُفْرَدَ للعبادةِ، وكلُّ مَا هُوَ خَالِصٌ لِلَّهِ تعالى، وأنْ لاَ يُتَحَدَّثَ بها في أمورِ الدنيا، ولا يُجْعَلُ فيها لِغَيرِ اللّهِ نَصِيبٌ.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩)، أرقام: (٣٥١٠٤، ٣٥١٠٥)، (٣٥١٠٧ ـ ٣٥١٠٨) بنحوه، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٢)، وابن كثير (٤/ ٤٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦)، وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة، وعزاه أيضاً لابن أبي حاتم، عن ابن عباس، ولعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٦٩)، رقم: (٣٥١١٧) بنحوه وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٣).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٣).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٠)، رقم: (٣٥١٢٣) بنحوه عن ابن عباس. وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٣)، وابن كثير (٤/ ٤٣١).
(٥) ذكره البغوي (٤/ ٤٠٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٣).
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٣).

﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد اللَّه﴾ يحتملُ: أنْ يكونَ خِطَاباً مِنَ اللَّهِ تعالى، ويحتملُ: أنْ يَكُونَ إخباراً عَنِ الجِنِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ هو محمد ﷺ، والضميرُ في ﴿كادوا﴾ يحتملُ: أنْ يكونَ لكفارِ قريشٍ، وغيرِهم في اجتماعهم على رَدِّ أمرهِ ﷺ، وقيلَ: الضميرُ للجِنِّ، والمعنى أنهم كادوا يَتَقَصَّفُونَ عليه[١]؛ لاسْتِماعِ القرآن، وقال ابن جبير: معنى الآيةِ أنَّها قَوْلُ الجِنِّ لقومِهِم؛ يحكُون لَهُم، والعَبْدُ محمدٌ ـ عليه السلام[٢] ـ، والضميرُ في ﴿كَادُوا﴾/ لأَصْحَابِهِ الذينَ يُطِيعُونَ له ويَقْتَدُونَ بِهِ في الصلاةِ فَهُمْ عليه لِبَدٌ، واللِبَدُ: ١٨٨ ب
الجماعاتُ شُبِّهَتْ بالشَّيءِ المُتَلبِّدِ، وقال البخاريُّ: قال ابن عباس: ﴿لِبَداً﴾ أعْوَاناً[٣]، انتهى، و﴿يدعوه﴾ معناه: يَعْبُدُه، وقيل: عبدُ اللَّهِ في الآيةِ المرادُ به نوحٌ، وقرأ جمهور السبعة: «قالَ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي» وقرأ حمزةُ وعاصمٌ وأبو عمرو بخلافٍ عنه[٤]: «قُلْ»، ثم أَمَرَ اللَّهُ تعالى محمداً ـ عليه السلام ـ بالتَّبَرِّي مِنَ القُدْرَةِ، وأنَّه لاَ يَمْلِكُ لأَحَدٍ ضَرًّا ولا نفعاً، والملتَحَدُ: المَلْجَأُ[٥] الذي يُمَال إليه، ومنه الإِلْحادُ وهو الميل.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

وقوله: ﴿إلا بلاغاً﴾ قال قتادة: التقدير: لا أمْلِكُ إلاَّ بَلاَغاً إِلَيْكُمْ، فأمَّا الإِيمانُ وَالكُفْرُ، فَلاَ أَمْلِكُهُ[٦]، وقال الحسن: ما معناه أنَّه اسْتِثْنَاءٌ منقَطِع، والمعنى: لَنْ يجيرَني مِنَ

(١) أي يزدحمون عليه. ينظر: «لسان العرب» (٣٦٥٥).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٢)، رقم: (٣٥١٣٣) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٠٤)، وابن عطية (٥/ ٣٨٤)، وابن كثير (٤/ ٤٣٢).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٣)، رقم: (٣٥١٤١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٧)، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٤) وحجة هؤلاء إجماع على ما بعده على الأمر فَرَدُّ ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى. وحجة الباقين أن ذكر الغيبة قد تقدم، وهو قوله: «وأنه لما قام عبد اللَّه»، وقوله: «قال إنما أدعو».
ينظر: «السبعة» (٦٥٧)، و«الحجة» (٦/ ٣٣٣)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٠٢)، و«حجة القراءات» (٧٢٩)، و«معاني القراءات» (٣/ ٩٨)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٧٦)، و«العنوان» (١٩٨)، و«شرح شعلة» (٦١٠)، و«إتحاف» (٢/ ٥٦٧).
(٥) في د: الملتجأ.
(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٥)، رقم: (٣٥١٥٠).

اللَّه أحَدٌ إلا بلاغاً[١] فإني إنْ بَلَّغتُ، رَحِمَنِي بذلك، أي: بِسَبَبِ ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ومن يعص اللَّه﴾ يريدُ: بالكفر، بدليلِ تَأبِيدِ الخلود.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون﴾ يعني عَذَابَهم الذي وُعِدُوا به، والأمدُ المُدَّةُ والغاية.

وقوله تعالى: ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ معناه فإنه يُظْهِرُه عَلَى ما شَاءَ مما هو قليلٌ من كثير، [ثم] يَبُثُّ تعالى حَوْلَ ذلك المَلَكِ الرَّسُولِ حَفَظَةً رَصَداً لإبليسَ وحِزْبِه من الجنِ والإنْس.

وقوله تعالى: ﴿ليعلم أن قد أبلغوا...﴾ الآية، قال ابنُ جُبَيْرٍ: لِيَعْلَمَ محمدٌ أنَّ الملائِكَة الحَفَظَةَ الرَّصَد النازِلينَ بَيْنَ يدي جبريلَ وخَلْفَه قَدْ أبلغوا رسالاتِ رَبِّهم[٢]، وقال مجاهد: معناه لِيَعْلَمَ مَنْ كَذَّبَ أو أشْرَكَ أنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغَتْ[٣]، وقيل: المعنى لِيَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى رُسُلَه مُبَلِّغَةً خَارِجَةً إلى الوُجودِ، لأنَّ عِلْمَه بكلِّ شَيْءٍ قَدْ تَقَدَّمَ، والضميرُ في ﴿أحَاطَ﴾ و﴿أحْصَى﴾ للَّه سبحانه لاَ غَيْر. ١٨٩ أ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٤)، وذكره أبو حيان (٨/ ٣٤٦).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٥)، وابن كثير (٤/ ٤٣٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة».

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٧٧)، رقم: (٣٥١٦٣) بنحوه، وابن عطية (٥/ ٣٨٥)، وابن كثير (٤/ ٤٣٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٩)، وعزاه لعبد بن حميد.

تفسير سورةِ المُزَّمِّلِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ

إلا قَوْلَه: ﴿إن ربك يعلم﴾ إلى آخرِ السورةِ فمدنيٌّ، وقال جماعةٌ: هي مكية كلُّها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

قوله عز وجل: ﴿يأَيها المزمل﴾ نداءٌ للنبيِّ ﷺ، قال السهيلي: المُزَّمِّلُ اسمٌ مشتقٌ من حالتِه التي كَانَ عليها ـ عليه السلام ـ حينَ الخطابِ، وكذلكَ المدَّثِّر، وفي خطابِه بهذَا الاسْمِ فائِدَتان: إحداهما: الملاطفةُ فإنَّ العربَ إذا قَصَدَتْ ملاطَفَةَ المخاطَبِ، وتَرْكَ معاتَبَتِهِ سَمَّوْهُ بأسْمٍ مشتقٍ من حالتِه، كقوله ـ عليه السلام ـ لعلي حين غَاضَبَ فاطمةَ: قُمْ أبا تُرَابٍ، إشعاراً له أنه غَيْرُ عاتبٍ عليه، وملاطَفَةً له، والفائدة الثانية: التنبيهُ لكلِّ مُتَزَمِّلٍ راقدٍ ليلَه؛ لينتبهَ إلى قيامِ الليل وذكرِ اللَّه فيه، لأنَّ الاسْمَ المشتق من الفعلِ، يَشْتَرِكُ فيه مع المخاطَب كلُّ مَنْ عَمِلَ بذلك العملِ، واتَّصَفَ بتلك الصفةِ، انتهى، والتَزَمُّلُ الالْتِفَافُ في الثياب، قال جمهور المفسرين وهو في البخاري وغيره: إنَّ النبي ﷺ لمَّا جَاءَه المَلَكُ في غار حراء وَحَاوَرَه بما حَاوَرَه به، رَجَعَ رسول اللَّه ﷺ إلى خَدِيجَة فَقَال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني؛ فنزلت «يأيها المدثر» و[على هذا نزلت «يأيها المزمل»][1].

وقوله تعالى: ﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ قال جمهور العلماءِ: هو أمْرُ نَدْبٍ، وقيل كَانَ فَرْضاً وقتَ نزول الآيةِ، وقال بعضُهم: كان فرضاً على النبي ﷺ خاصَّةً وبقِيَ كذلك حتى تُوُفِّي، وقيل غير هذا.

---

(١) سقط في: د.

وقوله تعالى: ﴿نِصْفَه﴾ يحتملُ: أن يكونَ بَدَلاً من قوله قليلاً، * ص *: ﴿إلا
قليلاً﴾ استثناءٌ من الليلِ، و﴿نصفه﴾ قيل: بَدَلٌ من الليل وعلى هذا يكون استثناءُ ﴿إلا
قليلاً﴾ منه، أي: قم نصفَ الليل إلا قليلاً منه، والضميرُ في قوله: ﴿أو انقص منه﴾،
﴿أو زد عليه﴾ عائدٌ على النصْفِ وقيل: ﴿نصفه﴾: بدل من قوله:/ ﴿إلا قليلاً﴾ قَالَ أبو ١٨٩ ب
البَقَاءِ؛ وهو أَشْبَهُ بظاهرِ الآيةِ، انتهى، قال * ع[(١)] *: وكَيْفَ مَا تَقَلَّبَ المعنى فإنه أمر
بقيام نصفِ الليلِ، أو أكْثر شيئاً أو أقَلَّ شيئاً، فالأكْثر عند العلماء لا يُزِيدُ على الثُّلثَيْنِ،
والأقَلُّ لاَ يَنْحَطُّ عَن الثلثِ، ويُقَوِّي هذا حديثُ ابنِ عَبَّاسٍ في مَبِيتِهِ في بيت ميمونة؛ قال:
فلما انْتَصَفَ الليلُ أو قَبْلَه بقليلٍ أو بعده بقليل، قام رسول اللَّه ﷺ، قال * ع[(٢)] *:
ويلزمُ على هذا البَدَلِ الذي ذَكَرْنَاه أن يكونَ نصفُ الليل قَدْ وَقَعَ عليه الوصفُ بقليلٍ، وقَدْ
يحتملُ عندي قوله: ﴿إلا قليلاً﴾ أنْ يكون استثناءً من القيام، فنجعلُ الليلَ اسْمَ جِنْسٍ ثم
قال: ﴿إلا قليلاً﴾ أي: إلا الليالي التي تُخِلُّ بقيامِها لعذرٍ، وَهَذَا [النظرُ يَحْسُنُ مَعَ القولِ
بالنَّدْبِ جِدًّا، قال * ص *: وهذا [النَّظَرُ خلافُ ظاهرِ الآية، انتهى، والضميرُ في ﴿منه﴾
و﴿عليه﴾ عائِدَان على][(٣)] النصف.

وقوله سبحانه: ﴿ورتل﴾: معناه في اللغةِ: تَمَهَّلْ وَفَرِّقْ بَيْنَ الحروفِ، لِتَبِينَ،
والمقصِدُ أنْ يَجِدَ الفِكْرُ فُسْحَةً للنَّظَرِ وفَهْم المعاني، وبذلكَ يَرِقُّ القَلْبُ، ويَفِيضُ عليه النُّورُ
والرحمة، قال ابن كيسان: المُرادُ: تَفَهَّمْه تالياً له، ورُوِي في صحيح الحديث: أن قراءةَ
رسولِ اللَّه ﷺ كانَتْ بيِّنَةً مُتَرسِّلَةً، لو شاء أحَد أنْ يَعُدَّ الحروفَ لعَدَّها، قال الغزاليُّ في
«**الإحياء**»: واعْلَمْ أنَّ التَرْتِيلَ والتُّؤدَةَ أقْرَبُ إلى التوقير والاحترام، وأشَدُّ تأثيراً في القلبِ من
الهَذْرَمَةِ والاسْتِعْجَالِ، والمَقْصُودُ مِنَ القراءةِ التفكُّرُ، والترتيلُ مُعِينٌ عَلَيْهِ، وللناس عاداتٌ
مختلفة في الخَتْمِ، وأوْلَى مَا يُرْجَعُ إليه في التقديراتِ قَوْلُ النبي ﷺ، وَقَدْ قَال ـ عليه
الصَّلاةُ والسلام ـ: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ في أَقَلَّ مِن ثَلاثٍ، لَمْ يَفْقَهْهُ» وذلك لأَنَّ الزيادةَ عليهَا
تمنعُ الترتيلَ المطلوبَ، وقَدْ كَرِهَ جماعةٌ الختمَ في يوم ولَيْلَةٍ، والتفصيلُ في مقدار القراءة
أنَّه إنْ كَانَ التالي من العُبَّادِ السالكينَ طريقَ العَمَلِ، فلاَ يَنْبَغِي له أن يَنْقُصَ من خَتْمَتَيْنِ في
الأُسْبُوعِ، وإنْ كَانَ من السالكينَ بأعْمَالِ القَلْبِ وضرُوب الفِكْرِ،/ أو من المشغولين بِنَشْرِ ١٩٠ أ
العلمِ فَلا بأسَ أنْ يَقْتَصِر في الأُسْبُوعِ على خَتمةٍ، وإنْ كَانَ نَافِذَ الفِكْرِ في مَعَانِي القرآن فَقَدْ

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٧).
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) سقط في: د.

يكتفِي في الشهر بمرةٍ لحاجَتِهِ إلى كَثْرَةِ التَّرْدِيدِ والتأمُّل، انتهى، ورَوَى ابنُ المباركِ في «رقائقه»: قال: حدثنا إسماعيل عن أبي المتوكِّل الناجي: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَامَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِآيَةٍ مِنَ القُرْآنِ يُكَرِّرُهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ»[1]، انتهى.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾

وقوله تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ يعني القُرآن، واخْتُلِفَ لم سمّاه ثقيلاً، فقال جماعةٌ مِنَ المفسرينَ: لِمَا كَانَ يَحُلُّ برسولِ اللَّه ﷺ مِنْ ثِقَلِ الجِسْم؛ حَتَّى إنَّه كَانَ إذا أُوحي إليه وهُو على نَاقَتِهِ؛ بَرَكَتْ بهِ وحَتَّى كَادَتْ فَخِذُه أنْ تَرُضَّ[2] فَخِذَ زَيْدِ بن ثابت - رضي اللَّه عنه -، وقيل: لِثِقَلِهِ على الكفارِ والمنافقينَ بإعْجَازِه ووَعْدِه ووعيدِهِ ونحو ذلك، وقال حُذَّاقُ العلماء: معناه: ثَقِيلُ المَعانِي من الأَمْرِ بالطاعاتِ، والتكاليفِ الشرعية من الجهاد، ومزاولةِ الأعمال الصالحاتِ دائماً، قال الحسن: إنَّ الهَذَّ خَفِيفٌ ولَكِنَّ العَمَلَ ثقيل[3]* ت *: والصوابُ عندي أَنْ يُقَالَ: أما ثِقَلُه باعتبارِ النبي ﷺ، فهو مَا كَان يَجِدُه - عليه السلامُ - من الثقل المَحْسُوسِ وأما ثِقَلُه باعتبارِ سائرِ الأمةِ فهو ما ذُكِرَ من ثقل المعاني، وقَدْ زَجَرَ مالكٌ سائِلاً سأله عن مسألةٍ وَقَالَ: يا أبا عَبْدِ اللَّه؛ إنها مسألةٌ خفيفةٌ؛ فغَضِبَ مالكٌ وقال: لَيْسَ في العِلم خَفِيفٌ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّه تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ فَالْعِلْمُ كُلُّه ثقيلٌ، انتهى من «المدارك» لعياضٍ.

وقوله سبحانه: ﴿إن ناشئة الليل﴾ قال ابن جُبَيْرٍ وغيره: هي لَفْظَةٌ حَبَشِيَّةٌ؛ نَشَأَ الرجلُ
١٩٠ ب إذا قَامَ من الليلِ[4] فـ﴿نَاشِئَة﴾ على هذا جَمْعُ ناشىء أي: قَائِمٌ، و﴿أشد/ وطأ﴾ معناه: ثُبُوتاً واسْتِقْلالاً بالقيام، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وجماعة كابن عباس وابن الزبير

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص: (٣٥)، رقم: (١٠٤).
(٢) الرَّضُّ: الدَّقُّ الجَرِيشُ. ينظر: «النهاية» (٢/ ٢٢٩).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨١)، رقم: (٣٥١٩٠) بنحوه، والبغوي (٤/ ٤٠٨) بنحوه، وابن عطية (٥/ ٣٨٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن نصر.
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨٢)، رقم: (٣٥١٩٦) بنحوه عن ابن جبير عن ابن عباس. وذكره البغوي (٤/ ٤٠٨)، وابن عطية (٥/ ٣٨٧)، وابن كثير (٤/ ٤٣٥).

وغيرهم[١]: «وِطَاءً» ـ بكسر الواوِ ـ مَمْدُوداً عَلى وَزْنِ «فِعَالٍ» على معنى المُوَاطَأةِ والمُوَافَقَةِ، وهو أن يواطىء قلبَه لسانهُ، والموَاطأةُ هِي الموافَقَةُ، فهذه مواطأةٌ صحيحة؛ لخلو البَالِ من أشْغَالِ النّهارِ، وبهذا المعنى فَسَّر اللفظَ مجاهدٌ[٢] وغيره، قال الثعلبيّ: واخْتَارَ هذه القراءةَ أبو عبيدٍ وقال جماعة: ﴿ناشئة الليل﴾ سَاعَاتُه كلُّها، لأنَّها تَنْشَأُ شَيْئاً بعد شيءٍ، وقيل في تفسير ﴿ناشئة الليل﴾ غَيْرُ هذا، وقرأ أنس بن مالك «وأصْوَبُ قِيلاً» فقيل له: إنما هو ﴿أَقْوَم﴾ فَقَالَ: أَقْوَمُ وأَصْوَبُ وَاحِدٌ.

وقوله تعالى: ﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ أي: تَصَرُّفاً وَتَرَدُّداً في أُمُورِكَ، ومنه السِّبَاحةُ في الماء، ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ معناه: انْقَطِعْ إليه انْقِطَاعاً؛ هذا لفظ ابن عطاء على ما نقله الثعلبي، انتهى، وأما * ع[٣] * فقال: معناه انْقَطِعْ مِنْ كلِّ شيءٍ إلا مِنْهُ وأفْزَعْ إليه، قال زيد بن أسلم: التَبَتُّلُ: رَفْضُ الدُّنْيا[٤]، ومنه بُتِلَ الحَبْلُ، و﴿تَبْتيلاً﴾ مَصْدر على غير الصَّدْرِ، قال أبو حيان[٥]: وحُسْنُه كونُه فاصلةً، انتهى، قال ابن العربي في «**أحكامه**»: فالتَبَتُّلُ المأمورُ بهِ في الآيةِ الانْقِطَاعُ إلى اللَّهِ تعالى بإخْلاَصِ العِبَادَةِ، وَهُوَ اختيارُ البخاريّ، والتَبَتُّلُ المنهي عنه في الحديثِ هو سُلُوكُ مَسْلَكِ النصارى في تَرْكِ النِّكَاحِ والتَّرَهُّبِ في الصوامعِ، انتهى، والوَكِيلُ القائم بالأمرِ الذي تُوكَلُ إليه الأشياء.

وقوله: ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ منسُوخٌ بآية السيف.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة﴾ الآية، وعيدٌ بيِّنٌ، والمعنى لاَ تَشْغَلْ بهم فِكْرَك وكِلْهُمْ إليّ، والنعمةُ: غَضَارَةُ العَيْشِ وكثرةُ المالِ والمشارُ إليهم كفارُ قريشٍ أصحابُ/ القليب بِبدرٍ، و﴿لَدَيْنَا﴾ بمنزلة «عِنْدنَا» والأَنْكَال: جمع نَكْلٍ، وهو القَيْدُ ١٩١أ

(١) ينظر: «السبعة» (٦٥٨)، و«الحجة» (٦/ ٣٣٥)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٠٥)، و«حجة القراءات» (٧٣٠)، و«معاني القراءات» (٣/ ٩٩)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٧٧)، و«العنوان» (١٩٩)، و«شرح شعلة» (٦١١)، و«إتحاف» (٢/ ٥٦٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٨٤)، رقم: (٣٥٢١٩، ٣٥٢٢٠، ٣٥٢٢١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٨٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٤٥)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٨٨).

(٤) ينظر: ابن عطية (٥/ ٣٨٨).

(٥) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٣٥٥).

من الحديدِ، ويُرْوَى أَنَّها قيودٌ سُودٌ مِن النار، والطَّعَامُ ذُو الغُصَّةِ شَجَرَةُ الزَّقُّوم، قَالَه مجاهد وغيره[(١)]، وقال ابن عباس: شَوْكٌ من نارٍ يَعْتَرِضُ في حُلُوقِهِم[(٢)] وكلُّ مَطْعُوم هُنَالِكَ فَهُو ذُو غُصَّة، ورُوِي أَنَّ النبيَّ ﷺ قَرَأَ هذهِ الآيَةَ فَصَعِقَ[(٣)]، والرَّجَفَانُ الاهْتِزَازُ والاضْطِرَابُ مِنْ فَزَعٍ وَهَوْلٍ، و«المَهِيلُ»: اللَّيِّنُ الرَّخْوُ الذي يَذْهَبُ بالرِّيحِ، وقال البخاريّ: ﴿كَثِيباً مهيلاً﴾ رَمْلاً سَائِلاً، انتهى.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إليكم...﴾ الآية، خطابٌ للعالم لكِنِ المواجَهُونَ قريشٌ، و﴿شَاهداً عليكم﴾ نَحو قولهِ: ﴿وجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً﴾ [النساء: ٤١] والوَبِيلُ: الشَّدِيدُ الرَّدَى.

وقوله تعالى: ﴿فكيف تتقون﴾ معناه: كَيْفَ تَجْعَلُونَ وِقَايةً لأنفسِكم، و﴿يوماً﴾ مفعولٌ بـ﴿تَتَقون﴾، وقِيلَ: هو مفعولٌ بـ﴿كَفَرْتُمْ﴾ ويكونُ ﴿كُفرتُم﴾ بمعنى: جَحَدْتم، فـ﴿تتقون﴾ على هذا مِنَ التقوى، أي: تتقونَ عذابَ اللّهِ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿يوماً﴾ ظرفاً والمعنى: تتقونَ عِقَابَ اللّه يوماً، وعبارةُ الثعلبي: ﴿فكيف تتقون إن كفرتم﴾ أي كيف تَتَحَصَّنُونَ من عذابِ يَوْمٍ يَشِيبُ فيه الطفلُ لهولِه إنْ كفرتُم، ثم ذَكَرَ نحو ما تقدم، انتهى، وحَكَى * ص *: عن بعضِ الناسِ جَوازَ أَنْ يكونَ ﴿يوماً﴾ ظرفاً أي: فكيفَ لَكُمْ بالتقوَى في يوم القيامَةِ إنْ كفرتم في الدنيا، * ت *: وهَذَا هُوَ مُرَادُ * ع[(٤)] *، قَالَ أبو حيان[(٥)]: و﴿شيباً﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ﴿يجعل﴾ وهُو جَمْع أشْيَب، انتهى.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٢٨٩)، رقم: (٣٥٢٦٧)، وذكره ابن عطية (٥/٣٨٩)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/٤٤٦)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٢٨٩)، رقم: (٣٥٢٦٦)، وذكره ابن عطية (٥/٣٨٩)، وابن كثير (٤/٤٣٧)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/٤٤٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، في صفة النار، وعبد اللّه في **«زوائد الزهد»**، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، وصححه البيهقي في **«البعث»**.

(٣) ذكره السيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/٤٤٦)، وعزاه إلى أحمد في **«الزهد»**، وهناد وعبد بن حميد، ومحمد بن نصر عن حمران به.

(٤) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/٣٨٩).

(٥) ينظر: **«البحر المحيط»** (٨/٣٥٧).

وقوله تعالى: ﴿السماء منفطر به﴾ أي ذاتُ انفِطارٍ، والانفطارُ التَّصدُّعُ والانْشِقَاقُ، والضميرُ في ﴿به﴾ قال منذر وغيره: عائِد على اليومِ؛ وكذا قَال * ص *: إن ضمير ﴿به﴾ يعودُ على اليوم والباء سببيةٌ/ أو ظرفيةٌ، انتهى، ، وفي «صحيح مسلم» مِنْ رواية ١٩١ ب
عبدِ اللّه بن عمرو: وذَكَرَ ﷺ: بَعْثُ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ إِلَى الجَنَّةِ، قَالَ: فَذَلِكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيباً، وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] الحديث[1]، انتهى، وقيل: عائدٌ على اللّه، أي مُنْفَطِرٌ بأمْرِه وقُدْرَتِهِ، والضميرُ في قوله: ﴿وعده﴾ الظاهر أنَّه يعود على اللّه تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إن هذه تذكرة...﴾ الآية، الإشَارَةُ بـ«هذه» تحتملُ: إلى ما ذُكِرَ من الأَنْكَالِ والجحيم، والأَخْذِ الوبيل، وتحتملُ: أَنْ تَكُونَ إلى السورةِ بجُمْلَتِها، وتحتملُ: أنْ تَكُونَ إلى آياتِ القرآن بجُمْلَتِها.

وقوله سبحانه: ﴿فمن شاء اتخذَ إلى ربه سبيلاً﴾ لَيْسَ معناه إبَاحَةُ الأمْرِ وضِدِّه، بل الكلامُ يتضمَّنُ الوَعْدَ والوعيدَ، والسبيلُ هنا سبيلُ الخيرِ والطاعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إنَّ ربَّكَ يَعْلَمُ أنك تقوم...﴾ الآية، المعنى أنَّ اللّهَ تعالى يعلمُ أنَّكَ تَقُومُ أنتَ وغيرك من أُمَّتِك قياماً مختلفاً مَرَّةً يكْثُرُ ومرَّةً يقلّ، ومرة أدْنَى من الثلثين،

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٠)، كتاب «أحاديث الأنبياء» باب: قصة يأجوج ومأجوج (٣٣٤٨)، (٨/ ٢٩٥)، كتاب «التفسير» باب: ﴿وترى الناس سكارى﴾ (٤٧٤١)، (١١/ ٣٩٦)، كتاب «الرقاق» باب: قول اللّه عزّ وجل: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ (٦٥٣٠)، (١٣/ ٤٦٢)، كتاب «التوحيد» باب: قول اللّه تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ (٧٤٨٣)، ومسلم (٢/ ٦٤٢ ـ ٤٦٣) ـ الأبي، كتاب «الإيمان» باب: يقول اللّه لآدم: أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين (٣٧٩)، والنسائي (٦/ ٤٠٩) ـ «الكبرى»، كتاب «التفسير» باب: ﴿وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى﴾ (١/١١٣٣٩).
وفي الباب من حديث أبي هريرة في «الصحيح»:
أخرجه البخاري (١١/ ٣٨٥)، كتاب «الرقاق» باب الحشر (٢٥٢٩).

ومرة أدنى من النصفِ، ومرة أدْنَى من الثلث، وذلك لِعَدَم تَحْصِيل البَشَرِ لِمَقَادِيرِ الزمان، مع عُذْرِ النَّوْمِ، وتقديرُ الزمان حقيقةً إنما هو للّهِ تعالى، وأَما البشَرُ فلا يُحْصِي ذلك، فتابَ اللّه عليهِمْ، أي: رَجَعَ بهم من الثِّقَلِ إلى الخِفَّةِ وأمرهم بقراءةِ ما تيسَّر، ونحوَ هذا تُعْطِي عِبَارَةُ الفراء، ومنذر فإنهما قالا: تُحْصُوه تَحْفَظُوه، وهذا التأويلُ هو على قراءة الخفض عَطْفاً على الثلثين وهي قراءة أبي عمرٍو ونافع وابن عامر، وأمَّا مَنْ قرأَ: «ونصفَه وثلثَه» بالنَّصْبِ عَطْفاً على أدْنَى وهي قراءة باقي السبعةِ[1]، فالمعنى عندَهم أنَّ اللّه تعالى قَدْ عَلِمَ أنهم يَقْدِرُونَ الزمانَ على نحو مَا أَمَرَ بهِ تعالى، في قوله: ﴿نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه﴾ [المزمل: ٣ ـ ٤] فلم يبقَ إلا قوله: ﴿أن لن تحصوه﴾ فمعناه لَنْ يُطِيقُوا قيامَه
١٩٢أ / لِكَثْرَتِهِ وشدتهِ، فَخَفَّفَ اللّهُ عنهم فَضْلاً منه؛ لا لِعِلَّةِ جهلهم بالتقدير وإحصاء الأوقاتِ، ونَحوَ هذا تُعْطي عبارةُ الحسن وابن جبير؛ فإنهما قالا: تحصُوه: تُطِيقُوه[2]، وعبارةُ الثعلبيِّ: ومَنْ قَرَأَ بالنَّصْبِ؛ فالمعنى: وتَقُومُ نِصْفَه وثلثَه، قال الفراء: وهو الأَشْبَه بالصَّوَابِ؛ لأنه قَالَ أَقَلَّ مِنَ الثلثينِ، ثم ذكر تفسيرَ القلةِ لا تَفْسِيرَ أَقَلَّ مِنَ القلةِ، انتهى، ولو عَبَّر الفَرَّاءُ بالأَرْجح، لكانَ أَحْسَنَ أدباً، وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِله لاَ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدير، الحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»[3] ثم قال: «اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فإنْ تَوَضَّأَ، ثمَّ صَلَّىٰ قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»، رواه الجماعة إلا مسلماً، وتَعَارَّ ـ بتشديدِ الرَّاءِ ـ مَعْنَاه: اسْتَيْقَظَ، انتهى من «السلاح».

وقوله تعالى: ﴿فاقرءوا ما تيسَّرَ من القرآن﴾ قال الثعلبيُّ أي: مَا خَفَّ وَسَهُلَ بغير مِقْدَارٍ مِنَ القِرَاءَةِ، والمُدَّةِ، وقيل: المعنى فَصَلُّوا ما تيسَّر فَعَبَّر بالقراءةِ عنها. * ت *: وهذا هو الأَصَحُّ عند ابن العربي، انتهى، قال * ع[4] *: قوله: ﴿فاقرءوا ما تيسر من

(١) ينظر: «الحجة» (٦/٣٣٦)، و«إعراب القراءات» (٢/٤٠٧)، و«معاني القراءات» (٢/١٠٠)، و«شرح الطيبة» (٦/٧٧)، و«العنوان» (١٩٩)، و«حجة القراءات» (٧٣١)، و«شرح شعلة» (٦١٢)، و«إتحاف» (٢/٥٦٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٢٩٣ ـ ٢٩٤)، رقم: (٣٥٢٩٢ ـ ٣٥٢٩٣)، عن الحسن، ورقم (٣٥٢٩٤) عن سعيد، وذكره البغوي (٤/٤١١)، وابن عطية (٥/٣٩٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٤٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) في د: باللّه العلي العظيم.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٣٩٠).

القرآن﴾ هو أَمْرُ نَدْبٍ في قولِ الجمهور، وقال جماعة: هو فَرْضٌ لاَ بُدَّ منه ولو خَمْسِينَ آيةً، وقال الحسنُ وابن سيرين: قيامُ الليل فَرْضٌ[١] وَلَوْ قَدْرُ حَلْبِ شَاةٍ، إلا أنَّ الحسنَ قال: مَنْ قرأَ مِائَة آيةٍ لَمْ يُحَاجَّهُ القرآن[٢]؛ واسْتَحْسَنَ هذا جماعةٌ من العلماء؛ قال بعضهم: والركعتانِ بَعْدَ العشاءِ مَعَ الوِتْرِ دَاخِلَتَانِ في امتثالِ هذا الأَمْرِ؛ ومن زَادَ زَادَهُ اللَّه ثواباً، * ت *: ينبغي للعاقِلِ المبَادَرَةُ إلى تَحْصِيلِ الخَيْرَاتِ قَبْلَ هُجُوم صَوْلَةِ المَمَاتِ، قَالَ البَاجِيُّ في «سنن الصالحين» له: قَالَتْ بنت الربيع بْنِ خُثَيْم لأبيها: يا أَبتِ/ ما لِي أَرَى ١٩٢ ب
النَّاسَ يَنَامُونَ وأَنْتَ لاَ تَنَامُ، قال: إنَّ أَبَاكِ يَخَافُ البَيَاتَ، قالَ الباجيُّ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: ولي في هذا المعنى: [من الرجز]

قَدْ أَفْلَحَ القَانِتُ فِي جُنْحِ الدُّجَىٰ يَتْلُو الْكِتَابَ العَرَبِيَّ النَّيِّرَا
[فَقَائِماً وَرَاكِعاً وَسَاجِدا مُبْتَهِلاً مُسْتَعْبِراً مُسْتَغْفِرَا][٣]
لَهُ حَنِينٌ وَشَهِيقٌ وَبُكَا يَبُلُّ مِنْ أَدْمُعِهِ تُرْبَ الثَّرَىٰ
إِنَّا لَسَفْرٌ نَبْتَغِي نَيْلَ الْهُدَىٰ فَفِي السُّرَىٰ بُغْيَتُنَا لاَ فِي الْكَرَا
مَنْ يَنْصَبِ اللَّيْلَ يَنَلْ رَاحَتَهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَىٰ

انتهى، والضربُ في الأرضِ هو السَّفَرُ للتجارةِ ابتغاءَ فضلِ اللَّهِ سبحانه، فذكرَ اللَّه سبحانه أَعْذَارَ بني آدمَ التي هي حائلةٌ بينَهم وبيْنَ قيام الليل، ثم كرَّر سبحانَه الأَمْرَ بقراءةِ ما تَيَسَّر منه تأكِيداً، والصلاةُ والزكاة هنا هما المفروضَتَانِ، فمن قال: إن القِيَامَ من الليلِ غَيْرُ واجبٍ؛ قال: معنى الآية خُذُوا من هذا النَّفْلِ بما تَيَسَّر وحَافِظُوا على فَرَائِضِكم، ومَنْ قال: إن شَيْئاً من القِيام واجبٌ؛ قال: قَدْ قَرَنَه اللَّهُ بالفرائِضِ؛ لأنه فَرْضٌ وإقراضُ اللَّه تعالى هو إسْلاَفُ العملِ الصالح عنده، وقرأ جمهورُ الناس[٤] «هو خيراً» على أن يكونَ «هو» فَصْلاً، قال بعضُ العلماءِ: الاستِغفارُ بَعْدَ الصلاة مُسْتَنْبَطٌ من هذه الآيةِ، ومن قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وبالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٨] قال

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٠).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٩٤)، رقم: (٣٥٣٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١).
(٣) سقط في: د.
(٤) وقرأ محمد بن السميفع، وأبو السمال: «هو خَيْرٌ» بالرفع.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٦٤)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٣٩١)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٣٥٩)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٤١٠).

* ع[١] *: وَعَهِدْتُ أبي ـ رحمه اللّه ـ يَسْتَغْفِر اللّهَ إثْرَ كل مكتُوبةٍ ثَلاَثاً بِعَقِبِ السلام، ويأثر في ذلك حديثاً، فكان هذا الاستغفارُ من التقصيرِ وتَقَلُّبِ الفِكْرِ أثْنَاء الصلاة، وكان السلفُ الصالحُ يُصَلُّونَ إلى طلوع الفجر؛ ثم يجلسُون للاسْتِغْفَار. * ت *: وما ذكره * ع *: ـ رحمه اللّه ـ عَنْ أبيه رَوَاهُ مسلم وأبو داودَ والترمذي والنسائي وابنُ ماجَه عن
١٩٣أ ثوبان قال: «كان رسول اللّه ﷺ إذا انْصَرَفَ/ مِنْ صَلاَتِهِ، اسْتَغْفَرَ ثَلاَثاً وقَالَ: «اللَّهُمَّ، أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ ذَا الجَلاَلِ والأكْرَام»[٢]، قال الوليدُ: فقلتُ للأوزاعيِّ: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قال: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ، وفي روايةٍ لمسلم من حديثِ عائشةَ: «يَا ذَا الجَلاَلِ والإِكْرَامِ»، انتهى من «**سلاح المؤمن**».

(١) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٥/ ٢٦/ ١٣٥ ـ ١٣٦)، وأبو داود (١/ ٤٧٤)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقول الرجل إذا سلّم (١٥١٢)، والترمذي (٢/ ٩٥ ـ ٩٦)، كتاب «الصلاة» باب: ما جاء إذا سلَّمَ من الصلاة(٢٩٨ ـ ٢٩٩)، وابن ماجه (١/ ٢٩٨)، كتاب «إقامة الصلاة والسنة فيها» باب: ما يقال بعد التسليم (٩٢٤)، وابن حبان (٥/ ٣٤٠ ـ ٣٤١)، كتاب «الصلاة» باب: فصل في القنوط (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١)، وأحمد (٦/ ١٨٤)، والنسائي (٣/ ٦٩)، كتاب «السهو» باب: الذكر بعد الاستغفار (١٣٣٨)، وفي «**الكبرى**» (١/ ٣٩٧)، كتاب «صفة الصلاة» باب: الاستغفار بعد السلام (١٢٦١).

قال الترمذي: حديث عائشة، حديث حسن.

وفي الباب من حديث ثوبان: أخرجه أبو داود (١/ ٤٧٥)، كتاب «الصلاة» باب: ما يقول الرجل إذا سلم (١٥١٣)، والنسائي (٣/ ٦٩)، كتاب «السهو» باب: الاستغفار بعد السلام (١٣٣٧)، وفي «**الكبرى**» (١/ ٣٩٧)، كتاب «صفة الصلاة» باب: الاستغفار بعد السلام (١٢٦١)، والطيالسي (١/ ١٠٥)، كتاب «الصلاة» باب: أذكار متنوعة تقال بعد الخروج من الصلاة(٤٧٦)، وابن حبان (٥/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤)، كتاب «الصلاة» باب: فصل في القنوت.

تفسير سورة المدّثّر

وهي مكيّة بإجماع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾

قوله عز وجل: ﴿يأيها المدثر * قم فأنذر﴾ الآيةَ، اخْتُلِفَ في أول ما نزل من القرآن، فقال الجمهورُ هو: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ وهذا هو الأَصَحُّ، وقال جابرٌ وجماعةٌ هو: ﴿يأيها المدثر﴾[1]، * ص *: والتَّدَثُّر: لُبْسُ الدِّثَارِ، وهو الثَّوْبُ الذي فَوْقَ الشِّعَارِ، والشِّعَارُ الثَّوبُ الذي يلي الجَسَدَ؛ ومنه قوله: ـ عليه السلام ـ: «الأَنْصَارُ شِعَارٌ، وَالنَّاسُ دِثَارٌ» انتهى.

وقوله تعالى: ﴿قم فأنذر﴾ بَعْثَةٌ عامةٌ إلى جميع الخلق.

﴿وربك فكبر﴾ أي: فعظمْ.

﴿وثيابك فطهر﴾ قال ابنُ زيدٍ وجماعة: هو أمْرٌ بتطهيرِ الثياب حَقِيقَةً[2]، وذَهَبَ الشافعيُّ وغيرُه من هذه الآيةِ إلى: وجُوبِ غَسْلِ النَّجَاسَاتِ مِنَ الثيابِ، وقالَ الجُمْهُورُ: هَذِه الأَلْفَاظُ اسْتِعَارَةٌ في تنقيةِ الأفعَالِ والنَّفْسِ، والعِرضِ، وهذا كما تقول: فلانٌ طَاهِرُ الثوبِ، ويقال للفَاجِرِ: دَنِسُ الثَّوْبِ، قال ابن العربي في «**أحكامه**»: والذي يقول إنها الثيابُ المَجَازِيَّة أكْثَرَ، وكثيراً ما تستعملُه العَرَبُ، قال أبو كَبْشَةَ: [الطويل]

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٢٩٧)، رقم: (٣٥٣٠٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٢، ٤١٣)، وابن عطية (٥/ ٣٩٢)، وابن كثير (٤/ ٤٤٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٥٠)، وعزاه للطيالسي، وعبد الرزاق، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن الضريس، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن الأنباري في المصاحف.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٠)، رقم: (٣٥٣٣٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٣)، وابن عطية (٥/ ٣٩٢)، وابن كثير (٤/ ٤٤١) بنحوه.

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَىٰ نَقِيَّةٌ وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غُرَّانُ[١]

يعني: بطهارةِ ثيابهم وسلامَتِهم من الدَّنَاءَاتِ، وقال غَيْلاَنُ بْنُ سَلَمَةَ الثَّقَفِيُّ: [الطويل]

فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لاَ ثَوْبَ فَاجِرٍ لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ[٢]

١٩٣ ب وليس يمتنع أن تُحْمَلَ الآيةُ على عموم المرادِ فيها بالحقيقةِ[٣]/ والمجازِ[٤] على ما بيَّناه في أصولِ الفقه، وإذا حملناها على الثيابِ المعلومَة؛ فهي تتناول معنيين: أحدهما: تَقْصِيرُ الأَذْيَالِ؛ فإنَّها إذا أُرسِلَتْ تَدَنَّسَتْ، وتَقْصِيرُ الذيلِ أنْقى لثَوْبِه وأتْقى لربِّه، المَعْنَى الثَّاني: غَسْلُها من النَّجاسَةِ فهو ظَاهِرٌ منها صحيحٌ فيها، انتهى، قال الشيخ أبو الحسن الشاذليُّ - رضي اللَّه عنه -: رأيْتُ النبيَّ ﷺ في المَنَام، فقالَ: يَا عَلِيُّ، طَهِّرْ ثِيَابَكَ مِنَ الدَّنَسِ، تَحْظَ بمَدَدِ اللَّهِ في كُلِّ نَفَسٍ، فَقُلْتُ: وَمَا ثِيَابي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: إنَّ اللَّهَ كَسَاكَ [حُلَّةَ المَعْرِفَةِ، ثُمَّ][٥] حُلَّةَ المَحَبَّةِ، ثُمَّ حلةَ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ حُلَّةَ الإِيمَانِ، ثُمَّ حُلَّةَ

---

(١) البيت في «ديوانه» (٨٣)، و«المحكم» (٤/ ١٧٥)، و«العين» (٤/ ١٩)، و«الصحاح» (طهر)، و«البحر المحيط» (٨/ ٣٦٣).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٢)، «البحر المحيط» (٨/ ٣٦٣)، القرطبي (١٩/ ٤٢).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» للزركشي (٢/ ١٥٢)، «سلاسل الذهب» له ص: (١٨٢)، «التمهيد» للأسنوي ص: (١٨٥)، «نهاية السول» له (٢/ ١٤٥)، «منهاج العقول» للبدخشي (١/ ٣٢٧)، «غاية الوصول» للشيخ زكريا الأنصاري ص: (٤٦)، «التحصيل من المحصول» للأرموي (١/ ٢٢١)، «المستصفى» للغزالي (١/ ٣٤١)، «حاشية البناني» (١/ ٣٠٠)، «الإبهاج» لابن السبكي(١/ ٢٧١)، «الآيات البينات» لابن القاسم العبادي (٢/ ١٥٢)، «تخريج الفروع على الأصول» للزنجاني ص: (٦٨)، «حاشية العطار على جمع الجوامع» (١/ ٣٩٣)، «المعتمد» لأبي الحسين (١/ ١٤، ٢/ ٤٠٥)، «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (٤/ ٤٣٧)، «التحرير» لابن الهمام ص: (١٦٠)، «تيسير التحرير» لأمير بادشاه (١/ ٧٢، ٢/ ٢).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» للزركشي (٢/ ١٥٨)، «سلاسل الذهب» له ص: (١٩٠)، «التمهيد» للأسنوي ص: (١٨٥)، «نهاية السول» له (٢/ ١٤٥)، «منهاج العقول» للبدخشي (١/ ٣٥٤)، «غاية الوصول» للشيخ زكريا الأنصاري ص: (٤٧)، «التحصيل من المحصول» للأرموي (١/ ٢٢١)، «المستصفى» للغزالي (١/ ٣٤١)، «حاشية البناني» (١/ ٣٠٤)، «الإبهاج» لابن السبكي(١/ ٢٧١)، «الآيات البينات» لابن القاسم العبادي (٢/ ١٥٢)، «تخريج الفروع على الأصول» للزنجاني ص: (٣٨٧)، «حاشية العطار على جمع الجوامع» (١/ ٣٩٩)، «المعتمد» لأبي الحسين (١/ ١٤، ٢/ ٤٠٥)، «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (٤/ ٤٣٧)، «التحرير» لابن الهمام ص: (١٦٠)، «تيسير التحرير» لأمير بادشاه (١/ ٧٣، ٢/ ٣)، «كشف الأسرار» للنسفي (١/ ٢٢٦).

(٥) سقط في: د.

الإِسْلاَم، فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ صَغُرَ لديْهِ كُلُّ شَيْءٍ، ومَنْ أَحَبَّ اللَّهَ هَانَ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، لَمْ يُشْرِكْ به شَيْئاً، ومَنْ آمَنَ بِاللَّهِ أَمِنَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ أَسْلَمَ لِلَّهِ قَلَّمَا يَعْصِيهِ، وإِنْ عَصَاهُ، ٱعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَإِذَا ٱعْتَذَرَ إليه، قَبِلَ عُذْرَه، قال: فَفَهِمْتُ حِينَئِذٍ مَعْنَىٰ قولِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ انتهى من «**التنوير**» لابن عطاء اللَّه.

﴿والرُّجْزَ﴾ يعني الأَصْنَام والأَوْثَانَ، وقال ابن عباس: الرُّجْزُ السَّخَط[1] يعني: اهْجُرْ ما يؤدي إليه ويوجبُه، واخْتُلِفَ في معنى قولِهِ تعالى: ﴿ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ﴾ فقالَ ابن عباس وجماعة: معناه لاَ تَعْطِ عَطَاءً لِتُعْطَى أَكْثَرَ منه[2]، فكأنه من قولهم: مَنَّ إِذَا أَعْطَى، قال الضحاك: وهذَا خاصّ بالنبيِّ ﷺ ومُبَاحٌ لأُمَّتِه، لكنْ لاَ أجْرَ لهم فيه[3]، وقال الحسن بن أبي الحسن: معناه ولاَ تَمْنُنْ على اللَّهِ بِجِدِّكَ، تَسْتَكْثِرْ أَعْمَالَك، ويَقَعْ لَكَ بها إِعْجَابٌ[4]، قال * ع[5] *: وهَذَا مِنَ المنِّ الذي هو تعديدُ اليَدِ وذكرُها، وقال مجاهد: معناه ولاَ تَضْعُفْ تَسْتَكْثِرْ مَا حَمَّلْنَاك من أعباء الرسالةِ، وتستكثرْ مِنَ الخَيْرِ؛ وهَذَا من قولهم حَبْلٌ مَنِينٌ أي: ضعيفٌ[6].

/ ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ ١٩٤/أ
يَسِيرٍ ۝١٠﴾

﴿ولربك فاصبرْ﴾ أي لوجهِ ربِّكَ وطَلَبِ رضَاهُ فاصْبِرْ على أَذَى الكفارِ، وعلى العبادةِ وَعَنِ الشَّهَوَاتِ وعَلَى تَكَالِيفِ النُّبُوَّةِ، قال ابن زيدٍ: وعَلَى حَرْبِ الأَحْمَرِ، والأَسْوَدِ[7]، ولَقَدْ حُمِّلَ أمْراً عَظِيماً ﷺ، والنَّاقُورُ: الذي يُنْفَخُ فيه، وهو الصُّور؛ قاله ابن عباس

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٠)، رقم: (٣٥٣٣٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٣).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠١)، رقم: (٣٥٣٤٦) عن ابن عباس، وغيره رقم: (٣٥٣٤٧)، (٣٥٣٤٨)، (٣٥٣٤٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٣)، وابن كثير (٤/ ٤٤١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٥٢)، وعزاه للطبراني.
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٢)، رقم: (٣٥٣٦٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٣)، وابن كثير (٤/ ٤٤١)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٥٢)، وعزاه لعبد بن حميد.
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٢)، رقم: (٣٥٣٦٣)، (٣٥٣٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٣).
(٥) ينظر: «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٣٩٣).
(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٣)، رقم: (٣٥٣٦٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٣)، وابن كثير (٤/ ٤٤١). والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٥٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر.
(٧) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٣)، رقم: (٣٥٣٧٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٣).

وعكرمة؛ وهو فَاعُولُ مِنَ النَّقْرِ[١]، قال أبو حباب القصاب: أَمَّنَا زُرَارَةُ بْنُ أَوْفَى؛ فَلَمَّا بَلَغَ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ خَرَّ مَيِّتاً، قال الفخر[٢]: قوله تعالى: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ أي: على الكافرين، لأَنَّهُمْ يُنَاقَشُونَ ﴿غير يسير﴾ أي: بَلْ كَثِيرٌ شَدِيدٌ فأمَّا المؤمِنونَ؛ فَإِنَّه عليهم يَسِيرٌ؛ لأَنَّهم لا يُنَاقَشُونَ، قال ابن عباس: ولما قال تعالى: ﴿على الكافرين غير يسير﴾ دَلَّ على أنه يسيرٌ على المؤمنينَ[٣]، وهذا هو دليلُ الخِطَابِ، ويحتملُ أَنْ يكونَ إنما وَصَفَه تعالى بالعُسْرِ لأنَّه في نفسِه كذلك للجميع من المؤمنين والكافرين، إلاَّ أَنَّه يكونُ هَوْلُ الكفار فيه أَكْثَرُ وَأَشَدُّ، وعلى هذا القولِ يَحْسُن الوَقْف على قوله: ﴿يوم عسير﴾ انتهى.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ الآية، لا خلافَ بَيْنَ المفسرين أن هذه الآيَةَ نزلتْ في الوليدِ بن المغيرةِ المخزومي، فَرُوِيَ أنَّه كَانَ يُلَقَّبُ الوحيدَ أي: لأنه لاَ نَظِيرَ له في مالِهِ وشَرَفِهِ في بيتِه، فَذَكَرَ الوَحِيدَ في جملة النِّعَمِ التي أُعْطِيَ، وإنْ لم يَثْبُتْ هذا فقوله تعالى: ﴿خلقت وحيداً﴾ معناه: منفرِداً قليلاً ذَلِيلاً، والمالُ الممدودُ قال مجاهد وابن جبير: هو أَلْفُ دينار[٤]، وقال سفيان: بلغني أَنَّهُ أربَعة آلافٍ؛ وقاله قتادة[٥]، وقيل عَشَرَةُ آلافِ دينار، قال * ع[٦] *: وهذا مَدّ في العدَدِ، وقال عمر بن الخطاب: المالُ الممدودُ: الرِّيْع المستغَلُّ مُشَاهَرَةً[٧].

١٩٤ ب ﴿وبنين شهوداً﴾ أي حُضُوراً، قيل عشَرَةٌ وقِيلَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ، قال الثعلبيُّ/: أَسْلَم منهم ثلاثةٌ خَالد بْن الوليدِ، وهِشَام، وعِمَارَة، قالوا: فما زال الوليدُ بَعْد نزولِ هذهِ الآيَةِ في نُقْصَانٍ مِنْ مالِهِ وَوَلَدِه حتَى هلك، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٤)، رقم: (٣٥٣٧٦) عن عكرمة، ورقم: (٣٥٣٨٠) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٥٢)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس، وعزاه أيضاً لعبد بن حميد عن عكرمة.
(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ١٧٤).
(٣) ذكره الرازي (٣٠/ ١٧٤).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٦)، رقم: (٣٥٣٩٥ ـ ٣٥٣٩٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٤).
(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٦)، رقم: (٣٥٣٩٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٤)، وابن عطية (٥/ ٣٩٤).
(٦) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٤).
(٧) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧)، رقم: (٣٥٤٠٠، ٣٥٤٠٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٤).

﴿ومهدت له تمهيداً﴾ قال سفيانُ: المعنى بَسَطْتُ له العيشَ بَسْطاً[١].

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا﴾ رَدْعٌ وَزَجْرٌ له على أُمْنِيَّتِه، و﴿أرهقه﴾ معناه أُكَلِّفُه بمشقةٍ وعُسْرٍ، وصَعُودٌ عَقَبَةٌ في نَارِ جهنَّمَ، روى ذلك أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ: كُلَّما وُضِعَ عليها شَيءٌ مِن الإنْسَانِ ذَابَ، ثم يَعُودُ، والصَّعودُ في اللغة: العَقَبَةُ الشَّاقَة.

وقوله تعالى مخبراً عن الوليد: ﴿إنه فكر وقدر﴾ الآية، رَوَى جمهورٌ من المفسرينَ: أن الوليدَ سَمِعَ من القرآن ما أعْجَبَه وَمَدحَه، ثم سمِعَ كذلك مراراً، حتى كَادَ أنْ يُقَارِبَ الإسْلام، وقال: واللَّه لَقَدْ سمعتُ من محمدٍ كلاماً مَا هُو مِنْ كلام الإنْسِ، ولا هو مِنْ كَلام الجنِّ، إنَّ له لحَلاوَةً، وإنَّ عليه لَطَلاَوَةً، وإنَّ أَعْلاَهُ لمثمرٌ، وإنَّ أسْفَلَه لَمُغْدِقٌ، وإنَّه يَعْلُو، وَمَا يُعْلَى، فقالتْ قريشٌ: صَبَأَ الوليدُ واللَّه لتصبأَنَّ قريشٌ، فقال أبو جهل: أنا أكْفِيكُمُوه فَحاجَّه أبو جهل وجماعة حتَى غَضِبَ الوليدُ، وقال: تَزْعُمُون أَنَّ محمداً مجنُونٌ، فَهَلْ رأيتمُوه يُخْنَقُ قَطُّ؟ قالوا: لا، قال: تزعمُون أنه شاعر، فهل رأيتموه يَنْطِق بشعرٍ قط؟ قالوا: لا، قال: تَزْعَمُونَ أَنَّه كاهنٌ، فهل رأيتموه يتكهن قط؟ قالوا؛ لا، قال: تَزْعمُونَ أَنَّه كذابٌ، فَهَلْ جَرَّبْتُمْ عليه شيئاً من الكذبِ قط؟ قالوا: لا، وكانوا يُسمُّونه قبلَ النبوةِ الأَمِينُ لِصِدْقِهِ، فَقَالَتْ قريش: ما عندَكَ فيه؟ فتفكَّرَ في نفسه، فقال: ما أرى فيه شيئاً مما ذكرتمُوه
١٩٥ أ فقالوا: هو ساحرٌ، فقال: أما هذا فَيُشْبِه،/ وألفاظ الرواة هنا مُتَقَارِبَة المعاني مِنْ رواية الزهري وغيره.

وقوله تعالى: ﴿فقتل كيف قدر﴾ قَالَ الثعلبيُّ وغيرُه: ﴿قتل﴾ معناه: لُعِنَ، انتهى.

﴿وبسر﴾ أي قَطَبَ مَا بَيْنَ عينيه وازْبَدَّ وَجْهُه ثم أدْبر عَنْ الهُدَى بعد أن أقْبَلَ إليهِ، وقال: ﴿إنْ هَذَا إلا سحر يؤثر﴾ أي: يُرْوَى، أي: يرويه محمدٌ عن غيره.

و﴿سقرُ﴾ هي الدَّرْكُ السادس منَ النَّارِ، ﴿لا تُبْقِي﴾ عَلَى مَنْ أُلْقي فيها ﴿وَلاَ تَذَرُ﴾ غايةً من العذاب إلا وَصَّلَتْه إليه.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا

(١) أخرجه الطبري (١٢/٣٠٧)، رقم: (٣٥٤٠٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٣٩٤).

فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ ﴾

وقوله تعالى: ﴿لواحة للبشر﴾ قال ابن عباس وجمهور الناس: معناه مُغَيِّرَةٌ للبَشَرَاتِ ومُحَرِّقَةٌ للجُلودِ مُسَوِّدَة لها[1]، فالبَشَرُ جَمْع بَشَرَةٍ، وقال الحسن وابن كَيْسَانَ: ﴿لواحة﴾ بِنَاء مبالغَةٍ من لاَحَ يَلُوحُ إذا ظَهَرَ، فالمعنى أنها تظهرُ للناسِ وهم البَشَرُ من مسيرةِ خَمْسِمِائَةِ عامٍ، وذلك لعظمِها وهَوْلِهَا وزفيرها[2].

وقولُه تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ لاَ خِلاَفَ بينَ العلماءِ أنهم خَزَنَةُ جهنمَ المحيطونَ بأمْرِها الذين إليهم جِمَاع أمْرِ زبانيَتِها، ورُوِي أن قريشاً لما سَمِعَتْ هذا كَثُرَ لَغَطُهم فيه، وقالوا: ولَوْ كَانَ هذا حقاً، فإن هَذَا العَدَدَ قليلٌ، وقالَ أبو جهل: هؤلاء تسعةَ عشَرَ، وأنْتُمْ الدُّهْمُ أي: الشُّجْعَانُ: أفَيَعْجَزُ عشرةٌ منا عن رجلٍ منهم إلى غير هذا من أقوالهم السخيفة.

وقوله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ تَبيينٌ لفسادِ أقوالِ قريشٍ، أي: إنا جَعَلْنَاهم خَلْقاً لا قِبَلَ لأَحَدٍ من الناس بهم وجعلنا عِدَّتَهم هذا القدرَ فتنةً للكفارِ لِيَقَع منهم من التعاطِي والطَّمَعِ في المغالَبَةِ ما وقع، ولِيَسْتَيْقِنَ أهلُ الكتابِ ـ التوراةِ والإنجيلِ ـ أنَّ هذا القرآنَ مِنْ عندَ اللَّهِ، إذْ هُمْ يَجِدُونَ هذهِ العدةَ في كُتُبِهم المنزَّلةِ، قال هذا المعنى ابنُ عباسٍ وغيرُه[3]، وبوُرُودِ الحقائقِ من عندِ اللَّه ـ عز وجل ـ يَزْدَادُ كلُّ ذِي إيمانٍ إيمَاناً، ويَزُولُ الرَّيْبُ عَنِ المُصَدِّقِينَ مِنْ أهْلِ الكتابِ ومِنَ المؤمنين.

١٩٥ ب / وقوله سبحانه: ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض. . .﴾ الآية، نوعٌ من الفتنةِ لهذا الصِّنفِ المنافِقِ أو الكافرِ، أي حَارُوا ولَمْ يَهْتَدُوا لِمَقْصِدِ الحقِ، فجعلَ بَعْضُهم يَسْتَفْهِمُ بَعْضاً عن مرادِ اللَّه بهذا المثل، استبعاداً أنْ يكونَ هذا مِنْ عِندِ اللَّهِ، قال الحسين بن الفضل: السورة مكيَّةٌ ولَمْ يكن بمكةَ نِفَاقٌ وإنَّما المرض في هذه الآيةِ الاضطِرَابُ وضَعْفُ الإيمانِ[4]، ثم قَالَ تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ إعْلاماً بأن الأمْرَ فَوْقَ ما يُتَوَهَّمُ،

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٣١١)، رقم: (٣٥٤٣٤)، وذكره البغوي (٤/٤١٦)، وابن عطية (٥/٣٩٥)، وابن كثير (٤/٤٤٣)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره البغوي (٤/٤١٦)، وابن عطية (٥/٣٩٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٣١٣)، رقم: (٣٥٤٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/٣٩٦).

(٤) ذكره ابن عطية (٥/٣٩٦).

وأنَّ الخبرَ إنما هو عَنْ بَعْضِ القدرةِ لاَ عَنْ كُلِّها، * ت *: صوابُه أنْ يقولَ عَنْ بَعْضِ المقدوراتِ لاَ عَنْ كُلِّها؛ وهذا هو مُرَادُه، ألاَ تَرَاهُ قال في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: يعني بشيءٍ مِنْ مَعْلُومَاتِه؛ لأنَّ علمَه تعالى لاَ يَتَجَزَّأُ، فافْهم رَاشِداً، والسمٰواتُ كُلُّها عامرةٌ بأنواعِ من الملائِكَةِ؛ كلُّهم في عبادَةٍ مُتَّصِلَةٍ وخُشُوعِ دائم، لا فَتْرَةَ في شيءٍ من ذلك، ولا دَقِيقَةَ واحدة، قال مجاهد: والضميرُ في قوله: ﴿وما هي﴾ للنارِ المذكورةِ، أي: يُذَكَّرُ بها البشرُ فَيَخَافُونَها، فيطيعونَ اللَّه[١]، وقال بعضهم: قوله: ﴿وما هي﴾ يرادُ بها الحالُ والمخَاطبةُ والنِّذَارَةُ، وأقْسَمَ تعالى بالقَمَرِ وما بَعدَه تَنْبيهاً عَلَى النَّظَرِ في ذلكَ والفكرِ المؤدِّي إلى تعظيمِهِ تعالَى وتحصيلِ معرفتِه تعالى مَالكِ الكلِّ وقوام الوُجُودِ، ونورِ السمٰواتِ والأرضِ، لاَ إلٰهَ إلاَّ هو العزيزُ القهارُ، وأدْبَرَ الليلُ معناه ولّى، وأسْفَرَ الصبح أضَاءَ وانتشرَ ضوؤه، قال ابن زيد وغيره: الضميرُ في قوله: ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ لجهنمَ، ويحتملُ أنْ يكُونَ الضميرُ للنِّذَارَةِ وأمْرِ الآخرة؛ فهو للحالِ والقِصَّة[٢]، * ص *: والكُبَرُ جَمْعُ كُبْرى، وفي * ع[٣] *: جَمْعُ كبيرةٍ ولَعَلَّه وَهْمٌ من الناسِخ، انتهى.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿نذيراً للبشر﴾ قال الحسن: لا نَذِيرَ أدْهَى مِنَ النارِ[٤]، وقال ابن زيد: ﴿نذيراً للبشر﴾ هُوَ محمد ﷺ[٥].

وقوله سبحانه: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ قال الحسن: هو وعيد نحو قوله: ﴿فَمَنْ/ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٦] [الكهف: ٢٩]، ثم قوَّى سبحانه هذا ١٩٦ أ
المعنى بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: إذ لزم بهذا القول أنَّ المُقَصِّرَ مرتهن بسوءِ عمله، وقال الضَّحَّاكُ: المعنى: كل نفس حَقَّتْ عليها كلمة العذاب، ولا يرتهن تعالى أحداً

(١) أخرجه الطبري (١٢/٣١٤)، رقم: (٣٥٤٥٧)، وذكره ابن عطية (٥/٣٩٧)، وابن كثير (٤/٤٤٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٥٧)، وعزاه لعبد بن حميد.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/٣١٦)، رقم: (٣٥٤٦٣).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٣٩٧).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/٣١٦)، رقم: (٣٥٤٦٧)، وذكره البغوي (٤/٤١٨)، وابن عطية (٥/٣٩٨).
(٥) أخرجه الطبري (١٢/٣١٧)، رقم: (٣٥٤٦٩)، وذكره البغوي (٤/٤١٨)، وابن عطية (٥/٣٩٨).
(٦) ذكره ابن عطية (٥/٣٩٨).

من أهل الجنة إنْ شاء اللَّه[١].

وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ استثناءٌ ظاهره الانفصال، تقديره: لكن أصحاب اليمين في جنات.

* ص *: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ أي: هم في جنات، فيكون خبر مبتدإ محذوف.

* م *: وأعربه أبو البقاء حالاً من الضمير في ﴿يتساءلون﴾، انتهى.

قال ابن عباس: ﴿أصحاب اليمين﴾ هنا الملائكة[٢]، وقال الضَّحَّاكُ: هم الذين سبقت لهم من اللَّه الحسنى[٣]، وقال الحسن وابن كَيْسَانَ: هم المسلمونَ المخلصون ليسوا بمرتهنين[٤].

* ت *: وأسند أبو عمر بن عبد البر عن علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ قال: أصحاب اليمين: أطفال المسلمين[٥]، انتهى من «التمهيد».

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾

وقولهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أي: ما أدخلكم، فيحتمل أنْ يكون من قول أصحاب اليمين الآدميين أو من قول الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا﴾ يعني الكفار ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. . .﴾ الآية، وفي نفي الصلاة يدخل الإِيمان باللَّه، والمعرفة به، والخشوع له ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ يشمل الصدقة فرضاً كانت أو نفلاً، والخوض مع الخائضين: عَرَّفه في الباطل والتكذيب بيوم الدين كفر صراح ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ يعني الموت؛ قاله المفسرون.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٣١٨)، رقم: (٣٥٤٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/٣٩٨).
(٢) ذكره البغوي (٤/٤١٨)، وابن عطية (٥/٣٩٨).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/٤٩٨).
(٤) ذكره البغوي (٤/٤١٨)، وابن عطية (٥/٤٩٨).
(٥) أخرجه الطبري (١٢/٤١٨)، رقم: (٣٥٤٧٩)، وذكره البغوي (٤/٤١٨)، وابن عطية (٥/٤٩٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٥٩)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم.

قال * ع[١] *: وعندي: أنَّ اليقين صِحَّةُ ما كانوا يكذبون به من الرجوع إلى الله والدار الآخرة، وقد تقدم ذكر أحاديث الشفاعة؛ قال الفخر[٢]: واحتجَّ أصحابنا بهذه الآية على أنَّ الكفار يُعَذَّبُونَ بترك فروع الشريعة، والاستقصاء فيه قد ذكرناه في المحصول، انتهى.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ۝٥٣ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۝٥٦﴾

وقوله تعالى في صفة الكفار/ المعرضين: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ إثبات لجهلهم؛ ١٩٦ ب
لأنَّ الحمر من جاهل الحيوان جدًّا، وفي حَرْفِ ابن مسعود[٣]: «حُمُرٌ نَافِرَةٌ» قال ابن عباس وأبو هريرة وجمهور من اللغويين: القسورة: الأسد[٤]، وقيل غير هذا، ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ﴾ أي: من هؤلاء ﴿أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾ أي: يريد كل إنسان منهم أنْ ينزل عليه كتاب من الله، ومنشرة، أي: منشورة غير مطوية.

وقوله: ﴿كَلاَّ﴾ رَدٌّ على إرادتهم، أي: ليس الأمر كذلك، ثم قال: ﴿بَلْ لاَ يَخَافُونَ الآخِرَةَ﴾ المعنى: هذه هي العلة والسبب في إعراضهم، فكان جهلهم بالآخرة سَبَبَ امتناعهم من الهدى حتى هلكوا، ثم أعاد تعالى الرد والزجر بقوله: ﴿كَلاَّ﴾ وأخبر أنَّ هذا القولَ والبيانَ وهذه المحاورة بجملتها ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾: ووفقه الله لذلك، ذَكَرَ معادَه؛ فعمل له، ثم أخبر سبحانه أنَّ ذكر الإنسان مَعَادَهُ وجريَه إلى فلاحه؛ إنَّما هو كله بمشيئة الله تعالى، وليس يكون شيء إلاَّ بها، وقرأ أبو عمرو وعاصم وابن كثير: «يَذْكُرُونَ» بالياء من تحت[٥].

وقوله سبحانه: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ خبر جزم معناه: أنَّ الله عز وجل

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٩).
(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ١٨٦).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٣٩٩).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٢٢)، رقم: (٣٥٥١٢، ٣٥٥١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٩) عن أبي هريرة فقط، وابن عطية (٥/ ٣٩٩)، وابن كثير (٤/ ٤٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» ((٦/ ٤٦١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس ولعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن أبي هريرة.
(٥) ينظر: «إعراب القراءات» (٢/ ٤١٣)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٠٤)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٨٠)، و«العنوان» (١٩٩)، و«شرح شعلة» (٦١٣)، و«حجة القراءات» (٦٣٥)، و«إتحاف» (٢/ ٥٧٢).

أَهْلٌ بصفاته العُلَى ونِعَمِهِ التي لا تُحْصَىٰ لِأَنْ يُتَّقَىٰ ويُطَاعَ أمره، ويُحْذَرَ عصيانه، وأَنَّه بفضله وكرمه أَهْلٌ أَنْ يَغْفِرَ لعبادِهِ إِذا ٱتَّقَوْهُ؛ رَوَى ابْنُ مَاجَه عن أَنَس: «أَنَّ النبيَّ ﷺ قَرَأَ هَـٰذِهِ الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَىٰ، فَلاَ يُجْعَلَ مَعِيَ إِلَٰهٌ آخَرُ، فَمَنِ اتَّقَانِي فَلَمْ يَجْعَلْ مَعِيَ إِلَهاً آخَرَ، فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ» وأخرجه أبو عيسى الترمذي بمعناه، وقال: حديث حسن[1]، انتهى.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/١٤٣٧)، كتاب «الزهد» باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (٤٢٩٩).

تفسِيرُ سُورَةِ القِيامَةِ

وهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾

قوله عز وجل: ﴿لاَ أُقسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ/ * وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ هذه قراءة ١٩٧ أ
الجمهور، وقرأ ابن كثير[١]: «لأُقْسِمُ بِيَومِ القِيَامَةِ وَلأُقْسِمُ» فقيل: على قراءة الجمهور «لا» زائدة، وقال الفَرَّاءُ: «لا» نفيٌ لكلام الكفار، وزجر لهم، ورَدٌّ عليهم، وجمهور المتأوِّلين على أنَّ اللَّه تعالى أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة، أقسم سبحانه بيوم القيامة؛ تنبيهاً منه على عِظَمِهِ وهوله؛ قال الحسن: النفس اللَّوَّامَةُ: هي اللوامة لصاحبها في ترك الطاعة ونحو ذلك[٢]، فهي على هذا ممدوحة؛ ولذلك أقسم اللَّه بها، وقال ابن عباس وقتادة: اللوامة: هي الفاجرة، اللوامة لصاحبها على ما فاته من سعي الدنيا[٣] وأعراضها، وعلى هذا التأويل يحسن نفي القسم بها، والنفس في الآية اسم جنس.

قال * ع[٤] *: وكل نفس متوسطة ليست بالمُطْمَئِنَّةِ ولا بالأَمَّارَةِ بالسوء فإنَّها لوَّامة في الطرفين، مرةً تلوم على ترك الطاعة، ومرةً تلوم على فوت ما تشتهي، فإذا اطمأنَّت خلصت وصفت، قال الثعلبيُّ: وجواب القسم محذوف تقديره: لَتُبْعَثُنَّ، دَلَّ عليه قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ أي: للإحياء والبعث، والإنسان هنا الكافر المُكَذِّبُ

---

(١) ينظر: «السبعة» (٦٦١)، و«الحجة» (٦/ ٣٤٣)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤١٤)، و«حجة القراءات» (٧٣٥)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٠٥)، و«العنوان» (٢٠٠)، و«إتحاف» (٢/ ٥٧٣).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٤٢١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٦٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٢).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٠٢).

بالبعث، انتهى، والبنان: الأصابع، و﴿نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ معناه: نتقنها سَوِيَّةً؛ قاله القتبي، وهذا كله عند البعث، وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: المعنى: بل نحن قادرون أنْ نسوي بنانه، أي: نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كَخُفِّ البعير أو كحافر الحمار، لا يمكنه أنْ يعمل بها شيئاً، ففي هذا تَوَعُّدٌ ما، والقول الأول أجرى مع رصف الكلام[١].

﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ معناه: أنَّ الإنسان إنَّما يريد شهواتِهِ ومعاصِيَه؛ ليمضيَ فيها أبداً راكباً رأسه، ومطيعاً أمله، ومُسَوِّفاً توبته؛ قال البخاريُّ: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ يقول: سوف أتوب، سوف أعمل[٢]، انتهى.

١٩٧ ب / قال الفخر[٣]: قوله: ﴿ليفجر أمامه﴾ فيه قولان:

الأَوَّل: ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان، لا ينزع عنه؛ فَعَنِ ابن جُبَيْرٍ: يقدم الذنب، ويُؤَخِّرُ التوبة[٤]، يقول: سوف أتوب، سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوإ أعماله.

القول الثاني: ﴿يفجر أمامه﴾ أي: يُكَذِّبُ بما أمامه من البعث والحساب؛ لأَنَّ من كذب حَقًّا كان مفاجراً، والدليل على هذا القول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ أي: متى يكون ذلك؛ تكذيباً له، انتهى.

وسؤال الكفار ﴿أيان﴾ هو على معنى التكذيب والهزء، و﴿أيان﴾ بمعنى: متى، وقرأ نافع وعاصم بخلافٍ: «بَرَقَ الْبَصَرُ» ـ بفتح الراء[٥] ـ بمعنى: لَمَعَ وصار له بريق، وحار عند الموت، وقرأ أبو عمرو وغيره بكسرها بمعنى: شَخَصَ، والمعنى متقارب، قال

---

(١) أخرجه الطبري (٢/ ٣٢٨)، رقم: (٣٥٥٤٠ ـ ٣٥٥٤١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٢)، وابن كثير (٤/ ٤٤٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٦٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٢) ينظر: «فتح الباري» (٨/ ٥٤٧)، كتاب «التفسير».
(٣) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ١٩٢).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٣٠)، رقم: (٣٥٥٥٥)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢١)، وابن عطية (٥/ ٤٠٢)، وابن كثير (٤/ ٤٤٨).
(٥) وعاصم قرأها هكذا من رواية أبان.
ينظر: «السبعة» (٦٦١)، و«الحجة» (٦/ ٣٤٥)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٠٦)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤١٤)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٨١)، و«العنوان» (٢٠٠)، و«حجة القراءات» (٧٣٦)، و«شرح شعلة» (٦١٣)، و«إتحاف» (٢/ ٥٧٤).

مجاهد: هذا عند الموت[١]، وقال الحسن: هذا في يوم القيامة[٢]، قال أبو عبيدة وجماعة من اللغويين: الخسوف والكسوف بمعنى واحد[٣]، وقال ابن أبي أُوَيْسٍ: الكسوف: ذهابُ بعض الضوء، والخسوف: ذهاب جميعه، وروى عروة وسفيان أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ تَقُولُوا كَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَلَكِنْ قُولُوا: خَسَفَتْ»[٤] **وقرأ** ابن مسعود: «وَجُمِعَ[٥] بَيْنَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ» واختلف في معنى الجمع بينهما فقال عطاء: يجمعان فيقذفان في النار[٦]، وقيل: في البحر فيصيرا نارَ اللَّه العُظْمَى، وقيل: يُجْمَعُ الضَّوْءانِ فيذهب بهما؛ قال الثعلبيُّ: وقال علي وابن عباس: يجعلان في نور الحجب[٧]، انتهى.

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾

﴿يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ﴾ أي: أين الفرار ﴿كَلاَّ لاَ وَزَرَ﴾ أي: لا ملجأ، و﴿المستقر﴾ موضع الاستقرار.

وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّأُ/ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [أي]: يعلم بكل ما فعل، ١٩٨أ
ويجده مُحَصَّلاً، وقال ابن عباس وابن مسعود: بما قَدَّم في حياته، وما أَخَّرَ من سُنة بعد مماته[٨].

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٣١)، رقم: (٣٥٥٦٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٦٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٣).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٣).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٢٥)، كتاب «الكسوف» باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (١٣/ ٩٠٥).

(٥) هكذا في القرطبي (١٩/ ٦٣). وذكر ابن عطية في «**المحرر الوجيز**» (٥/ ٤٠٣) أنها قراءة ابن أبي عبلة.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٣٢)، رقم: (٣٥٥٦٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٢)، وابن عطية (٥/ ٤٠٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٦٥)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر.

(٧) ذكره القرطبي (١٩/ ٦٣)، وذكره أبو حيان في «**البحر المحيط**» (٨/ ٣٧٧).

(٨) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٣٥)، رقم: (٣٥٥٩١)، (٣٥٥٩٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٢)، وابن عطية (٥/ ٤٠٣)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٦٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن مسعود، وعزاه أيضاً لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ قال ابن عباس وغيره: أي: للإنسان على نفسه من نفسه بصيرةٌ رقباءُ يشهدون عليه، وهم جوارحه وَحَفَظَتُه[(١)]، ويحتمل أنْ يكون المعنى: بل الإنسان على نفسه شاهد؛ ودليله قوله تعالى: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٤] قال الثعلبيُّ: قال أَبَانُ بْنُ تَغْلِبٍ: البصيرةُ والبَيِّنَةُ والشاهد بمعنى واحد .انتهى، ونحوه للهرويِّ؛ قال * ع[(٢)] *: والمعنى على هذا التأويل الثاني: أَنَّ في الإنسان وفي عقله وفطرته حُجَّةً وشاهداً مُبْصِراً على نفسه.

﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ أي: ولو اعتذر عن قبيح أفعاله، فهو يعلمها، قال الجمهور: والمعاذير هنا جمع مَعْذِرَة، وقال الضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ: هي الستور بلغة اليمن؛ يقولون للستر: المعذار[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ الآية، قال كثير من المفسرين، وهو في «صحيح البخاريِّ» عن ابن عباس قال: كان النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ؛ مُخَافَةَ أَنْ يَذْهَبَ عَنْهُ مَا يُوحَى إِلَيْهِ، فَنَزَلَتِ الآيَةُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَأَعْلَمَهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَجْمَعُهُ لَهُ فِي صَدْرِهِ[(٤)].

وقوله: ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ يحتمل أنْ يريد وقراءته، أي: تقرأه أنت يا محمد.

وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ أي: قرأه المَلَكُ الرسول عنَّا ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾، قال البخاريُّ: قال ابن عباس: ﴿فاتبع﴾، أي: اعمل به، وقال البخاريُّ أيضاً/ قوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ١٩٨ ب وَقُرْآنَهُ﴾ أي: تأليف بعضه إلى بعض ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ أي: ما جمع فيه، فاعمل بما أمرك، وانته عمَّا نهاك عنه انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ قال قتادة وجماعة: معناه: أنْ نُبَيِّنَهُ لك[(٥)]، وقال البخاريُّ: أنْ نبينه على لسانك.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٣٣٦)، رقم: (٣٥٦٠١)، وذكره البغوي (٤/٤٢٣)، وابن كثير (٤/٤٤٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٦٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٤٠٤).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٣٣٨)، رقم: (٣٥٦١٢) عن السدي، وذكره البغوي (٤/٤٢٣)، وابن عطية (٥/٤٠٤)، والسيوطي (٦/٤٦٧)، وعزاه لابن المنذر عن الضحاك بنحوه.

(٤) أخرجه البخاري (٨/٥٤٧ ـ ٥٤٨)، كتاب «التفسير» باب: سورة القيامة (٤٩٢٧)، (٨/٥٤٩)، باب: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ (٤٩٢٨).

(٥) ذكره ابن عطية (٥/٤٠٥)، وابن كثير (٤/٤٤٩) بنحوه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كَلاً بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا وشهواتِها؛ قال الغزاليُّ في **«الإحياء»**: اعلم أنَّ رأس الخطايا المهلكة هو حُبُّ الدنيا، ورأسَ أسبابِ النجاة هو التجافي بالقلب عن دار الغرور، وقال رحمه اللَّه: اعلم أنَّهُ لا وصولَ إلى سعادة لقاء اللَّه سبحانه في الآخرة إلاَّ بتحصيل محبته والأُنْسِ به في الدنيا، ولا تحصلُ المحبة إلاَّ بالمعرفة، ولا تحصل المعرفةُ إلاَّ بدوام الفكر، ولا يحصل الأُنْسُ إلاَّ بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلاَّ بانقلاع حُبِّ الدنيا من القلب، ولا ينقلع ذلك إلاَّ بترك لَذَّاتِ الدنيا وشهواتها، ولا يمكن تركُ المشتهيات إلاَّ بقمع الشهوات، ولا تَنْقَمِعُ الشهواتُ بشيء كما تنقمعُ بنار الخوف المُحْرِقَة لِلشهوات، انتهى.

وقرأ ابن كثير[1] وغيره: «يُحِبُّونَ» و«يَذَرُونَ» بالياء على ذكر الغائب، ولما ذكر سبحانه الآخرة، أخبر بشيء من حال أهلها فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ أي: ناعمة، والنُّضْرَةُ: النعمة وجمال البشرة؛ قال الحسن: وحُقَّ لها أن تُنَضَّر وهي تنظر إلى خالقها[2].

وقوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ حمل جميع أهل السُّنَّةِ هذه الآية على أنَّها متضمنة
١٩٩ أ رؤية المؤمنين للَّه عز وجل بلا تكييف ولا تحديد/ كما هو معلوم موجود، لا يشبه الموجودات، كذلك هو سبحانه مَرْئِيٌّ لا يشبه المَرْئِيَّاتِ في شيء؛ فإنَّه ليس كمثله شيء لا إله إلاَّ هو، وقد تقدم استيعاب الكلام على هذه المسألة، وما في ذلك من صحيح الأحاديث، والباسرة: العابسة المغمومة النفوس، والبسور: أشد العُبُوسِ، وإنَّما ذكر تعالى الوجوه؛ لِأَنَّهُ فيها يظهر ما في النفس من سرور أو غَمٍّ، والمراد أصحاب الوجوه، والفاقرة: المصيبة التي تكسر فَقَار الظهر؛ وقال أبو عبيدة: هي من فَقَرْتُ [البعير] إذا وسمت أنفه بالنار[3].

---

(١) وقرأ بها أبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب.
ينظر: **«إعراب القراءات»** (٢/ ٤١٦)، و**«معاني القراءات»** (٣/ ١٠٦)، و**«شرح الطيبة»** (٦/ ٨١)، و**«العنوان»** (٢٠٠)، و**«حجة القراءات»** (٧٣٦)، و**«شرح شعلة»** (٦١٤)، و**«إتحاف»** (٢/ ٥٧٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٤٣) رقم (٣٥٦٥٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٤)، وابن عطية (٥/ ٤٠٥)، وابن كثير (٤/ ٤٥٠).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٥).

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ...﴾ زجر وتذكير أيضاً بموطن من مواطن الهول، وهي حالة الموت الذي لا مَحِيدَ عنه، و﴿بَلَغَتْ﴾ يريد: النفس و﴿التراقي﴾ جمع تَرْقُوَةٍ، وهي عظام أعلى الصدر، ولكل أحد تَرْقُوَتَانِ، لكن جُمِعَ من حيثُ أَنَّ النفس المرادةَ اسمُ جنس، والتراقي هي موارية للحلاقيم، فالأمر كله كناية عن حال الحَشْرَجَةِ ونزع الموت ـ يَسَّرَهُ اللَّه علينا بِمَنِّهِ، وجعله لنا راحةً من كل شَرٍّ ـ واخْتُلِفَ في معنى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ فقال ابن عباس وجماعة: معناه: مَنْ يُرْقِي، ويَطُبُّ، ويَشْفِي[١]، ونحو هذا مِمَّا يتمناه أهل المريض، وقال ابن عباس أيضاً، وسليمانُ التَّيْمِيُّ، ومقاتل: هذا القول للملائكة، والمعنى: مَنْ يرقى بروحه، أي: يصعد بها إلى السماء أملائكة الرحمة، أم ملائكة العذاب[٢].

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي: أيقن، وهذا يقين فيما لم يَقَعْ بعد؛ ولذلك اسْتُعْمِلَتْ فيه لَفْظَةُ الظن.

١٩٩ب / وقوله تعالى: ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ قال ابن المُسَيِّبِ، والحسن: هي حقيقة، والمراد: ساقا المَيِّتِ عند تكفينه، أي: لَفَّهُمَا الكَفَنُ[٣]، وقيل: هو التفافهما من شدة المرض، وقيل غير هذا.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى﴾ الآية: قال جمهور المتأولين: هذه الآية كلها إِنَّما نزلت في أبي جهل؛ قال * ع[٤] *: ثم كادت هذه الآية أَنْ تُصَرِّحَ به في قوله:

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٤٠٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٧٧)، وعزاه لعبد بن حميد عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٣٤٦)، رقم: (٣٥٦٨٢)، وذكره ابن عطية (٥/٤٠٦)، وابن كثير (٤/٤٥١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٧٧)، وعزاه لابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٣٤٨)، رقم: (٣٥٧٠٦ ـ ٣٥٧٠٧)، وذكره البغوي ٤/٤٢٥)، وابن عطية (٥/٤٠٦)، وابن كثير (٤/٤٥١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤٧٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن الحسن.

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٤٠٦).

﴿يَتَمَطَّى﴾ فإنَّها كانت مشيته، وقوله: ﴿فلا صدق ولا صلى﴾ تقديره: فلم يُصَدِّقْ ولم يُصَلِّ فـ«لا» في الآية: نفي لا عاطفة.

* ص *: ﴿فَلاَ صَدَّقَ﴾ فيه دليل على أنَّ «لا» تدخل على الماضي فتنفيه؛ كقول الراجز: [من الرجز]

إِنْ تَـغْـفِـرِ الـلَّـهُـمَّ تَـغْـفِـرْ جَـمَّـا وَأَيُّ عَـبْـدٍ لَـكَ لاَ أَلَـمَّـا[1]

إنتهى.

و﴿صدق﴾ معناه: برسالة الله ودينه، وذهب قوم إلى أنَّه من الصَّدَقَةِ، والأول أصوب و﴿يتمطى﴾ معناه: يمشي المَطيطاء، وهي مشية بتبختر، وهي مؤخوذة من المَطا وهو الظهر؛ لأنَّهُ يتثنى فيها، زاد * ص *: وقيل: أصله يتمطط، أي: يتمدد في مشيه ومَدِّ مَنْكِبَيْهِ، انتهى.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

وقوله: ﴿أَوْلَى لَكَ﴾: وعيد.

﴿فَأَوْلَى﴾ وعيد ثانٍ، وكرَّر ذلك؛ تأكيداً، ومعنى ﴿أولى لك﴾ الازدجار والانتهار، والعرب تستعمل هذه الكلمة زجراً؛ ومنه فأولى لهم طاعة، ويُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبَّبَ أَبَا جَهْلٍ يَوْماً في البَطْحَاءِ وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَكَ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾» فنزل القرآن على نحوها[2]؛ وفي شعر الخنساء: [المتقارب]

---

(١) لأبي خراش في «الأزهية» ص: (١٥٨)، و«خزانة الأدب» (٧/ ١٩٠)، و«شرح أشعار الهذليين» (٣/ ١٣٤٦)، و«شرح شواهد المغني» ص: (٦٢٥)، و«لسان العرب» (١٢/ ١٠٤) (جمم)، و«المقاصد النحويّة» (٤/ ٢١٦)، ولأمية بن أبي الصلت في «الأغاني» (٤/ ١٣١، ١٣٥)، و«خزانة الأدب» (٤/ ٤)، و«لسان العرب» (١٢/ ٥٥٣) (لمم)، ولأمية أو لأبي خراش في «خزانة الأدب» (٢/ ٢٩٥)، و«لسان العرب» (١٢/ ٥٤٩) (لمم)، وبلا نسبة في «الإنصاف» ص: (٧٦)، و«جمهرة اللغة» ص: (٩٢)، و«الجنى الداني» ص: (٢٩٨)، و«لسان العرب» (١٥/ ٤٦٧) (لا)؛ و«مغني اللبيب» (١/ ٢٤٤).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/ ٥٠٤)، كتاب «التفسير» باب: قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ (١١٦٣٨/ ٢)، والحاكم (٢/ ٥١٠)، وابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ٣٥١) (٣٥٧٣٤) نحوه، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٧٩)، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والطبراني.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

هَمَمْتُ بِنَفْسِيَ كُلَّ الْهُمُومِ ... فَأَوْلَى لِنَفْسِيَ أَوْلَى لَهَا[(١)]

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ﴾: توبيخ و﴿سُدًى﴾: معناه: مُهْمَلاً لا يُؤْمَرُ ولا يُنْهَى، ثم
١٢٠٠أ قَرَّر تعالى أحوال ابن آدم في بدايته التي إذا تُؤُمِّلَتْ لَم/ يُنْكِرْ معها جوازَ البعث من القبور
عاقلٌ، والعَلَقَةُ القطعة من الدم.

﴿فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾ أي: فخلق اللّه منه بشراً مركباً من أشياء مختلفة، فسواه شخصاً مستقلاً، و﴿الزوجين﴾: النوعين، ثم وقف تعالى توقيفَ توبيخ بقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ رُوِيَ: أَنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية قال: بَلَى، ورُوِيَ أَنَّه كَانَ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، بلى»[(٢)] انظر **«سنن أبي داود»**.

---

(١) ينظر: البيت في **«الديوان»** (٨٢)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٤٣٣).

(٢) تقدم تخريجه في أول التفسير.

[تفسيرُ] سُورَةِ «الإنسَانِ»

قِيلَ: مَكِّيَّةٌ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ

وقال الحسن وعِكْرِمَةُ: منها آية مكية[١]، وهي [قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ والباقي مدنيّ.

[بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ]

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾

[قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ...﴾ الآية، ﴿هل﴾ في كلام العرب قد تجيء][٢] بمعنى ﴿قد﴾؛ حكاه سيبويه، لكنها لا تخلو من تقرير، وبابُها المشهورُ الاستفهام المَحْضُ، والتقرير أحياناً؛ قال ابن عباس: «هل» بمعنى «قد»، والإنسان يراد به آدم[٣]، وقال أكثر المتأولين: «هل» تقرير، الإنسان: اسم جنس، أي: إذا تَأَمَّلَ كُلُّ إِنسان نفسه علم بِأَنَّه قد مَرَّ حِينٌ من الدهر عظيم لم يكن فيه شيئاً مذكوراً، وهذا هو القوي أَنَّ الإنسان اسم جنس، وأَنَّ الآية جُعِلَتْ عبرةً لكل أحد من الناس؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ الخالق له قادر على إعادته.

* ص *: ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ في موضع حال من ﴿الإنسان﴾ أو في موضع صفة لـ ﴿حين﴾ والعائد عليه محذوف، أي: لم يكن فيه، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ...﴾ الآية، الإنسان هنا: اسم جنس بلا خلافٍ، وأمشاج معناه: أخلاط؛ قيل: هو ﴿أمشاج﴾ ماءِ الرجل بماءِ المرأة، ونَقَلَ الفخرُ أَنَّ

(١) ذكره البغوي (٤/ ٤٢٦)، وابن عطية (٥/ ٤٠٨).

(٢) سقط في: د.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٨).

٢٠٠ب الأمشاج لفظٌ/ مفرد، وليس يُجْمَعُ، بدليل أنَّه وقع صفةً للمفرد، وهو قوله: ﴿نطفة﴾، انتهى.

﴿نَبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره بالإيجاد والكون في الدنيا، وهو حال من الضمير في ﴿خلقنا﴾ كأنَّه قال: مختبرين له بذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ عَطْفُ جملة نِعَم على جملة نِعَم، وقيل: المعنى: فلنبتليه جعلناه سميعاً بصيراً و﴿هديناه﴾: يحتمل: أنْ يكون بمعنى أرشدناه، ويحتمل: أنْ يكون بمعنى أريناه، وليس الهدى في هذه الآية بمعنى خلق الهدى والإيمان، وعبارة الثَّعْلَبِيِّ: ﴿هديناه السبيل﴾ بَيَّنَا له وَعَرَّفْنَاهُ طريقَ الهدى والضلال، والخير والشر؛ كقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] انتهى.

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ حالان، وقسمتهما ﴿إمَّا﴾، و﴿الأبرار﴾: جمع بَارٍّ؛ قال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذَّرَّ، ولا يرضون الشرَّ[(١)]، قال قتادة: نعم قوم يمزجُ لهم بالكافور، ويُخْتَمُ لهم بالمسك[(٢)]، قال الفرَّاء: يقال إنَّ في الجنة عيناً تسمى كافوراً.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿عَيْناً﴾ قيل: هو بدل من قوله: ﴿كَافُوراً﴾ وقيل: هو مفعول بقوله: ﴿يشربون﴾ أي: ماءُ هذه العين من كأس عَطِرَةٍ كالكافور، وقيل: نصب ﴿عيناً﴾ على المدح أو بإضمار «أعني».

قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمنزلة [يشربها]، فالباء زائدة؛ قال الثعلبيُّ: قال الواسطي: لَمَّا اختلفت أحوالهم في الدنيا اختلفت أشربتهم في الآخرة، انتهى.

قال * ص *: وقيل: الباء في ﴿بها﴾ للإلصاق والاختلاط، أي: يشرب بها عباد الله الخمرَ؛ كما تقول: شَرِبْتُ الماءَ بالعسل، انتهى.

٢٠١أ وقوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ معناه: يفتقونها ويقودونها حيث شاؤوا/ من منازلهم

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٠٩).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٥٧، ٣٥٨)، رقم: (٣٥٧٦٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بنحوه.

وقصورهم، فهي تجري عند كُلِّ أحد منهم، ورُدَّ بهذا الأثر، وقيل: عين في دار النَّبيِّ ﷺ تفجر إلى دُورِ الأنبياء والمؤمنين؛ قال * ع[١] *: وهذا قول حسن، ثم وصف تعالى حال الأبرار فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ أي: ممتدًا مُتَّصِلاً شائعاً.

وقوله تعالى: ﴿على حُبِّهِ﴾ يحتمل أنْ يعودَ الضمير على الطعام، وهو قول ابن عباس[٢]، ويحتمل أنْ يعودَ على اللّه تعالى؛ قاله أبو سليمان الدَّارانيُّ[٣].

وقوله: ﴿وأَسِيراً﴾ قال الحسن: ما كان أسراهم إلاَّ مشركين؛ لأَنَّ في كل ذي كبد رطبة أجراً[٤].

* ت *: وفي «العتبية» سُئِلَ مالك عن الأسير في هذه الآية أمسلم هو أم مشرك، فقال: بل مشرك، وكان ببدر أسارى، فأنزلت فيهم هذه الآية؛ فقال ابن رشد: والأظهر حمل الآية على كل أسير، مسلماً كان أو كافراً، انتهى يعني: وإنْ كان سبب نزولها ما ذكر فهي عامَّةٌ في كُلِّ أسير إلى يوم القيامة، وقال أبو سعيد الخُدْرِيُّ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «﴿مِسْكِيناً﴾ [قال:] فَقِيراً ﴿وَيَتِيماً﴾ قال: لا أَبَ لَهُ ﴿وأَسِيراً﴾ قال: المَمْلُوكُ والمَسْجُونُ»[٥]، وأسند القُشَيْرِيُّ في رسالته عن مالك، عن نافع، عنِ ابن عمر، عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ قال: قال رسولُ اللّه ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ مِفْتَاحٌ، وَمِفْتَاحُ الجَنَّةِ حُبُّ المَسَاكِينِ، والفُقَرَاءُ الصُّبَّرُ هُمْ جُلَسَاءُ اللّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٦] انتهى.

وروى الترمذيُّ عن أنس أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اللّهُمَّ، أَحْيِنِي مِسْكِيناً، وأَمِتْنِي مِسْكِيناً، وَاحْشُرْنِي في زُمْرَةِ المَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللّهِ؟! قالَ: إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً،/ يَا عَائِشَةُ، لاَ تَرُدِّي الْمِسْكِينَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ، أَحِبِّي المَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ، فَإِنَّ اللّهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال أبو عيسى: هذا حديث غريب[٧]، انتهى. ٢٠١ ب

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٠).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٠).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٠).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٠)، رقم (٣٥٧٨٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٤)، وعزاه لسعيد بن المنصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن مردويه عن الحسن بنحوه.
(٥) ينظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٥).
(٦) ينظر: «كنز العمال» (٦/ ٤٦٩)، رقم: (١٦٥٨٧).
(٧) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٧، ٥٧٨)، كتاب «الزهد» باب: ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾
فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى
ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ
مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا
﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾

أغنيائهم (٢٣٥٢)، والبيهقي (٧/ ١٢)، كتاب «الصدقات» باب: ما يستدل به على أن الفقير أمسُّ حاجة من المسكينُ.

قال الترمذي: هذا حديث غريب ـ يعني: ضعيف، وهو مصطلح خاص به.

وفي الباب من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٢)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨١)، كتاب «الزهد» باب: مجالسة الفقراء(٤١٢٦)، والخطيب (٤/ ١١١) (١٧٧٠)، قال العجلوني في **«كشف الخفاء»** (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧): رواه الترمذي، وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري، قال أحبوا المساكين، فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقوله في دعائه، ورواه الطبراني عن عطاء بسندٍ ضعيف بلفظِ: «اللّهم توفني إليك فقيراً، ولا توفني غنياً، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة»، وأخرجه الحاكم في **«مستدركه»** بزيادةِ «وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة»، وقال صحيح الإسناد، ورواه البيهقي في **«الشُعَب»** عن أبي سعيد بلفظِ: «يا أيها الناس لا يحملنكم العسرُ على أن تطلبوا الرزق من غير حِله»، فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول، وذكره بالزيادة المذكورة، وله شواهد، فرواه الترمذي والبيهقي في **«الشعب»** بسند فيه مُنكر عند بعضهم عن أنس أن رسول اللّه ﷺ قال: «اللّهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة»، فقالت عائشة: لم يا رسول اللّه؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشقّ تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإن اللّه يقربك يوم القيامة»، وقال: إنه غريب، ورواه الطبراني في **«الدعاء»** بسند رجاله ثقاتٌ عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول اللّه ﷺ: «اللهم أحيني مسكيناً، وتوفني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»، ومع وجود هذه الطرق لا يحسن الحكم عليه بالوضع، وقال في **«الدرر»** رواه الترمذي عن أنس، وابن ماجه عن أبي سعيد عن أبي عبادة، وادعى ابن الجوزي، وابنُ تيمية أنه موضوع، وليس كما قالا انتهى، وقال ابن حجر في **«التحفة»** إن الحديث ضعيف ومُعارَض بما رُوي أنه ﷺ استعاذ من المسكنة، وفُسِّرت المسكنةُ المسؤولةُ بسكون القلب، وفسر شيخ الإسلام زكريا هذا الحديث فقال معناه طلب التواضع والخضوع، وأن لا يكون من الجبابرة المتكبرين والأغنياء المترفين، وقال البوصيري في **«الزوائد»** (٣/ ٢٧٥). هذا إسناد ضعيف، أبو المبارك لا يعرف اسمه وهو مجهول ويزيد بن سنان التيمي أبو فروة ضعيف رواه أبو بكر بن أبي شيبة في **«مسنده»** هكذا.

ورواه عبد بن حميد في **«مسنده»**، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا أبو خالد الأحمر فذكره بإسناده ومتنه.

ورواه الحاكم في **«المستدرك»** من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه به، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد.

قلت: ورواه البيهقي في **«سننه الكبرى»** عن الحاكم به.

وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت، ومن حديث أنس بن مالك، رواه البيهقي في «الكبرى».

ورواه ابن الجوزي في **«الموضوعات»** من طريق أبي خالد الأحمر.

وقولَه: ﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ. . .﴾ الآية، قال مجاهد، وابن جبير: ما تكلموا به، ولكنه علمه اللَّه من قلوبهم، فأثنى عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب(١)، وَوَصْفُ اليوم بِعَبُوسٍ تَجُوُّزٌ، والقَمْطَرِيرُ: هو في معنى العبوس والإِزْبِدَاد؛ تقول: اَقْمَطَرَّ الرَّجُلُ: إذا جمع ما بين عَيْنَيْهِ. غضباً، وقال ابن عباس: يعبس الكافر يومئذ حتَّىٰ يسيلَ ما بين عينيه كالقَطِرَانِ(٢)، وَعَبَّرَ ابن عباس عن القمطرير بالطويل(٣)، وعَبَّرَ عنه غيره بالشديد؛ وذلك كله قريب في المعنى، والنضرة: جمال البشرة وذلك لا يكون إلاَّ مع فرح النفس وقرة العين.

وقوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ عامٌّ في الصبر عنِ الشهوات وعلى الطاعات والشدائد، وفي هذا يدخل كُلُّ ما خصص المفسرون من صوم، وفقر، ونحوه.

وقوله سبحانه: ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً. . .﴾ الآية، عبارةٌ عن اعتدال هوائها وذَهَابِ ضَرَرِيِ الحَرِّ والقَرِّ، والزَّمْهَرِير: أَشَدُّ البرد، والقطوف: جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب ونحوه، والقوارير: الزجاج.

وقوله تعالى: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾ يقتضي أَنَّها من زجاج ومن فضة، وذلك متمكن؛ لكونه من زجاج في شفوفه ومن فضة في جَوْهَرِهِ، وكذلك فضة الجنةِ شفَّافة، [قال القرطبيُّ في «تذكرته»: وذلك أَنَّ لكل قوم من تراب أرضهم قَوَارِيرَ، وأَنَّ ترابَ الجنة فضة، فهي قوارير من فضة؛ قاله ابن عباس(٤)، انتهى](٥).

وقوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾ أي: على قَدْرِ رِيِّهِمْ؛ قاله مجاهد(٦)، أو على قدر الأَكُفِّ قاله الربيع(٧)، وضمير ﴿قدروها﴾ يعود إِمَّا على الملائكة، أو على الطائفين، أو على المنعمين.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦١)، رقم: (٣٥٧٨٧، ٣٥٧٨٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٢٨)، وابن كثير (٤/ ٤٥٥) بنحوه

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦١)، رقم: (٣٥٧٨٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١١).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٢)، رقم: (٣٥٨٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١١).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٥)، رقم: (٣٥٨١٧)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤٥٦)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٤٨٧)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في «**البعث**» من طريق عكرمة، عن ابن عباس بنحوه.

(٥) سقط في: د.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٦)، رقم: (٣٥٨٣١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١٢)، وابن كثير (٤/ ٤٥٦).

(٧) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٢)، وابن كثير (٤/ ٤٥٦).

وقوله سبحانه: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ «عيناً» بدل من «كأس» أو من «عين» على
٢٠٢أ القول الثاني، و﴿سلسبيلاً﴾ قيل: هو اسم بمعنى/ السَّلِسُ المنقاد الجرية، وقال مجاهد: حديدة الجرية[1]، وقال آخرون: ﴿سلسبيلاً﴾ صفة لقوله: ﴿عيناً﴾ و﴿تُسَمَّى﴾ بمعنى تُوصَفُ وتشهر، وكونه مصروفاً مما يؤكد كونه صفة للعين لا اسماً.

وقوله تعالى: ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾ قال الإمام الفخر[2]: وفي كيفية التشبيه وجوه:

أحدها: أنَّهم شُبِّهُوا في حسنهم، وصفاء ألوانهم، وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم في أنواع الخدمة ـ باللؤلؤ المنثورِ، ولو كانوا صفًّا لَشُبِّهُوا باللؤلؤ المنظوم؛ أَلاَ ترى أَنَّهُ تعالى قال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ فإذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين.

الثاني: أَنَّ هذا من التشبيه العجيب؛ لأَنَّ اللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسنَ في المنظر؛ لوقوع شعاع بعضه على بعض.

الثالث: أَنَّهم شُبِّهُوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه؛ لأَنَّه أحسن وأجمل، انتهى.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ قال الفرَّاء: التقدير: وإذا رأيت ما ثَمَّ رأيت نعيماً، فحُذِفَتْ «ما» وكُرِّرَتِ الرؤية؛ مبالغةً ﴿وَمُلْكاً كَبِيراً﴾: وهو أَنَّ أدناهم منزلةً ينظر في ملكه مسيرة ألف عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وخرَّجَهُ الترمذيُّ، وفي التِّرمِذِيِّ أيضاً من رواية أبي سعيد الخُدْرِيِّ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْف خَادِمٍ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً، وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ كَمَا بَيْنَ الجَابِيَةِ إِلَىٰ صَنْعَاءَ»[3] انتهى، وقال سفيان: الملك الكبير هو استئذانُ الملائكة، وتسليمُهم عليهم،

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٦٨)، رقم: (٣٥٨٤٣ ـ ٣٥٨٤٤، ٣٥٨٤٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٠)، وابن عطية (٥/ ٤١٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٨)، وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي عن مجاهد.
(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣٠/ ٢٢٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٩٥)، كتاب «صفة الجنة» باب: ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة (٢٥٦٢). قال أبو عيسى: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

وتعظيمُهم لهم، قال الثعلبيُّ: قَال محمد[١] بن علي الترمذي: يعني ملك التكوين إذا أرادوا شيئاً كان، انتهى.

* ت *: وجميع ما ذكر داخل في الملك/ الكبير، وقرأ نافع وحمزة: «عَالِيهِمْ» ٢٠٢ ب
وقرأ الباقون[٢]: «عَالِيَهُمْ» بالنصب، والمعنى: فوقهم، قال الثعلبيُّ: وتفسير ابن عباس قال: أما رأيتَ الرجل عليه ثياب يعلوها أفضلُ منها[٣]، انتهى، وقرأ حمزة والكسائيُّ: «خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ» بالخفض فيهما[٤]، وباقي الآية بَيِّنٌ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ...﴾ الآية تثبيتٌ للنبي ﷺ وتقوية لنفسه على أذى قريش، والآثم هنا هو الكفور، واللفظ أيضاً يقتضي نهيَ الإمام عن طاعة آثم من العُصَاةِ أو كفور باللَّه، ثم أمره تعالى بذكر ربه دأباً ﴿بكرة وأصيلاً﴾ ﴿ومن الليل﴾: بالسجود والتسبيح الذي هو الصلاة، ويحتمل أنْ يريد قول: سبحانَ اللَّهِ، قال ابن زيد وغيره: كان هذا فرضاً ثم نُسِخَ[٥]، وقال آخرون: هو مُحْكَمٌ على وجه الندب، وقال ابن العربيِّ في «أحكامه»: أمَّا قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طويلاً﴾ فإنَّهُ عبارة عن قيام الليل، وقد كان النبي ﷺ يفعله كما تقدم، وقد يحتمل أنْ يكون هذا خطاباً لِلنَّبِيِّ ﷺ، والمراد الجميعُ، ثم نُسِخَ عَنَّا، وبَقِيَ عليه ﷺ، والأول أظهر، انتهى.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) في د: مجاهد.
(٢) وقرأ بها أبان عن عاصم.
ينظر: «السبعة» (٦٦٤)، و«الحجة» (٦/ ٣٥٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٢٢)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٠٩)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٨٨)، و«العنوان» (٢٠١)، و«حجة القراءات» (٧٣٩)، و«شرح شعلة» (٦١٦)، و«إتحاف» (٢/ ٥٧٨).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٤).
(٤) ينظر: «السبعة» (٦٦٥)، و«الحجة» (٦/ ٣٥٧)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٢٢)، و«معاني القراءات» (٢/ ١٠٩)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٨٨ ـ ٨٩)، و«حجة القراءات» (٧٤٠)، و«شرح شعلة» (٦١٦)، و«إتحاف» (٢/ ٥٧٨).
(٥) ذكره القرطبي (١٩/ ٩٧)، وأبو حيان في «البحر المحيط» (٨/ ٣٩٣)، وابن عطية (٥/ ٤١٤).

وقوله: ﴿إِنَّ هٰؤُلَاءِ﴾ يعني كُفَّارَ قريشٍ ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يعني: الدنيا، واعلمْ أَنَّ حُبَّ الدنيا رأسُ كل خطيئة، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «ازْهَدْ في الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ»[1] رواه ابن ماجه وغيره بأسانيدَ حَسَنَةٍ، قال ابن الفاكهانيِّ: قال القاضي أبو الوليد بن رشد: وأَمَّا الباعث على الزهد فخمسة أشياء:

أحدها: أَنَّها فانية شاغلة للقلوب عن التفكر في أمر اللَّه تعالى.

٢٠٣أ والثاني: أَنَّها تنقص عند اللَّه/ درجات من ركن إليها.

والثالث: أَنَّ تركها قربة من اللَّه تعالى وعلُوُّ مرتبة عنده في درجات الآخرة.

والرابع: طول الحبس والوقوف في القيامة للحساب والسؤال عن شكر النعيم.

والخامس: رضوان اللَّه تعالى والأمن من سخطه، وهو أكبرها؛ قال اللَّه عز وجل: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] قال ابن الفاكهاني: ولو لم يكن في الزهد في الدنيا إِلاَّ هذه الخصلة التي هي رضوانُ اللَّه تعالى ـ لكان ذلك كافياً ـ، فنعوذ باللَّه من إيثار الدنيا على ذلك، وقد قيل: من سُمِّيَ باسم الزهد فقد سُمِّيَ بألف اسم ممدوح، هذا مع ما للزاهدين من راحة القلب والبدن في الدنيا والآخرة، فالزُّهَّادُ هم الملوك في الحقيقة، وهم العقلاء؛ لإِيثارهم الباقي على الفاني، وقد قال الشافعية: لو أوصى لأَعْقَل الناس صُرِفَ إلى الزهاد، انتهى من «شرح الأربعين حديثاً»، ولفظ أبي الحسن الماورديِّ: وقد قيل: العاقل مَنْ عقل من اللَّه أمره ونهيه حتَّى قال أصحاب الشافعيِّ فيمن أوصى بثلث ماله: لأَعْقَلِ الناس أَنَّه يكون مصروفاً للزُّهَّادِ؛ لأنهم انقادوا للعقل، ولم يغتروا بالأمل، انتهى، والأَسْر الخلقة واتساق الأعضاء والمفاصل، وعبارة البخاريِّ: ﴿أسرهم﴾: شِدَّةُ الخلق، وكل شيء شددته من قتب أو غبيط فهو مأسور، والغبيط شيء يركبه النساء شبه المحفة، انتهى؛ قال * ع[2] *: ومن اللفظة: الإِسارُ، وهو القيد الذي يُشَدُّ به الأسير، ثم تَوَعَّدَهُم سبحانه بالتبديل، وفي الوعيد بالتبديل احتجاج على مُنْكِرِي البعث، أي: مَنْ هذه قدرته في الإِيجاد والتبديل فكيف تتعذر عليه الإِعادة؟!.

٢٠٣ب وقال الثعلبيُّ: ﴿بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ قال ابن عباس: يقول: أهلكناهم،/ وجئنا بأطوعَ للَّهِ منهم، انتهى[3].

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٥).
(٣) ذكره القرطبي (١٩/ ٩٩).

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ القول فيها كالتي في سورة المزمل.

وقوله سبحانه: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ كلام واضح لا يفتقر إلى تفسير، جعلنا اللّه ممن اهتدى بأنواره، وعَمَّتْ عليه بركتُه في أفعاله وأقواله؛ قال الباجِيُّ: قال بعض أهل داود الطائيِّ: قلت له يوماً: إنَّك قد عرفت فأوصني، قال: فَدَمِعَتْ عيناه ثم قال: يا أخي، إنَّما الليلُ والنهار مراحلُ يرحلُها الناس مرحلةً مرحلةً، حَتَّى تنتهي بهم إلى آخر سفرهم، فإنِ استطعت أَنْ تُقَدِّمَ من أَوَّلِ مرحلة زاداً لما بين يديك فافعل؛ فإنَّ انقطاع السفر قريب، والأمر أعجل من ذلك؛ فتزوَّدْ لسفرك، واقْضِ ما أنت قاضٍ من أمرك، فكأنَّ بالأمر قد بَغَتَكَ، ثم قام وتركني، انتهى من «**سنن الصالحين**».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾: نفي لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في نفوسهم، ولا يَرُدُّ هذا وجود مالهم من الاكتساب، **وقرأ** عبد اللّه[1]: «وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ».

وقوله تعالى: ﴿عَلِيماً حَكِيماً﴾ معناه: يعلم ما ينبغي أَنْ ييسر عبدَه إليه، وفي ذلك حكمة لا يعلمها إلاَّ هو سبحانه.

---

(١) ينظر: «**الشواذ**» ص: (١٦٧)، و«**الكشاف**» (٤/٦٧٦)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/٤١٥)، و«**البحر المحيط**» (٨/٣٩٣).

[تفسير] سورة «المرسلات»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ

وقيل: فيها من المدني قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاَ يَرْكَعُونَ﴾ قال ابن مسعود: نزلت هذه السورة ونحن مع النبي ﷺ بِحَرَاء. . . الحديث[1].

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ]

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ① فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ② وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ③ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ④ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ⑤ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ⑥﴾

قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً﴾ يعني: الرياح يَتْبَعُ بعضُها بعضاً، قاله ابن عباس، وابن مسعود، ومجاهد، وقتادة[2]، وقيل: المرسلات: الملائكة، وقيل: جماعات الأنبياء، و﴿عرفاً﴾ معناه: إفضالاً من اللّه تعالى، ويحتمل أنْ يريدَ بقوله: ﴿عرفاً﴾ أي:
١٢٠٤ متتابعةً، ويحتمل أنْ يريد/ بالأمر المعروف، ويحتمل أنْ يكونَ ﴿عرفاً﴾ بمعنى، والمرسلات: الرياح التي يعرفها الناس ويعهدونها، ثم عَقَّبَ بذكر الصنف الضَّارِّ منها، وهي العاصفات الشديدة القاصفة للشجر وغيره، واخْتُلِفَ في قوله: ﴿والنَّاشِرَاتِ﴾ فقال ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وقتادة: هي الرياح تَنْشُرُ رحمة اللّه ومطره[3]، وقيل: الملائكة، وقيل غير هذا، والفارقات قال ابن عباس وغيره: هي الملائكة تَفْرُقُ بين الحَقِّ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩١)، وعزاه للحاكم، وصححه ابن مردويه عن ابن مسعود بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٧٧)، رقم: (٣٥٨٨٠ ـ ٣٥٨٨١ ـ ٣٥٨٨٢ ـ ٣٥٨٨٣، ٣٥٨٨٥، ٣٥٨٨٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أبي العبيدين عن ابن مسعود، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨٠)، رقم: (٣٥٩١٠، ٣٥٩١٤، ٣٥٩١٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٢)، وابن عطية (٥/ ٤١٧).

والباطل والحلال والحرام[١]، وقيل: هي آيات القرآن، وأمَّا الملقيات ذكراً فهي في قول الجمهور الملائكة، وقال آخرون: هي الرسل، والذكر: الكتب المُنَزَّلَةُ والشرائع ومضمناتها، والمعنى: أنَّ الذكر يلقى بإعذار وإنذار.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ
۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّما تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ هو الجواب الذي وقع عليه القَسَمُ، والإشارة إلى البعث وأحوال القيامة، والطَّمْسُ محو الأثر، فطمس النجوم: ذَهَابُ ضوءها، وفرج السماء: هو بانفطارها وانشقاقها.

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي: جُمِعَتْ لميقاتِ يوم معلوم، وقرأ أبو عمرو وحده[٢]: «وُقِّتَتْ» والواو هي الأصل؛ لأنَّها من الوقت، والهمزة بدل؛ قال الفَرَّاءُ: كل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة، جاز أنْ تُبْدَلَ منها همزة، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ تعجيب وتوقيف على عِظَمِ ذلك اليوم وهوله، ثم فسر ذلك بقوله: ﴿لِيَوْمِ الفَصْلِ﴾ يعني: بين الخلق في منازعتهم وحسابهم ومنازلهم من جنة أو نار، ومن هذه الآية انتزع القضاة الآجالَ في الحكومات؛ ليقعَ فصل القضاء عند تمامها، ثم عَظَّمَ تعالى يومَ الفصل بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ على نحو قوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٣] وغير ذلك، ثم أثبت الويل لِلْمُكَذِّبِينَ، والويل: هو الحرب والحزن على نوائب تحدث بالمرء، ويُرْوَى أنَّه وادٍ في جهنم.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا
فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا
رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩
ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ۝٣٢
كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝٣٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٣٤ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨١)، رقم: (٣٥٩٢٥) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٢)، وابن عطية (٥/ ٤١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩٢)، وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٦٦)، و«الحجة» (٦/ ٣٦٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٢٨)، و«معاني القراءات» (٣/ ١١٢)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٩٢)؛ و«العنوان» (٢٠٢)، و«حجة القراءات» (٧٤٢)، و«شرح شعلة» (٦١٧)، و«إتحاف» (٢/ ٥٨٠).

﴿٣٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٣٧﴾

٢٠٤ ب وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ...﴾/ الآية، قرأ الجمهور: «نُتْبِعُهُمُ» ـ بضم العين ـ على استئناف الخبر، ورُوِيَ عن أبي[١] عمرو: «نُتْبِعْهُمْ» بجزم العين؛ عطفاً على «نهلك» وهي قراءة الأعرج، فَمَنْ قرأ الأولى جعل الأولين الأُمَمَ التي تقدمت قريشاً بأجمعها، ثم أخبر أَنَّهُ يتبع الآخرين من قريش وغيرهم سنن أولئك إذا كفروا وسلكوا سبيلهم، ومَنْ قرأ الثانية جعل الأَوَّلِينَ قومَ نوح وإبراهيمَ ومَنْ كان معهم، والآخرين قوم فرعونَ وكُلَّ مَنْ تأَخَّرَ وقَرُبَ من مُدَّةِ النبي ﷺ ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: في المستقبل، فيدخل هنا قريش وغيرها، وأمَّا تكرار قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في هذه السورة فقيل: ذلك لمعنى التأكيد فقط، وقيل: بل في كل آية منها ما يقتضي التصديقَ، فجاء الوعيد على التكذيب بذلك الذي في الآية، والماء المهين: معناه الضعيف، والقرار المكين: الرَّحِمُ وبَطْنُ المرأة، والقدر[٢] المعلوم: هو وقت الولادة [ومعناه] معلوم عند الله، وقرأ نافع والكسائيُّ: «فَقَدَّرْنَا» ـ بتشديد الدال ـ، والباقون بتخفيفها، وهما بمعنى من القدرة والقدر ومن التقدير والتوقيت.

* ت *: وفي كلام * ع *: تلفيف، وقال غيره: فَقَدَّرْنَا بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة، وهو حسن.

وقوله: ﴿القادرون﴾ يُرَجِّحُ قراءة الجماعة إلاَّ أَنَّ ابن مسعود رَوَى عنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فَسَّرَ «القادرون» بالمقدرين، والكِفَاتُ: الستر والوعاء الجامع للشيء بإجماع؛ تقول: كفت الرجلُ شعره إذا جمعه بخرقة، والأرضُ تكفت الأحياءَ على ظهرها، وتكفِتُ الأموات في بطنها، وخَرَجَ الشَّعْبِيُّ إلى جنازة فنظر إلى الجبَّانة فقال: هذه كفات الموتى، ثم نظر إلى البيوت فقال: وهذه كفات الأحياء.

٢٠٥ أ قال/ * ع[٣] *: ولما كان القبر كفاتاً كالبيت، قُطِعَ من سَرَقَ منه، والرواسي: الجبال، والشوامخ: المرتفعة، والفرات: الصافي العَذْبُ، والضمير في قوله: ﴿انْطَلِقُوا﴾

---

(١) وقرأ بها الأعرج كما في «المحتسب» (٢/٣٤٦).
وينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٦٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/٤١٨)، و«البحر المحيط» (٨/٣٩٧)، و«الدر المصون» (٦/٤٥٦).

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٦٦)، و«الحجة» (٦/٣٦٥)، و«إعراب القراءات» (٢/٤٢٨)، و«شرح الطيبة» (٦/٩٣)، و«العنوان» (٢٠٢)، و«حجة القراءات» (٧٤٣)، و«شرح شعلة» (٦١٧)، و«إتحاف» (٢/٥٨١).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٤١٩).

هو للمُكَذِّبِينَ الذين لهم الويل، ثم بَيَّنَ المُنْطَلَقَ إليه؛ قال عطاء: الظل الذي له ثلاث شعب هو دُخَانُ جهنم[١]، وقال ابن عباس: هذه المخاطبة تقال يومئذ لِعَبَدَةِ الصليب[٢] إذا اتَّبَعَ كُلُّ أحد ما كان يعبد، فيكون المؤمنون في ظل اللّه ولا ظل إلاَّ ظله، ويقال لعَبَدَةِ الصليب: انطلقوا إلى ظِلِّ معبودكم، وهو الصليب له ثلاث شعب، ثم نفى تعالى عنه محاسن الظل، والضميرُ في ﴿إِنَّهَا﴾ لجهنم ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ أي: مثل القصور من البنيان؛ قاله ابن عباس وجماعة من المفسرين[٣]، وقال ابن عباس أيضاً: القصر خشب كُنَّا في الجاهلية نَدَّخِرُه للشتاء[٤]، **وقرأ** ابن عباس[٥]: «كالْقَصَر» ـ بفتح الصاد ـ جمع قَصَرَةِ وهي أعناق النخل والإبل، وقال ابن عباس: جذور النخل[٦]، واخْتُلِفَ في الجَمَالاَتِ: فقال جمهور من المفسرين: هي جمع جِمَالٍ؛ كرجال ورِجالات، وقال آخرون: أراد بالصُّفْرِ السود، وقال جمهور الناس: بل الصفر: الفاقعة؛ لأَنَّها أشبه بلون الشَّرَرِ، وقال ابن عباس: الجمالات: حبال السفن، وهي الحبال العظام إذا جُمِعَتْ مستديرةً بعضها إلى بعض[٧]، **وقرأ** ابن عباس[٨]: «جُمَالَةٌ» ـ بضم الجيم ـ من الجملة لا من الجمل، ثم

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٩).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤١٩ ـ ٤٢٠).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، رقم: (٣٥٩٦٣ ـ ٣٥٩٦٤ ـ ٣٥٩٦٥)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٤)، وابن عطية (٥/ ٤٢٠).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨٨)، رقم: (٣٥٩٦٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٤)، وابن عطية (٥/ ٤٢٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٩٥)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، والبخاري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والحاكم عن عبد الرحمٰن بن عابس عن ابن عباس بنحوه.

(٥) وقرأ بها سعيد بن جبير.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٦٧)، و**«المحتسب»** (٢/ ٣٤٦)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٤٢٠)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٣٩٨)، وزاد نسبتها إلى مجاهد، والحسن، وابن مقسم. وهي في **«الدر المصون»** (٦/ ٤٥٨).

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٨٨)، رقم (٣٥٩٧١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٩٥)، وعزاه لسعيد بن منصور عن ابن عباس بنحوه.

(٧) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٩٠)، رقم: (٣٥٩٨٣ ـ ٣٥٩٨٤ ـ ٣٥٩٨٥)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٥)، وابن عطية (٥/ ٤٢٠)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٤٩٤)، وعزاه لعبد الرزاق، والفريابي، والبخاري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والحاكم عن عبد الرحمٰن بن عابس عن ابن عباس بنحوه.

(٨) وقرأ بها أبو حيوة، والسلمي، والأعمش، وأبو بحرية، وابن أبي عبلة، ورويس.
ينظر: **«مختصر الشواذ»** ص: (١٦٧)، و**«المحرر الوجيز»** (٥/ ٤٢٠)، و**«البحر المحيط»** (٨/ ٣٩٨)، و**«المحتسب»** (٢/ ٣٤٧)، و**«الدر المصون»** (٦/ ٤٥٩).

م خاطب تعالى نبيه ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿هَذَا يوم لا ينطقون...﴾ الآية، وهذا في موطنٍ خاص إذ يومُ القيامَة هو مواطِنُ.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم...﴾ مخاطبةٌ للكفار يومئذ، ثم وقَفَهُمْ بقوله: ﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ أي: إنْ كَانَ لَكم حيلةٌ أو مكيدَةٌ تُنجيكم فافعلوها، ٢٠٥ب ثم ذَكر سبحانه حالةَ المتقينَ وما أعَدَّ لهم، والظلالُ في الجنة: عبارةٌ عن/ تَكَاثُفِ الأَشْجَارِ وجَوْدَة المباني وإلاَّ فلاَ شَمْسَ تؤذي هناكَ حتى يكونَ ظلٌ يُجِيرُ مِنْ حَرِّها.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلوا وتمتعوا﴾ استئنافُ خطابٍ لقريشٍ على معنى: قل لهم يا محمد، وهذه صيغةُ أمرٍ معناها التهديدُ والوَعيدُ، ومن جعل هذه الآيةَ مدنيةً قَالَ هي في المنافقِينَ.

وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ قال قتادة والجمهور[1]، هذه حالُ كفارِ قريشٍ في الدنيا؛ يَدْعُوهم النَّبيُّ ﷺ فلا يُجِيبُونَ، وذِكْرُ الرُّكُوع عبارةٌ عن جميع الصلاةِ، وقيلَ: هي حكايةُ حَالِ المنافِقِينَ في الآخرةِ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إلى السجودِ فلا يَسْتَطِيعونَ؛ على ما تقدَّم؛ قاله ابنُ عَبَّاس وغيره[2].

وقوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ يؤيدُ أن الآيَةَ كلَّها في قريشٍ، والمرادُ بالحديثِ هنا: القرآن، ورُوِيَ عَنْ يعقوبَ[3] أنه قرأ: «تُؤْمِنُونَ» بالتاء مِنْ فَوْقٍ عَلى المواجهَة، ورُويت عَن ابْن عامر.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٢١).
(٢) ينظر: المصدر السابق.
(٣) ورويت عن ابن عامر.
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٦٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٢٢).

تفسيرُ سورةِ النبأ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾

قوله عز وجل: ﴿عم يتساءلون﴾ أصل «عم»: «عَنْ مَا» ثُمَّ أُدْغمتِ النونُ بَعْدَ قَلْبِهَا [في الميم لاشْتِرَاكِهما في الغُنَّة] فبقي «عما» في الخبرِ وفي الاستفهام، ثم حذفوا الألفَ في الاستفهامِ فرقاً بينه وبين الخبر، ثم مِنَ العرب مَنْ يخففُ الميم فيقول: «عَمْ»، وهذا الاستفهامُ بـ«عم» استفهامُ توقيفٍ وتعجيبٍ، و﴿النبإِ العظيم﴾ قال ابن عباس وقتادة: هو الشَّرعُ الذي جاء به محمد ﷺ[1]، وقال مجاهد: هو القرآن[2] خاصةً، وقال قتادة أيضاً: هو البعثُ من القبور[3]، والضميرُ في: ﴿يتساءلون﴾ لكفارِ قريشٍ ومن نَحا نَحْوَهم، وأكْثَر النحاة أن قوله: ﴿عن النبإِ العظيم﴾ متعلقٌ بـ﴿يتساءلون﴾، وقال الزجاج: الكلام تامٌّ في
٢٠٦ أ قوله: ﴿عم يتساءلون﴾ ثُمَّ كان مقتضَى القولِ/ أن يجيبَ مجيبٌ فيقول: يتساءلونَ عن النبأ العظيم، وله أمثلة في القرآن اقتضاها إيجازُ القرآن وبلاغته، واختلافُهم هو شكُّ بعضٍ وتكذيبُ بعضٍ، وقولُهم: سِحْرٌ وكهانةٌ إلى غير ذلك من باطلِهم.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا سيعلمون﴾ رَدّ على الكفارِ في تكذيبِهم ووعيدٌ لهم في المستقبلِ، وكَرَّرَ عليهمُ الزَّجرَ والوعيدَ تأكيداً، والمعنى: سيعلمون عاقبةَ تكذيبِهم، ثم وقفَهُم تعالى ودَلَّهم على آياته، وغرائبِ مخلوقاتِه، وقدرته التي تُوجِبُ للناظرِ فيها؛ الإقْرَارَ بالبعثِ والإيمانَ بالله تعالى، * ت *: وفي ضِمْنِ ذلكَ تَعْدِيدُ نِعَمِهِ سبحانه التي يجب

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٣).

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٣)، والبغوي (٤/ ٤٣٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩٨) بنحوه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٩٦)، (٣٦٠٠٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٣)، والبغوي (٤/ ٤٣٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢).

شُكْرُها، والمِهادَ: الفراشُ المُمَهَّدُ، وشَبَّه الجبالَ بالأوتادِ؛ لأنها تَمْنَعُ الأرضَ أن تَمِيدَ بهم.

﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ أي: أنواعاً، والسُّبَاتُ: السُّكُونُ، وسَبَتَ الرجلُ: معناه استراحَ، ورُوِّينَا في «سنن أبي داودَ» عن معاذِ بن جبلٍ عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرِ [اللَّهِ] طَاهِراً فَيَتَعَارُّ مِنَ اللَّيلِ، فَيَسْأَلَ اللَّهَ تَعَالَى خَيْراً مِنْ أُمُورِ الدنيا والآخِرَةِ إلاَّ أعطاهُ اللَّه إياه»؛ ورَوَى أبو داودَ عن بعضِ آلِ أم سلمةَ قال: كان فراشُ النبي ﷺ نحواً مِمَّا يوضَعُ الإنْسَانُ في قبره، وكانَ المسجدُ عِنْدَ رأسِهِ، انتهى، و﴿لباساً﴾ مصدرٌ، وكأنَّ الليلَ كذلكَ مِنْ حيثُ يَغْشَى الأشْخَاصَ، فهي تَلْبِسُه وتتدَرعُه، و﴿النهار معاشاً﴾ على حذفِ مضافٍ، أو على النَّسَبِ، والسبعُ الشدادُ: السمواتُ، والسراجُ: الشمسُ، والوهَّاجُ: الحارُّ المضطَرِمُ الاتِّقادِ المُتَعَالِي اللهبِ، قالَ ابن عباس وغيره: ﴿المُعْصِرَاتِ﴾ السحائب
٢٠٦ب القاطِرة[1]، وهو مأخوذٌ مِن العَصْرِ؛ لأن السَحابَ يَنْعَصِرُ فيخرج/ منه الماءُ، وهذا قول الجمهور، والثَّجاج: السريعُ الاندفاعِ، كما يَنْدَفِع الدمُ مِنْ عروقِ الذبيحةِ، ومنه قوله ﷺ وَقَدْ قِيلَ له ما أَفْضَلُ الحَجِّ؟ فقال: «العَجُّ والثَّجُّ»[2] أرادَ التَّضَرُّعَ إلى اللَّهِ تعالى بالدعاءِ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٣٩٩) (٣٦٠٢٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٤)، والبغوي (٤/ ٤٣٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢) بنحوه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ١٨٠)، كتاب «الحج» باب: ما جاء في فضل التلبية والنحر. (٨٢٧)، وابن ماجه (٢/ ٩٧٥)، كتاب «المناسك» باب: رفع الصوت بالتلبية (٢٩٢٤)، والبيهقي (٥/ ٤٢ ـ ٤٣)، كتاب «الحج» باب: رفع الصوت بالتلبية، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) عن أبي بكر الصديق.
قال الترمذي: حديث أبي بكر حديث غريب لا نعرفه.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وفي الباب من حديث عبد اللَّه بن عمر: أخرجه الترمذي (٥/ ٢٢٥)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة آل عمران رقم: (٢٩٩٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٦٧)، كتاب «المناسك» باب: ما يوجب الحج، رقم: (٢٨٩٦)، والدارقطني (٢/ ٢١٧)، كتاب «الحج» رقم: (١٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٤/ ٣٣٠)، كتاب «الحج» باب: الرجل يطيق المشي.
قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزي المكي، وقد تكلم بعض أهل الحديث في يزيد من قبل حفظه.

الجَهِيرِ، وذَبْحِ الهَدْيِ، و﴿ألفافاً﴾ أي: مُلْتَفَّةَ الأغصَانِ والأوراقِ، و﴿يوم الفصل﴾ هُو يوم القيامةِ، والأفواجُ: الجماعاتُ، يتلو بعضُها بعضاً، «وفُتِحَتِ السماء» بتشديد التَّاء قراءةُ نافعٍ وأبي عمرٍو وابن كثير وابن عامر، والباقون دون تشديد(١).

وقوله تعالى: ﴿فكانت أبواباً﴾ قيل معناه: تَتَشَقَّقُ حتَى يكونَ فيها فُتُوحٌ كالأَبوابِ في الجدرات، وقيل: إنها تتقطعُ السماء قِطَعاً صغاراً حتى تكونَ كألواح الأبواب، والقولُ الأول أحسَنُ، وقد قال بعض أهل العلم: تَنفَتِحِ في السماء أبواب للملائِكَةِ من حيثُ ينزلونَ ويصعَدون.

وقوله تعالى: ﴿فكانت سراباً﴾ عبارةٌ عَنْ تَلاشِيها بعد كونها هباءً مُنْبَثًّا، و﴿مرصاداً﴾: مَوْضع الرصدِ، وقيل: ﴿مرصاداً﴾ بمعنى رَاصِدٍ، والأحقاب: جمع حُقُبٍ وهي المدةُ الطويلةُ من الدهر غيرَ محدودة، وقال ابن عباس وابن عمر الحُقُبُ: ثمانونَ سنةٍ(٢). وقال أبو أمامة عن النبي ﷺ أنه ثلاثون ألف سَنَة، وقد أكثر الناسُ في هذا، واللازمُ أنَّ اللَّه تعالى أخبرَ عن الكفارِ أنهم يلبثُونَ أحْقَاباً، كلما مَرَّ حُقُبٌ جَاءَ غيره إلى غير نهاية، نجانا اللَّه من سَخَطِه، قال الحسنُ: ليسَ للأحْقَابِ عِدَّةٌ إلا الخلودُ في النار(٣).

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لا يذوقون فيها برداً...﴾ الآية، قال الجمهورُ: البَرْدُ في الآية مَسُّ الهَوَاءِ البَارِدِ، أي: لا يمسُّهم منه مَا يُسْتَلَذُّ، وقال أبو عبيدة وغيره: البردُ في الآية النوم(٤)،

(١) ينظر: «السبعة» (٦٦٨)، و«الحجة» (٦/ ٣٦٨)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٣١)، و«معاني القراءات» (٦/ ١١٦)، و«العنوان» (٢٠٢)، و«حجة القراءات» (٧٤٥)، و«إتحاف فضلاء البشر» (٢/ ٥٨٣).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٤) (٣٦٠٥٣) عن ابن عباس، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٢) عن أبي هريرة، وعبد اللَّه بن عمرو، وابن عباس.
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٥) (٣٦٠٥٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٨)، وابن عطية (٥/ ٤٢٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤).
(٤) ذكره البغوي (٤/ ٤٣٨)، وابن عطية (٥/ ٤٢٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٣).

١٢٠٧أ والعَرَبُ تُسَمِّيه/ بذلكَ لأنَّه يُبَرِّدُ سورَةَ العَطَشِ، وقال ابن عباس: البردُ الشرابُ البارد المستلذّ[١]، وقال قتادة وجماعة: الغَسَّاقُ: هو ما يسيل من أجْسَامِ أهل النارِ من صديدٍ ونحوه[٢].

وقوله تعالى: ﴿وفاقاً﴾ معناه لأعمالِهم وكفرِهم، و﴿لا يرجون﴾ قال أبو عبيدَة وغيره معناه: لا يَخافُونَ، وقال غيره: الرجاء هنا على بابه[٣]، و﴿كذاباً﴾ مصدرٌ، لغةٌ فصيحةٌ يَمَانِيَّة، وعن ابن عمرَ قال: ما نَزَلَتْ في أهل النار آية أشدَ مِن قوله تعالى: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾[٤] ورواه أبو هريرةَ عن النبي ﷺ، والحدائقُ: هي البساتينُ عليها حَلَقٌ وحظائرُ وجدرات، في البخاريِّ: ﴿وكواعب﴾ أي: نَوَاهد، انتهى، والدِّهَاقُ: المُتْرَعَة؛ فيما قال الجمهورُ، وقيل: الصافيةُ، وقال مجاهد: متتابعةٌ[٥]، وعبارة البخاريِّ وقال ابن عباس: ﴿دهاقاً﴾: ممتلِئة، انتهى[٦]، و﴿كذّاباً﴾: مصدرٌ وهو الكَذِبُ.

وقوله: ﴿عطاء حساباً﴾ أي: كَافِياً؛ قاله الجمهور من قولهم، أَحْسَبَنِي هذَا الأمْرُ، أي: كَفَاني، ومنه حَسْبِي اللَّهُ، وقال مجاهد: ﴿حساباً﴾ معناه: بتَقْسِيطٍ، فالحِسَابُ على هذا بمَوازنةِ أعمالِ القَومِ؛ إذ منهم المُكْثِرُ مِنَ الأعمال، والمُقِلُّ ولكلٍ بحسَبِ عملِهِ[٧].

وقوله تعالى: ﴿لا يملكون﴾ الضميرُ للكفارِ، أي: لاَ يَمْلِكُونَ مِنْ أفضالِهِ وإجماله سبحانه أنْ يخاطبوه بمعذرةٍ ولا غيرها؛ وهذا أيضاً في موطنٍ خاصٍّ.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٧).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٦) (٣٦٠٦٩)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤) بنحوه.
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٠٩) (٣٦٠٩١) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٧).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٠) (٣٦٠٩٤) بنحوه عن عبد اللَّه بن عمرو، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه عن الحسن بن دينار.
(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٢) (٣٦١٢١)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن مجاهد.
(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١١) (٣٦١٠٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤٣٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس.
(٧) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٣) (٣٦١٢٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٨).

﴿ٱلْحَقَّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح﴾ اخْتُلِفَ في الرُّوحِ المذكورِ هنا فقال الشعبي والضحاك: هو جبريلُ ـ عليه السلام[(١)] ـ؛ وقال ابن مسعودٍ: هو مَلَكٌ عظيم أكبرُ الملائكةِ خِلْقَةً يسمى الرُّوح[(٢)]، وقال ابن زيد[(٣)]: هو القرآن، وقال مجاهدٌ: الروحُ خَلْقٌ على صورة بني آدمَ يأكلون ويَشْرَبُونَ[(٤)]،/ وقالَ ابن عباس عن النبي ﷺ: «الرُّوحُ خَلْقٌ غَيْرُ المَلاَئِكَةِ هُمْ حَفَظَةٌ لِلْمَلاَئِكَةِ؛ كَمَا المَلاَئِكَةُ حَفَظَةٌ لَنَا»[(٥)]، وقيلَ الرُّوح اسمُ جنسٍ لأرواحِ بني آدم، والمعنى: يوم تَقُومُ الأرواحُ في أجسادها إثْرَ البَعْثِ، ويكونُ الجميعُ من الإنس والملائكةِ صفًّا ولاَ يتكلمُ أحدٌ منهم هَيْبَةً وفَزَعاً إلا مَنْ أذنَ له الرحمنُ مِنْ مَلَكٍ أو نبي؛ وكان أهلاً أنْ يقولَ صواباً في ذلك الموطنِ، وقال البخاريُّ: ﴿صواباً﴾: حَقًّا في الدنيا وعَمِلَ به، انتهى،، وفي قوله: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ وعدٌ ووعيدٌ وتحريضٌ، والعذابُ القريبُ: هو عذاب الآخرةِ، إذ كلُّ آتٍ قريبٌ، وقال أبو هريرةَ وعبدُ اللَّه بن عمر: إن اللَّه تعالى يُحْضِرُ البهائم يَومَ القيامةِ فيقتصُّ لبعضها من بعضٍ، ثم يقول لَها بَعْدَ ذلكَ: كوني تراباً فيعودُ جميعُها تراباً؛ فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾[(٦)] ٢٠٧ ب

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٥) (٣٦١٣٦) (٣٦١٣٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٠)، وابن عطية (٥/ ٤٢٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٦)، وعزاه لعبد بن حميد وأبي الشيخ عن الضحاك.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٥) (٣٦١٣٣)، (٣٦١٣٤) عن ابن عباس بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٠)، وابن عطية (٥/ ٤٢٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٦)، وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٦) (٣٦١٤٧) عن ابن زيد عن أبيه، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٥) (٣٦١٣٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٠)، وابن عطية (٥/ ٤٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن مجاهد.

(٥) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٥)، وعزاه لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٤١٨) عن عبد اللَّه بن عمرو برقم: (٣٦١٦٠)، وعن أبي هريرة برقم: (٣٦١٦١) بنحوه، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٠) عن عبد اللَّه بن عمرو، وابن عطية (٥/ ٤٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٧)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في «البعث والنشور» عن أبي هريرة.

* قلت *: وَاعْلَمْ رحمكَ اللَّه أَني لم أقفْ على حديثٍ صحيحٍ في عَوْدِها تراباً، وقدْ نَقَلَ الشيخُ [أبُو العباسِ القَسْطَلاَّنِيُّ عن] الشيخ أبي الحكم بن أبيِ الرِّجَّالِ إنكارَ هذا القولِ، وقال: ما نُفِخَ روحُ الحياةِ في شَيْءٍ فَفَنِيَ بَعْدَ وجودِه، وقد نقَلَ الفَخْرُ هنا عن قَوْم بقاءَها وأن هذه الحيواناتِ إذا انْتَهَتْ مدةُ إعراضِها جعلَ اللَّه كلَّ ما كانَ مِنْهَا حَسَنَ الصُّورَةِ ثواباً لأهلِ الجنةِ، وما كانَ قَبيحَ الصورةِ عقاباً لأَهْلِ النارِ، انتهى، والمُعَوَّلُ عليه في هذا: النقلُ فإنْ صَحَّ فيه شيءٌ عن النبي ﷺ، وَجَبَ اعْتِقَادُه وصِيرَ إليه، وإلا فلا مدخلَ للعَقْلِ هنا، واللَّه أعلم.

[تفسيرُ] سُورَةِ «النَّازِعَاتِ»

/وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ ١٢٠٨أ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ﴿٩﴾﴾

قوله عز وجل: ﴿والنازعات غرقًا﴾ قال ابن عباس وابن مسعود: ﴿النازعات﴾: الملائكة، تَنْزِعُ نفوسَ بني آدم[١]، و﴿غرقاً﴾ على هذا القول إما أن يكونَ مصدراً بمعنى الإغراقِ والمبالغةِ في الفعل، وإما أنْ يكونَ كما قال علي وابن عباس: تُغْرِقُ نفوسَ الكفرةِ في نار جهنم[٢]، وقيل غيرُ هذا، واخْتُلِفَ في ﴿الناشِطات﴾ فقال ابن عباس ومجاهد: هي الملائكةُ تنشطُ النفوسَ عند الموتِ، أي: تَحُلُّها كَحَلِّ العِقَالِ، وتَنْشَطُ بأمْرِ اللَّه إلى حيثُ شاء[٣]، وقال ابن عباس أيضاً: الناشطاتُ النفوسُ المؤمِنَة تَنْشَط عند الموتِ للخروج[٤]، * ت *: زاد الثعلبيُّ عنه: وذلك أنَّه ليسَ مؤمنٌ يَحْضُرُهُ الموتُ إلا عُرِضَتْ عليه الجنةُ قَبْلَ أن يموتَ فَيَرى فيها أشْبَاهاً من أهلِه وأزْواجهِ من الحُور العينِ، فَهُمْ يَدْعُونه إليها فَنَفْسُه إليهم نَشِيطَة أن تخرج فتأتيهم، انتهى، وقيل غيرُ هذا واخْتُلِف في ﴿السابحات﴾ هنا فقيلَ: هي النجوُمُ، وقيل: هي الملائِكَةُ؛ لأنَّهَا تَتَصَّرفُ في الآفاقِ بأمْرِ اللَّه، وقيلَ: هي الخيلُ، وقيل: هي السفنُ، وقيل: هي الحيتانُ ودوابُّ البَحْرِ، واللَّه أعلم، واخْتُلِفَ في

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢٠) عن عبد اللَّه برقم (٣٦١٦٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤١)، وابن عطية (٥/ ٤٣٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٨)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٠٨)، وعزاه لابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢١) عن ابن عباس، برقم: (٣٦١٧٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٠).

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٤٤١)، وابن عطية (٥/ ٤٣١).

﴿السابقاتِ﴾، فقيلَ هي الملائكةُ، وقيل: الرياحُ[1]، وقيل: الخيلُ، وقيل: النُّجُوم، وقيل: المَنَايَا تَسْبِقُ الآمالَ، وأما ﴿المدبرات﴾ فَهِي الملائكة قَولاً واحداً فيما علمتُ، تدبّر الأمورَ التي سخَّرَها اللَّهُ لَها وصَرَّفَها فيها؛ كالرياحِ والسحابِ، وغير ذلك، و﴿الراجفة﴾
٢٠٨ ب النفخةُ الأولى، و﴿الرادفة﴾ النفخة الأخِيرَة، وقال ابن زيد:/ ﴿الراجفةُ﴾: الموتُ، و﴿الرادفة﴾: الساعة[2]، وفي «جَامِع الترمذي» عن أُبيِّ بن كَعْبٍ قال: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ: إذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: يَأَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيه، [جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ]» الحديثَ[3]، قَالَ أبو عيسَىٰ: هذا حديثٌ حسنٌ، انْتَهَى، وقد أتى به * ع[4] * هنا وقال: إذا ذَهَبَ رُبُعُ الليل، والصوابُ ما تقدَّم، ثم أخبرَ تعالى عن قلوبٍ تَجِفُ [في] ذلكَ اليوم، أي: تَرْتَعِدُ خوفاً وفَرَقاً من العذابِ، واخْتُلِفَ في جوابِ القسم: أين هو؟ فقال الزجاج والفراء: هو محذوفٌ دَلَّ عليهِ الظاهرُ تقديرُه: لَتُبْعَثُنَّ ونحوُه، وقال آخرونَ: هو موجودٌ في جملة قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفةُ تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة﴾ كأنه قَالَ لَتَجِفَنَّ قلوبُ قومٍ يومَ كَذَا.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يقولون أئنا لمردودون في الحافرة﴾ حكايةُ حالِهم في الدنيا، والمعنَى: هم الذينَ يقولونَ، و﴿الحافرة﴾: قال مجاهد والخليل: هي الأرضُ، حافرة بمعنى مَحْفُورَة، والمرادُ: القبورُ والمعنى: أئنا لمردُودُون أحْيَاءً في قبورِنا؟، وقيل غير

(١) في د: وهي الرياح.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢٥) (٣٦٢٠٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣١).
(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٦ - ٦٣٧)، كتاب «صفة القيامة» باب: (٢٣) (٢٤٥٧)، (٢/ ٤٢١)، وأحمد (٥/ ١٣٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٥٦).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٣١).

هذا[١]، و﴿نخرة﴾ معناه بالية، وقرأ حمزة «نَاخِرَةً» بألف[٢]، والنَّاخِرةُ المصوِّتَةُ بالريحِ المُجَوَّفَة، وحُكِيَ عَنْ أبي عُبَيْدَة وغيره: أن الناخرةَ والنَّخِرَةَ بمعنًى واحد[٣]، وقولهم: ﴿تلك إذاً كرة خاسرة﴾ أي: إذ هي إلى النارِ لتكذيبِهم بالبعثِ، وقال الحسن: ﴿خاسرة﴾ معناه عندَهم كاذبة، أي: ليست بكائِنةٍ[٤]، ثم أخبر تعالى عن حالِ القيامةِ فقال: «إنما هي زجرة واحدة» أي: نفخةٌ في الصور، ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ وهي أرضُ المحشر.

وقوله: ﴿هل لك إلى أن تزكى﴾ اسْتِدْعَاءٌ حسنٌ، والتزكِّي: التَّطهرُ من النَقَائِص، والتلبُّس بالفَضَائِل، ثم فَسَّر لَه موسى التزكِّي الذِي دَعَاه إليه/ بقوله: ﴿وأهديك إلى ربك ٢٠٩أ
فتخشى﴾ والعلمُ تابعٌ للهُدى، والخَشْيَةُ تابعةٌ للعِلْم، ﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ﴿والآية الكبرى﴾ العَصَا واليدُ؛ قاله مجاهد وغيره[٥]: و﴿أدبر﴾: كِنَايَةٌ عن إعْرَاضِه، وقيل: حقيقةٌ قَامَ مُوَلِّيًا عن مُجَالَسَةِ موسى، ﴿فحشر﴾ أي: جمع أهل مملكتِه، وقولُ فرعونَ: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ نهايةٌ في السُّخَافَةِ والمَخْرَقَةِ، قال ابن زيد: ﴿نكال الآخرة﴾ أي: الدار الآخرة، ﴿والأولى﴾: يعني: الدنيا، أخَذَه اللَّهُ بعذابِ جهنَّمَ وبالغَرَقِ، وقيل غيرُ هذا[٦]، ثم وقفهم سبحانه مخاطبةً مِنْه تعالى للعَالَم؛ والمقصدُ الكفارُ فقال: ﴿ءأنتم أشد خلقاً...﴾ الآية، والسَّمْكُ: الارْتِفَاعُ، الثعلبي: والمعنى: أأنتم أيها المنكرونَ للبعثِ أشَدُّ خلقاً أم السَّماءُ أشد خلقاً، ثم بيَّن كَيْفَ خَلَقَها، أي: فالذي قَدِرَ على خَلْقِها قادرٌ على إحيائِكم بعدَ الموتِ، نظيره: ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [يسٓ: ٨١] الآية، انتهى، و﴿أغطش﴾ معناه: أظْلَمَ.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٢٧) (٣٦٢٢٢) عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٢).

(٢) وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر.
ينظر: «السبعة» (٦٧٠ ـ ٦٧١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٣٥)، وزاد نسبتها إلى الكسائي، و«معاني القراءات» (٣/ ١١٩)، و«حجة القراءات» (٧٤٨)، و«شرح الطيبة» (٦/ ٩٧)، و«شرح شعلة» (٦١٨)، و«إتحاف» (٢/ ٥٨٥).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٢).

(٤) ينظر: المصدر السابق.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٣٢) (٣٦٢٥٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٣).

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٣٤) (٣٦٢٧٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٤).

وقوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ متوجِّه على أن اللَّهَ خلقَ الأرضَ ولم يَدْحُهَا ثم استوى إلى السَّمَاءِ وهي دُخَانُ فخلقَها، وبنَاها، ثم دَحَا الأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ، ودَحْوُها بَسْطُها، وباقي الآية بيِّنٌ، و﴿الطامة الكبرى﴾ هي يومُ القيامة؛ قاله ابن عباس وغيره[1].

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

﴿فأما من طغى﴾ أي تجاوزَ الحَدَّ، ﴿وآثر الحياةَ الدنيا﴾ على الآخرةِ لتكذيبه [بالآخرةِ]، و﴿مقام ربه﴾ هو يومُ القِيَامَةِ، وإنما المرادُ مَقَامُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، و﴿الهوى﴾ هو شَهَواتُ النفسِ؛ وما جرى مَجْرَاها المذمومة.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يسئلونك عن الساعة﴾ يعني: قريشاً، قال البخاري عن غيره: ﴿أيان
٢٠٩ ب مرساها﴾ متى مُنْتَهَاهَا،/ ومُرْسَى السفينةِ حيثُ تَنْتَهِي، انتهى.، ثم قال تعالى لنبيه على جهة التوقيفِ: ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ أي من ذِكْرِ تَحْدِيدِها ووقتِها، أي: لستَ من ذلك في شيء، إنما أنت منذر، وباقي الآيةِ بيِّنٌ، قَال الفخر[2]؛ قوله تعالى: ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ تفسيرُ هذه الآيةِ هُو كما[3] ذكرَ في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً مِنْ نَّهارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥] والمعنى: أن ما أنكرُوه سَيَرَوْنَه حتَّى كأنَّهُمْ كَانُوا أبَداً فيهِ، وكأنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا في الدُّنْيَا إلا ساعة من نهارٍ، يريدُ لم يلبثوا إلا عشيَّةً أو ضُحَى يومها، انتهى.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٠) (٣٦٣١١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٦٩)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.
(٢) ينظر: «الفخر الرازي» (٣١/ ٤٩).
(٣) في د: ما.

تَفْسِيرُ سُورَةِ «عَبَسَ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى﴾ سَبَبُها: أنّ النبي ﷺ كَانَ يدعُو بعضَ صَنَادِيدِ قريشٍ ويقرأ عليه القرآن ويقول له: هل ترى بما أقولُ بأساً، فكان ذلك الرجلُ يقول: لا والدُّمَى يعني الأصْنَام؛ إذ جاء ابنُ أم مكتُوم؛ فَقَالَ: يا رسول اللَّهِ اسْتَدْنِنِي وَعَلِّمْنِي مما علَّمَك اللَّهُ؛ فكان [في] ذلك كلِّه قطعٌ لحديث النبي ﷺ مع الرَّجُلِ، فلَما شَغَبَ عليه ابنُ أُم مكتوم عَبَسَ ﷺ وأعْرَضَ عنه؛ فنزلتِ الآيةُ، قال سفيانُ الثوريّ: فكَانَ بعدَ ذلك إذَا رأى ابنَ أم مكتوم قال: مَرْحَباً بمن عَاتَبَنِي فيه ربِّي ـ عز وجل ـ وبَسَطَ له رداءَه واسْتَخْلَفَه على المدينةِ مرتَين[1]، * ت *: والكافرُ المشارُ إليه في الآيةِ هو: الوليدُ بن المغيرة؛ قاله ابنُ إسْحَاق، انتهى، ثم أكَّد تعالى عَتْبَ نبيه بقوله: ﴿أما من استغنى﴾ أي بمالِه، ﴿فأنتَ له تصدى﴾ أي: تَتَعَرَّضُ.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾

٢١٠أ وقوله: ﴿وهو يخشى﴾ أي: يخشَى اللَّه، ﴿فأنت عنه تلهى﴾/ أي تَشْتَغِلُ، تَقُولُ لَهِيتُ عن الشيء ألْهَى إذا اشْتَغَلْتُ عنه، ولَيْسَ من اللَّهْوِ، وهذه الآيةُ السببُ فيها هذا؛ ثم هِي بَعْدُ تَتَنَاولُ مَنْ شَارَكَهم في هذه الأوصافِ، فحمَلةُ الشَّرْعِ والعِلم مخاطبونَ بتقريبِ الضَّعِيفِ من أهلِ الخير وتقديمِه على الشريفِ العارِي من الخيرِ، مثلَ ما خُوطِبَ بهِ النبي ﷺ في هذه السورةِ، قال عياضٌ: وليسَ في قوله تعالى: ﴿عبس وتولى﴾ الآيَةَ، ما يَقْتَضِي إثباتَ ذَنْبٍ للنبي ﷺ، أو أنه خَالَفَ أمْرَ ربِّه سبحانه، وإنَّما في الآيةِ الإعلام بحال

(١) أخرجه الطبري (١٢/٤٤٤) عن قتادة وغيره (٣٦٣٢٢)، وذكره ابن عطية (٥/٤٣٦) بنحوه.

الرجلينِ، وتَوْهِين أَمْرِ الكافرِ، والإشارةُ إلى الإعراضِ عنه، انتهى، قال السهيلي: وانظرْ كيفَ نزلتِ الآيةُ بلفظِ الإخبارِ عن الغائبِ فقال: ﴿عبس وتولى﴾ ولم يقل: عَبَسْتَ وتولَّيْتَ، وهذا يُشْبِهُ حال العاتِبِ المُعْرِضِ، ثم أقبل عَلَيْهِ بمواجَهَةِ الخطابِ فقال: ﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ الآية، عِلماً منه سبحانه أنَّه لَمْ يَقْصِدْ بالإعراضِ عن ابن أم مكتوم إلا الرغبةَ في الخيرِ ودخولِ ذلكَ المشركِ في الإسلام؛ إذ كان مثلُه يُسْلِم بإسلامِه بَشَرٌ كثيرٌ، فكلَّمَ نبيَّهُ حينَ ابتدأَ الكلامَ بِمَا يشبه كلامَ المُعْرِضِ عنه العاتِبِ له، ثم واجَهَهُ بالخطابِ تأنيساً له ـ عليه السلام ـ، انتهى، ثم قال تعالى: ﴿كَلاَّ﴾ يا مُحَمَّدُ، ليسَ الأَمْرُ كما فعلتَ، إنَّ هٰذِهِ السُّورَةَ أو القراءةَ أو المعاتبةَ تَذْكِرَةٌ، وعبارةُ الثعلبي: إن هذه السورةَ، وقيل: هذه الموعظةَ، وقال مقاتلٌ: آياتُ القرآن[1] تذكرةٌ، أي: مَوْعِظَةٌ وتَبْصِرةٌ للخلقِ، ﴿فمن شاء
٢١٠ ب ذكره﴾ أي: اتَّعظَ بآيِ القرآن وبما وعظتُكَ/ وأدَّبتُكَ في هذه السورةِ، انتهى. * ص *: ﴿ذكره﴾ ذكَّرَ الضمير؛ لأنَّ التذكرةَ هي الذكرُ، انتهى.

﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿في صحف﴾ متعلقٌ بقولهِ: ﴿إنها تذكرة﴾ وهذا يؤيد أن التذكرَةَ يرادُ بها جميعُ القرآن، والصحف هنا قيل إنه اللوحُ المحفوظُ: وقيلَ صحفُ الأنبياءِ المنزلةُ. قال ابن عبَّاسٍ: السَّفَرَةُ هم الملائِكَةُ، لأنهم كَتَبَةٌ يقال: سَفَرْتُ، أي: كتبتُ، ومنه السِّفْرُ، وقال ابن عباس أيضاً: الملائكةُ سَفَرَةٌ لأنهم يَسْفِرُونَ بينَ اللَّه وبين أنبيائه[2]، وفي البخاري: سَفَرةُ الملائكةِ [واحدُهم سَافِرٌ][3]، سَفَرْتُ أَصْلَحْتُ بينهم وجُعِلَتِ الملائكةُ إذَا نَزَلَتْ بوحي اللَّه ـ عز وجل ـ وتأديته كالسَّفِيرِ الذي يُصْلِح بَيْنَ القوم، انتهى، قال * ع[4] *: ومن اللفظةِ قول الشاعر: [الوافر]

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي ... وَمَا أَسْعَى بِغِشٍّ إنْ مَشَيْتُ[5]

والصُّحُفُ على هذا: صحفٌ عند الملائِكة أو اللوحِ.

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٤٤٧).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٦) (٣٦٣٣٠)، (٣٦٣٣٣)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٧)، وابن عطية (٥/ ٤٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧١/)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥١٩)، وعزاه لابن أبي حاتم، وابن المنذر من طريق علي عن ابن عباس.
(٣) سقط في: د.
(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٣٨).
(٥) ينظر: البيت في «البحر» (٨/ ٤١٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٣٨)، والقرطبي (١٩/ ١٤١)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٠)، و«فتح القدير» (٥/ ٣٨٣).

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾: دعاء على اسْمِ الجنسِ، وهو عُمُومٌ يرادُ به الإنسانُ الكافِرُ، ومعنى ﴿قُتِلَ﴾: أي: هو أهلٌ أنْ يُدْعَى عليْه بهذا، وقال مجاهد: ﴿قُتِلَ﴾ معناه: لُعِنَ وَهَذَا تَحَكُّمٌ * ت *: ليسَ بتحكمٍ وقد تقدم نحوُه عن غيرِ واحدٍ[١].

وقوله تعالى: ﴿ما أكفره﴾ يحتملُ معنى التعجبِ، ويحتملُ الاستفهامَ توبيخاً، وقيلَ: الآيةُ نَزَلَتْ في عُتْبَةَ بنِ أبي لهبٍ، وذلك أنَّه غَاضَبَ أباه فأتى النبي ﷺ فأسْلَم ثم إن أباه اسْتَصْلَحَه وأعطَاه مالاً وجهَّزَه إلى الشامِ، فبعث عتبةُ إلى النبي ﷺ وقال: إنِّي كافرٌ بربِّ النَّجْمِ إذَا هَوَىٰ فدعَا عليه النبي ﷺ وقال: «اللهمَّ ابْعَثْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ حَتَّى يَأْكُلَهُ»، ثم إن عُتْبَةَ
٢١١ أ خَرَجَ في سفْرَة/ فجاءَ الأَسَدُ فأكلَه من بينِ الرُّفْقَةِ.

وقوله تعالى: ﴿من أي شيء خلقه﴾ استفهامٌ على معنى التقرير على تفاهةِ الشيءِ الذي خُلِقَ الإنسانُ منه، ﴿فقدره﴾ أي جعلَه بقَدَرٍ وَحَدٍّ معلومٍ، ﴿ثم السبيل يسره﴾ قال ابنُ عباس وغيره: هي سبيلُ الخُرُوجِ من بطنِ أمِّهِ[٢]، وقال الحَسنُ، ما معناه أن السبيلَ هي سبيلُ النظرِ المؤدِّي إلى الإيمانِ[٣].

وقوله ﴿فأقبره﴾ معناه: أمَرَ أنْ يُجْعَلَ له قبرٌ، وفي ذلك تكريمٌ له؛ لِئَلاً يطرحَ كسائرِ الحيوان.

وقوله تعالى: ﴿ثم إذا شاء﴾ يريدُ: إذا بَلَغَ الوقتَ الذي قَدْ شاءَه؛ وهو يومُ القيامةِ، و﴿أنشره﴾ معناه: أحْيَاه.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا لما يقض﴾ أي لم يَقْضِ ما أمره، ثم أمَرَ اللَّهُ تعالى الإنسانَ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٦) (٣٦٣٣٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢٠)، وعزاه لابن المنذر عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٧)، برقم: (٣٦٣٣٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٨)، وابن كثير (٤/ ٤٧٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢١)، وعزاه للعوفي عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٤٨)، رقم: (٣٦٣٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٣٨).

بالعبرةِ والنظرِ إلى طَعامِه والدليل فيهِ وكيفَ يسَّره له بهذهِ الوَسَائِط، والحَبُّ جمعُ حَبَّةٍ ـ بفتحِ الحاءِ ـ، وهو كل ما يتخذُهُ الناسُ ويربونه، والحِبَّةُ: بكسرِ الحاءِ كُلَّ مَا يَنْبُتُ من البزُور لا يُحْفَلُ به، ولا هو بمتَّخَذٍ، والقَضْبُ قِيلَ هي الفِصْفِصَة وهذا عندي ضعيف؛ لأن الفِصْفِصَةَ للبهائِم وهي داخلةٌ في الأبِّ؛ والذي أقول به أن القضْبَ هنا هو كلُّ ما يقْضَبُ ليأكُلَه ابنُ آدم غَضًا من النباتِ كالبقُولِ والهِلْيونِ ونحوه؛ فإنَّه من المَطْعُوم جزءٌ عظيمٌ ولاَ ذِكْرَ له في الآية إلاَّ في هذه اللفظةِ، والحديقةُ: الشجَرُ الذي قد أُحْدِقَ بجدار ونحوه، والغُلْبُ: الغِلاظُ الناعِمَةُ، والأبُّ المَرْعَى والكلأ؛ قاله ابن عباس وغيره[1]، وقد توقَّفَ في تفسيرِه أبو بكرٍ وعمرُ ـ رضي اللَّه عنهما[2] ـ و﴿متاعاً﴾: نصْبٌ على المصدرِ، والمعنى: تَتَمَتَّعُونَ به أنتم وأنعامُكم؛ فابن آدم في السَّبْعَةِ المذكورةِ، والأنْعَامُ في الأبِّ،
٢١١ ب و﴿الصآخة﴾: اسمٌ من أسماءِ يوم/ القيامة. * ص *: قالَ الخليلُ: الصَّاخَّةُ صَيْحَةٌ تَصُخُّ الآذانَ صَخًا، أي: تُصِمُّها لشدةِ وقْعَتِها، انتهى.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه﴾ الآية، قال جمهورُ الناس: إنما ذلكَ لشدةِ الهَوْلِ كلٌّ يقولُ نَفْسِي نَفْسِي، وقيل: فرارُهم خوفاً من المُطَالَبَاتِ، ﴿لكلِ امْرِىءٍ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ عن اللقاءِ معَ غيرهِ، ثم ذكر تعالى اختلافَ الوجوهِ من المؤمنينَ الواثقين برحمةِ اللَّه؛ حين بَدَتْ لهم تباشيرُها، ومن الكفارِ حينَ عَلاَهَا قَتَرُهَا، و﴿مسفرة﴾ معناه: نَيِّرَةٌ بادٍ ضَوْءُهَا وسرورُها، والغَبَرَة التي على الكفرة: هي من العُبُوسِ كما يُرَى على وجهِ المهموم والميِّتِ والمريض شبهُ الغُبَارِ، * ص *: والقَتَرُ سوادٌ كالدُّخَانِ، قال أبو عبيدةَ: هو الغُبَار، انتهى، ثم فسَّرَ سبحانَه أصحابَ هذهِ الوجوهِ المُغْبَرَّةِ بأنهم ﴿الكفرةُ الفجرةُ﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٢) (٣٦٣٧٥)، وذكره ابن كثير (٤/ ٤٧٣)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢١)، وعزاه للعوفي عن ابن عباس.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥١)، رقم: (٣٦٣٦٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٤٩)، وابن عطية (٥/ ٤٣٩)، وابن كثير (٤/ ٤٧٣).

تفسير سورة «التكوير»

[وهي] مكية بإجماع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾

قوله سبحانه: ﴿إذا الشمس كورت﴾ هذه كلُّها أوصَافُ يوم القيامةِ، وتكويرُ الشمسِ هو أن تُدَارَ كما يُدَارُ كَوْرُ العمامةِ ويُذْهَبُ بها إلى حيثُ شَاءَ اللَّه ـ تعالى ـ، وعبَّر المفسرونَ عن ذلك بعباراتٍ؛ فمنهم مَنْ قال: ذهب نورُها؛ قاله قتادة[1]، ومنهم من قال: رُمِي بها؛ قاله الربيع بن خثيم[2] وغير ذلك مما هو أسماءٌ توابعُ لتكويرِها، وانْكِدَارُ النجوم هو انْقِضَاضُها وهبوطُها من مواضِعها، وقال ابن عباس: انكدرتْ: تغيَّرَتْ من قولهم مَاءٌ كَدِرٌ[3] و﴿العِشَارُ﴾: جمع عُشَرَاءَ وهي الناقة التي قَدْ مَرَّ لحملِها عَشَرَةُ أشهرٍ، وهي أنْفَسُ مَا عِنْدَ العَرَبِ، وإنما تُعَطَّلُ عند أشدِّ الأهْوَال.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

٢١٢أ ﴿وإذا البحار سجرت﴾ قال أُبَيُّ بن كعب وابن عباس وغيرهما:/ معناه أُضْرِمَتْ نارًا، كما يُسْجَرَ التَّنُّورُ[4]، ويحتملُ أنْ يكونَ المعنى مُلِكَتْ وقُيِّدَتْ، فتكونُ اللفظةُ مأخوذةً

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٧) (٣٦٤٠٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥١)، وابن عطية (٥/ ٤٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٧) (٣٦٤١٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٥٨) (٣٦٤١٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٤١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٠)، عن أبي بن كعب، برقم: (٣٦٤٣٢) وعن ابن عباس برقم: (٣٦٤٣٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥١)، وابن عطية (٥/ ٤٤٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٦) بنحوه.

من سَاجُورِ الكَلْبِ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «سُجِرَتْ» بتخفيفِ[١] الجيم، والباقون بتشديدها، وتزويجُ النفوسِ: هو تَنْوِيعُها؛ لأن الأزواجَ هي الأنْواعُ، والمعنى: جَعْلُ الكافرِ مع الكافرِ والمؤمِنِ معَ المؤمِنِ، وكلِّ شكلٍ مع شكلِه؛ رواه النعمان بن بشير عن النبي ﷺ؛ وقاله عمرُ بن الخطاب وابن عباس[٢]؛ وقال: هذا نظيرُ قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً﴾ [الواقعة: ٧] وفي الآيةِ على هذا حضّ عَلَى خَليلِ الخيرِ، فقد قال ـ عليه السلام ـ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، وقال: «فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»، وعبارةُ الثعلبيِّ: قال النعمانُ بْنُ بَشِيرٍ: قال النبيُّ ﷺ: ﴿وإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَالَ الضُّرَبَاء: كُلُّ رَجُلٍ مَعَ كُلِّ قَوْمٍ كَانُوا يَعْمَلُونَ عَمَلَه، انتهى، وقال مقاتل بن سُلَيْمَانَ معناه: زوجتْ نُفُوسُ المؤمنينَ بزوجاتهنّ من الحُورِ، وغيرِهِنَّ[٣].

وقوله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ الموؤودةُ اسم معناه المُثْقَلُ عليها بالتُّرَاب، وغيره حتى تموتَ؛ وكان هذا صنيعُ بعضِ العَرَبِ ببناتِهم يدفِنُونَهن أحياءً، وقرأ الجمهور[٤]: «سئلت» وهذا على جهةِ التوبيخِ للعربَ الفاعلينَ ذلك؛ واستدلَّ ابن عَبَّاس بهذه الآيةِ على[٥] أنَّ أولادَ المشركينَ في الجَنَّةِ، لأنَّ اللَّهَ قَدِ انْتَصَرَ لَهُمْ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ[٦].

---

(١) وحجتهما قوله سبحانه: ﴿والبحر المسجور﴾ [الطور: ٦] ولم يقل المُسَجَّر. وحجة الباقين قوله تعالى: ﴿وإذا البحار﴾ ولو كان واحداً لكان تخفيفاً، والعرب تقول: سَجَرت التنور، وسَجَّرت التنانير.
ينظر: «حجة القراءات» (٧٥٠)، و«السبعة» (٦٧٣)، و«الحجة» (٦/ ٣٧٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٤٤)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٠١)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٢٣)، و«العنوان» (٢٠٤)، و«شرح شعلة» (٦١٩)، و«إتحاف» (٢/ ٥٩١).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٢) عن عمر برقم: (٣٦٤٤٩)، وعن ابن عباس برقم: (٣٦٤٥٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥٢)، وابن عطية (٥/ ٤٤٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٧)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لابن مردويه.

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٤٥٢)، وابن عطية (٥/ ٤٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن الكلبي بنحوه.

(٤) وقرأ ابن عباس، وأبي، وجابر بن زيد، وأبو الضحى، ومجاهد، وجماعة منهم: ابن مسعود، والربيع بن خيثم «سألت».
ينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٦٩)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٤٢)، و«البحر المحيط» (٨/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥)، و«الدر المصون» (٦/ ٤٨٦).

(٥) في د: في.

(٦) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٤٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٧).

﴿وإذا الصحف نشرت﴾ قيل: هي صُحُفُ الأَعْمَالِ، وقيل: هي الصُّحُفُ التي تَتَطَايَرُ بالأَيْمَانِ والشَّمائِلِ، والكَشْطُ: التقشيرُ وذلك كما يُكْشَطُ جلدُ الشاةِ حينَ تُسْلَخُ، وكَشْطُ السَّماءِ هُو طَيُّها/ كَطَيِّ السِّجِلِّ، و﴿سعرت﴾ معناه: أُضْرِمَتْ[1] نارُها، وأزلفت الجنة ٢١٢ ب
معناه: قُرِّبَتْ ليدخلَها المؤمنونَ، قال الثعلبي: قُرِّبَتْ لأهلها حتى يرونها، نظيرُه، ﴿وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ للمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]. ﴿علمت نفس﴾ عندَ ذلك ﴿ما أحضرت﴾ من خيرٍ أو شرٍ؛ وهو جوابٌ لقولِهِ ﴿إذا الشمس﴾ وما بَعْدَها، انتهى.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس﴾ لا إمَّا زائدةٌ وإما أنْ تكونَ رَدّاً لِقَوْلِ قريشٍ في تكذيبِهم نبوةَ نبينا محمدٍ ـ عليه السلام ـ، ثُمَّ أَقْسَمَ تعالى بالخُنَّسِ الجوارِ الكُنَّسِ، وهي في قولِ الجمهور: الدَّرَارِي السَّبْعَةُ: الشَّمْسُ والقَمَرُ وزُحَلُ وعُطَارِدُ والمرِّيخُ والزُّهْرَةُ والمُشْتَرِي، وقال عليّ: المرادُ الخمسةُ دونَ الشمسِ والقمر؛ وذلك أنّ هذه الكواكبَ تَخْنِسُ في جَرْيِها أي: تَتَقَهْقَرُ فيما تَرى العينُ، وهي جَوارٍ في السماءِ، وهي تَكْنِسُ في أَبراجها أي: تَسْتَتِرُ[2]، الثعلبي: وقال ابن زيدٍ تَخْنِسُ؛ أي: تَتَأَخَّرُ عَنْ مَطَالِعِها كلَّ سَنَة، وتَكْنِسُ بالنَّهار، أي: تستترُ فلاَ تُرَى، انتهى[3]، وعَسْعَسَ الليلُ في اللغةِ إذا كَانَ غَيْرَ مُسْتَحْكَمِ الإظْلاَمِ، قال الخليل: عَسْعَسَ الليلُ: إذا أَقْبَلَ وأَدْبَرَ، وقال الحَسَنُ: وقَعَ القَسَمُ بإقبالِهِ[4]، وقال ابن عباسٍ وغيره: بلْ وَقَعَ بإدبارِهِ[5]، وقال المبرد: أقسَمَ بإقباله وإدباره[6]

---

(١) في د: ضرمت.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٧) (٣٦٤٨٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥٣)، وابن عطية (٥/ ٤٤٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢٨)، وعزاه لسعيد بن منصور والفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طرق عن علي رضي اللّه عنه.
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٧) (٣٦٤٨٧). والبغوي (٤/ ٤٥٣).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٧٠) (٣٦٥١٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥٣)، وابن عطية (٥/ ٤٤٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٩) بنحوه.
(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٦٩)، (٣٦٥٠٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٤٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٠)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس.
(٦) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٤٤).

معاً، وعبارةُ الثعلبي: قالَ الحسنُ عَسْعَسَ الليلُ: أقْبَلَ بظلامِه، وقال آخرون: أدْبَرَ بظلامِه، ثم قال: والمعنيانِ يَرْجِعَانِ إلى معنًى واحدٍ، وهو ابتداءُ الظلامِ في أوله وإدباره في آخرِهِ، انتهى،، وتنفَّسَ الصبحُ، اتَّسَعَ ضوءهُ، والضميرُ في «إنه» للقرآنَ، والرسولُ الكريمُ في قولِ
١٢١٣ الجمهور؛ هو جبريلُ ـ عليه السلام ـ وقال آخرون: هو النبي ﷺ في الآيةِ كلِّها،/ والقولُ الأول أصحُ، و﴿كريم﴾ صفةٌ تَقْتَضِي رَفْعَ المذَامِّ، و﴿مكين﴾ معناه: له مكَانَة ورِفْعَة، وقال عياض في «الشفا» في قوله تعالى: ﴿مطاع ثم أمين﴾: أكثرُ المفسرينَ على أنَّهُ نبيُّنَا محمدٌ ﷺ، انتهى، قال * ع[1] *: وأجمعَ المفسرونَ على أن قولَه تعالى: ﴿وما صاحبكم﴾ يرادُ به النبيُّ ﷺ، و﴿الضمير﴾ في رآه لجبريلَ ـ عليه السلامُ ـ وهذه الرؤيةُ التي كانَتْ بعْدَ أمْرِ غارِ حِراءٍ، وقيل: هي الرؤيةُ التي رآه عند سِدْرَةِ المنتهى.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ بالضادِ بمعنى: بِبَخِيلِ تَبْلِيغ مَا قِيل لهُ؛ كما يَفْعَلُ الكاهِنُ حين يُعْطى حُلْوَانه، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: «بظَنِين» بالظاءِ[2]، أي: بمتَّهَم، ثم نَفَى سبحانَهُ عن القرآن أنْ يكونَ كلامَ شيطانٍ على ما قالتْ قريشٌ، و﴿رجيم﴾ أيْ: مرجُوم.

وقوله تعالى: ﴿فأين تذهبون﴾ توقيفٌ وتقريرٌ والمعنى: أين المذهبُ لأحَدٍ عن هذهِ الحقائقِ والبيانِ الذي فيه شفاءٌ، ﴿إن هو إلا ذكر﴾ أي: تذكرةٌ، * ت *: رَوَى الترمذيُّ عن ابنِ عمرَ قال: قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّه أنْ يَنْظُرَ إلى يوم القِيَامَةِ كأنَّه رَأْيُ عينٍ؛ فَلْيَقْرَأْ ﴿إذا الشمس كورت﴾ و﴿إذا السماء انفطرت﴾، و﴿إذا السماء انشقت﴾» قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ، انتهى.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٤٤).

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٧٣)، و«الحجة» (٦/ ٣٨٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٤٦)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٢٤)، و«العنوان» (٢٠٤)، و«حجة القراءات» (٧٥٢)، و«شرح شعلة» (٦٢٠)، و«إتحاف» (٢/ ٥٩٢).

تفسير سورة «الانفطار»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ أي: انشقَّتْ، ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي: تساقَطَتْ، ﴿وإذا البحار فجرت﴾ قيل: فُجِّرَ بعضُها إلى بعضٍ، ويحتملُ أنْ يكونَ تَفَجَّرتْ من أعاليها، ويحتملُ أن يكون تفجيرَ تفريغٍ من قيعَانِها/ فَيُذْهِبُ اللَّهُ ماءَها حيث شاء، ٢١٣ ب
وبكلٍ قيل، وبعثرةُ القبورِ: نبشُها عن الموتى.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾

وقوله سبحانه: ﴿علمت نفس﴾ هو جوابُ ﴿إذا﴾ و﴿نفس﴾ هنا اسمُ جنسٍ، وقال كثيرٌ من المفسرينَ في معنى قوله: ﴿ما قدمت وأخرت﴾ إنها عبارةٌ عن جميع الأعمالِ من طاعة أو معصية.

﴿يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ رُوِيَ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَرَأَهَا، فقال: «غَرَّهُ جَهْلُهُ»[1]، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَرْحَمَهُ بِعِبادِهِ، قال الثعلبيُّ: قال أَهْلُ الإشارةِ: إنَّما قَالَ:

(١) قال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» (٤/١٦٧) (١٤٦٤): وقال: رواه الثعلبي: أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه ـ واسمه الحسين بن محمد ـ ثنا أبو علي بن حنش المقري، ثنا أبو القاسم بن الفضل المقري، ثنا علي بن الحسين المقدمي، وعلي بن هاشم قالا: ثنا كثير بن هشام، ثنا جعفر بن برقان، ثنا صالح بن مسمار قال: بلغني أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ قال: «غره جهله».
وعن الثعلبي رواه الواحدي في «تفسيره الوسيط» بسنده ومتنه.
ورواه أبو عبيد القاسم بن سلام، في كتاب «فضائل القرآن» حدثنا كثير بن هشام وذكره سواه إلا أنه قال: «غره حلمه»، والنسخة صحيحة.

﴿بربك الكريم﴾، دونَ سائر أسمائِه تعالى وصفاته، كأنه لَقَّنَهُ جَوَابَهُ؛ حتى يقولَ: غَرَّنِي كَرَمُكَ، انتهى، وقرأ الجمهور: «فَعَدَّلَكَ» وكان النبي ﷺ إذا نَظَر إلى الهلالِ؛ قال: «آمنتُ بالذي خلقَك فسوَّاك فَعَدَلَك» وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بتخفيفِ الدال[1]، والمعنى عَدَّلَ أعضاءَك بعضَها ببعضٍ، أي: وازنَ بينها.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾

وقوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ ذهبَ الجمهورُ إلى أن «في» متعلِّقة بـ«ركَّبك»، أي: في صورةٍ حسنةٍ أو قبيحةٍ، أو سليمةٍ، أو مشوهةٍ، ونَحْو هٰذَا، و«ما» في قوله: ﴿ما شاء ركبك﴾ زائِدَةٌ فيها معنى التأكيد، قال أبو حيان[2]: ﴿كلا﴾ رَدْعٌ وزَجْرٌ، انتهى، والدِّينُ هنا يحتمل أن يريدَ الشرعَ، ويحتملُ أن يريدَ الجزاءَ والحسابَ، وباقي الآيةِ واضِحٌ لِمُتَأَمِّلِهِ.

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾

وقوله تعالى: ﴿يصلونها يوم الدين﴾ أي: يوم الجزاءِ.

وقوله تعالى: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ [قال جماعة: معناه: ما هم عنها بغائبين][3]

---

(١) قال الفراء: وجهه ـ والله أعلم ـ فصرفك إلى أي صورة شاء، إما حسن أو قبيح، أو طويل أو قصير. وعن أبي نُجَيْح قال: (في صورة أب أو في صورة عمّ). وليست في من صلة «عَدلك» لأنك لا تقول: (عدلتك في كذا)، إنما تقول: (عدلتك إلى كذا) أي: صرفتك إليه؛ وإنما هي متعلقة بـ «ركَّبك». كأن المعنى: (في أي صورة شاء أن يركِّبك).
وقال آخرون: (فعدلك: فسوَّى خلقك). قال محمد بن يزيد (المبرد): فعدلك أي: قصد بك إلى الصورة المستوية ومنه العدل الذي هو الإنصاف، أي: هو قصد إلى الاستواء. فقولك: (عدل الله فلاناً) أي: سوّى خلقه. فإن قيل: فأين الباء التي تصحب القصد حتى يصح ما تقول؟ قلت: إن العرب قد تحذف حروف الجر، قال الله عز وجل: «وإذا كالوهم أو وزنوهم» فحذف اللامين، فكذلك «فعدلك» بمعنى: فعدل بك.
ينظر: «حجة القراءات» (٧٥٢ ـ ٧٥٣)، و«السبعة» (٦٧٤)، و«حجة القراءات» (٦/ ٣٨٢)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٤٨)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٢٦)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٠٣)، و«العنوان» (٢٠٤)، و«شرح شعلة» (٦٢٠)، و«إتحاف» (٢/ ٥٩٤).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ٤٢٨).

(٣) سقط في: د.

في البَرْزَخِ، وذلك أنهم يرونَ مقاعِدَهم من النارِ غَدْوَةً وعشيَّةً؛ فهم لم يزالُوا مشاهدينَ لَها؛ نسألُ اللّهَ العافيةَ في الدارينِ بجُودِهِ وكرمِهِ، ثم عظَّم تعالى قدرَ هولِ ذلكَ اليومِ بقوله: ﴿وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ الآية.

[تفسيرُ] سُورَةِ «المُطَفِّفِين»

٢١٤أ /وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ جَمَاعَةٍ

وقال ابن عباس وغيره: هي مدنية، وعنه: نَزَلَ بَعْضُها بمكةَ ونَزَل أَمْرُ التطفيفِ بالمدينةِ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ الآية، المُطَفِّفُ الذي يُنْقِصُ الناسَ حُقُوقَهم، والتطفيفُ: النُّقْصَانُ، أصله من الشيءِ الطفيف، وهو النَّزْرُ، والمطفِّفُ إنما يأخذ بالميزانِ أو بالمكيال شَيْئاً خفيفاً، و﴿اكتالوا على الناس﴾ معناه قَبَضُوا منهم، و﴿كالُوهم﴾ معناه: قَبَّضُوهم، و﴿يخسرون﴾ معناه: يُنْقِصُونَ.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

وقوله سبحانه: ﴿ألا يظن﴾ بمعنى: يَعْلَمُ ويتحقق، وقال * ص *: ﴿ألا يظن﴾ ذَكَر أبو البقاء أن «لا» هنا هي النافيةُ دَخَلَتْ عليها همزةُ الاستفهام، وليستْ «أَلاَ» التي للتنبيهِ والاستفتاح؛ لأن مَا بَعْدَ «أَلاَ» التنبيهيَّةِ مُثْبَتٌ وهو هنا منفيٌّ، انتهى،، وقيامُ الناس لربِّ العالمينَ يومئذٍ، يختلف الناسُ فيه بحَسْبِ منازِلهم، ورُوِيَ أنه يُخَفَّفُ عن المؤمنِ حتى يكونَ على قَدْرِ الصلاةِ المكتوبةِ، وفي هذا القيام هو إلجامُ العَرَقِ للناسِ؛ كما صرَّح به النبي ﷺ في الحديثِ الصحيح، والناسُ أيضاً فيه مختلفون بالتخفيفِ والتشديدِ، قال ابن المباركِ في «رقائقه»: أخبرنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ عن أبي عثمانَ النهدي عن سلمان، قال: تُدْنَىٰ الشمسُ من الناسِ يومَ القيامةِ حتى تكونَ من رُؤوسهم قَابَ قوسٍ أو قابَ قوسَيْنِ فتُعْطِي حرَّ عَشْرَ سنين؛ وليسَ على أحد يومئِذ طِخْرِبة ولا تُرَى فيه عورةُ مؤمِنٍ ولا مؤمنةٍ، ولا يَضُرُّ حرُّها يومئِذٍ مؤمناً ولا مؤمنَة، وأما الآخرون؛ أو قال الكفارُ فَتَطْبُخُهُمْ، فإنما تقولُ أجوافُهم

٢١٤ب غَقْ غَقْ، قال نعيم: الطحربةُ: الخِرْقة/ انتهى،، ونحوُ هذا للمحاسبي قال في «كتاب

التوهُّم»: فإذَا وَافَى الموقفُ أَهْلَ السمواتِ السبعِ والأرضينَ السبعِ؛ كُسِيَتِ الشمسُ حرَّ عَشْرَ سنينَ، ثم أُدْنِيتْ من الخلائقِ قَابَ قوسٍ أو قابَ قوسين، فَلاَ ظِلَّ في ذلك اليوم إلا ظلُّ عرشِ ربِّ العالمينَ، فكم بينَ مستظلٍّ بظل العرشِ وبين واقفٍ لحرِّ الشمسِ قد أَصْهَرَتْه؛ واشتدَّ فيهَا كَرْبُه وقلقُه، فتوهَّمْ نفسَك في ذلكَ الموقفِ؛ فإنك لا محالةَ واحدٌ منهم، انتهى، اللَّهُمَّ، عَامِلْنَا بِرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ في الدَّارَيْنِ، فَإِنَّهُ لاَ حَوْلَ لَنَا وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفُجَّار...﴾ يعني: الكفارَ وكتابُهم يراد به الذي فيه تَحصيلُ أمرهم، وأفعالِهم، ويحتمل عندي أن يكونَ المعنَى وعِدَادُهُمْ وكِتَابُ كونِهم هو في سجينٍ؛ أي: هنالِكَ كُتِبُوا في الأزلِ، واختُلِفَ في ﴿سجين﴾ ما هو؟ والجمهورُ أن سجيناً بناءُ مبالغة من السَّجْن، قال مجاهد: وذلك في صخرة تحت الأرض السابعة[1].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿وما أدراك ما سِجين﴾ تعظيمٌ لأمر هذا السِّجِّينِ وتعجيبٌ منه، ويحتملُ أنْ يكونَ تقريرَ استِفْهام، أي: هذا مما لم تكنْ تعلمُه قبلَ الوحيِ، و﴿كتاب مرقوم﴾ على القول الأولِ: مرتفعٌ على خبر «إِنَّ» وعلى القولِ الثاني مرتفعٌ على أنه خبرُ مبتدإٍ محذوف تقديرُه: هو كتاب مرقوم، ويكون هذا الكلامُ مفسِّراً لـ﴿سجين﴾ ما هو؟، و﴿مرقومٌ﴾ معناه: مكتوبٌ لهم بِشَرٍّ، وباقي الآية بَيِّنٌ، ثم أوجَبَ أنَّ مَا كَسَبُوا من الكفرِ والعُتُو قَدْ ﴿رانَ على قلوبهم﴾ أي: غطى عليها؛ فهُمْ مع ذلك لا يُبْصِرُون رشداً، يقال:

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٨٦) (٣٦٦٠٠)، وذكره البغوي (٤/ ٤٥٨)، وابن عطية (٥/ ٤٥١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه بنحوه.

٢١٥أ رَانَتِ الخمرُ على قلبِ شاربِها، ورَانَ الغَشْيُ على قلبِ المريضِ، وكذلك الموتُ،/ قال الحسنُ وقتادة: الرّينُ الذّنبُ على الذنبِ حتى يموتَ القلبُ(١)، ورَوَى أبو هريرةَ أن النبي ﷺ قال: «إنَّ الرجلَ إذا أذْنَبَ نُكِتَتْ نكتةٌ سَوْدَاءُ في قلبهِ، ثم كذلك حتَّى يَتَغطَّى فذلكَ الرانُ الذي قال اللَّه تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾، قال الفخرُ(٢): قال أبو معاذ النَّحْوي: الرّينُ سَوَادُ القلبِ من الذنوبِ، والطَّبْعُ أن يُطْبَعَ على القلبِ، وهو أشَدُّ من الرينِ، والإقْفَالُ أشدُّ من الطبعِ؛ وهو أن يُقْفَلَ على القلبِ، انتهى، والضميرُ في قوله تعالى: ﴿إنهم عن ربهم﴾ للكفارِ أي: هم محجوبونَ لا يَرَوْنَ ربَّهم، قال الشافعي: لما حَجَبَ اللَّهُ قوماً بالسّخْطِ دَلَّ على أن قوماً يرَوْنَهُ بالرِّضَى، قال المحاسبي ـ رحمه اللَّه ـ في كتابِ **«توبيخ النفس»**: وينبغِي للعبدِ المؤمنِ إذا رأى القسوةَ من قلبه أن يعلم أنها من الرّينِ في قلبه فيخافُ أن يكونَ اللَّهُ تعالى لمَّا حَجَبَ قلبَه عنه بالرّينِ والقسوةِ أنْ يحجبَه غداً عن النظرِ إليه؛ قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ إحداهُما تتلو الأخرى؛ ليس بينهما معنًى ثالثٌ، فإنْ اعترضَ للمريدِ خَاطِرٌ من الشيطانِ ليقْتَطِعَه عن الخوفِ من اللَّه تعالى، حتى تحلَّ بِهِ هاتانِ العقوبتانِ فَقَال إنما نَزَلَتَا في الكافرينَ؛ فليقلْ فإنَّ اللَّهَ لم يؤَمِّنْ منهما كثيراً مِنَ المؤمنينَ، وقد حذَّر سبحانَه المؤمنينَ أن يُعَاقِبَهُم بما يُعَاقِبُ به الكافرين؛ فقال تعالى: ﴿واتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١] إلى غير ذلكَ من الآيات، انتهى، ولما ذَكَرَ اللَّهُ تعالى أمْرَ كتابِ الفجار، عَقَّبَ ذلكَ بذِكْرِ كِتَابِ ضدِّهِم؛ ليبيِّنَ الفرقَ بين الصِّنْفَيْنِ، واخْتُلِفَ في المَوضِعِ المعروفِ بـ﴿عليين﴾ ما هو؟ فقال ابن عباس: السَّمَاءُ السَّابِعَةُ تَحْتَ العَرْشِ(٣)، وَروِي ذَلِكَ عن النبي ﷺ(٤)، وقال الضحاكُ: هو سِدْرَةُ
٢١٥ب المُنْتَهَى(٥)، وقال ابن عباس أيضاً: عليونَ: الجنة(٦).

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٠) (٣٦٦٢٧) عن الحسن، وعن قتادة برقم: (٣٦٦٤٠)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٠)، وابن عطية (٥/ ٤٥٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨٥)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٥٤٠)، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ينظر: **«الفخر الرازي»** (٣١/ ٨٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٣) عن ابن عباس وعن كعب برقم: (٣٦٦٥٧)، و (٣٦٦٤٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٠)، وابن عطية (٥/ ٤٥٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٤٨٦) بنحوه.

(٤) ينظر: **«المحرر الوجيز»** (٥/ ٤٥٢).

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٤)، (٣٦٦٥٩)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٠)، وابن عطية (٥/ ٤٥٢)، والسيوطي في **«الدر المنثور»**، وعزاه لعبد بن حميد من طريق الأجلح عن الضحاك رضي اللَّه عنه.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٤)، (٣٦٦٥٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٠)، وابن عطية (٥/ ٤٥٢)، وابن كثير=

وقوله تعالى: ﴿يشهده المقربون﴾ يعني الملائكة؛ قاله ابن عباس وغيره[١]، و﴿ينظرون﴾ معناه إلى ما عندهم مِن النعيم، والنَّضرةُ: النعمةُ والرونقُ، والرحيقُ: الخَمْرُ الصافيةُ، و﴿مختوم﴾ يحتملُ أنَّه يُخْتَمُ على كؤوسه التي يشْرَبُ بها تَهَمُّماً وتنظفاً، والظاهر أنه مختُوم شربُه بالرائحةِ المِسْكِيةِ؛ حَسْبَمَا فسَّره قوله: ﴿ختامه مسك﴾ قال ابن عباس وغيره: خاتمة شربه مسك[٢]، [وقرأ الكسائي[٣]: «خَاتَمُهُ مِسْكٌ»]، ثم حرَّضَ تعالى على الجنةِ بقوله: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ المِزَاجُ: الخلطُ، قال ابن عباس وغيره: ﴿تسنيم﴾: أشْرَفُ شرابٍ في الجنةِ، وهو اسْمٌ مذكرٌ لِمَاءِ عينٍ في الجنةِ، وهي عين يشرب بها المقربون صرفاً ويُمْزَجُ رحيقُ الأبرارِ بها[٤]؛ وهذا المعنى في «صحيح البخاري»، وقال مجاهد ما معناه: أن تسنيماً مصدَرٌ من سَنَّمْتُ: إذَا عَلَوْتُ، ومنه السَّنَامُ، فكأنه عينٌ قَدْ عَلِيَتْ على أهل الجنةِ فهي تَنْحَدِر، وقاله مقاتل[٥]، وجمهور المتأولينَ أنَّ منزلةَ الأبرار دونَ منزلة المقربينَ، وأن الأبرارَ هم أصحابُ اليمين، وأن المقربينَ هم السابقون.

وقوله: ﴿يشرب بها﴾ بمعنى يَشْرَبُها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾

= في «تفسيره» (٤/ ٤٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤١)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن ابن عباس.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٥)، (٣٦٦٦٣) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٥٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٨)، (٣٦٦٨٣)، وذكره البغوي (٤/ ٤١٦)، وابن عطية (٥/ ٤٥٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨٦).

(٣) ينظر: «الحجة» (٦/ ٣٨٦)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٥١)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٣١)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٠٤)، و«العنوان» (٢٠٥)، و«حجة القراءات» (٧٥٤)، و«إتحاف» (٢/ ٥٩٧).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٠٠)، (٣٦٧٠٠)، وعن أبي صالح برقم: (٣٦٧٠٣)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٢)، وابن عطية (٥/ ٤٥٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤٤)، وعزاه لعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٤٩٩)، (٣٦٦٩١) عن مجاهد، وابن عطية (٥/ ٤٥٣).

وقوله سبحانه: ﴿إن الذين أجرموا كانوا﴾ يعني في الدنيا، ﴿يضحكون﴾ من المؤمنينَ، رُوِيَ أن هذه الآيةَ نَزَلَتْ في صناديدِ قريشٍ وضَعَفَةِ المؤمنين، والضميرُ في ﴿مروا﴾ للمؤمنينَ ويحتملُ أن يكونَ للكفارِ، وأما ضميرُ ﴿يتغامزون﴾ فهو للكفارِ؛ لا
٢١٦ أ يحتملُ غيرَ ذلك، و﴿فاكهين﴾ أي: أصحابُ فُكَاهَةٍ/ وَنَشَاطٍ وسرورٍ باسْتِخْفَافِهِم بالمؤمنين، وأما الضميرُ في ﴿رأوهم﴾ وفي ﴿قالوا﴾ فقال الطبريُّ[1] وغيره: هو للكفارِ، وقال بعضُهم: بل المعنى بالعَكْسِ، وإنمَا المعْنَى وإذا رأى المؤمنونَ الكفَّارَ قالوا: ﴿إن هؤلاء لضالونَ﴾، وما أُرْسِلَ المؤمِنونَ حافِظِينَ على الكفَّارِ، وهذا كلُّه مَنْسُوخٌ على هذا التأويل، * ت *: والأول أظهر.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿على الأرائك ينظرون﴾ أي: إلى أعدائهم في النار، قال كعب: لأهل الجنةِ كُوًى ينظرون منها[2]، وقال غيره: بينهم جِسْمٌ عظيم شَفَّافٌ يرونَ معه حالَهم، * ت *: قال الهرويُّ: قوله تعالى: ﴿على الأرائك ينظرون﴾، قال أحمد بن يحيى: الأريكَةُ: السريرُ في الحَجَلَةِ ولا يُسَمَّىٰ منفرِداً أريكةً، وسمعتُ الأزهريَّ يقولُ: كل ما اتُّكِيءَ عليه فهو أريكةٌ، انتهى، ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ أي: جزاءَ ما كانوا يفعلون، و﴿هل ثوب﴾ تقريرٌ وتوقيفٌ للنبي ﷺ وأُمَّتِهِ.

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١٢/ ٥٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٠٢)، (٣٦٧١١)، وذكره البغوي في «تفسيره» (٤/ ٤٦٢)، وابن عطية (٥/ ٤٥٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٤٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة عن كعب.

[تفسير] سورة «الانشقاق»

وهي مكية بلا خلاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

قوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ الآية، هذه أوصافُ يوم القيامةِ و﴿أذنت﴾ معناه: استَمَعَتْ وسَمِعَتْ أمْرَ ربِّها؛ ومنه قوله ﷺ: «ما أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ أَذَنَهُ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقُرآنِ»، و﴿حقت﴾[١] قال ابن عباس: معناه: وحُقَّ لها أنْ تَسْمَع وتطيع[٢]، ويحتملُ أن يريدَ: وحُقَّ لها أن تنشقَ لشدةِ الهولِ وخوفِ اللَّه تعالى، ومدُّ الأرض هي إزالةُ جبالِها حتى لا يبقى فيها عوجٌ ولا أمْتٌ، وفي الحديث: «تُمَدُّ مَدَّ الأَدِيمِ»، و﴿أَلْقَتْ ما فيها﴾ يعني: من / الموتَى؛ ٢١٦ ب
قاله الجمهورُ. وخرَّج الختلي أبو القاسم إسحاقُ بن إبراهيم في كتاب «الدِّيباج» له بسندهِ عن نافع عن ابن عمرَ عن النبي ﷺ في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿إذا السماء انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وحُقَّتْ﴾ قال: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأَجْلِسُ جَالِساً في قَبْرِي، فَيُفْتَحُ لِي بَابٌ إلَى السَّمَاءِ بِحِيَالِ رَأْسِي حَتَّىٰ أَنْظُرَ إلَى العَرْشِ، ثُمَّ يُفْتَحُ لي بَابٌ مِنْ تَحْتِي؛ حَتَّىٰ أَنْظُرَ إلَى الأَرْضِ السَّابِعَةِ؛ حَتَّىٰ أَنْظُرَ إلَىٰ الثَّرَىٰ، ثُمَّ يُفْتَحُ لي بَابٌ عَنْ يَمِينِي حَتَّىٰ أَنْظُرَ إلَى الجَنَّةِ وَمَنَازِلِ أَصْحَابِي، وَإِنَّ الأَرْضَ تَحَرَّكَتْ تَحْتِي فَقُلْتُ: مَا لَكِ أَيَّتُهَا الأَرْضُ؟ قَالَتْ: إنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُلْقِيَ مَا في جَوْفِي، وأنْ أَتَخَلَّى؛ فَأَكُونَ كَمَا كُنْتُ؛ إذْ لاَ شَيْءَ فِيَّ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وأَلْقَتْ مَا فِيهَا وتخلَّتْ﴾، ﴿وأذنت لربها وحقَّت﴾ أي: سَمِعَتْ وَأَطَاعَتْ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ»[٣]، الحديث، انتهى من «التذكرة»[٤]، و﴿تخلت﴾ معناه خَلَتْ عَمَّا كَانَ فيها لَمْ تَتَمَسَّكْ منهم بشيء.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/٤٥٦).
(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٥٤٧)، وعزاه إلى أبي القاسم الختلي في «الديباج».
(٤) ينظر: «التذكرة» (١/٢٥١).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾

﴿يأيها الإنسان إنك كادح...﴾ الآية، الكادحُ: العاملُ بشدّةٍ واجتهادٍ، والمعنى: إنَّك عامل خيراً أو شراً، وأنتَ لا محالةَ ملاقِيه، أي: فكنْ على حَذَرٍ من هذهِ الحالِ، واعملْ صالحاً تَجِدْه، وأما الضميرُ في ﴿ملاقيه﴾ فقال الجمهور: هو عائدٌ على الربّ تعالى، وقال بعضُهم: هو عائدٌ على الكَدْحِ * ت *: وهو ظاهرُ الآيةِ، والمعْنَى ملاقٍ جزاءَه، والحسابُ اليسيرُ: هو العَرْضُ؛ ومن نُوقِشَ الحسابَ هَلَكَ؛ كذا في الحديث الصحيح، وعن عائشةَ: هو أن يعرفَ ذنوبَه ثم يُتَجَاوَزَ عنه، ونحوُه في الصحيح عن ابن
١٢١٧أ عمر، انتهى، وفي الحديث/ عن عائشةَ قالتْ: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ في بَعْضِ صَلاَتِهِ: «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً، فَلَمَّا انْصَرَفَ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْحِسَابُ اليَسِيرُ؟ قال: أَنْ يَنْظُرَ في كِتَابِهِ وَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ؛ إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ ـ يَا عَائِشَةُ ـ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ، وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةَ تَشُوكُهُ»[1]، قال صاحبُ «السلاح»: رواه الحَاكِمُ في «المُسْتَدْرَكِ»، وقال: صحيحٌ علَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، انتهى، ورَوَى ابْنُ عُمَرَ أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ في الدُّنْيَا، هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»؛ قال عِزُّ الدينِ بنُ عَبدِ السَّلاَمِ في اختصاره لـ «رعاية المحاسبي»: أجمع العلماءُ على وجوبِ محاسَبَةِ النفسِ فيما سَلَفَ من الأعمال وفيما يُسْتَقْبَلُ منها، «فالْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَى اللَّهِ»، انتهى.

﴿وينقلب إلى أهله﴾ أي: الذين أعدَّهمُ اللَّه لهُ في الجنةِ، وأما الكافر فرُوِيَ أنَّ يَدَه تدخُلُ من صَدْرِه حتَّى تَخْرُجَ من وراءِ ظهرِه فيأخذَ كتابَه بها.

و﴿يدعوا ثبوراً﴾ معناه: يصيحُ مُنْتَحِباً: وا ثبوراه؛ وا حزناه، ونحو هذا، والثبورُ اسْمٌ جامع للمكارِه، كالويلِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨)، وابن خزيمة (٢/ ٣٠)، جماع أبواب الكلام المباح في الصلاة والدعاء والذكر، ومسألة الرب عزّ وجلّ ـ وما يضاهي هذا ويقاربه: باب مسألة الرب جل وعلا ـ في الصلاة محاسبة يسيرة، إذ المحاسبة بجميع ذنوبه والمناقشة به تهلك صاحبها (٨٤٩)، والحاكم (١/ ٥٧ ـ ٢٥٥)، (٤/ ٢٤٩، ٥٨٠).
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه بهذا اللفظ، إنما اتفقا على حديث أبي مليكة، ومن نوقش الحساب عذب، ووافقه الذهبي.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إنه كان في أهله﴾ يريدُ في الدنيا، ﴿مسروراً﴾ أي: تَمَلَّكَهُ ذلك لا يدرِي إلا السرورَ بأهلِهِ دونَ معرفةِ ربه.

وقوله تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ معناه: أن لن يرجِعَ إلى اللّه مبعوثاً محشوراً، قال ابن عباس: لم أعلم ما معنى ﴿يحور﴾؛ حَتَّىٰ سَمِعْتُ ٱمْرَأَةً أَعْرَابِيَّةً تَقُولُ لِبُنَيَّةٍ لَهَا: حُورِي؛ أي: ٱرْجِعِي[(١)]، * ص *: ﴿بلى﴾ إيجابٌ بَعْدَ النفي، أي: بلى؛ لَيَحُورَنَّ أي: ليَرْجِعَنَّ، انتهى.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ «لا»/ زائِدةٌ وقيلَ: «لا» ردٌّ عَلى أقوالِ الكفار، ٢١٧ ب
و﴿الشفق﴾ الحُمْرَةُ التي تَعْقُبُ غَيْبُوبَةَ الشمسِ مع البياضِ التابعِ لها في الأغلب، و﴿وسق﴾ معناه: جُمِعَ وَضُمَّ ومنه الوَسْقُ أي: الأَصْوُعُ المجموعةُ، والليل يَسِق الحيوانَ جملة أي: يجمَعُهَا وَيَضُمُّها، وكذلك جميعُ المخلوقاتِ التي في الأرض والهواء من البحار والجبال والرياح وغير ذلك، واتساقُ القمر كمالُه وتمامُه بدراً، والمعنى امتلأ من النور، وقرأ نافع وأبو عَمْرٍو وابن عامر: «لَتَرْكَبُنَّ» ـ بضم الباءِ[(٢)] ـ والمعنى: لتركبُنَّ الشدائِدَ: الموتَ والبعثَ والحسابَ حالاً بعد حالٍ، و«عن» تجيءُ بمعنى «بعد» كما يقال: ورثَ المجدَ كَابِراً عن كابرٍ، وقيلَ: غير هذا، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير: «لَتَرْكَبَنَّ»[(٣)] ـ بفَتْحِ الباءِ ـ على معنى أنتَ يا محمد، فقيلَ: المعنى حالاً بعد حالٍ من معالَجةِ الكفارِ، وقال ابن عباس:

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٠٩) (٣٦٧٤٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٥٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤٨)، وعزاه لابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس بنحوه.

(٢) وقرأ بها عاصم.
ينظر: «السبعة» (٦٧٧)، و«الحجة» (٦/ ٣٩١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٥٥)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٣٤)، و«شرح الطيبة» (٣/ ١٠٥)، و«العنوان» (٢٠٥)، و«حجة القراءات» (٧٥٦)، و«شرح شعلة» (٦٢١)، و«إتحاف» (٢/ ٦٠٠).

(٣) ينظر: مصادر القراءة السابقة.

سماءً بعد سماءٍ في الإسراء[١]، وقيل: هي عِدَةٌ بالنَّصْرِ أي لتركبَنَّ أمْرَ العربِ قَبِيلاً بعد قَبِيل؛ كما كان، وفي البخاري عن ابن عبَّاس: ﴿لتركبن طبقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ حَالاً بَعْدَ حَالٍ؛ هَكَذَا قَالَ نَبِيُّكُمْ ﷺ[٢]، انتهى، ثم قال تعالى: ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾، أي: ما حجتُهم مع هذهِ البراهين الساطعةِ، و﴿يوعون﴾ معناه: يَجْمَعُونَ من الأعمالِ والتكذيبِ كأنهم يجعلونَها أوعيةٍ، تقول وَعَيْتُ العلم، وأَوْعَيْتُ المتاع، و﴿ممنون﴾ معناه: مقطوع.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥١٥) عن الحسن، وأبي العالية، برقم: (٣٦٨٠٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٤٩)، وعزاه للطيالسي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن عباس بنحوه.
(٢) أخرجه الطبراني (١١/ ١٠١)، (١١١٧٣).

[تفسير] سورة «البروج»

وهي مكية بإجماع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾

الجمهورُ: أنَّ «البروج» هي المنازلُ التي عَرَفَتْهَا العربُ، وقد تقدم الكلامُ عليها، ﴿واليوم الموعود﴾: هو يومُ القِيَامَةِ باتفاق؛ كما جاء في الحديث، وإنما اختلفَ الناسُ في الشاهدِ والمشهودِ اختلافاً كثيراً، فقال ابن عباس: الشاهدُ: اللّهُ/ والمشهودُ: يومُ ٢١٨ أ
القيامة[(١)]، وقال الترمذيُّ: الشاهدُ: الملائكةُ الحفظةُ، والمشهود [أي] عليه: الناسُ، وقال أبو هريرةَ عن النبي ﷺ: الشاهدُ يوم الجمعةِ، والمشهودُ يومُ عرفة، * ت *: ولو صَحَّ لوجبَ الوقوفُ عندَه.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

وقوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ معناه فَعَلَ اللّه بهم ذلكَ؛ لأنَّهم أهل له؛ فهو على جهة الدعاءِ بحسَبِ البشر، لا أنّ اللّه يدعُو على أَحَدٍ، وقيل عن ابن عباس: معناه لُعِنَ وهذا تفسيرٌ بالمعنى، وقال الثعلبي: قال ابن عباس: كل شيء في القرآن ﴿قُتِلَ﴾ فهو: لُعِنَ، انتهى[(٢)]، وقيلَ: هو إخبارٌ بأنّ النارَ قَتَلَتْهُم؛ قاله الربيع بن أنس[(٣)]، * ص *: وجوابُ القَسَم محذوفٌ أي: والسماءِ ذاتِ البروج لَتُبْعَثُنَّ، وقال المبردُ: الجوابُ: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾، وقيل الجوابُ: ﴿قُتِلَ﴾ واللامُ محذوفةٌ أي: لَقُتِلَ، وإذا كانَ ﴿قتل﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٢٢)، (٣٦٨٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٦٧)، وابن عطية (٥/ ٤٦٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥٣)، وعزاه لابن جرير.
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦١).
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦١).

هو الجوابُ فهو خَبَرٌ انتهى، وصَاحِبُ الأخدودِ: مذكورٌ في السِّيَرِ وغيرِها وحديثُه في مُسْلِم مُطَوَّلٌ وهو مَلِكٌ دَعَا المؤمنينَ باللَّهِ إلى الرجوعِ عن دينِهم إلى دينِهِ، وخَدَّ لَهُمْ في الأرْضِ أخَادِيدَ طويلةً؛ وأضْرَمَ لهم ناراً وجَعَلَ يَطْرَحُ فيها من لم يرجعْ عن دينِهِ؛ حتى جَاءَتْ امرأةٌ مَعَها صبيٌّ فَتَقَاعَسَتْ؛ فقال لها الطفل: يا أُمَّهْ؛ اصْبِري فإنَّكِ عَلى الحق، فاقْتَحَمَتِ النارَ.

وقوله: ﴿النار﴾ بدلٌ من الأخدودِ وهو بدلُ اشتمالٍ، قال * ع[(١)] *: وقال الربيع بن أنس وأبو إسحاق وأبو العالية: بعثَ اللَّهُ على أولئك المُؤْمِنينَ رِيحاً فَقَبَضَتْ أرواحَهم أو نحوَ هذا، وخَرَجَتِ النارُ فأحْرَقَتِ الكافرينَ الذينَ كانُوا على حَافَّتَي الأخْدُودِ؛ وعلى هذا يجيءُ ﴿قتل﴾ خبراً لاَ دُعاء[(٢)].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات...﴾ الآية، فَتَنُوهُمْ، أي: أحرقوهم، * ت *: قال الهروي: قولُه تعالى: ﴿فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب
الحريق﴾ أي: لهم/ عذابٌ لكفرِهم وعذابٌ بإِحْرَاقِهم المؤمنينَ، انتهى، قال * ع[(٣)] *: ٢١٨ ب
ومَنْ قَال: إنَّ هذه الآياتِ الأواخِر في قريشٍ جَعلَ الفِتنةَ الامتحانَ والتعذيبَ، ويقوِّي هذا التأويلَ بعضَ التقويةِ قولُه تعالى: ﴿ثم لم يتوبوا﴾، لأنَّ هذا اللفظُ في قريشٍ أشْبَهُ منه في أولئك، والبطشُ: الأخذُ بقوةٍ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

وقوله: ﴿إنه هو يبدىء ويعيد﴾ قال الضحاك وابن زيد: معناه: يُبْدِىءُ الخلقَ بالإنْشَاءِ، ويُعيدُهم بالحَشْرِ[(٤)]، وقال ابن عباس ما معناه: إنَّ ذلكَ عامٌ في جميع الأشْياءِ،

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٦٢).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٢٥)، (٣٦٨٧٥) عن الربيع بن أنس، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٠)، وابن عطية (٥/ ٤٦٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٩٦).
(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٦٢).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٢٨) عن الضحاك، برقم: (٣٦٨٨٥)، وعن ابن زيد برقم: (٣٦٨٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٢).

فهي عبارةٌ على أنَّه يفعلُ كلَّ شيءٍ، أي: يُبْدِىءُ كل ما يُبْدَأُ ويُعِيدُ كلَّ مَا يُعَادُ، وهذانِ قسمانِ يستوفيانِ جميعَ الأشياءِ[(١)]، و﴿الجنود﴾ الجمُوع، و﴿فرعونَ وثمود﴾ في موضعِ خفضٍ على البدلِ من الجنودِ، ثم تركَ القولَ بحالِهِ، وأضْرَبَ عنه إلى الإخبارِ بأن هؤلاء الكفارَ بمحمدٍ وشرعِه؛ لا حجةَ لهم ولا برهانَ؛ بلْ هُو تكذيبٌ مُجرَّدٌ سببُه الحسَدُ، ثم تَوَعَّدَهم سبحانَه بقوله: ﴿واللَّه من ورائهم محيط﴾ أي: عذابُ اللَّهِ ونقمتُه مِن ورائهم، أي: يأتي بَعْدَ كفرِهم وعِصْيانهم، **وقرأ** الجمهورُ: «في لوح محفوظٍ» بالخفضِ صفةً لـ«لوح» **وقرأ** نافعٌ[(٢)]: «محفوظٌ» بالرفعِ، أي: محفوظ في القلوبِ لاَ يدركُه الخطأَ والتبديلُ.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٢).

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٧٨)، و«الحجة» (٦/ ٣٩٦)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٥٨)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٣٦)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٠٦)، و«العنوان» (٢٠٦)، و«حجة القراءات» (٧٥٧)، و«شرح شعلة» (٦٢١)، و«إتحاف» (٢/ ٦٠١).

[تَفْسِيرُ] سُورَةِ «وَالطَّارِقِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝٢ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾

أقسم اللَّهُ تعالى بالسماءِ المعروفةِ في قول الجمهور، وقيل: السماءُ هنا هو المطرُ، ﴿والطارق﴾: الذي يأتي ليلاً، ثم فسَّر تعالى هذا الطارقَ بأنَّه: ﴿النجم الثاقب﴾ واخْتُلِفَ في ﴿النجم الثاقب﴾ فقال الحسنُ/ بن أبي الحسن ما معناه؛ أنه اسمُ جنسٍ؛ لأنها كلَّها ثاقِبة، أي: ظاهرة الضوء، يقال: ثَقُبَ النجمُ إذا أضاء[1]، وقال ابن زيد: أرادَ نَجماً مخصوصاً؛ وهو زُحَلُ[2]، وقال ابن عباس: أراد الجَدْيَ[3]، وقال ابن زيد أيضاً: هو الثُّرَيّا[4]، وجَوابُ القسم في قوله: ﴿إن كل نفس...﴾ الآية، و«إِنْ» هي المخففةُ من الثقيلةِ، واللامُ في «لَمَّا» لامُ التأكيدِ الداخلةِ على الخبرِ؛ هذا مذهبُ حُذَّاقِ البصريين، وقال الكوفيون «إنْ» بمعنى «ما» النافيةِ، واللامُ بمعنى «إلا» فالتقديرُ: ما كلُّ نفسٍ إلا عليها حافظٌ، ومعنى الآيةِ فيما قال قتادة وغيره: إنَّ على كل نفسٍ مكلَّفَةٍ حافظاً يُحْصِي أعمالَها ويُعِدُّهَا للجزاءِ عليها[5]، وقال أبو أمامة قال النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «إِنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَذُبُّونَ عَنْهَا كَمَا يُذَبُّ عَنْ قَصْعَةِ العَسَلِ الذُّبَابُ، وَلَوْ وُكِلَ المَرْءُ إِلَىٰ نَفْسِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ لاخْتَطَفَتْهُ الشَّيَاطِينُ».

١٢١٩ أ

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣٣)، (٣٦٩٠٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٤).

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٤).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣٣)، (٣٦٩٠٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦٠)، وعزاه لابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣٤)، (٣٦٩١٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦٠)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ توقيفٌ لمنكرِي البعثِ على أصلِ الخِلْقَةِ الدالِّ على أن البعثَ جائزٌ ممكن، ثم بادَرَ اللفظَ إلى الجوابِ اقْتِضَاباً وإسْراعاً إلى إقامَةِ الحجة، فقال: ﴿خلق من ماءٍ دافق * يخرج من بين الصلب والترائب﴾ قال الحسن وغيره: معناه: من بينِ صلبِ كلّ واحدٍ من الرجلِ والمرأةِ، وترائبِه[١]، وقال جماعةٌ: من بينِ صلبِ الرجل وترائب المرأةِ [والتَرِيبَةُ من الإنسان: ما بين التَّرْقُوةِ إلى الثدي، قال أبو عبيدة مُعَلَّقُ الحَلْيِ إلى الصَّدْرِ، وقيل غير هذا[٢].

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿[إنه][٣] على رجعه لقادر﴾ قال ابن عباس وقتادة: المعنى أن اللَّهَ عَلى ردِّ الإنسانِ حيًا بعد موتهِ لقادرٌ[٤]، وهذا أظهر الأقوال هنا وأبينُها، و﴿دافق﴾ قال كثير من المفسرين: هو بمعنى مَدْفُوقٍ، والعاملُ في ﴿يوم﴾ الرَّجْعُ من قولهِ: ﴿على رجعه﴾.

و﴿تبلى السرائر﴾ معناه تُخْتَبَرُ وتكشَفُ بواطنُها، ورَوَى أبو الدرداءِ عن النبي ﷺ: أن
/ السرائرَ التي يَبْتَلِيهَا اللَّه من العباد: التوحيدُ، والصلاةُ، والزكاةُ، والغُسْلُ من الجنابةِ، قال ٢١٩ ب
* ع[٥] *: وهذهِ معظَمُ الأمرِ، وقال قتادة: الوجهُ في الآيةِ العمومُ في جميعِ السرائرِ[٦]، ونَقَلَ ابنُ العربي في «أحكامِه» عن ابن مسعود: أنَّ هذه المذكوراتِ [مِنَ] الصلاةِ والزكاةِ والوضوءِ والوديعةِ كلُّها أمَانَةٌ، قال: وأَشَدُّ ذلكَ الوديعةُ تَمْثُلُ له، أي: لمن خَانَها على هيئَتِها يوم أَخَذَها فَتُرْمَى في قَعْرِ جهنمَ، فيقالُ له: أَخْرِجْها، فيتبعُها فيجعلُها في عنقهِ فإذا أراد أن يخرجَ بهَا زَلَّتْ منه فيتبعُها؛ فهو كذلكَ دَهْرَ الداهرينَ، انتهى، * ت *: قال أبو عبيد الهروي: قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ الواحدةُ سَرِيرَةٌ وهي الأعمالُ التي أسرَّهَا

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٥).
(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٥).
(٣) سقط في: د.
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٣٧)، (٣٦٩٣٧) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٣)، وابن عطية (٥/ ٤٦٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦١)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة بنحوه.
(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٦٦).
(٦) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٦).

العبادُ، انتهى، و﴿الرجع﴾ المطرُ وماؤه، وقال ابن عباس: الرجعُ: السحابُ فيه المطرُ[١]، قال الحسنُ: لأنه يَرْجِعُ بالرزقِ كلَّ عام[٢]، وقال غيرُه: لأنه يرجع إلى الأرض، و﴿الصَّدْع﴾ النباتُ؛ لأن الأرضَ تَتَصَدَّعُ عنْه، والضمير في ﴿إنه﴾ للقرآن، و﴿فصل﴾ معناه: جَزْمٌ فَصَلَ الحقائِقَ مِنَ الأباطيلِ، و﴿الهَزْل﴾ اللعِبُ الباطلُ، ثم أخبر تعالى عن قريش أنهم يَكِيدُونَ في أفعالِهم وأقوالِهم بالنبي ـ عليه السلام ـ، و﴿أكيد كيداً﴾ وهذا على مَا مَرَّ من تسميةِ العُقُوبة باسْمِ الذنبِ، و﴿رويداً﴾ معناه: قليلاً؛ قاله قتادة[٣]، وهذهِ حالُ هذهِ اللفظةِ؛ إذا تقدمَها شيءٌ تَصِفُه كقولك: سيراً رويداً، أو تقدمَها فعل يَعْملُ فيها كهذهِ، وأما إذا ابتدأتَ بها فقُلْتَ: رويداً يا فلان؛ فهي بمعنى الأمر بالتَّمَاهُلِ، * ص *: ﴿رويداً﴾ قال أبو البقاء: نَعْتٌ لمصدرٍ محذوفٍ، أي: إمْهَالاً رُوَيْداً، و«رويداً» تَصْغِيرُ «رَوْدٍ» وأنشَد أبو عُبَيْدَةَ: [البسيط]

يَمْشِي ولاَ تَكْلِمُ البَطْحَاءَ مِشْيَتُهُ ... كَأَنَّهُ ثَمِلٌ يَمْشِي عَلَى رَوْدِ

أي: على مَهْلٍ ورِفْقٍ، انتهى.

(١) أخرجه الطبري (١٢/٥٣٨)، (٣٦٩٤٤)، وذكره ابن عطية (٥/٤٦٦)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٤٩٨).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٥٣٨)، (٣٦٩٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/٤٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٥٤١)، (٣٦٩٦٧)، وذكره ابن عطية (٥/٤٦٧).

[تفسيرُ] سُورَةِ «الأعلى»

/ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾

﴿سبح﴾ في هذه الآية بمعنى: نَزِّه وقَدِّسْ وَقُلْ: جَلَّ سبحانَه عن النقائِص والغَيْرِ جميعاً، ورَوَى ابنُ عباس أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية، قالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ»[(١)]، وكان ابن مسعودٍ وابنُ عمرَ وابنُ الزبيرِ يفعلون ذلك، ولما نَزَلَتْ قال النبي ﷺ: «اجْعَلُوهَا في سُجُودِكُم»[(٢)]، وعن سلمةَ بنِ الأكوع قال: مَا سمعتُ النبيَّ ﷺ يَسْتَفْتِحُ دُعَاءً إلاَّ اسْتَفْتَحَهُ بـ«سُبْحَان رَبِّيَ الأَعْلَىٰ الوهَّاب»[(٣)] رواه الحاكم في «**المستدرك**»، وقال: صحيحُ الإسنادِ، انتهى من «**سلاح المؤمن**».

و«سَوَّى» معناه: عَدَّلَ وأتْقَنَ.

وقوله: ﴿فَهَدَىٰ﴾ عامٌّ لوجوهِ الهداياتِ في الإنسانِ والحيوانِ، وقال الفراء: معناه هَدَى وأضَلَّ؛ والعمومُ في الآيةِ أصوبُ، و﴿المَرْعَىٰ﴾: النباتُ، و«الغُثَاء»: مَا يَبِسَ وجَفَّ وتَحَطَّمَ من النباتِ؛ وهو الذي يحمله السيلُ، و«الأَحْوَى» قيلَ هو الأَخْضَرُ الذي عليه سَوَادٌ من شدَّةِ الخُضْرَةِ والغَضَارة، فتقديرُ الآيةِ: الذي أخْرَجَ المَرْعى أحوَى أي أسْوَدَ من خضرتهِ وغَضَارَتِه فجعَله غُثَاءً عِنْدَ يُبْسِه فـ﴿أَحْوَىٰ﴾: حالٌ، وقال ابن عباس: المعنى: فجعله غُثَاءً أحْوَى أي أسْوَدَ؛ لأن الغُثَاءَ إذا قَدِمَ وأَصَابَتْهُ الأمْطَارُ اسْوَدَّ وتَعَفَّنَ

---

(١) ذكره السيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٥٦٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (١/ ٤٩٨). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

فَصَارَ أحوى، فهذَا صفةٌ[١].

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾

وقولُهُ تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ قال الحسنُ وقتادة ومالك بن أنس: هذه الآيةُ في معنى قوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ...﴾ [القيامة: ١٦] الآية، وَعَدَهُ اللَّه أنْ يُقرِئَه وأخبرَه أنه لاَ يَنسى نِسْياناً لا يكونُ بعدَه ذِكر[٢]، وقيل: بلِ المعنى: أنه أمره تعالى بأنْ لا
٢٢٠ ب يَنسَى على معنى التَّثبِيتِ والتأكيدِ، وقال الجنيد: معنى ﴿لا تَنسَى﴾ لاَ تَترُكِ العمَلَ/ بما تَضَمَّنَ مِنْ أمْرٍ ونهيٍ.

وقوله تعالى: ﴿إلا ما شاء اللَّه﴾ قال الحسنُ وغيرُهُ: معناه: مما قَضَى اللَّهُ بِنَسْخِه ورَفْعِ تلاوتِه وحُكْمه[٣]، وقال ابن عباس: ﴿إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾: أنْ يُنسِيَكَهُ؛ لِيُسَنَّ بهِ[٤]؛ عَلَىٰ نَحْوِ قولِه ـ عليه الصَّلاةُ والسلام ـ: «إنِّي لأنْسَىٰ أوْ أُنَسَّىٰ لِأَسُنَّ». قَالَ ❊ ع[٥] ❊: ونسيانُ النبيِّ ﷺ ممتنعٌ فيما أُمِرَ بتبليغهِ؛ إذ هُو معصومٌ فإذا بَلغَهُ وَوَعَى عنه؛ فالنسيانُ جائزٌ على أن يَتذَكَّرَ بعدَ ذلك، أو على أنْ يَسُنَّ، أو عَلى النسخ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾

وقوله تعالى: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ معناه: نَذْهَبُ بك نحوَ الأمورِ المُسْتَحْسَنَةِ في دنياكَ وَأُخْرَاكَ من النَّصْرِ والظَفَرِ، ورِفعةِ الرسالةِ وعلو المنزلةِ يومَ القيامةِ، والرفعةِ في الجنة، ثم أمرَه تعالى بالتَّذكيرِ، قال بعضُ الحذَّاقِ: قوله تعالى: ﴿إن نفعت الذكرى﴾ اعْتِرَاضٌ بَينَ الكلامينِ علىٰ جِهَةِ التوبيخِ لقريشٍ، ثم أخبرَ تعالى أنّه سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ والدارَ الآخِرَة وهمُ العلماءُ والمؤمنونَ، كُلٌّ بقدْرِ ما وُفِّقَ له، ويَتَجَنَّبُ الذِكْرَى ونَفعَها مَنْ سبقتْ له الشَّقَاوَةُ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٤٤)، (٣٦٩٧٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٦٦)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٤٥) عن قتادة، برقم: (٣٦٩٨٢)، وابن عطية (٥/ ٤٦٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٦٧)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٤٥)، (٣٦٩٨١) عن مجاهد، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٩).

(٤) ذكره أبو حيان (٨/ ٤٥٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٦٩).

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٦٩).

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾

وَ﴿تَزَكَّى﴾ معناه: طَهَّرَ نَفْسَه ونماها بالخيرِ، ومِنَ «الأربعين حديثاً» المسندةِ لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري الإمام المحدثِ قال في آخرها: وحديثُ تمام الأربعينَ حديثاً؛ وهو حديثٌ كبيرٌ جامعٌ لكلِّ خيرٍ؛ حدَّثنا أبو بكرٍ جعفرُ بنُ محمدٍ الفِرْيَابِيُّ إملاءً في شهر رجب سنةَ سبعٍ وتسعينَ ومائتين؛ قال: حدثنا إبراهيمُ بنُ هشام بنِ يحيى الغسانيّ قال: حدثني أبي عنْ جدِّي عن أبي إدريسَ الخَوْلاَنِيِّ عَن أَبي ذَرٍّ قالَ: «دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لِلْمَسْجِدِ تَحِيَّةٌ، وَتَحِيَّتُهُ رَكْعَتَانِ؛ قُمْ فَارْكَعْهُمَا، قَالَ: فَلَمَّا رَكَعْتُهُما، جَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ أَمَرْتَنِي بِالصَّلاَةِ،
٢٢١ أ فَمَا الصَّلاَةُ؟/ قَالَ: خَيْرٌ مَوْضُوعٌ، فَٱسْتَكْثِرْ أَوِ ٱسْتَقْلِلْ» الحديثَ، وفيهِ: «قلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ كِتَاباً أَنْزَلَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجلَّ ـ؟ قَالَ: مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ؛ أَنْزَلَ اللَّهُ: عَلَى شِيثَ خَمْسِينَ صَحِيفَةً، وَعَلَى خَانُوخَ ثَلاَثِينَ صَحِيفَةً، وعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عَشْرَ صَحَائِفَ، وأَنْزَلَ عَلَى مُوسَىٰ قَبْلَ التَّوْرَاةِ عَشْرَ صَحَائِفَ، وأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ، وَالإِنْجِيلَ، والزَّبُورَ، وَالفُرْقَانَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَانَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: كَانَتْ أَمْثَالاً كُلُّها: أَيُّهَا المَلِكُ المُسَلَّطُ المُبْتَلَى المَغْرُورُ، إِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيَا بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَلَكِنِّي بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنِّي لاَ أَرُدُّهَا وَلَوْ مِنْ كَافِرٍ، وَكَانَ فِيهَا أَمْثَالٌ: وَعَلَى العَاقِلِ أَنْ تَكُونَ لَهُ سَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٌ يُفَكِّرُ فِي صُنْعِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِلَيْهِ، وَسَاعَةٌ يَخْلُو فِيهَا لِحَاجَتِهِ مِنَ المَطْعَمِ وَالمَشْرَبِ، وَعَلَى العَاقِلِ أَلاَّ يَكُونَ ظَاعِناً إِلاَّ لِثَلاَثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعادٍ، أو مَؤُونَةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ في غَيْرِ مُحَرَّمٍ، وَعَلَى العَاقِلِ أَنْ يَكُونَ بَصِيراً بِزَمَانِهِ، مُقْبِلاً عَلَىٰ شَانِهِ، حَافِظاً لِلِسَانِهِ، وَمَنْ حَسِبَ كَلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ؛ قَلَّ كَلاَمُهُ إِلاَّ فِيمَا يَعْنِيهِ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولِ اللَّهِ، فَمَا كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى؟ قَالَ: كَانَتْ عِبَراً كُلُّهَا: عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالقَدَرِ، ثُمَّ هُوَ يَنْصَبُ، وَعَجِبْتُ لِمَن رَأَى الدُّنْيَا وَتَقَلُّبَها بِأَهْلِهَا؛ ثُمَّ ٱطْمَأَنَّ إِلَيْهَا، وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ غَداً ثُمَّ لاَ يَعْمَلُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ فِي أَيْدِينَا شَيْءٌ مِمَّا كَانَ فِي أَيْدِي إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ؛ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، اقرأْ يَا أَبَا ذَرٍّ ﴿قَدْ أَفْلَحَ
٢٢١ ب مَنْ تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ إِلى آخِرِ هذه/ [السورةِ ـ يعني: أَنَّ ذِكْرَ هٰذِهِ الآيَاتِ لَفِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ـ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَأَوْصِنِي، قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَإِنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي؛ قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلاَوَةِ القُرْآنَ وَذِكْرِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ؛ فَإِنَّهُ ذِكْرٌ لَكَ فِي السَّمَاءِ

وَنُورٌ لَكَ فِي الأَرْضِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زِدْنِي، قَالَ: وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الضَّحِكِ؛ فَإِنَّهُ يُمِيتُ القَلْبَ، ويَذْهَبُ بِنُورِ الْوَجْهِ، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِالجِهَادِ؛ فإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ زِدْنِي، قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلاَّ مِنْ خَيْرٍ؛ فَإِنَّهُ مَطْرَدَةٌ لِلشَّيْطَانِ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَىٰ أَمْرِ دِينِكَ»[1] انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وذكر اسم ربه﴾ أي: وَحَّدَهُ وَصلَّى له الصلواتِ المفروضةَ وغيرَها، وقال أبو سعيد الخدري وغيره: هذه الآيةُ نزلتْ في صَبِيحَةِ يوم الفِطْرِ[2]، فـ﴿تَزَكَّىٰ﴾: أدَّى زكاةَ الفِطْرِ، ﴿وذكرَ اسمَ ربِّهِ﴾ في طريق المُصَلَّى، وصَلَّى صلاةَ العِيد، ثم أَخْبَرَ تعالى النَّاسَ أنهم يؤثِرُونَ الحياةَ الدنيا، وسَبَبُ الإيثارِ حُبُّ العَاجِلِ والجهلُ ببقاءِ الآخرةِ وفَضْلِها، ورَوِّينا في كتابِ الترمذي عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحياءِ، قَالَ: فقلنا: يَا رسولَ اللَّهِ، إنَّا نَستَحِي وَالحَمْدُ للَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذٰلِكَ، وَلٰكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَىٰ، وَتَحْفَظَ البَطْنَ وَمَا حَوَىٰ، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالْبِلَىٰ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»[3] انتهى، قال الغَزَّالِيُّ: وإيثارُ الحياةِ الدنيا طَبْعٌ غالبٌ على الإنسانِ؛ ولذلك قال تعالى: ﴿بل تُؤثِرُونَ الحيوٰة الدنيا﴾ ثمَّ بَيَّنَ سبحانه أن الشَّرَّ قَدِيمٌ في الطباعِ وأن ذلكَ مذكورٌ في الكتُبِ السالِفَة فقال: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾، انتهى من «الإحياء».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٧)، كتاب «صفة القيامة» باب: (٢٤) (٢٤٥٨)، وأحمد (١/ ٣٨٧)، والحاكم (٤/ ٣٢٣)، وأبو نعيم في **«الحلية»** (٤/ ٢٠٩)، والشجري في **«الأمالي»** (٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧)، والطبراني في **«معجمه الكبير»** (١٠/ ١٠٢٩٠) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.
قال الترمذي: هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد ا هـ.
قال المزي في **«تهذيب الكمال»** (٢/ ٥): قال أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز البغدادي، عن يحيى بن معين: ليس به بأس، وقال أحمد بن عبد اللَّه العِجْلي: ثقة.
وقال أبو الفتح الأزدي: متروك ا هـ من **«تهذيب الكمال»**، وقال أيضاً عن الصباح بن محمد بن أبي حازم البَجليّ (١٣/ ١١٠) من **«تهذيب الكمال»**: روى له الترمذي حديثاً واحداً عن مرة عن ابن مسعود: «استحيوا من اللَّه حق الحياء». وقال: غريب إنما نعرفه من هذا الوجه. ا هـ.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وللحديث شاهد من حديث الحكم بن عمير، أخرجه الطبراني (٣/ ٢٤٦)، (٣١٩٢).
قال الهيثمي في **«المجمع»** (١٠/ ٢٧٨): رواه الطبراني وفيه عيسى بن إبراهيم القرشي، وهو متروك.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ قال ابن زيد: الإشارَة بـ«هَذَا» إلى هذينِ الخبرينِ: إفلاحِ مَنْ تَزكّى، وإيثارِ الناسِ للدنيا مَعَ فَضْلِ الآخرة عليها، وهذا هو الأرجَحُ لقرب المشارِ إليه[1]، وعن أُبيِّ بن كعبٍ قال: كانَ رسولُ اللَّه ﷺ يقرأُ في الْوِتْرِ بـ«سبح اسم ربك الأعلى» و«قل يٰأيها الكافرون» و«قل هو اللَّه أحد»؛ فإذا سَلَّمَ قال: سُبْحَانَ المَلِكِ القُدُّوسِ؛ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَمُدُّ صَوْتَهُ في الثَّالِثَةِ، ويَرْفَعُ، رواه أبو داود والنسائي؛ وهذا لفظه، ورَوَاهُ الدارقطني في سُنَنِهِ، ولفظُه: «فَإِذَا سَلَّمَ قَالَ: سُبْحَانَ المَلِكِ الْقُدُّوسِ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ في الأخِيرَةِ، وَيَقُولُ: رَبُّ المَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ»، انتهى من «**السلاح**»، قالَ النووي ورُوِّينا في «**سُنَنِ أبي داودَ**» و«**الترمذي**» و«**النسائي**» عن علي ـ رضي اللَّه عنه ـ أنَّ النبي ﷺ كان يقول في آخر وِتْرِهِ: «اللهمَّ إني أعوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وأعوذ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوْبَتِكَ، وأعوذ بك منكَ، لا أحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنْتَ كَما أثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[2] قال الترمذيُّ: حديث حسن، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٥٤٩)، (٣٧٠٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٧١)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٥٠٢) بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.

تفسير سورة «الغاشية»

وهي مكية بإجماع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾

قال بعض المفسرين: ﴿هَلْ﴾ بمعنى «قَدْ» وقال الحُذَّاق: هي على بابها توقيفٌ فائدتُه تَحْرِيكُ نَفْسِ السامعِ إلى تَلَقِّي الخَبَرِ، و﴿الغَاشِيَة﴾ القيامة، لأنها تَغْشَى العالَم كلَّه بهَوْلِها، والوجوهُ الخاشعةُ هي وجوهُ الكُفَّارِ وخشوعُها ذلُّها وتغييرُها بالعذاب.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿عاملة ناصبة﴾ قال الحسن وغيره: لم تعملْ للَّهِ في الدنيا فأعْمَلَهَا وأَنْصَبَها في النارِ، والنَّصَبُ التَّعبُ[١]، وقال ابن عباس وغيره: المعنى عاملَةٌ في الدنيا ناصِبَةٌ فِيها على غير هُدًى فَلا ثَمَرَةَ لَعملِها، إلا النَّصَبُ، وخاتمتُه النارُ[٢]، قالوا: والآية في القِسِّيسِينَ وكلِّ مجتهدٍ في كُفْرٍ، وقرأ أبو بكر عن عاصم وأبو عمرو «تُصْلَى» - بضم التاءِ والباقونَ بفتحها[٣] - والآنيةُ: التي قد انتَهى حرُّها كما قال تعالى ﴿وبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمٰن: ٤٤] وقال ابن زيد: آنية: حَاضِرَة[٤]، والضريعُ: قال الحسن وجماعةٌ: هو الزَّقُّوم[٥]، وقال ابن عباسٍ وغيرهُ: الضريعُ شِبْرِقُ النار[٦]، وقال النبي ﷺ الضريعُ شَوْكٌ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥١) (٣٧٠١٠)، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٨) بنحوه.

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٤٧٨). وذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٢).

(٣) ينظر: «السبعة» (٦٨١)، و«الحجة» (٦/ ٣٩٩)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٦٩)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٤٠)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٠٩)، و«العنوان» (٢٠)، و«حجة القراءات» (٧٥٩)، و«شرح شعلة» (٦٢٢)، و«إتحاف» (٢/ ٦٠٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥٢)، (٣٧٠٢٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٧٣)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٧٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥٢)، (٣٧٠٢١)، وذكره البغوي (٤/ ٤٧٨)، وابن عطية (٥/ ٤٧٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٧٣)، وعزاه لعبد بن حميد عن ابن عباس.

في النارِ، * ت *: وهذا إنْ صَحَّ فلا [يُعْدَلُ] عنه، وقيل غير هذا، ولما ذَكَر تعالى وجوهَ أهلِ النار عَقَّبَ ذلك بذكرِ وجوه أهل الجنة ليبيِّنَ الفرقَ، وقولُه تعالى: ﴿لِسَعْيِهَا﴾ يريدُ لَعَمَلِهَا في الدنيا وطاعتها، والمعنى لِثَوابِ سَعْيِها؛ والتَّنْعِيمُ عليه، ووصفَ سبحانَه الجنةَ بالعُلُوِّ وذلك يصحُّ من جهة المسَافَةِ والمكانِ، ومن جهة المكانَةِ والمنزلةِ أيضاً.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ قيل: المعنى كلمة لاغيةٌ، وقيل جماعةٌ لاغية، أو فِئَة لاغيةٌ، واللَّغوُ سَقَطُ القَوْلِ، قال الفخر[1]: قوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ أي عاليَة في الهواء؛ وذلك لأجل أن يَرَى المؤمن إذا جلسَ عليها جميعَ ما أعطاه اللَّه تعالى في الجنةِ من النعيم والمُلْكِ، قال خارجة بن مصعب: بلغَنا أن بعضَها فَوقَ بعضٍ فترتفعُ ما شاءَ اللَّه؛ فإذا جَاء وليُّ اللَّهِ ليجلسَ عليها تَطَامَنَتْ له فإذا استَوَى عليهَا ارْتَفَعَتْ إلى حيثُ شاءَ اللَّه سبحانه، انتهى.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وأكواب موضوعة﴾ أي: بِأَشْرِبتِها مُعَدَّةٌ، والنَمْرَقَةُ: الوسادةُ، والزَّرَابِيُّ: واحدها زُرْبِيَّةٌ، وهي كالطَّنَافِسِ لها خَمْلٌ؛ قاله الفراء[2]، وهي ملوَّنَاتٌ و﴿مَبْثُوثَة﴾ معناه كثيرةٌ متفرقة، ثم وقفَهم سبحانه على مواضِع العبرةِ في مخلوقاتِهِ، و﴿الإبل﴾ في هذه الآيةِ هي الجِمالُ المعروفةُ هذا قول الجمهور، وفي الجَمَلِ آياتٌ وعبر لِمَن تَأَمَّلَ،/ وكان شُرَيْحُ ٢٢٢ أ
القاضي يقول لأصحَابِهِ: اخْرُجوا بنا إلى الكِنَاسَةِ، حتى ننظرَ إلى الإبل كيف خلقتْ[3]، وقال المبردُ: الإبلُ هُنَا السحابُ لأَنَّ العربَ قد تسميها بذلك، إذ تأتي أَرْسَالاً كالإبل، و﴿نُصِبَتْ﴾: معناه: أُثْبِتَتْ قائِمَةً في الهواءِ، وظاهرُ الآية أنّ الأرْضَ سَطْحٌ لا كرةٌ[4]، وهو الذي عليه أهلُ العلم، وقد تقدم الكلامُ على هذا المعنى، ثم نَفَى أن يكونَ النبي ﷺ مُصَيْطِراً على الناسِ، أي: قاهرًا جابراً لهم مع تَكَبُّرٍ مُتَسَلِّطاً عليهم.

---

(١) ينظر: «الفخر الرازي» (٣١/ ١٤٢).
(٢) ذكره البغوي (٤/ ٤٧٩)، وابن عطية (٥/ ٤٧٤).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥٦)، (٣٧٠٤٤)، وذكره البغوي (٤/ ٤٨٠)، وابن عطية (٥/ ٤٧٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٧٥)، وعزاه لابن حميد عن شريح بنحوه.
(٤) وهو الذي تراه العين ظاهراً، ولا يخفى أن حقيقة الأرض بيضاوية.

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿إلا من تولى وكفر﴾ قال بعض المتأولين: الاستثناءُ متصلٌ، والمعنى: إلا مَنْ تولى فإنَّكَ مُصَيْطِرٌ عليه، فالآيةُ على هذا لا نَسْخَ فيهَا، وقال آخرون: الاستثناء مُنْفَصِلٌ، والمعنى: لست عليهم بمصيطرٍ لَكِنَّ مَنْ تَولَّى وكفر فيعذبه اللَّه، وهِي آيةُ مُوَادَعَةٍ مَنْسُوخَةٌ بالسَّيْفِ وهذا هو القولُ الصحيحُ؛ لأنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ والقِتَالُ إنَّما نَزَلَ بالمدينةِ * ص *: وقرأ زيد بن أسْلَم: «ألا من تولّى»: حرف تنبيه واستفتاح، انتهى،
٢٢٢ ب وقال ابن العربي في «أحكامِه»: روى الترمذيُّ وغيرُهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّه، فإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دَمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»[1]، ثم قرأ: ﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر﴾ مفسِّراً معنى الآيةِ وكاشفاً خفاءَ الخفاءِ عنها، المعنى: إذا قال الناسُ: لا إله إلا اللَّه فَلَسْتَ بمسلَّطٍ على سَرَائِرِهم وإنما عَلَيْكَ الظاهِرُ، وَكِلْ سرائرَهم إلى اللَّه تعالى، وهذا الحديثُ صحيحُ المعنى، واللَّه أعلم، انتهى، ، ﴿وإيابهم﴾: مصدرٌ مِنْ آبَ يَؤُوبُ: إذَا رَجَعَ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٥٨)، (٣٧٠٥٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٨١)، وابن عطية (٥/ ٤٧٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٧٨)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

[تفسير] سُورَةِ «الفَجْر»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ عِنْدَ الجمهُورِ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، والأَوَّلُ أَصَحُّ وأَشْهَرُ

/ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④﴾

الفَجْرُ هنا عند الجمهور: هو المشهورُ المعروفُ الطالِعُ كلَّ يوم، وقال ابن عباس وغيره: الفجرُ الذي أقسَم اللّه به صلاةُ الصبحِ، وقيل غيرُ هذا. [واخْتُلِفَ في الليالي العشرِ فقيلَ: العشرُ الأُوَلُ مِنْ رمضانَ، وقيلَ: العشرُ الأواخِر منه، وقيل: عَشْرُ ذي الحجةِ، وقيل: غيرُ هذا][(١)] واللّه أعلم بما أراد، فإن صحَّ عن النبي ﷺ شيءٌ في هذا صِيْرَ إليْهِ، واخْتُلِفَ في «الشَّفْعِ وَالْوتر» ما هما؟ على أقوالٍ كثيرةٍ، ورَوى عمرانُ بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: «هي الصلواتُ منها الشَّفْعُ ومنها الوَتْرُ»[(٢)]، وسري الليل: هو ذهابُه وانقراضُه؛ هذا قولُ الجمهورِ، وقيل: المعنى: إذا يسري فيه.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ⑤ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ⑭﴾

﴿هل في ذلك قسم لذي حِجْرٍ﴾ أي: هل في هذه الأقسامِ مُقْنِعٌ لذي عقل؟ ثم وقَفَ تعالى عَلى مصارِعِ الأُمَمِ الخاليةِ «وعاد»: قبيلة بِلاَ خلافٍ، واختلفَ في: «إرَمِ» فقال

(١) سقط في: د.
(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٠)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة الفجر (٣٣٤٢)، وأحمد (٤/ ٤٣٨)، (٤/ ٤٤٢)، والطبراني (١٨/ ٢٣٢)، والحاكم (٢/ ٥٢٢).
قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث قتادة. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

مجاهدٌ: هي القبيلةُ بعَيْنِها[١]، وقال ابن إسحاق: إرم: هو أبو عادٍ كلِّها[٢]، وقال الجمهور: إرم: مدينةٌ لهم عظيمةٌ كانَتْ عَلَى وجهِ الدَّهرِ باليَمَنِ، واخْتُلِفَ في قوله تعالى: ﴿ذَاتِ العِمَادِ﴾ فمن قال: إرم مدينةٌ قال: العمادُ أَعْمِدَة الحجارةِ التي بُنِيَتْ بها، وقيلَ القُصورُ العالية، والأبراجُ يقال لها عِمَادٌ، ومَنْ قَال إرم قبيلةٌ قال: العماد إما أَعْمِدَةُ بنيانهم، وإما أَعْمِدَةُ بيوتِهم التي يَرْحَلُونَ بها؛ قاله جماعةٌ والضميرُ في ﴿مِثْلُها﴾ يعودُ إما على المدينةِ وإما على القبيلةِ.

و﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾ معناه: خَرَقُوه ونَحَتُوه، وكَانُوا في وادِيهم قد نَحَتُوا بيوتَهم في حجارةٍ، و﴿فِرْعَوْنَ﴾ هو فِرْعَونُ مُوسىَ، واختلِفَ في أوتادِهِ فقيل: أبنيتُه العاليةُ، وقيلَ جنودُه الذينَ بهم يُثَبِّتُ ملكَه، وقيل/ المرادُ أوتادُ أخبيةِ عساكرِه، وذُكِرَتْ لكثرتِها؛ قاله ابن ٢٢٣أ
عباس[٣]، وقال مجاهد: كان يُوتِدُ الناس بأوتادِ حديدٍ، يَقْتلُهُم بذلك: يَضْرِبُها في أَبْدَانِهِم حَتَّى تنفُذَ إلى الأرضِ[٤]، وقيلَ: غيرُ هذا، والصَّبُّ مستعملٌ في السوطِ وإنما خُصَّ السوطُ بأنْ يُسْتَعَارَ للعذابِ؛ لأنه يقتضِي من التَّكْرارِ والتَّرْداد ما لا يقتضيه السيفُ، ولاَ غيرُه وقال بعض اللُّغويينَ: السَّوْطُ هنا مصدرٌ من سَاطَ يَسُوطُ إذَا خَلَطَ فكأَنه قال خَلْطُ عَذَابٍ.

* ص *: قال ابن الأنباري: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ هُو جوابُ القَسَمِ، وقيل: محذوفٌ، وقيل: الجوابُ: ﴿هل في ذَلِكَ﴾ و﴿هَلْ﴾ بمعنى «إنّ» وليس بشيء، انتهى، و﴿المِرْصَادُ﴾ والمَرْصَدُ: مَوْضِعُ الرَّصْدِ، قاله بعض اللغويين، أي: أَنَّه تعالى عنْدَ لسانِ كل قائلٍ ومَرْصَدِ لكلِّ فاعلٍ، وإذا عَلِمَ العبدُ أَنَّ مولاه له بالمرصادِ ودَامَتْ مراقبتُه في الفؤادِ، حَضَره الخوفُ والحذر لا محالةَ، ﴿واَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا في أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] قال أبو حامد في «الإحياء»: وبحسبِ معرفةِ العبد بِعيوبِ نفسهِ، ومعرفتهِ بجلالِ ربه وتعاليه واستغنائِه، وأنه لا يُسْأَلُ عما يفعلُ؛ تَكُونُ قوةُ خوفِه، فأخوفُ الناسِ لربه أعرفُهم بنفسِهِ وبربهِ، ولذا قَال ﷺ: «أنا أخوفُكم للّه»، ولذلكَ قال تعالى: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ثم إذا كَمُلَتِ المعرفةُ أورثتِ الخوفَ واحتراقَ القلبِ، ثم

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٧).
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٦٧)، (٣٧١٣٠)، وذكره البغوي (٤/ ٤٨٢)، وابن عطية (٥/ ٤٧٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٨٣)، وعزاه لابن المنذر عن السدي.
(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٨).
(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٧٠)، (٣٧١٥٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٧٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٠٨) بنحوه.

يُفِيضُ أَثَرُ الحُرْقَةِ من القلبِ على البَدَنِ فَتَنْقَمِعُ الشهواتُ، وتحترقُ بالخوفِ، ويحصُلُ في القلبِ الذبولُ والخشوعُ والذِّلَّةُ والاستكانةُ، ويصيرُ العبدُ مستوعبَ الهَمِّ بخوفِه والنظرِ في خطرِ/ عاقبتِه؛ فلا يتفرغُ لغيرِهِ، ولا يكونُ له شُغل إلا المراقَبَة والمحاسبَة والمجاهدَة ٢٢٣ ب
والضِّنَّة بالأنفَاسِ واللحظاتِ، ومؤاخَذَة النفسِ في الخَطَراتِ والخُطُواتِ والكلماتِ، ثم قال: واعلَمْ أنه لاَ تَنْقَمِعُ الشهواتُ بشيءٍ كما تنقمع بنَارِ الخَوْفِ، انتهى.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه...﴾ الآية، ذَكَرَ تَعالى في هذهِ الآيةِ ما كانتْ قريشٌ تقولُهُ وتستدلُّ به على إكرامِ اللَّه وإهانَتِهِ لعبدهِ، وجَاءَ هذا التوبيخُ في الآيةِ لجنس الإنسان، إذ قد يقعُ بعضُ المؤمنينَ في شيء من هذا المَنْزَع، و﴿ابْتَلاَهُ﴾ معناه: اخْتَبَرَهُ، و﴿نَعَّمَه﴾ أي جَعَلَهُ ذَا نِعْمَةٍ.

و«قَدَرَ» بتخفيفِ الدال بمعنى: ضَيَّقَ، ثم قال تعالى: ﴿كَلاَّ﴾ ردّاً على قولِهم ومعتقدهم، أي: ليس إكرامُ اللَّهِ تعالى وإهانته كذلِكَ، وإنما ذلك ابتلاءٌ فَحَقُّ من ٱبْتُلِيَ بالغنى أن يشكرَ ويطيعَ، ومَنْ ٱبْتُلِيَ بالفَقرِ أن يشكرَ ويصبرَ، وأما إكرامُ اللَّه فهو بالتقوى وإهانَتُهُ فبالمعصيةِ، و﴿طَعَام﴾ في هذهِ الآيةِ بمعنَى: إطعام، ثم عدَّدَ عليهم جِدَّهم في أكل التراثِ، لأنهم كانوا لا يُورِّثُونَ النِّسَاءَ ولاَ صغارَ الأولادِ، وإنما كان يأخُذُ المالَ مَنْ يقاتِلُ ويَحْمِي الحَوْزَةَ، و«اللَّمُّ» الجَمْعُ واللَّفُّ، قال الحسن: هو أن يأْخُذَ في الميراثِ حظَّه وحظَّ غيرِه[1]، والجَمُّ الكثيرُ الشديدُ؛ ومنه قول الشاعر: [الرجز]

إنْ تَـغْـفِـرِ الـلَّـهُـمَّ تَـغْـفِـرْ جَـمّـا وَأَيُّ عَـبْـدٍ لَـكَ لاَ أَلَـمَّـا[2]

ومنه الجَمُّ من الناس، ودَكُّ الأَرْضِ تسويتُها.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٧٤)، (٣٧١٧١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٨٦)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن الحسن بنحوه.

(٢) تقدم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ معناه جَاءَ أَمرُهُ وقضاؤه، وقال منذرُ بنُ سعيد: معناه ظهورُه للخَلْقِ، هنالك؛ ليس مجيءَ نَقْلَةٍ وكذلك مجيءُ الصاخَّةِ، ومجيء الطامةِ[١]،
٢٢٤أ والمَلَكُ اسم جنس يريد به جميعَ الملائِكة، و﴿صَفًّا﴾/ أي صُفُوفاً حولَ الأَرْضِ يوم القيامة على ما تقدم في غير هذا الموضع، و﴿جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ رُوِيَ في قوله تعالى: ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ بأنها تساقُ إلى المحشر بسبعينَ ألفِ زِمَام يُمْسِكُ كلَّ زِمَام سَبْعُونَ أَلفَ مَلَكٍ، فيخرجُ منها عُنُقٌ فينتقي الجبابرةَ من الكفارِ، في حديثٍ طويلٍ باختلافِ ألفاظ.

وقوله تعالى: ﴿يومئذ يتذكر الإنسان﴾ معناه: يتذكر عصيانَه وما فاتَه من العمل الصالحِ، وقال الثعلبي: «يومئذ يتذكر الإنسان» أي يتَّعِظُ ويتوبُ، «وأنى له الذكرى»، انتهى.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

وقوله: ﴿يا ليتني قدمت لحياتي﴾ قال الجمهور: معناه لحياتي الباقيةِ يريدُ في الآخِرَة.

﴿فيومئذ لا يعذب عذابه أحد﴾ أي لا يعذِّبُ كَعَذَابِ اللَّه أَحَدٌ في الدنيا، ولا يُوثِقُ كَوَثَاقِه أحَد، ويحتمل المعنى أنَّ اللَّهَ تعالى لا يَكِلُ عذابَ الكافرِ يومئذ إلى أحد، وقرأ الكسائيُّ ـ بفتح الذالِ والثاءِ[٢] ـ أي: لا يعذَّبُ كعذَابِ الكافر أحَدٌ مِنَ الناسِ، ثم عقَّبَ تعالى بذكر نفوس المؤمنينَ وحالهم فقال: ﴿يأيتها النفس المطمئنة﴾ الآية، والمطمئنةُ معناه: الموقِنَةُ غايةَ اليَقِينِ، ألا ترى قَوْلَ إبراهيمَ ـ عليه السلام ـ ﴿ولَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فهي درجةٌ زائدةٌ على الإيمانِ، واخْتُلِفَ في هذا النداءِ: متى يقع؟ فقال جماعة: عند خروجِ رُوح المؤمنِ، ورُوِي في ذلك حديثٌ، و﴿في عِبَادِي﴾ أي: في عِدَاد عِبَادي الصالحينَ، وقال قوم: النداءُ عند قيام الأجْسَادِ من القبور، فقولُه: ﴿ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ معناه بالبعثِ، و«ادْخُلِي في عِبَادي» أي في الأَجْسَادِ، وقيل: النداءُ هو الآنَ

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٨١).
(٢) ينظر: «السبعة» (٦٨٥)، و«الحجة» (٦/ ٤١١)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٨٠)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٤٥)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١١١)، و«العنوان» (٢٠٩)، و«حجة القراءات» (٧٦٣)، و«شرح شعلة» (٦٢٤)، و«إتحاف» (٢/ ٦٠٩).

للمؤمنينَ، وقال آخرونَ: هذا النداء إنما هو في المَوْقِفِ عندما يُنْطَلَقُ بأهل النار إلى النار.

✽ ت ✽: ولا مانِع/ أن يكونَ النداءُ في جميعِ هذه المواطِنِ، ولما تكلَّمَ ابن عطاء اللَّه في مراعاة أحوال النفس قال: رُبَّ صاحبِ وِرْدٍ عَطَّلَه عن وِرْدِهِ والحضورِ فيه مع ربه هَمُّ التدبيرِ في المعيشةِ وغيرها من مصالحِ النفسِ، وأنواع وَسَاوِسِ الشيطان في التدبيرِ لا تَنْحَصِرُ، ومتى أعطاكَ اللَّه سُبحانه الفَهْمَ عنه عرَّفَكَ كَيْفَ تَصْنع، فَأَيُّ عبدٍ توفَّر عقلُه واتَّسَعَ نورُه نزلت عليه السكينةُ من ربّه فسكنَتْ نفسُهُ عن الاضطِرَابِ، وَوَثِقَتْ بِوَلِيِّ الأسبابِ، فكانت مطمئنةً، أي: خامِدَةً ساكنةً مستسلمةً لأحكام اللَّهِ ثابتةً لأقدارِهِ وممدودةً بتأييدِه وأنوارِه، فاطمأنَّتْ لمولاَها؛ لعلمِها بأنه يَرَاهَا: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] فاستحَقَّتْ أنْ يقالُ لها: ﴿يأيتها النفس المطمئنة ✽ ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ وفي الآية خصائصُ عظيمةٌ لَها مِنها ترفيعُ شأنِها بتَكْنِيَتِها ومَدْحِها بالطُّمْأنينَةِ ثَنَاءً منه سبحانه عليها بالاستسلام إليه والتوكلِ عليه، والمطمئنُّ المنخفضُ من الأرضِ، فلما انخفضتْ بتَواضُعِهَا وانكسارِها؛ أثْنَى عليها مولاَها، ومنها قوله: ﴿رَاضِيَةً﴾ أي: عن اللَّهِ في الدنيا بأحكامِه، و﴿مَرْضِيَّةً﴾ في الآخرةِ بِجُودِهِ وإنعامِه، وفي ذلك إشارةٌ للعَبْدِ أَنه لا يَحْصُل له أنْ يكونَ مَرْضِيًّا عند اللَّه في الآخرةِ حتى يكونَ راضِياً عن اللَّهِ في الدنيا، انتهى من «**التنوير**». ٢٢٤ ب

[تفسير] سورة «البلد»

وهي مكية في قول الجمهور وقيل مدنية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾

١٢٢٥ أ قوله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ الكلامُ في لا تقدم في/ ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القيامة: ١] والبَلَدُ هو: «مكة».

وقوله تعالى: ﴿وأنتَ حِلٌّ﴾ قال ابن عباس وجماعة: معناه وأنت حَلاَلٌ بهذا البلد، يحلُّ لك فيه قَتْلُ من شئتَ، وكان هذا يومُ فَتْحِ مكة، وعلى هذا يتركبُ قولُ مَنْ قال: السورة مدنية نَزَلَتْ عَامَ الفتح[١]، وقال آخرون: المعنى وأنتَ حَالٌّ ساكنٌ بهذا البلد.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾

وقوله تعالى: ﴿ووالد وما ولد﴾ قال مجاهد: هو آدم وجميع ولدهِ[٢]، وقال ابن عباس: ما معناه أنّ الوالدَ والولدَ هنا على العمُوم فهي أسماء جِنْسٍ يَدْخل فيها جميعُ الحيوانِ[٣]، والقَسَمُ واقع على قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ قال الجمهور: الإنْسَانُ اسم جنسٍ والكَبَدُ المشقةُ والمكَابَدَةُ، أي: يُكَابِدُ أمرَ الدنيا والآخرة، ورُوِيَ: أن سببَ نزولِ هذه الآية رَجُلٌ من قريشٍ يقال له أبو الأَشَدِّ، وقيل نزلتْ في عمرو بن عبد ود،

(١) أخرجه الطبري (١٢/٥٨٥)، (٣٧٢٣١)، وذكره ابن عطية (٥/٤٨٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٥١١)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه للحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٥٨٦)، (٣٧٢٤٨)، وذكره ابن عطية (٥/٤٨٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٥١١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٥٩٣)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٥٨٦)، (٣٧٢٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/٤٨٣).

وقال: مقاتل: نَزَلَتْ في الحارثِ بن عامر بن نوفل؛ أذنبَ فاستفتى النبي ﷺ فَأَمَرَهُ بِالكَفَّارَةِ، فَقَالَ: لَقَدْ أَهْلَكْتُ مَالاً في الكفارات وَالنفقَاتِ، مُذْ تَبِعْتُ مُحَمَّداً، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قد ٱدَّعَىٰ أَنَّهُ أَنْفَقَ مَالاً كَثِيراً عَلَىٰ إِفْسَادِ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ في الكَفَّارَاتِ عَلَىٰ مَا تَقَدَّمَ.

وقوله: ﴿أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾ أي: أنفقْتُ مالاً كثيراً، ومن قال: أَن المرادَ اسمُ الجِنْسِ غيرُ معينٍ، جَعَلَ قولَه: ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ بمعنى: أيظُنُّ الإِنسانُ أن لَيس عليه حفظةٌ يرون أعمالَه ويُحْصونَها؛ إلى يوم الجزاء، قال السهيلي: وهذه الآيَةُ وإن نزلت في أبي الأشد فإن الألفَ واللامَ في الإنسان للجنسِ، فيشتركُ مَعَهُ في الخِطابِ كلّ من ظن ظنه وفعل مثلَ فِعْلِه/ وعلى هذا أكثرُ القُرْآنَ، يَنْزِل في السَّبَبِ الخاصّ بلفظٍ عام يتناولُ ٢٢٥ ب
المَعْنَى العام انتهى، وخرَّج مسلم عن أبي برزة قَال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: لاَ تَزُولُ قَدَمَا العَبْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَع: عَنْ عُمْرِه فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ به، وَعَنْ مَالِهِ، مِنْ أَيْنَ ٱكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ»[1]، وخرَّجه أيضاً الترمذيُّ وقال فيه: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[2]، انتهى، **وقرأ الجمهور**[3]: ﴿لُبَداً﴾ أي: كثيراً متلبِّداً بعضُه فوقَ بعضٍ، ثم عدَّدَ تعالى علَى الإنسانِ نَعَمَه في جوارِحه، و﴿النَّجْدَيْنِ﴾: قال ابن عباس والناسُ: هما طريقَا الخَيْرِ والشرِّ، أي: عَرَضْنَا عليه طريقَهما، وليستِ الهداية هنا بمعنى الإرْشَادِ[4]، وقال الضحاكُ: النَّجْدَانِ ثَدْيَا الأُمِّ، وهذا مثالٌ، والنجْدُ: الطريقُ المرتفعُ[5].

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ١٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٨٦) (١٧٨٥).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٩): رواه الطبراني والبزار بنحوه ورجال الطبراني رجال «الصحيح» غير صامت بن معاذ، وعدي بن عدي الكندي وهما ثقتان.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٢)، كتاب «صفة القيامة» باب: في القيامة (٢٤١٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٧٦)، (١٧٨٤) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه.
وفي الباب عن أبي برزة رضي اللَّه عنه: أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٢)، كتاب «صفة القيامة» باب: في القيامة (٢٤١٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٣٢)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٢٨)، (٧٤٣٤).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤٨٤)، و«البحر المحيط» (٨/ ٤٧٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٢٥).

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩١)، (٣٧٢٩٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٢) بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩١) (٣٧٣٠٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٨٩)، وابن عطية (٥/ ٤٨٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٥)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس رضي اللَّه عنه.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾

وقوله تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ الآية، قولهُ «فَلاَ» هو عند الجمهورِ تحضيضٌ بمعنى: ألا اقتحم، والعقبةُ في هذه الآيةِ عَلى عُرْفِ كلامِ العَرَبِ استعارةٌ لهذا العمل الشاقِّ على النفسِ، من حيثُ هو بذلُ مالٍ، تشبيهٌ بعقبةِ الجبَلِ، و﴿اقْتَحَمَ﴾: معناه: دَخَلَهَا وجَاوَزَها بسرعةٍ وضَغْط وشدة، ثم عَظَّم تعالى أمر العقبةِ في النفوس بقولهِ: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ ثمَّ فَسَر اقتحَامَ العقبةِ بقوله: ﴿فك رقبة﴾ الآية، وهذا على قراءةِ مَنْ قرأ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ بالرفع على المَصْدَرِ وأما من قرأ: «فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ» عَلَى الفعلِ، ونَصَبَ الرقبةَ، وهي قراءةُ أَبي عمرو[1]، فليسَ يحتاجُ أن يُقَدَّرَ: وما أدرَاكَ ما اقتحامٌ بلْ يكونُ التعظيمُ للعقَبةِ نَفْسِها ويجيءُ ﴿فَكُّ﴾ بَدَلاً من ﴿اقتحمَ﴾ ومبيِّناً له، وفَكُّ الرقَبةِ هو عَتْقُها من رِبْقَةِ
٢٢٦أ الأسرِ أو الرِّقّ، وفي الحديث/ عن النبي ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ نَسَمَةً مؤمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْواً مِنْهُ مِنَ النَّارِ»[2]، والمَسْغَبَةُ: المجاعَةُ، والساغِبُ: الجائعُ و﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: معناه: ذَا قَرَابَةٍ؛ لتجتمعَ الصدقةُ والصلة، و﴿ذا متربةٍ﴾: معناه: مُدْقَعاً قَدْ لَصِقَ بالترابِ وهذا ينحو إلى أنّ المسكينَ أشَدُّ فاقةً مِنَ الفقيرِ، قال سفيانُ: هم المَطْرُوحُونَ على ظهرِ الطريقِ قُعُوداً على الترابِ لا بُيُوتَ لهم[3]، وقال ابن عباس: هو الذي يَخْرُجُ من بيته ثم يَقْلِبُ وجهَه إلى بيته مستيقناً أنه ليسَ فيه إلا التراب[4].

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿اقْتَحَمَ﴾ والمعنى: ثم كان وقتَ اقتحامِه العقبةَ من الذين آمنوا.

---

(١) وهي قراءة ابن كثير والكسائي.
ينظر: «السبعة» (٦٨٦)، و«الحجة» (٦/ ٤١٣)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٤٧)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١١٤)، و«العنوان» (٢١٠)، و«حجة القراءات» (٧٦)، و«شرح شعلة» (٦٢٤)، و«إتحاف» (٢/ ٦١٠).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩٦)، (٣٧٣٤٤) عن ابن عباس، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٧)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩٦)، (٣٧٣٤٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

وقوله تعالى: ﴿وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ﴾ معناه: على طاعةِ اللَّهِ وبلائِه وقضائِه وعن الشهواتِ والمعاصِي، و﴿المَرْحَمَةُ﴾ قال ابن عباس: كلُّ ما يؤَدِّي إلى رحمةِ اللَّهِ تعالى[1]، وقال آخرون: هو التراحمُ والتعاطُفُ بينَ الناسِ، وفي ذلك قِوَامُ الناس؛ ولو لم يتراحموا جُمْلَةً لَهَلَكُوا، وَ﴿المَيْمَنَةَ﴾، فيما رُوِيَ عن يمينِ العرشِ وهو موضِع الجنَّةِ، ومكانُ المرحومِينَ من الناس، و﴿المشأَمَةَ﴾: الجانب الأشْأَمُ وهُو الأَيْسَرُ؛ وفيه جهنَّم؛ وهو طريقُ المعذبينَ، و﴿مُؤْصَدَة﴾ معْناه: مُطْبَقَة مغلقة.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٤٨٦).

[تفسيرُ] سُورَةِ «الشَّمْسِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾

أقْسَمَ اللَّهُ تعالى بالشمسِ: إما على التنبيهِ منها على الاعتبارِ المؤدِّي إلى معرفةِ اللَّهِ تعالى، وإما على تقديرِ وربِّ الشمسِ، والضُّحَى - بالضم والقصرِ -: ارتفاعُ ضوء الشمسِ وإشراقُه، قاله مجاهد[1] وقال مقاتل: ﴿ضحاهَا﴾ حَرُّها كقوله في طه: ﴿ولا تَضْحَى﴾ [طه: ١١٩]، والضَّحَاءُ - بفتح/ الضادِ والمَدِّ -: ما فَوْقَ ذلك إلى الزَّوالِ، والقَمَرُ ٢٢٦ ب
يَتلو الشمسَ من أول الشّهرِ إلى نصفِه في الغروبِ تغربُ هي ثم يغربُ هو، ويتلُوها في النصفِ الآخر بنحو آخرَ وهو أن تغربَ هي فيطلع هو[2]، وقال الحسنُ: ﴿تلاها﴾ معناه تَبعها دَأْباً في كل وقت لأنَّه يستضيءُ منها فهو يتلوها لذلك[3]، وقال الزجاج وغيره: تلاها في المنزلةِ من الضياءِ والقَدْرِ: لأنَّه ليس في الكواكبِ شيءٌ يتلو الشمسَ في هذا المعنى غيرُ القمرِ.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾

وقولهُ: ﴿والنَّهَارِ﴾ ظاهرُ هذهِ السورةِ والتي بعدَها أن النَّهارَ من طلوعِ الشمسِ، وكذلك قال الزجاج في كتاب «الأنواء» وغيرُه، واليوم من طلوعِ الفجر، ولا يُخْتَلَفُ أَنَّ نِهَايَتَهُمَا مَغِيبُ الشَّمْسِ، والضمير في ﴿جلاها﴾ يحتملُ أنْ يعودَ على الشمسِ، ويحتملُ أَنْ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٥٩٩)، (٣٧٣٥٨)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩١)، وابن عطية (٥/ ٤٨٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٨)، وعزاه للحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس بنحوه.

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٤٩١)، وابن عطية (٥/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٠) عن مجاهد برقم: (٣٧٣٦٠)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٠)، وعزاه لابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس.

يعودَ على الأَرْضِ، أو على الظُّلْمَةِ، وإنْ كان لم يَجْرِ لذلك ذِكْرٌ، فالمعنَى يقتضيه؛ قاله الزجاج، و«جَلَّى» معناه كَشَفَ وضَوَى والفاعل بـ«جَلَّى» على هذه التأويلاتِ النهارُ، ويحتمل أن يكونَ الفاعلَ اللَّهُ تعالى، كأنّه قال: والنهارِ، إذ جَلَّى اللَّهُ الشمسَ، فأقسمَ بالنهار في أكملِ حالاتِه، و«يغشى» معناه: يُغَطِّي، والضميرُ للشمسِ على تجوُّزٍ في المعْنَى أو للأَرض.

وقوله تعالى: ﴿وما بَنَاهَا﴾ وكلُّ ما بعدَه من نظائرِه في السورةِ يحتملُ أَن تَكُونَ «ما» فيه بمعنى الذي قاله أبو عبيدة، أي: ومَنْ بَنَاهَا، وهو قولُ الحسن ومجاهد، فيجيءُ القسمُ باللَّه تعالى[1]، ويحتملُ أَنْ تَكُونَ مَا في جميعِ ذلك مصدرية؛ قاله قتادةُ والمبردُ والزجاجُ، كأنَّه قالَ: والسماءِ وبنائِها[2]، و«طحا» بمعنى: دَحَا، * ت *: قال الهروي: قوله تعالى: ﴿والأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ أي بَسَطَها فأوسَعَها، ويقال طَحَا به الأمْرُ أي اتَّسَعَ به في المَذْهَبِ، انتهى،/ والنفسُ التي أقْسَمَ بِها سبحانه اسْمُ جنسٍ، وتسويتُها إكمالُ عَقْلِها ونظرِها. ٢٢٧ أ

الثعلبيّ: ﴿فسواها﴾ أي: عَدَّلَ خَلْقَهَا، انتهى.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿فألهمها فجورَها وتقواها﴾ أي: عرَّفَها طرق[3] ذلكَ، وجَعَلَ لها قوةً يصحُّ معها اكتسابُ الفُجُور أو اكتسابُ التقوى، وجوابُ القَسَمِ في قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ والتقديرُ: لَقَدْ أفْلَحَ، زاد * ص *: وحُذِفَتْ اللامُ للطُولِ، انتهى، والفاعلُ بـ«زكى» يحتملُ أَن يكُونَ اللَّه تَعَالَى؛ قاله ابن عباس وغيره[4]، ويحتملُ أنْ يكونَ الإنسانَ؛ قاله

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠١) عن مجاهد، برقم: (٣٧٣٦٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥٩٩)، وعزاه للحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠١)، (٣٧٣٦٧) عن قتادة، وذكره البغوي (٤/ ٩٩٢)، وابن عطية (٥/ ٤٨٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٥) عن قتادة.

(٣) في د: طريق.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٣)، (٣٧٣٨٣)، وذكره ابن عطية (٥/ ٤٨٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٢)، وعزاه لحسين في «الاستقامة»، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

الحسن وغيره[١]، و﴿زَكَّاهَا﴾ أي طَهَّرَهَا ونَمَّاهَا بالخيراتِ و﴿دَسَّاهَا﴾ معناه: أَخْفَاهَا وحَقَّرَهَا وصَغَّرَ قدْرَها بالمعاصِي والبخلِ بما يَجِبُ وأصلُ «دَسَّى»: دَسَّسَ؛ ومنه قول الشاعر: [الطويل]

وَدَسَّسْتَ عَمْراً في التُّرَابِ فَأَصْبَحَتْ حَلائِلُهُ مِنْهُ أَرامِلَ ضُيَّعَا[٢]

* ت *: قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي: ومن عيوبِ النفس الشفقةُ عليها، والقيامُ بتَعَهُّدِها وتحصيلِ مآربِها، ومداواتُها الإعراضُ عَنها وقلةُ الاشْتِغَالِ بها، كذلك سمعتُ جَدِّي يقول: مَنْ كَرُمَتْ عليه نفسهُ هَانَ عليه دينُه، انتهى من تأليفه في عيوب النفس، ورُوِي: أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآيَةَ قال: «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا»[٣]، قال «**صاحبُ الكَلِمُ الفَارِقِيَّةِ والْحِكَم الحقيقيَّةِ**»: النفسُ الزكيَّةُ زِينَتُها نَزَاهَتُها، وعافيتُها عِفَّتُها، وطَهَارَتُها وَرَعُها، وغِنَاها ثِقَتُها بمولاها؛ وعلمُها بأنَّه لا ينساها، انتهى، ولما ذَكَر تعالى خَيْبَةَ مَنْ دسَّى نفسَه؛ ذكرَ فرقةً فَعَلَتْ ذلكَ ليعتبرَ بهم، وينتهى/ عن مثلِ فعلِهم، والطَّغْوَى: مصدرٌ وقال ابن عباس: ٢٢٧ ب
الطَّغْوَىٰ هنا العذابُ. كذَّبُوا به حتَّى نزلَ بهِم ويؤيدُه قولُه تعالى: ﴿فأمَّا ثَمُودُ فَأهلِكُوا بالطَّاغية﴾[٤] [الحاقة: ٥] وقال جمهورُ من المتأولين: الباءُ سببيةٌ والمعنى: كَذَّبَتْ ثمودُ نبيَّها بسبب طُغْيَانها، و﴿أشْقَاها﴾: هو قدار بن سالف، وقد تقدم قصصُهم، * ت *: و﴿نَاقَةَ اللَّهِ وسُقْيَاهَا﴾ قيل: نَصْبٌ بفعلٍ مُضْمَرٍ تقديرُه احْفَظُوا أو ذَرُوا، وقال * ص *: ﴿نَاقَةَ اللَّه﴾ الجمهورُ: بنصبِ ﴿ناقة﴾ على التحذيرِ أي احذرُوا ناقةَ اللَّهِ، وهو مما يجبُ إضمارُ عامِله، انتهى، و﴿دَمْدَمَ﴾ معناه أَنْزَلَ العذابَ مُقَلْقِلاً لهمْ مكرَّراً ذلك، وهي الدَّمْدَمَةُ، الثعلبيُّ: قال مؤرج: الدمدمةُ إهلاكٌ باستئصالٍ، انتهى، وكذلكَ قال أبو حيانٍ[٥]، وقال الهروي: قال الأزهريُّ: ﴿فَدَمْدَمَ عليهم ربُّهُمْ﴾ أي: أَطْبَقَ عليهم العذابَ، وقيل

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٦٠٣) عن قتادة، برقم: (٣٧٣٨٦)، وذكره ابن عطية (٥/٤٨٨)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/٥١٦)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٦٠١)، وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

(٢) البيت لرجل من طي.
ينظر: «**اللسان**» (دسا)، «**البحر المحيط**» (٨/٤٧٢)، و«**الدر المصون**» (٦/٥٣١)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/٤٨٨).

(٣) تقدَّم تخريجه.

(٤) أخرجه الطبري (١٢/٦٠٥)، (٣٧٣٩٨)، وذكره ابن عطية (٥/٤٨٨)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٦٠٢)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٥) ينظر: «**البحر المحيط**» (٨/٤٧٦).

﴿فَدَمْدَمَ عليهم﴾ أي: غَضِبَ عليهم، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي فَسَوَّى القبيلةَ في الهَلاَكِ؛ لَم يَنْجُ مِنهم أَحَدٌ، وقرأ نافع وابن عامر[1]: «فَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا» والمعنى: فَلاَ دَرَكَ عَلَى اللَّهِ تعالى في فعلهِ بهم؛ وهذا قول ابن عباس والحسن[2]، ويحتملُ أنْ يكونَ الفاعلُ بـ﴿يخاف﴾ صالحاً ـ عليه السلامُ ـ أي: لا يخاف عُقْبَى هذه الفعلةِ بهم؛ إذ كَانَ قَدْ أنذَرهم، وقرأ الباقون: «ولاَ يَخَافُ» بالواوِ فَتَحْتَمِلُ الوجهينِ، وتحتملُ هذه القراءةُ وجْهاً ثالثاً: أنْ يكونَ الفاعلُ بـ﴿يخاف﴾ المنبعثَ؛ قاله الزجاجُ والضحاكُ والسدي، وغيرُهم، وتكون الواوُ واوَ الحالِ، كأنّه قال: انْبَعَثَ لِعَقْرِهَا وهُو لاَ يَخَافُ عُقْبَى فِعلِهِ[3].

---

(١) ينظر: «السبعة» (٦٨٩)، و«الحجة» (٦/ ٤٢٠)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٤٩١)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٥٠)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١١٦)، و«العنوان» (٢١)، و«حجة القراءات» (٧٦٦)، و«شرح شعلة» (٦٢٥)، و«إتحاف» (٢/ ٦١٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٦) عن ابن عباس برقم: (٣٧٤٠٩)، وعن الحسن برقم: (٣٧٤١٠)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٤)، وابن عطية (٥/ ٤٨٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٠٦) عن السدي برقم: (٣٧٤١٧)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٤)، وابن عطية (٥/ ٤٨٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٢)، وعزاه لابن جرير عن الضحاك.

[تفسيرُ] سُورَةِ «اللَّيلِ»

/ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ ٢٢٨ أ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ① وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ②﴾

أقسَمَ تعالى بالليل إذا غَشِيَ الأرضَ وجميعَ ما فيها، وبالنهارِ إذا تَجَلَّى، أي: ظهَرَ وضَوَّى الآفاقَ، وقال * ص *: ﴿يَغْشَى﴾: مفعولهُ محذوفٌ فيحتملُ أنْ يكونَ النهارَ كقوله: ﴿يُغْشِي الليلَ النَّهارَ﴾ [الأعراف: ٥٤] أو الشمسَ؛ كقوله تعالى: ﴿واللَّيْلِ إذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤] وقِيل الأرضُ وما فيها، انتهى.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ⑥ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ⑦ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ⑧ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ⑨ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ⑫ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ⑬ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ⑭﴾

وقوله تعالى: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ يحتملُ أنْ تكونَ «ما» بمعنى: «الذي» ويحتملُ أنْ تكونَ مصدريةً، والذكرُ والأنثى هنا عامٌّ، وقال الحسن: المرادُ آدمُ وحواء[1]، والسَّعْيُ العَمَلُ، فأخبرَ تعالى مُقْسِماً أنَّ أعمالَ العبادِ شَتَّى، أي: مُفْتَرِقَةٌ جدًا؛ بعضُها في رِضَى اللَّهِ، وبعضها في سَخَطِه، ثم قَسَّم تعالى الساعينَ فقال: ﴿فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى﴾ الآية، ويُروى أن هذهِ الآيَة نزلتْ في أبي بكرِ الصديقِ ـ رضي اللَّه عنه ـ.

وقوله تعالى: ﴿وصدق بالحسنى﴾ قيل هي: لا إله إلا اللَّه، وقيل: هي الخَلَفُ الذي وَعَدَ اللَّه به، وقيل: هي الجنةُ، وقال كثيرٌ منَ المتأولينَ: الحسنى: الأجرُ والثوابُ مُجْمَلاً، والعُسْرَى: الحال السيئة في الدنيا والآخرة، ومن جعل ﴿بَخِلَ﴾ في المالِ خَاصَّةً؛ جَعَلَ ﴿اسْتَغْنَى﴾ في المالِ أيضاً، لتَعْظُمَ المَذَمَّةُ، ومَنْ جَعَلَ ﴿بَخِلَ﴾ عَامًّا في جَمِيعِ مَا يَنْبَغِي أن يبْذَلَ، مِنْ قَولٍ أو فعلٍ؛ قال: ﴿اسْتَغْنَى﴾ عن اللَّهِ ورحمتهِ بِزَعْمِه، وظاهرُ قولِهِ:

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٤٩٤)، وابن عطية (٥/ ٤٩٠).

﴿وما يغني عنه ماله﴾ أنَّ الإعطاءَ والبخلَ المذكورين إنما هما في المال.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾، قال قتادة وغيره: معناه تردَّى في جهنم[1]. وقال مجاهد: ﴿تردَّى﴾ معناه: هَلَكَ من الردَى[2]، وخرَّج البخاريُّ وغيرُه عن علي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كُنَّا مع النبيِّ ﷺ في بَقِيعِ الغَرْقَدِ في جِنَازَةٍ، فقالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، أَوْ مَا/ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإلاَّ قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّه، أفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ. فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ؛ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ؛ فَسَيَصِيرُ إِلَىٰ عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ؟ قال: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ، فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ، فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ واتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى﴾ إلى قوله: ﴿لِلْعُسْرَى﴾» وفي روايةٍ، لَمَّا قيلَ له: أفَلاَ نتَّكِلُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، قال: لاَ؛ بَلِ اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» الحديثَ، وخرَّجه الترمذيُّ أيضاً، انتهى، قال ابنُ العربيِّ في «**أحكامه**»: «وسأَلَ شابَّانِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالاَ: العَملُ فِيما جفَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ وجَرَتْ بهِ المَقَادِيرُ أَمْ في شَيْءٍ مُسْتَأْنَفٍ؟ فقال: بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلاَمُ، وجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ، قَالاَ: فَفِيمَ العَمَلُ إِذَنْ: قَالَ: اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيسَّر لِعَمَلِهِ الَّذي خُلِقَ له» قالا: فالآنَ نَجِدُّ ونَعْمَلُ»[3] انتهى، ٢٢٨ ب

وقال قوم: معنى تَرَدَّىٰ، أي: بأكْفَانِهِ مِنَ الرِّدَاءِ؛ ومنه قول الشاعر: [الطويل]

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦١٧)، (٣٧٤٨١)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٦)، وابن عطية (٥/ ٤٩١)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٦٠٦)، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد عن قتادة.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦١٧)، (٣٧٤٨٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٦)، وابن عطية (٥/ ٤٩١)، وابن كثير في «**تفسيره**» (٤/ ٥٢٠)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٦٠٦)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٥٣٠)، كتاب «القدر» باب: ﴿وكان أمر اللَّه قدراً مقدوراً﴾ (٦٦٠٥)، (١٣/ ٥٣١)، كتاب «التوحيد» باب: قول اللَّه تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ (٧٥٥٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٩، ٢٠٤٠)، كتاب «القدر» باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٦ ـ ٧/ ٢٦٤٧)، وأبو داود (٢/ ٦٣٤ ـ ٦٣٥)، كتاب «السنة» باب: في القدر (٤٦٩٤)، والترمذي (٤/ ٤٤٥)، كتاب «القدر» باب: ما جاء في الشقاوة والسعادة (٢١٣٦)، (٥/ ٤٤١)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة: ﴿والليل إذا يغشى﴾ (٣٣٤٤)، وأحمد (١/ ٨٢، ١٢٩، ١٣٢ ـ ١٣٣، ١٤٠، ١٥٧)، وابن حبان (٢/ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٥)، كتاب «البر والإحسان» باب: ما جاء في الطاعات وثوابها (٢٣٣ ـ ٢٣٤)، والطيالسي (١/ ٣٢)، كتاب «القدر» باب: ما جاء في العمل مع القدر (٦١)، وابن ماجه (١/ ٣٠ ـ ٣١)، «المقدمة» باب: في القدر (٧٨).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

نُصِيبُكَ مِمَّا تَجْمَعُ الدَّهْرَ كُلَّهُ ‏ ‏ ‏ ‏ رِدَاءَانِ تُلْوَىٰ فِيهِمَا وَحَنُوطُ[1]

ثم أخبر تعالى أن عليه هدى الناس جميعاً، أي: تعريفَهم بالسُّبل كلِّها، وليستْ هذه الهدايةُ بالإرْشَادِ إلى الإيمان، ولو كانَ ذلِك لَمْ يُوجَدْ كافرٌ، قال البخاريُّ: «تَلَظَّى»: تُوَهَّجُ وقال الثعلبيُّ: تَتَوقَّدُ، وتتوهَّج، انتهى.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

وقوله سبحانه: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى﴾ المعنى: لا يصْلاَها صَلْيَ خُلُودٍ، ومن هنا ضَلَّتْ المُرْجِئَةُ؛ لأنها أَخَذَتْ نَفْيَ الصَّلْيِ مُطْلَقاً، ولم يَخْتَلِفْ أَهلُ التأويلِ أن المرادَ بالأتْقَى
٢٢٩أ إلى آخر السورة/ أبو بكرِ الصديقِ، ثم هي تَتَنَاولُ كلَّ مَنْ دَخَلَ في هذِه الصفاتِ، وباقي الآيةِ بيِّنٌ، ثم وَعَدَه تعالى بالرِّضَى في الآخرةِ وهذه [عِدَةٌ] لأبي بكرٍ ـ رضي اللَّه عنه ـ.

(١) البيت في «البحر المحيط» (٨/ ٤٧٨)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٩١)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٥).

[تفسيرُ] سُورَةِ «الضُّحَىٰ»

[وَهِيَ] مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾

تقدَّم تفسيرُ ﴿الضحى﴾ بأنه: سُطُوع الضوءِ وعِظَمُه، وقال قَتادة: ﴿الضُّحَى﴾ هنا النهارُ كلُّه[1] و﴿سَجى﴾ معناه سَكَنَ واستقرَّ لَيْلاً تامًّا، وقيل: معناه أقْبَلَ، وقِيلَ: معناه أدْبَرَ، والأولُ أصحُّ، وعليه شواهِدُ، وقال البخاريُّ: قال مجاهد: ﴿إِذَا سَجَى﴾ اسْتَوَى[2]، وقال غيره: أظلمَ وسكنَ، انتهى، ، وقرأ الجمهور: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ ـ بشدِ الدالِ ـ من التَّوْدِيع وقُرِيءَ[3] بالتخفيفِ بمعنى: ما تَرَكَكَ، وقال البخاريُّ: ﴿ما ودَّعك ربك﴾ بالتشديدِ والتخفيفِ: ما تَرَكَكَ، انتهى.

و﴿قَلَى﴾ أبْغَضَ، نزلتْ بسببِ إبطَاءِ الوَحْي مدَّة ﴿وَلَلآخِرَةُ﴾ يعني: الدارَ الآخِرَةَ خير لَكَ من الدنيا، ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قيل: هي أرْجَى آية في القرآن؛ لأنَّه ﷺ لا يرضى، وواحدٌ من أمتِهِ في النارِ، ورُوِي أنه ـ عليه الصلاةُ والسلام ـ قال لما نَزَلَتْ: «إذنْ لاَ أرْضَىٰ، وأَحدٌ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ» قال عِيَاضٌ: وهذه آيةٌ جامعةٌ لوجوهِ الكرامةِ وأنواعِ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٢١)، (٣٧٤٩٢)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٨)، وابن عطية (٥/ ٤٩٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٩) وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٢٢) (٣٧٤٩٦)، وذكره البغوي (٤/ ٤٩٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٩)، (٦/ ٦٠٩) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد رضي الله عنه.

(٣) حكيت عن النبي ﷺ، وكذلك عروة بن الزبير.
ينظر: «الشواذ» ص: (١٧٥)، و«المحتسب» (٢/ ٣٦٤)، و«الكشاف» (٤/ ٧٦٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٤٩٣)، و«البحر المحيط» (٨/ ٤٨٠)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٣٧).

السعادةِ في الدارين، انتهى، [* ت *: وفي «صحيح مسلم» من روايةِ عبدِ اللَّه بن عمرو بن العاصي: أن النبي ﷺ تَلاَ قولَ اللَّه - عز وجل - في إبْراهيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦] وقول عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَىٰ، فَقَالَ اللَّهُ - جَلَّ ثناؤُهُ - يَا جِبْرِيلُ؛ اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ: إنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ ولاَ نَسُوؤُكَ، انتهى مختصراً][(١)]، ثُمَّ وَقَفَ تَعَالَى نبيَّه على المراتبِ التي دَرَجَه عَنْها بإنعَامِهِ فقال: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

وقوله تعالى: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ اخْتَلَفَ الناسُ في تأويلِهِ، والضلالُ يَخْتَلِفُ،
فمنه البعيدُ ومنه القريبُ؛ فالبعيدُ ضلالُ الكفَّارِ، وهذا قَدْ عَصَمَ اللَّهُ منه نَبِيَّه فَلَمْ يَعْبُد/ ٢٢٩ ب
صَنَماً قط، ولا تَابعَ الكفارَ على شيءٍ مما هم عليه من الباطلِ، وإنما ضلالُه ﷺ هو كَوْنُه واقفاً لا يَميزُ المَهْيَعَ، بل يُدْبِرُ وَيَنْظُر، وقال الترمذي وعبد العزيز بن يحيى: ﴿ضَالاًّ﴾ معناه: خاملَ الذِّكرِ لا يعرفُك الناسُ؛ فهداهُم إليكَ ربُّك، والصوابُ أنه ضلالُ مَنْ توَقَّفَ لا يَدْرِي، كما قال عز وجل: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢] وقال الثعلبي: قال بعض المتكلمين: إذا وجَدَتِ العربُ شَجَرَةً مفردة في فلاةٍ سَمَوْها ضالةً فَيُهْتَدَى بها إلى الطريقِ، أي: فَوَجَدْتُكَ وَحيداً ليس معَك نبيٌّ غيرَك فهديتُ بك الخلقَ إليَّ، انتهى، قال عياض: وقال الجنيد: المَعْنَى: وَوَجَدَكَ متحيِّراً في بيانِ ما أُنزلَ إليكَ فهَدَاكَ لبيانِه، لقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ...﴾ [النحل: ٤٤] الآية، قال عياض: ولا أعلمُ أحداً من المفسرينَ قَال فيها ضالاً عَنْ الإيمانِ، وكذلك في قصةِ موسى - عليه السلام - قوله: ﴿فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] أي المخطئينَ، وقال ابن عطاء: ﴿وَوَجَدَكَ ضالاًّ﴾ أي: مُحِبًّا لمعرفتِي، والضَّالُّ: المحِبُّ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ القَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أي: محبَّتِكَ القديمةِ، انتهى، والعَائِلُ: الفقيرُ ﴿فأغنَى﴾ أي: بالقناعَةِ والصَّبْرِ، ثم وصَّاه تَعالى بثلاثِ وصَايَا؛ بإزاءِ هذه النعم الثلاثِ، و﴿السائِل﴾ هنا قَال أبو الدرداء: هو السائلُ عن العِلْمِ[(٢)]، وقيل: هو سائلُ المالِ، وقال

---

(١) سقط في: د.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٩٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦١٢)، وعزاه لابن أبي حاتم.

إبراهيم بن أدهم: نعم القومُ السؤال يحملنا زادنا إلى الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال مجاهد وغيره: معناه بُثَّ القرآن وبلِّغ ما أُرسلْتَ بِهِ[١]، قال عياض:/ وهذا الأمرُ يَعُمُّ الأمة، انتهى، وقال آخرونَ: بل هُوَ عُمُوم ١٢٣٠أ
في جميع النِّعم، وفي «سُنَن أبي داودَ» عن النبي ﷺ قال: «أَعْطُوا الأَجِيرَ حَقَّهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ[٢]، وَأَعْطُوا السَّائِلَ، وَإِنْ جَاءَ عَلَىٰ فَرَسٍ»[٣] قال البغويُّ في «المصابيح»: هذا حديثٌ مُرْسَلٌ انتهى.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٤٩٥)، وذكره أبو حيان (٨/ ٤٨٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨١٧)، كتاب «الرهون» باب: إجارة الأجير على طعام بطنه (٢٤٤٣)، قال البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٢٥٩): هذا إسناد ضعيف، وهب بن سعيد هو: عبد الوهاب بن سعيد وعبد الرحمٰن بن زيد وهما ضعيفان، لكن نقل عبد العظيم المنذري الحافظ في كتاب «الترغيب» له: ابن عبد الرحمٰن بن زيد وثق، وقال: قال ابن عدي: أحاديثه حسان قال: وهو محن احتمله الناس وصدقه بعضهم وهو ممن يكتب حديثه، قال: ووهب بن سعيد وثقه ابن حبان وغيره انتهى.
فعلى هذا يكون الإسناد حسناً والله أعلم، وأصله في «صحيح البخاري» وغيره من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مالك (٢/ ٩٩٦)، كتاب «الصدقة» باب: الترغيب في الصدقة (٣)، مرسلاً.
قال العجلوني في «كشف الخفا» (١/ ١٦١): رواه مالك في «الموطأ» مرسلاً عن زيد بن أسلم، قال ابن حجر في خُطبة «اللآلىء المنثورة» وهو أحد الأحاديث الخمسة التي قال فيها علي بن المديني: خمسة أحاديث يروونها عن رسول الله ﷺ ولا أصل لها عنه.

تَفسِيرُ سُورَةِ «الشرح»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾

عَدَّدَ اللَّه تعالى على نبيه نِعَمَه عليه في أنْ شَرَحَ صدرَه للنبوَّةِ، وهَيأَه لها، وذَهَبَ الجمهورُ إلى أنَّ شَرْحَ الصدرِ المذكورِ إنما هو تنويرُه بالحكمةِ، وتوسِيعُه لتلقي مَا يُوحى إليه، وقال ابن عباس وجماعة: هذه إشارة إلى شَرْحِه بشَقِّ جبريلَ عنه في وقْتِ صِغَرِهِ، وفي وقْتِ الإسراءِ؛ إذا التشريحُ شَقُّ اللحمِ، والوِزْرُ الذي وضعَهُ اللَّه عنه هو عند بعض المتأولين الثِّقَلُ الذي كان يجده ﷺ في نفسِهِ من أجل ما كانتْ قريشٌ فيه من عبادةِ الأصْنَامِ؛ فَرَفَعَ اللَّهُ عنه ذلكَ الثِّقَلَ بنبوَّتِه وإرسالِهِ، وقال أبو عبيدةَ وغيره: المعنى: خَفَّفْنَا عنك أثْقَالَ النبوَّةِ وأعنَّاكَ على الناسِ[1]، وقيل الوِزْرُ هنا: الذنوبُ، نظيرَ قولِهِ تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ [الفتح: ٢] وقد تقدم بيانُه، الثعلبيّ: وقيلَ: معناه: عَصَمْنَاكَ من احتمالِ الوِزْرِ، انتهى. ﴿وأَنْقَضَ﴾ معناه: جَعَلَهُ نَقْضاً، أي: هَزِيلاً، من الثِّقَلِ، قال عياض: ومعنى أَنْقَضَ، أي: كَادَ يَنْقُضُه، انتهى، ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ أي نَوَّهْنَا باسمِك، قال * ع[2] *: ورفعُ الذكرِ نعمةٌ على الرسولِ وكذلكَ هُوَ جميلٌ حسنٌ للقائمينَ بأمورِ الناس، وخمولُ الاسْمِ والذكرِ حَسَنٌ للمنفردِينَ للعبادة،/ والمعنى في هذا: التَّعْدِيد: أَنَّا قد فعلنا جميعَ هذا بكَ؛ فلا تكترثْ بأذى قريشٍ؛ فإن الذي فعلَ بكَ هذه النعمَ سَيُظَفِّرُكَ بهم، قال عياض: ورَوَى أبو سَعِيدٍ الخدريُّ؛ أن النبيَّ ﷺ قال: «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ؛ إنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: أَتَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، قال: إذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي»، انتهى،، ثم قوَّى سُبْحَانه رجاءَه بقولِهِ: ﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾ وكرَّر تعالى ٢٣٠ ب

(١) ذكره البغوي (٤/٥٠٢)، وابن عطية (٥/٤٩٦).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٤٩٧).

ذلكَ مبالغةً، وذَهَبَ كثيرٌ من العلماءِ إلى أنَّ مع كلِّ عُسْرٍ يُسْرَيْنِ بهذه الآية، من حيثُ إنَّ العُسْرَ مُعَرَّفٌ للعَهْدِ واليسْرُ مُنَكَّرٌ فالأولُ غَيْرُ الثاني، وقَدْ جاء في هذا التأويلِ حديثٌ عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ»[١]، ثم أمر تعالى نَبِيَّهُ إذا فَرَغَ مِن شُغْلٍ مِنْ أَشْغَالِ النبوَّةِ والعبادةِ أن يَنْصَبَ في آخِرِه، والنَّصَبُ: التعبُ، والمعنى: أن يَدْأَبَ على مَا أُمِرَ به ولاَ يَفْتُرَ، وقال ابنُ عباسٍ: إذا فَرغتَ مِنْ فَرْضِكَ فَانصَبْ في التَّنفُّلِ عبادةً لربك[٢]، ونحوُه عن ابن مسعود وعن مجاهد: «فإذا فرغت من العبادةِ فانْصَبْ في الدعاء»[٣].

وَقَوْلُه تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾: أَمْرٌ بالتوكلِ على اللَّهِ - عز وجل - وصَرْفِ وُجوهِ الرَّغَبَاتِ إليه لا إلى سواه.

(١) تقدم.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/٦٢٨)، (٣٧٥٤٢)، وذكره ابن عطية (٥/٤٩٧)، وأبو حيان (٨/٤٨٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٦١٧)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/٦٢٨)، (٣٧٥٤١) عن ابن عباس، وذكره البغوي (٤/٥٠٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٥٢٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/٦١٧)، وعزاه لابن أبي الدنيا.

[تفسيرُ] سُورَةِ «التِّين»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

قال ابن عباس وغيره: «التينُ والزيتون» المقسَمُ بهما هُما المعروفانِ، وقال السهيلي: أقْسَمَ تعالى بطور تينا، وطور زيتا، وهما جبلانِ عند بيتِ المقدس، وكذلك طور سيناء،
١٢٣١ أ ويقال: إن سيناءَ هي الحجارةُ، والطورُ عند أكثر الناسِ هو الجبلُ، وقال الماورديُّ: / ليس كلُّ جبلٍ يقال له: طورٌ إلا أنْ تكونَ فيه الأشجارُ والثمار، وإلا فهو جَبَلٌ فقط، انتهى، ﴿وطور سينين﴾ جبلٌ بالشَّامِ، و﴿البلد الأمين﴾ مكةَ، والقَسَمُ واقع على قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [أي: في أحسن تقويم][(١)] ينبغي لَه، وقال بعضُ العلماءِ بالعموم، أي: الإنسانُ أحسنُ المخلوقَاتِ تقويماً، ولَمْ يَرَ قومٌ الحِنْثَ على مَنْ حَلَفَ بالطلاقِ أنَّ زوجتَه أحسنُ من الشمس؛ محتجين بهذهِ الآيةِ، وحسْنُ التقويم يشملُ جميعَ محاسنِ الإنسانِ الظاهرةِ والباطنةِ؛ من حسن صورتهِ، وانتصابِ قامَتهِ، وكمالِ عقلهِ، وحسن تمييزِه، والإنسانُ هنا اسمُ جنسٍ، وتقديرُ الكلام: في تقويمٍ أحسنَ تقويمٍ؛ لأَنَ ﴿أَحْسَنِ﴾ صفةٌ لا بُدَّ أنْ تَجرِي على موصوفٍ.

﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ قال قتادةُ وغيره: معناه بالهَرَم وذهولِ العقلِ وهذهِ عِبْرة منصوبةٌ[(٢)]، وعبارةُ الثعلبيِّ: ﴿في أحْسَنِ تَقْوِيم﴾ قيل: اعتدالُهُ واستواءُ شبابهِ، وهو أَحْسَنُ ما يكونُ، ﴿ثم رددناه أسْفَلَ سافلين﴾ بالهَرَمِ؛ كما قال: ﴿إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ﴾ [الحج: ٥]، والسافلونَ: الهَرْمَى والزَّمْنَى والذين حَبَسَهُم عذرُهم عن الجهادِ في عهد النبي ﷺ، فأنزَلَ

(١) سقط في: د.
(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٣٨)، (٣٧٦٢٤)، وذكره ابن عطية (٤/ ٥٠٠)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس.

اللَّه عُذرَهم وأخبرَهم أن لهم أجْرَهم الذي عَمِلُوا قبلَ أن تَذْهَبَ عقولهُم، انتهى، وفي البخاريّ عنه ﷺ «إذا مَرِضَ العبدُ أو سَافرَ كتبَ اللَّه له مثلَ ما كانَ يعملُ مقيماً صحيحاً» وهكذا قال في الذين حَبَسَهُم العذرُ، انتهى، قال * ص *: ﴿إلاَّ الَّذِينَ﴾ قيلَ: منقطعٌ بناءً على أنَّ مَعْنَى ﴿أسْفَلَ سافلين﴾: بالهرَم وذهولِ العقْلِ، وقيل متصلٌ بِنَاءً عَلى أَنَّ معْناه في النارِ على كفره، انتهى، قال * ع[1] *: وفي حديثٍ/ عَنْ أنسٍ قال: قال ٢٣١ ب رسولُ اللَّه ﷺ: «إذا بَلَغَ المؤمِنُ خمسينَ سَنَةً خَفَّفَ اللَّه حِسَابَه، فإذَا بَلَغَ سِتِّينَ؛ رَزَقَه الإنَابَة إلَيه، فإذَا بلغَ سبعين أحَبّه أهلُ السَّماءِ، فَإذَا بلغ ثمانين كُتِبَتْ حَسَنَاتُه وتَجاوزَ اللَّهُ عن سيئاتِه، فإذا بلغ تسعينَ غُفِرَتْ ذنُوبُه وشَفَعَ في أهْل بَيْتِه وكَانَ أسيرَ اللَّهِ في أرْضِه، فإذا بلغَ مائةً وَلَمْ يَعْمَل شيئاً كُتِبَ له مثلُ مَا كان يَعْملُ في صحَّتِه ولم تُكْتَبْ عليه سيئة»[2]، وفي حديث: «إن المؤمنَ إذا رُدَّ إلى أرذل العمر كُتِبَ له خيرُ ما كانَ يعملُ في قوّتِهِ»[3]. وذلكَ أجرٌ غير ممنون، ثم قال سبحانه إلزامًا للحُجَّةِ وتوبيخاً للكافرِ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الإنسانُ، أي: فما يَجْعَلُكَ أنْ تُكَذِّبَ بعدَ هذه الحجةِ بالدينِ، وقال قتادة: المعنَى: فمن يكذِّبُكَ يا محمد، فيما تُخْبِرُ به من الجزاءِ والحسابِ[4]، وهو الدينُ، بَعْدَ هذه العبرِ، ويحتملُ أنْ يريدَ بـ﴿الدين﴾ جميعَ دينه وشَرْعِه، ، ورُوِيَ عن قتادة أن النبي ﷺ كانَ إذا قَرَأَ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾ قَال: بَلَى؛ وأنا على ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، قالَ ابن العربي في «أحكامه»: رَوَى الترمذيُّ وغيرُهُ عن أبي هريرةَ، أنَّ النبي ﷺ قالَ: «إذا قَرأَ أحدُكم ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَىٰ[5]؛ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِين» ومِنْ رواية عبد اللَّه: «إذَا قرأَ أَحدُكُمْ أَوْ سَمِعَ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أنْ يُحْيِيَ المَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠] فَلْيَقُلْ: بَلَىٰ»[6] انتهى، * ت *: وهذان الحديثانِ، وإنْ كَانَ قَدْ ضعَّفُهما ابنُ العربيِّ فهما مما ينبغي ذكرُهما في فضائلِ الأعمالِ، واللَّه الموفق بفضله وكرمه.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٠).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم.
(٤) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٠).
(٥) تقدَّم تخريجه.
(٦) تقدَّم تخريجه.

١٢٣٢ب

/[تفسير] سُورَةِ «العلق»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

[قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ﴾]: هو أولُ ما نَزَلَ من كِتَابِ اللَّه تعالى، نَزَلَ صَدْرُ [هذهِ الآية] إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ في غارِ حِرَاء حَسْبَ ما ثَبَتَ في **«صحيح البخاريِّ»** وغيره، ومعنى قوله: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ أي: اقرأ هذا القرآنَ باسم ربك، أي: مبتدِئاً باسْم ربكَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يكونَ المقروءُ الذي أُمِرَ بقراءتِه هو ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ كأنه قيل له: اقرأْ هذا اللفظَ، والعلقُ: جمع عَلَقَةٍ وهي القِطْعَةُ اليَسِيرَةُ من الدَّمِ، والإنسانُ هنا اسمُ جنسٍ، ثم قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ على جِهة التأنِيسِ كأنَّه يقول: امْضِ لِما أُمِرْتَ بهِ، وَرَبُّكَ ليسَ كهذهِ الأربابِ؛ بلْ هُو الأكْرَمُ الذي لاَ يَلْحَقُه نقصٌ، ثم عدَّدَ تعالى نِعْمَةَ الكتابةِ بالقلم على الناسِ، وهي من أعظَم النِّعَم.

و﴿علَّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾ قيل: هو آدمُ وقيل: [هو] اسْمُ جنسٍ؛ وهو الأظهرُ.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾

وقوله تعالى: ﴿كلا إن الإنسان ليَطْغَى﴾ إلَى آخرِ السورةِ نَزَلَتْ في أبي جَهْلٍ، وذلكَ أنه طَغَى لِغِنَاهُ وكثرةِ مَنْ يَغْشَى نَادِيه، فَنَاصَبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ونَهاهُ عَنِ الصلاةِ في المسجدِ، وقال: لَئِنْ رأيتُ محمداً يسجُدُ عند الكعبةِ لأَطأَنَّ عنقَه، فيُرْوَى أنّ النبي ﷺ رَدَّ عليه القولَ وانْتَهَرَهُ، وعبارةُ الداووديّ: فَتَهَدَّدَهُ النبي ﷺ، فَقَال أبو جهل: أتُهَدِّدُني؟ أما واللَّه إني لأَكْثَرُ أَهْلِ الوادِي نادِياً فَنَزَلَتْ الآيةُ، انتهى.

و﴿كَلاَّ﴾ ردّ على أبي جهلٍ، ويتَّجِه أَنْ تَكُونَ بمعنى: حقًّا، والضميرُ في ﴿رآه﴾ للإنسانِ المذكورِ، كأنّه قال: أن رأَى نفسَه غنيًا وهي رُؤْيَةٌ قَلْبِيَّةٌ؛ ولذلكَ جازَ أن يَعْمَلَ فعلُ

الفاعِلِ في نفسِه؛ كما تقول: وجَدْتُنِي/ وَظَنَنْتُنِي، ثم حقَّرَ تعالى غِنَى هذا الإنسانِ وحالَه ٢٣٢ ب
بقولِهِ: ﴿إن إلى ربِّكَ الرُّجْعَى﴾ أي: بالحَشْرِ والبعثِ يومَ القيامةِ، وفي هذا الخبرِ وعيدٌ للطاغينَ من الناسِ، ثم صرَّح بذكرِ النَّاهِي لمحمدٍ ـ عليه السلام ـ، ولا خِلاَفَ أن الناهِيَ أبو جهلٍ، وأن العَبْدَ المصلّيَ هو محمدٌ ـ عليه السلام ـ.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّه يرى﴾ إكمالٌ للتوبيخِ والوعيدِ بحسْبِ التوقيفاتِ الثَّلاثِ، يَصْلُحُ مَعَ كلِّ وَاحِدٍ منها، * ت *: وفي قوله تعالى: ﴿ألم يعلم بأنَّ اللَّه يرى﴾ مَا يُثِير الهِمَمَ الرَّاكِدَةَ، وَيُسِيلُ العيونَ الجَامِدَةَ، ويَبْعَثُ على الحياء والمراقبةِ، قال الغزالي: اعلَمْ أنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ على ضميرِكَ، ومشرفٌ على ظاهِرك وباطنِك، فَتَأَدَّبْ أيها المسكينُ ظَاهِراً وباطِناً بين يديه سبحانه؛ واجتهدْ أن لا يَرَاكَ حيثُ نَهَاكَ وَلاَ يَفْقِدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، ولاَ تَدَعْ عَنْكَ التفكرَ في قُرْبِ الأجلِ، وحلولِ الموتِ القاطِعِ للأملِ، وخروجِ الأمْرِ من الاختيَارِ، وحصولِ الحَسْرَةِ والنَّدَامةِ بطُولِ الاغترارِ، انتهى، ثم توعَّده تعالى لَئِنْ لم ينتَهِ لَيُؤْخَذَنَّ بناصيتهِ، فَيُجَرُّ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ذَلِيلاً، تقول العربُ: سَفَعْتُ بِيَدِي ناصية الفَرَسِ، والرَّجُلِ إذا جذبتُها مُذَلَّلَةً، وقال بعض العلماء بالتفسير: معناه لتُحْرَقَنَّ، من قولهم: سَفَعَتْه النارُ، واكْتَفَى بذكرِ الناصيةِ لِدلالتِها على الوَجْهِ والرأسِ، والناصيةُ مُقَدَّمُ شَعْرِ الرأسِ، ثم أَبْدَل النكرةَ من المعرفة في قوله: ﴿ناصية كاذبة﴾ ووصفَها بالكَذِبِ والخَطَإِ من حيثُ هي صفاتٌ لصاحِبِها.

قوله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَه﴾ أي أَهْلَ مَجْلَسِهِ، والنَّادِي والنَّدي: المجلسُ، ومنه دَارُ النَّدْوَةِ، وقال البخاري قال مجاهد: نادِيَه: عشيرتَه[(١)].

١٢٣٣ وقوله: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَة﴾ أي:/ ملائِكَة العَذابِ، ثم قال ـ تعالى ـ لنبيه ـ عليه السلام ـ: ﴿كلا لاَ تُطِعْهُ﴾ أي: لا تَلْتَفِتْ إلى نَهْيِهِ وكلامِه و﴿اسْجُدْ﴾ لربك و﴿اقْتَرِب﴾ إليه بسجودِك، وفي الحديث: «أَقْرَبُ ما يكونُ العبدُ من رَبِّه إذا سَجَدَ، فَأَكْثِرُوا مِنَ الدُّعَاءِ في السجودِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُم»، ورَوَى ابنُ وهب عَنْ جماعةٍ من أهل العِلم: أنّ قَوْلَه: ﴿واسْجُدْ﴾: خطابٌ للنبي ﷺ وَأن قَوْلَه: ﴿وَاقْتَرِبْ﴾: خطابٌ لأَبِي جَهْلٍ، أي: إنْ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٤٩)، (٣٧٦٩٠) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢٧)، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد.

تَجْتَرِيءُ حتى تَرَى كَيْفَ تَهْلَكُ، * ت *: والتأويلُ الأولُ أظهرُ؛ يدلُ عليه قولُه ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه وهو ساجِدٌ»[١] وعنْ ربيعة بن كعب الأسلميِّ قال: كنتُ أبيتُ مع النبي ﷺ فآتيهِ بِوَضُوئِهِ وحَاجَتِه، فقال لي: سَلْ؛ فقلتُ: أسألكَ مُرَافَقَتَكَ في الجنةِ، قالَ أوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَال: فأعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[٢] رواه الجماعة إلا البخاريَّ، ولفظُ الترمذي: «كُنْتُ أَبِيتُ عِنْدَ بَابِ النبيِّ ﷺ فَأُعْطِيهِ وَضُوءَهُ، فَأَسْمَعُهُ الْهَوِيَّ مِنَ اللَّيْلِ يقول: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَه، وأَسْمَعُهُ الْهَوِيَّ مِنَ اللَّيْلِ يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ»[٣]، قال الترمذيُّ: هٰذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ، وليس لربيعةَ في الكتب الستَّةِ سوَىٰ هذا الحديثِ، انتهى من «السلاح»، ورُوِيَ أن أبا جَهْلٍ جاءَ والنَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي، فَهمَّ بِأَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ، وَيَمْنَعَهُ مِنَ الصَّلاَةِ، ثُمَّ كَعَّ وَوَلَّى نَاكِصاً عَلَىٰ عَقِبَيْهِ مُتَّقِياً بِيَدَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: لَقَدْ عَرَضَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقٌ مِنْ نَارٍ، وَهَوْلٌ وَأَجْنِحَةٌ، فَيُرْوَىٰ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ
٢٣٣ ب قَالَ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لأَخَذَتْهُ المَلاَئِكَةُ عِيَاناً»[٤]/ * ت *: ولما لم يَنْتَهِ عَدُوُّ اللَّهِ أَخَذَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَمْكَنَ مِنْهُ، وذَكَرَ الوائليُّ الحَافِظُ في كتابِ «الإِبَانَةِ» له مِنْ حَدِيثِ مَالِكِ بن مغول عن نافِعٍ عن ابن عمر قال: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ بِجَنَبَاتِ بَدْرٍ إذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الأَرْضِ في عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ يُمْسِكُ طَرَفَهَا أَسْوَد، فَقال: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اسْقِنِي، فَقَالَ ٱبْنُ عُمَرَ: لاَ أَدْرِي أَعَرَفَ ٱسْمِي، أَوْ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، فَقَالَ لي الأَسْوَدُ: لاَ تَسْقِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافِرٌ، ثُمَّ ٱجْتَذَبَهُ، فَدَخَلَ الأَرْضَ، قَالَ ٱبْنُ عُمَرَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُه، فقال: «أَوَ قَدْ رَأَيْتَهُ؟ ذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وهُوَ عَذَابُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» انتهى من «التَّذْكِرَة» للقرطبيِّ، وقد ذَكَرْتُ هذهِ الحكايَةَ عَنْ أبي عمر بن عبد البَر بأتَمّ مِنْ هَذا عِنْد قوله تعالى: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً. . .﴾ [فصلت: ٢٧] الآية.

---

(١) تقدَّم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠) ـ الأبي، كتاب «الصلاة» باب: فضل السجود والحث عليه (٢٢٦/ ٤٨٩)، وأبو داود (١/ ٤٢١)، كتاب «الصلاة» باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل (١٣٢٠)، والترمذي (٥/ ٤٨٠ ـ ٤٨١)، كتاب «الدعوات» باب: منه (٣٤١٦)، والنسائي (٢/ ٢٢٧)، كتاب «الافتتاح» باب: فضل السجود (١١٣٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٦ ـ ١٢٧٧)، كتاب «الدعاء» باب: ما يدعو به إذا تنبه من الليل (٣٨٧٩)، وأحمد (٤/ ٥٩). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ينظر: الحديث السابق.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٤)، كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» باب: قوله: ﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾ (٣٨/ ٢٧٩٧).

تفسير سورة «القدر».

قَالَ ابنُ عَباسٍ: هِي مَدَنِيَّةٌ وَقَالَ قَتَادَةُ: هي مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

قَوْلُه تَعَالَى: ﴿إنا أنزلناه﴾ الضميرُ في ﴿أنزلناه﴾ للقرآن قَال الشعبيُّ وغيرُه: المعْنَى إنا ابتدأْنا إنزالَ هذا القرآن إليكَ في ليلة القدر، وقد رُوِيَ: أن نزولَ المَلَكِ في حِراءٍ كَانَ في العشر الأواخِرِ من رمضان، فيستقيمُ هذا التأويل[(١)] وقالَ ابنُ عباسٍ وغيرُه: أَنزَلَه اللَّه تعالى ليلةَ القدرِ إلى سماءِ الدُّنْيَا جملةً، ثم نَجَّمَه على محمدٍ ﷺ عِشْرِينَ سنةً، ولَيلةُ القدرِ خَصَّها اللَّهُ تعالى بِفَضْلٍ عَظِيم، وَجَعَلَها أفضَل مِنْ أَلْفِ شهرٍ لاَ لَيْلَةَ قَدْرٍ فِيها؛ قاله مجاهدٌ وغيرُهُ[(٢)]، وخُصَّتْ هذه الأُمَّةُ بهذه الفضيلةِ لَمَّا رأى النبي ﷺ أعمارَ أُمَّتِه وتَقَاصُرَهَا/ وَخُشِيَ أَلاَّ يَبْلُغُوا مِنَ الأَعْمَالِ مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ غَيْرُهُمْ في طُولِ العُمرِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ ١٢٣٤ أ
عَزَّ وَجَلَّ لَيْلَةَ القَدْرِ خَيْراً مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، قال ابن العربيُّ في «أحكامه»: وقد روى مالكٌ هذا الحديثَ في «المُوَطَّأ»[(٣)]؛ ثَبَتَ ذلكَ مِنْ روايةِ ابنِ القَاسمِ وغيره، انتهى، ثم فَخَّمَها سبحانَه بقوله: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ قال ابن عيينة في «صحيح البخاري»: ما كانَ في القرآن: ﴿وما أَدْرَاكَ﴾ فَقَدْ أَعْلَمَه، وَمَا قالَ: ﴿وما يدريك﴾ فإنَّه لَمْ يُعْلِمْهُ، وذكر ابن عبَّاس وغيره: أنها سُمِّيَتْ ليلةَ القَدْرِ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالى يُقَدِّرُ فيها الآجالَ والأرزاقَ وحوادثَ العامِ كلَّها،

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥١)، (٣٧٧٠١)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٤).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥١)، (٣٧٦٩٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٢٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٢٨)، وعزاه لابن الضريس، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٥)، (٧٠٥) مرسلاً.

ويدفَعُ ذلك إلى الملائِكَة لتَمْتَثِلَه[١]، قال * ع[٢] *: وليلةُ القَدْرِ مستديرةٌ في أوتارِ العَشْرِ الأَواخِرِ من رمضانَ؛ هذا هو الصحيحُ المُعَوَّلُ عليه، وهي في الأوْتَارِ بحسْبِ الكَمال والنقصان في الشَّهرِ، فينبغي لمرتَقِبها أن يَرْتَقِبَها مِنْ ليلةِ عشرينَ في كل ليلةٍ إلى آخر الشهر، وصحَّ عن [أبيِّ بن] كعب وغيرِه: أنها ليلةُ سَبْعٍ وعشرينَ[٣]، ثم أخْبَرَ تعالى أن ليلةَ القَدْرِ خيرٌ مِن ألف شَهر وهي ثَمانُونَ سَنَةً وثَلاثَةُ أَعْوَام وثُلُثُ عام، وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَاناً وَٱحْتِسَاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٤] ﴿والرُّوحُ﴾: هو جِبْرِيلُ ـ عليه السلامُ ـ وقيل هو صِنفٌ حَفَظَةٌ لِلْمَلائِكَةِ، قال الفخر[٥]: وذكروا في الرُّوح أقوالاً: أحدُها: أنه ملَكٌ عظيم لو الْتَقَمَ السموات والأَرْضَ كانَ ذلكَ له لُقْمةً وَاحِدَةً، وقِيلَ: الرُّوحُ: طَائِفةٌ من الملائِكَةِ لاَ يَراهُمُ المَلاَئِكَةُ إلا ليلةَ القَدْرِ، كالزُّهَادِ الذين لا نَراهم إلا يَوْم العِيد، وقيل: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يأكُلُون [وَيَشْرَبُونَ] وَيَلْبَسُون لَيْسُوا من الملائِكَةِ ولا من/ الإِنْسِ ولعلهم خَدَمُ أَهْلِ الجَنَّةِ، وقيل: الروحُ أشْرَفُ الملائِكَةِ، وقال ابن أبي ٢٣٤ ب
نجيح؛ الروحُ همُ الحفَظَةُ الكرامُ الكاتِبُونَ والأصَح أنَّ الروحَ هاهنا هو جبريلُ، وتخصيصُه بالذكر لزِيَادَةِ شرفِه، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿بإذن ربهم من كل أمر﴾ الثعلبيُّ: أي: بكل أمْرٍ قدَّره اللَّهُ وقضاه في تلكَ السنةِ إلى قَابِلٍ؛ قاله ابن عباس، ثم تبتدىء فتقولُ: ﴿سَلاَمٌ هِيَ﴾ ويحتملُ أن يريدَ مِنْ كل فِتْنَةٍ سَلاَمَةٌ، انتهى، قال * ع *: وعلى التأويلِ الأولِ، يَجِيءُ ﴿سَلاَمٌ﴾ خَبَرَ ابتداءٍ مستأنَفًا، أي: سلامٌ هي هذه الليلةُ إلى أول يومِها، ثم ذكرَ ما تقدَم، وقال الشعبيُّ ومنصور: ﴿سلام﴾ بمعنى: التَّحِيَّةِ أي: تُسَلِّمُ الملائكةُ على المؤمِنينَ[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥٢)، (٣٧٧٠٨) عن الحسن، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٤).
(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٥).
(٣) ذكره البغوي (٤/ ٥١١).
(٤) تقدم.
(٥) ينظر: «مفاتيح الغيب» (٣٢/ ٣٣).
(٦) ذكره البغوي (٤/ ٥١٢)، وابن عطية (٥/ ٥٠٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٣٠)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر بنحوه.

تفسير سُورَةِ «البيّنة»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ الجُمْهُورِ وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، والأوَّلُ أَشْهَرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾

[قوله تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا]⁽¹⁾ وفي حرف ابن مسعودٍ⁽²⁾: «لَمْ يَكُنِ المُشْرِكُونَ وَأَهْلُ الكِتَابِ مُنفَكِّينَ».

وقوله تعالى: ﴿مُنفَكِّينَ﴾ معناه: مُنفَصِلِينَ متفرقينَ، تقول: انْفَكَّ الشيءُ عن الشيء؛ إذا انفصلَ عنه، وأمَّا انفك التي هي مِنْ أخواتِ «كَانَ» فلا مَدْخَلَ لَها هنا، قال مجاهد وغيره: لَمْ يَكُونُوا مُنفَكِّينَ عن الكفرِ والضلالِ حتى جَاءَتْهُم البينةُ⁽³⁾، وأوقعَ المستقبلَ موقعَ الماضي في تأتيهم، والبيناتُ: محمَّد ﷺ وشرْعُهُ، قال الثعلبيُّ: ﴿والمُشْرِكِين﴾ يعني: من العربِ وهم عَبَدَةُ الأوثانِ، انتهى، وقال الفراء وغيره: لم يكونوا منفكّينَ عَنْ معرفةِ صحةِ نبوةِ محمدٍ ﷺ والتَّوَكُّفِ لأمره حتى جاءتهم البينةُ فَتَفَرَّقُوا عند ذلك،/ ويتَّجِهُ ٢٣٥أ
في معنى الآيةِ قولٌ ثالثٌ بارعُ المعنى؛ وذلك أَنْ يكونَ المرادُ: لَمْ يَكُنْ هؤلاءِ القومُ

---

(١) سقط في: د.
(٢) ينظر: «الشواذ» ص: (١٧٧)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥٠٧).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥٤)، (٣٧٧٢٢)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٠٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد بنحوه.

منفكين مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَظَرِهِ لَهُمْ حَتَّى يبعثَ إليهِمْ رَسُولاً؛ تقومُ عليهم به الحجةُ، وتتمُّ عَلى مَنْ آمن بهِ النعمةُ فكأنَّه قَالَ: ما كانوا لِيُتْرَكُوا سُدًى، ، والصحفُ المطهَّرة: القرآنُ في صحفهِ؛ قاله قتادة والضحاك[1]، وقال الحسن: الصحفُ المطهَّرة في السماءِ[2]، ﴿فيها كُتُبٌ﴾ أي: أحكامُ كتبٍ، و﴿قيمة﴾ معناه قَائِمة معتدلَة آخذةٌ للناسِ بالعَدْلِ، ثُمَّ ذَمّ تعالى أهْلَ الكتابِ في أنّهم لم يَتَفَرَّقُوا في أمْرِ محمد ﷺ إلا مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآياتِ الواضحةَ؛ وكانوا مِنْ قَبْلُ مُتَّفِقِينَ على نُبُوَّتِهِ وصفتهِ، و﴿حُنَفَاءَ﴾: جَمْعُ حنيفٍ وهو المستقيمُ، وذِكْر الزكاةِ مَعَ ذِكْرِ بَنِي إسرائيل يُقَوِّي قَوْلَ من قَال: السورةُ مدنيةٌ؛ لأنَّ الزكاةَ إنما فُرِضَتْ بالمدينةِ، ولأنَّ النبيَّ ﷺ إنَّما دُفِعَ إلى مناقَضَةِ أهْلِ الكتَابِ بالمدينةِ، **وقرأ** الجمهور: «وذلك دين القيمة» على معنى الجماعة والفِرْقَةِ القيمة، وقال * ص *: قراءة الجمهور: «وذلك دين القيمة» على تقديرِ الأمَّةِ القَيِّمَةِ؛ أي: المستقيمةِ أو الكتُب القيمةِ، **وقرأ** عبد اللَّه[3]: «وذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمَةُ» بتعريفِ الدِّينِ ورَفْعِ القيمة صفةً، والهاءُ فيه للمبالغَةِ أو عَلى تأويلِ أنَّ الدِّينَ بمعنى الملَّة، انتهى، و﴿البَرِيَّة﴾ جميعُ الخَلْقِ؛ لأن اللَّه تعالى براهُم أي: أوْجَدَهُمْ بَعْدَ العَدَم.

وقوله تعالى: ﴿رضي اللَّه عنهم﴾ قِيْلَ ذلك في الدنيا؛ فَرِضاه عنهم هو ما أظْهَرَه عليهم من أمَارَاتِ رحمتهِ، ورضاهُم عنه؛ هو رضَاهم بجميعِ مَا قَسَمَ لَهم من جميعِ الأرزاقِ والأقدارِ، وقال بعضُ الصالحين:/ رضَى العبادِ عن اللَّهِ رِضَاهُمْ بِما يَرِدُ من ٢٣٥ ب
أحكامِه، ورِضَاه عنهم أن يُوَفِّقَهُمْ للرِّضَى عَنْهُ، وقال سري السقطي: إذَا كُنْتَ لاَ تَرْضَى عَنِ اللَّهِ فكَيْفَ تَطْلُبُ منه أنْ يَرْضَى عَنْكَ، وقيل ذَلِكَ في الآخِرَةِ، وخَصَّ تعالى بالذكرِ أهْلَ الخَشْيَةِ؛ لأنها رأْسُ كلِّ بَرَكَةٍ وهيَ الآمِرَةُ بالمعروفِ والناهِيَةُ عن المنكرِ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٦٥٦)، (٣٧٧٢٦) عن قتادة، وذكره ابن عطية (٥/٥٠٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/٥٣٧)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة بنحوه.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/٥٠٧).

(٣) ينظر: «مختصر الشواذ» (١٧٧)، و«البحر المحيط» (٨/٤٩٥)، و«الدر المصون» (٦/٥٥٢).

[تفسيرُ] سُورَةِ «الزلزلة»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ قَالَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ، وَقَالَ قَتَادَةُ، ومُقَاتِلٌ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ﴿٤﴾﴾

[قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض﴾] قد تقدَّم معنى الزلزلةِ، والأثْقَالُ: الموتَى؛ قاله ابن عباس[(١)]، وقيل أَخْرَجَتْ موتَاها، وكنوزَها، وقول الإنسان: ﴿ما لها﴾ هو عَلَى مَعْنَى التعجُّبِ مِنْ هولِ ما يَرَى، قال الجمهور: الإنسانُ هنا الكافِرُ، وقيلَ عامٌّ في المؤمِنِ والكافِرِ، وإِخْبَارُ الأَرْضِ قَالَ ابن مسعودٍ وغيره: هي شَهَادَتُها بِما عُمِلَ عليها مِنْ عَمَلٍ صالحٍ وفاسدٍ[(٢)] ويؤيدُ هذَا التأويلَ قولُه ﷺ: «فَإِنَّهُ لاَ يَسْمَعُ مَدَىٰ صَوْتِ المُؤَذِّنِ إِنْسٌ وَلاَ جِنٌّ وَلاَ شَيْءٌ إِلاَّ شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

* ت *: وخرَّج الترمذيُّ في «جامعِه» عن أبي هريرةَ قال: «قرأ رسول اللَّه ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ؛ قَالَ: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا: أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ عَلَيَّ يَوْمَ كَذَا ـ كَذَا؛ فَهٰذِهِ أَخْبَارُها»[(٣)] قال أبو عيسَىٰ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ؛ انتهى، وكَذَا رواه
٢٣٦ أ أبو بكر بن الخطيبِ، وفيه: عَمِلَ عَلَيَّ في يَوْمِ كَذَا وَكَذَا/ وَفِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٥٩)، (٣٧٧٣٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥١٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٤٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٠)، (٣٧٧٤٠) عن سفيان، وذكره ابن عطية (٥/ ٥١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧)، كتاب «التفسير» باب: ومن سورة: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ (٣٣٥٣).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾

وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الباءُ باءُ السببِ وقَالَ ابن عباس وغيرُه: المعنى أوحَى إليهَا[1]، قال * ص *: المشهورُ أنَّ ﴿أَوْحَى﴾ يتعدَّىٰ بـ«إلى» وَعُدِّيَ هنا باللامِ مُرَاعَاةً للفَوَاصِلِ، وقال أبو البقاء: ﴿لها﴾ بِمَعْنَى إِلَيْهَا، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾ بمعنى: يَنْصَرِفُونَ مِنْ موضعِ وُرُودِهِم مُختلِفِي الأَحْوَالِ، قال الجمهور: وُرُوْدُهُمْ بالموت، وصدورُهُمْ هو القيامُ إلَى البَعْثِ والكلُّ سائرٌ إلى العَرْضِ ليرَى عَمَلَه، ويقفُ عليه، وقيل: الورودُ هو ورودُ المَحْشَرِ والصَّدَرُ أشْتَاتاً هُو صَدَرُ قَوْمٍ إلى الجنةِ وقَوْمٍ إلى النَّارِ ليروا جَزَاء أعمالهم.

وَقَوْله ـ جلت عظمته ـ: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ الآية، كانَ النبي ﷺ يُسَمِّي هٰذِهِ الآيَةَ الجَامِعَةَ الفَاذَّةَ، ويُرْوَىٰ أَنَّهُ «لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ بَكَى أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ أُسْأَلُ عَنْ مَثَاقِيلِ الذَّرِّ؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا رَأَيْتَهُ في الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَهُ فَبِمَثَاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ، وَيَدَّخِرُ لَكَ اللَّهُ مَثَاقِيلَ ذَرِّ الخَيْرِ إِلَى الآخِرَةِ»[2]، قال الداووديُّ: بَيْنَمَا عُمَرُ بن الخَطَّابِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ليلاً، إذا رَكْبٌ مُقْبِلِينَ مِنْ جِهَةٍ، فَقَالَ لبعض مَنْ معه: سَلْهُمْ مِنْ أَيْنَ أقبلوا؟ فقال له أحدهم: من الفَجِّ العميقِ، نُرِيدُ البَلَدَ العَتِيقَ، فَأُخْبِرَ عَمَرُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَوَقَعُوا في هٰذَا؟ قُلْ لَهُمْ، فَمَا أَعْظَمُ، آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ، وأَحْكَمُ آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ، وَأَعْدَلُ آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ، وَأَرْجَىٰ آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ، وَأَخْوَفُ آيَةٍ في كِتَابِ
٢٣٦ ب اللَّهِ؟ فَقَالَ لَهُ قَائِلُهُمْ: أَعْظَمُ آيَةٍ في/ كِتَابِ اللَّهِ آيَةُ الكُرْسِيِّ [البقرة: ٢٥٥]، وَأَحْكَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وَأَعْدَلُ آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وأَرْجَىٰ آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيؤْتِ مِن لدنهُ أَجْرًا عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٠] وَأَخْوفُ آيَةٍ في كِتَابِ اللَّه: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣] فأُخبِرَ عمر بِذلك، فَقَالَ لَهُمْ عمرُ: أَفِيكُم ابنُ أُمِّ عَبْدٍ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، وَهُوَ الَّذِي [كَلَّمَكَ]، قال

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦١)، (٣٧٧٤٣)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٥)، وابن عطية (٥/ ٥١١)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٣٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٤٥)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) ينظر: «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٤).

عُمَرُ: كُنَيْفٌ مُلىءَ عِلْماً آثرْنَا بِهِ أَهْلَ القَادِسِيَّةِ عَلَى أَنْفُسِنَا. قال الداوودي، ومعْنَى أعظم آية يُرِيدُ في الثواب، انتهى[(١)].

---

(١) ذكره البغوي (٤/٥١٦) عن ابن مسعود قال: أحكم آية في كتاب اللّه: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾.

تَفسِيرُ سُورَةِ «العَادِيَاتِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ في قَوْلِ جَمَاعَةٍ، وَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾

قال ابنُ عباس وغيره: المرادُ بـ﴿العاديات﴾: الخيلُ؛ لأنها تَعْدُو بالفُرْسَانِ، وَتَضْبَحُ بأصْوَاتِها[١]، وعن ابن مسعود وعلي أن ﴿العادياتِ﴾ هنا: الإبِلُ لأنها تَضْبَحُ في عَدْوِها[٢]، قال علي ـ رضي الله عنه ـ: والقَسَمُ بالإبل العادياتِ مِنْ عَرَفَةَ ومِنَ المُزْدَلِفَةِ، إذا دَفَعَ الحاجُّ، وبإبل غَزْوَةِ بدرٍ[٣]، والضَّبْحُ تَصْوِيتٌ جَهِيرٌ عِنْدَ العَدْوِ، قال الداوودي: وهو الصوتُ الذي يُسْمَعُ من أجوافِها وقتَ الرَّكْضِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿فالموريات قدحاً﴾ قال علي وابن مسعود هي: الإبلُ؛ وذلك بأنها [في] عَدْوِها تَرْجُمُ الحَصْبَاءَ بالحَصْباءِ فَتَتَطَايَرُ منهَا النارُ، فذلك القَدْحُ، وقال ابن عباس:
٢٣٧أ هي الخيلُ؛ وذلكَ بِحَوَافِرِها في الحِجَارة، وقال ابن عباس أيضاً وجماعةٌ: الكلام/ عَامٌّ يَدْخُلُ في القَسَمِ كلُّ مَنْ يُظْهِرُ بِقَدْحِه ناراً. * ص *: ﴿قدحاً﴾ أبو البقاءِ: مَصْدَرٌ مؤكِّد؛

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٤)، (٣٧٧٦٣)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٧)، وابن عطية (٥/ ٥١٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٠)، وعزاه للبزار، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والدارقطني في الأفراد، وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٧)، (٣٧٧٨٥)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٧)، وابن عطية (٥/ ٥١٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٢)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٦٦)، (٣٧٧٨١)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٧)، وابن عطية (٥/ ٥١٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٢)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في «المصاحف»، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس بنحوه.

لأَن المُورِيَ هُوَ القَادِح، انتهى، ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ قال علي وابن مسعود هي: الإبلُ مِن مزدلفةَ إلى مِنًى، وفي بدرٍ، وقال ابن عباس وجماعة كثيرة: هي الخيلُ، واللَّفْظَةُ منَ الغَارَةِ في سبيلِ اللَّهِ وغير ذلك من سير الأُمَم وعُرْفُ الغَارَاتِ أَنَّها مَعَ الصَّبَاح، والنَّقْعُ الغبارُ الساطِعُ المثَارُ، والضمير في ﴿به﴾ ظاهِرُه أَنَّه للصُّبْحِ المذكورِ، ويحتملُ أَنْ يكونَ للمكانِ والمَوْضِع الذي يقتضيه المعنى، ومشهورٌ إثارةُ النَّقْعِ هو للخيل، وقال علي: هو هنا للإبل.

﴿فوسطن به جمعاً﴾ قال علي وابن مسعود هي: الإبلُ، و﴿جَمْعاً﴾ هي المزدلفة، وقال ابن عباس وجماعة: هي الخيلُ، والمرادُ جَمْعٌ مِنَ الناسِ هم المَغْزُوُّونَ، والقَسَمُ واقِع على قوله: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الكَنُودُ؟ قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هُوَ الكَفُورُ الَّذِي يَأْكُلُ وَحْدَهُ، وَيَمْنَعُ رِفْدَهُ، وَيَضْرِبُ عَبْدَهُ»، وقد يَكُونُ في المؤمِنينَ الكَفُورُ بالنِّعْمَةِ فتقديرُ الآيَةِ: إِنَّ الإِنْسَانَ لِنعمةِ ربِّه لَكَنُودٌ، وأَرْضٌ كَنُودٌ: لاَ تُنبِتُ شَيْئاً، والكَنُودُ: العَاصِي بلُغَةِ كِنْدَة، ويقال للبخيل: كَنُودٌ، وفي البخاريِّ عن مجاهِدٍ: الكَنُودُ الكَفُورُ، انتهى[١].

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ۝١١﴾

وقوله تعالى: ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ يحتملُ الضميرُ أَنْ يعودَ عَلَى اللَّهِ تعالى؛ وقالَهُ قتادة[٢]، ويحتملُ أَنْ يَعُودَ على الإنسان؛ أَنَّه شَاهِدٌ عَلى نَفْسِهِ بِذَلِكَ؛ وهذا قول مجاهد وغيره[٣].

﴿وإنه لحب الخير﴾ أي: وإِنَّ الإنسانَ لحبِّ الخَيْرِ، والمعنى من أَجْلِ حبِّ الخَيْرِ، ﴿لَشَدِيدٌ﴾/ أي: بَخِيلٌ بالمَالِ ضَابِطٌ له، والخيرُ هنا المالُ، ويحتملُ أن يُرَادُ هنا الخيرُ ٢٣٧ ب
الدنيويُّ من مالٍ، وصحةٍ، وجاهٍ عندَ الملوك، ونحوه؛ لأَنَّ الكفارَ والجُهَّال لا يعرفونَ غيْرَ ذلكَ، وأَمَّا [الحُبُّ في خَيْرِ الآخرة فَمَمْدُوحٌ؛ مَرْجُوٌّ لَه الفوزُ، وقَال الفراء: مَعْنَى الآيَةِ: أَنَّ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٧٢)، (٣٧٨٢٩)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٣)، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد عن مجاهد، وذكره البخاري (٨/ ٥٩٩)، كتاب «التفسير» معلقاً.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٧٣)، (٣٧٨٤٤)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥١٤)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٤)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة.

(٣) ذكره ابن عطية (٥/ ٥١٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٢)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لابن أبي حاتم.

الإنسانَ لشديدُ الحبِّ لِلْخَيْرِ ولما تَقَدَّمَ] الخيرُ قَبْلَ «شديدٍ» حُذَف مِنْ آخِره؛ لأَنه قَدْ جَرَى ذِكْرهُ؛ ولرؤوسِ الآي، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ﴾ تَوْقِيفٌ، أي: أفلا يعلم مآله ومصيره فيستعدّ لَهُ.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾، أي: مُيِّزَ وأبْرزَ مَا فِيها ليقعَ الجزاءُ عليه، ويفسِّرُ هذَا قولُه ﷺ: «يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» وفي قولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ وَعِيدٌ، * ص *: والعَامِلُ في ﴿يومئذٍ لخبير﴾ على تضمينِه مَعْنى: لَمُجازٍ؛ لأَنَّه تَعَالَى خَبِيرٌ دَائِماً، انتهى.

تفسِيرُ سُورَةِ «القَارِعَةِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِلاَ خِلاَفٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

قَال الجُمْهُورُ: ﴿القَارِعَةُ﴾ القيامةُ نَفْسُها، والفَرَاشُ: الطيرُ الذي يَتَساقَطُ في النارِ، ولا يَزَال يتقحمُ على المصباحِ، وقال الفَرَّاءُ: هو صَغِيرُ الجَرَادِ الذي ينتشر في الأرضِ والهواءِ، وفي البخاريّ: ﴿كالفَراشِ المبثوث﴾: كَغَوْغَاءِ الجَرَادِ يركبُ بعضُه بعضاً؛ كذلكَ الناسُ يومئِذٍ؛ يجولُ بعضُهم في بعض، انتهى، و﴿المَبْثُوث﴾ هنا معناه: المتفرِّقُ جمعُه؛ وجملتُه مَوْجودةٌ متصلةٌ، والعِهْنُ هو: الصوفُ والنَّفْشُ خَلْخَلَةُ الأَجْزاءِ وتفريقُها عَن تَرَاصِيها.

وقوله تعالى: ﴿فأُمُّه هَاوِيَة﴾ قال كثير من المفسرين: المرادُ بالأُمِّ نَفْسُ الهَاوِيَةِ، وهذا كما يقال للأَرْضِ أم الناس؛ لأنها تُؤْوِيهِمْ، وقال أبو صالح/ وغيره: المُرَادُ أُم رأْسِه؛ لأَنَّهُمْ ٢٣٨ أ
يَهْوُونَ عَلى رُؤوسِهم[(١)]؛ وَرَوى المبرِّدُ «أنَّ النبيَّ ﷺ: قَالَ لرَجُلٍ: لاَ أُمَّ لَكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَدْعُوني إِلَى الهُدَىٰ وَتَقُولُ: لاَ أُمَّ لَكَ، فَقَالَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: إِنَّما أَرَدْتُ لاَ نَارَ لَكَ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿فأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾».

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٧٧)، (٣٧٨٦٥)، وذكره البغوي (٤/ ٥١٩)، وابن عطية (٥/ ٥١٧)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٤٣)، والسيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه لابن جرير.

[تفسيرُ] سُورَةِ «التَّكَاثُرِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ أي: شَغَلَكُمْ المباهاةُ والمفاخرةُ بكثرةِ المالِ والأولادِ والعَدَدِ، وهذا هِجّيرى أبناءِ الدنيا العربِ وغيرهم؛ لا يتخلصُ منه إلا العلماء المتقون، قال الفخر: فالألفُ واللامُ في ﴿التكاثر﴾ ليسَ للاسْتِغْرَاقِ بَلْ للمَعْهُودِ السَّابِقِ في الذِّهْنِ، وهو التكاثرُ في الدنيا؛ ولذاتِها وعلائِقها؛ فإنّه هُو الذي يَمْنَعُ عن طاعةِ اللّه وعبوديّتِه؛ ولما كَانَ ذلك مُقَرَّراً في العقولِ ومُتَّفَقاً عليه في الأديان لاَ جَرَمَ؛ حَسُنَ دخولُ حرف التعريف عليه؛ فالآيةُ دالّةٌ على أن التكاثرَ والتفاخرَ بما ذُكِرَ مذمومٌ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي حتى مُتُّمْ فَدُفِنْتُم في المقابِرِ وهذا خبرٌ فيه تَقْرِيعٌ وتوبيخ وتحسُّرٌ، وفي الحديثِ الصحيحِ عنه ﷺ «يَقُولُ ٱبْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا بْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ»[1] قال * ص *: قرأ الجمهورُ: «أَلْهَاكُم» على الخبرِ، وابنُ عباسٍ بالمدِّ، والكسائي[2] في روايةٍ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٣)، كتاب «الزهد والرقائق» باب: (٣/ ٢٩٥٨)، والترمذي (٥/ ٤٤٧)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة التكاثر (٣٣٥٤)، (٤/ ٥٧٢)، كتاب «الزهد» باب: منه (٢٣٤٢)، والنسائي (٦/ ٢٣٨)، كتاب «الوصايا» باب: الكراهية في تأخير الوصية (٣٦١٣)، وأحمد (٤/ ٢٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢١١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وفي الباب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٣)، كتاب «الزهد والرقائق» باب: (٤/ ٢٩٥٩)، والبيهقي (٣/ ٣٦٩)، كتاب «الجنائز» باب: ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قعر الأمل، وابن حبان في «صحيحه» (٨/ ٣٥ ـ ٣٦) كتاب «الزكاة» باب: ما جاء في الحرص وما يتعلق به (٣٢٤٤).

(٢) ينظر: «مختصر القراءات» (١٧٩)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٠٦).

بهمزَتَيْنِ، ومعنى الاستفهامِ التوبيخُ والتقريرُ، انتهى، قال الفخر: اعْلَمْ أنَّ أهم الأمور وأولاها بالرعايةِ تَرْقِيقُ القلبِ، وإزالَةُ حُبِّ الدنيا منه، ومُشَاهَدَةُ القبورِ تُورِثُ ذلكَ؛ كما
٢٣٨ ب ورد/ به الخَبَرُ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ زَجْرٌ ووعيدٌ، ثم كُرِّرَ تَأكِيداً، ويأخذ كل إنسانٍ من هذا الزجرِ والوعيدِ المُكَرَّرِ على قدر حظِّهِ من التوغُّلِ فيما يُكْرَه؛ هذا تأويل الجمهور، وقال عليٌّ: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ في القبرِ، ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ في البَعْثِ(١)، قال الفخر(٢): وفي الآيةِ تَهْدِيدٌ عظيمٌ للعلماءِ فَإنها دالة على أنه لَوْ حَصَلَ اليقينُ لَتَرَكُوا التكاثُرَ والتَّفَاخُرَ؛ فهذا يَقْتَضِي أنَّ مَنْ لا يترك التكاثرَ والتفاخرَ أنْ لاَ يكونَ اليقينُ حَاصِلاً له؛ فالويلُ للعالمِ الذي لا يكونُ عَاقِلاً؛ ثم الويل له، انتهى.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

وقوله تعالى: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ﴾ جوابُ «لو» محذوفٌ تقديرهُ لاَزْدُجِرْتُمْ، [وبَادَرْتُم] إنقاذَ أنفُسِكم من الهَلَكَةِ، واليقينُ أعلى مراتبِ العلم، ثم أخْبَرَ تعالى الناسَ أنَّهم يَرَوْنَ الجحيمَ، وقال ابن عباس: هذا خطابٌ للمشركينَ والمَعْنَى على هذا التأويلِ: أنها رؤيةُ دخولٍ وصَلْيٍ؛ وَهُوَ عينُ اليقينِ لَهُم(٣)، وقال آخرونَ: الخطابُ للناسِ كلِّهم، فهي كقوله تعالى: ﴿وإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها﴾ [مريم: ٧١] فالمعنى أنّ الجميعَ يَرَاها؛ ويجوزُ النَّاجِي وَيَتَكَرْدَسُ فيها الكافرُ، * ص *: ﴿لَتُرَوُنَّ﴾ ابن عامر والكسائي ـ بضم التاء ـ، والباقون بفتحها(٤)، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ تأكيدٌ في الخبرِ، وعينُ اليقينِ: حقيقتُه وغايتُه، ثم أخْبَرَ تعالى أنّ الناسَ مَسْؤولونَ يَوْمَئِذٍ عَنْ نعيمِهم في الدنيا؛ كيفَ نالُوه ولِمَ آثَرُوهُ، وتَتَوَجَّهُ في هذا أسئلةٌ كَثِيرَةٌ بِحَسَبِ شَخْصٍ شَخْصٍ، وهِيَ مُنْقَادَةٌ لِمَنْ أُعْطِيَ فَهْماً
٢٣٩ أ في كِتَابِ اللَّه ـ عز وجل ـ، وقد قال ﷺ/ لأصْحابه: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، لَتُسْألُنَّ عَنْ

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٧٩)، (٣٧٨٧٣) عن علي رضي اللَّه عنه، وذكره ابن عطية (٥/ ٥١٩).
(٢) ينظر: «مفاتيح الغيب» (٣٢/ ٧٦).
(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٨٠)، (٣٧٨٧٨)، وابن عطية (٥/ ٥١٩).
(٤) ينظر: «السبعة» (٦٩٥)، و«الحجة» (٦/ ٤٣٤)، و«إعراب القراءات» (٢/ ٥٢٤)، و«معاني القراءات» (٣/ ١٦٠)، و«شرح الطيبة» (٦/ ١٣٣)، و«العنوان» (٢١٣)، و«حجة القراءات» (٧٧١)، و«شرح شعلة» (٦٢٦)، و«إتحاف» (٢/ ٦٢٦).

نَعِيم هٰذَا الْيَوْم»[١]، الحديثُ في الصحيح؛ إذْ ذَبَحَ لَهُمْ أبُو الهَيْثَم بْنُ التَّيِّهَانِ شَاةً وَأَطْعَمَهُمْ خُبْزاً وَرُطَباً، وَاسْتَعْذَبَ لَهُمْ مَاءً، وَعَنْ أبي هريرةَ في حديثِهِ في مسيرِ النبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ إِلَىٰ بَيْتِ أبي الهَيْثَم، وأَكْلِهِمُ الرُّطَبَ وَاللَّحْمَ وَشُرْبِهِمُ المَاءَ، وقوله ﷺ هٰذَا هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وإنَّ ذَلِكَ كَبُرَ عَلَىٰ أصحابِهِ، وإنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قَال: «إذا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هٰذَا وَضَرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَقُولُوا: بِٱسْمِ اللَّهِ، وَعَلَىٰ بَرَكَةِ اللَّهِ، وَإذَا شَبِعْتُمْ، فَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَفْضَلَ، فَإنَّ هٰذَا كَفَافٌ [بِذَاكَ]» هذا مختصرٌ[٢] رواه الحاكم في المستدركِ، انتهى من «**سلاح المؤمن**» قال الداووديُّ: وعن الحسنِ وقَتَادَة: ثَلاَثٌ لا يَسْأَلُ اللَّهُ عنهنّ ابنَ آدمَ ومَا عَدَاهُنَّ فيه الحسابُ والسؤال؛ إلا مَا شَاءَ اللَّهُ: كسوةٌ يوارِي بها سوءَتَه، وكِسْرَةٌ يَشُدُّ بِهَا صلبَه، وبيتٌ يُكِنُّه مِنَ الحرّ والبردِ، انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٦٠٩ ـ ١٦١٠)، كتاب «الأشربة» باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، فيتحققه تحققاً تاماً، واستحباب الاجتماع على الطعام (١٤٠، ١٤٠/٢٠٣٨).

(٢) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**» (٤/١٠٧) مختصراً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: صحيح.

تفسير سورة «العصر»

وهي مكيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

قال ابن عباس: ﴿العَصْر﴾ الدهرُ[١]، وقال مقاتل: العَصْرُ هي صلاةُ العَصْرِ، وهي الوُسْطَى، أقْسَم اللَّهُ بها[٢]، وقال أُبَيُّ بن كعب: سألتُ النبيَّ ﷺ عَن ﴿وَالْعَصْرِ﴾ فَقَالَ: «أقْسَمَ رَبُّكُمْ بآخِرِ النَّهارِ»، و﴿الإِنْسَان﴾ هنا اسْمُ جنسٍ والخُسْرُ: النُّقْصَانُ وَسُوءُ الحالِ، وَمَنْ كَانَ مِنَ المؤمنينَ في مُدَّةِ عمره في التَّواصِي بالحقّ، والصَّبْرِ، والعَمَلِ؛ بِحَسَبِ الوَصَاةِ فَلاَ خُسْرَ مَعَه وَقَدْ جَمَعَ الخيرَ كلَّه.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٨٥)، (٣٧٩٠٨) عن ابن عباس، وذكره البغوي (٤/ ٥٢٢)، وابن عطية (٥/ ٥٢٠).

(٢) ذكره البغوي (٤/ ٥٢٢)، وابن عطية (٥/ ٥٢٠).

[تفسيرُ] سُورَةِ «الهُمَزَةِ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾

تقدم تفسير: ﴿ويل﴾ والـ﴿هُمَزَةُ﴾: الذي يَهْمِزُ الناسَ بلسانهِ، أي: يَعيبُهم ويَغْتَابُهم، والـ﴿لُمَزَةُ﴾: قريبٌ في المعنى مِنْ هَذا، وَقَدْ تَقدم بيانه في قوله تعالى: ﴿ولاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، وفي قوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ [التوبة: ٧٩] وغيره، قيل: نَزَلَتْ هذه الآيةُ في الأَخْنَسِ بن شُرَيْق، وقِيلَ في جميل بن عامر، ثم هِي تتناولُ كلَّ مِنِ اتَّصَفَ بهذه الصفاتِ.

﴿وَعَدَّدَهُ﴾ معناه: أحْصَاهُ وحافظَ على عَدَدِهِ أنْ لاَ يَنْتَقِصَ، وقال الداوودي: ﴿وعَدَّدَه﴾: أي: اسْتَعَدَّه، انتهى، ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾: لَيُطْرَحَنَّ * ص *: ﴿نَارُ اللَّهِ﴾: خَبَرُ مبتدإٍ مَحْذُوفٍ، أي: هي نارُ اللَّهِ، انتهى.

و﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾: أي: الَّتِي يَبْلُغَ إحْرَاقَها وألمهَا القلوبَ.

و«موصدة»: أي مُطْبَقَة مُغْلَقَة.

﴿في عمد﴾ جَمْع عَمُودٍ، وقرأ ابن مسعود[1]: «مُؤْصَدَةٌ بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ» وقال ابن زيد: المعنى: في عَمَد حديدٍ مَغْلُولينَ بها، والكلُّ من نار[2]، عافانا اللَّه من ذلك.

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٢٢).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٦٩٠)، (٣٧٩٤٧)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٢٢).

تفسير سورة «الفيل»

وهي مكيّة بإجماع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

هذه السورةُ تنبيهٌ على العِبرَةِ في أخذِ اللَّهِ تعالى لأَبْرَهَةَ أميرِ الحَبَشَةِ، حينَ قَصَدَ الكعبةَ ليهدمَها، وكانَ صاحبَ فيلٍ يَرْكَبُه، وقصتُه شهيرةٌ في السِّيَرَ فِيها تطويلٌ، واختصارها أن أبرهَة بَنَى في اليمنِ بَيْتاً وأرادَ أن يَرِدَ إليه حجُّ العَرَبِ، فذهبَ أعرابي وأحْدَثَ في ذلك البيتِ، فَغَضِبَ أَبْرَهَةُ واحْتَفَلَ في جُمُوعِه، ورَكِبَ الفيلَ وقَصَدَ مكةَ، فَلمَّا قَرُبَ منها، فَرَّتْ قريشٌ إلى الجبالِ والشِّعَابِ من مَعَرَّةِ/ الجيْشِ، ثم تَهَيَّأَ أبرهةُ لدخولِ مكةَ ٢٣٩ ب وَهَيَّأَ الفيلَ، فأخَذَ نُفَيْلُ بنُ حَبِيبٍ بِأُذُنِ الفيلِ وكان اسمه محموداً، فقال له: ابْرُكْ، محمودُ؛ فَإِنَّكَ في حَرَمِ اللَّه، وارْجِعْ مِنْ حَيْثُ جِئتَ رَاشِداً، فَبَرَكَ الفِيلُ بِذِي الغَمِيسِ، فَبَعَثُوهُ فَأَبَى فَضَرَبُوا رأسه بالمِعْوَلِ، ورَامَوْهُ بِمَحَاجِنِهِمْ فَأَبَى، فَوَجَّهُوه رَاجِعاً إلى اليمنِ، فَقَامَ يُهَرْوِلُ، فبعثَ اللَّه عليهم طَيْراً جماعاتٍ جماعاتٍ سُوداً مِنَ البَحْرِ، عِنْدَ كُلِّ طَائِرٍ ثلاثَةُ أحْجَارٍ؛ في منقارِه، ورِجْلَيْهِ، كلُّ حَجَرٍ فَوْقَ العَدَسَةِ ودون الْحِمَّصَةِ، ترميهم بهَا، فَمَاتوا في طريقِهم متفرقينَ وتَقَطَّع أبْرَهَةُ أُنْمَلَةً أُنْمَلَةً حتى مات، وحَمَى اللَّهُ بيتَه، والأبابيلُ: الجماعاتُ تَجِيءُ شيئاً بَعْدَ شيءٍ، قال أبو عبيدةَ: لاَ وَاحِدَ لَهُ مِنْ لفظهِ[1]، قال الفخر[2]: و﴿في تَضْلِيلٍ﴾ مَعْنَاهُ: في تَضْيِيعٍ وإبْطَالٍ، يقال: ضَلَّلَ كيدَه، إذا جعلَه ضَالاً ضَائِعاً، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿وما كَيْدُ الكَافِرِينَ [إلاَّ في ضَلاَلٍ﴾] [غافر: ٢٥] انتهى، والعَصْفُ: وَرَقُ الحِنْطَةِ وتِبْنُه، والمعنى صَارُوا طَحِيناً ذَاهِباً كَوَرَقِ حِنطَةٍ أَكَلَتْهُ الدَّوابُّ، ورَاثَتْهُ، فَجمَعَ

(١) ذكره الطبري (١٢/ ٦٩٠)، والبغوي (٤/ ٥٢٨)، وابن عطية (٥/ ٥٢٣).
(٢) ينظر: «مفاتيح الغيب» (٣٢/ ٩٤).

لَهُمْ المهَانَةَ والخِسَّةَ والتَّلَفَ، قال الفخر: وقيل المعنى: كَعَصْفٍ صَالحٍ لِلأَكْلِ، والمعنى جَعَلَهُمْ كَتِبْنٍ تأكُلُه الدَّوَابُّ؛ وهو قولُ عكرمةَ والضحاك، انتهى[1]، ومن كتابِ «**وسائل الحاجات وآداب المناجات**» للإمام أبي حامد الغزالي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ قَال: وَقَدْ بَلَغَنَا عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الصالحينَ وأربابِ القلُوب أنه من قَرأَ في رَكْعَتي الفَجْر؛ في الأُولَى الفاتحةَ و«أَلَمْ نَشْرَحْ»، وفي الثانيةِ الفاتحةَ و«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ» قَصُرَتْ يَدُ كُلِّ عَدُوٍّ عنه، ولم
٢٤٠أ يُجْعَلْ لهم إليه سبيلٌ، قال الإمام أبو حامد: وهذا صحيح/ لاَ شَكَّ فِيه، انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري (٦/٦٩٨)، (٣٧٩٩٥) عن الضحاك، وذكره البغوي (٤/٥٢٩)، وابن عطية (٥/ ٥٢٤)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/٦٧٦)، وعزاه لعبد بن حميد عن عكرمة.

تفسير سورة «قُريش»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾

قريشٌ، ولدُ النَّضرِ بن كنانةَ، والتَّقرُّشُ: التَّكسُّبُ، والمعنى أن اللَّهَ تَعالى جَعَلَ قريشاً يألَفُونَ رِحْلَتَيْنِ في العام، واحدةً في الشتاءِ وأخْرَى في الصيفِ، قال ابن عباس: كانوا يَرْحلُونَ في الصيفِ إلى الطائفِ؛ حيثُ الماءُ والظلُّ ويرحلونَ في الشّتاءِ إلَى مكةَ[1]، قال الخليل: معنى الآيةِ؛ لأنْ فَعَلَ اللَّهُ بقريشٍ هَذا ومكنَهم من إلْفِهِم هذه النعمةَ فَلْيَعْبُدُوا ربَّ هَذَا البيتِ.

وقولُهُ تعالى: ﴿مِنْ جُوعٍ﴾ معناه أنَّ أهْلَ مكةَ قَاطِنُون بوادٍ غَيْرِ ذي زرعٍ عُرْضَةٍ للجوعِ والجَدْبِ؛ لولا فضلُ اللَّه عليهِم.

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٠٣)، (٣٨٠١٤)، وذكره البغوي (٤/ ٥٣٠)، وابن عطية (٥/ ٥٢٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٧٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس.

[تفسير] سورةِ «الماعون»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾

قوله سبحانه: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ الآيَةَ، توقيفٌ وتنبيهٌ لِتَتَذكَّرَ نَفْسُ السامعِ كلَّ من تعرفُه بهذه الصفةِ، والدينُ: الجزاءُ.

ودعُّ اليتيم: دَفْعُه بعُنْفٍ؛ إمَّا عن إطعامهِ والإحْسَانِ إليه، وإما عن حقّه ومالِه، وهو أشد، ويُرْوَى أنَ هذهِ الآيَةَ نزلتْ في بعضِ المُضْطَرِبِينَ في الإسلام بمكةَ، لم يُحَقِّقُوا فيه، وفُتِنُوا فَافْتَتَنُوا، وربَّمَا كَانَ يصلي بعضُهم أحياناً مع المسلمينَ مدافعَةً وحَيْرَةً، فقال تعالى فيهم: ﴿فَوَيْلٌ للمصلينَ﴾ الآية، ونقل الثعلبي عن ابن عباس وغيره؛ أنَّ الآيَةَ نزلت في العاصِ بن وائلٍ، انتهى[1]، وقال السهيليّ: قال أهل التفسير: نَزَلَ أولُ السورةِ بمكةَ في أبي جهلٍ، وهو الذي يكذِّبُ/ بالدينِ، ونزل آخرُها بالمدينةِ في عبد اللَّه بن أُبَيٍّ ابن سلولٍ ٢٤٠ ب
وأصحابه، وهم الذين يُرَاؤُونَ ويَمْنَعُونَ الماعون، انتهى، قال سعد بن أبي وقاص: سألتُ النبيَّ ﷺ عن ﴿الذينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِم سَاهُونَ﴾، فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ يُؤَخِّرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا»[2]، يريدُ ـ واللَّه أعلم ـ تَأْخِيرَ تَرْكٍ وإهْمَالٍ، وإِلَىٰ هذَا نَحَا مجاهدٌ[3]، وقَالَ

---

(١) ذكره البغوي (٤/ ٥٣١).

(٢) أخرجه البيهقي (٢/ ٢١٤)، كتاب «الصلاة» باب: الترغيب في حفظ وقت الصلاة والتشديد على من أضاعه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٣٣): رواه أبو يعلى وإسناده حسن.
قال ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (١/ ١٧٨)، فسمعت أبا زرعة يقول: هذا خطأ والصحيح موقوف.

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٠٧)، (٣٨٠٤٨)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٢٧).

عطاء بن يَسَارٍ: الحمدُ للّهِ الَّذِي قَال: ﴿عَنْ صَلاَتِهِم﴾ وَلَمْ يَقُلْ: في صَلاَتِهِمْ[١].

وقوله تعالى: ﴿الذينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ بيانُ أنَّ صلاةَ هؤلاءِ لَيْسَتْ للّهِ تعالى بإيمانٍ، وإنَّمَا هي رياءٌ للبشر، فلاَ قَبُولَ لها.

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾ وصفٌ لهم بِقِلَّةِ النفعِ لعبادِ اللّهِ، وتلكَ شَرُّ خِصْلَةٍ، وقال عليٌّ وابن عمر: ﴿الماعونَ﴾: الزكاة[٢]، وقَالَ ابنُ مسعودٍ وابن عباس وجماعة: هُو مَا يَتَعَاطَاهُ النَّاسُ كَالفَأْسِ، والدَّلْوِ، والآنِيَةِ، والمقَصِّ؛ ونحوه[٣]، وسُئِلَ النبي ﷺ: مَا الشَّيْءُ الَّذِي لاَ يَحِلُّ مَنْعُهُ فَقَالَ: المَاءُ وَالنَّارُ، والمِلْحُ، ورَوَتْهُ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا ـ، وفي بَعْضِ الطُّرُقِ زيادَة الإبْرَةِ، والخَمِيرِ، قال البخاريُّ: المَاعُونُ: المعروفُ كلُّه، وقال بعضُ العربِ: الماعونُ: الماءُ، وقال عكرمةُ: أعلاه الزكاةُ المفروضةُ، وأدناه عَارِيَّة المَتَاعِ، انتهى[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٠٨)، (٣٨٠٥٦)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٢٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٥٥).

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٧١٠) عن علي برقم: (٣٨٠٧٢)، وعن ابن عمر برقم: (٣٨٠٧٣)، وذكره البغوي (٤/ ٥٣٢)، وابن عطية (٥/ ٥٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٥)، وعزاه للفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في «سننه».

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٧١٠)، (٣٨٠٧٧)، عن ابن مسعود، وعن ابن عباس برقم: (٣٨١١٥)، وذكره البغوي (٤/ ٥٣٢)، وابن عطية(٥/ ٥٢٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٤)، وعزاه للطبراني عن ابن مسعود.

(٤) ذكره البغوي (٤/ ٥٣٢)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٥٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٨٥)، وعزاه لابن أبي حاتم عن عكرمة.

تفسيرُ سُورَةِ «الكَوْثَر»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

قال جماعة من الصحابة والتابعين: ﴿الكوثر﴾ نَهرٌ في الجنةِ حافَّتَاه قِبَابٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ مجوَّفٍ، وطينُه مِسْكٌ وحَصْبَاؤه يَاقُوتٌ، ونحوُ هذا مِنْ صفاتِه، وإنِ اختلفت أَلْفَاظُ رُوَاتِه،
١٢٤١ وقال ابن عباس: الكَوْثَرُ: الخَيْرُ الكَثِيرُ/ قال ابن جُبَيْرٍ: النَّهْرُ الذي في الجنةِ هُو من الخير الذي أعْطَاه اللَّهُ إياه[١] * ت *: وخَرَّجَ مسلمٌ عَنْ أنسٍ قَال: «بينما رسولُ اللَّه ﷺ ذاتَ يوم بَيْنَ أَظْهُرِنَا؛ إِذْ أغْفَىٰ إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فَقَالَ: نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ، فَقَرَأَ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾ إِلَىٰ آخِرِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الكَوْثَرُ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُو حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ» الحديثُ، انتهى، وخَرَّج ابنُ ماجه من حديثِ ثَوْبَانَ عن النبي ﷺ قال: «أَوَّلَ مَنْ يَرِدُ عَلَى الحَوْضِ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ الدُّنُسُ ثِياباً الشُّعْثُ رُؤوساً، الَّذِينَ لاَ يَنْكِحُونَ المُتَنَعِّمَاتِ، وَلاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السُّدَدِ»[٢]، قال الراوي: فبكَىٰ عمرُ بن عبدِ العزيزِ حتَّىٰ اخْضَلَّ لِحْيَتُهُ، حِينَ بلغهُ الحديثُ، وقال: لاَ جَرَمَ، إِنِّي لاَ أَغْسِلُ ثَوْبِي الَّذِي يَلِي جَسَدِي حَتَّىٰ يَتَّسِخَ، وَلاَ أَدْهِنُ رَأْسِي حَتَّىٰ يَشْعَثَ، وخَرَّجَه أبو عيسى الترمذيُّ عن ثَوْبَانَ عنِ النَّبيِّ ﷺ بمعناه[٣]، ونَقَلَ صاحبُ «التذكرة»[٤] عن أنس بن مالك قال: أَوَّلُ مَنْ يَرِدُ الحَوْضَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧١٧)، (٣٨١٤٩)، وذكره البغوي (٤/ ٥٣٣)، وابن عطية (٥/ ٥٢٩)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٥٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٨ ـ ١٤٣٩)، كتاب «الزهد» باب: ذكر الحوض (٤٣٠٣)، وأحمد (٥/ ٢٧٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٢٩)، كتاب «صفة القيامة» باب: (١٥) (٢٤٤٤).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) ينظر: «التذكرة» (١/ ٤١٠).

الذَّابِلُونَ النَّاحِلُونَ السَّائِحُونَ الَّذِينَ إِذَا أَجَنَّهُمُ اللَّيْلُ ٱسْتَقْبَلُوهُ بِالحُزْنِ، انتهى من «**التذكرة**»، ورَوَى أبو داودَ في «سننِه» عن أبي حمزةَ عن زيد بن أرقم قال: كنا مع رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَزَلْنَا مَنزِلاً، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يرِدُ عَلَى الحَوْضِ، قَال: قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَومَئِذٍ؟ قَالَ: سَبْعُمِائَةٍ، أَوْ ثَمَانِمِائَةٍ، انتهى[1].

وقوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ أَمْرٌ بالصلاةِ على العمومِ، والنَّحْرُ/ نَحْرُ الهَدْيِ، ٢٤١ ب والنُّسُكِ، والضَّحَايَا عَلى قول الجمهور.

وقوله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ ردٌّ على مقالةِ بَعْضِ سفهاءِ قريشٍ كأبي جهل وغيرِه، قال عكرمةُ وغيرُه: مَاتَ وَلَدٌ للنبيِّ ﷺ، فقال أَبُو جَهْلٍ: بُتِرَ مُحَمَّدٌ، فنزلت السُّورةُ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبتر﴾ أي: المَقْطُوعُ المَبْتُورُ مِنْ رَحْمَةِ[2] اللَّهِ، والشَّانىءُ المُبْغِضُ، قال الداووديُّ: كل شَانِىء لرسولِ اللَّهِ ﷺ فهو أبْتَرُ، لَيْسَ له يَوْمَ القيامة شَفِيعٌ ولا حَمِيمٌ يطاعُ، انتهى.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٦٥٠)، كتاب «السنة» باب: في الحوض (٤٧٤٦)، أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٢) عن زيد بن أرقم.

(٢) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٣٠)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٥٩)، والسيوطي في «**الدر المنثور**» (٦/ ٦٩١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن عطاء بنحوه.

تفسيرُ سُورَةِ «الكَافِرُونَ»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ إِجْمَاعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

رُوِيَ في سَبَبِ نزولِ هذه السورةِ؛ عن ابن عباس وغيره[1] أن جماعةً من صناديدِ قريشٍ قالوا للنبي ﷺ: دَعْ مَا أَنتَ فيه ونَحْنُ نُمَوِّلُكَ، ونُمَلِّكُكَ عَلَيْنا، وإن لم تفعلْ هذا فلتعبدْ آلهتَنا، ونَعْبُدُ إلٰهكَ، حتى نشتركَ؛ فَحَيْثُ كَانَ الخيرُ نِلْنَاه جميعاً، وَرُوِيَ: أنَّ هذه الجماعةَ المذكورة هم: الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، وأمية بن خلف، وأُبيُّ بن خلف، وأبو جهل، وأبناءُ الحجاج، ونظراؤهم ممن لم يُكْتَبْ له الإسلام، وحُتِّمَ بشقاوَتِه، فأخبرَهم ﷺ عن أمرِ اللَّه ـ عز وجل ـ أنه لا يعبدُ ما يعبدونَ وأنهم غيرُ عابدِي ما يَعْبُدُ، ولما كان قوله: ﴿لاَ أَعْبُدُ﴾ محتملاً أن يُرَادَ بِهِ الآنَ وَيَبْقَى المستأنَفُ منتظَراً، ما يكونُ فيه من عبادتهِ، جاء البيانُ بقوله: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي: أبداً، ثمَّ جاء قوله: ﴿ولا أنتم
عابدون ما أعبد﴾ الثاني حَتْماً/ عليهِمْ أنَّهم لاَ يؤمِنُونَ به أبداً، كالَّذِي كَشَفَ الغيبَ، ثم زَادَ ٢٤٢أ
الأمْرَ بياناً وتَبَرِّياً منهم قولهُ: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ وقَالَ بعضُ العلماءِ: في هذِه الألْفَاظِ مُهَادَنَةٌ ما؛ وهِيَ مَنْسُوخَةٌ.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/٦٢٧)، (٣٨٢٢٥)، وذكره ابن عطية (٥/ ٥٣١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٢)، وعزاه لابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن عباس.

[تفسيرُ] سُورَةِ «النَّصْرِ»

وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

رَوَتْ عائشةُ أنّ النبي ﷺ لَمَّا فَتَحَ مَكةَ وأسْلَمَتِ العَرَبُ، جَعَلَ يُكْثِرُ أنْ يقولَ: «سبحانَك اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اسْتَغْفِرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ» يَتَأَوَّلُ القرآن في هذه السورةِ، وقال لها مرة: ما أراه إلا حضور أجَلي، وتَأَوَّلَه عمرُ والعباسُ بِحَضْرَةِ النبي ﷺ فصدَّقَهما، ونَزَعَ هذا المنزَعَ ابنُ عباسٍ وغيره، ﴿والفَتْح﴾ هُو فتحُ مكةَ؛ كَذَا فسَّره ﷺ في **«صحيح مسلم»**، والأفواجُ: الجَمَاعَةُ إثْرَ الجماعةِ، * ص *: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي مُتَلَبِّساً، فالباءُ للحالِ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿إنه كان تواباً﴾ بِعَقِبِ ﴿واسْتَغْفِرْه﴾ تَرْجِيَةٌ عَظِيمَةٌ للمُسْتَغْفِرِينَ، قال ابن عمر: نَزَلَتْ هذهِ السورةُ عَلَى النبي ﷺ بِمِنى في أَوْسَطِ أيام التَّشْرِيق في حِجَّة الوَدَاعِ وعَاشَ بَعْدَهَا ثَمَانِينَ يَوْماً، أو نحوَها[١].

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/ ٥٣٢)، وابن كثير في **«تفسيره»** (٤/ ٥٦١)، والسيوطي في **«الدر المنثور»** (٦/ ٦٩٦)، وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبزار، وأبي يعلى، وابن مردويه، والبيهقي في **«الدلائل»** عن ابن عمر بنحوه.

[تفسيرُ] سُورَةِ «المسد»

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ بِإِجْمَاعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

في «**صحيح البخاري**» وغيره عن ابن عباس: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ورهطك منهم المخلصين خَرَجَ رسولُ اللَّه ﷺ حَتَّى صَعِدَ
٢٤٢ ب الصَّفَا فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهُ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا/ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَرَأَيْتُم إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هٰذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؛ قَالُوا: نَعَمْ؛ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِباً، قَالَ: فإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، مَا جَمَعْتَنَا إِلاَّ لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ إِلَىٰ آخرها»[١]، و﴿تَبَّتْ﴾ معناه: خَسِرَتْ والتَّبَابُ الخُسْرَانُ، والدَّمَارُ، وأَسْنَدَ ذلك إلى اليدينِ من حيثُ إنَّ اليَدَ مَوضِعُ الكَسْبِ والرِّبْحِ، وضَمِّ مَا يُمْلَكُ، ثم أوْجَبَ عليه أنه قَدْ تَبَّ، أي: حُتِّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وفي **قراءة** ابن مسعود[٢]: «وقَدْ تَبَّ»، وأبو لَهَبٍ هو عَبْدُ العُزَّى بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وهو عمُّ النبيِّ ﷺ ولكن سَبَقَتْ له الشقاوةُ، قال السهيليّ: كَنَّاهُ اللَّه بأبي لهبٍ لَما خَلَقَهُ سبحانَه لِلَّهَبِ وإليه مصيرُه ألا تَرَاهُ تعالى قال: ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ فَكَانَتْ كُنْيَتُه بأبي لَهَبٍ تَقَدَّمَتْ لِمَا يصيرُ إليه من اللهبِ، انتهى.

وقوله سبحانه: ﴿ما أغنى عنه ماله﴾ يحتملُ أن تَكُونَ «ما» نافيةً عَلَى معنى الخبرِ، ويحتملُ أنْ تكون «ما» استفهاميةً عَلَى وَجْهِ التقريرِ أي: أينَ الغَنَاءُ الذي لِمَالِه وَكَسْبِهِ، ﴿وَمَا

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٦٠٩)، كتاب «التفسير» باب: سورة: تبت حديث (٤٩٧١).
(٢) ينظر: «**الكشاف**» (٤/ ٨١٤)، و«**المحرر الوجيز**» (٥/ ٥٣٤)، و«**البحر المحيط**» (٨/ ٥٢٦)، و«**الدر المصون**» (٦/ ٥٨٥).

كَسَب﴾ يُرَادُ به عَرَضُ الدنيا، من عَقَارٍ، ونحوه، وقيل: كَسْبُه بَنُوه.

وقوله سبحانه: ﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ حَتْمٌ عَلَيْهِ بِالنارِ وإعلاَمٌ بأنه يُتَوَفَّى على كفرِه، نعوذُ باللَّهِ من سوءِ القَضَاءِ ودَرْكِ الشقاءِ.

وقوله تعالى: ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ هي أمّ جميلٍ أخْتُ أبي سفيانَ بن حرب، وكانت مؤذِيةً/ للنبي ﷺ وللمؤمنينَ بلسانِها وغايةِ قُدْرَتِها، وكانَتْ تَطْرَحُ الشَّوْكَ في طريق ١٢٤٣أ
النبي ﷺ وطريق أصحابه لِيَعْقِرَهم؛ فلذلكَ سُمِّيتْ حَمَّالَةَ الحَطَبِ؛ قاله ابن عباس[1]، وقيل هو استعارةٌ لذنوبِها، قال عياض: وذكر عَبْدُ بن حُمَيْدٍ قال: كَانَتْ حمالَة الحطبِ تَضَعُ العِضَاهَ، وَهِي جَمْرٌ عَلَىٰ طَرِيقِ النبيِّ ﷺ فكأنَّما يَطَؤُهَا كَثِيباً أَهْيَلَ، انتهى، * ص *: وقُرِىءَ شاذًا: «وَمُرَيْئَتُه» بالتصغيرِ[2]، والجيدُ هو العُنُقُ، انتهى.

وقوله تعالى: ﴿في جيدها حبل من مسد﴾ قال ابنُ عباس وجماعة: الإشَارَةُ إلى الحبلِ حَقِيقَةً، الذي رَبَطَتْ به الشوكَ[3]، والمَسَدُ: الليفُ، وقِيلَ ليفُ المُقْلِ، وفي «صحيح البخاري»: يُقَالُ مِنْ مسد لِيف المُقْلِ وهي السلسلةُ الَّتِي في النارِ، انتهى، ورُوِيَ في الحديثِ أنَّ هذهِ السورةَ لما نزلتْ وقُرِئَتْ؛ بَلَغَتْ أُمَّ جميلٍ فَجَاءَتْ أَبَا بَكْرٍ وَهُوَ جَالِسٌ مَعَ النبي ﷺ في المسجدِ وَبِيَدِهَا فِهْرُ حَجَرٍ، فأخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا وقَالَتْ: يا أبا بكرٍ؛ بَلَغَنِي أنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي، وَلَوْ وَجَدْتُه لَضَرَبْتُه بِهَذَا الفِهْرِ، وإنِّي لَشَاعِرَة وَقَدْ قلت فيه: [منهوك الرجز]

مُذَمَّماً قَلَيْنَا وَدِينَهُ أَبَيْنَا[4]

فَسَكَتَ أبو بكرٍ، ومضتْ هي، فقالَ النبي ﷺ: لَقَدْ حَجَبَتْنِي عَنْهَا مَلاَئِكَةٌ فَمَا رَأَتْنِي وَكَفَانِيَ اللَّهُ شَرَّهَا.

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٣٥)، (٣٨٢٦٩)، وذكره البغوي (٤/ ٥٤٣)، وابن عطية (٥/ ٥٣٥)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٦٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧٠٣)، وعزاه لابن جرير، والبيهقي في «الدلائل»، وابن عساكر عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

(٢) قرأ بها ابن مسعود، كما في «الشواذ» ص: (١٨٢)، و«المحتسب» (٢/ ٣٧٥)، وينظر: «الكشاف» (٤/ ٨١٥)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٥٣٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٧)، و«الدر المصون» (٦/ ٥٨٦).

(٣) ذكره البغوي (٤/ ٥٤٤)، وابن عطية (٥/ ٥٣٥).

(٤) تقدم وينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٥٣٥)، و«البحر المحيط» (٨/ ٥٢٨).

[تفسيرُ] سُورَةِ «الإِخْلاَص»

قِيلَ: مَكِّيَّةٌ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَدَنِيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾

رُوِيَ أنَّ اليهودَ دَخَلُوا عَلى النبي ﷺ فقالوا له: يا مُحَمَّدُ؛ صِفْ لَنَا رَبَّك وانسِبْه، فإنَّه وَصَفَ/ نَفْسَه في التوراةِ وَنَسَبها، فارْتَعَدَ النبيُّ ﷺ مِنْ قولِهم حَتَّى خرَّ مغشياً عليه، ونَزَلَ جبريلُ بهذِهِ السورة. ٢٤٣ ب

و﴿أَحَدٌ﴾ مَعناه: وَاحدٌ فَرْدٌ مِنْ جميعِ جِهَاتِ الوَحْدَانِيَّة، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ و﴿هو﴾ ابتداءٌ، و﴿اللَّهُ﴾ ابتداءٌ ثانٍ، و﴿أَحَدٌ﴾ خَبَرُه والجملةُ خَبَرُ الأوَّلِ، وقيلَ هو ابتداءٌ و﴿اللَّهُ﴾ خبرُه و﴿أَحَدُ﴾ بَدَلٌ منه، وَقَرَأَ عمر بن الخطابِ وغَيْرُهُ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ الواحِدُ الصَّمَدُ» و﴿الصَّمَدُ﴾ في كلامِ العربِ السيدُ الذي يُصْمَدُ إليه في الأُمُورِ وَيَسْتَقِلُّ بها وأنْشَدُوا: [الطويل]

لَقَدْ بَكَّرَ النَّاعِي بِخَيْرِ بَنِي أَسَدِ   بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدْ

وبهذا تَتَفَسَّرُ هذه الآيَةُ لِأَنَّ اللَّهَ تعالى ـ جلت قدرته ـ هُوَ مُوجِدُ المَوْجُودَاتِ وإليهِ تَصْمُدُ وبه قِوَامُها ـ سبحانه وتعالى ـ.

وقوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ رَدٌّ عَلى إشارَةِ الكفارِ في النَّسَبِ الذي سأَلُوه، وقال ابن عباس: تَفَكَّروا في كلِّ شَيْءٍ ولا تتفكروا في ذاتِ اللَّه[1]، قال * ع[2] *: لِأَنَّ الأفْهَامَ تَقِفُ دونَ ذلكَ حَسِيرَةً.

---

(١) ذكره ابن عطية (٥/٥٣٧).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/٥٣٧).

وقوله سبحانه: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ معناه ليسَ له ضِدٌّ، وَلاَ نِدٌّ ولا شبيهٌ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والكُفُؤُ النَّظِيرُ و«كفوًا» خبر كان واسْمُهَا ﴿أحد﴾. قال * ص *: وحَسُنَ تأخيرُ اسمها لِوُقُوعِه فاصلةً، وله مُتَعَلِّقٌ بـ ﴿كفوًا﴾ أي: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ كُفُوًا لَهُ، وقُدِّمَ اهتماماً به لاشْتِمالِهِ على ضميرِ البَارِي سبحَانه، انتهى، وفي الحديثِ الصحيحِ عنه ﷺ إنَّ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآن[١]، قال * ع *: لِمَا فِيهَا مِنَ التوحيدِ، ورَوَى أبو محمدٍ الدارميّ في «مسنده» قال: حدثنا عبد اللّه بن مزيد حدثنا حيوة/ قال: أخبرنا أبو عقيل، أنه سمع سعيد بن المسيب ٢٤٤أ يقول: إن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ: ﴿قل هو اللّه أَحد﴾ إحْدَى عَشَرَةَ مَرَّةً بُنِيَ لَهُ قصرٌ في الجنةِ، ومَنْ قَرَأها عِشْرِينَ مرةً، بُنِيَ له قَصْرَانِ في الجنةِ، ومَنْ قرأها ثَلاثِينَ مرةً؛ بُنِيَ له ثلاثةُ قصورٍ في الجنة. فقال عمر بن الخطاب: إذَنْ تَكْثُرُ قصورُنَا يا رسولَ اللّهِ؛ فقَال رسول اللّه ﷺ: اللّهُ أَوْسَعُ من ذلك»[٢] [أي: فَضْلُ اللّهِ أَوْسَعُ مِنْ ذَلك][٣]. قال الدارمي: أبو عقيل هو زهرة بن معبد، وزعموا أنه من الأَبْدَالِ، انتهى من «التذكرة»[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ٣٥٥) ـ النووي، كتاب «صلاة المسافرين» باب: فضل قراءة: ﴿قل هو اللّه أحد﴾ (٢٦١ ـ ٢٦٢/ ٨١٢)، والترمذي (٥/ ١٦٨)، كتاب «فضائل القرآن» باب: ما جاء في سورة الإخلاص (٢٨٩٩)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٤)، كتاب «الأدب» باب: ثواب القرآن (٣٧٨٧) عن أبي هريرة رضي اللّه عنه.

وفي الباب من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنه، أخرجه أحمد (٢/ ١٧٣)، والطبراني (١٢/ ٤٠٥) (١٣٤٩٣).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٢١): رواه الطبراني في «الكبير»، وأبو يعلى بنحوه، ورجال أبي يعلى ثقات. ا هـ مختصراً.

وفي الباب عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه: أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٤٤)، كتاب «الأدب» باب: ثواب القرآن (٣٧٨٨).

وفي الباب عن امرأة أبي أيوب: أخرجه النسائي (٢/ ١٧٢)، كتاب «الافتتاح» باب: في قراءة: ﴿قل هو اللّه أحد﴾ (٩٩٦)، وأحمد (٥/ ٤١٨) عن أبي أيوب.

(٢) ذكره الهندي في «كنز العمال» (١/ ٥٨٥)، (٢٦٥٧)، وعزاه إلى أحمد عن معاذ بن أنس مختصراً.

(٣) سقط في: د.

(٤) ينظر: «التذكرة» (٢/ ٦٢٢).

تفسِيرُ سُورَةِ «الفلق»

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: مَدَنِيَّةٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾

قوله عز وجل: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الخِطَابُ للنبي ﷺ والمُرَادُ هُوَ وآحادُ أمتِهِ، قَالَ ابن عباس وغيره: الفَلَقُ الصُّبْحُ[1]، وقال ابن عباس أيضاً وجماعةٌ من الصحابة: الفلَقُ جُبٌّ في جهَنَّم[2]، ورَوَاه أبو هريرةَ عن النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿من شر ما خلق﴾ يَعُمُّ كلَّ مَوْجُودٍ له شر، واخْتُلِفَ في: «الغاسِقِ» فَقَال ابن عباس وغيره: الغَاسِقُ الليلُ وَوَقَبَ: أظْلَمَ، ودَخَل عَلى الناسِ[3]، وفي الحديثِ الصحيح عن عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ أشَارَ إلى القَمَرِ وقال: يا عائشة؛ تَعَوَّذِي باللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الغَاسِقِ إذَا وَقَبَ، قال السهيلي: وهذا أصحُّ ما قِيلَ لِهذَا الحديثِ الصحيح، انتهى، ولفظ صاحبِ «سلاح المؤمن»: عن عائشةَ ـ رضي اللَّه عنها ـ أَنَّ النبيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ، فَقَالَ: يا عائشةُ؛ اسْتَعِيذِي بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا فإنَّ هَذَا الغَاسِقُ إذَا وَقَبَ[4]، رَوَاه الترمذيُّ

---

(١) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٤٧)، (٣٨٣٥١)، وذكره البغوي (٤/ ٥٤٧)، وابن عطية (٥/ ٥٣٨)، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٧٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١٧)، وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٤٧)، (٣٨٣٤٥) عن السدي. وذكره ابن عطية (٥/ ٥٣٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٢/ ٧٤٨)، (٣٨٣٦٤)، وذكره البغوي (٤/ ٥٤٧)، وابن عطية (٥/ ٥٣٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١٨)، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٢)، كتاب «تفسير القرآن» باب: ومن سورة المعوذتين (٣٣٦٦)، وأحمد (٦/ ٢٠٦، ٢١٥، ٢٣٧، ٢٥٢)، والحاكم (٢/ ٥٤١).
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي: صحيح.

والنسائي، والحاكم في «المستدرك»، واللفظ للترمذي، وقَالَ حسنٌ صحيحٌ، وقال / الحاكم: صحيحُ الإسنادِ، وَوَقَبَ القَمَر وُقُوباً: دَخَلَ في الظِّلِّ الذي يَكْسِفُه؛ قَالَه ابن سِيدَة، انتهى من «السلاح». ٢٤٤ ب

و﴿النَّفَّاثاتِ في العقد﴾ السَّوَاحِر، ويقال: إن الإشَارَة أوَّلاً إلى بَنَاتِ لَبِيدِ بن الأَعْصَم اليهودي؛ كُنَّ سَاحِرَاتٍ، وهُنَّ اللواتي سَحَرْنَ مَعَ أبيهِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ، والنَّفْثُ شِبْهُ النَّفخِ دُونَ تَفْلِ رِيقٍ، وهذا النَّفْثُ هُوَ عَلى عُقَدٍ تُعْقَدُ في خيوطٍ، ونحوِها؛ على اسْمِ المَسْحُورِ فيؤذى بذلك.

قال * ع *: وهَذَا الشَّأْنُ في زمانِنَا موجودٌ شائعٌ في صحراء المغرب، وحدَّثني ثقةٌ؛ أنه رأىٰ عنْدَ بعضهم خيطاً أحْمَرَ قَدْ عُقِدَتْ فِيهِ عُقَدٌ عَلىٰ فُصْلاَنٍ، فَمُنِعَتْ بذلك رَضَاعَ أمهاتِها فكان إذا حَلَّ عقدةً جرَىٰ ذلك الفصيلُ إلَىٰ أُمِّه في الحِينِ، فَرَضَعَ، أعاذنا اللَّه مِنْ شَرِّ السِّحْرِ والسَّحَرَة.

وقوله تعالى: ﴿ومِنْ شَرِّ حاسدٍ إذا حَسَدَ﴾ قال قتادة: مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ ونَفْسِهِ[1]، يريد بـ«النَّفس»: السعْيَ الخَبِيثَ، وقال الحُسَيْنُ بْنُ الفَضْلِ: ذكَرَ اللَّه تعالى الشُّرُور في هذه السُّورة، ثم ختمها بالحَسَدِ؛ ليعلم أنَّه أخسُّ الطَبائع.

(١) أخرجه الطبري، وابن المنذر كما ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٧١٩).

تفسيرُ سُورَةِ الناس

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ، وَقَالَ قَتَادَةُ: مَكِّيَّةٌ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ① مَلِكِ ٱلنَّاسِ ② إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ③ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ④ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ⑤ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ⑥﴾

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أعوذُ برب الناس * مَلِكِ النَّاسِ * إِلٰه الناس * مِنْ شر الوسواس الخَنَّاس﴾: ﴿الوَسْوَاسُ﴾: اسم مِنْ أسماء الشيطانِ، وقولُه: ﴿الخَنَّاسُ﴾ معناه: الرَّاجِعُ علَىٰ عَقِبِهِ المُسْتَتِرُ أحياناً، فإذَا ذكر العَبْدُ اللَّه تعالى وتعوَّذ، تذكَّر فأَبْصَرَ؛ كما قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسَّهم طائفٌ...﴾ [الأعراف: ٢٠١] الآية: قال النَّوَوِيُّ(١): قال بعضُ العلماءِ: يُسْتَحَبُّ قَولُ: لا إِلٰه إلا اللَّهِ لِمَنِ ٱبْتُلِيَ بالوَسْوَسَةِ في الوضوءِ والصلاةِ وشِبْهِهِمَا؛ فإن الشيطان إذا سمع الذِّكرَ، خَنَسَ، أي: تأخَّر وبَعُدَ، و«لا إله إلا اللَّهُ»: رَأْسُ الذِّكْرِ؛ ولذلك ٱختارَ السَّادةُ الجِلَّةُ مِنْ صَفوة هذه الأمة أهْلُ تربيةِ السَّالكين وتأديبِ المُرِيدِينَ ـ قَوْلَ «لا إِلٰه إلا اللَّه» لأَهْلِ الخَلْوَةِ ـ، وأمَرُوهم بالمداومة علَيْهَا، وقالوا: أَنْفَعُ علاجٍ في دَفْعِ الوسوسةِ الإقبالُ علَىٰ ذِكْرِ اللَّه تَعالَىٰ والإكْثَارُ منه، وقال السَّيِّدُ الجليلُ أحْمَدُ بْنُ أبي الحواريِّ: شَكَوْتُ إلَىٰ أبي سُلَيْمَانَ الدَّرَانِيِّ الوَسْوَاسَ، فقال: إذا أَرَدت أَنْ ينقطعَ عَنكَ، فَأَيَّ وَقْتٍ أحْسَسْتَ به، فَٱفْرَحْ، فإنك إذا فَرِحْتَ به، ٱنقطَعَ عنك؛ لأنه لَيْسَ شيءٌ أبْغَضُ إلى الشيطانِ مِنْ سرورِ المؤمن، وإن ٱغْتَمَمْتَ به، زَادَكَ، * ت *: وهذا مما يؤيِّد ما قاله بَعْضُ الأئمة؛ أَنَّ الوسواس إنما يُبْتَلَىٰ به مَنْ كَمُلَ إيمانه؛ فإن اللِّصَّ لا يقصدُ بيتاً خرباً. انتهى، * ت *: ورأيتُ في «**مختصر الطبريّ**» نَحْوَ هٰذا.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الجِنَّة﴾ يعني: الشياطينَ، ويظهر أنْ يَكُونَ قولُهُ: ﴿والناس﴾ يراد به: مَنْ يُوَسْوِسُ بخدعة مِنَ الشَّرِّ، ويدعو إلى الباطل، فهو في ذلك كَالشَّيْطان، قال أحْمَدُ بْنُ نَصْرٍ الداووديُّ: وعن ابن جُرَيْجٍ: ﴿مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ﴾ قَالَ: «إنهما وَسْوَاسَانِ، فَوَسْوَاسٌ من الجِنَّة، وَوَسْوَاسٌ مِنْ نَفْسِ الإنسان» انتهى، وفي الحديث الصحيح، أنَّ

(١) ينظر: «**الأذكار**» ص: (١٦١).

النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرأَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ»، و«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا ٱسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِما مِنْ رَأْسه وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ؛ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً[(١)] ـ.

يَقُولُ العبدُ الفقيرُ إلى اللَّه تعالىٰ: عَبْدُ الرحمٰنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَخْلُوفٍ الثَّعَالِبِيُّ لَطَفَ اللَّهُ به في الدارَيْنِ: قَدْ يَسَّرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في إتمام تَلْخِيصِ هذا المختَصَر؛ وقَدْ أودَعتُهُ بحَوْلِ اللَّهِ جزيلاً من الدُّرَر، قد ٱستوعَبْتُ فيه ـ بِحَمْدِ اللَّهِ ـ مُهِمَّاتِ ابْنِ عِطيَّةَ، وأسقطْتُ كَثيراً من التَّكْرار، وما كان من الشَّوَاذِّ في غاية الوهي، وزدْتُ من غيره جَوَاهِرَ ونَفَائِسَ لا يُسْتَغْنَىٰ عنها مميزةً معزوَّةً لِمَحَالِّها مَنْقُولةً بألفاظِهَا، وتوخَّيْتُ في جميع ذلك الصِّدْقَ والصَّواب، وإلى اللَّه أَرْغَبُ في جَزِيلِ الثواب، وقد نَبَّهْتُ بَعْضَ تَنْبيهٍ، وعرَّفْتُ بأيام رِحْلَتِي في طَلَبِ العِلْمِ بعْضَ تعريفٍ عِنْدَ خَتْمِي لتفسير سورة الشُّورَىٰ؛ فَلْيَنْظُرْ هُنَاكَ، واللَّهُ المَسْؤُولُ أَنْ يجعَلَ هذا السعْيَ منا خالصاً لوَجْهِهِ، وعملاً صالحاً يقرِّبنا إلَىٰ مرضاته، ومَنْ وَجَدَ في هذا الكتابِ تَصْحِيفاً أو خَلَلاً فَأَرْغَبُ إِلَيْهِ أَنْ يُصْلِحَهُ مِنَ الأُمَّهاتِ المَنْقُولِ منها متثبِّتاً في ذلك لا برَأْيِه وبديهةِ عَقْلِهِ: [من الوافر]

فَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً وَآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقِيمِ

وكان الفراغُ من تأْلِيفه في الخامسَ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ مِنْ عَامِ ثَلاثَةٍ وثَلاثِينَ وَثَمَانِمائَةٍ وَأَنَا أَرْغَبُ إِلى كُلِّ أَخٍ نَظَرَ فيه أَنْ يُخْلِصَ لي وَلَهُ بِدَعْوَةٍ صالحةٍ، وهذا الكتابُ لاَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْلُوَ عنه مُتَدَيِّنٌ، ومُحِبٌّ لكلام رَبِّه، فإنه يَطَّلِعُ فيه عَلَىٰ فَهْمِ القرآن أَجْمَعَ في أَقْرَبِ مُدَّةٍ، وليس الخَبَرُ كَالعِيَانِ؛ هذا مَعَ مَا خُصَّ بِهِ مِنْ تَحْقِيقِ كَلاَمِ الأَئِمَّةِ المحقِّقينَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنهم ـ نَقَلْتُهُ عَنْهُمْ بألفاظِهِمْ متحرِّياً لِلصَّوَابِ، ومِنَ اللَّهِ أَرْتَجِي حُسْنَ المَآب، وصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا محمَّد خاتَمِ النبيِّينَ، وَعَلى آله وصَحْبِهِ أجمعين، وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العالمين.

---

(١) تقدم تخريجه.

محتوى الجزء الخامس من تفسير الثعالبي

سورة يٰس ٥
سورة الصافات ٢٢
سورة صٓ ٥٤
سورةالزمر ٧٨
سورة غافر ١٠٣
سورة فصّلت ١٢٥
سورة الشورىٰ ١٤٨
سورة الزخرف ١٧٢
سورة الدّخان ١٩٤
سورة الجاثية ٢٠٤
سورة الأحقاف ٢١٢
سورة محمّد ٢٢٨
سورة الفتح ٢٤٨
سورة الحجرات ٢٦٧
سورة قٓ ٢٨٠
سورة الذاريات ٢٩٦
سورة الطور ٣٠٩
سورة النجم ٣٢١
سورة القمر ٣٣٦
سورة الرحمٰن ٣٤٥
سورة الواقعة ٣٦٠
سورة الحديد ٣٧٧
سورة المجادلة ٣٩٧
سورة الحشر ٤٠٦
سورة الممتحنة ٤١٦
سورة الصف ٤٢٤

سورة الجمعة ٤٢٨
سورة المنافقون ٤٣٤
سورة التغابن ٤٣٨
سورة الطلاق ٤٣٧
سورة التحريم ٤٥٠
سورة الملك ٤٥٥
سورة القلم ٤٦٣
سورة الحاقة ٤٧٣
سورة المعارج ٤٨١
سورة نوح ٤٨٨
سورة الجنّ ٤٩٣
سورة المزمّل ٥٠٠
سورة المُدثر ٥٠٩
سورة القيامة ٥١٩
سورة الإنسان ٥٢٧
سورة المرسلات ٥٣٦
سورة النبأ ٥٤١
سورة النازعات ٥٤٧
سورة عبس ٥٥١
سورة التكوير ٥٥٥
سورة الانفطار ٥٥٩
سورة المطففين ٥٦٢
سورة الانشقاق ٥٦٧
سورة البُروج ٥٧١
سورة الطارق ٥٧٤
سورة الأعلىٰ ٥٧٧
سورة الغاشية ٥٨٢
سورة الفجر ٥٨٥
سورة البلد ٥٩٠
سورة الشمس ٥٩٤

سورة الليل ٥٩٨
سورة الضحى ٦٠١
سورة الشرح ٦٠٤
سورة التين ٦٠٦
سورة العلق ٦٠٨
سورة القدر ٦١١
سورة البيّنة ٦١٣
سورة الزلزلة ٦١٥
سورة العاديات ٦١٨
سورة القارعة ٦٢١
سورة التكاثر ٦٢٢
سورة العصر ٦٢٥
سورة الهُمزة ٦٢٦
سورة الفيل ٦٢٧
سورة قُريش ٦٢٩
سورة الماعون ٦٣٠
سورة الكَوثر ٦٣٢
سورة الكافرون ٦٣٤
سورة النصر ٦٣٥
سورة المَسَد ٦٣٦
سورة الإخلاص ٦٣٨
سورة الفَلق ٦٤٠
سورة الناس ٦٤٢

ثبت وبيان بأهم مراجع التحقيق

حرف الألف

١ ـ **آداب اللغة** لجورجي زيدان، طبعة القاهرة ١٩٥٧

٢ ـ **الآيات البينات** لابن قاسم العبادي، طبعة بولاق

٣ ـ **الإبانة عن أصول الديانة** للأشعري، طبع دار الأنصار

٤ ـ **الإبهاج في شرح المنهاج** لعلي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٥ ـ **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين** لمرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تصوير دار الفكر.

٦ ـ **إتحاف فضلاء البشر** لأحمد بن محمد البنا (ت ١١١٧هـ)، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، مكتبة الكليات الأزهرية، طبعة أولى

٧ ـ **الإتقان في علوم القرآن** تأليف: شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ)، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥١م، ط. الحلبي

٨ ـ **الإحكام في أصول الأحكام** تأليف الشيخ الإمام العلامة سيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي ـ تحقيق أحد الأفاضل ـ ط زاهد القدسي طبع ونشر وتوزيع ٢٤ شارع طلعت حرب القاهرة

٩ ـ **إحياء علوم الدين**، لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥ هـ)، دار المعرفة ـ بيروت

١٠ ـ **أخبار أصبهان** لأحمد بن عبد الله، أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١١ ـ **أخبار النحويين البصريين** لأبي سعيد الحسن السيرافي (ت٣٦٨ هـ)، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي

١٢ ـ **الاختيار لتعليل المختار** تأليف عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م وطبعه دار الكتب العلمية ـ بيروت

١٣ ـ **الأدب المفرد** للبخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق كمال الحوت، عالم الكتب

١٤ ـ **الأذكار** لمحيي الدين أبي زكريا النووي (ت٦٧٦ هـ) المكتبة العلمية ـ بيروت

١٥ ـ **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** المعروف بمعجم الأدباء، لياقوت الحموي، طبعة مرجليوث بمصر

١٦ ـ **إرشاد الفحول** لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٥) ـ طبعة أولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م

١٧ ـ **الأزهية في علم الحروف** تأليف: علي بن محمد الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٨٢م.

١٨ ـ **أساس البلاغة** تأليف: جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط. دار صادر ـ بيروت، سنة ١٩٧٩م.

١٩ ـ **أسباب النزول** للإمام أبي الحسين علي بن أحمد بن الواحدي النيسابوري، ط. عالم الكتب بيروت.

٢٠ ـ **الاستيعاب** لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية.

٢١ ـ **أُسدُ الغابة في معرفة الصحابة** لعز الدين ابن الأثير أبي الحسن الجزري (ت ٦٣٠ هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٢٢ ـ **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، لمحمد بن محمد أبو شهبة، مجمع البحوث الإسلامية ـ الأزهر

٢٣ ـ **إسعاف المبطأ برجال الموطأ** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي

١٤ ـ **الأسماء والصفات** لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٢٥ ـ **الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى** لأبي عبد الله القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق د. محمد حسن جبل وآخرون، دار الصحابة للتراث ـ طبعة أولى

٢٦ ـ **أهل المدارك شرح إرشاد السالك** لأبي بكر بن حسن الكشناوي، عيسى البابي الحلبي

٢٧ ـ **الأشباه والنظائر في النحو** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

٢٨ ـ **إصلاح المنطق** لابن السكيت (ت ٢٤٤هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف

٢٩ ـ **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم** تأليف: أبي عبد الله الحسين بن أحمد، المعروف بابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، مكتبة المثنى

٣٠ ـ **إعراب القراءات السبع وعللها** لأبي عبد الله الحسن بن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق د. عبد الرحمن بن سليمان بن عثيمين، مكتبة الخانجي ـ طبعة أولى

٣١ ـ **الأعلام للزركلي** لخير الدين الزركلي ط ٣ مكتبة المتنبي ـ القاهرة

٣٢ ـ **أعلام الموقعين عن رب العالمين** لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) طبعة الكليات الأزهرية

٣٣ ـ **أعلام النساء** لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت

٣٤ ـ **الأغاني** لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق علي النجدي ناصف دار الكتب المصرية

٣٥ ـ **الإقناع** للخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٣٦ ـ **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكُنى والأنساب** لعلي بن هبة الله أبي نصر بن ماكولا (ت ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٧ ـ **الأم** لمحمد بن إدريس الشافعي، دار المعرفة

٣٨ ـ **أمالي ابن الشجري** ليحيى الشجري، عالم الكتب، طبعة ثالثة

٣٩ ـ **أمالي المرتضى** للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الحلبي ـ القاهرة

٤٠ ـ **إمتاع الأسماع** للمقريزي، طبع في القاهرة ١٩٤١م.

٤١ ـ **إنباء الغمر بأبناء العمر** للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند، دار الكتب العلمية طبعة ثانية

٤٢ ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة** للوزير جمال الدين أبي الحسن القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ـ القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت

٤٣ ـ **الأنساب** للسمعاني ـ أبي سعيد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢ هـ)، تصحيح عبد الرحمٰن بن يحيى ـ طبعة مجلس المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن ـ الهند سنة (١٣٨٥هـ)

٤٤ ـ **الإنصاف في مسائل الخلاف** لابن الأنباري (٥١٣ ـ ٥٧٧ هـ) ومعه كتاب **«الانتصاف من الإنصاف»** للمرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الجيل سنة ١٩٨٢م.

٤٥ ـ **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل** لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي (ت ٨٨٥هـ) تحقيق محمد حامد الفقي الطبعة الأولى سنة (١٣٧٤هـ) / (١٩٥٥م) مطبعة السنة المحمدية ـ ١٧ شارع شريف باشا بالقاهرة

٤٦ ـ **أنيس الفقهاء** لقاسم القونوي (ت ٩٧٨هـ)، تحقيق د. أحمد بن عبد الرزاق الكبسي، دار الوفاء ـ جدة ـ طبعة ثانية

٤٧ ـ **الأوسط في السنن** لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر (ت ٣١٨هـ)، تحقيق د. أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، دار طيبة.

٤٨ ـ **أوضح المسالك إلى ألفِيَّة ابن مالك** تأليف: أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت سنة ٧٦١هـ)، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار

الجيل، الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩م.
٤٩ ـ **إيضاح الوقف والابتداء** لمحمد بن القاسم أبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ) تحقيق محيي الدين رمضان، طبع دمشق ـ مجمع اللغة العربية ١٩٧١م

حرف الباء

٥٠ ـ **البحر المحيط** لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى
٥١ ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** لعلاء الدين أبي بكر الكاساني (ت ٥٨٧هـ) مطبعة الإمام بالقاهرة
٥٢ ـ **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** للقاضي أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الأندلسي الشهير «بابن رشد الحفيد» (ت ٥٩٥هـ) ط الحلبي الطبعة الثانية سنة ٣٧٠ هـ / سنة ١٩٥٠م ونسخه المكتبة التجارية الكبرى.
٥٣ ـ **البداية والنهاية** للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ) الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م مكتبة المعارف بيروت
٥٤ ـ **البدر الطالع** لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة
٥٥ ـ **البُرهان في أُصول الفقه** لإمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق د. عبد العظيم الديب دار الأنصار ـ طبعة ثانية
٥٦ ـ **البرهان في علوم القرآن** للزركشي بدر الدين (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ـ بيروت ـ طبعة أولى
٥٧ ـ **البعث والنشور** للبيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الجنان
٥٨ ـ **بغية الملتمس** للحافظ صلاح الدين أبي سعد العلائي (ت ٧٦١هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي عالم الكتب ـ طبعة أولى
٥٩ ـ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الحلبي، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م.
٦٠ ـ **بهجة النفوس** لابن أبي جمرة، دار الجيل ـ بيروت

حرف التاء

٦١ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، الناشر دار ليبيا ـ للنشر والتوزيع بنغازي ـ ليبيا ـ ط المطبعة الخيرية القاهرة. ومطبعة الكويت بتحقيق نخبة من العلماء
٦٢ ـ **تاريخ الأدب العربي** للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف ـ مصر

٦٣ ـ **تاريخ الأدب العربي** لِكارل بروكلمان، القاهرة ـ دار المعارف ـ الطبعة الخامسة

٦٤ ـ **تاريخ الإسلام** للحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي ـ بيروت طبعة ثانية

٦٥ ـ **تاريخ بغداد** للحافظ أبي بكر بن أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة (٤٦٣هـ) الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٦٦ ـ **تاريخ الثقات** للحافظ أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٦٧ ـ **تاريخ جرجان** للسهمي (ت ٤٢٧هـ)، عالم الكتب ـ بيروت

٦٨ ـ **تاريخ الخلفاء** للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى عام (٩١١هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤م ـ مطبعة المدني بالعباسية ـ القاهرة

٦٩ ـ **التاريخ الصغير** لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة ـ طبعة أولى

٧٠ ـ **التاريخ الكبير** لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، تصحيح عبد الرحمن اليماني وجماعة حيدر آباد ـ الهند، دائرة المعارف العثمانية

٧١ ـ **تاريخ ابن النجار** (ت ٦٤٣هـ) دار الكتاب العربي

٧٢ ـ **تاريخ يحيى بن معين** لأبي زكريا يحيى البغدادي (ت ٢٣٣هـ)، مجمع اللغة العربية

٧٣ ـ **تأويل مشكل القرآن** لابن قتيبة، دار الكتب العلمية تحقيق السيد أحمد صقر، طبعة ثالثة

٧٤ ـ **التبصرة والتذكرة** للحافظ العراقي (ت ٨٠٦هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٧٥ ـ **التبصرة والتذكرة** لأبي محمد عبد الله بن علي بن إسحاق الصيمري، تحقيق د. فتحي أحمد علي الدين دار الفكر ـ بيروت

٧٦ ـ **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه** لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٧٧ ـ **التبيان في إعراب القرآن** لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث ـ بيروت

٧٨ ـ **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق** لعثمان بن علي الزيلعي (ت ٧٤٣هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق

٧٩ ـ **تبيين كذب المفتري** لابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ)، دار الكتاب العربي

٨٠ ـ **تجريد أسماء الصحابة** لشمس الدين أبي عبد الله بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار

المعرفة ـ بيروت

٨١ ـ **تجريد التمهيد** لأبي عُمَر، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية بيروت

٨٢ ـ **التحبير في علم التفسير** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق د. فتحي عبد القادر فريد، دار المنار

٨٣ ـ **التحزير في أصول الفقه** لِكَمال الدين محمد الشهير بابن همام الإسكندري (ت ٨٦١هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي

٨٤ ـ **التحصيل من المحصول** لسراج الدين محمود الأرموي (ت ٦٨٢هـ)، تحقيق د. عبد الحميد علي أبو زنيد، مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

٨٥ ـ **التحفة اللطيفة** لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، تحقيق حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية

٨٦ ـ **تخريج الفروع على الأصول** لأبي المناقب شهاب الدين الزنجاني (ت ٦٥٦هـ) تحقيق د. محمد أديب صالح، مؤسسة الرسالة ـ طبعة رابعة

٨٧ ـ **تخريج الكشاف** للحافظ جمال الدين الزيلعي (ت ٧٦٢ هـ)، دار ابن خزيمة

٨٨ ـ **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ـ دار التراث ـ القاهرة

٨٩ ـ **التذكرة** لشمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق. السيد الجميلي، دار ابن زيدون ـ بيروت، مكتبة مدبولي ـ القاهرة

٩٠ ـ **تذكرة الحفاظ** للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت سنة ٧٤٨ هـ) ط. دار الفكر العربي ـ القاهرة

٩١ ـ **تذكرة النحاة** لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

٩٢ ـ **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، للقاضي عياض اليحصبي السبتي، تحقيق الدكتور أحمد بكير، مكتبة الحياة بيروت، مكتبة الفكر طرابلس ـ ليبيا ١٣٨٧هـ

٩٣ ـ **الترغيب والترهيب** لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق مصطفى محمد عمارة، مكتبة مصطفى البابي الحلبي

٩٤ ـ **تسمية من أخرج لهم البخاري ومسلم** للحاكم صاحب المستدرك (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الجنان ـ طبعة أولى

٩٥ ـ **التعديل والتجريح فيمن روى عن البخاري في الصحيح** لأبي الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ)، تحقيق د. أبو لبابة حسين، دار اللواء ـ الرياض

٩٦ ـ **التعليق المغني على الدارقطني** لأبي الطيب شمس الحق آبادي بأسفل سنن الدارقطني، عالم الكتب

٩٧ ـ **تفسير بحر العلوم** للسمرقندي، تحقيق عليّ محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية، طبعة أولى

٩٨ ـ **تفسير البغوي** المسمى بمعالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق خالد العك ومروان سوار، دار المعرفة ـ بيروت ـ طبعة أولى

٩٩ ـ **تفسير الجامع لأحكام القرآن** للعلامة محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١هـ) طبعة دار الشعب بمصر

١٠٠ ـ **تفسير سفيان الثوري** لسفيان الثوري (ت ٧٧٧ هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٠١ ـ **تفسير عبد الرزاق** لعبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ)، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد ـ طبعة أولى

١٠٢ ـ **تفسير ابن عطية** = **المحرر الوجيز** للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٠٣ ـ **تفسير غريب القرآن** لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية

١٠٤ ـ **تفسير ابن كثير** لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ) القاهرة، مكتبة أسامة ـ ٢٣ش الصنادقية بالأزهر

١٠٥ ـ **تفسير الماوردي** لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي البصري (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى

١٠٦ ـ **التفسير والمفسرون** للدكتور محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة ـ طبعة ثالثة

١٠٧ ـ **تقريب التهذيب** تأليف: أحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الوهاب عبد اللطيف، ط. دار المعرفة للطبع والنشر، بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥م.

١٠٨ ـ **تقريب الوصول** لابن جزي، طبعة تونس

١٠٩ ـ **التقرير والتحبير** لابن أمير الحاج (ت ٨٧٩ هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة ثانية

* ـ **التقصي لحديث الموطأ** = ينظر التجريد

١١٠ ـ **تقييد العلم** لأبي بكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٢ هـ)، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية

١١١ ـ **تلقيح مفهوم أهل الأثر** لعبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق مكتبة الآداب ـ القاهرة، مكتبة الآداب ـ القاهرة

١١٢ ـ **التمهيد** لأبي عُمَر، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق سعيد أحمد أعراب، مؤسسة قرطبة

١١٣ ـ **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول** لجمال الدين أبي محمد الإسنوي (ت ٧٧٢ هـ)، تحقيق د، محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، طبعة ثالثة

١١٤ ـ **تنزيه الشريعة** لأبي الحسن ابن عراق الكناني (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية ـ طبعة ثانية

١١٥ ـ **تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك**، لجلال الدين السيوطي، طبعة عيسى البابي الحلبي

١١٦ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة (٦٧٦هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١١٧ ـ **تهذيب تاريخ دمشق الكبير** لابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، دار المسيرة بيروت

١١٨ ـ **تهذيب التهذيب** لابن حجر العسقلاني (ت سنة ٨٥٢ هـ) ط. مطبعة مجلس المعارف النظامية في الهند، الطبعة الأولى

١١٩ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** تأليف: جمال الدين أبي الحجاج يوسف المِزيّ (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ) تحقيق د/ بشار عواد معروف، ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م.

٢٢٠ ـ **تيسير التحرير** لمحمد أمين المعروف بأمير بادشاه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي

حرف الثاء

١٢١ ـ **الثقات** للحافظ محمد بن حبان (ت ٣٥٤ هـ)، دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ـ الهند

حرف الجيم

١٢٢ ـ **جامع بيان العلم** لأبي عُمَر، يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي ـ طبعة أولى

١٢٣ ـ **جامع البيان في تفسير القرآن** تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ)، ط. دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٠م.

١٢٤ ـ **جامع التحصيل في أحكام المراسيل** للحافظ صلاح الدين أبي سعيد كيكلدي العلائي (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة النهضة العربية ـ بيروت

١٢٥ ـ **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي** لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٧٩ هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط. الحلبي ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م.

١٢٦ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق محمود الطحان الطبعة الأولى مكتبة المعارف ـ الرياض

١٢٧ ـ **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس** لابن القاضي، طبع بفاس

١٢٨ ـ **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** للحميدي (ت ٤٨٨ هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة

١٢٩ ـ **الجرح والتعديل** لعبد الرحمن بن محمد الرازي، طبع في حيدر آباد ١٩٥٢، ومصورة دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان

١٣٠ ـ **الجمع بين رجال الصحيحين** لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (ت ٥٠٧ هـ)، المعروف بابن القيسراني، دار الباز

١٣١ ـ **الجمل على المنهج** لسليمان الجمل، المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

١٣٢ ـ **جمهرة الأمثال** لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، ط. المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤م.

١٣٣ ـ **جمهرة أنساب العرب** لابن حزم المتوفى (٤٥٦ هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف

١٣٤ ـ **الجني الداني** للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق د. فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية

١٣٥ ـ **حاشية البناني على المحلي** للبناني، طبعة الحلبي

١٣٦ ـ **حاشية التفتازاني والشريف** لابن الحاجب المالكي (ت ٦٤٦ هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق ـ طبعة أولى

١٣٧ ـ **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير** لشمس الدين محمد عرفة الدسوقي، عيسى البابي الحلبي

١٣٨ ـ **حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب** للشيخ عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشهير بالشرقاوي (ت ١٢٢٦ هـ) على تحفة الطلاب بشرع تحرير تنقيح اللباب للشيخ أبي يحيى زكريا الأنصاري (ت ٩٢٥ هـ) ط. عيسى الحلبي

١٣٩ ـ **حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي**، المكتبة الإسلامية محمد ازدمير ديار بكر ـ تركيا

١٤٠ ـ **حاشية العطار على جمع الجوامع** تصوير دار الكتب العلمية بيروت

١٤١ ـ **حاشية نسمات الأسحار** لابن عابدين مصطفى البابي الحلبي

١٤٢ ـ **الحاوي الكبير في فقه الإمام الشافعي**، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٤٣ ـ **الحجة على أهل المدينة** لأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) عالم الكتب ـ طبعة ثالثة

١٤٤ ـ **حجة القراءات** لأبي زرعة بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، منشورات جامعة بنغازي طبعة أولى

١٤٥ ـ **الحجة للقراء السبعة** لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث ـ دمشق طبعة ثانية.

١٤٦ ـ **الحدود في الأصول** لأبي الوليد سليمان الباجي (ت ٤٧٤ هـ) تحقيق د. نزيه حماد، مؤسسة الزغبي للطباعة والنشر ـ طبعة أولى

١٤٧ ـ **حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء** لسيف الدين أبي بكر الشاشي القفال، دار الباز تحقيق د. ياسين أحمد إبراهيم درادكة، مكتبة الرسالة الحديثة طبعة أولى

١٤٨ ـ **حماسة البحتري** (للوليد بن عبيد) بيروت

١٤٩ ـ **الحماسة البصرية** لصدر الدين علي بن الحسن البصري (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق عادل جمال سليمان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

حرف الخاء

١٥٠ ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** لعبد القادر بن عمر البغدادي تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي

١٥١ ـ **الخصائص** لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، ط. دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت: الطبعة الثانية

١٥٢ ـ **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال** لصفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي، تحقيق محمود عبد الوهاب فايد، مكتبة القاهرة

حرف الدال

١٥٣ ـ **دائرة المعارف الإسلامية** إصدار دار الشعب ـ طبعة أولى

١٥٤ ـ **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** لشهاب الدين أبي العباس السمين الحلبي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية

١٥٥ ـ **الدر المنثور** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية

١٥٦ ـ **الدرر الكامنة**، لأحمد بن حجر العسقلاني القاهرة: دار الكتب الحديثة بعابدين

١٥٧ ـ **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** لابن فَرْحُون المالكي القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرهود المتوفى سنة (٧٩٩هـ) تحقيق وتعليق الدكتور أحمد محمد أبو النور مدرس الحديث بجامعة الأزهر دار التراث للطبع والنشر ـ ٢٢ شارع الجمهورية القاهرة.

١٥٨ ـ **دلائل النبوة** لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق د. عبد المعطي

القلعجي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٥٩ ـ **ديوان الإسلام** لشمس الدين أبي المعالي ابن الغزي (ت ١١٦٧ هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٦٠ ـ **ديوان امرىء القيس** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط. دار المعارف، الطبعة الثانية

١٦١ ـ **ديوان عمرو بن معد يكرب** لمطاع الطرابيشي، مطبوعات مجلة اللغة العربية ـ دمشق ـ طبعة ثانية

١٦٢ ـ **ديوان المعاني** لأبي هلال العسكري، مكتبة القدسي

١٦٣ ـ **ديوان الهذليين** نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، سنة ١٩٦٥م

حرف الراء

١٦٤ ـ **الرسالة** لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار التراث ـ طبعة ثانية

١٦٥ ـ **الرسالة المستطرفة** للسيد محمد بن جعفر الكتاني، دار الكتب العلمية ـ طبعة ثانية

١٦٦ ـ **رصف المباني في شرح حروف المعاني** لأحمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢ هـ)، تحقيق أحمد محمد الخراط ـ مجمع اللغة العربية بدمشق.

١٦٧ ـ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع الثاني** تأليف: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت سنة ١٢٧٠ هـ)، ط. دار إحياء التراث العربي

١٦٨ ـ **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**، محمد باقر الموسوي، طهران، المطبعة الحيدرية

١٦٩ ـ **روضة الطالبين** لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

١٧٠ ـ **روضة الناظر وجُنَّة المُناظر** لموفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ)، تحقيق د. عبد الكريم بن علي النملة، مكتبة الرشد ـ الرياض طبعة ثالثة

حرف الزاي

١٧١ ـ **زاد المسافر** لصفوان بن إدريس التجيبي المرسي، طبع في بيروت ١٩٣٩

١٧٢ ـ **زاد المعاد** لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق شعيب الأناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الخامسة عشر

١٧٣ ـ **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي** لأبي منصور الأزهري، تحقيق د. محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت ـ طبعة أولى

١٧٤ ـ **الزهد** لعبد الله ابن المبارك (ت ١٨١ هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ـ دار الكتب العلمية

١٧٥ ـ **الزوائد** للبوصيري (ت ٨٤٠هـ)، تحقيق موسى محمد علي ود. عزت علي عطية، دار الكتب الإسلامية

* ـ **زوائد المسند** لعبد الله بن أحمد بن حنبل = المسند أحمد بن حنبل

حرف السين

١٧٦ ـ **سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام** للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني ثم الصنعاني (ت ١١٨٢ هـ) ط الحلبي الرابعة سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م وأيضاً نسخة أخرى بتصحيح وتعليق محمد عبد العزيز

١٧٧ ـ **سر صناعة الإعراب** لأبي الفتح عثمان بن جنيّ (ت سنة ٣٩٢ هـ)، تحقيق الدكتور: حسن الهنداوي ـ ط. دار القلم، بدمشق ـ الطبعة الأولى ١٩٨٥م

١٧٨ ـ **سلاسل الذهب** لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية ـ طبعة أولى

١٧٩ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة** لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ـ طبعة رابعة

١٨٠ ـ **السلسلة الضعيفة** لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي

١٨١ ـ **سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه** (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ) تحقيق: محمد فؤاد ـ ط. دار الفكر العربي

١٨٢ ـ **سنن الدارمي** للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت سنة ٢٥٥هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت

١٨٣ ـ **سنن أبي داود** للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥ هـ) تحقيق: المرحوم محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت

١٨٤ ـ **سنن النسائي** بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي ـ ط. المكتبة العلمية ـ بيروت

١٨٥ ـ **سؤالات البرذعي** للبرذعي، تحقيق: د. سعدي الهاشمي، نشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

١٨٦ ـ **سؤالات البرقاني للدارقطني** للبرقاني، كتب خانه جميلي ـ باكستان

١٨٧ ـ **سير أعلاء النبلاء** للحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وجماعة، مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

١٨٨ ـ **السيرة الحلبية** لعلي بن برهان الدين الحلبي، طبع مصر

١٨٩ ـ **السيرة مع الروض الأُنُف** لأبي القاسم عبد الرحمن الخثعمي (٥٨١هـ)، مكتبة عبد السلام بن محمد بن شقرون

١٩٠ ـ **سيرة ابن هشام** لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ت ١٨٣ هـ)، تحقيق مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث ـ طبعة أولى

حرف الشين

١٩١ ـ **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر

١٩٢ ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لأبي الفلاح ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ)، دار الكتب العلمية

١٩٣ ـ **شرح أبيات سيبويه** لأبي محمد يوسف المرزبان السيرافي (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية ودار الفكر

١٩٤ ـ **شرح أبيات مغني اللبيب** لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق عبد العزيز رباح، أحمد يوسف دقاق دار البيان ـ دمشق

١٩٥ ـ **شرح الأشموني على ألفِيَة ابن مالك** فيصل عيسى البابي الحلبي

١٩٦ ـ **شرح البهجة** لزكريا الأنصاري، المطبعة الميمنية بمصر

١٩٧ ـ **شرح التلويح على التوضيح** لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) دار الكتب العلمية

١٩٨ ـ **شرح تنقيح الفصول** لشهاب الدين أبي العباس القرافي (ت ٦٨٤ هـ)، شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ طبعة أولى

١٩٩ ـ **شرح الخريدة البهية** لأبي البركات الشيخ أحمد بن محمد الدردير العدوي (ت ١٢٠١ هـ)، تحقيق السيد علي بن السيد عبد الرحمن الهاشم، طبع الإمارات العربية المتحدة

٢٠٠ ـ **شرح ديوان جرير** بشرح محمد بن حبيب، دار المعارف تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، طبعة ثالثة

٢٠١ ـ **شرح ديوان الحماسة** لأبي تمام شرح الإمام الشيخ أبي زكريا يحيى التبريزي، عالم الكتب

٢٠٢ ـ **شرح الزُّرقاني على الموطأ** لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٢٠٣ ـ **شرح السُّنة** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، دار الكتب العلمية تحقيق علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود

٢٠٤ ـ **شرح شعلة على الشاطبية** لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي (ت ٦٥٦ هـ)، الاتحاد العام لجماعة القراء

٢٠٥ ـ **شرح شواهد المغني** لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار مكتبة الحياة بيروت

٢٠٦ ـ **شرح العضد على المختصر** لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) دار الكتب العلمية ـ طبعة ثانية

٢٠٧ ـ **شرح فتح القدير** للعاجز الفقير كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام (ت ٦٨١ هـ)، دار إحياء التراث العربي

٢٠٨ ـ **شرح قطر الندى** لجمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، مطبعة السعادة ـ الطبعة الثانية عشرة

٢٠٩ ـ **شرح الكافية** لابن مالك، تحقيق عبد المنعم هريدي، طبعة دار المأمون للتراث

٢١٠ ـ **شرح مختصر المنار** للكوراني، دار السلام ـ القاهرة

٢١١ ـ **شرح مسند أحمد بن حنبل** تحقيق أحمد شاكر، طبعة دار المعارف القاهرة

٢١٢ ـ **شرح المفصل** لموفق الدين يعيش النحوي (ت ٦٤٣ هـ)، عالم الكتب ـ بيروت

٢١٣ ـ **شرح منتهى الإرادات** لمنصور بن يونس البهوتي (ت ١٠٥١ هـ)، عالم الكتب ـ طبعة أولى

٢١٤ ـ **شرح المهذب** لأبي زكريا محيي الدين النووي، تحقيق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد جدة

٢١٥ ـ **شرف أصحاب الحديث** لأبي بكر أحمد الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي، دار إحياء السنة النبوية

٢١٦ ـ **شعب الإيمان** لأحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق أبو هاجر، دار الكتب العلمية

٢١٧ ـ **الشعر والشعراء** لابن قتيبة الدنيوري، دار المعارف ـ القاهرة تحقيق أحمد محمد شاكر

٢١٨ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي

٢١٩ ـ **شواذ القرآن** لابن خالويه، مكتبة المتنبي

حرف الصاد

٢٢٠ ـ **صحيح البخاري، بحاشية السندي** للعلامة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ـ ط. الحلبي

٢٢١ ـ **صحيح ابن حبان** لابن حبان (ت ٣٥٤ هـ)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة

٢٢٢ ـ **صحيح ابن خزيمة** لابن خزيمة (ت ٣١١ هـ)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب

الإسلامي ـ بيروت طبعة أولى

٢٢٣ ـ **صحيح مسلم** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ـ ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت

٢٢٤ ـ **صحيفة ابن أبي طلحة** حققها راشد عبد المنعم الرجال مكتبة السنة

٢٢٥ ـ **صفة الصفوة** لأبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، حيدر آباد ـ الهند

٢٢٦ ـ **صفة الكلام** للشيخ الظوهري شيخ الجامع الأزهر، مطبعة الحلبي

حرف الضاد

٢٢٧ ـ **الضعفاء** للبخاري (ت ٢٥٦ هـ)، تحقيق بوران ضناوي، عالم الكتب ـ بيروت ـ طبعة أولى

٢٢٨ ـ **الضعفاء** لأبي جعفر العقيلي تحقيق د. عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ طبعة أولى

٢٢٩ ـ **الضعفاء والمتروكين** للنسائي (ت ٣٠٣ هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد ـ دار الوعي ـ طبعة أولى

٢٣٠ ـ **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** تأليف: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) منشورات دار مكتبة الحياة

حرف الطاء

٢٣١ ـ **الطالع السعيد** لجعفر الأدفوي (ت ٧٤٨ هـ) تحقيق سعد محمد حسن ـ مطابع سجل العرب

٢٣٢ ـ **طبقات الأطباء** لابن أبي أصيبعة، دار الثقافة ـ بيروت

٢٣٣ ـ **طبقات الخواص** لأحمد بن أحمد الشرجي الزبيدي، طبع بمصر

٢٣٤ ـ **طبقات الشافعية** لأبي بكر بن هداية الله الحسيني المتوفى سنة (١٠١٤ هـ)، حققه عادل نويهض ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م ـ دار الأوقاف الجديدة ـ بيروت لبنان.

٢٣٥ ـ **طبقات الشافعية** تأليف: جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي ـ المتوفى سنة (٧٧٢هـ) تحقيق عبد الله الجبوري، الجمهورية العراقية رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي بغداد سنة ١٣٩٠هـ، ودار الكتب العلمية بيروت لبنان

٢٣٦ ـ **طبقات الشافعية الكبرى** لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٧٢٧ ـ ٧٧١ هـ) تحقيق محمود محمد وعبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه سنة ١٣٨٣هـ/ سنة ١٩٦٤م

٢٣٧ ـ **طبقات الصوفية** لأبي عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢ هـ)، تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ طبعة ثالثة

٢٣٨ ـ **طبقات الفقهاء** لأبي إسحق الشيرازي الشافعي (٣٩٣ ـ **٤٧٦هـ**) تحقيق الدكتور إحسان

عباس، الناشر دار الرائد العربي بيروت لبنان سنة ١٩٧٠م

٢٣٩ ـ **طبقات الفقهاء** الشافعية لأبي عاصم محمد بن أحمد العبادي المتوفى سنة (٤٥٨هـ)، طبعة ليدن سنة ١٩٦٤م

٢٤٠ ـ **طبقات ابن قاضي شهبة** لأبي بكر تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ)، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب ـ طبعة أولى

٢٤١ ـ **طبقات القراء** لابن الجزري، مكتبة المتنبي

٢٤٢ ـ **الطبقات الكبرى** لابن سعد ـ دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م

٢٤٣ ـ **طبقات المفسرين** للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ)، تحقيق: علي محمد عمر ـ الناشر: مكتبة وهبه ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦م

٢٤٤ ـ **طبقات المفسرين** تصنيف: الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي المتوفى سنة ٩٤٥هـ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م

٢٤٥ ـ **طبقات النحويين واللغويين** لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، دار المعارف تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

٢٤٦ ـ **طيبة النشر في القراءات العشر** لأبي القاسم النويري تحقيق عبد الفتاح السيد أبو سنة مجمع البحوث الإسلامية

حرف العين

٢٤٧ ـ **العبر في خبر من غبر** للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، وزارة الإعلام ـ الكويت

٢٤٨ ـ **الاعتصام** لأبي إسحاق اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر

٢٤٩ ـ **العظمة** لأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة ـ الرياض ـ طبعة أولى

٢٥٠ ـ **العلل** لأبي محمد عبد الرحمن الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ) دار المعرفة

٢٥١ ـ **العلل المتناهية** لأبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق الأثري، دار الكتب العلمية ـ بيروت

٢٥٢ ـ **العلل الواردة في الأحاديث النبوية** لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق محفوظ الرحمن زين الله السلفي (ت ٣٨٥ هـ) دار طيبة ـ طبعة أولى

٢٥٣ ـ **علوم الحديث** للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق د. السيد معظم حسين، مكتبة المتنبي ـ القاهرة

٢٥٤ ـ **العلوم المستودعة في السبع المثاني** للتجيبي الأقليشي، مخطوط تفسير بالأزهر [٢٥٥] ٤٢٥٣.

٢٥٥ ـ **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ** لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق الدكتور محمد التونجي، عالم الكتب، طبعة أولى

٢٥٦ ـ **عمدة القاري شرح صحيح البخاري** لبدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ طبعة أولى

٢٥٧ ـ **عمل اليوم والليلة** لأبي بكر أحمد بن إسحاق الدنيوري (ابن السّني) (ت ٣٦٤ هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ دار المعرفة ـ بيروت

٢٥٨ ـ **العنوان في القراءات السبع** لأبي طاهر إسماعيل بن خلف الأنصاري تحقيق الدكتور زهير زاهد والدكتور خليل العطية، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان

حرف الغين

٢٥٩ ـ **غاية النهاية في طبقات القراء** تأليف: شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري (المتوفى سنة ٨٣٣هـ)، عُنِيَ بنشره ج .براجستراسر ـ ط. دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٢

٢٥٩ ـ **غاية الوصول شرح لب الأصول** لزكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي

حرف الفاء

٢٦١ ـ **فتاوى ابن تيمية** لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، مطابع الرياض ـ الطبعة الأولى

٢٦٢ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ـ القاهرة ـ طبعة ثانية

٢٦٣ ـ **فتح العلام** للشيخ زكريا الأنصاري، دار الكتب العلمية، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ـ طبعة أولى

٢٦٤ ـ **فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب** لأبي يحيى زكريا الأنصاري (ت ٩٣٥ هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي

٢٦٥ ـ **فضائل القرآن** لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف المملكة المغربية

٢٦٦ ـ **فقه اللغة وسر العربية** لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي المكتبة التجارية الكبرى (١٣٤٦ ـ ١٩٢٧)

٢٦٧ ـ **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي** لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، طبع في الرباط (١٣٤٠هـ)

٢٦٨ ـ **الفهرست** لابن النديم ـ الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت

٢٦٩ ـ **فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت** لعبد العلي محمد الأنصاري (ت ١١٨٠ هـ)، المطبعة الأميرية ـ بولاق

٢٧٠ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير** للمناوي (ت ١٠٣١ هـ)، دار الفكر ـ طبعة ثانية

حرف القاف

٢٧١ ـ **القاموس المحيط** لمجد الدين الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الفكر ـ بيروت

حرف الكاف

٢٧٢ ـ **الكاشف على المحصول** للأصبهاني، مخطوط

٢٧٣ ـ **الكافي في فقه أهل المدينة المالكي** لأبي عُمَر يوسف بن عبد البَرّ، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٢٧٤ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال** لابن عدي (ت ٣٦٥هـ)، دار الفكر ـ طبعة ثالثة

٢٧٥ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م

٢٧٦ ـ **كشاف القناع عن متن الإقناع** للشيخ العلامة فقيه الحنابلة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ـ نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة

٢٧٧ ـ **كشف الأسرار** للنسفي، دار الكتب العلمية

٢٧٨ ـ **كشف الخفاء** لإسماعيل بن محمد العجلوني (ت ١١٦٢هـ)، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ طبعة ثالثة

٢٧٩ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** للعالم الفاضل الأديب المؤرخ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، المكتبة الإسلامية بطهران ـ الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٧هـ/١٩٥٧م

٢٨٠ ـ **الكفاية في علم الرواية** للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، مطبعة السعادة ـ طبعة أولى

٢٨١ ـ **كنز العمال** لعلاء الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة

٢٨٢ ـ **الكُنى والأسماء** لمسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، تحقيق عبد الرحيم أحمد القشقري، الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ـ طبعة أولى

٢٨٣ ـ **الكوكب المنير** لمحمد بن أحمد الفتوحي (ت ٩٧٢هـ)، تحقيق، د/ محمد الزحيلي ود/ نزيه حماد ـ مكتبة العبيكان

حرف اللام

٢٨٤ ـ **لب اللباب في تحرير الأنساب** لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٢٨٥ ـ **اللباب في تهذيب الأنساب** لعز الدين ابن الأثير الجزري، دار صادر ـ بيروت

٢٨٦ ـ **لسان العرب** لابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ـ دار المعارف ـ مصر

٢٨٧ ـ **لسان الميزان** للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، حيدر آباد الهند، تصوير ونشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ـ الطبعة الثانية سنة ١٣٩٠هـ/ سنة ١٩٧١م

٢٨٨ ـ **اللمع في العربية** لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية طبعة ثانية

حرف الميم

٢٨٩ ـ **المبسوط** لشمس الدين السرخسي، دار المعرفة بيروت

٢٩٠ ـ **مجاز القرآن** صنعة أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠ هـ)، تحقيق: د/ محمد فؤاد سزكين، الناشر: مكتبة الخانجي

٢٩١ ـ **مجمع الأنهر** طبعة مصطفى البابي الحلبي

٢٩٢ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، مؤسسة المعارف بيروت

٢٩٣ ـ **المجيد في إعراب القرآن المجيد** لإبراهيم محمد الصفاقسي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق موسى محمد زنين، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ولجنة الحفاظ على الترث الإسلامي

٢٩٤ ـ **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها** لابن جنّي تحقيق: د/ عبد الفتاح شلبي وعلي النجدي ناصف ـ ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة ١٩٦٩م

٢٩٥ ـ **المُحَدِّث الفاصِل بين الراوي والواعي** للقاضي الرَّامَهُرْمُزِّي (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر

٢٩٦ ـ **المحلى** لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) طبعة: دار الفكر ـ تحقيق أحمد شاكر

٢٩٧ ـ **المحلى على المنهاج** لجلال الدين المحلي مطبعة مصطفى البابي الحلبي

٢٩٨ ـ **مختار الصحاح** للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م

٢٩٩ ـ **مختصر المنتهى** لأبي عمر عثمان بن عُمَر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) مطبعة

كردستان بالقاهرة

٣٠٠ ـ **مختلف الرواية** لعلاء الدين محمد بن عبد الحميد أبي الفتح السمرقندي (ت ٥٥٢هـ) تحقيق عيسى زكي عيسى ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت

٣٠١ ـ **المخصص** تأليف: أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي، اللغوي، الأندلسي المعروف بابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، ط. دار الفكر

٣٠٢ ـ **المدخل للبيهقي** (ت ٤٥٨هـ) تحقيق د/ محمد ضياء الرحمٰن الأعظمي، نشر دار الخلفاء بالكويت

٣٠٣ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان** تأليف الإمام أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي المتوفى سنة ٧٦٨هـ مطبوعات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٠هـ/ سنة ١٩٧٠م

٣٠٤ ـ **المراسيل** للحافظ أبي داود سليمان السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ـ طبعة أولى

٣٠٥ ـ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي

٣٠٦ ـ **المستدرك على الصحيحين** للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، دار المعرفة ـ بيروت

٣٠٧ ـ **المستصفى في علم الأصول** لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة ـ بيروت

٣٠٨ ـ **مسند البزار** = كشف الأستار للهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت

٣٠٩ ـ **مسند الحميدي** للحافظ أبي بكر الحميدي (ت ٢١٩هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣١٠ ـ **مسند الشافعي** لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق السيد يوسف الزواوي الحسيني، السيد عزت العطار الحسيني، دار الكتب العلمية

٣١١ ـ **مسند الشهاب** للقاضي محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، مؤسسة الرسالة ـ بيروت

٣١٢ ـ **المسودة في أصول الفقه** لآل تيمية، دار الكتاب العربي ـ بيروت

٣١٣ ـ **مشكل الآثار** للطحاوي (ت ٣٢١هـ)، حيدر آباد ـ الهند

٣١٤ ـ **مشيخة ابن الجوزي** (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق محمد محفوظ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ دار الغرب ـ بيروت

٣١٥ ـ **المصاحف** لأبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٣١٦هـ)،

الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية

٣١٦ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي** ـ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) ط ١٣٩٧هـ/ سنة ١٩٧٧ وأيضاً ط المطبعة العلمية الطبعة الأولى سنة ١٣١٥هـ

٣١٧ ـ **المصنف** لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، حيدر آباد ـ الهند ـ طبعة أولى

٣١٨ ـ **المصنف** للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، ط ١ سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧٢م طبعة المجلس العلمي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان

٣١٩ ـ **المطالب العالية** لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار المعرفة ـ طبعة أولى

٣٢٠ ـ **المطلع على أبواب المقنع** لشمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي، المكتب الإسلامي

٣٢١ ـ **المعارف** لعبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه دكتور ثروت عكاشة الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٢٢ ـ **معالم التنزيل** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، دار المعرفة تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار

٣٢٣ ـ **معاني القرآن وإعرابه** لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، شرح وتحقيق: د/ عبد الجليل شلبي ـ عالم الكتب ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م

٣٢٤ ـ **معاني القراءات** لأبي منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق د/ عيد مصطفى درويش ود/ عوض بن حمد القوزي طبعة أولى

٣٢٥ ـ **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص** للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي (ت ٩٦٣هـ)، عالم الكتب ـ بيروت

٣٢٦ ـ **المعتمد** لأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب المعتزلي (ت ٤٣٦ هـ)، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٢٧ ـ **معجم الأدباء** لياقوت ـ ط. الحلبي ـ الطبعة الأخيرة

٣٢٨ ـ **المعجم الأوسط** لأبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف ـ الرياض ـ طبعة أولى

٣٢٩ ـ **معجم البلدان** لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة أولى

٣٢٠ ـ **معجم الشعراء** للمرزباني مكتبة القدسي ـ القاهرة طبعة ثانية

٣٣٠ ـ **معجم طبقات الحفاظ المفسرين** لعبد العزيز عز الدين السيروان، عالم الكتب

٣٣٢ ـ **معجم قبائل العرب** لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ـ بيروت

٣٣٣ ـ **المعجم الكبير** لأبي القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي بغداد ـ وزارة الأوقاف

٣٣٤ ـ **معجم المصطلحات النحوية والصرفية** للدكتور محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان

٣٣٥ ـ **معجم مقاييس اللغة** لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق شهاب الدين أبي عمرو، دار الفكر ـ بيروت ـ طبعة أولى

٣٣٦ ـ **المعرفة والتاريخ** لأبي يوسف يعقوب الفَسَوِيّ، مكتبة الدار بالمدينة المنور تحقيق د. أكرم ضياء العمري

٣٣٧ ـ **المغني في أُصول الفقه** لعمر بن محمد الخبازي (ت ٦٩١ هـ)، تحقيق محمد مطهربقا

٣٣٨ ـ **مغني اللبيب** لابن هشام (ت ٧٦١ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة المدني

٣٣٩ ـ **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج** لشمس الدين الخطيب الشربيني، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٤٠ ـ **المغني والشرح الكبير** لعبد الله بن أحمد بن قدامة (ت ٦٢٠ هـ) على مختصر الإمام أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقي، ومعه الشرح الكبير على متن المقنع تأليف الشيخ الإمام شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ط دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان سنة ١٣٩٢هـ.

٣٤١ ـ **مفاتيح الغيب** لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية طبعة أولى

٣٤٢ ـ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** لطاش كبري زاده، حيدر آباد ـ الهند

٣٤٣ ـ **المفضليات** للمفضل الضبي ـ تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، ط. دار المعارف ـ الطبعة السادسة

٣٤٤ ـ **المفهوم** لشيخنا محمد الحضراوي، مخطوط

٣٤٥ ـ **المقاصد النحوية في شرح شواهد الألْفِية** لمحمود بن أحمد العيني، دار صادر

٣٤٦ ـ **المقتضب** صنعة أبي العباس محمد بن يزيد المُبَرّد (٢١٠ ـ ٢٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

٣٤٧ ـ **المقدمة** لابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، دار نهضة مصر طبعة ثالثة

٣٤٨ ـ **مقدمة ابن الصلاح** لابن الصلاح، تحقيق د. عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب

٣٤٩ ـ **المغرب** تأليف: علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوريّ. مطبعة العاني، بغداد ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٢م.

٣٥٠ ـ **المكتفى في الوقف والابتداء** للداني تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن مرعشلي ـ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ، وطبعة أخرى قامت بنشرها مؤسسة الحلبي

* **ملحق ديوان الأعشى** = انظر ديوان الأعشى

* ـ **ملحق ديوان كعب بن زهير** = انظر ديوان كعب بن زهير

٣٥١ ـ **الممتع في التصريف** ـ لابن عصفور الإشبيلي (٥٩٧ ـ ٦٦٩هـ)، تحقيق د/ فخر الدين قباوة ـ ط. منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٩م.

٣٥٢ ـ **مناهج العقول** لمحمد بن الحسن البدخشي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٥٣ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن** لمحمد عبد العظيم الزرقاني، مكتبة عيسى البابي الحلبي ـ طبعة ثالثة

٣٥٤ ـ **المنتخب من المسند** لأبي محمد عبد بن حميد (ت ٢٤٩ هـ) مكتبة السنة بالقاهرة تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي، محمود محمد خليل الصعيدي

٣٥٥ ـ **المنتقى شرح موطأ مالك** للقاضي سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٩٤هـ) الطبعة الأولى مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٢هـ

٣٥٦ ـ **منتهى الإرادات** لتقي الدين الفتوحي الحنبلي الشهير بابن النجار، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، عالم الكتب

٣٥٧ ـ **المنخول من تعليقات الأصول** لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق د. محمد حسن هيتو، دار الفكر ـ دمشق ـ طبعة ثانية

٣٥٨ ـ **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء** للآمدي (الحسن بن بشر)، مكتبة القدسي

٣٥٩ ـ **موارد الظمآن إلى زوائد بن حبان** لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت ٨٠٧هـ) تحقيق حسين سليم أسد، عبده علي كوشك ـ دار الثقافة العربية طبعة أولى

٣٦٠ ـ **الموافقات في أصول الشريعة** لأبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز دار المعرفة ـ بيروت ـ طبعة ثانية

٣٦١ ـ **الموضوعات** لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، عام ١٣٨٦هـ

٣٦٢ ـ **ميزان الأصول في نتائج العقول** لعلاء الدين شمس النظر السمرقندي، تحقيق د. عبد الملك

عبد الرحمن السعدي لجنة إحياء التراث العربي والإسلامي مكة المكرمة، طبعة أولى ١٩٨٧

٣٦٣ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ـ ط. دار المعارف ـ بيروت

حرف النون

٣٦٤ ـ **الناسخ المنسوخ في الحديث** لابن شاهين (ت ٣٨٥ هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية ـ بيروت، طبعة أولى

٣٦٥ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** تأليف جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (٨١٣ ـ ٨٧٤هـ) وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة

٣٦٦ ـ **نزهة الألباء في طبقات الأدباء** لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: د/ إبراهيم السامرائي ـ مكتبة المنار بالأردن ـ الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٥م.

٣٦٧ ـ **نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس** للعباس بن علي الموسوي، طبع في مصر (١٢٩٣هـ)

٣٦٨ ـ **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض** لأحمد شهاب الدين الخفاجي المصري، مكتبة المشهد الحسيني

٣٦٩ ـ **نشر البنود على مراقي السعود** لعبد الله بن إبراهيم الشنقيطي، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٧٠ ـ **نشر الطوالع** للعلامة المرعشي الشهير بساجقلي زادة مكتبة العلوم العصية ـ طبعة أولى

٣٧١ ـ **نصب الراية لأحاديث الهداية** للإمام الحافظ البارع العلامة جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) الناشر المكتبة الإسلامية، لصاحبها الحاج رياض الشيخ، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م

٣٧٢ ـ **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** للمقري (ت ١٠٤١هـ)، طبع دار صادر، تعليق الدكتور إحسان عبّاس

٣٧٣ ـ **نقعة الصديان** للحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني (ت ٦٥٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ـ طبعة أولى

٣٧٤ ـ **النكت الظراف** لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تصحيح عبد الصمد بن شرف، طبع بحاشية تحفة الأشراف للمزي، الطبعة الأولى، الدار القيمة الهند

٣٧٥ ـ **نكت الهيمان في نكت العميان** لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المطبعة الجمالية بمصر

٣٧٦ ـ **نهاية الأرب** لشهاب الدين النويري، دار الكتب المصرية، (١٩٢٣م)

٣٧٧ ـ **نهاية السول في شرح منهاج الأصول** لعبد الرحيم الأسنوي (ت ٧٧٢هـ)، المطبعة السلفية ـ عالم الكتب ـ بيروت

٣٧٨ ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر** لابن الأثير ـ تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ـ طبعة الحلبي ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣م.

٣٧٩ ـ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** لأحمد بابا التنبكتي كلية الدعوة الإسلامية ـ طرابلس ليبيا ـ طبعة أولى

٣٨٠ ـ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار** للإمام المجتهد قاضي قضاة القطر اليماني محمد بن علي بن محمد الشوكاني، طبعة الحلبي الأخيرة ونسخة أخرى طبعة المكتبة التوفيقية بالقاهرة

حرف الهاء

٣٨١ ـ **الهداية شرح بداية المبتدىء** لبرهان الدين الميرغناني (ت ٥٩٣هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي

٣٨٢ ـ **هَدْيُ الساري** للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بالقاهرة ـ طبعة ثانية

٣٨٣ ـ **هدية العارفين من كشف الظنون** لإسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر

٣٨٤ ـ **همع الهوامع شرح جمع الجوامع** تأليف: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، عُنِيّ بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني، ط. دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت

حرف الواو

٣٨٥ ـ **الوافي بالوفيات** تأليف صلاح الدين خليل بن الصفدي ط ٢ دار النشر بفيسبادن النشرات الإسلامية (١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)

٣٨٦ ـ **الوصول إلى الأصول** لأحمد بن علي بن برهان (ت ٥١٨هـ)، تحقيق عبد الحميد علي أبو زنيد، مكتبة المعارف ـ الرياض ـ طبعة أولى

٣٨٨ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خَلّكان سنة (٦٠٨ ـ ٦٨١) حققه الدكتور/ إحسان عباس، دار صادر بيروت سنة ١٩٦٨م

طبع على مطابع
دار إحياء التراث العربي